عين العالم

عجلة الزمن

THE WHEEL OF TIME

BOOK ONE

THE EYE OF THE WORLD

ROBERT JORDAN

روبرت جوردان



رواية

ترجمة: أحمد صلاح المهدي

عين العالم

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

telegram @soramnqraa



جوردن، روبرت

عجلة الزمن "عين العالم" : / روبرت جوردن.

ترجمة : أحمد صلاح مهدي.

القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2023.

ردمك : 978-977-820-160-4
ا- القصص الأمريكية
أ- المهدي ، أحمد صلاح (مترجم)
ب- العنوان : 823
رقم الإيداع : 10794 / 2023
الطبعة الأولى : أكتوبر 2023.

كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 01000405450 – 01001872290
بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

سلسلة عجلة الزمن
الجزء الأول

عين العالم

الكتاب كاملا

مكتبة
t.me/soramnqraa

تأليف

روبرت جوردن

ترجمة

أحمد صلاح المهدي

تمهيد

جبل (التنين)

مكتبة
t.me/soramnqraa

كان القصر لا يزال يرتجف من آن لآخر وهو يتذكر، يئن كأنما ينكر ما قد حدث. أعمدة الضوء التي تسللت عبر صدوع الجدران جعلت ذرات الغبار تتلألأ حيث كانت لا تزال معلقة في الهواء. كانت آثار الحريق تشوه الجدران والأرضيات والأسقف. لطخات سوداء عريضة تغطي ألوان ما كان يومًا لوحات جدارية زاهية مذهبة، ويتراكم السخام على الأفاريز المتداعية التي تمثل رجالًا وحيوانات بدا عليهم أنهم قد حاولوا السير قبل أن يهدأ الجنون. كانت الجثث ملقاة في كل مكان، رجال ونساء وأطفال، قد ضربهم - أثناء محاولة الهرب - ألسنة برق قد لمعت في كل ممر، أو حاصرتهم النيران التي كانت تطاردهم، أو غرقوا في أحجار القصر، الأحجار التي تدفقت وطاردتهم وهي تكاد تنبض بالحياة قبل أن يأتي السكون مرة أخرى. في تناقض غريب كانت المنسوجات واللوحات الملونة والأعمال الفنية كلها معلقة دون أن ينالها سوء إلا في الأماكن التي دفعتها فيها الجدران المنبعجة إلى أن تميل. كانت قطع الأثاث المنحوتة بدقة والمطعمة بالعاج والذهب قائمة دون أن يمسها أذى إلا في الأماكن التي تموجت فيها الأرضيات وأسقطتها. لقد ضرب جنون العقل ضربته في المنتصف متجاهلًا الأشياء الواقعة بالمحيط الخارجي.

كان (ليوز ثيرين تيلامون) يتجول في القصر محافظًا على توازنه ببراعة عندما تتموج الأرض. «(إلينا)! أين أنتِ يا حبيبتي؟». كان يجر طرف عباءته الرمادية الشاحبة في الدماء بينما يخطو بجوار جثة امرأة قد شوَّه جمال وجهها ذي الشعر الذهبي رعب لحظاتها الأخيرة، وعيناها لا تزالان متجمدتين في عدم تصديق. «أين أنتِ يا زوجتي؟ أين يختبئ الجميع؟».

وقع بصره على انعكاس صورته في مرآة معلقة بشكل منحرف على الرخام المنبعج. لقد كانت ملابسه فخمة ذات يوم، باللون الرمادي والقرمزي والذهبي، الآن كانت ملابسه المنسوجة بدقة التي جلبها التجار عبر بحر العالم ممزقة ومتسخة، وملبدة بنفس الغبار الذي يغطي شعره وجلده. للحظة داعب بإصبعه الرمز الموجود على عباءته؛ دائرة نصفها أبيض ونصفها أسود ويفصل بين اللونين خط متعرج. كان هذا الرمز يعني شيئًا، ولكن الدائرة المطرزة لم تستطع أن تجذب انتباهه طويلًا، كان يحدق إلى انعكاس صورته في دهشة كبيرة، رجل طويل في منتصف عمره، قد كان وسيمًا ذات يوم، ولكن شعره الآن به خصلات بيضاء أكثر من البنية، وتكسو وجهه تجاعيد الإجهاد والقلق، وعيناه الداكنتان قد رأيتا الكثير. بدأ (ليوز ثيرين) في الضحك بشكل مكتوم ثم ألقى رأسه إلى الوراء وتردد صدى ضحكاته عبر الأروقة الخالية من الحياة.

«(إلينا) يا حبيبتي! تعالي إليَّ يا زوجتي. يجب أن تري هذا».

من ورائه تموج الهواء ولمع قبل أن يتجسد ليصير رجلًا يتلفت حوله وقد تلوى فمه للحظة في امتعاض. لم يكن طويلًا مثل (ليوز ثيرين)، وكان يرتدي ملابس سوداء بالكامل عدا من شريط الدانتيل ناصع البياض عند حلقه، والخيوط الفضية التي تزين الجزء العلوي المنثني لأسفل من حذائه الذي يصل إلى الفخذين. خطا بحرص وهو يجذب عباءته بعناية ليتجنب احتكاكها بالجثث. ارتجفت الأرض مع هزة أخرى ولكن انتباهه كان منصبًّا على الرجل الذي يحدق إلى المرآة وهو يضحك.

قال: «(سيد الصباح)، لقد جئت من أجلك».

انقطعت ضحكة (ليوز ثيرين) كأنه لم يكن يضحك، ثم التفت وبدا غير مندهش. «آه، ضيف. هل تملك الصوت أيها الغريب؟ سيحين وقت الغناء قريبًا، ونحن نرحب هنا بمشاركة الجميع. (إلينا)، حبيبتي، لدينا ضيف. (إلينا)، أين أنتِ؟».

اتسعت عينا الرجل المتشح بالسواد ونظر إلى جثة المرأة ذات الشعر الذهبي ثم نظر مرة أخرى إلى (ليوز ثيرين). «فليأخذك (الشيطان)، هل أحكم الدنس قبضته عليك إلى هذا الحد بالفعل؟».

«هذا الاسم، الشيـ...». ارتجف (ليوز ثيرين) ثم رفع يده كأنما ليصد شيئًا ما. «يجب عليك ألا تقول هذا الاسم. إنه خطير».

«إذن فأنت تتذكر هذا القدر على الأقل. خطير بالنسبة لك أيها الأحمق وليس بالنسبة لي. ما الذي تتذكره أيضًا؟ تذكر أيها الأحمق الذي أعماه (النور)! لن أدع الأمر ينتهي وأنت غارق في غفلتك! تذكر!».

حدق (ليوز ثيرين) للحظة إلى يده المرفوعة مفتونًا بأنماط الأوساخ، ثم مسح يده على معطفه الأكثر اتساخًا قبل أن يولي انتباهه مرة أخرى إلى الرجل وهو يقول: «من أنت؟ ما الذي تريده؟».

رفع الرجل المتشح بالسواد رأسه في غطرسة وقال: «كنت أُدعى ذات يوم (إيلان مورين تيدروناي)، ولكن الآن...».

«خائن الأمل». كانت همسة من (ليوز ثيرين). شيء ما قد أثار ذاكرته، ولكنه أشاح برأسه بعيدًا عنه.

«إذن فأنت تتذكر بعض الأشياء. أجل، خائن الأمل. هكذا سماني البشر، تمامًا كما سموك (التنين). ولكني على عكسك قد اعتززت بالاسم، لقد منحوني هذا الاسم كي يشتموني، ولكني سأجعلهم يركعون ويعبدونه.

ما الذي سوف تفعله باسمك؟ من هذا اليوم سيسميك البشر قاتل أهله. ما الذي ستفعله حيال هذا؟».

عقد (ليوز ثيرين) حاجبيه وهو يتأمل البهو المدمر قبل أن يتمتم في شرود: «يجب أن تكون (إلينا) هنا للترحيب بالضيف». ثم رفع صوته قائلًا: «(إلينا)، أين أنتِ؟». اهتزت الأرض فتحركت الجثة كأنما لتجيب نداءه، ولكن لم ترها عيناه.

عبس (إيلان مورين) ثم قال بازدراء: «انظر إلى نفسك، لقد كنت ذات يوم تقف بين (الخادمين)، لقد كنت ذات يوم ترتدي (خاتم تاميرلين) وتجلس على (العرش العالي). ذات يوم قد استُدعيت (صوالج الحكم التسعة). الآن انظر إلى نفسك! بائس محطم مثير للشفقة، ولكن هذا ليس كافيًا، لقد أذللتني في (قاعة الخادمين)، لقد هزمتني عند (بوابات باران دايسن). ولكني أعظم منك الآن، ولن أدعك تموت دون أن تعرف هذا. عندما تموت فإن آخر فكرة لديك ستكون معرفتك التامة بهزيمتك، وكم كانت هزيمة كاملة ومطلقة. هذا إن تركتك تموت على الإطلاق».

«لا يمكنني أن أتخيل ما الذي يؤخر (إلينا). سوف تريني الجانب الفظ من لسانها إن اعتقدت أنني أخفي عنها ضيفًا. آمل أنك تستمتع بالمحادثة، فهي تستمتع بها بالتأكيد. ولكن فلتحذر؛ (إلينا) سوف تسألك أسئلة عديدة وقد ينتهي بك الأمر بإخبارها بكل شيء تعرفه».

ألقى (إيلان مورين) بعباءته السوداء إلى الوراء وثنى يديه قبل أن يقول متأملًا: «من المؤسف بالنسبة لك أنه لا يوجد واحدة من أخواتك هنا، أنا لم أكن بارعًا قط في الشفاء، وأنا أتبع قوة مختلفة الآن، ولكن حتى واحدة منهن لم تكن لتعطيك إلا دقائق قليلة من صفاء الذهن، هذا إن لم تدمرها أولًا. ما يمكنني فعله سيفي بغرضي أيضًا». ابتسم فجأة ابتسامة قاسية. «ولكني أخشى أن شفاء (الشيطان) مختلف عن النوع الذي

تعرفه. فلتُشفَ يا (ليوز ثيرين)!». ثم مد يديه فخفت الضوء كأن ظلًّا قد بُسِط على الشمس.

اشتعل الألم بداخل (ليوز ثيرين) فصرخ صرخة من أعماقه، صرخة لا يمكنها أن تتوقف. أحرقت النيران نخاعه، وتدفق الحمض في عروقه. تعثر إلى الوراء قبل أن يسقط على الأرضية الرخامية، فارتطم رأسه بالحجر قبل أن يرتد. خفق قلبه كأنما يحاول أن يشق طريقه خارج صدره بنبضاته، وكل نبضة كانت تدفع بألسنة لهب جديدة عبر جسده. تشنج في عجز وهو يتلوى وقد تحولت جمجمته إلى كرة من العذاب الخالص، حتى كادت أن تنفجر. ترددت أصداء صرخاته المتحشرجة في أرجاء القصر.

انحسر الألم ببطء شديد للغاية. بدا أن الانحسار قد استغرق ألف سنة، وتركه يرتعش في ضعف ويكافح لالتقاط أنفاسه عبر حلق متألم. بدا أن ألف سنة أخرى قد مرَّت قبل أن يتمكن من رفع نفسه بعضلات كالهلام، ويدفع نفسه وهو يرتجف ليعتدل على يديه وركبتيه. وقع بصره على المرأة ذات الشعر الذهبي، فصرخ صرخة تضاءل بجوارها كل صوت قد ند عنه من قبل. ترنح وكاد أن يسقط وهو يجر نفسه عبر الأرضية ليصل إليها. تطلب الأمر كل ذرة من قوته لكي يجذبها بين ذراعيه. ارتجفت يداه وهو يزيح شعرها من على وجهها شاخص البصر.

«(إلينا)! فليساعدني (النور)، (إلينا)!». أحاط جسدها بجسده كأنما ليحميها وهو ينتحب من كل حلقه بصرخات رجل لم يتبقَّ له شيء ليحيا من أجله. «(إلينا)، لا! لا!».

«يمكنك أن تستعيدها يا قاتل أهله. (سيد الظلام العظيم) يمكنه أن يعيدها للحياة مرة أخرى إذا خدمته. إذا خدمتني».

رفع (ليوز ثيرين) رأسه فتراجع الرجل المتشح بالسواد خطوة إلى الوراء لا إراديًّا بعيدًا عن هذه النظرة. قال (ليوز ثيرين) بهدوء كالصوت الهادئ

لسيف يُسْتَلّ من غمده: «عشر سنوات أيها الخائن، عشر سنوات وسيدك الكريه يعيث فسادًا في العالم. والآن هذا. أنا سـ...».

«عشر سنوات! أيها الأحمق البائس! هذه الحرب لا تدور رحاها منذ عشر سنوات، بل منذ بدء الزمان. لقد تقاتلنا أنا وأنت في ألف معركة مع دوران (عجلة الزمن)، ألف ألف مرة، وسوف نتقاتل حتى يموت الزمن وينتصر (الظل)». أنهى حديثه بصيحة وهو يرفع قبضته فجاء دور (ليوز ثيرين) ليتراجع إلى الوراء وهو يحبس أنفاسه بسبب الوهج في عيني الخائن.

بحرص وضع (ليوز ثيرين) جسد (إليينا) أرضًا وأصابعه تمسد شعرها برفق. جعلت الدموع الرؤية ضبابية في عينيه وهو يعتدل واقفًا ولكن صوته كان كالحديد البارد. «من أجل كل ما فعلته أيها الخائن فلا يمكن أن يكون هناك أي غفران، ولكن من أجل موت (إليينا) فسوف أدمرك بشكل يفوق قدرة سيدك على الإصلاح. استعد لـ...».

«تذكر أيها *الأحمق!* تذكر هجومك العقيم على (سيد الظلام العظيم)! تذكر هجمته المضادة! تذكر! حتى في هذه اللحظة فإن (الرفاق المئة) يمزقون العالم إربًا، وكل يوم ينضم مئة رجل آخرون إليهم. أي يد قتلت (إليينا ذهبية الشعر) يا قاتل أهله؟ ليست يدي. ليست يدي. أي يد قضت على كل حياة تحمل قطرة من دمائك، كل من أحبك، وكل من أحببته؟ ليست يدي يا قاتل أهله. ليست يدي. تذكر واعرف ثمن معارضة (الشيطان)!».

فجأة بدأ العرق يتصبب على وجه (ليوز ثيرين) صانعًا مسارات بين الغبار والأوساخ، لقد تذكَّر، ذكرى ضبابية كحلم في حلم، ولكنه كان يعرف أنها حقيقة.

ضرب عواؤه الجدران، عواء رجل قد اكتشف أن روحه قد لُعِنت بصنيع يديه، وأخذ يخمش وجهه كأنه يحاول أن ينتزع منه مشهد ما قد فعله. أينما نظر كانت عيناه تريان الموتى. كانوا ممزقين أو محطمين أو محترقين أو

نصف غارقين في الحجارة. في كل مكان تستلقي وجوه ميتة قد عرفها، وجوه قد أحبها. خدم قدامى وأصدقاء طفولته ورفاق مخلصون عبر سنوات طويلة من الحرب. وأطفاله، أولاده وبناته، مستلقين كالدمى المتكسرة، هامدين إلى الأبد. جميعهم قد قتلتهم يده. كانت وجوه أطفاله ترميه بالاتهام، أعين خاوية تسأله لماذا، ودموعه لا تحمل أدنى إجابة. جلدته ضحكة الخائن وأغرقت عواءه. لم يستطع أن يتحمل هذه الوجوه، هذا الألم. لم يستطع أن يتحمل البقاء أكثر من هذا. مد يده في يأس إلى (المصدر الحقيقي)، إلى (السايدين) المدنس، ثم ارتحل.

كانت الأرض من حوله منبسطة وخاوية، كان هناك نهر يتدفق بالقرب منه مستقيمًا وواسعًا، ولكنه استطاع أن يشعر بعدم وجود أي بشر في نطاق مئة فرسخ. كان وحيدًا، وحيدًا كما يمكن لرجل أن يكون بينما هو على قيد الحياة. ورغم هذا لم يستطع الهروب من الذكرى. الأعين التي تلاحقه عبر مغارات عقله اللامتناهية. لم يستطع الاختباء منها. أعين أطفاله. عينا (إلبينا). تلألأت الدموع على وجنتيه وهو يولي وجهه نحو السماء.

«اغفر لي أيها (النور)!». ولكنه كان يعرف أن الغفران لا يمكن أن يأتي. لا غفران لما قد فعله. ولكنه صاح إلى السماء على أي حال وتوسل من أجل ما يعرف أنه لا يمكنه الحصول عليه. «اغفر لي أيها (النور)!».

كان لا يزال يلمس (السايدين)، النصف الذكوري للقوة التي تحرك الكون، التي تدير (عجلة الزمن)، وكان بإمكانه أن يشعر بالدنس الزيتي يلوث سطحه، دنس ضربة الظل المضادة، الدنس الذي حكم على العالم بالهلاك. كل هذا بسببه، لأنه في غروره قد اعتقد أن البشر يمكنهم مضاهاة (الخالق)، يمكنهم إصلاح ما قد صنعه (الخالق) وحطموه هم. في غروره قد اعتقد هذا.

لقد اغترف من (المصدر الحقيقي) بنهم، بنهم كبير للغاية، كرجل يموت من العطش. سرعان ما اغترف من (القوة الواحدة) أكثر مما يستطيع تسخيره من دون مساعدة، فأحس كأن النيران قد اشتعلت في جلده. بجهد شديد أجبر نفسه على الاغتراف أكثر، حاول أن يغترفها كلها.

«اغفر لي أيها (النور)! (إليينا)!».

تحول الهواء إلى نيران، وتحولت النيران إلى ضوء سائل. الصاعقة التي انقضت من السماوات كانت لتحرق وتعمي أي عين تلمحها ولو للمحة واحدة. لقد جاءت من السماوات وأحرقت (ليوز ثيرين تيلامون)، واخترقت الأرض حتى وصلت إلى أحشائها. تحولت الصخور إلى بخار مع لمستها. تلوت الأرض وارتجفت كمخلوق حي يتعذب. لم يظهر عمود الضوء الساطع إلا قدر نبضة قلب وهو يربط بين الأرض والسماء، ولكن حتى بعد اختفائه ظلت الأرض تموج كبحر في عاصفة. الصخور المنصهرة تدفقت بارتفاع خمسمئة قدم في الهواء، وارتفعت الأرض المتألمة وهي تدفع بالرذاذ المشتعل لأعلى وأعلى. من الشمال والجنوب، من الشرق والغرب، هبت الرياح وهي تعوي، تكسر الأشجار كأنما هي عيدان، تصرخ وتندفع كأنما لتساعد الجبل الآخذ في التنامي نحو السماء.

وأخيرًا همدت الرياح، وسكنت الأرض إلى تمتمات مرتجفة. أما عن (ليوز ثيرين تيلامون) فلم يبقَ منه أدنى أثر. في المكان الذي كان يقف فيه يمتد الآن جبل لمئات الأميال نحو السماء، الحمم المنصهرة لا تزال تتدفق من قمته المتحطمة. النهر العريض المستقيم اندفع إلى انحناءة بعيدة عن الجبل، وهنالك انقسم ليشكل جزيرة طويلة في منتصفه. يكاد ظل الجبل أن يصل إلى الجزيرة، حيث يتمدد على الأرض مظلمًا مثل يد نبوءة مشؤومة. ولبعض الوقت كان صوت قرقرة الأرض المحتجة المكتوم هو الصوت الوحيد.

على الجزيرة تلألأ الهواء ثم التأم. وقف الرجل المتشح بالسواد يحدق إلى الجبل الناري الذي يعلو عن الأرض المنبسطة. تلوى وجهه في ألم وازدراء قبل أن يقول: «لا يمكنك الهرب بهذه السهولة أيها (التنين). لم ينتهِ الأمر بيننا. لن ينتهي الأمر حتى نهاية الزمان».

ثم اختفى، فبقي الجبل والجزيرة وحدهما. ينتظران.

وسقط (الظل) على الأرض، وتمزق العالم صخرة من صخرة. فاضت المحيطات وابتُلِعت الجبال وتشتت الأمم إلى أركان العالم الثمانية. كان القمر كالدماء وكانت الشمس كالرماد. راحت البحار تغلي، والأحياء يحسدون الأموات. لقد تحطم كل شيء وضاع كل شيء ما عدا الذاكرة، وذكرى واحدة كانت فوق كل الذكريات، ذكرى هذا الذي جلب (الظل) و(تحطُم العالم). هذا الذي أسموه (التنين).

(من كتاب أليث نين تايرين ألتا كامورا،

تحطم العالم.

المؤلف مجهول، العصر الرابع)

وقد حدث في هذه الأيام ـ كما حدث من قبل وكما سيحدث مرة أخرى ـ أن خيم الظلام بثقل على الأرض وأثقل قلوب البشر، فذبل كل ما هو أخضر، ومات كل أمل فصرخ البشر ينادون (الخالق) قائلين: يا نور السماوات، يا نور العالم، دع (الموعود) يولد من الجبل، كما قالت النبوءات، فهو قد كان في عصور مضت وسوف يكون في عصور آتية. دع (أمير الصباح) يغني إلى الأرض حتى ينمو كل ما هو أخضر، وتمنحنا الوديان الحملان. دع ذراع (سيد الفجر) تقينا الظلام، وسيف العدل العظيم يدافع عنا. دع (التنين) يمتطي مرة أخرى رياح الزمن.

(من كتاب تشارال درينان تي كاالامون،

دورة التنين.

المؤلف مجهول، العصر الرابع)

الفصل الأول

طريق خاوٍ

(عجلة الزمن) تدور، والعصور تأتي وتمضي، تاركة وراءها الذكريات، التي تتحول إلى أسطورة. تضمحل الأسطورة لتصير خرافة، وحتى الخرافة تكون قد نُسيت منذ زمن بعيد عندما يأتي مرة أخرى العصر الذي جلبها للوجود. في عصر من العصور، يسميه البعض (العصر الثالث)، عصر لم يأتِ بعد، عصر قد مضى منذ وقت طويل، هبّت رياح من (جبال الضباب). لم تكن الرياح هي البداية. لم يكن هناك بدايات ولا نهايات لدوران (عجلة الزمن). ولكنها كانت بداية ما.

هبت الرياح من أسفل القمم المغطاة دومًا بالغيوم والتي منحت الجبال اسمها، نحو الشرق عبر (تلال الرمال)، التي كانت ذات يوم شاطئ محيط عظيم قبل (تحطم العالم). ثم اندفعت عبر (النهرين) إلى الغابة المتشابكة التي تُسمى (الغابة الغربية)، لتضرب رجلين يسيران بعربة وفرس عبر طريق تتناثر فيه الصخور، يُسمى (الطريق الحجري). ورغم أن هذا كان يجب أن يكون شهرًا معتدلًا في الربيع إلا أن الرياح كانت تحمل قشعريرة ثلجية كما لو أنها تود أن تحمل ثلجًا.

ألصقت الرياح عباءة (راند ألثور) بظهره، وصفعت ساقيه بالصوف ذي اللون الترابي، ثم جعلته يخفق وراءه. تمنى لو أن معطفه كان أثقل أو

أنه قد ارتدى قميصًا إضافيًّا. كلما حاول أن يحيط نفسه بالعباءة كانت تعلق بجعبة الأسهم المعلقة على خصره. ومحاولة تثبيت العباءة بيد واحدة لم تنفعه كثيرًا على أي حال، فقد كان يحمل قوسه بيده الأخرى وهناك سهم موضوع في وتره جاهزًا لأن يجذبه في أي لحظة.

جاءت هبة قوية من الرياح فانفلتت العباءة من يده، فاختلس النظر إلى أبيه من فوق ظهر الفرس البنية الشعثاء. أحس أنه أحمق بعض الشيء لأنه أراد أن يطمئن أن (تام) لا يزال هناك، ولكن كان هذا يومًا من تلك الأيام. كانت الرياح تعوي كلما هبت، ولكن عدا ذلك كان الهدوء مخيمًا على الأرض. صرير محور العجلة بدا مدويًا مقارنة بهذا الهدوء. لم تكن هناك طيور تغرد في الغابة، ولا سناجيب تثرثر من فوق أحد الأغصان. لم يكن ليتوقع حدوث هذا على أي حال، ليس في هذا الربيع.

وحدها الأشجار التي حافظت على بعض الأوراق أو الأشواك كانت تحمل بعض الخضرة. كانت شبكات العُلِّيق البنية منتشرة ومتشابكة على الصخور البارزة تحت الأشجار. كانت نباتات القُرَّاص هي الأكثر عددًا بين الحشائش القليلة، أما البقية فقد كانوا من الأنواع ذات النتوءات الحادة أو الأشواك، أو الأعشاب النتنة التي تترك رائحة نفاذة على الحذاء الذي يطأها في غفلة من صاحبه. كان هناك بقع بيضاء من الثلج لا تزال متناثرة على الأرض في المناطق التي تلقي فيها الأشجار المتشابكة ظلالًا كثيفة. في الأماكن التي لا تستطيع الشمس الوصول إليها لم يكن لها قوة ولا دفء. استقرت الشمس الشاحبة فوق الأشجار ناحية الشرق، ولكن ضوءها كان قاتمًا بشكل واضح كأنما قد امتزج بالظل. كان صباحًا غريبًا ومرتعًا للأفكار الكئيبة.

بدون تفكير لمس طرف سهمه، كان مستعدًا لجذبه إلى وجهته في حركة سلسة واحدة، كما علمه (تام). لقد كان الشتاء سيئًا بما يكفي على المزارع، أسوأ حتى مما يتذكره العجائز، ولكن لا شك أنه كان أكثر قسوة في الجبال، وكان عدد الذئاب الهاربة من قمته إلى (النهرين) دليلًا على

هذا. هجمت الذئاب على مرابض الأغنام، ثم شقَّت طريقها بأنيابها إلى داخل الحظائر لتنال من الماشية والأحصنة. كانت الدببة تلاحق الأغنام أيضًا، ولكن لم يُرَ دب منذ سنوات. لم يعد الخروج آمنًا بعد حلول الظلام. في أحيان كثيرة يكون البشر فريسة كالأغنام، وليس من الضروري حتى أن يكون هذا بعد غروب الشمس.

كان (تام) يقطع خطوات ثابتة على الجانب الآخر من (بيلا)، مستخدمًا رمحه كعكاز للسير، متجاهلًا الرياح التي تجعل عباءته البنية ترفرف كالراية. من آن لآخر كان يلمس جانب فرسه برفق ليحفزها على مواصلة السير. بصدره الكبير ووجهه العريض كان يبدو كدعامة من الواقعية في هذا الصباح، كحجر في منتصف حلم منجرف. كانت وجنتاه اللتان سفعتهما الشمس مليئتين بالتجاعيد، ولم يعد هناك إلا القليل من السواد في شعره الرمادي، ولكن مظهره كان يوحي بالصلابة، كأن فيضانًا يمكن أن يتدفق من حوله دون أن يزحزحه عن موضعه. كان يسير في الطريق بلا اكتراث، ولسان حاله يقول إنه يدرك جيدًا وجود الذئاب والدببة وكل الأشياء التي يجب أن يحذر منها من يربي الأغنام، ولكن من الأفضل لهم ألا يحاولوا منع (تام ألثور) من الوصول إلى (إيموندز فيلد).

عاد (راند) إلى مراقبة جانبه من الطريق وهو يشعر بالذنب، فقد ذكرته طريقة (تام) العملية بمهمته. كان أطول بمقدار رأس من أبيه، وأطول من أي شخص آخر في المقاطعة، وكان يُشبه (تام) قليلًا من الناحية الجسدية، ربما باستثناء الكتفين العريضتين. العينان الرماديتان والشعر ذو المسحة الحمراء قد ورثهم عن أمه، هكذا قال (تام). لقد كانت غريبة عن أرضهم، ولا يتذكر (راند) الكثير عنها باستثناء وجهها المبتسم، رغم أنه يضع زهورًا على قبرها في كل عام، في عيد (بِل تاين) في الربيع، وفي (يوم الشمس) في الصيف.

كان هناك برميلان من براندي التفاح الخاص بـ(تام)، مستقران في العربة المتأرجحة، وثمانية براميل من شراب التفاح المخمَّر قليلًا بعد معالجته في

فصل الشتاء. يحمل (تام) نفس الشيء كل عام إلى حانة (واينسبرينج) لاستهلاكه أثناء (بِل تاين)، وقد قرر أن الأمر سيتطلب أكثر من الذئاب أو الرياح الباردة لإيقافه هذا الربيع. ومع هذا لم يذهبا إلى القرية منذ أسابيع، فحتى (تام) لا يسافر كثيرًا هذه الأيام، ولكنه قد وعدهم بإحضار البراندي وشراب التفاح، حتى لو كان عليه أن يؤخر التسليم إلى اليوم السابق للاحتفال، فقد كان الوفاء بالوعد مهمًّا بالنسبة لـ(تام). كان (راند) سعيدًا بالذهاب بعيدًا عن المزرعة، نفس سعادته بحلول (بِل تاين) تقريبًا.

بينما (راند) يراقب جانبه من الطريق كان هناك إحساس يتنامى بداخله بأن هناك من يراقبه. حاول لبعض الوقت أن يتجاهل هذا الإحساس، فلم يكن هناك شيء يتحرك أو يصدر صوتًا بين الأشجار سوى الرياح. ولكن الإحساس لم يكن ملحًّا فقط، بل كان يزداد قوة. وقف شعر ذراعيه وأحس بجلده يخزه، كأنه يشعر بحكة من الداخل.

حرك قوسه بانفعال ليفرك ذراعيه وقال لنفسه إن عليه أن يتوقف عن الاستسلام للأوهام. لم يكن هناك شيء في الغابة على جانبه من الطريق، وكان (تام) سيخبره إن كان هناك شيء على الجانب الآخر. اختلس النظر من فوق كتفه... ثم رمش بعينيه. على بعد مسافة لا تزيد عن عشرين باعًا عبر الطريق كان هناك شخص يرتدي عباءة ويلحق بهما على صهوة حصانه، كان الحصان وراكبه أسودين على حد سواء، لون أسود قاتم غير لامع.

كان الاعتياد - أكثر من أي شيء آخر - هو ما جعله يقدر على المشي إلى الوراء بجوار العربة بينما هو ينظر. كانت عباءة الراكب تغطيه حتى قمة حذائه، وكان غطاء الرأس مسحوبًا إلى الأمام، فلم يكن هناك أي جزء ظاهر منه. فكر (راند) بشكل مبهم في أن هناك شيئًا غريبًا حيال الفارس، ولكن كانت الفتحة المظلمة لغطاء الرأس هي ما أدهشته؛ لم يكن باستطاعته أن يرى إلا خطوطًا عريضة مبهمة لوجه ما، ولكنه أحس أنه ينظر مباشرة إلى عيني الراكب، ولم يستطع أن يبعد عينيه. أحس بالغثيان

في معدته، لم يكن هناك سوى ظل ليراه في غطاء الرأس، ولكنه أحس بكراهية حادة كأن باستطاعته أن يرى وجهًا مزمجرًا وكراهية لكل شيء حي، كراهية له أكثر من كل شيء وقبل كل شيء.

فجأة ارتطم كاحله بحجر فتعثر مما أبعد عينيه عن الفارس الأسود. سقط قوسه على الأرض ولم ينقذه من السقوط على ظهره إلا يده الممدودة الممسكة بلجام (بيلا). توقفت الفرس وهي تصهل في جفول، وتلوي رأسها لترى ما قد أمسك بها.

عقد (تام) حاجبيه وهو ينظر إليه من فوق ظهر (بيلا) قائلًا: «هل أنت بخير يا فتى؟».

قال (راند) وهو يلهث ويتحامل على نفسه ليعتدل واقفًا: «هناك فارس غريب يلحق بنا».

«أين». رفع الرجل العجوز رمحه ذا النصل العريض وتراجع إلى الوراء بحذر.

«هنالك عبر الـ...». بتر (راند) جملته وهو يلتفت مشيرًا بيده. كان الطريق من ورائهما خاويًا. راح يحدق إلى الغابة على كلا جانبي الطريق في عدم تصديق. لم يكن هناك مكان للاختباء بين الأشجار ذات الأغصان الخاوية من الورق، ولكن لم يكن هناك أدنى أثر للحصان أو الفارس. نظر إلى أبيه الذي كان يحدق إليه متسائلًا وقال: «لقد كان هناك، رجل في عباءة سوداء، على حصان أسود».

«ليس لدي شك فيما تقوله يا فتى، ولكن أين ذهب؟».

«لا أعرف، ولكنه كان هناك». التقط قوسه وسهمه الواقعين أرضًا، وعلى الفور تفحَّص ريشة السهم قبل أن يضعه في قوسه ويجذبه نصف جذبة، ثم ترك الوتر ليسترخي، لم يكن هناك شيء ليصوب ناحيته. «لقد كان هناك».

هز (تام) رأسه الأشيب وقال: «إن كان الأمر هكذا يا فتى فهيا بنا إذن، أي حصان سيترك آثار حوافر حتى على مثل هذه الأرض». بدأ يسير ناحية مؤخرة العربة وعباءته تتطاير مع الرياح. «إذا عثرنا عليها فسنعرف أنه كان هناك حقًّا. إن لم نعثر عليها... حسنًا، أيام كهذه تجعل المرء يتخيل أشياء».

أدرك (راند) فجأة ما الذي كان غريبًا حيال الفارس، عدا من كونه هناك من عدمه، الرياح التي كانت تصفعه هو و(تام) لم تحرك حتى ثنية من عباءته السوداء. جف حلقه فجأة، لا شك أنه تخيل الأمر. إن أباه محق، صباح كهذا يتلاعب بمخيلة المرء. ولكنه لم يصدق هذا، فقط كيف يخبر أباه أن الرجل الذي اختفى - على ما يبدو - في الهواء كان يرتدي عباءة لم تمسها الرياح.

حدق بقلق إلى الغابة المحيطة بهما، لقد بدت مختلفة عما كانت من قبل. إنه يركض بحرية في هذه الغابة منذ أن كبر بما يكفي لكي يمشي. لقد تعلم السباحة في برك وجداول (غابة الماء) وراء آخر المزارع شرق (إيموندز فيلد). لقد استكشف (تلال الرمال) - التي يقول العديد في (النهرين) إنها تجلب الحظ السيئ - وقد ذهب ذات مرة إلى سفح (جبال الضباب) ذاتها، بصحبة صديقيه المقربين؛ (مات كاوثون) و(بيرين آيبارا). كان هذا أبعد بكثير مما يذهب إليه معظم الناس في (إيموندز فيلد). بالنسبة لهم فإن رحلة إلى قرية مجاورة - شمالًا إلى (واتش هيل) أو جنوبًا إلى (ديڤِن رايد) - تعد حدثًا كبيرًا. في كل هذا الترحال لم يقابله مكان يشعر فيه بالخوف. ولكن (الغابة الغربية) اليوم لم تكن المكان الذي يتذكره. إن الرجل الذي يختفي هكذا فجأة يمكنه أن يظهر فجأة أيضًا، بل وربما بجواره.

«لا يا أبي، لا حاجة لهذا». عندما توقف (تام) في موضعه في دهشة أخفى (راند) احمرار وجهه خجلًا بأن ارتدى غطاء رأس عباءته، ثم أضاف: «أنت محق على الأرجح، لا جدوى من البحث عن شيء غير

موجود، بينما يمكننا استغلال هذا الوقت للوصول إلى القرية والهرب من هذه الرياح».

قال (تام) ببطء: «يكفيني غليون وقدح من الجعة في مكان دافئ». ثم ابتسم فجأة ابتسامة عريضة وقال: «وأعتقد أنك متلهف لرؤية (إيجوين)».

ابتسم (راند) ابتسامة شاحبة؛ كانت ابنة العمدة في آخر قائمة الأشياء التي قد يرغب في التفكير فيها في هذه اللحظة، فهو لم يكن بحاجة إلى المزيد من الارتباك. طيلة العام السابق كانت تجعله يشعر بتوتر متزايد كلما كان معها، والأسوأ هو أنها لم يبدُ عليها أنها تلاحظ هذا. لا، إنه لا يرغب بالتأكيد في أن يضيف (إيجوين) إلى أفكاره.

كان يأمل أن أباه لم يلاحظ خوفه عندما قال: «تذكر الشعلة يا فتى، وتذكر الخواء».

لقد كان شيئًا غريبًا قد علمه له (تام)، التركيز على شعلة واحدة وتغذيتها بكل مشاعرك، الخوف والكراهية والغضب، حتى يصير عقلك خاويًا. لقد قال (تام)، كن متحدًا مع الخواء ويمكنك حينها أن تفعل أي شيء. لا يتحدث أي شخص آخر في (إيموندز فيلد) بمثل هذه الطريقة، ولكن (تام) يربح مسابقة رمي الأسهم في (بِل تاين) كل عام بشعلته وخوائه. فكَّر (راند) أنه قد ينال فرصة في تحقيق مركز جيد هذا العام بنفسه إن استطاع التشبث بالخواء. إن ذكر (تام) لهذا الأمر الآن يعني أنه قد لاحظ شيئًا، ولكنه لم يقل شيئًا حياله.

طرقع (تام) بلسانه ليحث (بيلا) على الحركة مرة أخرى، ثم استكملا رحلتهما، والرجل العجوز يمشي كأن شيئًا غريبًا لم يحدث، وكأن شيئًا غريبًا لا يمكن أن يحدث. تمنى (راند) لو أنه يستطيع تقليده. حاول أن يصنع الخواء في عقله ولكنه واصل الانجراف ناحية صورة الفارس ذي العباءة السوداء.

أراد تصديق أن (تام) كان محقًّا، وأن الفارس كان فقط تخيلًا منه، ولكنه استطاع أن يتذكر إحساس الكراهية جيدًا. لقد كان هناك شخص ما، وهذا الشخص كان يقصد إيذاءه. لم يتوقف عن النظر وراءه حتى أحاطت به أسقف البيوت المحدبة المصنوعة من القش في (إيموندز فيلد).

كانت القرية تقع بالقرب من (الغابة الغربية)، فقد كانت الغابة تقل كثافة تدريجيًّا حتى الأشجار القليلة الأخيرة التيَ تنتصب بالفعل بين البيوت قوية البنية. كانت الأرض تنحدر تدريجيًّا نحو الشرق، وعلى الرغم من أنها لا تخلو من رقع الغابات إلا أن الحقول المحاطة بالأسيجة والمزارع والمراعي كانت تغطي الأرض وراء القرية حتى (غابة الماء) وجداولها وبركها المتشابكة. الأرض الواقعة جهة الغرب كانت خصبة بالمثل، والمراعي هناك معشبة معظم السنوات، ولكن لا يمكنك أن تجد إلا عددًا قليلًا من المزارع في (الغابة الغربية). حتى هذا العدد القليل يتضاءل حتى يختفي على بعد أميال من (تلال الرمال)، ناهيك بـ(جبال الضباب)، التي تعلو فوق قمم أشجار (الغابة الغربية)، بعيدة ولكنها على مرمى البصر من (إيموندز فيلد)، البعض يقول إن الأرض صخرية للغاية، كأنه لا يوجد صخور في كل مكان في (النهرين)، ويقول آخرون إنها أرض سيئة الحظ. يتمتم البعض أنه لا فائدة من الاقتراب من الجبال أكثر من اللازم، أيًّا كانت الأسباب فإنه لا يقيم مزارع في (الغابة الغربية) إلا الرجال الأكثر جلدًا.

كان الأطفال والكلاب يتقافزون حول العربة في أسراب صاخبة بمجرد مرورها من أمام الصف الأول من البيوت. واصلت (بيلا) سيرها حثيثًا إلى الأمام في صبر متجاهلة صيحات الصغار الذين سقطوا تحت أنفها بينما يلعبون الغميضة ودحرجة الأطواق. في الأشهر الماضية كان هناك القليل من اللعب أو الضحك من الأطفال، حتى عندما يتحسن الجو بما يكفي للسماح بخروج الأطفال فإن الخوف من الذئاب يبقيهم بالداخل. يبدو أن اقتراب (بِل تاين) قد علمهم من جديد كيفية اللعب.

كان العيد له تأثير على البالغين أيضًا. كانت النوافذ العريضة مفتوحة على مصراعيها، وفي كل بيت تقريبًا تقف الزوجة الصالحة في النافذة، مئزرها معقود حولها، وشعرها الطويل المجدول مغطى بمنديل وهي تنفض الملاءات، أو تنشر المراتب على إطارات النوافذ. سواء ظهرت الأوراق على الأشجار أو لم تظهر فلم تقبل أي امرأة أن يحل (بِل تاين) قبل أن تنتهي من تنظيف بيتها في الربيع. في كل باحة تتدلى البسط من أحبال ممدودة، والأطفال الذين لم يتحلوا بالسرعة الكافية للركض بحرية إلى الشوارع كانوا ينفثون عن إحباطهم بضرب السجاد بالمضارب الخوصية. على السطح تلو الآخر كان رب البيت الصالح يتسلق ليتفحص القش ويرى إن كانت أضرار الشتاء تعني استدعاء العجوز (سين بوي) عامل القش.

لقد توقف (تام) عدة مرات ليتبادل مع رجل أو آخر محادثة قصيرة. بما أنه هو و(راند) لم يغادرا المزرعة لعدة أسابيع فإن الجميع كانوا يرغبون في معرفة آخر الأخبار في منطقتهما. لم يذهب إلى هناك إلا القليل من قاطني (الغابة الغربية). تحدث (تام) عن أضرار عواصف الشتاء، كل واحدة أسوأ من سابقتها، وعن الحملان التي وُلِدت ميتة، وعن الحقول البنية حيث كانت المحاصيل يجب أن تنبت وأن تخضر المراعي، وعن أسراب الغربان التي تأتي من حيث كانت تأتي الطيور المغردة في السنوات السابقة. حديث كئيب يتناقض مع التجهيزات التي تجري من حولهم من أجل (بِل تاين)، والكثير من هز الرؤوس، فالحال متشابه في جميع الجوانب.

معظم الرجال هزوا أكتافهم وقالوا: «سوف ننجو بمشيئة (النور)». البعض الآخر ابتسم وأضاف: «سوف ننجو حتى لو لم يشأ (النور)».

كان هذا هو حال معظم الناس في (النهرين)، الأناس الذين اضطروا لمشاهدة الأمطار الغزيرة تفسد محاصيلهم، والذئاب تأكل حملانهم، ثم يبدأون من جديد، بغض النظر عن عدد السنوات التي حدث فيها هذا فإنهم لم يستسلموا بسهولة، هؤلاء الذين قد استسلموا قد رحلوا قبل زمن بعيد.

لم يكن (تام) ليتوقف من أجل (ويت كونجار) لو لم يخرج الرجل إلى الشارع، فقد كانا مضطرين للتوقف أو ترك (بيلا) تدهسه. آل (كونجار) وآل (كوبلِن) . كان هناك الكثير من حالات الزواج بين العائلتين حتى لم يكن المرء ليعرف أين تنتهي إحدى العائلتين وأين تبدأ الأخرى . كانوا مشهورين من (واتش هيل) حتى (ديفِن رايد)، وربما أبعد من ذلك إلى (تارين فيري)، بأنهم كثيرو الشكوى ومثيرو شغب.

قال (تام) وهو يومئ برأسه إلى البراميل في العربة: «يجب أن أذهب بهذا إلى (بران ألڤير) يا (ويت)». ولكن الرجل النحيل لم يتزحزح عن موضعه قيد أنملة وهو ينظر بمرارة. كان متمددًا أمام عتبة بيته وليس على السطح، رغم أن القش يبدو وكأنه بحاجة ماسة إلى اهتمام السيد (بوي). لم يبدُ عليه أنه مستعد للبدء من جديد، أو إنهاء ما قد بدأه. معظم آل (كوبلِن) وآل (كونجار) هكذا، إن لم يكونوا أسوأ.

«ما الذي سنفعله حيال (ناينيڤ) يا (ألثور)؟ لا يمكن أن يكون لدينا حكيمة كهذه في (إيموندز فيلد)».

تنهد (تام) بعمق ثم قال: «هذا ليس دورنا يا (ويت)، الحكمة هي اختصاص النساء».

«من الأفضل أن نفعل شيئًا يا (ألثور). لقد قالت إنه سيكون لدينا شتاء معتدل وحصاد جيد. إن سألتها الآن عما تسمعه في الرياح فستتجهم في وجهك وتبتعد غاضبة».

قال (تام) بصبر: «إن كنت قد سألتها بطريقتك المعتادة يا (ويت) فأنت محظوظ أنها لم تضربك بالعصا التي تحملها. الآن إن كنت لا تمانع فإن هذا البراندي...».

«(ناينيڤ ألميرا) صغيرة للغاية على أن تكون حكيمة يا (ألثور). إن لم تفعل (دائرة النساء) شيئًا إذن فسيكون على (مجلس القرية) أن يفعل شيئًا».

زأر صوت امرأة: «ما شأنك أنت بالحكمة يا (ويت كونجار)؟». جفل (ويت) عندما أسرعت زوجته خارجة من البيت. كانت (دايس كونجار) أعرض بمرتين من (ويت)، امرأة صلبة الوجه بلا أدنى دهون في جسدها. حدقت إليه وهي تضع قبضتيها على خاصرتيها وقالت: «فلتحاول أن تتدخل في شئون (دائرة النساء) وسترى كم سيعجبك طعامك الذي ستطهوه بنفسك، وهو ما لن تفعله في مطبخي. وأن تغسل ملابسك وترتب فراشك بنفسك، وهو ما لن يكون تحت سقف بيتي».

قال (ويت) متذمرًا: «ولكن يا (دايس) لقد كنت فقط...».

قال (تام): «فلتأذنا لي. فليشرق (النور) عليكما». ثم حث (بيلا) على التحرك مرة أخرى وهو يبعدها عن طريق الرجل النحيل. كان تركيز (دايس) منصبًّا على زوجها، ولكنها في أي لحظة قد تدرك من كان (ويت) يتحدث إليه.

هذا هو سبب عدم قبولهما أي دعوة للتوقف قليلًا لتناول بعض الطعام أو شراب ساخن. إن الزوجات الصالحات في (إيموندز فيلد) عندما يرون (تام) يتحولن إلى شيء أشبه بكلاب الصيد التي تلمح أرنبًا، فكل واحدة منهن تعرف الزوجة المثالية من أجل أرمل يمتلك مزرعة جيدة، حتى لو كانت في (الغابة الغربية).

كان (راند) يتحرك بنفس سرعة (تام) وربما أسرع. أحيانًا ما يتعرض للحصار عندما لا يكون (تام) بجواره، ولا يجد مهربًا سوى الفظاظة، حين يُدفع إلى مقعد بجوار نيران المطبخ ويُطعم المعجنات أو كعك العسل أو فطائر اللحم، ودومًا ما تزنه عينا الزوجة الصالحة وتقيمه بدقة كأي تاجر يزن بضاعة، بينما تخبره أن ما يأكله ليس بمقدار روعة ما تطبخه أختها الأرملة أو ابنة عمها الكبيرة. ستقول إن (تام) يتقدم في العمر وإنه من الجيد أنه قد أحب زوجته هكذا ـ فهذا يبشر بالخير بالنسبة للمرأة التالية في حياته ـ ولكنه قد رثاها فترة طويلة بما يكفي. إن (تام) بحاجة إلى امرأة

صالحة. ستقول إن هذا أمر بديهي؛ أن أي رجل لا يمكنه أن يعيش بدون امرأة تعتني به وتُبعده عن المشكلات. والأسوأ من كل هذا هم هؤلاء اللواتي يصمتن مفكرات بشكل مدروس عند هذه النقطة ثم يسألن ببساطة عن عمره الآن بالضبط.

كان (راند) عنيدًا وصعب المراس كمعظم ساكني (النهرين). أحيانًا ما يقول الغرباء إن هذه سمة رئيسية في أهل (النهرين)، أن باستطاعتهم تعليم الأحجار وإعطاء دروس للبغال. النساء الصالحات كن طيبات ولطيفات في معظم الأحيان، ولكنه كان يكره إجباره على أي شيء، وكن يجعلنه يشعر كأنه يوكز بالعصا. لذا كان يمشي بسرعة، وتمنى لو أن (تام) يحث (بيلا) على الإسراع أيضًا.

سرعان ما انفتح الطريق على (الساحة الخضراء)، مساحة واسعة في منتصف القرية، عادة ما تكون مغطاة بالأعشاب الكثيفة، ولكن (الساحة الخضراء) لم تُظهر هذا الربيع إلا عددًا قليلًا من الرقع الخضراء الجديدة بين الأعشاب الميتة ذات اللون البني المصفر والتربة العارية السوداء. كان هناك عدد قليل من الإوز يتجولون في المكان ويتفحصون الأرض بأعينهم بحرص دون أن يجدوا ما يستحق نقره، وشخص ما قد ربط بقرة لكي تجتر ما نما من العشب القليل.

قرب نهاية (الساحة الخضراء) من الناحية الغربية يتدفق نبع (واينسبرينج) نفسه في مجرى صخري منخفض بتدفقه المعتاد، تدفق قوي بما يكفي لإطاحة رجل أرضًا، وعذب بما يكفي لكي يستحق اسمه[1] عشر مرات. يزداد النبع اتساعًا وهو يتدفق بسرعة ناحية الشرق، وتتناثر أشجار الصفصاف على ضفتيه طوال الطريق حتى طاحونة السيد (ثاين) وما وراءها، حتى ينقسم إلى عشرات الجداول في أعماق مستنقعات (غابة الماء). كان هناك جسران مشاة خفيضان مسيجان يعبران النبع الصافي

---

(1) واينسبرينج تعني نبع النبيذ.

عند (الساحة الخضراء)، وكان هناك جسر آخر أعرض منهما وأكثر قوة بما يكفي لكي يتحمل العربات. كان (جسر العربات) يحدد النقطة التي يتحول فيها (الطريق الشمالي) القادم من (تارين فيري) و(واتش هيل) إلى الطريق القديم المؤدي إلى (ديفِن رايد). عادة ما يجد الغرباء أنه من المضحك أن يكون للطريق اسم في الشمال واسم آخر في الجنوب، ولكن هكذا كان الحال دومًا حسبما يعرف أي شخص في (إيموندز فيلد) ولا شيء سواه، وكان هذا سببًا كافيًا بالنسبة لسكان (النهرين).

على الجانب الآخر من الجسرين كانت الأكوام تتراكم بالفعل من أجل حرائق (بِل تاين)، ثلاثة أكوام من الحطب، بحجم البيوت تقريبًا. كان يجب عليهم السير على الطريق الترابي الممهد وليس على (الساحة الخضراء) رغم قلة حشائشها. ما لن يحدث في العيد حول النيران سيحدث في (الساحة الخضراء).

قرب نهاية (واينسبرينج) كان هناك مجموعة من النساء العجائز يغنين وهن يشيدن (عمود الربيع). كان الجزء المستقيم النحيف لشجرة التَّنُّوب مُجرَّدًا من أغصانه ويصل طوله إلى عشرة أقدام، حتى في الحفرة التي قد حفروها من أجله. مجموعة من الفتيات الصغيرات على أن يضفرن شعرهن كن جالسات القرفصاء وهن يراقبن في حسد، ومن آن لآخر يغنين مقتطفات من الأغنية التي تغنيها النساء.

طرقع (تام) بلسانه إلى (بيلا) كأنما ليجعلها تسرع السير ولكنها تجاهلت هذا، بينما (راند) يبقي عينيه بحرص بعيدًا عما تفعله النساء. في الصباح سيتظاهر الناس بأنهم مندهشون لرؤية (العمود)، وعند الظهيرة سترقص النساء غير المتزوجات حول (العمود) ويعقدن به الأشرطة الملونة الطويلة، بينما يغني الرجال غير المتزوجين. لا أحد يعرف متى بدأت هذه العادة أو لماذا . شيء آخر كان معتادًا كما كان الحال دومًا . ولكنها كانت ذريعة للغناء والرقص، ولم يكن هناك أحد في (النهرين) بحاجة إلى ذريعة كبيرة لفعل هذا.

إن يوم (بِل تاين) بالكامل يشغله الغناء والرقص والولائم، مع أوقات استراحة من أجل سباقات العدو والمنافسات في كل شيء تقريبًا. لا تُمنح الجوائز لرمي الأسهم فقط ولكن من أجل الأفضل في استخدام المقلاع أو العصا الخشبية. سيكون هناك مسابقات في حل الألغاز والأحجيات، في شد الحبل ورفع الأثقال ورميها، جوائز من أجل أفضل مغنٍ وأفضل راقص وأفضل عازف كمان، من أجل الأسرع في جز صوف خروف وحتى الأفضل في رمي الأطباق والنبال.

كان من المفترض أن يحل (بِل تاين) عندما يحل الربيع، وتولد أول حملان، وتنمو أول المحاصيل. ورغم أن البرد لا يزال مستمرًا إلا أن أحدًا لم يفكر في تأجيل العيد. الجميع بحاجة إلى بعض الغناء والرقص، وعلاوة على كل شيء . إن صدقت الشائعات . فإن هناك مخططًا لعرض ضخم من الألعاب النارية فوق (الساحة الخضراء)، هذا إن ظهر أول بائع جائل لهذا العام بالطبع. كان هناك الكثير من المحادثات بسبب هذا الأمر، فقد مضى عشر سنوات منذ آخر عرض من هذا النوع، ولا يزال الناس يتحدثون عنه.

كانت حانة (واينسبرينج) مقامة عند الطرف الشرقي من (الساحة الخضراء) بالقرب من (جسر العربات). الطابق الأول من الحانة كان مبنيًا من أحجار مستخرجة من قاع النهر، رغم أن الأساس مبني كما يقول البعض من أحجار أقدم قد جُلِبت من الجبال. الطابق الثاني المطلي باللون الأبيض . حيث يعيش (براندلوين ألڤير) صاحب الحانة وعمدة (إيموندز فيلد) طيلة العشرين سنة الماضية مع زوجته وابنته . كان يبرز عن الطابق السفلي في كل الجوانب. السقف الأحمر المصنوع من القرميد . وهو السقف الوحيد من نوعه في القرية . كان يلمع في ضوء الشمس الضعيف، وكان الدخان يتصاعد من ثلاثة من مداخن الحانة الاثنتي عشرة الطويلة.

في الطرف الجنوبي من الحانة بعيدًا عن النبع تمتد بقايا الأساس الصخري الأكبر بكثير، الذي كان يومًا جزءً من الحانة، أو هكذا قيل. كان هناك

شجرة بلوط ضخمة قد نمت في منتصفه، يبلغ محيط جذعها ثلاثين خطوة، وتمد أغصانها التي يبلغ سمكها سمك رجل بالغ. في الصيف يضع (بران ألڤير) طاولات ومقاعد أسفل هذه الأغصان - التي تكون ظليلة بالأوراق في ذلك الوقت - حيث يمكن للناس أن يستمتعوا بشراب ونسيم بارد أثناء حديثهم، وربما يضع لوحًا من أجل لعبة الأحجار.

«ها نحن ذا يا فتى». مد (تام) يده إلى لجام (بيلا) ولكنها توقفت أمام الحانة قبل أن تلمس يده اللجام الجلدي، فقال ضاحكًا: «إنها تعرف الطريق أفضل مني».

مع تلاشي آخر صرير لعجلات العربة خرج (بران ألڤير) من الحانة وقد بدا - كما يبدو دومًا - أنه يخطو بخفة شديدة بالنسبة لرجل في مثل بدانته، فقد كان حجمه ضعف حجم أي رجل في القرية تقريبًا. ارتسمت ابتسامة على وجهه الدائري الذي تعلوه خصلات قليلة متناثرة من الشعر الرمادي. كان صاحب الحانة يرتدي قميصًا دون معطف رغم برودة الجو، مع مئزر ناصع البياض ملفوف حوله. كان هناك قلادة فضية على شكل مجموعة من الموازين معلقة على صدره.

القلادة - مع مجموعة الموازين كاملة الحجم التي كانت تُستخدم لوزن عملات التجار الذين يأتون من (بايرلون) من أجل الصوف أو الطباق - كانت رمزًا لمكتب العمدة. لا يرتديها (بران) إلا عند التعامل مع التجار أو في أيام الأعياد أو حفلات الزفاف. لقد ارتداها قبل العيد بيوم هذه المرة، ولكن هذه الليلة كانت (ليلة الشتاء)، الليلة التي تسبق (بِل تاين)، حيث يتبادل الجميع الزيارات جيئة وذهابًا طيلة الليل تقريبًا وهم يتبادلون الهدايا الصغيرة، ويتناولون القليل من الطعام والشراب في كل بيت. فكر (راند) أنه على الأرجح يعتبر (ليلة الشتاء) عذرًا كافيًا لعدم الانتظار حتى الغد بعد هذا الشتاء.

صاح العمدة وهو يهرول ناحيتهما: «(تام)، فليشرق عليَّ (النور)، سعيد لرؤيتك أخيرًا. وأنت يا (راند)، كيف حالك يا فتى؟».

قال (راند): «أنا بخير يا سيد (ألڤير). كيف حالك أنت يا سيدي؟». ولكن (بران) كان قد أولى انتباهه مرة أخرى إلى (تام).

«لقد كدت أظن أنك لن تحضر البراندي هذا العام، أنت لم تتأخر حتى هذا اليوم من قبل».

أجابه (تام): «أنا لا أحب مغادرة المزرعة هذه الأيام يا (بران)، خصوصًا مع حال الذئاب وحال الطقس كما هو الآن».

زفر (بران) ثم قال: «أتمنى لو أن يتحدث الناس عن أي شيء سوى الطقس، الجميع يتذمر منه، وهؤلاء الذين قد تظن أنهم عاقلون يتوقعون مني أن أصلحه. لقد أمضيت للتو عشرين دقيقة أشرح للسيدة (ألدونيل) أنني لا أستطيع فعل شيء حيال طيور اللقلق، ولكن ما الذي كانت تتوقع مني أن أفعله...». ثم هز رأسه.

قال صوت خشن: «إنه نذير شؤم، لا توجد طيور لقلق لتعشش على أسطح البيوت في (بِل تاين)». كان (سين بوي) . المتجهم ذو الوجه المتغضن كجذر شجرة عجوز . يقترب من (تام) و(بران) متوكئًا على عكازه الذي يماثله طولًا تقريبًا ومتغضن مثله. حاول أن يحدق إلى كلا الرجلين في وقت واحد بعينين صغيرتين حادتين وهو يقول: «الأسوأ قادم، فلتتذكرا كلماتي».

سأله (تام) بفتور: «هل صرت عرافًا إذن وتفسر النذر؟ أم أنك تصغي إلى الرياح كأنك حكيمة؟ هناك الكثير من الرياح، بعضها يهب من مكان ليس ببعيد عن هنا».

تمتم (سين) قائلًا: «فلتسخر مني كما تشاء، ولكن إن لم يصبح الجو دافئًا بما يكفي لتنبت المحاصيل قريبًا فإن العديد من مخازن الطعام ستصير

فارغة قبل أن يكون هناك حصاد. بحلول الشتاء القادم قد لا يكون هناك شيء حي في (النهرين) سوى الذئاب والغربان. وربما لا يكون هذا في الشتاء القادم، بل في الشتاء الحالي».

سأله (بران) بحدة: «ما الذي تعنيه بكلماتك؟».

نظر إليهما (سين) بمرارة وقال: «لا يمكنني أن أثني كثيرًا على (ناينيف ألميرا)، أنتما تعرفان هذا. من ناحية فهي صغيرة للغاية على أن... لا يهم. يبدو أن (دائرة النساء) تعترض على أن يتحدث أحد في شئونهن حتى (مجلس القرية)، رغم أنهن يتدخلن في شئوننا متى شئن، وهن يشأن هذا معظم الوقت، أو هكذا يبدو...».

قاطعه (تام) قائلًا: «هل هناك مغزى من هذا يا (سين)؟».

«المغزى هو كالتالي يا (ألثور)؛ اسأل الحكيمة متى سينتهي الشتاء وسوف تمشي مبتعدة عنك. ربما لا ترغب في أن تخبرنا بما تسمعه في الرياح، ربما ما تسمعه هو أن الشتاء لن ينتهي، ربما سيستمر الشتاء حتى تدور (عجلة الزمن) وينتهي هذا العصر. ها قد أخبرتك بالمغزى».

أجابه (تام) قائلًا: «ربما ستطير الأغنام». بينما لوح (بران) بذراعيه.

«فليحمني (النور) من الحمقى. أنت تهاجم (مجلس القرية) يا (سين)، والآن تنشر مثل هذا الحديث الذي يروجه آل (كوبلِن). فلتصغِ إليَّ، لدينا ما يكفي من المشكلات بدون...».

أمسكت يد بكم (راند) وهمس صوت في أذنه ليشتته عن حديث العجوز: «هيا بنا يا (راند) بينما هم يتجادلون، قبل أن يكلفك أحدهم بعمل ما».

نظر (راند) لأسفل وابتسم رغمًا عنه. كان (مات كاوثون) رابضًا بجوار العربة حتى لا يتمكن (تام) و(بران) و(سين) من رؤيته، وجسده النحيف ملتوٍ كطائر لقلق يحاول الانثناء على نفسه.

لمعت عينا (مات) البنيتان في خبث كالعادة وهو يقول: «لقد أمسكت أنا و(داف) بغرير عجوز كبير يشعر بالتذمر لانتشاله من عرينه. سوف نطلق سراحه في (الساحة الخضراء) ونشاهد الفتيات يركضن».

اتسعت ابتسامة (راند)، لم يبدُ الأمر ممتعًا بالنسبة له كما كان سيبدو منذ عام أو عامين، ولكن لا يبدو على (مات) أنه يكبر. اختلس النظر إلى أبيه. كان الرجال ما زالوا يتجادلون وثلاثتهم يتحدثون في وقت واحد . ثم خفض صوته وقال: «لقد وعدت أبي أن أنزل حمولة شراب التفاح، ولكن يمكنني أن أقابلك لاحقًا».

ظهر الامتعاض على وجه (مات) وقال: «حمل البراميل! هذا أسوأ من لعب الأحجار مع أختي الصغيرة. حسنًا، أنا أعرف أشياء أفضل من الغرير. لدينا غرباء في (النهرين). في الليلة الماضية...».

حبس (راند) أنفاسه للحظة ثم سأله باهتمام شديد: «رجل على صهوة حصان؟ رجل يرتدي عباءة سوداء ويمتطي حصانًا أسود؟ وعباءته لا تتحرك مع الريح؟».

تلاشت الابتسامة من على وجه (مات) وانخفض صوته ليصير همسًا متحشرجًا وهو يقول: «هل رأيته أيضًا؟ ظننت أن أحدًا لم يره سواي. لا تضحك يا (راند) ولكنه أخافني».

«أنا لا أضحك، لقد أخافني أيضًا. أكاد أقسم أنه يكرهني، وأنه كان يرغب في قتلي». ارتجف (راند)، فحتى هذا اليوم لم تراوده قط فكرة أن يرغب أحد في قتله، يرغب في قتله حقًّا. مثل هذه الأشياء لم تحدث قط في (النهرين)، ربما عراك بالأيدي، أو حتى مباراة في المصارعة، ولكن ليس قتلًا.

«لا أعرف شيئًا عن هذه الكراهية يا (راند)، ولكنه كان مخيفًا بما يكفي على أي حال. كل ما فعله هو أن جلس على ظهر حصانه وهو ينظر إليَّ، خارج القرية مباشرة، ولكني لم اشعر بمثل هذا الرعب من قبل في

حياتي. حسنًا لقد أشحت بنظري فقط للحظة. صدقني لم يكن هذا سهلًا. وعندما نظرت ناحيته مرة أخرى كان قد اختفى. بحق الدماء والرماد! لقد مر ثلاثة أيام، ولا أكاد أتوقف عن التفكير فيه، وأتلفت ورائي كثيرًا». حاول (مات) أن يضحك ولكن الصوت خرج من حلقه كالنعيق، ثم قال: «من المضحك ما يمكن أن يفعله بك الخوف، إنه يجعلك تفكر في أشياء غريبة، لقد فكرت للحظة أنه قد يكون (سيد الظلام)». حاول أن يضحك ضحكة أخرى ولكن هذه المرة لم يخرج صوت من حلقه على الإطلاق.

أخذ (راند) نفسًا عميقًا، وكأنما ليذكر نفسه أكثر من أي سبب آخر قال ما يحفظه عن ظهر قلب: «(سيد الظلام) وكل (الملعونين) مسجونون في (شايول غول) وراء (البلاء العظيم)، قيدهم (الخالق) في لحظة الخلق، وهم مسجونون حتى نهاية الزمان. يد (الخالق) تحمي العالم و(النور) يشرق علينا جميعًا». ثم أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يكمل: «علاوة على ذلك إن كان (راعي الليل) حرًّا فما الذي كان يفعله بمراقبة الفتيان المزارعين في (النهرين)».

«لا أعرف، ولكن ما أعرفه هو أنه كان... شريرًا. ربما كان هذا هو (التنين)».

تمتم (راند) قائلًا: «أنت مليء بالأفكار المبهجة، أليس كذلك؟ إن حديثك أسوأ من حديث (سين)».

«لطالما قالت أمي إن (الملعونين) سيأتون من أجلي إن لم أحسن من سلوكي. إنه الشخص الوحيد الذي رأيته وشعرت أنه يشبه (إشامايل) أو (أجينور)».

قال (راند) بفتور: «الجميع تخيفهم أمهاتهم بـ(الملعونين)، ولكن غالبيتهم ينضجون ويتخلصون من هذا. لم لا يكون (رجل الظل) ما دمت تفكر بهذه الطريقة؟».

حدق إليه (مات) وقال: «أنا لم أشعر بمثل هذا الرعب منذ... أنا لم أشعر بمثل هذا الرعب قط، ولا أخجل من الاعتراف بهذا».

«ولا أنا. يعتقد أبي أنني جفلت من ظلال الأشجار».

أومأ (مات) برأسه في أسف، ثم مال إلى الوراء ليتكئ على عجلة العربة، قبل أن يقول: «وأبي كذلك أيضًا. لقد أخبرت (داف) و(إيلام داوتري) بما حدث، وهما يواصلان المراقبة منذ ذلك الوقت، ولكنهما لم يريا شيئًا. يعتقد (إيلام) الآن أنني كنت أحاول خداعه. يعتقد (داف) أنه قد جاء من (تارين فيري)؛ سارق أغنام أو لص دجاج. لص دجاج!». ثم صمت وقد بدا عليه الإحساس بالإهانة.

قال (راند) في نهاية المطاف: «إن الأمر بالكامل مجرد حماقة على الأرجح، ربما يكون مجرد سارق أغنام». حاول أن يتخيل الأمر ولكنه كان أشبه بتخيل ذئب يأخذ موضع القط أمام جحر فأر.

«لم تعجبني الطريقة التي نظر إليَّ بها، وأستنتج من الطريقة التي جفلت بها في وجهي أنها لم تعجبك أيضًا. يجب علينا أن نخبر شخصًا ما».

«كلانا قد أخبر شخصًا بالفعل يا (مات) ولم يصدقنا أحد. هل يمكنك أن تتخيل محاولة إقناع السيد (ألڤير) بوجود هذا الشخص دون أن يراه؟ سيرسلنا إلى (ناينيڤ) لترى إن كنا مريضين».

«نحن اثنان الآن، لا أحد سيصدق أن كلينا قد تخيل الأمر».

فرك (راند) رأسه بخفة وهو يفكر فيما يجب أن يقوله. لم تكن سمعة (مات) حسنة في القرية، فلم ينجُ من مقالبه إلا القليل. وكانت أصابع الاتهام توجه إليه كلما سقط غسيل في التراب وكلما تسبب سرج مفكوك في سقوط مزارع في الطريق، حتى لو لم يكن (مات) موجودًا أثناء حدوث هذا، لذا فقد يكون الدعم منه أسوأ من عدمه.

صمت (راند) لحظة ثم قال: «سيعتقد والدك أنك حرضتني على قول هذا، أما والدي...». نظر من فوق العربة إلى حيث يتبادل (تام) و(بران) و(سين) الحديث، فوجد نفسه يحدق إلى عيني أبيه. كان العمدة لا يزال يوبخ (سين)، الذي خيم عليه صمت كئيب.

قال (تام) بابتهاج وهو يدفع أحد براميل البراندي إلى جانب العربة: «صباح الخير يا (ماترم)، أرى أنك قد جئت لمساعدة (راند) في تفريغ حمولة شراب التفاح، يا لك من ولد صالح».

قفز (مات) واقفًا على قدميه مع الكلمة الأولى، ثم بدأ يتراجع إلى الوراء وهو يقول: «صباح الخير يا سيد (ألثور)، وأنت أيضًا يا سيد (ألڤير)، وسيد (بوي). فليشرق (النور) عليكم. لقد أرسلني أبي لكي...».

قال (تام): «لا شك أنه قد فعل هذا يا فتى، وبما أنك فتى يؤدي المهام على الفور فلا شك أنك قد أنهيت المهمة بالفعل. حسنًا أيها الولدان، إذا أسرعتما في حمل شراب التفاح إلى قبو السيد (ألڤير) فستريان صانع البهجة بشكل أسرع».

توقف (مات) في موضعه على الفور وصاح: «صانع البهجة!». وفي نفس اللحظة سأل (راند): «متى سيصل هنا؟».

لم يكن باستطاعة (راند) أن يتذكر سوى مرتين أتى فيهما صانع بهجة إلى (النهرين) طيلة حياته، في مرة منهما كان صغيرًا بما يكفي لكي يجلس على كتفي (تام) لكي يشاهده. كاد ألا يُصدق أن هناك واحدًا قادمًا بالفعل أثناء (بِل تاين) بصحبة قيثارته ومزماره وحكاياته وكل شيء. سوف تتحدث (إيموندز فيلد) عن هذا العيد لعشرة أعوام، حتى لو لم يكن هناك أي ألعاب نارية.

قال (سين) متذمرًا: «حماقة». ولكنه صمت مع نظرة من (بران) تحمل كل ثقل العمودية.

مال (تام) ليتكئ على جانب العربة مستندًا بذراعه على برميل البراندي وقال: «أجل، صانع بهجة، إنه هنا بالفعل. حسبما يقول السيد (ألڤير) فإنه في غرفة في الحانة الآن».

هز صاحب الحانة رأسه في استهجان وقال: «لقد وصل في ظلمة الليل وطرق على الباب الأمامي حتى أيقظ جميع أفراد الأسرة. لولا العيد لأخبرته بأن يربط حصانه هناك في الإسطبل وينام معه، سواء كان صانع بهجة أو لا. تخيل أن تأتي في الظلمة هكذا».

حدق (راند) متسائلًا. لا أحد يسافر بين القرى في الليل، وخصوصًا في هذه الأيام، وبالتأكيد ليس وحيدًا.

تذمر عامل القش بصوت خفيض مرة أخرى، خفيض للغاية هذه المرة حتى أن (راند) لم يفهم سوى كلمة أو اثنتين. «مجنون» و«غير طبيعي».

سأله (مات) فجأة: «إنه لا يرتدي عباءة سوداء، أليس كذلك؟».

اهتز بطن (بران) مع قهقهته وهو يقول: «سوداء! إن عباءته تشبه كل عباءات صانعي البهجة الذين رأيتهم في حياتي. إنها رقع أكثر منها عباءة، وألوان أكثر مما قد يخطر على بالك».

لم يستطع (راند) منع نفسه من الضحك بصوت عالٍ، ضحكة من ارتياح خالص. فكرة أن يكون الفارس المخيف المتشح بالسواد مجرد صانع بهجة كانت فكرة سخيفة ولكن... وضع يده على فمه في إحراج.

قال (بران): «أترى يا (تام)، لم يكن هناك سوى القليل من الضحك في هذه القرية منذ أن حل الشتاء، والآن مجرد ذكر عباءة صانع البهجة يثير الضحك، هذا وحده يستحق تكلفة إحضاره من (بايرلون)».

قال (سين) فجأة: «فلتقل ما يحلو لك، ما زلت أعتقد أنه إهدار أحمق للمال، وأيضًا هذه الألعاب النارية التي تصر على الإرسال في طلبها».

قال (مات): «إذن فهناك ألعاب نارية».

ولكن (سين) لم يتوقف عن الحديث. «كان يجب أن تكون هنا منذ شهر مضى، مع أول بائع جائل لهذا العام، ولكن لم يأتِ أي بائع جائل، أليس كذلك؟ إن لم يأتِ بحلول الغد فماذا ستفعل؟ هل ستقيم عيدًا آخر من أجل تفجيرها؟ هذا إن جلبها بالطبع».

تنهد (تام) وقال: «أنت تملك من الثقة قدر ما يملكه رجل من (تارين فيري) يا (سين)».

«أين هو إذن؟ فلتخبرني يا (ألثور)».

قال (مات) بصوت بدا فيه الإحساس بالظلم: «لمَ لم تخبرنا؟ كانت القرية كلها ستستمتع بالانتظار قدر استمتاعها بصانع البهجة، أو قريبًا من هذا على أي حال. يمكنك أن ترى حال الجميع لمجرد إشاعة عن الألعاب النارية».

أجابه (بران) وهو ينظر نظرة جانبية إلى عامل القش: «يمكنني رؤية هذا، وإذا عرفت على وجه اليقين كيف بدأت هذه الإشاعة... إذا عرفت على سبيل المثال أن شخصًا ما كان يشتكي من تكلفة الأشياء حيثما يمكن للناس سماعه بينما تلك الأشياء من المفترض أن تكون سرية...».

تنحنح (سين) وقال: «إن عظامي عجوز للغاية على هذه الرياح. أستميحكما عذرًا أيها العمدة ويا (ألثور)، سأذهب لأرى إن كانت السيدة (ألڤير) ستعد لي بعض النبيذ الدافئ للتخلص من هذه البرودة».

كان قد اتجه بالفعل ناحية الحانة قبل أن يُنهي حديثه، وبينما الباب ينغلق وراءه تنهد (بران).

«أحيانًا يخيل لي أن (ناينيف) محقة بشأن... حسنًا، هذا ليس مهمًّا الآن. فلتفكرا في الأمر لدقيقة أيها الصغيران، الجميع متحمسون للألعاب النارية، هذا حقيقي، رغم أنها مجرد شائعة. فلتفكرا كيف سيكون حالهم إن لم يصل البائع الجائل إلى هنا في الوقت المناسب بعد كل هذا الترقب.

ومن يعرف متى سيأتي بينما الطقس على هذا الحال. سيكونون متحمسين أكثر بخمسين مرة حيال صانع البهجة».

قال (راند) ببطء: «وسيشعرون بالسوء أكثر بخمسين مرة إن لم يأتِ. حتى (بِل تاين) قد لا يرفع من معنوياتهم كثيرًا رغم كل شيء».

قال (بران): «يكون لديك رأس فوق كتفيك عندما تقرر استخدامه. سيخلفك في (مجلس القرية) ذات يوم يا (تام)، تذكر كلماتي. يمكنه الآن أن يُبلي حسنًا بقدر أي شخص أعرفه».

قال (تام) بخفة: «لا شيء من هذا يساعد على تفريغ العربة». ثم سلم العمدة البرميل الأول من البراندي وقال: «أريد نارًا دافئة وغليوني وقدحًا من الجعة الجيدة». ثم رفع برميل البراندي الثاني على كتفه وقال: «أنا واثق أن (راند) سيشكرك على مساعدتك يا (ماترم). تذكرا؛ إذا أسرعتما في حمل شراب التفاح إلى القبو...».

بينما (تام) و(بران) يختفيان بداخل الحانة نظر (راند) إلى صديقه وقال: «لست مجبرًا على المساعدة. (داف) لن يُبقي الغرير طويلًا».

قال (مات) باستسلام: «أوه، ولم لا؟ كما قال أبوك إذا أسرعنا في حمل هذا إلى القبو...». ثم رفع أحد براميل شراب التفاح بكلتا ذراعيه وأسرع ناحية الحانة في نصف هرولة وهو يقول: «ربما تكون (إيجوين) في الجوار. إن مراقبتك تحدق إليها كثور مذهول سيكون مسليًا كالغرير على أي حال».

تجمد (راند) في موضعه بينما يضع القوس وجعبة السهام في مؤخرة العربة. لقد استطاع حقًّا أن يُخرج (إيجوين) من عقله، كان هذا غريبًا في حد ذاته، ولكن من المحتمل أنها بالقرب من الحانة في مكان ما. لن يكون هناك فرصة كبيرة لتفاديها. لقد مرت أسابيع منذ أن رآها آخر مرة بالطبع.

ناداه (مات) من أمام الحانة: «حسنًا؟ لم أقل إنني سأفعل الأمر بنفسي. أنت لست في (مجلس القرية) بعد».

جفل (راند) ثم حمل أحد البراميل ولحق به. ربما لن يلتقي بها في نهاية المطاف. الغريب أن هذا الاحتمال لم يجعله يشعر بأي تحسن.

الفصل الثاني

الغرباء

بينما (راند) و(مات) يحملان أول برميلين عبر الحجرة العامة كان السيد (ألڤير) قد ملأ قدحين بالفعل بأفضل ما لديه من جعة بنية قد صنعها بنفسه، من أحد البراميل المتراصة على الجدار. كان (سكراتش) . قط الحانة الأصفر . جاثمًا على البرميل مُغلِقًا عينيه وذيله ملتف حول قدميه. توقف (تام) أمام المدفأة الكبيرة المصنوعة من صخور النهر، وهو يضغط بإبهامه على غليون طويل قد ملأه بالطباق من علبة صاحب الحانة المصقولة، التي يحتفظ بها دائمًا على رف المدفأة المصنوع من صخور عادية. كانت المدفأة تحتل نصف طول الحجرة المربعة الكبيرة ويصل ارتفاعها إلى كتف رجل، وتكفلت النيران التي تطقطق في المدفأة بالقضاء على البرودة القادمة من الخارج.

في مثل هذا الوقت من اليوم الحافل الذي يسبق العيد توقع (راند) أن يجد الحجرة العامة فارغة إلا من أبيه (وبران) والقط، ولكن كان هناك أربعة آخرون من أعضاء (مجلس القرية)، بما فيهم (سين)، جالسين على كراسي ذات ظهر مرتفع أمام النار، الأقداح في أيديهم ودخان الغليون الأزرق الرمادي يتلوى فوق رؤوسهم. لم تكن ألواح لعبة الأحجار قيد الاستخدام على غير العادة، وكل كتب (بران) كانت تستقر في سكون على الرف المقابل للمدخنة. لم يكن الرجال حتى يتحدثون، بل كانوا يحدقون بصمت إلى جعتهم، أو ينقرون على أسنانهم بأطراف الغليون في نفاد صبر وهم ينتظرون (تام) و(بران) للانضمام إليهم.

لم يكن القلق أمرًا غير معتاد بالنسبة لـ(مجلس القرية) في هذه الأيام، ليس في (إيموندز فيلد)، وعلى الأرجح ليس في (واتش هيل) و(ديفِن رايد)، أو حتى في (تارين فيري)، ولكن من يعرف ما يفكر فيه سكان (تارين فيري) حيال أي شيء؟

اثنان فقط من الرجال الجالسين أمام النار؛ (هارال لوهان) الحدَّاد و(جون ثاين) الطحَّان، نظرا إلى الفتيين وهما يدلفان. ولكن السيد (لوهان) لم يكتفِ بالنظر. كان ذراعا الحداد كبيرين كساقيّ رجل، ومفتولين بعضلات ضخمة، وكان لا يزال يرتدي مئزره الجلدي الطويل، كأنما قد أسرع إلى الاجتماع مباشرة من ورشة الحدادة. لقد نظر إليهما متجهمًا، ثم استدار معتدلًا في جلسته بتأنٍّ وهو يولي اهتمامه مرة أخرى إلى حشو غليونه بإبهامه الغليظ بشكل مدروس.

أبطأ (راند) من حركته في فضول ثم ندت عنه صرخة مكتومة عندما ركله (مات) في كاحله. أومأ صديقه بإلحاح ناحية الباب الموجود في نهاية الحجرة العامة، وأسرع إلى هناك دون انتظار. لحق به (راند) بسرعة أقل وهو يعرج بعض الشيء.

سأله بمجرد أن صارا في الردهة التي تؤدي إلى المطبخ: «ماذا دهاك؟ لقد كدت أن تكسر...».

قال (مات) وهو يختلس النظر من فوق كتف (راند) إلى الحجرة العامة: «إنه العجوز (لوهان). أعتقد أنه يشك أنني من...». بتر حديثه عندما اندفعت السيدة (ألڤير) فجأة خارجة من المطبخ ورائحة الخبز الطازج تسبقها.

كانت الصينية التي تمسك بها في يديها عليها بعض الأرغفة المقرمشة التي تشتهر بها في جميع أنحاء (إيموندز فيلد)، وكذلك أطباق من المخللات والجبن. ذكَّر الطعام (راند) فجأة أنه لم يأكل إلا قطعة من الخبز قبل أن يغادر المزرعة هذا الصباح، فقرقرت معدته بشكل محرج.

كانت السيدة (ألڤير) امرأة نحيفة تتدلى ضفيرة شعرها الرمادي الكثيف على كتفها. ابتسمت بطريقة أمومية وهي تنظر إليهما قائلة: «هناك المزيد من هذا في المطبخ إن كنتما جائعين، وأنا لم أرَ قط فتيين في مثل عمركما ليسا كذلك. أو في أي عمر آخر في الواقع. لقد خبزت كعك العسل هذا الصباح إن كنتما تفضلان هذا».

لقد كانت واحدة من العدد القليل من النساء المتزوجات في القرية اللاتي لم يحاولن إيجاد زوجة لـ(تام). كانت عاطفة الأمومة لديها ناحية (راند) تمتد إلى ابتسامات دافئة ووجبة سريعة خفيفة كلما مر بالحانة، ولكنها تفعل هذا مع كل فتى في المنطقة. كانت تنظر إليه من وقت لآخر كأنها ترغب في أن توليه المزيد من العطف، إلا أنها لم تأخذ هذا إلى أبعد من النظرات، وكان ممتنًّا لهذا بشدة.

بدون انتظار إجابة أسرعت إلى الحجرة العامة، سرعان ما جاء صوت الكراسي وهي تحتك بالأرض بينما الرجال يعتدلون واقفين على أقدامهم ويتصايحون مبدين إعجابهم برائحة الخبز. لقد كانت بلا جدال أفضل طاهية في (إيموندز فيلد)، ولم يكن هناك رجل على بُعد أميال من الحانة إلا ويتحين بلهفة أي فرصة للجلوس على طاولتها.

قال (مات) وهو يلعق شفتيه: «كعك العسل».

قال (راند) بحزم: «بعد أن نفرغ من مهمتنا وإلا فلن ننهيها أبدًا».

كان هناك مصباح معلق على سلم القبو بجوار باب المطبخ بالضبط، ومصباح آخر يُغرِق في الضوء الحجرة ذات الجدران الصخرية أسفل الحانة، مُبدِّدًا أقل عتمة في الأركان البعيدة. كان هناك أرفف تخزين خشبية على طول الجدران وفوق الأرضية تحمل براميل من البراندي وشراب التفاح وبراميل أكبر من الجعة والنبيذ، وبعضها مزود بالصنابير. العديد من براميل النبيذ كانت تحمل علامة بالطباشير بخط يد (بران ألڤير) تُحدد السنة التي قد اشتراها فيها وأي بائع جائل قد جلبها والمدينة التي صُنِعت فيها، ولكن

جميع براميل الجعة والبراندي كانت تحمل علامة مزارعي (النهرين) أو (بران) نفسه. أحيانًا ما يشتري الباعة الجائلون أو حتى التجار البراندي أو الجعة من الخارج، ولكنه لم يكن قط بنفس الجودة كما أنه باهظ التكلفة، وعلاوة على ذلك لم يكن أحد يشربه أكثر من مرة واحدة.

قال (راند) وهما يضعان البرميلين على أحد الأرفف: «والآن ما الذي فعلته حتى تتجنب السيد (لوهان)؟».

هز (مات) كتفيه وقال: «لا شيء حقًّا، لقد أخبرت (آدان ألكار) واثنين من أصدقائه الحمقى - (إوين فينجار) و(داج كوبلِن) - أن بعض المزارعين قد رأوا كلاب صيد شبحية تتنفس النار وتركض عبر الغابة. لقد صدقوا الأمر بسذاجة».

قال (راند) بشك: «والسيد (لوهان) غاضب منك لفعل هذا؟».

قال (مات): «ليس بالضبط». ثم صمت وهز رأسه قبل أن يقول: «الأمر وما فيه هو أنني غطيت اثنين من كلابه بالدقيق، فصارا أبيضين تمامًا، ثم أطلقت سراحهما بالقرب من بيت (داج). كيف كنت سأعرف أنهما سيركضان مباشرة عائدين إلى بيتهما؟ لم يكن الأمر خطئي، فلو لم تترك السيدة (لوهان) الباب مفتوحًا لما استطاعا الولوج إلى الداخل. ليس الأمر وكأنني كنت أنوي أن أغطي بيتها كله بالدقيق». ثم ضحك بشكل مقتضب قبل أن يقول: «لقد سمعت أنها لاحقت ثلاثتهم - (لوهان) العجوز والكلبين - بالمكنسة إلى خارج البيت».

تجهم (راند) وضحك في الوقت ذاته، ثم قال: «لو كنت مكانك لأحسست بالقلق من (ألسبيت لوهان) أكثر من الحداد، إنها بمثل قوته تقريبًا، ولكنها أسرع غضبًا منه بكثير. ولكن لا يهم، إن مشيت بشكل أسرع فربما لن يلاحظك». تعبير وجه (مات) قال إنه لم يعتقد أن (راند) كان مضحكًا.

عندما عادا عبر الحجرة العامة، لم يبدُ أن هناك حاجة لأن يسرع (مات). كان الرجال الستة قد وضعوا كراسيهم في حلقة ضيقة أمام المدفأة. كان (تام) يولي ظهره إلى النار وهو يتحدث بصوت خفيض بينما البقية يميلون إلى الأمام للإنصات إليه، وقد انصب اهتمامهم تمامًا على كلماته، حتى إنهم لن يلاحظوا على الأرجح لو مر قطيع من الأغنام في المكان. أراد (راند) أن يقترب أكثر ليسمع ما يتحدثون عنه، ولكن (مات) جذبه من كمه ونظر إليه في قلق فتنهد ولحق بـ(مات) خارجًا إلى العربة.

عند عودتهما إلى الردهة وجدا صينية موضوعة أعلى درج السلم، وكعك العسل الساخن يملأ الردهة برائحته الشهية. كان هناك أيضًا قدحان وإبريق من شراب التفاح الساخن الذي يتصاعد منه البخار. ورغم أن (راند) هو من نصح بالانتظار حتى وقت لاحق إلا أنه وجد نفسه يقطع آخر رحلتين بين العربة والقبو بينما هو يوفق بين حمل برميل وتناول كعكة عسل.

بمجرد أن وضع برميله الأخير على رف التخزين مسح الفتات من على فمه بينما (مات) يُنزِل حمله ويقول: «والآن إلى صانع الـ...».

كان هناك صوت قدمين تهبطان الدرج بسرعة وكاد (إوين فينجار) أن يسقط في القبو بسبب تعجله، وكان وجهه الممتلئ يلمع مع لهفته لنقل ما يحمله من أخبار. «هناك غرباء في القرية». ثم التقط أنفاسه ونظر إلى (مات) نظرة ساخرة قبل أن يقول: «لم أرَ أي كلاب صيد شبحية، ولكني سمعت أن أحدهم قد غطى كلبي السيد (لوهان) بالدقيق، وسمعت أن السيدة (لوهان) لديها فكرة عن الشخص الذي تبحث عنه أيضًا».

السنوات التي تفصل (راند) و(مات) عن (إوين) - الذي كان في الرابعة عشرة من عمره فقط - عادة ما تكون أكثر من كافية بالنسبة لهما لتجاهل أي شيء يقوله. هذه المرة تبادلا نظرة قلقة ثم تحدثا في وقت واحد.

سأله (راند): «في القرية؟ ليس في الغابة؟».

وفي الوقت نفسه تقريبًا قال (مات): «هل كان يرتدي عباءة سوداء؟ هل استطعت رؤية وجهه؟».

نقل (إوين) نظره بينهما في حيرة، ثم تحدث على الفور عندما خطا (مات) نحوه خطوة متوعدة: «بالطبع استطعت رؤية وجهه، وعباءته كانت خضراء، أو ربما رمادية، إنها تتبدل. يبدو أن اللون يتغير حسب المكان الذي يقف فيه. أحيانًا لا تراه حتى عندما تنظر إليه مباشرة، ما لم يتحرك. وعباءتها زرقاء كالسماء، وأجمل بعشر مرات من أي ملابس عيد قد رأيتها من قبل. إنها أجمل بعشر مرات من أي شخص قد رأيته في حياتي أيضًا. إنها سيدة نبيلة راقية، كما في الحكايات، لا شك أنها كذلك».

قال (راند): « سيدة؟ ما الذي تتحدث عنه؟». ثم حدق إلى (مات)، الذي وضع كلتا يديه على رأسه وأغلق عينيه.

تمتم (مات) قائلًا: «إنهما من أردت أن أخبرك عنهما قبل أن تدفعني إلى...». ثم قطع حديثه وفتح عينيه لينظر إلى (إوين) بحدة قبل أن يكمل بعد لحظة: «لقد وصلا الليلة الماضية واستأجرا غرفتين في الحانة. لقد رأيتهما يمتطيان حصانيهما يا (راند)، وأنا لم أرَ أحصنة بمثل هذه القوة أو الرشاقة من قبل، لقد بديا وكأنهما يستطيعان الركض إلى الأبد. أعتقد أن الرجل يعمل لدى المرأة».

تدخل (إوين) قائلًا: «في الخدمة، في الحكايات يسمون هذا الشيء أن تكون في الخدمة».

أكمل (مات) حديثه كأن (إوين) لم يتحدث: «على أي حال إنه يذعن لها ويفعل ما تقوله، ولكنه لا يبدو كرجل من المرتزقة، ربما يكون جنديًّا، الطريقة التي يمتشق بها سيفه كأنه جزء منه، كأنه يده أو قدمه. إنه يجعل حراس التجار يبدون ككلاب جبانة. أما هي يا (راند) فلم أتخيل شخصًا مثلها من قبل، كأنما خرجت من واحدة من حكايات صانعي

البهجة. إنها تشبه... تشبه...». ثم نظر إلى (إوين) شذرًا قبل أن يقول: «تُشبه سيدة نبيلة راقية». أنهى حديثه متنهدًا.

سأله (راند): «ولكن من هما؟». فباستثناء التجار الذين يأتون مرة كل عام لشراء الطباق والصوف، والباعة الجائلين، لم يأتِ غرباء قط إلى (النهرين)، أو بالأحرى لا يكادون يأتون. ربما في (تارين فيري)، ولكن ليس هنا في أقصى الجنوب. كما أن معظم التجار والباعة الجائلين يأتون منذ سنوات، لذا فإنهم لا يعدون غرباء حقًّا، إنهم فقط ليسوا من أهل المنطقة. لقد مضت خمس سنوات منذ آخر مرة ظهر فيها شخص غريب حقيقي في (إيموندز فيلد)، وقد كان يحاول الاختباء من مشكلة ما في (بايرلون) لم يفهمها أحد في القرية، ولم يمكث كثيرًا. «ما الذي يريدانه؟».

صاح (مات): «ما الذي يريدانه! أنا لا أُبالي بما يريدانه. إنهما غريبان يا (راند)، غريبان كما لم يخطر على بالك من قبل. فكر في الأمر!».

فتح (راند) فمه ثم أغلقه مرة أخرى دون أن يتحدث. لقد جعله الفارس المتشح بالسواد متوترًا كقط يلاحقه الكلاب، لقد بدت كصدفة مريعة؛ ثلاثة غرباء في أرجاء القرية في الوقت ذاته. ثلاثة إن كانت عباءة هذا الرجل التي تغير لونها لم تتغير من قبل إلى الأسود.

قال (إوين) كاسرًا الصمت اللحظي: «اسمها (مويرين)، سمعت الرجل يقوله، إنه يناديها (مويرين)، السيدة (مويرين). اسم الرجل (لان). ربما تكون الحكيمة لا تحبها، ولكني أحببتها».

سأله (راند): «ما الذي يجعلك تعتقد أن (ناينيف) لا تحبها؟».

قال (إوين): «لقد سألت الحكيمة عن الاتجاهات هذا الصباح ونادتها بالطفلة».

صفَّر كل من (راند) و(مات) بهدوء من بين أسنانهما فتلعثم (إوين) وهو يتحدث بسرعة شارحًا: «السيدة (مويرين) لم تكن تعرف أنها الحكيمة،

واعتذرت لها عندما عرفت هذا، لقد فعلت هذا حقًّا، وسألتها بعض الأسئلة عن الأعشاب وعن قاطني (إيموندز فيلد)، وباحترام شديد كأي امرأة في القرية، بل وأكثر احترامًا من بعضهن. إنها تطرح الأسئلة دومًا، عن عمر الناس هنا وكم عاشوا في المكان الذي يعيشون فيه، و... أوه، أنا لا أعرف كل شيء. على أي حال لقد أجابت (ناينيف) على أسئلتها كأنها تمضغ شيئًا مرًّا، ثم عندما سارت السيدة (مويرين) مبتعدة لاحقتها (ناينيف) بنظرها كأنها... كأنها... حسنًا، لم يكن الأمر وديًّا، يمكنني أن أقول لكما هذا».

قال (راند): «أهذا كل شيء؟ أنت تعرف كم أن (ناينيف) سريعة الغضب. في العام الماضي عندما ناداها (سين بوي) بالطفلة ضربته بالعصا على رأسه، وهو عضو في (مجلس القرية)، ويبلغ أيضًا من العمر ما يكفي لكي يكون جدها. إنها تشتعل غضبًا لأبسط الأمور، ولكن غضبها لا يستمر بمجرد أن تدير ظهرها».

تمتم (إوين) قائلًا: «هذا وقت طويل بالنسبة لي».

قال (مات) ضاحكًا: «لا يهمني من تضرب (ناينيف) ما دام ليس أنا. هذا سيكون أفضل (بِل تاين) على الإطلاق، صانع بهجة وسيدة نبيلة؛ من يمكنه أن يطلب المزيد؟ من يحتاج إلى ألعاب نارية؟».

قال (إوين) وقد ارتفع صوته بحدة: «صانع بهجة؟».

واصل (مات) حديثه متجاهلًا الفتى الأصغر سنًّا: «هيا بنا يا (راند)، لقد انتهى عملنا هنا، عليك أن ترى هذا الرجل».

أسرع صاعدًا الدرج بينما (إوين) يتعثر وراءه وينادي: «هل هناك صانع بهجة حقًّا يا (مات)؟ هذا ليس مثل كلاب الصيد الشبحية أو الضفادع، أليس كذلك؟».

لم يتوقف (راند) في موضعه إلا للوقت الكافي لإطفاء المصباح قبل أن يسرع لاحقًا بهما.

في الغرفة العامة انضم (روان هَم) و(سامل كراو) إلى الآخرين أمام النار، وهكذا صار (مجلس القرية) بالكامل هنا. كان (بران ألڤير) يتحدث في ذلك الوقت، وصوته الودي المعتاد كان منخفضًا للغاية حتى تحول إلى همهمة مسموعة من بين الكراسي المقتربة من بعضها. كان العمدة يؤكد على كلماته بالنقر بسبابته السميكة في راحته وهو ينقل نظره من رجل إلى آخر. كانوا جميعًا يومئون برؤوسهم موافقة على كل شيء يقوله، إلا أن (سين) كان أكثر ترددًا من البقية. الطريقة التي يتحدث بها الرجال المجتمعون كانت تحمل تكتمًا شديدًا. أيًّا كان ما يتحدثون عنه فهو شأن (مجلس القرية) وحده، في الوقت الحالي على الأقل. لن تعجبهم محاولة (راند) للإنصات إليهم، لذا ابتعد على مضض. لا يزال هناك صانع البهجة وهذان الغريبان.

بالخارج كانت (بيلا) والعربة قد اختفيا، لا شك أن أحدهم - (هيو) أو (تاد) - قد أخذهما إلى الإسطبل. كان (مات) و(إوين) يحدقان إلى أحدهما الآخر وهما واقفان على بعد بضع خطوات من باب الحانة الأمامي، وعباءتاهما تتطايران في الرياح.

صاح (مات) قائلًا: «لآخر مرة؛ هذا ليس مقلبًا مني، هناك صانع بهجة حقًّا. والآن اغرب عن وجهي. هل يمكنك يا (راند) أن تخبر هذا الأحمق أنني أقول الحقيقة لكي يتركني وشأني؟».

أحاط (راند) جسده بعباءته وهو يخطو ناحية (مات) ليدعمه، ولكن الكلمات اختنقت في حلقه بينما الشعر ينتصب على مؤخرة عنقه. هناك من يراقبه مرة أخرى. لقد كان إحساسًا مختلفًا تمامًا عن الإحساس الذي انتابه بسبب الفارس الأسود، ولكنه لم يكن سارًّا أيضًا، وخصوصًا أن هذا بعد فترة وجيزة من الحادثة الأولى.

تلفَّت حوله في أرجاء (الساحة الخضراء) فلم يرَ إلا ما رآه من قبل؛ الأطفال يلعبون والناس يستعدون من أجل العيد ولا أحد ينظر تجاهه أكثر من مجرد نظرة عابرة. كان (عمود الربيع) يقف وحيدًا وينتظر. الصيحات الصاخبة الطفولية تملأ جوانب الشوارع. كل شيء كان كما يجب أن يكون، عدا أن هناك من يراقبه.

ثم جعله شيء يلتفت ويرفع عينيه، على حافة سقف الحانة القرميدي يجثم غراب ضخم، يتمايل قليلًا مع الرياح القوية التي تهب من الجبال. كان رأسه مائلًا إلى الجانب في اتجاه واحد وعين سوداء خرزية تحدق... إليه. أو هذا ما خُيل إليه. ازدرد لعابه وفجأة اشتعل الغضب بداخله، ساخنًا وحادًّا.

تمتم قائلًا: «آكل جيفة قذر».

قال (مات) متذمرًا: «لقد مللت من تعرضي للتحديق». فأدرك (راند) أن صديقه قد خطا ليقف بجواره وهو ينظر عابسًا إلى الغراب أيضًا.

تبادلا نظرة سريعة ثم أسرعا في وقت واحد ليلتقط كل واحد منهما حجرًا بيده.

حلَّق الحجران ناحية هدفهما بدقة... فتنحى الغراب جانبًا، ليصفر الحجران عبر الفراغ الذي كان فيه. خفق بجناحيه خفقة واحدة ثم أمال رأسه إلى الجانب مرة أخرى، وهو يحدق إليهما بعين سوداء جامدة غير خائفة، ولم يَبدُ عليه أنه قد تأثر بما حدث على الإطلاق.

حدق (راند) إلى الطائر في ذعر ثم قال بصوت خافت: «هل رأيت غرابًا يفعل هذا من قبل؟».

هز (مات) رأسه دون أن يبعد نظره عن الغراب وقال: «مطلقًا، ولا أي طائر آخر».

جاء صوت امرأة من ورائهما، عذبًا على الرغم من أنه يحمل نبرة نفور: «طائر خسيس، لا يمكن الوثوق به حتى في أفضل الأوقات».

بصرخة حادة اندفع الغراب في الهواء بعنف شديد، حتى أن ريشتين سوداوين تهاوتا من حافة السطح. جفل (راند) و(مات) وهما يستديران ليتابعا تحليق الطائر السريع فوق (الساحة الخضراء) نحو (جبال الضباب) المغطاة قمتها بالغيوم، الشامخة وراء (الغابة الغربية) حتى تضاءل ليصير نقطة ضئيلة في الغرب قبل أن يختفي عن الأنظار.

وقع نظر (راند) على المرأة التي كانت تتحدث، كانت تتابع تحليق الغراب بدورها، ثم خفضت بصرها لتنظر إليه. لم يستطع أن يفعل شيئًا سوى التحديق إليها. لا شك أن هذه هي السيدة (مويرين)، وكانت تشبه كل شيء قاله (إوين)، كل شيء وأكثر.

عندما سمع أنها خاطبت (نايניف) بالطفلة ظن أنها عجوز، ولكنها لم تكن كذلك، على الأقل لم يستطع تحديد عمرها على الإطلاق. في البداية خُيل إليه أنها شابة مثل (نايניف)، ولكن كلما أطال النظر إليها خُيل إليه أنها أكبر من هذا. كان هناك نضج في عينيها الكبيرتين السوداوين، لمحة بأنها تعرف شيئًا لا يمكن أن يعرفه من لا يزال شابًّا. لوهلة خُيل إليه أن هاتين العينين هما بركتان عميقتان على وشك ابتلاعه. بدا واضحًا له أيضًا لمَ قال (مات) و(إوين) إنها سيدة من حكايات صانعي البهجة. كانت تحيط بها هالة من النبل والقيادة، حتى أنه أحس بالحرج وأنه يكاد يتعثر. كان طولها يصل بالكاد إلى صدره، ولكن حضورها كان طاغيًا مما جعل طولها يبدو مناسبًا، بينما أحس أن طوله غير ذي جدوى.

إجمالًا لم تكن تشبه أي شخص قد رآه من قبل. كان غطاء الرأس العريض بعباءتها يحيط بوجهها كالإطار، وشعرها الداكن يتدلى في حلقات صغيرة ناعمة. لم يرَ من قبل امرأة بالغة بشعر غير مجدول، كل فتاة في (النهرين) تنتظر بشغف أن تقرر (دائرة النساء) بقريتها أنها قد كبرت بما

يكفي لكي تجدل شعرها. كانت ملابسها بنفس الغرابة، عباءتها من مخمل أزرق سماوي مع تطريز فضي كثيف، وأوراق وأغصان وزهور على طول الحواف، كان ثوبها يلمع بشكل خافت وهي تتحرك بلون أزرق أغمق من لون العباءة، يتخلله لون زبدي. كان هناك قلادة من حلقات ذهبية ثقيلة معلقة حول عنقها، بينما هناك سلسلة ذهبية أخرى رقيقة ومثبتة في شعرها، تحمل جوهرة زرقاء لامعة في منتصف جبهتها. كان هناك حزام عريض من الذهب المنسوج يحيط بخصرها، وفي الإصبع الثاني من يدها اليسرى خاتم ذهبي على هيئة أفعوان يلتهم ذيله. إنه لم يرَ خاتمًا كهذا من قبل بالتأكيد، ولكنه تعرف على (الأفعوان العظيم)، وهو رمز للأبدية أقدم حتى من (عجلة الزمن).

لقد قال (إوين) إن ملابسها أكثر روعة من أي ملابس عيد، وقد كان محقًّا، لم يرتدِ أحد ملابس كهذه في (النهرين) من قبل، لا أحد على الإطلاق.

قال (راند): «صباح الخير يا سيدة... يا سيدتي النبيلة (مويرين)». احمر وجهه خجلًا لتلعثم لسانه.

كرر (مات) ما قاله بشكل أكثر سلاسة بعض الشيء: «صباح الخير يا سيدتي النبيلة (مويرين)».

ابتسمت فوجد (راند) نفسه يتساءل إن كان هناك شيء يمكن أن يفعله من أجلها، شيء يمكن أن يمنحه ذريعة للبقاء بالقرب منها. كان يعرف أنها تبتسم لهم جميعًا، ولكنها بدت له كأنها تقصده وحده. كان الأمر حقًّا أشبه برؤية حكاية من حكايات صانعي البهجة تنبض بالحياة. كان هناك ابتسامة بلهاء على وجه (مات).

قالت بابتهاج: «أنتم تعرفون اسمي». كأن وجودها مهما كان قصيرًا لن يكون حديث القرية لمدة عام! «ولكن يجب أن تناديني (مويرين) وليس السيدة النبيلة. وأنتم ما أسماؤكم؟».

قفز (إوين) إلى الأمام قبل أن يتمكن أي من الآخرين من الحديث قائلًا: «اسمي (إوين فينجار) يا سيدتي. لقد أخبرتهما باسمك لهذا يعرفانه. لقد سمعت (لان) يقوله ولكني لم أكن أسترق السمع. لم يأتِ شخص مثلك من قبل إلى (إيموندز فيلد). هناك صانع بهجة في القرية أيضًا من أجل (بِل تاين). والليلة هي (ليلة الشتاء). هلا أتيتِ إلى بيتي؟ لقد أعدت أمي كعك التفاح».

قالت وهي تضع يدها على كتف (إوين): «سأفكر في الأمر». لمعت عيناها بالاستمتاع على الرغم من أنها لما تبدِ أدنى إشارة على هذا. «لا أعرف كيف يمكنني أن أتنافس مع صانع بهجة يا (إوين)، ولكن يجب أن تناديني (مويرين)». ثم نظرت بترقب إلى (راند) و(مات).

قال (مات): «أنا (ماترم كاوثون)، يا سيـ... يا (مويرين)». ثم انحنى انحناءة خشنة حادة، فاحمر وجهه خجلًا وهو يعتدل.

كان (راند) يتساءل إن كان عليه أن يفعل شيئًا من هذا القبيل، كما يفعل الرجال في الحكايات، ولكنه اتعظ مما فعله (مات) واكتفى بذكر اسمه، على الأقل لم يتعثر لسانه هذه المرة.

نقلت (مويرين) نظرها من (راند) إلى (مات) ثم إليه مرة أخرى. خُيِّل لـ(راند) أنها تبتسم، مجرد انثناءة طفيفة في ركني فمها، كابتسامة (إيجوين) عندما يكون لديها سر. قالت: «قد يكون لدي بعض المهام الصغيرة التي يجب أن أؤديها من وقت لآخر أثناء بقائي في (إيموندز فيلد). ربما ترغبون في مساعدتي؟». ضحكت عندما أسرع ثلاثتهم للموافقة في وقت واحد. قالت: «إليك هذه». تفاجأ (راند) عندما وضعت عملة معدنية في راحة يده، قبل أن تغلق يده حولها بإحكام بكلتا يديها.

قال لها: «لا حاجة لهذا». ولكنها لوحت بيدها جانبًا متجاهلة احتجاجه بينما تعطي (إوين) عملة أخرى، قبل أن تضغط يد (مات) حول عملة بنفس الطريقة التي فعلتها مع (راند).

قالت: «بالطبع هناك حاجة لهذا، لا يمكن أن يتوقع أحد منكم العمل بدون مقابل. فلتعتبروا هذا تذكارًا، حتى تتذكروا أنكم قد وافقتم على المجيء إليَّ عندما أطلب هذا. هناك رابط بيننا الآن».

قال (إوين) بحماس: «لن أنسى قط».

قالت: «سوف نتحدث لاحقًا، ويجب أن تخبروني بكل شيء عن أنفسكم».

سألها (راند) مترددًا: «سيدتي الـ... أعني (مويرين)؟». توقفت ونظرت وراءها من فوق كتفها فازدرد لعابه قبل أن يكمل: «لم أتيتِ إلى (إيموندز فيلد)؟». لم تتغير تعبيرات وجهها، ولكنه تمنى فجأة لو أنه لم يسأل هذا السؤال، رغم أنه لم يعرف لماذا. سارع على الفور ليفسر مقصده على أي حال: «أنا لا أقصد أن أكون وقحًا. أعتذر. كل ما في الأمر هو أن أحدًا لا يأتي إلى (النهرين) باستثناء التجار والباعة الجائلين، وهذا عندما يكون الثلج غير عميق للغاية، مما يسمح بالمجيء من (بايرلون). لا أحد يأتي تقريبًا، وبالتأكيد لا أحد مثلك. يقول حراس التجار أحيانًا إن هذا المكان يقع في آخر العالم، وأعتقد أنه سيبدو كذلك بالتأكيد بالنسبة لأي شخص غريب. لذا فقد كنت أتساءل فحسب».

تلاشت ابتسامتها حينها ببطء كأنما قد تذكرت شيئًا. اكتفت للحظات بالنظر إليه ثم قالت أخيرًا: «أنا دارسة تاريخ وجامعة للحكايات القديمة. هذا المكان الذي يسمونه (النهرين) لطالما أثار اهتمامي. أحيانًا أدرس حكايات ما حدث هنا منذ وقت طويل، هنا وفي أماكن أخرى».

قال (راند): «حكايات؟ ما الذي حدث في (النهرين) ليثير اهتمام شخص مثلك... أعني ما الذي يمكن أن يكون قد حدث هنا؟».

أضاف (مات) قائلًا: «وأي اسم يمكن أن يطلق على هذا المكان سوى (النهرين)؟ لطالما أُطلق عليه هذا الاسم».

قالت (مويرين) كأنما تحدث نفسها وبنظرة شاردة في عينيها: «مع دوران (عجلة الزمن) تحمل الأماكن أسماء عدة، ويحمل الناس أسماء عدة ووجوهًا عدة. وجوه مختلفة ولكنه دومًا نفس الشخص. ومع ذلك لا أحد يعرف (النمط العظيم) الذي تنسجه (عجلة الزمن)، أو حتى نمط أي عصر. يمكننا فقط أن نراقب وندرس ونأمل».

حدق (راند) إليها غير قادر على أن يقول أي كلمة، أو أن يسألها حتى ما تعنيه. لم يكن واثقًا حتى من أنها كانت تخاطبهم. لاحظ أن الاثنين الآخرين معقودا اللسان مثله، وكان (إوين) فاغرًا فاه.

أولت (مويرين) اهتمامها إليهم مرة أخرى فارتجف ثلاثتهم كأنهم يستيقظون. قالت: «سوف نتحدث لاحقًا». لم يقل أحدهم كلمة. قالت: «أراكم لاحقًا». ثم بدأت تسير ناحية (جسر العربات)، فبدا كأنها تحلق فوق الأرض لا تمشي، وعباءتها مفرودة على كلا جانبيها كجناحين.

بينما هي تبتعد تحرك رجل طويل لم يلاحظه (راند) من قبل مبتعدًا عن مدخل الحانة ليلحق بها، ويده مستقرة على مقبض سيفه الطويل. كانت ملابسه ذات لون أخضر داكن يميل للرمادي، يمكنه أن يختفي بين الأوراق أو الظلال، وراح لون عباءته يتغير في الرياح بين الرمادي والأخضر والبني. بدا أحيانًا أنه يكاد يختفي، وهذا عندما يتغير لون عباءته إلى لون أي ما يقع وراءه. كان شعره طويلًا ورماديًّا عند الصدغين، ويفصل بين شعره ووجهه طوق جلدي رفيع. كانت ملامح وجهه حادة وصارمة، ولكن بلا تجاعيد رغم اللون الرمادي في شعره. أثناء سيره لم يستطع (راند) أن يفكر في أي شيء سوى ذئب.

أثناء مروره بجوار الفتيان الثلاثة تفحصهم بنظره، كانت عيناه باردتين وزرقاوين كفجر منتصف الشتاء. بدا الأمر وكأنه يقيمهم في عقله، ولم يكن هناك إشارة في وجهه عن نتيجة هذا التقييم. أسرع الخطى حتى لحق

بـ(مويرين) ثم أبطأ ليسير بجوارها قبل أن يميل ليتحدث إليها. أخذ (راند) نفسًا عميقًا عندما أدرك أنه كان يحبس أنفاسه.

قال (إوين) بصوت مختنق كأنه أيضًا كان يحبس أنفاسه: «هذا هو (لان)». ثم قال بنظرة حالمة: «أراهن أنه أحد (الحماة)».

قال (مات) ضاحكًا، ولكن ضحكته كانت مرتجفة: «لا تكن أحمق، (الحماة) موجودون في الحكايات فقط. على أي حال يكون لدى (الحماة) سيوف ودروع مغطاة بالذهب والأحجار الكريمة، ويقضون كل وقتهم في الشمال، عند (البلاء العظيم)، يقاتلون الشر و(الترولوكيين)».

قال (إوين) بإصرار: «قد يكون (حاميًا)».

قال (مات) ساخرًا: «هل رأيت أي ذهب أو أحجار كريمة عليه؟ هل هناك (ترولوكيون) في (النهرين)؟ كل ما لدينا هو الأغنام. أتساءل ما الذي يمكن أن يكون قد حدث هنا لإثارة اهتمام شخص مثله».

أجابه (راند) ببطء: «ربما هناك شيء ما قد حدث هنا. إنهم يقولون إن الحانة قد كانت هنا لألف سنة، أو ربما أكثر».

قال (مات): «ألف سنة من الأغنام».

صاح (إوين) فجأة: «بنس فضي! لقد أعطتني بنسًا فضيًّا كاملًا! أفكر فيما يمكنني شراءه عندما يأتي البائع الجائل».

فتح (راند) يده لينظر إلى العملة التي قد أعطتها له وكاد أن يسقطها بسبب دهشته. لم يتعرف على العملة الفضية السميكة والصورة البارزة لامرأة توازن شعلة لهب واحدة على يدها المقلوبة، ولكنه قد راقب (بران ألڤير) وهو يزن العملات التي جلبها التجار من بلاد عدة، ولديه فكرة عن قيمتها. هذا القدر من الفضة يمكن أن يشتري حصانًا في أي مكان في (النهرين)، وسيتبقى بعض الفكة.

نظر إلى (مات) فرأى نفس التعبير المندهش الذي يعرف أنه مرتسم بالتأكيد على وجهه. أمال يده لكي يستطيع (مات) أن يرى العملة وليس (إوين)، ثم رفع حاجبه في تساؤل. أومأ (مات) برأسه ولدقيقة وقفا يحدقان أحدهما إلى الآخر في تساؤل وحيرة.

سأله (راند) أخيرًا: «أي نوع من المهام ستكلفنا به؟».

قال (مات) بحزم: «لا أعرف ولا أُبالي. لن أنفق المال أيضًا، حتى عندما يأتي البائع الجائل». ثم وضع العملة في جيب معطفه.

أومأ (راند) برأسه، وببطء فعل الشيء ذاته. لم يكن واثقًا من السبب ولكن (مات) بدا محقًّا بشكل ما. لا يجب أن ينفق العملة، ليس وهي من منحته إياها. لم يستطع أن يفكر في أي شيء آخر يمكن أن تفيده فيه هذه الفضة، ولكن...

ظهر التردد الملتاع على وجه (إوين) وهو يقول: «هل تعتقدان أنني يجب أن أحتفظ بعملتي أيضًا؟».

قال (مات): «لا، إلا لو كنت ترغب في هذا».

قال (راند): «أعتقد أنها قد أعطتها لك لكي تنفقها».

نظر (إوين) إلى عملته ثم هز رأسه ودس البنس الفضي في جيبه وقال بحزن: «سوف أحتفظ بها».

قال (راند): «لا يزال هناك صانع البهجة». فابتهج الفتى الأصغر سنًّا.

أضاف (مات): «هذا إن استيقظ».

سأل (إوين): «هل هناك صانع بهجة حقًّا يا (راند)؟».

أجابه (راند) ضاحكًا: «سوف ترى». كان من الواضح أن (إوين) لن يصدق الأمر حتى يرى صانع البهجة بعينيه. «سيكون عليه أن يأتي عاجلًا أو آجلًا».

تعالت الصيحات عبر (جسر العربات)، وعندما نظر (راند) ليرى ما يحدث صارت ضحكته من أعماق قلبه. كان هناك حشد كبير من القرويين، من العجائز شيب الرأس وحتى الصغار الذين يستطيعون المشي بالكاد، يصحبون عربة طويلة ناحية الجسر، عربة ضخمة يجرها ثمانية أحصنة. وبالخارج حول غطائها القماشي المستدير تتدلى حزم كأغصان العنب. لقد جاء البائع الجائل أخيراً. غرباء وصانع بهجة وألعاب نارية وبائع جائل. سيكون هذا أفضل (بِل تاين) على الإطلاق.

الفصل الثالث

البائع الجائل

كان هناك حزم من الأواني الفخارية تصطدم ببعضها وتقعقع، بينما عربة البائع الجائل تهتز فوق الأخشاب الثقيلة بـ(جسر العربات). جذب البائع الجائل ألجمة أحصنته لكي تتوقف أمام الحانة وهو لا يزال محاطًا بسحابة من القرويين والمزارعين الذين أتوا من أجل العيد. تدفق الناس من كل الاتجاهات ليتجمهروا بأعداد كبيرة حول العربة العظيمة . التي كانت عجلاتها أطول من أي شخص من هؤلاء الناس. وأعينهم مثبتة على البائع الجائل الذي يعلوهم وهو جالس على مقعد العربة.

كان الرجل الجالس في العربة هو (بادان فاين)، رجل شاحب نحيل بذراعين طويلتين رفيعتين وأنف خطافي عظيم. (فاين) . الذي يبتسم دومًا ويضحك كأنما يعرف مزحة لا يعرفها أحد سواه. كان يأتي بعربته وأحصنته إلى (إيموندز فيلد) كل ربيع بقدر ما يستطيع (راند) أن يتذكر.

انفتح باب الحانة بينما الأحصنة تتوقف مع صرير الأحزمة التي تربطها إلى العربة، ثم ظهر (مجلس القرية) يتقدمهم السيد (ألڤير) و(تام). كانوا يسيرون بتأنٍ، حتى (سين بوي)، بين كل صيحات الآخرين المتحمسة من أجل الدبابيس أو الدانتيل أو الكتب أو عشرات الأشياء الأخرى. تفرق الحشد على مضض ليسمح لهم بالمرور قبل أن ينغلق على الفور

وراءهم، دون أن يتوقفوا لحظة عن مناداة البائع الجائل. وفوق كل شيء كان القرويون يطلبون منه الأخبار.

في نظر القرويين لم تكن الإبر والشاي وما أشبه سوى نصف بضاعة البائع الجائل، الشيء الذي لا يقل عنها أهمية هو الأخبار عن العالم فيما وراء (النهرين). بعض الباعة الجائلين يخبرونهم ببساطة بكل ما يعرفونه، يلقون به بلا اكتراث، كأنما هي كومة من القمامة لا يبالون بها. وآخرون يجب أن تنتزع كل كلمة منهم انتزاعًا، يتحدثون على مضض وبانزعاج شديد. ولكن (فاين) كان يتحدث بحرية وبطريقة مشوقة في كثير من الأحيان، فيغزل الحديث ليصنع منه عرضًا ينافس صانعي البهجة. إنه يستمتع بكونه في مركز الاهتمام، متبخترًا كديك ضئيل الحجم، وكل عين مصوبة عليه. خطر على بال (راند) أن (فاين) قد لا يكون مسرورًا لمعرفة أن هناك صانع بهجة حقيقيًّا في (إيموندز فيلد).

كان البائع الجائل يولي (المجلس) والقرويين نفس الاهتمام الذي يوليه إلى محاولته ربط الألجمة، وهو ما يعني أنه بالكاد هناك أي اهتمام على الإطلاق. أومأ برأسه ببساطة، لا لشخص معين. ابتسم دون أن يتحدث وهو يلوح بيده بشرود إلى الناس الذين كان وديًّا معهم بشكل خاص، رغم أن وديته كانت دومًا من النوع الذي يبقي مسافة بينه وبين الآخرين بعض الشيء، دون أن يسمح لهم بالاقتراب منه.

الأصوات التي تطالبه بالحديث ازدادت ارتفاعًا، ولكن (فاين) انتظر وهو منشغل ببعض المهام الصغيرة حول مقعد القيادة حتى يصل الحشد والترقب إلى القدر الذي يريده. وحده (المجلس) بقي صامتًا. لقد حافظوا على كرامتهم التي تلائم منصبهم، ولكن سحب دخان الغليون المتصاعدة فوق رؤوسهم أظهرت الجهد الذي يبذلونه ليظلوا صامتين.

اخترق (راند) و(مات) حافة الحشد مقتربين من العربة قدر استطاعتهما. كان (راند) سيتوقف في منتصف الطريق ولكن (مات) واصل شق طريقه عبر الزحام وهو يجذب (راند) وراءه حتى صارا وراء (المجلس) مباشرة.

صاح (بيرين آيبارا) بصوت يعلو فوق الحشد مخاطبًا (راند): «كنت أظن أنك ستبقى في المزرعة طيلة العيد». كان مساعد الحداد ذو الشعر الأشعث أقصر من (راند)، حيث تصل رأسه إلى منتصف رأس (راند). كان ضخم الجثة، حتى أنه يبدو بعرض رجل ونصف، بذراعين وكتفين مفتولة العضلات بشكل ينافس السيد (لوهان) نفسه. كان من الممكن أن يتقدم بسهولة عبر الحشد، ولكن هذه لم تكن طباعه. كان يختار مساره بعناية، وهو يعتذر للناس الذين لا يكادون يلاحظون أي شيء سوى البائع الجائل. كان يعتذر لهم على أي حال محاولًا ألا يدفع أي شخص وهو يشق طريقه عبر الزحام ناحية (راند) و(مات). قال عندما وصل إليهما أخيرًا: «تصوروا هذا، (بِل تاين) وبائع جائل في نفس الوقت، أراهن أنه سيكون هناك ألعاب نارية حقًّا».

ضحك (مات) وقال: «أنت لا تعرف ربع الحقيقة».

نظر إليه (بيرين) بريبة ثم نظر إلى (راند) متسائلًا. صاح (راند): «هذا صحيح». ثم أشار إلى الحشد المتزايد من الناس، الذين يتصايحون جميعًا. «لاحقًا، سوف أشرح لك لاحقًا. أقول لك لاحقًا!».

في تلك اللحظة وقف (باداں فاين) على كرسي العربة فصمت الحشد على الفور. دوت كلمات (راند) الأخيرة في الصمت المطبق لتفاجئ البائع الجائل وذراعه مرفوعة بشكل درامي وفمه مفتوحًا. التفت الجميع ليحدقوا إلى (راند). الرجل النحيف الضئيل الواقف على العربة. مستعدًّا لأن يجعل الجميع يتعلقون بكلماته الأولى. نظر إلى (راند) نظرة حادة متفحصة.

احمر وجه (راند) خجلًا وتمنى لو كان بحجم (إوين) لكيلا يبرز في الزحام بمثل هذا الوضوح. تململ صديقاه في توتر أيضًا. لم يمر سوى عام على المرة

الأولى التي يلاحظهم فيها (فاين) ويعتبرهم رجالًا. عادة لا يمنح (فاين) وقتًا لأي شخص أصغر من أن يشتري الكثير من بضاعته. كان (راند) يأمل ألا يكون قد تراجع إلى مرتبة طفل مرة أخرى في عينيّ البائع الجائل.

زفر (فاين) بصوت مرتفع وهو يجذب عباءته الثقيلة ثم قال وهو يرفع يده مرة أخرى بشكل درامي: «لا، ليس لاحقًا، سوف أخبركم الآن». كان يلوح بيده بطريقة مسرحية وهو يخطب في الحشد. «أنتم تظنون أن لديكم متاعب هنا في (النهرين)، أليس كذلك؟ حسنًا العالم كله يعاني المتاعب، من (البلاء العظيم) وجنوبًا حتى (بحر العواصف)، من (محيط آريث) في الغرب وحتى (فلاة آييل) في الشرق، وحتى أبعد من هذا. الشتاء كان أقسى من أي شتاء قد رأيتموه من قبل، باردًا بما يكفي لتجميد دمائك وكسر عظامك؟ آها! لقد كان الشتاء قاسيًا وباردًا في كل مكان. في (البلاد الحدودية) سيسمون شتاءكم هذا ربيعًا. ولكنكم تقولون إن الربيع لا يأتي؟ الذئاب قد قتلت أغنامكم؟ ربما قد هجمت الذئاب على البشر؟ هل هذا هو الحال؟ حسنًا إذن، الربيع متأخر في كل مكان، هناك ذئاب في كل مكان، وكلها جائعة من أجل أي لحم يمكن أن يغرسوا أسنانهم فيه، سواء كان من الأغنام أو البقر أو البشر. ولكن هناك أشياء أسوأ من الذئاب والشتاء، هناك من سيكونون سعداء ألا يصيبهم سوى متاعبكم الصغيرة فحسب». ثم صمت في ترقب.

سأله (سين بوي): «ما الذي يُمكن أن يكون أسوأ من قتل الذئاب للأغنام والبشر؟». فتمتم آخرون لدعمه.

«قتل البشر للبشر». أجابه البائع الجائل في نبرة تحمل نذيرًا، جلبت تمتمات مصدومة تتزايد بينما يتحدث. «إن الحرب هي ما أعنيه. هناك حرب في (غيلدان)، حرب وجنون. الثلوج في (غابة دالين) حمراء بدماء البشر. الغربان ونعيقها يملئون السماء. الجيوش تزحف إلى (غيلدان). لقد أرسلت الأمم ـ العشائر العظيمة والرجال العظام ـ جنودها للقتال».

«حرب؟». تشكل فم السيد (ألفير) بشكل غريب وهو ينطق الكلمة غير المألوفة. لم يكن لأي شخص في (النهرين) من قبل أدنى علاقة بأي حرب. «لماذا يخوضون حربًا؟».

ابتسم (فاين)، وأحس (راند) أنه يسخر من جهل القرويين وعزلتهم عن العالم. مال البائع الجائل إلى الأمام كأنه على وشك أن يبوح بسر إلى العمدة، ولكنه كان يقصد أن يكون همسه مسموعًا: «لقد رُفعت راية (التنين)، والناس يتوافدون للمعارضة، وللدعم».

خرجت شهقة طويلة من كل حلق في وقت واحد، وارتجف (راند) رغمًا عنه.

صاح أحدهم: «(التنين)! (سيد الظلام) طليقًا في (غيلدان)!».

زمجر (هارال لوهان) قائلًا: «ليس (سيد الظلام)، (التنين) ليس هو (سيد الظلام)، وهذا (تنين كاذب) على أي حال».

قال العمدة: «دعنا نسمع ما سيقوله السيد (فاين)». ولكن لن يصمت أحد بهذه السهولة. تصايح الناس من كل الاتجاهات، رجال ونساء يعلو صوتهم فوق بعضهم بعضًا.

«إنه بمثل سوء (سيد الظلام)!».

«(التنين) حطم العالم، أليس كذلك؟».

«هو من بدأه، هو من تسبب في (زمن الجنون)!».

«أنتم تعرفون النبوءات! عندما يولد (التنين) من جديد فإن أسوأ كوابيسك ستبدو وكأنها أجمل أحلامك!».

«إنه مجرد (تنين كاذب) آخر، لا شك أنه كذلك!».

«ما الفارق الذي سيصنعه هذا؟ أنتم تتذكرون آخر (تنين كاذب)، لقد أشعل حربًا أيضًا، ومات الآلاف، أليس كذلك يا (فاين)؟ لقد ضرب حصارًا حول (إليان)».

«إنها أوقات عصيبة! لم يزعم أحد أنه (التنين العائد) لعشرين عامًا، والآن ثلاثة في السنوات الخمس الماضية. أوقات عصيبة! انظروا إلى الطقس!».

تبادل (راند) النظرات مع (مات) و(بيرين). كانت عينا (مات) تلمعان بالحماس، بينما (بيرين) كان متجهمًا في قلق. كان باستطاعة (راند) أن يتذكر كل حكاية عن الرجال الذين يزعمون أنهم (التنين العائد)، وإن كانوا جميعًا قد أثبتوا أنهم (تنانين كاذبون) بموتهم أو بالاختفاء بدون تحقيق أي من النبوءات، وما فعلوه كان سيئًا بما يكفي. أمم كاملة قد مزقتها الحرب، ومدن وقرى قد أحرقتها النيران. لقد تساقط الموتى كأوراق الخريف وتزاحم اللاجئون في الطرق كأغنام في حظيرة. هذا ما قاله الباعة الجائلون والتجار، ولم يكن هناك أحد في (النهرين) يشك في هذا أدنى شك. يقول البعض إن العالم سينتهي عندما يولد (التنين) الحقيقي من جديد.

صاح العمدة: «كفوا عن هذا! اصمتوا! لا تجعلوا تخيلاتكم تصيبكم بالذعر. اتركوا السيد (فاين) يخبرنا عن هذا (التنين الكاذب)».

بدأ الناس يهدؤون، ولكن (سين بوي) رفض أن يصمت وقال بحدة: «هل هو (تنين كاذب) حقًّا؟».

ظهرت الدهشة على وجه السيد (ألڤير) قبل أن يصيح: «لا تكن عجوزًا أحمق يا (سين)!». ولكن (سين) كان قد أشعل الحشد مرة أخرى.

«لا يمكن أن يكون (التنين العائد)! بحق (النور)، لا يمكن أن يكون هو!».

«أيها العجوز الأحمق (بوي)! أنت تريد الحظ السيئ حقًّا، أليس كذلك؟».

«لا ينقصنا إلا أن تنطق باسم (سيد الظلام)! لقد استحوذ عليك (التنين) يا (سين بوي)! أنت تحاول أن تجلب علينا الوبال!».

تلفت (سين) حوله بتحدٍّ محاولًا أن يحدق إلى الغاضبين، ثم رفع صوته قائلًا: «أنا لم أسمع (فاين) يقول إن هذا كان (تنينًا كاذبًا). هل قلت هذا؟ فلتستخدموا أعينكم! أين المحاصيل التي كان من المفترض أن تكون بارتفاع الركبة أو أطول من هذا؟ لِمَ لمْ ينتهِ الشتاء بينما كان يجب أن يحل الربيع منذ شهر مضى؟». كانت هناك صيحات غاضبة تطالب (سين) بأن يمسك لسانه. «لن أصمت! أنا لا أحب هذا الحديث أيضًا ولكني لن أختبئ أسفل سلة حتى يأتي رجل من (تارين فيري) ليقطع عنقي، وأنا لن أتملق (فاين) هذه المرة. فلتتحدث بوضوح أيها البائع الجائل، ما الذي سمعته؟ ها؟ هل هذا الرجل (تنين كاذب)؟».

لم يبدُ على (فاين) أدنى إشارة على أنه كان منزعجًا من الأخبار التي جلبها أو الاضطراب الذي تسبب فيه. كل ما فعله هو أن هز كتفيه ووضع إصبعه النحيف على أنفه قائلًا: «فيما يتعلق بهذا فمن يمكنه الجزم قبل أن ينتهي الأمر؟». ثم صمت وقد ارتسمت على وجهه واحدة من ابتساماته المتحفظة بينما يتفحص الحشد بعينيه كأنما يتخيل كيف سيكون رد فعلهم ويجد هذا مضحكًا. قال ببساطة: «ما أعرفه هو أنه يستطيع استخدام (القوة الواحدة)، الآخرون لم يستطيعوا هذا. ولكنه يستطيع التسخير، الأرض تنفتح أسفل أقدام أعدائه، والجدران القوية تتحطم بصيحة منه. البرق يأتي عندما يناديه ويضرب حيث يشير. هذا ما سمعته ومن رجال أثق بهم».

خيَّم على المكان صمت مذهول. نظر (راند) إلى صديقيه، بدا (بيرين) كأنه يرى أشياء لا تعجبه، بينما (مات) كان لا يزال يبدو متحمسًا.

(تام)، الذي كان وجهه أقل رصانة من المعتاد بقليل، جذب العمدة ليقترب منه، ولكن قبل أن يقدر على الحديث صرخ (إوين فينجار):

«سيصاب بالجنون ويموت! الرجال الذين يسخرون (القوة الواحدة) في الحكايات دائمًا ما يصابون بالجنون ثم يذبلون ويموتون. وحدهن النساء يمكنهن أن يلمسنها، ألا يعرف هذا؟». ثم انبطح متفاديًا صفعة من السيد (بوي).

لوح (سين) بقبضة متوعدة في وجه (إوين) وقال: «كف عن هذا يا فتى. أظهر الاحترام المناسب للكبار واترك هذا الأمر لهم. اذهب من هنا!».

قال (تام) متذمرًا: «تمالك أعصابك يا (سين)، الفتى فضولي فحسب، لا داعي لهذه الحماقة منك».

أضاف (بران): «احترم سنك، وتذكر ولو مرة أنك عضو في (المجلس)».

ازداد وجه (سين بوي) المتجعد احتقانًا مع كل كلمة من (تام) والعمدة حتى صار بنفسجيًّا تقريبًا، قبل أن يقول: «أنتم تعرفون أي نوع من النساء يتحدث عنه. توقف عن العبوس في وجهي يا (لوهان) وأنت أيضًا يا (كراو). هذه قرية محترمة وأهلها محترمون، وحديث (فاين) هنا عن (التنانين الكاذبين) الذين يستخدمون (القوة الواحدة) سيئ بما يكفي فلا ينقصنا أن يتحدث هذا الفتى الأحمق الذي استحوذ عليه (التنين) عن (الآيز سيداي). بعض الأشياء لا يجب الحديث عنها، وأنا لا أبالي إن كنتم ستسمحون لهذا البائع الجائل الأحمق الذي يظن نفسه صانع بهجة بأن يروي أي نوع من الحكايات يريدها، هذا ليس صحيحًا أو لائقًا».

قال (تام): «أنا لم أرَ أو أسمع أو أشم أي شيء لا يمكن الحديث عنه». ولكن (فاين) لم يكن قد انتهى من حديثه بعد.

رفع البائع الجائل صوته قائلًا: «(الآيز سيداي) قد تدخلن في الأمر بالفعل، هناك فرقة منهن قد انطلقت جنوبًا من (تار ڤالون). بما أنه يستطيع استخدام (القوة الواحدة) فلا أحد سوى (الآيز سيداي) يستطيع

هزيمته، في كل المعارك التي يخوضون، أو أن يتعامل معه بمجرد هزيمته، هذا إن هُزِم».

شهق شخص في الحشد بصوت مرتفع، وحتى (تام) و(بران) تبادلا عبوسًا مضطربًا. ازداد القرويون تجمهرًا وشد بعضهم عباءته على نفسه، رغم أن الرياح قد خفت قوتها.

صاح أحدهم: «بالطبع سوف يُهزم».

«دومًا ما يُهزمون في النهاية هؤلاء (التنانين الكاذبون)».

«إنه سيُهزم بالتأكيد، أليس كذلك؟».

«ماذا لو لم يُهزَم؟».

استطاع (تام) أخيرًا أن يتحدث بصوت خافت في أذن العمدة، فانتظر (بران) ـ الذي كان يهز رأسه من وقت لآخر متجاهلًا الصخب المحيط به ـ حتى انتهى من حديثه قبل أن يرفع صوته.

«أنصتوا إليَّ جميعًا، اصمتوا وأنصتوا!». هدأ الصخب ليتحول إلى غمغمة مرة أخرى. «هذا الأمر يتجاوز مجرد أخبار من الخارج. يجب أن يناقش (مجلس القرية) هذا الأمر. فلتتفضل يا سيد (فاين) بالانضمام إلينا داخل الحانة، فلدينا أسئلة لنطرحها عليك».

أجابه البائع الجائل ضاحكًا: «قدح جيد من النبيذ الساخن سيكون رائعًا بالنسبة لي الآن». ثم قفز من فوق عربته ونفض معطفه بيديه قبل أن يهندم عباءته بابتهاج ويقول: «هل يمكنكم أن تعتنوا بأحصنتي من فضلكم؟».

ارتفع أكثر من صوت باحتجاج: «أريد أن أسمع ما سيقوله».

«لا يمكنكم أن تأخذوه بعيدًا! لقد أرسلتني زوجتي لشراء الدبابيس». كان هذا هو (ويت كونجار)، الذي أحنى كتفيه مع النظرات التي حدجه بها الآخرون، ولكنه ظل ثابتًا.

صاح شخص في مؤخرة الحشد: «لدينا الحق لأن نطرح الأسئلة أيضًا. أنا...».

زأر العمدة: «اصمتوا!». فصمت الجميع في خوف. «عندما ينتهي (المجلس) من طرح أسئلته فسوف يعود السيد (فاين) لينبئكم بكل أخباره، وليبيع إليكم أوانيه ودبابيسه. (هيو)! (تاد)! خذا أحصنة السيد (فاين) إلى الإسطبل».

سار (تام) و(بران) على جانبي البائع الجائل، واجتمع باقي أعضاء (المجلس) وراءهما، ثم تدفقت المجموعة إلى داخل حانة (واينسبرينج) قبل أن تُغلَق الأبواب في وجه هؤلاء الذين حاولوا أن يندفعوا للداخل معهم.

الطرقات على الباب جعلت العمدة يصرخ قائلًا: «عودوا إلى بيوتكم!».

تجمهر الناس أمام الحانة وهم يثرثرون حول ما قاله البائع الجائل، وعما يعنيه بما قاله، وأي أسئلة سيطرحها عليه (المجلس)، ولم لا يجب السماح لهم بالإنصات وطرح الأسئلة بدورهم. اختلس بعضهم النظر عبر نوافذ الحانة الأمامية، بل وطرح بعضهم الأسئلة على (هيو) و(تاد)، رغم أنه لم يكن واضحًا ما الذي يُفترض أن يعرفاه. لم يُجبهم عاملا الإسطبل غير المكترثين بأكثر من مجرد تمتمة وهما ينزعان الأحزمة عن الأحصنة بشكل عملي. اقتادا أحصنة (فاين) واحدًا تلو الآخر، وعندما ذهبا بالأخير لم يعودا.

تجاهل (راند) الحشد وجلس على حافة الأساس الصخري العتيق وهو يشد عباءته على جسده وينظر إلى باب الحانة. (غيلدان)، (تار ڤالون)، الأسماء ذاتها كانت غريبة ومثيرة، إنها أماكن لا يعرفها إلا بأخبار الباعة الجائلين وحكايات حراس التجار. (آيز سيداي) وحروب و(تنانين كاذبون)؛ كانت هذه الأشياء تُذكر في الحكايات التي تُروى في وقت متأخر من الليل أمام المدفأة، مع شمعة واحدة تصنع أشكالًا غريبة على الجدار، والرياح تعوي وهي ترتطم بالنوافذ المغلقة، بشكل عام كان يعتقد أنه يفضل ما لديهم من عواصف ثلجية وذئاب، ومع ذلك لا شك أن الأمر

مختلف هناك، فيما وراء (النهرين)، كالعيش في وسط حكاية من حكايات صانعي البهجة. مغامرة، مغامرة واحدة طويلة، مغامرة تستمر العمر كله.

تفرق القرويون ببطء وهم ما زالوا يتمتمون ويهزون رؤوسهم. توقف (ويت كونجار) ليحدق إلى العربة التي تُركت وحدها، كأنه قد يجد بائعًا جائلًا آخر مختبئًا بداخلها. وأخيرًا لم يتبقَّ سوى عدد قليل من الصغار. اقترب (مات) و(بيرين) من حيث يجلس (راند).

قال (مات) بحماس: «لا أعرف كيف يمكن أن يتفوق صانع بهجة على هذا. تُرى هل سنرى هذا (التنين الكاذب)؟».

هز (بيرين) رأسه الأشعث وقال: «أنا لا أرغب في رؤيته، ربما في مكان آخر وليس هنا في (النهرين)، ما دامت رؤيته تعني الحرب».

أضاف (راند) قائلًا: «وما دام يعني مجيء (الآيز سيداي) إلى هنا أيضًا. أم هل نسيتما من تسبب في (تحطم العالم)؟ ربما يكون (التنين) هو من بدأه ولكن (الآيز سيداي) هم من حطموا العالم حقًّا».

قال (مات) ببطء: «لقد سمعت حكاية يومًا، من حارس أحد تجار الصوف. لقد قال إن (التنين) سيولد في الساعة التي تكون البشرية فيها في أمس الحاجة إليه، وإنه سينقذنا جميعًا».

قال (بيرين) بحزم: «لقد كان أحمق لتصديق هذا وكنت أنت أحمق للإنصات إليه». لم يكن صوته غاضبًا، فلم يكن من السهل إغضابه. ولكنه أحيانًا ما يشعر بالاستياء من تخيلات (مات) المتقلبة، وكان هناك لمسة من هذا الاستياء في صوته. «أفترض أنه قد زعم أيضًا أننا جميعًا سوف نحيا في (عصر أساطير) جديد بعد ذلك».

قال (مات) محتجًّا: «لم أقل إنني صدقته، قلت فقط إنني سمعته. لقد سَمِعتْ (ناينيف) ما قاله أيضًا، وأعتقد أنها كانت على وشك أن تسلخني حيًّا أنا والحارس على حد سواء. لقد قال الحارس إن كثيرًا من الناس

يؤمنون بهذا ولكنهم يخافون من قول هذا، يخافون من (الآيز سيداي) أو (أبناء النور). لم يقل أكثر من هذا بعد أن وبختنا (ناينيڤ) بحدة. لقد أخبرت التاجر وقال لها إن هذه هي آخر رحلة للحارس معه».

قال (بيرين): «هذا شيء جيد أيضًا. يقول إن (التنين) سينقذنا؟ يبدو هذا كحديث آل (كوبلِن)».

قال (راند) متسائلًا: «ما نوع الحاجة التي ستكون ماسة بما يكفي لكي نرغب في أن ينقذنا (التنين) منها؟ هذا يشبه أن تقول إننا سنطلب المساعدة من (سيد الظلام)».

أجابه (مات) في ضيق: «إنه لم يقل هذا، ولم يذكر (عصر أساطير) جديد، كل ما قاله هو أن العالم سيتمزق إربًا مع مجيء (التنين)».

قال (بيرين) بفتور: « تحطم آخر للعالم، هذا سينقذنا بالتأكيد».

قال (مات) متذمرًا: «أنا أقول لكما فقط ما سمعته من الحارس».

هز (بيرين) رأسه وقال: «أنا آمل فقط أن يبقى (الآيز سيداي) وهذا (التنين) ـ كاذب كان أم لا ـ حيث هم. ربما بهذه الطريقة ينجو (النهران)».

عقد (مات) حاجبيه مفكرًا وقال: «هل تعتقد حقًّا أنهن من (أصدقاء الظلام)؟».

سأله (راند): «من؟».

«(الآيز سيداي)».

نظر (راند) إلى (بيرين) الذي هز كتفيه، فبدأ حديثه ببطء قائلًا: «الحكايات...».

ولكن (مات) قاطعه على الفور قائلًا: «لا تقول كل الحكايات إنهم يخدمون (سيد الظلام) يا (راند)».

قال (راند): «بحق (النور) يا (مات)، لقد تسببوا في (تحطم العالم)، ما الذي تريده أكثر من هذا؟».

تنهد (مات) وقال: «أفترض هذا». ثم ابتسم وقال: «العجوز (بيلي كونجار) يقول إنه لا وجود لهم، (الآيز سيداي) و(أصدقاء الظلام)، يقول إنها مجرد حكايات. يقول إنه لا يؤمن بوجود (سيد الظلام) أيضًا».

قال (بيرين) ساخرًا: «واحد من آل (كونجار) يتفوه بهراء آل (كوبلِن)، ما الذي تتوقعه؟».

«لقد ذكر (بيلي) العجوز اسم (سيد الظلام)، أراهن أنكما لم تكونا تعرفان هذا».

شهق (راند) وقال: «بحق (النور)!».

اتسعت ابتسامة (مات) وقال: «لقد كان هذا في الربيع الماضي، تمامًا قبل أن تصيب الديدان القارضة حقوله دون أن تصيب حقول أي شخص آخر، تمامًا قبل أن يُصاب كل من في بيته بالحمى الصفراء. لقد سمعته ينطق به. إنه ما زال يزعم أنه لا يؤمن بوجود (سيد الظلام)، ولكن كلما طلبت منه أن يذكر اسمه ألقى بشيء في وجهي».

«أنت غبي بما يكفي حقًّا لفعل هذا يا (ماترم كاوثون)، أليس كذلك؟». اقتحمت (ناينيف ألميرا) خلوتهم وهي تجذب ضفيرتها السوداء على كتفها وتكاد تنفجر من الغضب. اعتدل (راند) واقفًا على قدميه على الفور. كانت الحكيمة أكثر نحافة منه وبالكاد أكثر طولًا من كتف (مات)، ولكنها في هذه اللحظة بدت أطول من أي واحد منهم، ولم يصنع كونها شابة وجميلة فارقًا. «كنت أرتاب في شيء من هذا القبيل بشأن (بيلي كونجار) في ذلك الوقت. ولكني كنت أظنك أكثر عقلانية من أن تحاول استفزازه لفعل هذا الشيء. قد تكون كبيرًا بما يكفي لكي تتزوج يا (ماترم كاوثون)، ولكن الحقيقة هي أنك يجب ألا تبتعد عن أربطة مئزر أمك. لا ينقصك إلا أن تذكر اسم (سيد الظلام) بنفسك».

قال (مات) محتجًا: «لا أيتها الحكيمة». بدا عليه أنه يتمنى لو كان في مكان آخر. «لقد كان العجوز بيل... أعني السيد (كونجار) وليس أنا! بحق الدماء والرماد، أنا...».

«انتبه لكلامك يا (ماترم)!».

اعتدل (راند) في وقفته، رغم أن نظرتها الحادة لم تكن موجهة إليه، وبدا (بيرين) خجلًا مثله. لاحقًا سيشتكي واحد منهم على الأغلب من تعرضه للتوبيخ من امرأة لا تكبره سنًّا بكثير. دومًا ما يفعل أحد هذا بعد أن توبخه (ناينيف)، إن لم يكن هذا على مسمع منها. ولكن الفجوة العمرية دائمًا ما تبدو أكثر من كافية عندما يقفون أمامها وجهًا لوجه، خصوصًا إن كانت غاضبة. كانت العصا التي تمسك بها في يدها سميكة في أحد طرفيها ونحيفة كالسوط في الطرف الآخر، ودومًا ما تبدو مستعدة لجلد أي شخص تعتقد أنه يتصرف بحماقة، على رأسه أو يديه أو ساقيه، بغض النظر عن عمره أو مكانته.

لقد جذبت الحكيمة انتباه (راند) حتى أنه لم يدرك في البداية أنها لم تكن وحدها. عندما أدرك خطأه بدأ يفكر في المغادرة، بغض النظر عما ستقوله (ناينيف) أو ما ستفعله لاحقًا.

كانت (إيجوين) واقفة على بعد بضع خطوات وراء الحكيمة وهي تراقب ما يحدث باهتمام. كانت بنفس طول (ناينيف) وبنفس الشعر الأسود، حتى بدت في هذه اللحظة كأنها انعكاس لحالة (ناينيف) المزاجية؛ ذراعاها معقودتان أسفل نهديها وفمها محكم الغلق في استهجان. كان غطاء الرأس بعباءتها الرمادية الناعمة يُلقي ظلالًا على وجهها، وعيناها البنيتان الكبيرتان لم يكن فيهما أي مرح.

قال لنفسه إنه لو كان هناك أي عدل فإن كونه أكبر منها بسنتين يجب أن يمنحه بعض المميزات، ولكن الحال لم يكن هكذا. في أفضل الأحوال لم يكن طليق اللسان مع فتيات القرية، ليس مثل (بيرين)، ولكن كلما

نظرت إليه (إيجوين) باهتمام بعينيها الواسعتين. كأنما كل ذرة من انتباهها مركزة عليه. يبدو عليه حينها أنه غير قادر على نطق الكلمات التي يرغب في قولها. ربما يمكنه الابتعاد بمجرد أن تنتهي (نواينيف) من حديثها، ولكنه كان يعرف أنه لن يفعل هذا، حتى لو لم يفهم السبب.

قالت (ناينيف): «إن كنت قد انتهيت من التحديق كخروف مذهول يا (راند ألثور) فربما يمكنك أن تخبرني لماذا كنتم تتحدثون عن شيء يجب أن يكون لديكم عقل كافٍ لتجنب الحديث عنه حتى لو كنتم ثلاثة عجول كبيرة».

جفل (راند) ثم أبعد عينيه عن (إيجوين) التي كانت قد ابتسمت ابتسامة قلقة عندما بدأت الحكيمة في الحديث. كان صوت (ناينيف) لاذعًا، ولكن كان هناك بداية ابتسامة متفهمة على وجهها أيضًا... حتى ضحك (مات) بصوت عالٍ فتلاشت ابتسامة الحكيمة ونظرت إلى (مات) نظرة جعلته يبتر ضحكته بحشرجة مختنقة.

قالت (ناينيف): «حسنًا يا (راند)؟».

من طرف عينه رأى أن (إيجوين) لا تزال مبتسمة، *ما الذي تظن أنه مضحك إلى هذه الدرجة*؟ قال على الفور: «لقد كان الحديث عنه بديهيًّا بما يكفي أيتها الحكيمة، البائع الجائل... (باداف فاين)... أقصد السيد (فاين) جلب أخبارًا عن (تنين كاذب) في (غيلدان)، وعن حرب، وعن (الآيز سيداي). لقد رأى (المجلس) أنه من المهم الحديث معه، فأي شيء آخر كنا سنتحدث عنه بدورنا؟».

هزت (ناينيف) رأسها وقالت: «إذن لهذا السبب تقف عربة البائع الجائل مهجورة. لقد سمعت الناس يسرعون للقائه ولكني لم أستطع أن أترك السيدة (آيلين) حتى تنكسر حمتها. أعضاء (المجلس) يستجوبون البائع الجائل بخصوص ما حدث في (غيلدان)، أليس كذلك؟ إن كنت أعرفهم جيدًا فإنهم يسألونه كل الأسئلة الخاطئة ولا يسألون أيًّا من الأسئلة

الصحيحة. سيحتاج الأمر إلى (دائرة النساء) لمعرفة أي شيء مفيد». ثم ثبتت عباءتها بحزم على كتفها وهي تختفي داخل الحانة.

لم تلحق (إيجوين) بالحكيمة، فبمجرد انغلاق الباب وراء (ناينيف) جاءت لتقف أمام (راند). لقد اختفى تقطيب الحاجبين من على جبينها، ولكن تحديقها دون أن يطرف لها جفن جعله يشعر بالتوتر. نظر إلى صديقيه ولكنهما تحركا مبتعدين وهما يبتسمان ابتسامة عريضة بينما يتخليان عنه.

قالت (إيجوين) بوقار كوقار الحكيمة ذاتها: «لا يجب عليك أن تدع (مات) يورطك في حماقاته يا (راند)». ثم ضحكت فجأة وقالت: «لم أرَك تبدو هكذا منذ أن أمسك (سين بوي) بك أنت و(مات) في أشجار تفاحه حين كنت في العاشرة».

تململ بقدميه وهو يختلس النظر إلى صديقيه، كانا يقفان على مسافة ليست ببعيدة، بينما (مات) يلوح بيديه في حماس وهو يتحدث.

«هل سترقصين معي في الغد؟». لم يكن هذا ما أراد أن يقوله. كان يريد أن يرقص معها، ولكن في الوقت نفسه لم يكن يريد أن يشعر بالحرج الذي لا مفر من الشعور به عندما تكون معه، وهو ما يشعر به في هذا الوقت.

انثنى طرفا فمها في ابتسامة صغيرة وقالت: «بعد الظهيرة، سوف أكون منشغلة في الصباح».

من ناحية صديقيه جاءت صيحة (بيرين): «صانع بهجة!».

التفتت (إيجوين) لتنظر إليهما ولكن (راند) وضع يده على ذراعها وقال: «منشغلة؟ كيف؟».

رغم برودة الجو إلا أنها دفعت غطاء رأسها إلى الوراء وجذبت شعرها إلى الأمام على كتفها بشكل عفوي، في آخر مرة رآها فيها كان شعرها

يتدلى على كتفيها في موجات داكنة، ولا يمنعه من الانسدال على وجهها سوى شريط أحمر. الآن كان شعرها مجدولًا في ضفيرة طويلة.

حدق إلى الضفيرة كأنها أفعى ثم اختلس النظر إلى (عمود الربيع)، واقفًا الآن وحده في (الساحة الخضراء)، مستعدًّا من أجل الغد. في الصباح سيرقص حول (العمود) النساء غير المتزوجات اللواتي قد بلغن سن الزواج. ازدرد لعابه بصعوبة، بطريقة ما لم يخطر على باله قط أنها ستبلغ سن الزواج في نفس الوقت الذي سيبلغه فيه.

تمتم قائلًا: «إن بلوغ المرء سن الزواج لا يعني أنه يجب أن يتزوج، ليس على الفور».

«بالطبع لا، أو على الإطلاق في الحقيقة».

رمش (راند) بعينيه وقال: «على الإطلاق؟».

«الحكيمات لا يتزوجن تقريبًا. إن (ناينيڤ) تعلمني، تقول إن لدي موهبة، وإن بمقدوري أن أتعلم الإصغاء إلى الرياح. تقول (ناينيڤ) إنه ليس كل الحكيمات يستطعن فعل هذا، حتى لو زعمن أنهن يفعلن».

صاح في دهشة: «حكيمة!». ولم ينتبه إلى البريق الخطير في عينيها. «(ناينيڤ) ستكون الحكيمة هنا لخمسين سنة أخرى على الأقل، وربما أكثر، هل ستقضين ما تبقى من حياتك تلميذة لها؟».

أجابته بحماس: «هناك قرى أخرى، تقول (ناينيڤ) إن القرى شمال (نهر تارين) دومًا ما تختار حكيمة من مكان بعيد؛ يعتقدون أن هذا يمنعها من أن يكون لها أشخاص مفضلون بين سكان القرية».

تلاشى إحساسه بالمرح، بنفس السرعة التي راوده بها، وقال: «خارج (النهرين)؟ لن أراك مرة أخرى».

«ولن يعجبك ذلك؟ أنت لم تبدِ أي إشارة مؤخرًا على أنك تبالي بطريقة أو بأخرى».

أكمل حديثه قائلًا: «لا أحد يغادر (النهرين) مطلقًا. ربما يفعل هذا شخص من (تارين فيري)، ولكن جميعهم غرباء على أي حال. بالكاد يشبهون قاطني (النهرين) على الإطلاق».

تنهدت (إيجوين) في حنق وقالت: «حسنًا، ربما أنا غريبة أيضًا، ربما أرغب في أن أرى بعض الأماكن التي سمعت عنها في الحكايات. هل فكرت في هذا من قبل؟».

«لقد فكرت بالطبع، أحيانًا ما تراودني أحلام اليقظة، ولكني أعرف الفرق بين أحلام اليقظة وما هو حقيقي».

قالت في غضب: «وأنا لا أعرف؟». ثم أدارت ظهرها له على الفور.

«لم يكن هذا ما قصدته. لقد كنت أتحدث عن نفسي. (إيجوين)؟».

جذبت عباءتها حول نفسها بحركة عنيفة كجدار يفصل بينهما، ثم سارت بحسم بضع خطوات مبتعدة عنه. أخذ يفرك رأسه في إحباط. كيف يشرح لها؟ لم تكن هذه المرة الأولى التي تستخرج فيها من كلماته معاني لم يكن يعلم أنها موجودة فيها. أي كلمة خاطئة في حالتها المزاجية الحالية ستزيد الأمر سوءً، وكان واثقًا تمامًا من أن أي شيء سيقوله تقريبًا سيكون كلمة خاطئة.

جاء (مات) و(بيرين) في هذه اللحظة فتجاهلت (إيجوين) مجيئهما. نظرا إليها بتردد ثم اقتربا من (راند). قال (مات): «(بيرين) أيضًا قد أعطته (مويرين) عملة معدنية، تمامًا كعملتنا». ثم صمت قبل أن يضيف: «كما أنه قد رأى الفارس».

سأله (راند): «أين؟ متى؟ هل رآه أي شخص آخر؟ هل أخبرت أي شخص؟».

رفع (بيرين) يديه العريضتين مشيرًا له أن يتمهل وهو يقول: «سؤال واحد في المرة، لقد رأيته عند حافة القرية، يراقب ورشة الحدادة، بالأمس

قرب غروب الشمس. لقد أصابني بالقشعريرة. لقد أخبرت السيد (لوهان) ولكن لم يكن ثمة أحد هناك عندما نظر. لقد قال إنني لم أرَ سوى الظلال، ولكنه كان يحمل أكبر مطرقة معه بينما هو يذكي النار بالورشة ويضع أدوات الحدادة في متناول اليد، إنه لم يفعل هذا مطلقًا من قبل».

قال (راند): «إذن فقد صدقك».

ولكن (بيرين) هز كتفيه وقال: «لا أعرف، لقد سألته لمَ يحمل المطرقة إن كان كل ما رأيته هو الظلال، فقال شيئًا عن الذئاب التي صارت جريئة بما يكفي للمجيء إلى القرية. ربما ظن أن هذا ما رأيته، ولكنه بالتأكيد يعرف أنني أستطيع التمييز بين ذئب ورجل على صهوة حصانه حتى في الغسق. أنا أعرف ما رأيته ولن يجعلني أحد أصدق شيئًا سوى هذا».

قال (راند): «أنا أصدقك، لا تنسَ أني رأيته أيضًا». تنهد (بيرين) في رضا، كأنما لم يكن واثقًا من هذا.

سألتهم (إيجوين) فجأة: «ما الذي تتحدثون عنه؟».

تمنى (راند) فجأة لو أنه تحدث بصوت خافت أكثر، كان سيفعل هذا إن أدرك أنها تصغي إليهم. ابتسم (مات) و(بيرين) في بلاهة، وهما يتسابقان ليخبرها كل واحد منهما بلقائه مع الفارس المتشح بالسواد، ولكن (راند) ظل صامتًا. كان واثقًا من أنه يعرف ما ستقوله بعد أن ينتهيا من الحديث.

بعدما صمت الشابان نظرت (إيجوين) إلى السماء وقالت: «كانت (ناينيف) محقة، لم يشب أي منكم عن الطوق بعد. الناس يركبون الأحصنة دومًا، هذا لا يجعلهم وحوشًا من حكايات صانعي البهجة». أومأ (راند) لنفسه، لقد فعلت تمامًا ما كان يتوقعه. التفتت إليه وقالت: «وأنت كنت تنشر هذه الحكايات. أحيانًا لا يكون لديك أي عقل يا (راند ألثور). لقد كان الشتاء مخيفًا بما يكفي بدون نشر تلك الحكايات التي تخيف الأطفال».

نظر (راند) إليها متجهمًا في حنق وقال: «أنا لم أنشر أي شيء يا (إيجوين)، ولكني رأيت ما رأيت، وهذا لم يكن مزارعًا خارجًا للبحث عن بقرة شاردة».

أخذت (إيجوين) نفسًا عميقًا وفتحت فمها، ولكن أيًّا كان ما ستقوله فإنه قد اختفى عندما انفتح باب الحانة ليخرج منه رجل أشعث الشعر مسرعًا كأنما هناك من يلاحقه.

الفصل الرابع

صانع البهجة

انغلق باب الحانة بقوة وراء الرجل أبيض الشعر، الذي دار حول نفسه ليحدق إليه. كان نحيلًا، وطويل القامة لولا انحناء كتفيه، ولكنه كان يتحرك برشاقة تتناقض مع عمره الظاهري. كانت عباءته الغريبة مكونة من رقع كثيفة، متباينة الأشكال والأحجام، وترفرف مع كل هبة هواء، رقع بمئات الألوان. رأى (راند) أنها ثقيلة حقًّا رغم ما قاله السيد (ألڤير)، وقد حيكت الرقع في بعضها بعضًا كالزخارف.

همست (إيجوين) في حماس: «صانع البهجة!».

دار الرجل أبيض الشعر حول نفسه فتطايرت عباءته. كان معطفه الطويل له كُمَّان غريبان منتفخان، وجيوب كبيرة. ارتجف شاربه الكث . ناصع البياض كشعر رأسه . حول فمه، بينما وجهه كان متغضنًا كشجرة رأت أيامًا عصيبة. أشار بإلحاح إلى (راند) والآخرين بغليون طويل منحوت بشكل مزخرف يخلف وراءه خيطًا رفيعًا من الدخان. حدقت عيناه الزرقاوان من أسفل حاجبين أبيضين كثيفين تسبران أغوار كل ما تنظران إليه.

حدق (راند) إلى عيني الرجل بقدر ما يحدق إلى كل شيء آخر فيه. كل شخص في (النهرين) له عينان سوداوان، وكذلك معظم التجار وحراسهم وكل شخص آخر قد رآه من قبل في حياته. كان آل (كونجار) وآل (كوبلِن) يسخرون منه لعينيه الرماديتين، حتى اليوم الذي لكم فيه (إوال كوبلِن) في أنفه، وقد وبخته الحكيمة حقًّا لفعل هذا. لطالما تساءل إن كان هناك مكان لا يوجد فيه أحد بعينين سوداوين. ربما قد أتى (لان) من هناك أيضًا.

«ما هذا المكان؟». تساءل صانع البهجة بصوت عميق بدا بشكل ما أكبر بكثير من صوت الرجل العادي، حتى في الهواء الطلق بدا أنه يملأ هذه المساحة الكبيرة ويتردد صداه من على الجدران. «هؤلاء القرويون السذج في تلك القرية على التل قد أخبروني أنه يمكنني الوصول إلى هنا قبل حلول الظلام، دون أن يخبروني أن هذا فقط إذا غادرت قبل الظهيرة. عندما وصلت إلى هنا أخيرًا وقد جمد البرد الدماء في عروقي، وأنا في أمس الحاجة إلى فراش دافئ، تذمر صاحب الحانة لوصولي في وقت متأخر كما لو أنني خنزير هائم على وجهه، وكأن (مجلس قريتكم) لم يتوسل إليَّ لاستعراض فني في عيدكم هذا. كما أنه لم يخبرني قط أنه العمدة». صمت ليلتقط أنفاسه وهو يحدق إليهم جميعًا ثم استأنف حديثه على الفور قائلًا: «عندما نزلت من غرفتي لأدخن غليوني أمام النار وأتناول قدحًا من الجعة نظر إليَّ كل رجل في الحجرة العامة كأنني شخص يبغضونه من أقاربهم قد جاء ليقترض المال. جد عجوز منهم بدأ يصرخ في وجهي عن نوع الحكايات التي يجب أو لا يجب أن أحكيها، ثم صرخت طفلة في وجهي لكي أخرج وهددتني بهراوة عظيمة عندما لم أتحرك بالسرعة الكافية بالنسبة لها. من سمع من قبل عن معاملة صانع بهجة بمثل هذه الطريقة؟».

كان وجه (إيجوين) مشدوهًا، وعيناها المتسعتان بانبهار وهي تنظر إلى صانع البهجة بشحمه ولحمه قد شابتهما الرغبة في الدفاع عن (نايناييف).

قال (راند): «المعذرة يا سيدي صانع البهجة». كان يعرف أنه يبتسم بحماقة بدوره. «كانت هذه هي (حكيمتنا) و...».

صاح صانع البهجة: «هذه الفتاة الجميلة الصغيرة هي حكيمة القرية؟ من الأفضل لمن هي في مثل عمرها أن تغازل الشباب بدلًا من التنبؤ بالطقس وعلاج المرضى».

تململ (راند) في توتر وهو يأمل ألا تسمع (ناينيف) رأي هذا الرجل، على الأقل حتى ينتهي من استعراضه. تجهم (بيرين) مع كلمات صانع البهجة وأطلق (مات) صفيرًا غير مسموع، كأن كليهما يفكر فيما يفكر فيه راند.

أكمل (راند) قائلًا: «هؤلاء الرجال هم أعضاء (مجلس القرية)، أنا واثق أنهم لم يقصدوا سوء المعاملة، الأمر وما فيه أننا قد عرفنا للتو أن هناك حربًا في (غيلدان)، وأن هناك رجلًا يزعم أنه (التنين العائد). أقصد (تنينًا كاذبًا). (الآيز سيداي) قد تحركن من (تار ڤالون) متجهات إلى هناك. (المجلس) يحاول أن يقرر إذا ما كنا عرضة للخطر هنا».

قال صانع البهجة بلا اكتراث: «هذه أخبار قديمة، حتى في (بايرلون) وهو آخر مكان في العالم يسمع عن أي شيء». ثم صمت وهو يتلفت حوله ناظرًا إلى القرية قبل أن يقول بفتور: «يكاد يكون آخر مكان». ثم وقع بصره على العربة الواقفة وحدها أمام الحانة ومقبضاها مستقران على الأرض، فقال: «هكذا إذن، لقد خيل إليَّ أني تعرفت على (بادان فاين) هناك بالداخل». كان صوته لا يزال عميقًا، ولكن صداه قد اختفى وحل محله الازدراء. «إن (فاين) دومًا ما يحمل الأخبار السيئة بسرعة، وكلما كانت أسوأ حملها بشكل أسرع. إنه غراب أكثر منه إنسان».

قالت (إيجوين) وقد شابت بهجتها لمحة من الاستياء: «إن السيد (فاين) كثيرًا ما يأتي إلى (إيموندز فيلد) يا سيدي صانع البهجة، ودومًا ما يكون مرحًا ويحمل من الأخبار الجيدة ما هو أكثر بكثير من الأخبار السيئة».

نظر صانع البهجة إليها للحظة ثم ابتسم ابتسامة عريضة وقال: «يا لك من فتاة جميلة، يجب أن يكون هناك براعم زهور في شعرك، لسوء الحظ لا يمكنني أن أوجد الزهور من الفراغ، ليس هذا العام. ولكن ما رأيك أن تقفي إلى جواري في الغد وتصيري جزءً من استعراضي؟ تناولينني المزمار عندما أحتاجه، وبعض الأدوات المعينة الأخرى. دومًا ما أختار أجمل فتاة أستطيع العثور عليها لتكون مساعدتي».

ضحك (بيرين) بينما تحولت ابتسامة (مات) الساخرة إلى قهقهة عالية. لم يبتسم (راند) حتى، بل نظر في دهشة إلى (إيجوين) التي حدجته بنظرها.

اعتدلت في وقفتها وتحدثت بصوت هادئ للغاية: «شكرًا لك يا سيدي صانع البهجة، سأكون مسرورة لمساعدتك».

قال صانع البهجة: «(توم ميريلين)». حدقوا إليه فقال: «اسمي (توم ميريلين) وليس السيد صانع البهجة». ثم ربط عباءته متعددة الألوان على كتفيه، وفجأة بدا صوته مرة أخرى كأنما يتردد صداه في بهو واسع: «كنت ذات يوم شاعر بلاط، وقد ترقيت في المراتب حقًّا حتى صرت السيد صانع البهجة، ومع ذلك فإن اسمي ببساطة هو (توم ميريلين). وصانع البهجة هو اللقب البسيط الذي أفتخر به». ثم انحنى انحناءة مسرحية مع زخارف عباءته حتى أن (مات) صفق بيديه وغمغمت (إيجوين) بإعجاب.

قال (مات): «سيدي... سيد (ميريلين)». لم يكن واثقًا بالضبط من صيغة المخاطبة التي يمكن أن يستخلصها مما قاله (توم ميريلين). «ما الذي يحدث في (غيلدان)؟ هل تعرف أي شيء عن هذا (التنين الكاذب)؟ أو (الآيز سيداي)؟».

قال صانع البهجة متذمرًا: «هل أبدو لك كبائع جائل أيها الفتى؟». ثم نقر بغليونه على باطن يده، وبشكل ما جعل الغليون يختفي داخل عباءته أو معطفه، لم يكن (راند) واثقًا أين اختفى أو كيف. «أنا صانع بهجة

ولست مروج أخبار، وأنا أحرص على عدم معرفة أي شيء عن (الآيز سيداي)، هكذا يبقى المرء آمنًا».

حاول (مات) أن يتحدث بلهفة قائلًا: «ولكن الحرب...».

فقاطعه السيد (ميريلين) على الفور: «الحمقى يقتلون الحمقى لأسباب حمقاء في الحروب يا فتى. لا يحتاج أحد أن يعرف أكثر من هذا. أنا هنا من أجل فني». ثم أشار بإصبعه ناحية (راند) فجأة وقال: «أنت أيها الفتى، أنت طويل القامة، لم يكتمل نموك بعد ولكني أشك أن هناك رجلًا آخر في المنطقة بمثل طولك، أراهن أنه لا يوجد الكثيرون ممن يمتلكون عينين بهذا اللون أيضًا. الخلاصة هي أنك عريض المنكبين، وأنك طويل كرجل من (آييل). ما اسمك يا فتى؟».

أخبره (راند) باسمه مترددًا، لم يكن واثقًا إن كان الرجل يسخر منه أم لا، ولكن صانع البهجة كان قد حول انتباهه إلى (بيرين) بالفعل قائلًا: «وأنت بحجم واحد من (الأوجير) تقريبًا. بم ينادونك؟».

ضحك (بيرين) وقال: «لن أكون بحجم واحد منهم ما لم يتضاعف حجمي على الأقل. أخشى أنني و(راند) لسنا سوى شخصين عاديين يا سيد (ميريلين)، ولسنا مخلوقات مختلقة من حكاياتك. اسمي (بيرين آيبارا)».

جذب (توم ميريلين) شاربه وقال: «مخلوقات مختلقة من حكاياتي، أهي كذلك حقًّا؟ يبدو أنكم تسافرون بعيدًا إذن أيها الفتية».

أبقى (راند) فمه مغلقًا، فقد كان واثقًا أنه يسخر منهم بطريقة ما، ولكن (بيرين) واصل الحديث: «لقد ذهبنا إلى أماكن بعيدة مثل (واتش هيل) و(ديفِن رايد). لم يذهب العديد من قاطني قريتنا بعيدًا إلى هذا الحد». لم يكن (بيرين) يتفاخر، فنادرًا ما يفعل هذا، بل كان يقول الحقيقة فحسب.

أضاف (مات) وقد بدا متفاخرًا: «لقد رأينا (الماير) أيضًا، وهو المستنقع الواقع في الطرف البعيد من (غابة الماء). لا أحد غيرنا يذهب إلى هناك على الإطلاق، فهو مكان مليء بالرمال المتحركة وبرك الوحل، ولا أحد يذهب إلى (جبال الضباب) أيضًا، ولكن نحن فعلنا هذا مرة، أو بالأحرى إلى سفح تلك الجبال».

تمتم صانع البهجة وهو يمسد شاربه: «بعيدًا إلى هذا الحد؟». خيل إلى (راند) أنه يخفي ابتسامة، ورأى (بيرين) متجهمًا.

قال (مات) كأنما ليبرر عدم ابتعاده أكثر من هذا: «إن صعود هذه الجبال يجلب الحظ السيئ، الجميع يعرفون هذا».

تدخلت (إيجوين) قائلة في غضب: «هذه مجرد حماقة يا (ماترم كاوثون). تقول (ناينيف)...». ثم صمتت وقد توردت وجنتاها ولم تعد النظرة التي تنظر بها إلى (توم ميريلين) ودية كما كانت وقالت له: «ليس من اللائق أن تجعله... هذا ليس...». ازداد وجهها احمرارًا ولاذت بالصمت. رمش (مات) بعينيه كأنما قد أدرك للتو ما الذي يحدث.

قال صانع البهجة بنبرة نادمة: «أنت محقة يا طفلتي، أعتذر بكل تواضع، أنا هنا للترفيه. أحيانًا ما يوقعني لساني في المتاعب».

قال (بيرين) بنبرة خالية من المشاعر: «ربما لم نسافر بعيدًا بقدر ما سافرت أنت، ولكن ما علاقة طول (راند) بأي شيء؟».

«الأمر وما فيه يا فتى هو أنني بعد قليل سأجعلك تحاول حملي، ولكنك لن تكون قادرًا على رفع قدمي عن الأرض. لا أنت ولا صديقك الطويل هذا - (راند) أليس كذلك؟ - ولا أي رجل آخر. والآن ما رأيك في هذا؟».

ضحك (بيرين) ساخرًا وقال: «أعتقد أنني أستطيع حملك الآن». ولكنه عندما خطا إلى الأمام أشار له (توم ميريلين) لكي يتراجع إلى الوراء وقال:

«لاحقًا يا فتى، لاحقًا عندما يكون هناك المزيد من الناس ليشاهدوا الأمر. أي فنان يحتاج إلى جمهور».

كان هناك عدد من الناس قد اجتمعوا في (الساحة الخضراء) منذ أن خرج صانع البهجة من الحانة؛ شباب ونساء، وحتى أطفال يختلسون النظر بأعين واسعة صامتة من وراء المتفرجين الأكبر سنًّا. بدا الجميع وكأنهم ينتظرون معجزات من صانع البهجة. نظر إليهم الرجل أبيض الشعر، وبدا أنه يحصي عددهم، ثم هز رأسه وتنهد.

«أعتقد أنه من الأفضل أن أريكم عينة بسيطة لكي تركضوا وتخبروا الآخرين، مجرد لمحة مما سترونه غدًا في العيد».

تراجع خطوة للوراء، وفجأة قفز في الهواء ليتلوى ويتشقلب قبل أن يهبط لينظر إليهم من فوق قمة الأساس الصخري القديم. وعلاوة على ذلك كان هناك ثلاث كرات - حمراء وبيضاء وسوداء - تتراقص بين يديه حتى أثناء هبوطه.

ند صوت خافت عن المتفرجين يمزج ما بين الدهشة والرضا. حتى (راند) نسي غضبه. نظر إلى (إيجوين) بابتسامة خاطفة فأجابته بابتسامة مبتهجة، ثم نظر كلاهما بلا خجل إلى صانع البهجة.

صاح (توم ميريلين): «تريدون الحكايات؟ أنا لدي حكايات وسأحكيها لكم، سأجعلها تنبض بالحياة أمام أعينكم». ظهرت كرة زرقاء من مكان ما لتنضم للبقية، ثم كرة خضراء، ثم كرة صفراء. «حكايات عن حروب عظيمة وأبطال عظام، من أجل الرجال والفتيان. سلسلة حكايات (أبتاريجين) كاملة من أجل النساء والفتيات. حكايات (أرتور بايندراج تانريال)، (أرتور هاوكوينج)، (أرتور المللك السامي) الذي حكم ذات يوم كل الأراضي من (فلاة آيل) حتى (محيط آريث)، وحتى ما هو أبعد من هذا. حكايات عجيبة عن أشخاص غرباء وأراضٍ غريبة، عن (الرجل الأخضر)، عن (الترولوكيين) و(الحماة)، عن (الأوجير)

و(الآييل). الحكايات الألف عن (آنلا المستشارة الحكيمة). (جايم الذي قتل العملاق). (كيف استطاعت سوزا ترويض جين فارسترايدر). (مارا والملوك الحمقى الثلاثة)».

نادته (إيجوين) قائلة: «أخبرنا عن (لين)، كيف حلق إلى القمر في بطن عُقابٍ مصنوع من نار، وأخبرنا عن ابنته (ساليا) التي تمشي بين النجوم».

نظر (راند) إليها من طرف عينه، ولكن انتباهها بدا منصبًّا بالكامل على صانع البهجة. لم تعجبها قط حكايات المغامرات والرحلات الطويلة، إن حكاياتها المفضلة دومًا هي الحكايات المضحكة، أو حكايات عن نساء يتغلبن بذكائهن على أناس من المفترض أن يكونوا أذكى من أي شخص آخر. كان واثقًا من أنها طلبت حكايات (لين) و(ساليا) لكي تثير غيظه. من المؤكد أنها تستطيع أن ترى أن العالم الخارجي ليس المكان المناسب لقاطني (النهرين). أن تستمع إلى هذه الحكايات عن المغامرات أو حتى تحلم بها لهو أمر مختلف تمامًا عن أن تحدث هذه الأشياء حولك.

قال (توم ميريلين): «هذه حكايات قديمة». وفجأة صار يتلاعب بثلاث كرات ملونة في كل يد. «يقول البعض إنها حكايات من العصر الذي يسبق (عصر الأساطير)، وربما أقدم. ولكن أنا لدي كل الحكايات، تذكروا هذا، عن العصور التي كانت والعصور التي ستكون. العصور التي حكم فيها الإنسان السماوات والنجوم، والعصور التي جاب فيها الإنسان الأرض كأخ للحيوانات. عصور العجائب وعصور الرعب. عصور انتهت بنيران تمطر من السماوات وعصور فنت بالثلج والجليد الذي غطى البر والبحر. لدي كل الحكايات وسأخبركم بكل الحكايات. حكايات (موسك العملاق) ورمحه الناري الذي يمكنه أن يصل إلى جميع أنحاء العالم وحروبه مع (إلسبيت ملكة كل شيء). حكايات (ماتيريز المعالجة) والدة (إند العجيب)».

في تلك اللحظة كانت الكرات تتراقص بين يدي (توم) في دائرتين متداخلتين. كان صوته أشبه بالغناء وكان يتلفت ببطء وهو يتحدث كأنه يتفحص المتفرجين ليقيس تأثيره عليهم. «سوف أخبركم عن نهاية (عصر الأساطير)، عن (التنين) ومحاولته تحرير (سيد الظلام) وجلبه إلى عالم البشر. سوف أخبركم عن (زمن الجنون) عندما حطم (الآيز سيداي) العالم، عن (حروب الترولوك) عندما تصارع البشر مع (الترولوكيين) من أجل حكم الأرض، عن (حرب المئة عام) عندما تصارع البشر وظهرت الأمم الموجودة في عالمنا اليوم. سوف أخبركم عن مغامرات الرجال والنساء، الأغنياء والفقراء، عن الكبار والصغار، المتفاخرين والمتواضعين. (حصار أعمدة السماء). كيف استطاعت الزوجة الصالحة (كاريل) أن تعالج زوجها من الشخير. الملك (داريث) وسقوط عشيرة...».مكتبة سُر مَن قرأ

فجأة توقف تدفق الكلمات والتلاعب بالكرات في وقت واحد. ببساطة اختطف (توم) الكرات من الهواء وتوقف عن الحديث. كانت (مويرين) قد انضمت إلى المستمعين دون أن يلاحظها (راند). كان (لان) واقفًا إلى جوارها ولكن كان على (راند) أن يمعن النظر لكي يرى الرجل. للحظة نظر (توم) إلى (مويرين) بطرف عينه، بينما وجهه وجسده ساكنان إلا من حركة جعلت الكرات تختفي في كمي معطفه الواسعين، ثم انحنى لها وهو يفرد عباءته قائلًا: «عذرًا، ولكن أنتِ بالتأكيد لستِ من هذه المقاطعة».

قال (إوين) بفحيح غاضب: «السيدة النبيلة! السيدة (مويرين)!».

رمش (توم) بعينيه ثم انحنى مرة أخرى انحناءة أكبر وقال: «أعتذر ثانية يا... سيدتي النبيلة. لم أقصد أي إهانة».

لوحت (مويرين) بيدها بلا اكتراث وقالت: «لم أشعر بأي إهانة يا سيدي الشاعر، واسمي ببساطة هو (مويرين). أنا غريبة عن هنا بالفعل، مسافرة مثلك. وحيدة وبعيدة عن دياري. يمكن للعالم أن يصير مكانًا خطيرًا عندما يكون المرء غريبًا».

قال (إوين): «السيدة (مويرين) تجمع الحكايات؛ حكايات عن أشياء قد حدثت في (النهرين)، رغم أنني لا أعرف ما الذي حدث هنا ويمكن عمل حكاية منه».

«أنا واثق أن حكاياتي ستعجبك أيضًا يا... (مويرين)». كان (توم) يراقبها بحذر واضح، لم يبدُ عليه أنه مسرور للغاية بوجودها. فجأة تساءل (راند) عن نوع الترفيه الذي يمكن أن يعرض أمام سيدة مثلها في (بايرلون) أو (كايملين). بالتأكيد لا يمكن أن يكون أي شيء أفضل من صانع بهجة.

أجابته (مويرين): «الأمر يتوقف على الذائقة يا سيدي الشاعر، بعض الحكايات يعجبني وبعضها لا يعجبني».

انحنى (توم) انحناءته الأكبر حتى الآن، فقد ثنى جسده الطويل ليصير موازيًا للأرض، قبل أن يقول: «أؤكد لكِ أنه لا يوجد واحدة من حكاياتي لن تعجبك، جميعها ستنال إعجابك وستسليكِ. أنتِ تمنحينني شرفًا كبيرًا، أنا مجرد صانع بهجة بسيط ولا شيء أكثر من هذا».

أجابت (مويرين) انحناءته بإيماءة كريمة. للحظة بدت أكثر من ذي قبل أنها سيدة نبيلة كما أسماها (إوين)، تقبل عرضًا من أحد رعاياها. ثم استدارت مبتعدة فلحق بها (لان) كذئب يتعقب بجعة تمشي برشاقة. لاحقهما (توم) بنظره وحاجباه الكثيفان معقودان وهو يمسد شاربه الطويل بمفصل إصبعه حتى صارا في منتصف الطريق عبر (الساحة الخضراء). قال (راند) لنفسه: إنه لا يبدو مسرورًا على الإطلاق.

سأله (إوين): «هل ستتلاعب بالكرات مرة أخرى؟».

صاح (مات): «فلتأكل النار، أُريد أن أراك تأكل النار».

صاح صوت من الحشد: «القيثارة! فلتعزف على القيثارة!». وناداه شخص آخر ليعزف على المزمار.

في تلك اللحظة انفتح باب الحانة، وخرج منه أعضاء (مجلس القرية)، و(نانيف) في منتصفهم. رأى (راند) أن (بادان فاين) لم يكن معهم، يبدو أن البائع الجائل قرر أن يبقى في الحجرة العامة الدافئة مع نبيذه الساخن.

قفز (توم ميريلين) فجأة هابطًا من فوق الأساس القديم وهو يتمتم بشيء عن «شراب مركز من البراندي». تجاهل صيحات هؤلاء الذين كانوا يراقبونه وهو يشق طريقه من بين أعضاء (المجلس) قبل أن يخرجوا جميعًا من الباب.

سأل (سين بوي) بنبرة منزعجة: «هل من المفترض أن يكون صانع بهجة أم ملكًا؟ إنه مجرد إهدار للمال من وجهة نظري».

استدار (بران ألڤير) ليلاحق صانع البهجة بنظره قبل أن يهز رأسه ويقول: «ربما يكلفنا هذا الرجل عناءً أكثر مما يستحق».

(نانيف) ـ التي كانت منشغلة بضم عباءتها على جسدها ـ استنشقت الهواء بصوت مرتفع ثم قالت: «فلتقلق بشأن صانع البهجة إن كنت تريد يا (براندلوين ألڤير)، إنه هنا في (إيموندز فيلد) على الأقل، وهو أكثر مما يمكنك قوله بشأن هذا (التنين الكاذب)، ولكن طالما أنت قلق فهناك أشخاص آخرون هنا يجب أن يثيروا قلقك».

قال (بران) بحزم: «رجاءً أيتها الحكيمة فلتتركيني أقرر بنفسي من الذي يجب أن يقلقني. السيدة (مويرين) والسيد (لان) هما ضيفان في حانتي، وهما شخصان فاضلان محترمان من وجهة نظري. لم ينعتني أي منهما بالأحمق أمام (المجلس) بالكامل. ولم يخبر أحدهما أعضاء (المجلس) أنه لا يوجد شخص بالذكاء الكافي بينهم».

قالت (نانيف): «يبدو لي أني قد بالغت في تقديري». ثم بدأت تمشي مبتعدة دون أن تنظر نظرة واحدة وراءها، تاركة فم (بران) مفتوحًا بينما يبحث عن رد.

نظرت (إيجوين) إلى (راند) كأنما على وشك أن تتحدث، ولكن بدلًا من ذلك اندفعت مسرعة وراء الحكيمة. كان (راند) يعرف أنه لا بد من وجود طريقة ما لمنعها من مغادرة (النهرين)، ولكن الطريقة الوحيدة التي يمكنه أن يفكر فيها لم يكن مستعدًّا لها، حتى لو كانت ستوافق. وما قالته يدل على أنها لم تكن موافقة على الإطلاق مما جعله يشعر بضيق أكبر.

قال (سين بوي) وهو يقف على أطراف أصابعه: «هذه الشابة تحتاج إلى زوج». كان وجهه بنفسجيًّا ويزداد احتقانًا. «إنها تفتقر إلى الاحترام اللائق، نحن (مجلس القرية)، ولسنا صِبيةً ينبشون فناء بيتها، و...».

أخذ العمدة نفسًا عميقًا من أنفه ثم التفت فجأة إلى عامل القش العجوز وصاح: «اصمت يا (سين)، وكف عن التصرف كرجل بلثام أسود من (آييل)!». تجمد الرجل النحيف في دهشة وهو واقف على أطراف أصابعه. لم يسمح العمدة لأعصابه بأن تنفلت من قبل. قال (بران) بغضب: «لدينا أمور لنهتم بها أفضل من هذه الحماقة. أم أنك ترغب في أن تثبت أن (نانيف) محقة؟». ثم خطا عائدًا إلى الحانة قبل أن يصفق الباب وراءه.

نظر أعضاء (المجلس) إلى (سين) ثم انصرفوا كل منهم في طريقه. لم يتبقَّ منهم سوى (هارال لوهان)، الذي وقف إلى جوار عامل القش المتجهم وهو يتحدث بصوت خافت. كان الحداد هو الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يجعل (سين) يفكر بشكل عقلاني.

ذهب (راند) لكي يقابل أباه وصديقاه يتبعانه.

بدأ (راند) حديثه مع أبيه قائلًا: «لم أرَ السيد (ألفير) بمثل هذا الغضب من قبل».

ظهر الامتعاض على وجه (تام) الذي قال: «نادرًا ما يتفق العمدة والحكيمة، وقد كانا اليوم أقل اتفاقًا عن المعتاد. هذا هو كل ما في الأمر. إنه الشيء ذاته في كل قرية».

قال (مات) متسائلًا: «ماذا عن (التنين الكاذب)؟». فأضاف (بيرين) بتمتمة متحمسة: «وماذا عن (الآيز سيداي)؟».

هز (تام) رأسه ببطء وقال: «السيد (فاين) لا يعرف أكثر مما قاله لنا بالفعل إلا القليل، القليل مما يثير اهتمامنا على الأقل. الانتصار في المعارك أو الهزيمة فيها، المدن التي تُحتَل أو تُحرَّر، كل هذا في (غيلدان)، حمدًا (للنور). إنه لم ينتشر بعد، أو على الأقل هذا ما يعرفه السيد (فاين)».

قال (مات): «المعارك تثير اهتمامي». وأضاف (بيرين): «ماذا قال عن المعارك؟».

قال (تام): «المعارك لا تثير اهتمامي يا (ماترم)، ولكني واثق أنه سيكون مسرورًا لأن يخبرك بكل شيء عنها لاحقًا. ما يهمني حقًّا هو أننا يجب ألا نقلق بشأنها هنا حسبما يرى (المجلس). لا يمكننا أن نجد سببًا لأن يأتي (الآيز سيداي) إلى هنا في طريقهم إلى الجنوب. أما بالنسبة لرحلة العودة فليس من المرجح أنهم سيرغبون في عبور (غابة الظلال) أو أن يسبحوا عبر (النهر الأبيض)».

ضحك (راند) وصديقاه لمجرد التفكير في الأمر. كان هناك ثلاثة أسباب لعدم مجيء أي شخص إلى (النهرين) إلا من ناحية الشمال عن طريق (تارين فيري). أولهم بالطبع كان (جبال الضباب) في الغرب، ومن ناحية الشرق كان مستنقع (الماير) يعيق الطريق بنفس الكفاءة، أما من ناحية الجنوب فكان (النهر الأبيض) الذي اكتسب اسمه من الطريقة التي تحول فيها صخوره وجلاميده الماء إلى زَبَد، ووراء (النهر الأبيض) تقع (غابة الظلال). قليل من قاطني (النهرين) قد عبروا (النهر الأبيض)، وعدد أقل بقليل منهم قد عاد. لقد كان من المتفق عليه بشكل عام أن (غابة الظلال) تمتد جنوبًا لمئة ميل أو أكثر، بلا طريق ممهد أو قرية، ولكن مع الكثير من الذئاب والدببة.

قال (مات) وقد بدا محبطًا بعض الشيء: «إذن فهذه نهاية الأمر بالنسبة لنا».

قال (تام): «ليس تمامًا، بعد غد سوف نرسل رجالًا إلى (ديفِن رايد) و(واتش هيل)، و(تارين فيري) أيضًا، للترتيب من أجل نوبات مراقبة متواصلة. فرسان على طول (النهر الأبيض) و(نهر تارين)، ودوريات مراقبة فيما بينهما. كان يجب أن يحدث هذا اليوم، ولكن لم يوافقني سوى العمدة. لقد رأى البقية أنهم لا يقدرون على أن يطلبوا من أحد أن يقضي (بِل تاين) وهو يمتطي حصانه عبر (النهرين)».

سأله (مات) فجأة: «هل يمكننا أن نشارك؟ أنا أريد هذا على أي حال. أنت تعرف أنني أستطيع أن أمتطي الحصان مثل أي واحد في القرية».

ضحك (تام) وقال: «هل تريد بضعة أسابيع من البرد والملل والنوم على فراش خشن؟ سيكون هذا على الأرجح كل ما في الأمر، أنا آمل أن هذا هو كل ما في الأمر، نحن بعيدون للغاية عن الطريق، حتى بالنسبة للاجئين. ولكن يمكنك التحدث إلى السيد (ألفير) إن كنت قد حسمت أمرك. لقد حان وقت عودتنا إلى المزرعة يا (راند)».

نظر إليه (راند) في دهشة وقال: «ظننت أننا سنبقى من أجل (ليلة الشتاء)».

«هناك أشياء يجب أن نعتني بها في المزرعة، وأنا أحتاجك معي».

«ولكن حتى مع هذا فنحن لسنا مضطرين للمغادرة قبل بضع ساعات. وأنا أريد التطوع في دوريات المراقبة أيضًا».

أجابه أبوه بنبرة لا تقبل الجدال: «سنذهب الآن». ثم أضاف بصوت أكثر لينًا: «سوف نعود في الغد وسيكون هناك متسع من الوقت للحديث

مع العمدة، ومتسع من الوقت من أجل العيد أيضًا. سأتركك الآن، ولكن فلتقابلني في الإسطبل بعد خمس دقائق».

بمجرد أن غادر (تام) سأل (مات) (بيرين): «هل ستنضم إلينا أنا و(راند) في المراقبة؟ أراهن أنه سيكون هناك أشياء لم يحدث مثلها من قبل في (النهرين)، ربما إذا ذهبنا إلى (نهر تارين) فقد نرى الجنود. أو من يعرف، ربما حتى (الجوالون)».

قال (بيرين) ببطء: «أعتقد أنني سأنضم إليكما. إن لم يكن السيد (لوهان) بحاجة إليَّ فسأفعل هذا».

قال (راند) بحدة: «الحرب في (غيلدان)». كان يبذل مجهودًا ليبقي صوته منخفضًا. «الحرب في (غليدان)، و(النور) وحده يعلم أين يوجد (الآيز سيداي) الآن، ولكن لا شيء من هذا هنا، أما الرجل ذو العباءة السوداء فهو هنا، أم هل نسيتماه بالفعل؟». تبادل الآخران نظرة خجلة.

تمتم (مات): «المعذرة يا (راند)، ولكن فرصة فعل أي شيء آخر غير حلب أبقار أبي لا تأتي كثيرًا». نصب قامته أمام نظرتيهما المندهشتين وقال: «أجل أنا أحلبهن، وكل يوم أيضًا».

قال (راند) ليذكرهما: «ماذا لو تسبب الفارس الأسود في إيذاء شخص ما؟».

قال (بيرين) في شك: «ربما هو لاجئ من الحرب».

قال (مات): «أيًّا ما يكون فإن المراقبين سيعثرون عليه».

قال (راند): «ربما، ولكن يبدو أنه يختفي متى شاء. ربما من الأفضل لهم أن يعرفوا أن عليهم البحث عنه».

قال (مات): «فلنخبر السيد (ألفير) عندما نذهب من أجل التطوع للمراقبة، وهو سيخبر (المجلس)، وهم سيخبرون المراقبين».

قال (بيرين) في ريبة: «(المجلس)! سنكون محظوظين إن لم يضحك العمدة بصوت عالٍ، إن السيد (لوهان) ووالد (راند) يعتقدان أن اثنين منا يجفلان من الظلال».

تنهد (راند) وقال: «إن كنا سنفعل هذا فلنفعله الآن، إنه لن يضحك اليوم بصوت أعلى من الغد».

قال (بيرين) وهو ينظر إلى (مات) نظرة جانبية: «ربما يجب أن نحاول العثور على بعض الآخرين الذين قد رأوه. سوف نسأل كل شخص في القرية هذه الليلة». ازداد عبوس (مات)، ولكنه لم يقل شيئًا. كان ثلاثتهم يعرفون أن (بيرين) يقصد أن عليهم العثور على شهود يمكن الوثوق بهم أكثر من (مات). أضاف (بيرين) عندما رأى تردد (راند): «إنه لن يضحك بصوت أعلى في الغد، وأفضل أن يكون هناك شخص آخر معنا في أقرب وقت نذهب فيه إليه. نصف سكان القرية لا بأس بهم بالنسبة لي».

أومأ (راند) برأسه ببطء. كان باستطاعته بالفعل أن يسمع صوت ضحك السيد (ألڤير). لن يضير وجود المزيد من الشهود معهم. وإن كان ثلاثتهم قد رأوا هذا الرجل فإن هناك آخرين قد رأوه بالتأكيد. «في الغد إذن. عليكما أنتما الاثنان أن تجدا كل من يمكنكما إيجاده الليلة، وفي الغد سنذهب إلى العمدة. وبعد ذلك...». نظرا إليه بصمت ولم يطرح أحدهما سؤالًا عما سيحدث إن لم يتمكنا من إيجاد أي شخص آخر قد رأى الرجل ذا العباءة السوداء. ولكن السؤال كان واضحًا في أعينهما، ولم يكن لديه إجابة. تنهد بعمق وقال: «من الأفضل أن أذهب الآن، قبل أن يظن والدي أنني قد سقطت في حفرة».

بعد أن ودعهما أسرع السير ناحية باحة الإسطبل حيث تقف العربة ذات العجلات العالية مستقرة على مقبضيها.

كان الإسطبل عبارة عن مبنى طويل ضيق يعلوه سقف محدب مصنوع من القش. كانت حجيرات الخيل المغطاة أرضياتها بالتبن تتراص على كلا الجانبين في المكان المعتم الذي لا يضيئه سوى البابين المفتوحين على الناحيتين. كانت أحصنة البائع الجائل تمضغ الشوفان في ثمان حجيرات، بينما كان هناك ست حجيرات يشغلها أحصنة السيد (ألڤير) (الدُّورانية) الضخمة التي يؤجرها للمزارعين عندما يحتاجون نقل ما يفوق قدرة أحصنتهم على الحمل. ولم يكن هناك سوى ثلاث حجيرات أخرى تشغلها أحصنة في الإسطبل في ذلك الوقت. قال (راند) لنفسه إن باستطاعته التوفيق بين أي حصان وراكبه دون مشكلة. الحصان الأسود الطويل عريض الصدر الذي يلوح برأسه في شراسة هو حصان (لان) بالتأكيد. الفرس البيضاء الناعمة ذات العنق المقوس وخطواتها السريعة الرشيقة كفتاة ترقص حتى في الإسطبل هي بالتأكيد فرس (مويرين). والثالث كان حصانًا غير مألوف، حصانًا طويلًا نحيلًا بلون بني ترابي مناسب تمامًا لـ(توم ميريلين).

كان (تام) واقفًا في مؤخرة الإسطبل وهو يمسك (بيلا) من لجامها ويتحدث بصوت خافت إلى (هيو) و(تاد)، وقبل أن يقطع (راند) خطوتين أومأ أبوه إلى عامليّ الإسطبل، ثم تحرك خارجًا من الإسطبل مصطحبًا (راند) معه دون أن ينطق بكلمة.

في صمت ربط الفرس إلى العربة، وبدا (تام) غارقًا في التفكير حتى أن (راند) أمسك لسانه. لم يكن يتطلع حقًّا إلى محاولة إقناع أبيه حيال الفارس ذي العباءة السوداء، ناهيك عن محاولة إقناع العمدة. غدًا سيكون لديه وقت كافٍ، عندما يجد (مات) والبقية آخرين ممن رأوا الرجل. هذا إن وجدوا آخرين.

بينما العربة تبدأ في الحركة أخذ (راند) قوسه وجعبته من مؤخرة العربة، ثم ربط حزام الجعبة إلى خصره بشكل متعجل وهو يهرول بجوارها. عندما وصلوا إلى آخر صف من بيوت القرية وضع سهمًا في وتر قوسه وجذبه

نصف جذبة. لم يكن هناك شيء لرؤيته سوى الأشجار شبه العارية من الأوراق، ولكنه كان متحفزًا. من الممكن أن ينقض عليهم الفارس الأسود قبل أن يلاحظه أي منهما. قد لا يكون هناك وقت لجذب القوس ما لم يكن مجهزًا بالفعل لهذا.

لم يستطع أن يبقي وتر القوس مشدودًا لوقتٍ طويل، لقد صنع القوس بنفسه، وكان (تام) واحدًا من القلة الآخرين في المقاطعة الذين يمكنهم جذبه بالكامل حتى الوجنة. تلفت حوله بحثًا عن شيء يُبعد ذهنه عن التفكير في الفارس الأسود. كانت الغابة تحيط بهما، وعباءتاهما تخفقان مع الرياح، لم يكن الأمر سهلًا.

وأخيرًا قال: «أنا لا أفهم يا أبي لم قرر (المجلس) أن يستجوب (باداان فاين)». ثم بذل مجهودًا ليبعد عينيه عن الغابة وينظر إلى (تام) من وراء (بيلا). «يبدو لي أن القرار الذي توصلتم إليه كان من الممكن اتخاذه في التو واللحظة. لقد أصاب العمدة الجميع بالرعب بحديثه عن (الآيز سيداي) و(التنين الكاذب) هنا في (النهرين)».

«الناس أمرهم عجيب يا (راند)، معظمهم هكذا. (هارال لوهان) على سبيل المثال؛ السيد (لوهان) رجل قوي وشجاع، ولكنه لا يحتمل رؤية ذبح الحيوانات، ويصير شاحبًا كملاءة بيضاء».

«ما علاقة هذا بأي شيء؟ الجميع يعرفون أن السيد (لوهان) لا يتحمل رؤية الدماء، ولا أحد سوى آل (كوبلِن) وآل (كونجار) يبالي بهذا الأمر».

«الأمر وما فيه يا فتى هو أن الناس لا يفكرون أو يتصرفون دومًا بالطريقة التي تتوقعها. هؤلاء الناس هناك... دع المطر يفسد محاصيلهم والرياح تنزع كل سقف في منطقتهم والذئاب تأكل نصف ماشيتهم وسوف يشمرون أكمامهم ويبدؤون من الصفر. سوف يتذمرون ولكنهم لن يضيعوا وقتًا في التذمر. ولكن فلتمنحهم مجرد فكرة بأن هناك (آيز سيداي) و(تنين كاذب) في (غيلدان) وسرعان ما سيفكرون في أن (غيلدان) ليست بعيدة

تمامًا عن الجانب الآخر من (غابة الظلال)، وأن خطًّا مستقيمًا من (تار قالون) إلى (غيلدان) لن يكون بعيدًا عنا من ناحية الشرق. كما لو أن (الآيز سيداي) لن يسلكن الطريق الممهد عبر (كايملين) و(لوجارد)، وأنهن بدلًا من هذا سيسافرن عبر الريف! بحلول الغد نصف سكان القرية سيكونون واثقين من أن الحرب كلها على وشك أن تعصف بنا، سيتطلب الأمر أسابيع لمحو أثر هذا. سيكون (بِل تاين) مختلفًا عن العادة. لذا أوحى لهم (بران) بهذه الفكرة قبل أن يتوصلوا إليها بأنفسهم.

لقد رأوا أن (المجلس) قد أخذ المشكلة بعين الاعتبار، وبحلول هذا الوقت سيكونون قد سمعوا قراره، لقد اختارونا من أجل (مجلس القرية) لأنهم يثقون في قدرتنا على التفكير في الأمور لما فيه مصلحة الجميع، إنهم يثقون في آرائنا، حتى رأي (سين)، وهو ما لا يعني الكثير بالنسبة لبقيتنا كما أفترض. على أي حال سيُقال لهم إنه لا يوجد شيء ليقلقوا حياله وسيصدقون هذا. الأمر لا يعني أنهم لا يقدرون على التوصل إلى نفس الاستنتاج بأنفسهم، أو أنهم لا يستطيعون فعل هذا في نهاية المطاف. ولكن بهذه الطريقة لن نفسد العيد، ولن يضطر أحد لقضاء أسابيع وهو قلق حيال شيء من غير المحتمل أن يحدث، وإن حدث . رغم أنه غير محتمل . فستمنحنا دوريات المراقبة تحذيرًا كافيًا لفعل ما بوسعنا. ولكني لا أعتقد حقًّا أن الأمر سيصل إلى هذا الحد».

زفر (راند) حتى انتفخت وجنتاه، من الواضح أن وجود المرء في (المجلس) أكثر تعقيدًا مما كان يظن. كانت العربة تهتز وهي تسير على طول (الطريق الحجري).

سأله (تام): «هل رأى أحد آخر باستثناء (بيرين) هذا الفارس الغريب؟».

قال (راند): «(مات) رآه، ولكن...». رمش بعينيه وهو يحدق إلى أبيه من فوق ظهر (بيلا). «أنت تصدقني؟ يجب أن أعود، يجب أن أخبرهما».

صاح (تام) ليوقفه بينما هو يستدير ليركض عائدًا إلى القرية: «مهلًا يا فتى، مهلًا! هل تعتقد أنني انتظرت أن نقطع كل هذه المسافة لكي أتحدث بلا سبب؟».

على مضض واصل (راند) سيره بجوار العربة التي لا تزال تصدر صريرًا من وراء (بيلا) التي تمشي بتأنٍّ. «ما الذي جعلك تغير رأيك؟ لم لا يمكنني أن أخبر الآخرين؟».

«سيعرفان قريبًا، أو على الأقل (بيرين) سيعرف، لست واثقًا من (مات). يجب أن يصل الخبر إلى المزارع في أسرع وقت ممكن، ولكن في غضون ساعة أخرى لن يكون هناك أي شخص في (إيموندز فيلد) فوق سن السادسة عشر. هؤلاء الذين يمكنهم أن يتحلوا بالمسؤولية تجاه الأمر منهم على الأقل. لا يعرف أن هناك غريبًا يحوم في الجوار، وأنه على الأرجح ليس من النوع الذي يمكن أن تدعوه إلى العيد. لقد كان الشتاء سيئًا بما يكفي بدون هذا الأمر لكي يخيف الصغار».

قال (راند): «العيد؟ إذا رأيته فما كنت لترغب أن يكون قريبًا منك بأقل من عشرة أميال، أو ربما مئة».

قال (تام) بهدوء: «ربما. وقد يكون لاجئًا من الاضطرابات في (غيلدان)، أو على الأرجح لص يفكر في أن الغنائم ستكون سهلة هنا أكثر من (بايرلون) أو (تارين فيري). ومع ذلك فلا أحد هنا يمكنه أن يتحمل سرقة شيء منه. إن كان رجلًا يحاول الهرب من الحرب... حسنًا، هذا أيضًا ليس مبررًا لإخافة الناس. ما إن تخرج فرق المراقبة فيجب أن يعثروا عليه أو أن يخيفه هذا ويدفعه للهرب».

«آمل أن يدفعه هذا للهرب. ولكن لمَ تصدقني الآن بينما لم تصدقني هذا الصباح؟».

هز (تام) رأسه الأشهب وقال: «كان عليَّ أن أصدق عينيَّ حينها، وأنا لم أرَ شيئًا. يبدو أن الصغار وحدهم هم من يرون هذا الرجل. ولكن عندما ذكر (هارال لوهان) أن (بيرين) يجفل من الظلال اتضح لي الأمر كله، أكبر أبناء (جون ثاين) قد رآه، وكذلك (باندري) ابن (سامل كراو). حسنًا عندما يقول أربعة منكم إنكم قد رأيتم شيئًا ـ وأربعتكم فتيان عاقلون ـ فحينها نفكر في أنه قد يكون موجودًا، سواء كنا قادرين على رؤيته أم لا. الجميع ما عدا (سين) بالطبع. على أي حال لهذا السبب نحن عائدان إلى البيت، مع وجود كلينا بعيدًا عن البيت يمكن لهذا الغريب أن يصنع أي نوع من الأذى هناك. لولا العيد لم أكن لأعود في الغد أيضًا، ولكن لا يمكننا أن نسجن أنفسنا في بيوتنا لمجرد أن هذا الغريب يتسكع في الأنحاء».

قال (راند): «أنا لم أكن أعرف بشأن (بان) أو (ليم)، ولكن أنا والبقية كنا سنذهب إلى العمدة في الغد، ولكنا كنا قلقين أنه لن يصدقنا أيضًا».

قال (تام) في فتور: «الشعر الرمادي لا يعني أن عقولنا صدئة. والآن عليك أن تبقي عينيك يقظتين، ربما سألمحه أيضًا إذا ظهر مرة أخرى».

قنع (راند) بفعل هذا، وكان مندهشًا لإدراك أن خطوته بدت أكثر خفة. لقد انزاح العبء من على كاهليه. كان لا يزال خائفًا ولكن الأمر لم يعد بنفس السوء كذي قبل. هو و(تام) وحيدان على (الطريق الحجري) كما كانا في الصباح، ولكنه بطريقة ما أحس كأن القرية كلها معهما. صنع معرفة الآخرين بالأمر وتصديقه فارقًا كبيرًا. لم يكن هناك شيء يستطيع الفارس ذو العباءة السوداء أن يفعله دون أن يكون الناس في (إيموندز فيلد) قادرين على مواجهته معًا.

الفصل الخامس

ليلة الشتاء

كانت الشمس قد قطعت نصف الطريق من الظهيرة إلى الغروب عندما وصلت العربة إلى البيت الريفي، لم يكن بيتًا كبيرًا كبعض البيوت الريفية مترامية الأطراف في الشرق، المساكن التي قد كبرت بمرور الزمن لكي تستوعب عائلات بكاملها. في (النهرين) عادة ما يعيش ثلاثة أجيال أو أربعة تحت سقف واحد، بما فيها العمات والأعمام وأبناء العمومة وأبناء الأشقاء. كان (تام) و(راند) يعدان شيئًا خارجًا عن المألوف لكونهما رجلين يعيشان وحدهما فضلًا عن كونهما مزارعين في (الغابة الغربية).

كانت معظم الغرف في طابق واحد، مستطيل متقن بدون أجنحة أو إضافات. كان هناك غرفتا نوم مجهزتان، ومخزن في علية أسفل السقف المنحدر المصنوع من القش. كان البياض قد اختفى تمامًا من الجدران الخشبية السميكة بعد عواصف الشتاء، إلا أن البيت كان جيد الصيانة، والسقف المصنوع من القش مرممًا بعناية، والأبواب والنوافذ مثبتة بإتقان وبشكل باعث على الدفء.

البيت والحظيرة ومربض الأغنام الصخري قد شكلوا نقاط مثلث حول فناء المزرعة، حيث غامر عدد قليل من الدجاج بالخروج للتنقيب في الأرض الباردة. كان هناك سقيفة جز صوف مكشوفة وحوض ماء

صخري بجانب مربض الأغنام. وبالقرب من الحقول ما بين باحة المزرعة والأشجار يطل المخروط الطويل الذي يمثل سقيفة تجفيف أوراق الطباق ذات الجدران المصمتة. القليل من المزارعين في (النهرين) يمكنهم العيش بدون الصوف والطباق اللذين يبيعونهما عندما يأتي التجار.

عندما ألقى (راند) نظرة على المربض الصخري بادله النظر كبش القطيع ذو القرنين الثقيلين، ولكن معظم أغنام القطيع ذات الوجه الأسود بقيت بهدوء حيث هي، سواء كانت مستلقية أو واقفة ورؤوسها في حوض العلف. كان فراؤها كثيفًا ومتجعدًا، ولكن الجو لا يزال باردًا على جزّهِ.

قال (راند) لأبيه: «لا أعتقد أن الفارس ذا العباءة السوداء قد جاء إلى هنا». كان أبوه يسير ببطء حول البيت الريفي ممسكًا برمحه على أهبة الاستعداد وهو يتفحص الأرض باهتمام. «كنا سنجد الأغنام مضطربة إن كان يحوم حول المكان».

أومأ (تام) برأسه ولكنه لم يتوقف. بعدما قطع دائرة كاملة حول البيت فعل الشيء ذاته حول الحظيرة ومربض الأغنام، وهو يواصل تفحص الأرض، لقد تفحص حتى حجرة تدخين الطعام وسقيفة التجفيف. ثم سحب دلو ماء من البئر واغترف منه غرفة بيده ليتشمم رائحة الماء قبل أن يلمسه بطرف لسانه بحذر، ثم ضحك فجأة قبل أن يتجرع الماء جرعة واحدة.

قال ل(راند) وهو يمسح يده في معطفه: «أعتقد أنه لم يأتِ إلى هنا. كل هذا الحديث عن رجال وأحصنة لا أستطيع أن أراهم أو أسمعهم يجعلني أشك في كل شيء». ثم أفرغ ماء البئر في دلو آخر قبل أن يسير متجهًا ناحية البيت، الدلو في يده والرمح في اليد الأخرى. «سوف أعد بعض اليخنة من أجل العشاء. بما أننا هنا فربما يجب علينا أيضًا إنجاز بعض المهام في المزرعة».

تجهم (راند) وقد أحس بالندم لعدم قضاء (ليلة الشتاء) في (إيموندز فيلد). ولكن (تام) كان محقًّا؛ إن العمل لا ينتهي حقًّا في أي مزرعة، بمجرد أن يكتمل شيء يظهر شيآن آخران يحتاجان للقيام بهما. كان على وشك أن يضع قوسه وجعبته جانبًا ولكنه تردد في الأمر، فأبقاهما بالقرب منه. إن ظهر الفارس الأسود فليس لديه نية في أن يواجهه بلا شيء معه سوى مجرفة.

أولًا كان عليه أن يضع (بيلا) في الإسطبل. بمجرد أن حررها من العربة ووضعها في إسطبل صغير في الحظيرة بجوار البقرة حتى نزع عباءته ووضعها جانبًا وفرك الفرس بحفنة من القش الجاف ومشطها بالفرشاة. ثم صعد عبر السلم الضيق إلى المخزن العلوي وألقى لها بعض التبن لتتغذى عليه، ثم أحضر لها ملء مغرفة من الشوفان رغم أنه لم يتبقَّ منه سوى القليل وقد لا يكون هناك المزيد منه لوقت طويل إن لم يصبح الطقس دافئًا قريبًا. كانت البقرة قد حُلِبت هذا الصباح قبل ضوء الفجر ولم تُعطِ سوى ربع إنتاجها المعتاد، بدت وكأنها تجف مع استمرار الشتاء.

لقد تبقى من العلف ما يكفي الأغنام ليومين. كان من المفترض أن يكونوا في المراعي الآن، ولكن لم يكن هناك مكان يمكن تسميته مرعى . ولكنه أعاد ملء حوض المياه. كان يجب جمع أي بيض قد وضعته الدجاجات أيضًا، كان هناك ثلاث بيضات فقط. يبدو أن الدجاجات صارت أكثر براعة في إخفاء بيضها.

كان (راند) قد حمل المجرفة إلى حديقة الخضروات وراء البيت عندما خرج (تام) وجلس على مقعد أمام الحظيرة ليصلح لجامًا بينما يسند رمحه بجواره. هذا جعل (راند) يشعر بعدم الحرج من وجود قوسه فوق عباءته على بعد خطوة منه.

كان هناك عدد قليل من الحشائش بارزة فوق التربة، ورغم هذا كانت الحشائش أكثر من أي شيء آخر، كان الكرنب متقزمًا، وبالكاد ظهرت أي براعم من الفاصولياء أو البازلاء، ولم يكن هناك أي أثر للبنجر. لم يُزرَع كل شيء بالطبع، فقط جزء منه على أمل أن ينكسر البرد في الوقت المناسب للحصول على أي محصول قبل أن يصير مخزن الطعام فارغًا. لم يحتج إلى وقت طويل لإزالة الحشائش، وهو ما كان سيسعده منذ بضع سنوات، ولكنه الآن كان يتساءل عما سيفعلان إن لم ينبت شيء هذا العام، لم تكن فكرة سارة، وكان لا يزال أمامه الحطب لتقطيعه.

بدا لـ(راند) أن سنوات قد مضت منذ أن كان هناك وقت لا يحتاج فيه إلى تقطيع الحطب. ولكن الشكوى لن تبقي بيتهم دافئًا، لذا أحضر فأسًا ووضع القوس والجعبة بجوار طاولة التقطيع وبدأ العمل. الصنوبر من أجل اللهب السريع الساخن، والبلوط من أجل الاحتراق لوقت طويل. قبل أن يمضي وقت طويل كان قد أحس بالدفء الكافي لكي ينتزع معطفه ويضعه جانبًا. عندما صارت كومة الحطب كبيرة بما يكفي بدأ يرصها بجانب البيت بجوار الأكوام المتراصة الأخرى الموجودة بالفعل هناك. معظمها يصل ارتفاعه إلى إفريز البيت. عادة بحلول هذا الوقت من العام تكون أكوام الحطب قليلة وصغيرة، ولكن ليس هذا العام. راح يقطع ويرص، يقطع ويرص، لقد استغرق تمامًا في إيقاع حركة الفأس ورص الحطب. وضع (تام) يده على كتفه فأفاق من استغراقه ورمش بعينيه في دهشة.

كان الشفق الرمادي قد حل أثناء عمله، وراح يتلاشى بسرعة بالفعل مع حلول الليل، والقمر المكتمل يطل من فوق قمم الأشجار متلألئًا بضوء شاحب ومنتفخًا كأنه على وشك أن يسقط فوق رأسيهما. كانت الرياح قد ازدادت برودة أيضًا دون أن يلاحظ هذا، بينما السحب المتناثرة تتحرك سريعًا عبر السماء الآخذة في الظلمة.

«دعنا نغتسل يا فتى ونتناول بعض الطعام، لقد حملت بعض الماء بالفعل من أجل حمام ساخن قبل النوم».

قال (راند) وهو يلتقط عباءته ويرميها على كتفيه: «أي شيء ساخن يبدو جيدًا بالنسبة لي». كان العرق يبلل قميصه وبدا أن الرياح التي نسيها في حرارة التلويح بالفأس تحاول تجميده الآن بعدما توقف عن العمل. وضع يده على فمه وهو يتثاءب ثم أخذ يجمع بقية أغراضه وهو يرتجف. «ويجب أن أنام أيضًا وإلا فقد يغلبني النوم غدًا أثناء العيد».

قال (تام) مبتسمًا: «هل ترغب في أن تراهن مراهنة صغيرة على هذا؟». فبادله (راند) الابتسام. لن يفوته (بِل تاين) حتى لو لم ينم لأسبوع. لا أحد يفوت (بِل تاين).

أسرف (تام) في استخدام الشموع، وكانت النيران تطقطق في المدفأة الصخرية الكبيرة، لذا كانت الغرفة الرئيسية دافئة ومبهجة. كان هناك طاولة عريضة من خشب البلوط تمثل السمة الأساسية للغرفة بجانب المدفأة، طاولة طويلة بما يكفي لكي يجلس عليها اثنا عشر شخصًا أو أكثر. رغم أنه نادرًا ما يزورهما عدد كبير منذ وفاة والدة (راند). كان هناك عدد من الخزائن والصناديق. صنع (تام) معظمها بنفسه ببراعة. تصطف على الجدران، وكراسي ذات ظهر مرتفع متراصة حول الطاولة. الكرسي المبطن الذي يسميه (تام) كرسي القراءة كان موضوعًا بزاوية أمام المدفأة. يفضل (راند) أن يقرأ وهو مستلقٍ على البساط أمام النار. لم يكن رف الكتب الموجود بالقرب من الباب بنفس طول الرف الموجود في حانة (واينسبرينج)، ولكن كان من الصعب اقتناء الكتب، عدد قليل من الباعة الجائلين يحملون القليل منها، ويضطرون لتفريقها على هؤلاء الذين يرغبون في اقتنائها.

لم تكن الغرفة تبدو مُرَتَّبة تمامًا مثلما تحافظ بعض الزوجات الريفيات على بيوتهن. كان صندوق غليون (تام) وكتاب (رحلات جين فارسترايدر) موضوعين على الطاولة، بينما كتاب آخر مجلد بالخشب مستقر على بطانة كرسي القراءة، وجزء من لجام يحتاج إلى إصلاح موضوع على المقعد أمام المدفأة، وبعض القمصان التي تحتاج إلى رتق متكومة على أحد الكراسي. ولم تكن نظيفة تمامًا مثلها، إلا أنها كانت نظيفة ومرتبة بما يكفي مع مظهر من الحياة يكاد أن يكون دافئًا ومريحًا كنيران المدفأة. هنا كان من الممكن نسيان البرودة وراء الجدران، لا يوجد (تنين كاذب) هنا، لا حروب ولا (آيز سيداي)، لا رجال بعباءات سوداء. كانت الرائحة المتصاعدة من قدر اليخنة الموضوع على النيران تعبق الغرفة مما جعل (راند) يتضور جوعًا.

قلَّب أبوه محتويات القدر بملعقة خشبية طويلة ثم تذوقها قبل أن يقول: «تحتاج لبعض الوقت».

أسرع (راند) ليغسل وجهه ويديه، كان هناك إبريق وحوض موضوعان على منضدة الاغتسال بجوار الباب. كان كل ما يحتاجه هو حمام ساخن للتخلص من العرق وطرد البرد من جسده. ولكن هذا سيحدث عندما يكون لديه وقت لتسخين المياه في الغرفة الخلفية.

أخذ (تام) يفتش في خزانة حتى أخرج منها مفتاحًا بطول يده، أداره في القفل الحديدي الكبير على الباب. نظر إليه (راند) نظرة مستفهمة فقال: «من الأفضل أن يكون المرء حذرًا. ربما تكون مجرد فكرة تراودني، وربما الطقس يصيبني بالاكتئاب، ولكن...». تنهد ثم ألقى بالمفتاح في الهواء والتقطه مرة أخرى بيده قبل أن يقول: «سأذهب لأقفل الباب الخلفي». ثم توجه ناحية مؤخرة البيت قبل أن يختفي.

لم يستطع (راند) أن يتذكر قفل أي من البابين من قبل. لا أحد في (النهرين) يقفل أبوابه، لم يكن هناك حاجة لهذا، حتى الآن على الأقل.

من فوقه، من غرفة نوم (تام)، جاء صوت احتكاك، كأن هناك شيئًا يُجذب على الأرض، عقد (راند) حاجبيه. ما لم يكن (تام) قد قرر فجأة تحريك الأثاث فإن الشي الوحيد الذي يمكن جذبه هو الصندوق القديم الذي يبقيه أسفل فراشه. شيء آخر لم يسبق فعله حسبما يتذكر (راند).

ملأ غلاية صغيرة بالماء من أجل الشاي وعلّقها بخطاف فوق النار، ثم أعد الطاولة. كان قد نحت الأطباق والملاعق بنفسه. لم تكن النافذة الأمامية قد أُغلقت بعد، ومن وقت لآخر كان ينظر عبرها إلى الخارج، ولكن الليل كان قد حل وكل ما استطاع رؤيته هو ظلال القمر، يمكن بسهولة أن يكون الفارس الأسود بالخارج، ولكنه حاول ألا يفكر في الأمر.

عندما عاد (تام) حدق إليه (راند) في دهشة، كان هناك حزام سميك مربوط حول خصر (تام)، ويتدلى منه سيف مع شعار طائر بلشون[1] برونزي على الغمد الأسود، وآخر على المقبض الطويل. الرجال الوحيدون الذي رآهم (راند) يمتشقون سيوفًا هم حراس التجار، بالإضافة إلى (لان) بالطبع. لم يخطر على باله من قبل أن أباه يمتلك سيفًا. بدا السيف شبيهًا إلى حد كبير بسيف (لان) باستثناء طائري البلشون.

سأله: «من أين حصلت على هذا السيف؟ هل اشتريته من بائع جائل؟ كم كلفك؟».

استل (تام) السيف ببطء فانعكست النيران على نصله اللامع. لم يكن يشبه السيوف البسيطة الخشنة التي رآها (راند) في أيدي حراس التجار. لم يكن مزينًا بالأحجار الكريمة أو الذهب، ولكنه بدا فخمًا بالنسبة له رغم هذا. كان النصل منحنيًا بعض الشيء وحادًّا في جانب واحد، ويحمل شعارًا آخر لطائر بلشون منقوشًا على الفولاذ. كان هناك ريشات قصيرة مغزولة على هيئة ضفيرة تطوق المقبض. لقد بدا هشًّا تقريبًا بالمقارنة مع

---

(1) البلشلون: طائر طويل الساقين والعنق، يُعرف أيضًا باسم مالك الحزين.

سيوف حراس التجار، معظم هذه السيوف تكون حادة من الجانبين وسميكة بما يكفي لقطع شجرة.

قال (تام): «لقد حصلت عليه منذ زمن بعيد، في مكان بعيد عن هنا، ولقد دفعت ثمنًا باهظًا؛ عملتان نحاسيتان هما ثمن باهظ بالنسبة لسيف كهذا. لم توافق أمك ولكنها كانت دومًا أكثر حكمة مني. لقد كنت شابًّا حينها وبدا لي أنه يستحق ثمنه في ذلك الوقت. لطالما أرادت مني أن أتخلص منه، وأكثر من مرة خُيِّل إليَّ أنها محقة وأنني يجب أن أتخلى عنه».

النيران المنعكسة على النصل جعلته يبدو وكأنه مشتعل، كان (راند) يحدق إليه، لطالما حلم أن يمتلك سيفًا. قال: «تتخلى عنه؟ كيف يمكنك أن تتخلى عن سيف كهذا؟».

قال (تام) ساخرًا: «لا فائدة له في اقتياد قطيع الأغنام، أليس كذلك؟ لا يمكنك حرث حقل أو حصاد محصول به». ثم صمت دقيقة طويلة وهو يحدق إلى السيف كأنه يتساءل عم يفعله بهذا الشيء. وأخيرًا تنهد بعمق وقال: «ولكن إن لم يكن الأمر مجرد فكرة كئيبة تراودني، وإن صار حظنا سيئًا فربما في الأيام القليلة التالية سنكون ممتنين لأنني احتفظت به في ذلك الصندوق القديم ولم أتخلص منه». ثم أعاد السيف إلى غمده بسلاسة ومسح يده على قميصه قبل أن يقول متجهمًا: «لقد صارت اليخنة جاهزة بالتأكيد، سأغرف لنا طبقين بينما تعد الشاي».

أومأ (راند) برأسه وأحضر علبة الشاي، ولكنه كان يرغب في معرفة كل شيء، لم اشترى (تام) سيفًا؟ لم يستطع أن يتخيل السبب. وأين حصل عليه؟ بعيدًا إلى أي مدى؟ لم يغادر أحد (النهرين) من قبل، باستثناء عدد قليل للغاية. لطالما افترض بشكل مبهم أن والده قد ذهب إلى الخارج بالتأكيد، فقد كانت أمه غريبة عن أرضهم، ولكن سيفًا...؟ كان لديه الكثير من الأسئلة التي يرغب في طرحها بمجرد أن يجلسا على الطاولة.

كان ماء الشاي يغلي بشدة، فاضطر لأن يلف قطعة من القماش حول مقبض الغلاية لكي يرفعها عن الخطاف، فتسللت الحرارة عبر القطعة القماشية على الفور. وبينما هو يعتدل مبتعدًا عن النار سمع طرقًا ثقيلًا على الباب جعل القفل يهتز. تبخرت كل أفكاره عن السيف أو الغلاية الساخنة في يده.

قال في تردد: «لعله أحد الجيران؛ ربما السيد (داوتري) يريد اقتراض...». ولكن مزرعة (داوتري) - أقرب مزرعة مجاورة لهما - كانت على بعد ساعة حتى في ضوء النهار، ورغم أن (أورين داوتري) معتاد على الاقتراض بلا خجل إلا أنه من غير المرجح أن يغادر بيته في الظلام.

وضع (تام) الطبقين المليئين باليخنة على الطاولة بهدوء ثم تحرك ببطء مبتعدًا عن الطاولة وكلتا يديه مستقرتان على مقبض السيف. بدأ حديثه قائلًا: «لا أعتقد...». وفجأة انفتح الباب عنوة، وقطع من القفل المعدني تتناثر على الأرض.

كان هناك جسم يملأ فتحة الباب، أضخم من أي رجل قد رآه في حياته، يرتدي زردًا[1] أسود يصل إلى ركبتيه، بأشواك في رسغيه ومرفقيه وكتفيه. كانت إحدى يديه تمسك بسيف ثقيل يشبه المنجل، واليد الأخرى مرفوعة أمام عينيه كأنما لتحميهما من الضوء.

أحس (راند) للحظة بنوع غريب من الارتياح، أيًّا ما يكون هذا فإنه لم يكن الفارس المتشح بالسواد. ثم رأى قرني الكبش الملتويين فوق رأسه اللذين يلمسان الجزء العلوي من إطار الباب، وفي الموضع الذي يجب أن يكون فيه فم وأنف كان هناك خطم[2] مغطى بالشعر. لقد استوعب كل هذا في الوقت الذي استغرقه ليأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يطلقه في

---

(1) الزرد: نوع من الدروع يتكون من حلقات معدنية صغيرة متشابكة.

(2) الخطم: الجُزء البارِز مِن وجِه الحيوان، يتألف من الأنف والفم والفك.

صرخة مرتعبة بينما ـ بدون تفكير ـ يُلقي بالغلاية الساخنة على الرأس شبه البشري.

زأر المخلوق بينما الماء المغلي يتناثر على وجهه، وكان جزء من زئيره صرخة ألم وجزء آخر زمجرة حيوان. في اللحظة التي كانت الغلاية ترتطم به تحرك سيف (تام) بحركة خاطفة، فتحول الزئير فجأة إلى حشرجة بينما المخلوق الضخم يسقط للوراء. وقبل أن ينتهي سقوطه كان هناك آخر يحاول أن يشق طريقه ويتجاوزه. لمح (راند) رأسًا مشوهًا يعلوه قرنان كشوكتين، قبل أن يضرب (تام) بسيفه مرة أخرى ليسد الباب جثتان ضخمتان.

أدرك أن أباه يصرخ فيه: «اهرب يا فتى! اختبئ في الغابة». تحركت الجثتان بعنف بينما آخرون يحاولون جذبهما لإخلاء الطريق. دفع (تام) كتفه أسفل الطاولة الضخمة وأخذ يزمجر وهو يدفعها لتسقط على جانبها، قبل أن يقول: «عددهم أكثر مما يمكن ردعه! اخرج من الباب الخلفي! اذهب! اذهب! سوف ألحق بك!».

بينما (راند) يستدير مبتعدًا ملأه الخجل لأنه أطاع والده بهذه السرعة. لقد أراد أن يبقى ويساعده، رغم أنه لا يتصور كيفية هذا، ولكن الخوف كان قد أحكم خناقه حوله، فتحركت ساقاه من تلقاء نفسيهما. اندفع خارجًا من الغرفة ناحية مؤخرة البيت بسرعة لم يركض بمثلها في حياته كلها. كانت أصوات الاصطدامات والصيحات القادمة من ناحية الباب الأمامي تلاحقه.

كان قد وضع يديه على مقبض الباب الخلفي عندما وقعت عيناه على القفل الحديدي، لم يقفل قط من قبل، إلا هذه الليلة. انتقل نظره إلى النافذة الجانبية، فأسرع ليفتحها على مصراعيها. كان الليل قد حل محل الشفق بالكامل. القمر المكتمل والغيوم التي تنجرف مع الرياح جعلوا الظلال المتفرقة تطارد بعضها بعضًا عبر فناء المزرعة.

قال لنفسه؛ *إنها مجرد ظلال فحسب*. أصدر الباب الخلفي صريرًا كأنما هناك شخص ما أو شيء ما بالخارج يحاول أن يفتحه عنوة. جف حلقه على الفور ثم تعالى صوت اصطدام هز الباب في إطاره مما جعله يسرع على الفور وهو ينزلق عبر النافذة كأرنب يختبئ في جحره، وانكمش على نفسه هناك بجانب البيت. بداخل الغرفة تحطم الباب بدوي كالرعد.

أجبر نفسه على الاعتدال ليختلس النظر إلى الداخل بعين واحدة من ركن النافذة. لم يستطع أن يرى الكثير في الظلام ولكنه رأى أكثر مما يرغب في رؤيته، كان الباب معلقًا من مفصله وأشكال مظلمة تدلف إلى الغرفة بحذر وهي تتحدث بأصوات خفيضة متحشرجة، لم يفهم (راند) شيئًا مما قالوه، فقد بدت اللغة فظة ولا يمكن أن ينطقها لسان بشري. فؤوس ورماح وأشياء أخرى مسننة عكست بخفوت لمحات شاردة من ضوء القمر. احتكت الأحذية بالأرضية وكان هناك صوت نقرات منتظمة كأن هناك حوافر أيضًا.

حاول أن يُبلل حلقه الجاف وأخذ نفسًا عميقًا متقطعًا قبل أن يصرخ بأعلى ما يستطيع: «إنهم قادمون من مؤخرة البيت!». خرجت الكلمات مبحوحة، ولكنه على الأقل استطاع النطق بها. لم يكن واثقًا أنه سيقدر على النطق بها. «أنا بالخارج! اهرب يا أبي!». مع آخر كلمة كان يركض مبتعدًا عن البيت.

تعالت صيحات خشنة باللغة الغريبة من الغرفة الخلفية. تحطم الزجاج بصوت حاد مرتفع بينما شيء يرتطم بالأرض بقوة من ورائه. خمَّن أن أحدهم قد حطَّم النافذة بدلًا من أن يحاول أن يتسلل عبر الفتحة، ولكنه لم ينظر وراءه ليرى إن كان محقًّا. كثعلب يركض من كلاب صيد اندفع ناحية أقرب ظلال القمر إليه كأنه يتوجه ناحية الغابة، ثم انبطح أرضًا وزحف عائدًا إلى الحظيرة وظلالها الأكثر كثافة. سقط شيء ما على كتفيه فأخذ يركل الهواء وهو غير واثق إذا ما كان يحاول القتال أو الهرب، قبل أن يدرك أنه يتصارع مع مقبض المجرفة الجديدة التي يصنعها والده.

أحمق! ظل مستلقيًا هناك وهو يحاول أن يلتقط أنفاسه. *أحمق كآل (كوبلِن)!* وأخيرًا استطاع أن يزحف على طول الجزء الخلفي من الحظيرة وهو يسحب مقبض المجرفة. إنه ليس سلاحًا كافيًا ولكنه أفضل من لا شيء. اختلس النظر من وراء ركن الحظيرة ناحية باحة المزرعة والبيت.

لم يكن هناك أدنى أثر للمخلوق الذي قفز وراءه، قد يكون في أي مكان، لا شك أنه يبحث عنه، أو حتى يتسلل وراءه في هذه اللحظة.

كان الثغاء الخائف يملأ مربض الأغنام على يساره، والقطيع هائج كأنه يحاول أن يجد مهربًا. كان هناك أشكال مظلمة تظهر وتختفي في الضوء القادم من نوافذ البيت الأمامية، وصوت صليل الفولاذ يرن في الظلام. فجأة انكسرت إحدى النوافذ مع تناثر شظايا الزجاج والخشب. بينما (تام) يقفز من خلالها والسيف لا يزال في يده. هبط على قدميه ولكن بدلًا من الركض بعيدًا عن البيت اندفع ناحية مؤخرته متجاهلًا الأشياء الوحشية التي تتزاحم للحاق به عبر النافذة المحطمة ومدخل الباب.

حدق (راند) إليه في ذهول؛ لم لا يحاول الهرب؟ ثم فهم الأمر. لقد سمع (تام) صوته آخر مرة قادمًا من مؤخرة البيت. صرخ: «أبي! أنا هنا».

استدار (تام) دون أن يتوقف، ولكنه لم يركض ناحية (راند) بل بزاوية بعيدة عنه. صاح وهو يشير بسيفه كأنما يشير إلى شخص أمامه: «اهرب يا فتى! اختبئ!». تدفقت عشرات الأشكال الضخمة من ورائه، بينما الصيحات الخشنة وأصوات العواء الحادة تشق سكون الليل.

تراجع (راند) ليختبئ في الظلال وراء الحظيرة، هنالك لا يمكن لأحد أن يراه من البيت، تحسبًا لأن يكون أيٌّ من هذه المخلوقات لا يزال في البيت. لقد كان آمنًا، في الوقت الحالي على الأقل، ولكن (تام) لم يكن كذلك، (تام) الذي كان يحاول أن يستدرج هذه الأشياء بعيدًا عنه. أحكم يديه على مقبض المجرفة وكان عليه أن يجز على أسنانه لكي يمنع نفسه من الضحك فجأة؛ مقبض مجرفة. إن مواجهة واحد من هذه

المخلوقات بمقبض مجرفة لن يشبه لعب العصا مع (بيرين). ولكنه لا يستطيع أن يترك (تام) يواجه المخلوقات التي تطارده وحده.

قال لنفسه هامسًا: «إذا تحركت كأنني أتربص بأرنب فلن يسمعوني أو يروني». تردد صدى الصرخات المخيفة في الظلام فازدرد لعابه. «أو بالأحرى قطيع من الذئاب المتضورة جوعًا». تحرك بلا صوت مبتعدًا عن الحظيرة ناحية الغابة وهو يُمسك بمقبض المجرفة بشدة حتى أنه أحس بالألم في يديه.

في البداية أحس بالارتياح عندما أحاطت به الأشجار. لقد ساعدته على الاختباء من تلك المخلوقات التي تهاجم المزرعة. بينما هو يتسلل عبر الغابة كانت ظلال القمر تتنقل، فبدا الأمر كأن الغابة تتغير وتتحرك بدورها. كانت الأشجار تُلقي بظلالها بخبث والأغصان تتلوى ناحيته، ولكن هل كانت مجرد أشجار وأغصان؟ خُيِّل إليه أن باستطاعته سماع ضحكات متحشرجة مختنقة في حقولهم بينما هم ينتظرونه. عواء المخلوقات التي تلاحق (تام) لم يعد يملأ الليل، ولكن الصمت الذي حل محلَّه جعله يجفل في كل مرة تُحرك فيها الرياح الأغصان لتحتك ببعضها. جثم أكثر وأكثر وتحرك بشكل أبطأ وأبطأ. بالكاد كان يجرؤ على التنفس، خوفًا من أن يسمعوه.

فجأة جاءت يد من ورائه لتغلق فمه وأحكمت يد أخرى قبضتها الفولاذية على معصمه. بشكل مسعور راح يخمش الهواء وراء كتفه محاولًا الإمساك بمهاجِمه.

جاء صوت همس (تام) المبحوح وهو يقول: «لا تكسر عنقي يا فتى».

غمره الارتياح واسترخت عضلاته. عندما تركه والده يسقط على يديه وركبتيه كأنما كان يركض لأميال. سقط (تام) بجواره متكئًا على مرفقه.

قال (تام) بهدوء: «لم أكن لأحاول تكميم فمك لو أنني فكرت كم كبرت في السنوات القليلة الماضية». كانت عيناه تتحركان باستمرار وهو

يراقب الظلام بحرص. «ولكن كان عليَّ أن أحرص على ألا تتحدث بصوتٍ عالٍ. بعض (الترولوكيين) سمعهم حاد كالكلاب وربما أفضل».

قال (راند): «ولكن (الترولوكيين) هم مجرد...». ثم بتر جملته. ليسوا مجرد حكاية، ليس بعد الليلة. هذه الأشياء قد تكون (ترولوكيين) أو (سيد الظلام) نفسه، لم يعد واثقًا من شيء. همس قائلًا: «هل أنت واثق؟ أعني... (ترولوكيون)؟».

«أنا واثق من هذا، ولكن ما جلبهم إلى (النهرين)... لم أرَ واحدًا قبل الليلة ولكني تحدثت مع رجال قد رأوهم، لذا فأنا أعرف القليل، ربما ما يكفي لإبقائنا على قيد الحياة. اسمعني جيدًا. (الترولوكيون) يمكنهم أن يروا أفضل من البشر في الظلام، ولكن الأضواء الباهرة تعميهم، لبعض الوقت على الأقل. قد يكون هذا هو السبب الوحيد وراء تمكننا من الهرب من هذا العدد الكبير منهم. بعضهم يمكنه التعقب بالرائحة أو الصوت، ولكن يقال إنهم كسالى. إن استطعنا البقاء بعيدًا عن متناولهم وقتًا كافيًا فإنهم سيستسلمون».

لم يشعر (راند) إلا بقليل من التحسن لسماع هذا. قال: «إنهم في الحكايات يكرهون البشر ويخدمون (سيد الظلام)».

«إن كان هناك أي شيء ينتمي إلى قطيع (راعي الليل) يا فتى فإنهم (الترولوكيون). إنهم يقتلون لمجرد متعة القتل، أو هكذا قيل لي. ولكني لا أعرف أكثر من هذا سوى أنه لا يمكن الوثوق بهم ما لم يكونوا خائفين منك، ولكن ليس إلى حد كبير».

ارتجف (راند)، لم يعتقد أنه سيرغب في مقابلة أي شخص يخافه (ترولوك). قال متسائلًا: «هل تعتقد أنهم ما زالوا يتعقبوننا؟».

«ربما، وربما لا. إنهم لا يبدون أذكياء للغاية. ما إن نصل إلى الغابة فسأستدرج هؤلاء الذين يتعقبونني منهم ناحية الجبال بدون عناء كبير».

ثم تحسس جانبه الأيمن قبل أن يقرب يده من وجهه ويقول: «من الأفضل أن نتصرف كأنهم يتعقبوننا».

«أنت مصاب».

«أبقِ صوتك منخفضًا، إنه مجرد خدش بسيط، وليس هناك ما يمكن فعله الآن حيال هذا على أي حال. على الأقل يبدو أن الجو يزداد دفءً». ثم استلقى على ظهره وهو يتنهد بعمق قبل أن يقول: «ربما لن يكون قضاء الليل بالخارج أمرًا سيئًا للغاية».

حاول (راند) أن يتجاهل التفكير في احتياجه إلى معطفه وعباءته. كانت الأشجار تحجب معظم الرياح، ولكن ما يهب من خلالها كان يؤلمه كسكين متجمد. في تردد لمس وجه (تام) ثم قال في ذعر: «أنت مصاب بالحمى، يجب أن أحملك إلى (نايڤ)».

«بعد قليل يا فتى».

«ليس لدينا وقت لنضيعه، الطريق سيكون طويلًا في الظلام». ثم اعتدل واقفًا على قدميه وهو يحاول أن يرفع والده. كتم (تام) تأوهه وهو يجز على أسنانه مما جعل (راند) ينزله برفق على الفور.

«دعني أستريح قليلًا يا بني، أنا متعب».

ضرب (راند) بقبضته على فخذه. إن كان هناك في البيت الدافئ مع النيران والبطانيات والكثير من المياه ولحاء الصفصاف، فقد يكون مستعدًا للانتظار حتى بزوغ الفجر قبل أن يربط (بيلا) إلى العربة ويأخذ (تام) إلى القرية. هنا لا يوجد نار ولا بطانيات ولا عربة ولا (بيلا). ولكن هذه الأشياء الأخرى لا تزال موجودة في البيت. إن لم يقدر على حمل (تام) إلى هناك فربما يقدر على إحضار بعض هذه الأشياء إلى (تام) على الأقل. هذا إن رحل (الترولوكيون)، وهم سيرحلون بالتأكيد عاجلًا أو آجلًا. نظر إلى مقبض المجرفة ثم وضعه جانبًا وبدلًا منه استل سيف (تام). لمع النصل

بخفوت في ضوء القمر الشاحب. أحس أن المقبض الطويل غريب في يده؛ كان ثقله وحجمه غير مألوفين بالنسبة له. لوح به في الهواء بضع مرات قبل أن يتوقف وهو يتنهد. إن التلويح في الهواء سهل، ولكنه كان يعرف أنه إن اضطر لفعل هذا في مواجهة (ترولوك) فإنه سيهرب بالتأكيد، أو يتجمد في موضعه غير قادر على الحركة حتى يهوي عليه (الترولوك) بواحد من تلك السيوف الغريبة و... *كف عن هذا! هذا لن يفيد في شيء!*

بينما يعتدل واقفًا أمسك (تام) بذراعه وهو يسأله: «إلى أين أنت ذاهب؟».

قال برفق: «نحن بحاجة إلى العربة والبطانيات». أحس بالصدمة للسهولة التي استطاع بها إبعاد يد أبيه عن كمه. «استرح ريثما أعود».

قال (تام) وهو يلتقط أنفاسه: «كن حذرًا».

لم يكن باستطاعته رؤية وجه (تام) في ضوء القمر ولكنه كان يشعر بعينيه تنظران إليه. قال له: «سأكون حذرًا». وقال في قرارة نفسه؛ حذرًا كفأر يتسلل إلى عش صقر.

تسلل عبر الظلمة بصمت كأنما هو ظل من الظلال. فكر في كل المرات التي لعب فيها لعبة الغميضة مع أصدقائه وهم أطفال، وهم يتربصون بأحدهم الآخر، وكل واحد منهم يحاول جاهدًا ألا يصدر صوتًا قبل أن يضع يده على كتف أحدهم. بشكل ما لم يستطع أن يقنع نفسه بأن الموقفين متشابهان.

كان يتسلل من شجرة إلى شجرة وهو يحاول أن يرسم خطة، ولكن بحلول الوقت الذي وصل فيه إلى حافة الغابة كان قد رسم عشر خطط وصرف نظره عنها. كل شيء كان يعتمد على ما إذا كان (الترولوكيون) ما زالوا هناك أم لا. إن كانوا قد رحلوا فيمكنه ببساطة أن يتوجه ناحية البيت ويأخذ ما يريده. وإن كانوا ما زالوا موجودين... في هذه الحالة لا يوجد

شيء يمكنه فعله سوى العودة إلى (تام). لم يعجبه هذا ولكنه لا يستطيع أن يساعد (تام) إذا تعرض للقتل.

اختلس النظر ناحية مباني المزرعة، كانت الحظيرة ومربض الأغنام مجرد شكلين مظلمين في ضوء القمر، بينما الضوء ينسكب من نوافذ البيت الأمامية والباب الأمامي المفتوح. هل هي الشموع التي أضاءها والده، أم أن هناك (ترولوكيين) ينتظرون؟

جفل رغمًا عنه عند سماع صرخة صقر ليلي ثم استند على الشجرة وهو يرتجف. الانتظار لن ينفعه بشيء. انبطح على بطنه وبدأ يزحف وهو يمسك بالسيف أمامه بشكل أخرق. أبقى ذقنه في التراب حتى وصل إلى مؤخرة مربض الأغنام.

ربض بجوار الحائط الصخري وهو يصغي السمع، لم يكن هناك صوت في سكون الليل. اعتدل واقفًا ببطء وحذر لينظر من فوق الحائط، لم يكن هناك شيء يتحرك في باحة المزرعة، ولا ظلال تقطع نوافذ البيت المضاءة أو الباب المفتوح. (بيلا) والعربة أولًا أم البطانيات والأشياء الأخرى؟ حسم الضوء قراره، فقد كانت الحظيرة مظلمة وأي شيء قد يكون بانتظاره بداخلها، وليس لديه وسيلة لمعرفة هذا قبل أن يفوت الأوان. على الأقل سيكون قادرًا على رؤية ما بداخل البيت.

بدأ ينخفض ببطء، ثم توقف فجأة. لم يكن هناك أدنى صوت، ربما تكون معظم الأغنام قد هدأت بالفعل، وعادت إلى النوم، رغم أن هذا ليس محتملًا، إلا أنه دومًا ما يكون بعضها مستيقظًا، حتى في منتصف الليل، تُصدِر ثغاءً من آنٍ إلى آخر. بالكاد استطاع تمييز ظلال الأغنام المتكومة على الأرض، وكانت واحدة مستلقية تحته تقريبًا. حاول ألا يصدر أدنى صوت وهو يجذب نفسه فوق الجدار حتى استطاع أن يمد يده ناحية الشكل المظلم. لمست أصابعه الصوف المجعد، ثم لمست بللًا، ولكن الشاة لم تتحرك. حبس أنفاسه وهو يتراجع في عجلة إلى الوراء وكاد

أن يُسقط السيف من يده وهو يسقط أرضًا خارج المربض. *إنهم يقتلون من أجل المتعة*. حكَّ يده المبتلة في التراب وهو يرتجف.

قال لنفسه بشجاعة إن شيئًا لم يتغير، لقد ارتكب (الترولوكيون) مذبحتهم ورحلوا. كرر هذا في عقله وهو يزحف عبر باحة المزرعة، منخفضًا قدر ما يستطيع وهو يحاول أن يراقب جميع الاتجاهات في الوقت ذاته. لم يخطر بباله قبل اليوم أنه قد يشعر بالحسد تجاه ديدان الأرض.

عند مقدمة البيت رقد على الأرض بجانب الجدار أسفل النافذة المكسورة وهو يصغي السمع. كان صوت الدم النابض في أذنيه هو أعلى صوت يسمعه، اعتدل ببطء واختلس النظر إلى الداخل. كان قدر اليخنة مقلوبًا رأسًا على عقب في رماد المدخنة. وشظايا الخشب المتحطم تملأ الغرفة، لم تبقَ قطعة أثاث واحدة سليمة. حتى الطاولة قد مالت على جانبها بعد تحطم رجلين من أرجلها. كل الأدراج كانت ملقاة على الأرض ومحطمة، وكل الخزانات والدواليب كانت مفتوحة، والعديد من الأبواب كانت معلقة من مفصل واحد، وكانت محتوياتها مبعثرة فوق الحطام. وكل شيء يغطيه غبار أبيض. أدرك أنه دقيق وملح من الأكياس الممزقة والملقاة بجوار المدفأة. كان هناك أربع جثث متشابكة مع بقايا الأثاث، جثث (ترولوكيين).

تعرف (راند) على أحدهم، من قرنيّ الكبش في رأسه، البقية كانوا متشابهين إلى حد كبير، حتى في اختلافاتهم، مزيج مثير للاشمئزاز من الوجوه البشرية المشوهة بالخطوم والقرون والريش والفراء. أيديهم التي تشبه أيدي البشر جعلت الأمر أسوأ. كان اثنان منهم يرتديان حذاءً والآخران لديهما حوافر. ظل يحدق إليهم دون أن يرمش بجفنيه حتى أحرقته عيناه. لم يتحرك أي من (الترولوكيين)، لا شك أنهم موتى، و(تام) ينتظره.

ركض عبر باب البيت الأمامي ثم توقف وقد أحس بالغثيان من الرائحة. إن الشيء الوحيد الذي استطاع أن يفكر فيه والذي يمكن أن يكون قريبًا

من هذه الرائحة هو إسطبل لم ينظف لعدة أشهر. كان هناك بقع كريهة تلطخ الجدران. حاول أن يتنفس من خلال فمه وهو يفتش في عجالة بين الفوضى على الأرض. كان هناك قربة ماء في إحدى الخزانات.

صوت احتكاك من ورائه جعل الدماء تتجمد في عروقه، ثم استدار على عقبيه فكاد أن يسقط فوق بقايا الطاولة. تمالك نفسه وتأوه من بين أسنانه التي كانت لتصطك لولا لم يطبق فمه حتى كاد فكه أن يؤلمه. كان أحد (الترولوكيين) يعتدل واقفًا على قدميه، وفمه الذي يشبه خطم الذئب بارز أسفل عينين غائرتين خاليتين من المشاعر وبشريتين إلى حد كبير، وأذناه مدببتان ومشعرتان وترتعشان بشكل متواصل. لقد خطا فوق أحد رفاقه الموتى بحوافر حادة تشبه حوافر الماعز. كان يرتدي نفس الزرد الأسود الذي يرتديه الآخرون وهو يحتك على سروال من الجلد، وأحد السيوف الضخمة التي تشبه المنجل يتأرجح بجانبه.

تمتم بشيء حلقي حاد ثم قال: «آخرون يذهبون. (نارج) يبقى. (نارج) ذكي». كانت الكلمات مشوهة وصعبة الفهم، وتصدر عن فم غير مهيأ للحديث البشري. خيل إليه أن المقصد من نبرة الكلمات هو أن تكون مُطَمْئِنَة ولكنه لم يستطع أن يُبعد عينيه عن الأسنان الطويلة الحادة الملطخة التي تلمع كلما تحدث المخلوق. «(نارج) يعرف آخرين يعودون لاحقًا. (نارج) ينتظر. أنت سيف لا تحتاج. ضع سيف جانبًا».

حتى تحدث (الترولوك) لم يكن (راند) يُدرك أنه يحمل سيف (تام) ويشهره أمامه بكلتا يديه وهو يصوب ذبابَ السيف ناحية المخلوق. كان يفوقه طولًا برأسه وكتفيه وله صدر وذراعان أضخم من السيد (لوهان).

خطا المخلوق خطوة للأمام وقال مشيرًا بيديه: «(نارج) لا إيذاء. أنت ضع سيف جانبًا». كان الشعر الأسود على ظهر يديه كثيفًا كالفراء.

قال (راند): «ابقَ حيث أنت. لمَ فعلتم هذا؟ لماذا؟». تمنى لو أن صوته كان أكثر ثباتًا.

«ڤلجا دايج روغدا!». ثم تحولت الزمجرة إلى ابتسامة وهو يقول: «ضع سيف جانبًا. (نارج) لا إيذاء. (ميردرال) يرغب حديث معك». ظهرت ومضة من المشاعر على وجه المخلوق؛ الخوف. «آخرون يعودون، أنت تتحدث (ميردرال)». ثم أخذ خطوة أخرى للأمام ويده الضخمة تستقر على مقبض سيفه. «أنت ضع سيف جانبًا».

بلل (راند) شفتيه. (ميردرال)! إن أسوأ الحكايات تتحقق الليلة. إن كان هناك (عاتم) قادم فإن (الترولوك) لن يكون شيئًا مقارنة به. يجب عليه أن يهرب، وإن استل (الترولوك) هذا السيف الضخم فلن تكون لديه فرصة للنجاة. أجبر شفتيه على ابتسامة مرتجفة وقال: «حسنًا». أحكم قبضته على السيف، ثم ترك يديه ترتخيان إلى جواره وقال: «سأتحدث».

تحولت الابتسامة الذئبية إلى زمجرة بينما (الترولوك) ينقض عليه. لم يكن لدى (راند) فكرة أن شيئًا بمثل هذه الضخامة يمكن أن يتحرك بمثل هذه السرعة. أشهر سيفه في يأس، فاصطدم الجسم الوحشي به مما جعله يصطدم بالجدار. استُنزفت رئتاه من الهواء بشهقة واحدة. أخذ يلهث من أجل الهواء بينما يسقطان أرضًا معًا، و(الترولوك) من فوقه. أخذ يصارع بشكل محموم أسفل الثقل الذي يكاد أن يسحقه، وهو يحاول تفادي اليدين الغليظتين اللتين تحاولان الإمساك به، والأنياب التي تحاول أن تنغرس في جسمه.

فجأة تشنج جسد (الترولوك) قبل أن يسكن من جديد. للحظة لم يستطع (راند) أن يفعل شيئًا سوى أن يستلقي هناك في عدم تصديق، جسده مليء بالرضوض والكدمات وهو يكاد يختنق بسبب الجسم الضخم من فوقه. سرعان ما استجمع شتات نفسه بما يكفي لكي يزحف من تحت الجسم الضخم على الأقل. كانت شفرة سيف (تام) الدامية تبرز من منتصف ظهر (الترولوك). لقد استطاع أن يشهره في الوقت المناسب رغم كل شيء. كانت الدماء قد غطَّت يديّ (راند) أيضًا، ولطَّخت قميصه ببقعة سوداء. أحس بغثيان شديد فابتلع لعابه بقوة لكي يمنع نفسه من

التقيؤ. كان يرتجف بقوة بعد أن واجه أسوأ مخاوفه، ولكنه في الوقت ذاته كان يشعر بالارتياح لأنه لا يزال على قيد الحياة.

لقد قال (الترولوك) «آخرون عائدون»، لا شك أن (الترولوكيين) الآخرين سيعودون إلى البيت، وهناك (ميردرال) قادم معهم، (عاتم). تقول الحكايات إن (العواتم) طولهم عشرون قدمًا، بأعين من نار، وإنهم يمتطون الظلال كالخيل. عندما يتحرك (عاتم) بجانبه فإنه يختفي، ولا يستطيع جدار أن يوقفه. يجب عليه أن يفعل ما جاء من أجله وأن يهرب بسرعة.

أخذ يلهث مع المجهود الذي يبذله وهو يدفع جسد (الترولوك) جانبًا ليصل إلى السيف، وكاد أن يركض عندما حدقت إليه عينان مفتوحتان واحتاج لدقيقة لكي يدرك أنه كان يحدق إلى عينين ميتتين.

مسح يديه في خرقة ممزقة، كانت حتى هذا الصباح قميصًا من قمصان (تام)، ثم جذب السيف ليحرره، وبدأ ينظِّفه قبل أن يُلقي قطعة القماش أرضًا على مضض، لم يكن هناك وقت للتنظيف. كاد أن يضحك من الفكرة ولكنه أطبق أسنانه لكي يمنع نفسه، لم يستطع أن يتصور تنظيف البيت بما يسمح بالعيش فيه مرة أخرى، لا شك أن الرائحة الكريهة قد تغلغلت بالفعل في الألواح الخشبية، ولكن لم يكن هناك وقت للتفكير في هذا، *لا وقت للتنظيف، وربما لا وقت لأي شيء*.

كان واثقًا من أنه قد نسي عددًا من الأشياء التي يحتاجونها ولكن (تام) ينتظره و(الترولوكيون) عائدون. جمع كل ما يستطيع التفكير فيه قبل أن يهرب؛ بطانيات من غرفتيّ النوم بالأعلى وأقمشة نظيفة لتضميد جرح (تام)، عباءتيهما ومعطفيهما، قربة الماء التي يحملها عندما يأخذ الأغنام إلى المرعى، قميص نظيف. لم يكن يعرف إن كان سيجد وقتًا لتغيير ملابسه ولكنه كان يريد أن يتخلص من قميصه الملطخ بالدماء في أقرب فرصة. كانت أكياس لحاء الصفصاف الصغيرة والأدوية الأخرى جزءً من كومة داكنة موحلة لم يجرؤ على لمسها.

كان دلو الماء الذي جلبه (تام) لا يزال موضوعًا أمام المدفأة، وبمعجزة ما لم يلمسه شيء ولم ينسكب. ملأ قربة الماء منه وغسل يديه على عجالة في بقيته، قبل أن يبحث مرة أخيرة سريعة عن أي شيء ربما يكون قد نسيه. وجد قوسه بين الحطام مقسومًا إلى نصفين من منتصفه، ارتجف وهو يترك القطعتين تسقطان أرضًا، ثم قرر أن ما جمعه بالفعل سيكون كافيًا، وعلى الفور كوَّم الأشياء خارج الباب.

آخر شيء قبل أن يغادر البيت؛ استخرج من الفوضى على الأرض مصباحًا ذا مصراع لا يزال به بعض الزيت، أشعله من واحدة من الشموع، قبل أن يغلق مصراعه، من ناحية لكي يحجبه عن الرياح، ومن ناحية أخرى لكيلا يجذب الأنظار إليه. أسرع إلى الخارج، المصباح في يد والسيف في الأخرى. لم يكن يعرف ما الذي قد يعثر عليه في الحظيرة، ولكن مربض الأغنام جعله لا يأمل كثيرًا. إنه بحاجة إلى العربة لكي يوصل (تام) إلى (إيموندز فيلد)، ولكنه يحتاج إلى (بيلا) من أجل العربة، فجعلته حاجته الماسة يأمل بعض الشيء.

كان باب الحظيرة مفتوحًا وأحد المصراعين يصدر صريرًا من مفصلاته وهو يتأرجح في مهب الريح. للوهلة الأولى بدت الحظيرة كما كانت دومًا، ثم وقعت عيناه على الإسطبلين الفارغين والبابين المخلوعين من مفصلاتهما، لقد اختفت (بيلا) والبقرة. على الفور توجه إلى مؤخرة الحظيرة، كانت العربة مقلوبة على جانبها ونصف الأقطار الخشبية في عجلاتها محطمة وأحد المقبضين قد انتزع من موضعه.

ملأه اليأس الذي كان يحاول أن يكبح جماحه. لم يكن واثقًا من قدرته على حمل (تام) إلى مكان بعيد كالقرية حتى لو كان والده قادرًا على تحمل هذا. قد يقتله الألم بشكل أسرع من الحمى، ولكن كانت هذه هي الفرصة الوحيدة المتبقية، لقد فعل كل ما يمكنه فعله هنا، بينما يستدير ليبتعد وقعت عيناه على مقبض العربة المقطوع والملقى على الأرض المغطاة بالقش، وفجأة ابتسم.

على الفور وضع المصباح والسيف على الأرض المغطاة بالقش، وفي اللحظة التالية كان يصارع مع العربة ليجعلها تعتدل مع تحطم المزيد من أقطار العجلات الخشبية قبل أن يدفع العربة بكتفه ليقلبها على الجانب الآخر. كان المقبض السليم ممتدًّا بشكل مستقيم فالتقط السيف وبدأ يهوي به على خشب الدردار المتين. لدهشته تطايرت قطع من الخشب مع ضرباته وهو يقطعه بسهولة كأنما يضرب بفأس حاد.

عندما سقط المقبض نظر إلى نصل السيف بدهشة، حتى أكثر الفؤوس شحذًا سيصير ثلمًا بعد قطع خشب متين عتيق كهذا، ولكن السيف بدا حادًّا كما كان من قبل. لمس حافته بإبهامه قبل أن يضعه في فمه على الفور؛ كان النصل حادًّا للغاية.

ولكن لم يكن هناك وقت للتساؤل. أطفأ المصباح . فلا ينقصهم أن تحترق الحظيرة علاوة على كل شيء آخر . وحمل المقبضين ثم ركض عائدًا لإحضار ما تركه في البيت.

كان حمل كل شيء صعبًا، لم تكن الأشياء ثقيلة، ولكن كان من الصعب موازنتها معًا، ومقبضا العربة يتلويان بين ذراعيه وهو يسير متعثرًا عبر الحقل المحروث. ما إن عاد إلى الغابة حتى زاد الأمر سوءً، حيث كان المقبضان يعلقان في الأشجار وكادا أن يسقطاه. سيكون جذبهما أسهل ولكنه سيترك أثرًا واضحًا وراءه، كان يرغب أن ينتظر أطول وقت ممكن قبل أن يفعل هذا.

كان (تام) موجودًا حيث تركه، ويبدو نائمًا، كان يأمل أنه نائم. أحس بالخوف وهو ينزل حمولته ويضع يده على وجه أبيه، كان (تام) لا يزال يتنفس ولكن الحمى قد ازدادت سوءً.

أيقظت لمسته (تام)، ولكنها لم تكن سوى حالة من اليقظة الضبابية. قال من بين أنفاسه المتقطعة: «أهذا أنت يا فتى؟ كنت قلقًا عليك. أحلام

عن أيام مضت. كوابيس». أخذ يغمغم بصوت خافت قبل أن يغيب عن الوعي مجددًا.

قال (راند): «لا تقلق». ثم وضع معطف (تام) وعباءته فوقه لكي يحميه من الرياح وقال: «سأحملك إلى (ناينيف) بأسرع ما أستطيع». كان يقول هذا لطمأنة نفسه أكثر من طمأنة (تام) بينما هو يخلع قميصه، وبالكاد انتبه إلى البرد في عجالته للتخلص منه، قبل أن يرتدي على الفور القميص النظيف. ألقى قميصه القديم بعيدًا مما جعله يشعر كأنه قد استحم للتو. «لن يمضي وقت طويل قبل أن نكون آمنين في القرية، وستُصلح الحكيمة كل شيء. سترى، كل شيء سيكون على ما يرام».

كانت هذه الفكرة كشعلة أمل بينما هو يرتدي معطفه وينحني ليعتني بجرح (تام). سيكونان آمنين بمجرد وصولهما إلى القرية، وستعالج (ناينيف) جُرح (تام)، عليه فقط أن يحمله إلى هناك.

الفصل السادس

الغابة الغريبة

في ضوء القمر لم يكن باستطاعة (راند) أن يرى ما الذي يفعله حقًّا، ولكن إصابة (تام) بدت أنها مجرد جرح غير عميق فوق الضلوع، وليس أكثر طولًا من راحة يده. هز رأسه في حيرة، لقد رأى أباه يصاب بجروح أعمق من هذه دون أن يتوقف عن العمل سوى لغسل الجرح. أخذ يتفحص أباه على الفور من رأسه حتى أخمص قدميه بحثًا عن إصابة بالغة بما يكفي لتفسير الحمى، ولكن هذا الجرح الوحيد هو كل ما استطاع العثور عليه.

على الرغم من صغر هذا الجرح إلا أنه كان خطيرًا بما يكفي، والجلد من حوله كان ساخنًا للغاية، وأكثر سخونة من بقية جسم (تام) الذي كانت درجة حرارته كافية لجعل (راند) يجز على أسنانه. مثل هذه الحمى الحارقة يمكنها أن تقتل المرء أو أن تضعفه تمامًا. بلل قطعة من القماش بماء من القربة ثم وضعها على جبهة (تام).

حاول أن يترفق وهو يغسل الجرح ويضمده، ولكن مع هذا كان هناك تأوهات خافتة تقاطع تمتمات أبيه الخفيضة. كانت الأغصان العارية من الأوراق التي تحيط بهما تتحرك مع الرياح كأنما تهددهما. بالتأكيد سيرحل (الترولوكيون) عندما يفشلون في العثور عليه هو و(تام) عندما يعودون

إلى البيت ويجدون أنه ما زال خاويًا. حاول أن يُجبر نفسه على تصديق هذا، ولكن الدمار الوحشي اللاعقلاني في البيت لم يترك مجالًا للتصديق. إن التصديق بأنهم سيستسلمون سريعًا بعد قتل كل شخص وكل شيء استطاعوا العثور عليه كان مقامرة خطيرة لا يسعه أن يغامر بها.

(ترولوكيون) بحق (النور) في الأعالي! (ترولوكيون)! مخلوقات من حكايات صانعي البهجة قد خرجت في الليل لتطرق على الباب. و(عاتم) أيضًا بحق (النور)! (عاتم)!

أدرك فجأة أنه يمسك بطرفي الضمادة غير المعقودين بيديه الجامدتين. فكر بازدراء أنه متجمد كأرنب قد رأى ظل صقر، فهز رأسه في غضب وأنهى ربط الضمادة حول صدر (تام).

إن معرفة ما يجب عليه فعله أو حتى تنفيذه بالفعل لم يجعله يتوقف عن الإحساس بالخوف. عندما يعود (الترولوكيون) فإنهم بالتأكيد سيفتشون الغابة المحيطة بالمزرعة بحثًا عن أثر الأشخاص الذين هربوا منهم. إن جثة (الترولوك) الذي قتله ستعرفهم أن هؤلاء الأشخاص ليسوا بعيدين. من يعرف ما الذي سيفعله (عاتم)، أو ما يقدر على فعله؟ علاوة على ذلك فإن تعليق أبيه عن سمع (الترولوكيين) كان يتردد في عقله كأنه قد قاله للتو. وجد نفسه يقاوم الرغبة في وضع يده على فم (تام) لكتم آهاته وغمغماته. *بعضهم يقتفي الأثر عن طريق الرائحة. ما الذي يمكنني فعله حيال هذا؟* لا شيء. لا يمكنه أن يضيع وقتًا في القلق بشأن مشكلات لا يمكنه فعل شيء حيالها.

همس في أذن أبيه: «يجب أن تبقى هادئًا، (الترولوكيون) سوف يعودون».

تحدث (تام) بصوت هامس مبحوح: «أنتِ ما زلتِ جميلة يا (كاري)، جميلة كفتاة صغيرة».

تجهم وجه (راند)، لقد ماتت أمه منذ خمسة عشر عامًا، إن كان (تام) يُخيِّل إليه أنها لا تزال على قيد الحياة إذن فالحمى أسوأ مما كان يظن. كيف يمكن أن يمنعه من الحديث الآن بينما الصمت قد يعني النجاة؟

همس (راند) قائلًا: «أمي تريدك أن تبقى صامتًا». ثم تنحنح وقد أحس بضيق مفاجئ في حلقه. كان لديها يدان لطيفتان، باستطاعته تذكر هذا. «(كاري) تريدك أن تبقى صامتًا. خُذْ، اشرب».

تجرع (تام) الماء بعطش من القربة ولكنه بعد أن شرب بضع جرعات أدار رأسه جانبًا وبدأ يغمغم مرة أخرى بصوت خفيض حتى أن (راند) لم يفهمه، فتمنى أن يكون خفيضًا بما يكفي لكيلا يسمعه (الترولوكيون) الذين يلاحقونهما.

شرع على الفور في تنفيذ ما يحتاجه، لف ثلاث بطانيات حول المقبضين اللذين اقتطعهما من العربة ليصنع محفة مرتجلة، سيكون قادرًا على حمل طرف واحد منها تاركًا الآخر مجرورًا على الأرض، ولكن هذا سيفي بالغرض. اقتطع من البطانية الأخيرة شريطًا طويلًا مستخدمًا سكين حزامه ثم عقد كل طرف من الشريط بمقبض من المقبضين.

حمل (تام) إلى المحفة برفق قدر ما يستطيع وهو يجفل مع كل أنين منه. لطالما بدا أبوه منيعًا، لا شيء يمكن أن يؤذيه، ولا شيء يمكن أن يوقفه، أو حتى يعرقله. إن رؤيته في هذه الحالة كادت أن تسلب (راند) كل شجاعة استطاع استجماعها. ولكنه مجبر على المضي قدمًا، كان هذا ما يحثه على الاستمرار، أنه مجبر.

عندما استلقى (تام) أخيرًا على المحفة تردد (راند) ثم انتزع غمد السيف من على خصر والده. عندما ربطه حول خصره أحس بالغرابة، لم يكن وزن الغمد والسيف معًا أكثر من بضعة أرطال، ولكنه عندما وضع السيف في غمده أحس كأنه يحمل وزنًا عظيمًا.

وبخ نفسه في غضب، لم يكن هذا هو الوقت المناسب أو المكان المناسب من أجل خيالات حمقاء. إنه مجرد سكين كبير. كم مرة قد حلم فيها بامتشاق سيف وخوض مغامرات؟ إن كان باستطاعته أن يقتل أحد (الترولوكيين) بهذا السيف فإن باستطاعته أن يقاتل الآخرين بالتأكيد. ولكنه كان يعلم جيدًا أن ما حدث في البيت كان مجرد حظ. كما أن أحلامه لم تكن تتضمن اصطكاك أسنانه أو هربه للنجاة بحياته في الليل أو أن يصير أبوه على حافة الموت.

على الفور دثَّر (تام) بالبطانية الأخيرة، قبل أن يضع قربة الماء وبقية الملابس بجوار أبيه على المحفة. أخذ نفسًا عميقًا قبل أن ينحني على ركبتيه بين المقبضين ويرفع الشريط الذي اقتطعه من البطانية فوق رأسه، استقر الشريط على كتفيه وأسفل ذراعيه. عندما أمسك بالمقبضين واعتدل واقفًا استقر معظم الوزن على كتفيه، لم يبدُ الوزن ثقيلًا. انطلق ناحية (إيموندز فيلد) محاولًا الحفاظ على وتيرة ثابتة، بينما المحفة تكشط الأرض من ورائه.

كان قد قرر بالفعل أن يشق طريقه ناحية (الطريق الحجري) وبعد ذلك يأخذ هذا الطريق إلى القرية. الخطر سيكون أعظم بالتأكيد على الطريق، ولكن (تام) لن يتلقى أي مساعدة على الإطلاق إن تسبب في ضياعهما وهو يحاول أن يتحسس طريقه عبر الغابة في الظلام.

وصل إلى (الطريق الحجري) بسرعة فكاد ألا يعرف هذا بسبب الظلام، ولكنه عندما أدرك أنه قد وصل إليه أحس بالرهبة فأدار المحفة وجذبها عائدًا إلى الأشجار، ثم توقف ليلتقط أنفاسه ويسمح لنبضات قلبه أن تهدأ. بينما هو لا يزال يلهث التفت شرقًا ناحية (إيموندز فيلد).

إن جذب المحفة بين الأشجار أكثر صعوبة من جذبها عبر الطريق، وخصوصًا في ظلام الليل، ولكن الخروج إلى الطريق سيكون جنونًا. كان ما يتمناه هو أن يصلا إلى القرية دون الالتقاء بأي (ترولوكيين) أو رؤية أي واحد منهم. كان عليه أن يفترض أن (الترولوكيين) ما زالوا يطاردونهما،

وعاجلًا أو آجلًا سيدركون أنهما قد انطلقا ناحية القرية، فهذا هو المكان المرجَّح أن يذهبا إليه، و(الطريق الحجري) هو المسار المرجح أن يسلكاه. في الحقيقة وجد نفسه قريبًا من الطريق أكثر مما يود. بدا أن ظلمة الليل وظلال الأشجار غطاء سيئ للاختباء من أعين أي أحد يسافر على الطريق.

لم يكن ضوء القمر الذي يتسلل من بين الأغصان العارية يمنح سوى إضاءة كافية لخداع عينيه حتى يعتقد أنه يرى موطئ قدميه. جذور الأشجار تهدده بالتعثر مع كل خطوة، وشجيرات العليق العجوز ذات الأشواك تعلق بساقيه، كما أن الأرض غير المستوية التي ترتفع أو تنخفض فجأة تكاد أن تسقطه عندما لا تجد قدمه سوى الهواء حيث تتوقع أن تجد الأرض الصلبة، أو أن يصطدم إبهام قدمه بالتربة بينما يحاول أن يخطو إلى الأمام. كانت تمتمات (تام) تتحول إلى تأوه حاد عندما يرتطم أحد المقبضين بجذر أو بصخرة بينما هو يتحرك بسرعة.

جعله عدم اليقين يحدق إلى الظلمة حتى أحرقته عيناه، وهو يصغي السمع كما لم يُصغِ من قبل، كلما احتك غصن بآخر وكلما أصدرت أوراق أشجار الصنوبر حفيفًا توقف في موضعه منصتًا في توتر وهو بالكاد يجرؤ على أن يتنفس خوفًا من ألا يسمع صوتًا تحذيريًّا، وخوفًا من أنه قد يسمع هذا الصوت. لم يكن يواصل الحركة إلا عندما يتيقن من أنها لم تكن سوى الرياح.

تسلل التعب ببطء إلى ذراعيه وساقيه، تُعزز منه رياح الليل التي تسخر من عباءته ومعطفه. وزن المحفة الذي لم يكن ثقيلًا في البداية صار يحني ظهره. لم يعد يتعثر في مشيته بسبب العقبات وحدها، كان يبذل مجهودًا متواصلًا لكيلا يسقط بقدر المجهود الذي يبذله لجذب المحفة. لقد استيقظ قبل الفجر ليباشر مهامه في المزرعة، وحتى مع رحلته إلى (إيموندز فيلد) فقد قضى اليوم كله تقريبًا في العمل. في أي ليلة عادية كان سيستريح أمام المدفأة وهو يقرأ كتابًا من مجموعة كتب (تام) الصغيرة قبل أن يخلد إلى

النوم. تسللت القشعريرة الباردة إلى عظامه، وذكرته معدته أنه لم يتناول شيئًا منذ كعك عسل السيدة (ألڤير).

وبخ نفسه في غضب على عدم أخذ أي طعام من المزرعة، بضع دقائق أخرى لم تكن لتصنع فارقًا، بضع دقائق للعثور على بعض الخبز والجبن. لم يكن (الترولوكيون) ليعودوا في غضون بضع دقائق. أو حتى خبز فقط. بالطبع ستصر السيدة (ألڤير) على أن تضع أمامه وجبة ساخنة بمجرد وصولهما إلى الحانة؛ على الأرجح طبق من يخنة لحم الضأن يتصاعد منه البخار، وبعض الخبز الذي كانت تخبزه، والكثير من الشاي الساخن.

قال (تام) فجأة بصوت قوي غاضب: «لقد اجتاحوا (جدار التنين) كالطوفان، وأغرقوا الأرض بالدماء. كم شخص قد مات في سبيل خطيئة (لامان)؟».

كاد (راند) أن يسقط من المفاجأة. أنزل المحفة أرضًا في تعب، وانتزع شريط البطانية الذي ترك آثارًا حارقة على كتفيه. حرك كتفيه ليخفف الألم ثم جثا على ركبتيه بجوار (تام) وهو يبحث عن قربة الماء، بينما يختلس النظر بين الأشجار محاولًا عبثًا أن يرى في ضوء القمر أي شيء على جانبي الطريق، ولكنه لم يستطع أن يرى شيئًا على مسافة أبعد من عشرين خطوة. لم يكن هناك شيء يتحرك سوى الظلال. لا شيء سوى الظلال.

«لا يوجد أي طوفان من (الترولوكيين) يا أبي، ليس الآن على الأقل. قريبًا سنكون بأمان في (إيموندز فيلد). اشرب بعض الماء».

نحى (تام) قربة الماء جانبًا بذراع بدت أنها قد استعادت كل قوتها، ثم جذب (راند) من ياقته ليقربه منه بما يكفي لكي يشعر بحرارة حمى أبيه على وجنتيه. قال (تام) بإلحاح: «لقد قالوا عنهم إنهم همج، لقد قال الحمقى إن باستطاعتهم أن يكنسوهم جانبًا كالقمامة. كم معركة قد خسروا، كم مدينة قد احترقت، قبل أن يواجهوا الحقيقة؟ قبل أن تتحد الأمم لكي تواجههم؟». ثم أرخى قبضته من على (راند) وملأ الحزن صوته

وهو يقول: «لقد فُرِشَ الحقل في (ماراث) بالجثث، ولم يكن هناك صوت سوى نعيق الغربان وأزيز الذباب. أبراج (كايرين) الشاهقة تحترق في الليل كالمشاعل. لقد ظلوا يحرقون ويذبحون حتى وصلوا إلى (الأسوار اللامعة) قبل أن يعودوا أدراجهم. حتى وصلوا إلى...».

وضع (راند) يده على فم أبيه. جاء الصوت مرة أخرى؛ صوت ضربات منتظمة لا يمكن تمييز اتجاهه بين الأشجار، يخفت ويعلو مرة أخرى مع تغير اتجاه الريح. عقد حاجبيه ثم أدار رأسه ببطء محاولًا أن يحدد من أين يأتي الصوت. لمح حركة بطرف عينه، وعلى الفور ربض فوق (تام). جفل عندما أحس بمقبض السيف وهو يمسكه بإحكام في يده، ولكن معظم تركيزه كان منصبًّا على (الطريق الحجري)، كما لو أن الطريق هو الشيء الحقيقي الوحيد في العالم بأسره.

كان هناك ظلال متموجة جهة الشرق تجسدت ببطء حتى صارت حصانًا وراكبه على الطريق يلحق بهما أشكال طويلة ضخمة تهرول لتجاري سرعة الحصان. انعكس ضوء القمر الشاحب على رؤوس الرماح ونصال الفؤوس. لم يفكر (راند) قط في أنهم قد يكونون قرويين قادمين للمساعدة، كان يعرف من هم، كان باستطاعته أن يشعر بهذا، كما يشعر بالبرد الذي ينخر عظامه، قبل أن يقتربوا حتى بما يكفي لكي يكشف ضوء القمر العباءة التي تغطي الفارس، عباءة ساكنة لا تأثر فيها الرياح. جميع الأشكال تبدو سوداء في الليل، وكل حوافر الخيول تصنع نفس الصوت، ولكن (راند) كان باستطاعته أن يميز هذا الحصان عن أي حصان آخر.

من وراء الفارس الأسود تأتي أشكال كابوسية بقرون وخطوم ومناقير؛ طابوران من (الترولوكيين)، جميعهم يضربون الأرض بأحذيتهم وحوافرهم في نفس اللحظة كأنهم يطيعون عقلًا واحدًا. أحصى (راند) عشرين منهم أثناء مرورهم. تساءل عن طبيعة الرجل الذي يجرؤ على أن يدير ظهره لمثل هذا العدد من (الترولوكيين) أو حتى واحد فقط منهم.

اختفى المهرولون جهة الغرب وأصوات خطوات أقدامهم تتلاشى عبر الظلمة، ولكن (راند) بقي حيث هو، لا يحرك أي عضلة إلا للتنفس. شيء ما قد أخبره أن يكون متيقنًا تمام اليقين من أنهم قد رحلوا قبل أن يتحرك. وبعد انتظار طويل أخذ نفسًا عميقًا وبدأ يعتدل واقفًا.

هذه المرة لم يصدر الحصان أدنى صوت على الإطلاق، لقد عاد الفارس الأسود في صمت مخيف، وحصانه المظلم يتوقف كل بضع خطوات بينما يسير ببطء عائدًا عبر الطريق. هبت الرياح بشكل أقوى وهي تصفر من بين الأشجار، إلا أن عباءة الفارس ظلت ساكنة كالموت. كلما توقف الحصان كان الفارس يلتفت برأسه المغطى يمينًا ويسارًا محدقًا إلى الغابة باحثًا. توقف الحصان مرة أخرى على الناحية المقابلة لـ(راند) بالضبط، بينما فتحة غطاء الرأس المظلمة تلتفت إلى حيث يربض فوق أبيه.

أحكم (راند) قبضته على السيف بشكل متشنج، أحس بالنظرة كما أحس بها هذا الصباح، وارتجف مرة أخرى من الكراهية حتى لو لم يستطع رؤيتها. هذا الرجل المتشح بالسواد يكره كل شخص وكل شيء، كل شيء على قيد الحياة. رغم الرياح الباردة إلا أن العرق بدأ يتصبب على وجه (راند).

واصل الحصان حركته الرتيبة؛ بضع خطوات صامتة ثم تَوَقُّف، حتى لم يعد (راند) قادرًا على رؤية شيء في الظلمة سوى شكل ضبابي مبهم بعيدًا عبر الطريق، ولكنه لم يبعد عينيه عنه ولو ثانية، كان يخشى أنه لو فقد أثره فإن المرة التالية التي يرى فيها الفارس ذا العباءة السوداء قد تكون والحصان الصامت فوق رأسه.

فجأة اندفع الظل عائدًا ومر بجواره في ركض صامت. لم يكن الفارس ينظر إلا أمامه بينما هو يُسرع ناحية الغرب عبر الليل، ناحية (جبال الضباب)، ناحية المزرعة.

ارتخى جسم (راند) وهو يعب الهواء عبًّا ويمسح العرق البارد من على وجهه بكم قميصه. لم يعد يبالي بسبب مجيء (الترولوكيين)، حتى لو لم يعرف السبب أبدًا فلا بأس بهذا، طالما أن الأمر سينتهي.

ارتجف وهو يستجمع شتات نفسه ويُسرع لكي يتفحص أباه. كان (تام) لا يزال يغمغم ولكن بصوت خفيض للغاية حتى أن (راند) لم يستطع أن يميز الكلمات. حاول أن يسقيه شربة ماء، ولكن الماء انسكب على ذقن أبيه. سعل (تام) وشرق بقطرات الماء القليلة التي وصلت إلى حلقه، ثم بدأ يغمغم مجددًا كأن شيئًا لم يُقاطعه.

نثر (راند) القليل من الماء على القماشة الموضوعة على جبهة (تام)، ثم وضع قربة الماء مرة أخرى على المحفة، قبل أن يُسرع ليحمل المقبضين مرة أخرى.

بدأ حركته كأنه قد نام واستراح، ولكن قوته الجديدة لم تدم وقتًا طويلًا. لقد حجب الخوف تعبه في البداية، ولكن رغم استمرار الخوف إلا أن الحجاب تلاشى سريعًا. سرعان ما عاد إلى التعثر في مشيته وهو يحاول أن يتجاهل الجوع وعضلاته المتألمة. كان تركيزه منصبًّا على وضع قدم أمام الأخرى دون أن يتعثر.

تخيل في عقله (إيموندز فيلد)، النوافذ مفتوحة والبيوت مضاءة من أجل (ليلة الشتاء)، الناس يصيحون بالمعايدات بينما هم يذهبون إلى زياراتهم ويجيئون منها، عازفو الكمان يملؤون الشوارع بأغانٍ مثل «حماقة جايم» و«طائر البلشون في الجو». سيتناول (هارال لوهان) الكثير من البراندي، ثم يغني «الرياح في حقل الشعير» بصوت كنقيق الضفادع. لطالما فعل هذا - حتى تقدر زوجته على إسكاته، وسيقرر (سين بوي) أن يُثبت أنه لا يزال قادرًا على الرقص كالأيام الخوالي. و(مات) سيكون لديه خطة لفعل شيء، ولن يحدث هذا الشيء كما خطط له، فسيعرف الجميع أنه

المسئول حتى لو لم يتمكن أحدهم من إثبات هذا. كاد أن يبتسم وهو يفكر كيف سيكون الأمر.

بعد مرور بعض الوقت تحدث (تام) من جديد: «(أڤِنديسورا)، يُقال إنها لا تنتج بذورًا، ولكنهم اقتطعوا شتلة منها وأحضروها إلى (كايرين). هدية أعجوبة من أجل الملك». رغم أنه بدا غاضبًا إلا أن صوته كان بالكاد مرتفعًا بما يكفي لكي يفهمه (راند). أي شخص يكون قادرًا على سماعه سيكون قادرًا أيضًا على سماع احتكاك المحفة بالأرض. واصل (راند) المضي قدمًا وهو لا يصغي باهتمام كامل. «إنهم لا يجنحون للسلام مطلقًا، ولكنهم أحضروا شتلة كبادرة سلام. لقد نمت في خمسمئة سنة. خمسمئة سنة من السلام مع هؤلاء الذين لا يجنحون للسلام مع الغرباء. لماذا قطعها؟ لماذا؟ كان الدم هو ثمن (أڤِندورَلديرا). الدم ثمن كبرياء (لامان)». خفت صوته حتى صار غمغمة مرة أخرى.

تساءل (راند) في إرهاق عن هلوسات الحمى التي تراود (تام) الآن. (أڤِنديسورا)، (شجرة الحياة) التي من المفترض أنها كانت تحتوي على كل الصفات الإعجازية، ولكن لم تذكر الحكايات أي شتلة أو أي «هؤلاء». هناك دومًا شجرة واحدة، وهذه الشجرة تخص (الرجل الأخضر).

حتى هذا الصباح فقط كان سيشعر بالحماقة إذا فكر في (الرجل الأخضر) و(شجرة الحياة). *إنها مجرد حكايات، أليس كذلك؟ ولكن (الترولوكيين) كانوا مجرد حكايات حتى هذا الصباح.* ربما كل الحكايات حقيقة، كالأخبار التي يجلبها الباعة الجائلون والتجار، جميع حكايات صانع البهجة، وكل الحكايات التي تروى ليلًا أمام نيران المدفأة. ربما يلتقي لاحقًا بالفعل بـ(الرجل الأخضر) أو عملاق من (الأوجير) أو رجل بري من (آييل) بلثام أسود.

أدرك أن (تام) يتحدث من جديد، أحيانًا تكون مجرد غمغمة، وأحيانًا بصوت عالٍ بما يكفي لفهمه. من وقت لآخر كان يتوقف ليلتقط أنفاسه، ثم يستأنف الحديث كأنما كان يتكلم طيلة الوقت.

«... المعارك دومًا ما تكون حامية الوطيس، حتى في الثلج، حرارة العرق، حرارة الدماء، وحده الموت يكون باردًا. سفح الجبل... المكان الوحيد الذي لا تفوح منه رائحة الموت النتنة. يجب الهرب من رائحته... من مشهده... سمعت طفلًا يبكي. نساؤهم تقاتل جنبًا إلى جنبٍ مع الرجال، أحيانًا. ولكن لماذا سمحوا لها بالمجيء، أنا لا... لقد وضعت طفلها هناك وحدها، قبل أن تموت متأثرة بجراحها... دثَّرت الطفل بعباءتها، ولكن الرياح... طيَّرت العباءة بعيدًا... الطفل أزرق بسبب البرد. كان يجب أن يموت أيضًا... يبكي هناك. يبكي في الثلج. لا يمكنني أن أتخلى عن طفل ببساطة... ليس لدينا طفل من نسلنا... لطالما عرفت أنك تريدين طفلًا. كنت أعرف أنك ستحبينه يا (كاري). أجل يا فتاة. (راند) اسم جميل. اسم جميل».

فجأة خارت القوى من ساقي (راند)، فتعثر وسقط على ركبتيه. تأوه (تام) مع الصدمة واحتك شريط البطانية بكتفي (راند) بشكل مؤلم، ولكنه لم يعِ أيًّا من هذا. إن قفز (ترولوك) أمامه الآن فإنه سيكتفي بالتحديق إليه. نظر من فوق كتفه إلى (تام) الذي غرق مرة أخرى في غمغمات غير مفهومة. قال لنفسه في ذهول إنها مجرد هلاوس حمى، دومًا ما تصيب الحمى المرء بأضغاث أحلام، وهذه الليلة كافية لإصابة المرء بالكوابيس حتى بدون حمى.

قال بصوتٍ عالٍ وهو يمد يده وراءه ليلمس (تام): «أنت أبي وأنا...». كانت الحمى أسوأ. أسوأ بكثير.

كافح ليقف على قدميه في اكتئاب. تمتم (تام) بشيء ولكن (راند) رفض أن يُصغي إلى المزيد. ألقى كل ثقله على الشريط الذي يجذبه وهو يحاول أن يضع كل تركيزه في قطع كل خطوة ثقيلة بعد الأخرى محاولًا الوصول إلى الأمان في حقل (إيموندز فيلد)، ولكنه لم يستطع أن يمنع الصدى الذي يتردد في عقله الباطن. *إنه أبي. إنها مجرد هلوسة. إنه أبي. إنها مجرد هلوسة. من أنا بحق (النور)؟*

الفصل السابع

الخروج من الغابة

بزغ الضوء الرمادي الأول بينما (راند) لا يزال يقطع طريقه بمشقة عبر الغابة، في البداية لم يرَ شيئًا حقًّا، وعندما رآه أخذ يحدق في دهشة إلى الظلمة المتلاشية. رغم ما تخبره به عيناه إلا أنه لم يكد يصدق أنه قد قضى الليل كله محاولًا أن يقطع المسافة من المزرعة إلى (إيموندز فيلد). هناك بون شاسع بين (الطريق الحجري) نهارًا . رغم الأحجار وما إلى ذلك . والغابة ليلًا. على الجانب الآخر أحس كأن أيامًا قد مضت منذ أن رأى الفارس المتشح بالسواد على الطريق، وأسابيع منذ أن كان يعد العشاء مع (تام). لم يعد يشعر بشريط القماش المنغرس في كتفيه، لم يعد يشعر بشيء في كتفيه أو حتى قدميه سوى الخدر، ولكن الحال كان مختلفًا في بقية جسمه؛ كانت أنفاسه شاقة ولاهثة، والألم يحرق حلقه ورئتيه، والجوع يلوي معدته ويصيبه بالغثيان.

كان (تام) قد صمت منذ فترة من الوقت، ولم يكن (راند) واثقًا كم مضى منذ أن تلاشت غمغماته، ولكنه لم يجرؤ على التوقف في تلك اللحظة للاطمئنان عليه. إن توقف فلن يكون قادرًا على إجبار نفسه على البدء من جديد. علاوة على هذا مهما كانت حالة (تام) فإنه لن يكون قادرًا على فعل شيء أكثر مما يفعله بالفعل. إن الأمل الوحيد ينتظرهما في

القرية. حاول في تعب أن يسرع من وتيرته ولكن ساقيه المتخشبتين واصلتا حركتهما البطيئة. بالكاد كان يلاحظ البرد أو الرياح.

خُيِّل إليه أنه يشم رائحة حطب يحترق. لقد كاد أن يصل على الأقل ما دام باستطاعته أن يشم رائحة مداخن القرية. كان هناك ابتسامة تكاد ترتسم على وجهه قبل أن يتجهم فجأة؛ كان الدخان كثيفًا في الهواء، كثيفًا أكثر من اللازم. ربما تكون كل مدفأة مشتعلة في القرية بسبب برودة الجو، ولكن مع هذا كان الدخان قويًّا أكثر من اللازم. ارتسم في ذهنه مرة أخرى صورة (الترولوكيين) المهرولين على الطريق، (ترولوكيين) قادمين من الشرق، من ناحية (إيموندز فيلد). حدق إلى الأمام محاولًا أن يميز البيوت الأولى ومستعدًّا بالفعل لأن يصرخ من أجل النجدة عندما يلمح أي شخص، حتى لو كان (سين بوي) أو واحدًا من آل (كوبلِن). صوت خافت في عقله الباطن كان يحثه على الأمل في أن يكون هناك شخص ما زال بإمكانه أن يساعده.

فجأة صارت البيوت ظاهرة من بين آخر الأشجار العارية من الأوراق، وكل ما استطاع فعله هو أن يواصل حث قدميه على الحركة. تحول الأمل إلى يأس فظيع وهو يدخل القرية مترنحًا.

كان هناك أكوام من الأنقاض المتفحمة في موضع نصف بيوت (إيموندز فيلد)، المداخن المصنوعة من القرميد والمكسوة بالسخام تبرز من بين أكوام الأخشاب السوداء كأصابع قذرة، وخيوط رفيعة من الدخان ما زالت تتصاعد من بين الركام. كانت وجوه القرويين مكسوة بالأوساخ، وبعضهم لا يزال يرتدي ملابس النوم وهم يفتشون بين الرماد، أحدهم يجذب قدر طعام ليخلصه من الأنقاض، وآخر يكتفي بالتنقيب بعصا بين الحطام في بؤس. كان القليل الذي أنقذوه من النيران متناثرًا في الشوارع؛ كانت المرايا الطويلة والطاولات المصقولة والخزانات متعددة الأدراج مستقرة في التراب بين الكراسي والطاولات المدفونة تحت المفارش وأواني الطهي وأكوام ضئيلة من الملابس والمتعلقات الشخصية.

بدا أن الدمار موزعًا بشكل عشوائي في جميع أنحاء القرية، ففي مكان يوجد خمسة بيوت لم يطلهم أدنى أذى، وفي مكان آخر يقف بيت ناجٍ وحيد محاطًا بالخراب.

على الجانب الآخر من نبع (واينسبرينج) كانت نيران (بِل تاين) الاحتفالية الضخمة الثلاثة تزأر بينما حشد من الرجال يعملون على تأجيجها، بينما أعمدة الدخان الكثيفة تنحني ناحية الشمال مع الرياح، ويتطاير منها شرر طائش. كان أحد خيول السيد (ألڤير) (الدُّورانية) يجر على الأرض شيئًا لم يستطع (راند) تمييزه ناحية (جسر العربات) وألسنة اللهب.

قبل أن يخرج من بين الأشجار أسرع (هارال لوهان) ذو الوجه المغطى بالسخام ناحيته وهو يمسك بفأس حِطابة في يده غليظة الأصابع. كان رداءُ نوم الحداد الطويل الملطخُ بالرماد يعلق بحذائه، وآثار الحروق الحمراء على صدره تظهر من فتحة ممزقة في الرداء. جثا على ركبة واحدة بجانب المحفة، كانت عينا (تام) مغلقتين وأنفاسه بطيئة وشاقة.

سأله السيد (لوهان) بصوت مبحوح بفعل الدخان: «(ترولوكيون) يا فتى؟ هنا أيضًا. هنا أيضًا. ربما كان حظنا حسنًا ـ إن جاز التعبير ـ مقارنة بالضرر الذي كان يمكن أن يطولنا أكثر من هذا. إنه بحاجة إلى الحكيمة. أين هي بحق (النور)؟ (إيجوين)!».

كانت (إيجوين) تركض وذراعاها مليئتان بالملاءات التي مُزِّقت إلى ضمادات. كانت تتلفت حولها دون أن تبطئ من حركتها وعيناها تحدقان إلى شيء في الأفق، وجعلتهما الهالات السوداء تبدوان أوسع مما هما عليه في الحقيقة. ثم رأت (راند) فتوقفت لتلتقط أنفاسها وهي ترتجف قبل أن تقول: «أوه، لا، (راند)، ماذا حدث لأبيك؟ هل هو...؟ تعالَ، سآخذكما إلى (ناينيف)».

كان (راند) متعبًا للغاية ومذهولًا للغاية فلم يقدر على الحديث. طيلة الليل كانت (إيموندز فيلد) تبدو ملاذًا سيكون فيه هو و(تام) آمنين. الآن كل ما استطاع فعله هو التحديق في فزع إلى فستانها الملطخ بالدخان. لاحظ تفاصيل غريبة كأنما هي بالغة الأهمية؛ كانت الأزرار في ظهر ثوبها غير متساوية، ويداها نظيفتان. فتساءل لم يداها نظيفتان بينما هناك لطخات من السخام على وجنتيها.

بدا أن السيد (لوهان) قد فهم ما الذي انتابه، فوضع فأسه على المقبضين وأمسك بالمحفة من الخلف ودفعها برفق ليحثه على السير للحاق بـ(إيجوين). كان يسير متعثرًا من ورائها كأنه يمشي نائمًا، تساءل للحظة كيف عرف السيد (لوهان) أن المخلوقات كانت (ترولوكيين)، ولكنها كانت فكرة عابرة، إن كان باستطاعة (تام) أن يتعرف عليهم فلا يوجد سبب يمنع (هارال لوهان) من التعرف عليهم أيضًا.

تمتم قائلًا: «كل الحكايات حقيقة».

قال الحداد: «يبدو هذا يا فتى. يبدو هذا».

بالكاد سمع (راند) ما قاله، فقد كان تركيزه منصبًّا على اللحاق بجسد (إيجوين) الرشيق. كان قد استجمع شتات نفسه بما يكفي لكي يتمنى لو أنها تسرع. رغم أنها في الحقيقة كانت تحافظ على وتيرتها بقدر ما يستطيعه الرجلان بعبئهما. اقتادتهما حتى منتصف (الساحة الخضراء) إلى بيت (كالدر). كانت حواف سقفه المصنوعة من القش متفحمة، والسخام يلطخ جدرانه المطلية باللون الأبيض. لم يتبقَّ شيء من البيتين اللذين على كلا جانبيه سوى الأساس الحجري وكومة من الرماد والخشب المحترق. كان أحدهما هو بيت (بيرِن ثاين) أحد الأخوين الطحانين، والآخر كان بيت (أبيل كاوثون) والد (مات). حتى المدخنتان كانتا منهارتين.

قالت (إيجوين): «انتظرا هنا». ثم نظرت إليهما كأنها تتوقع إجابة، وعندما اكتفيا بالوقوف هناك تمتمت بشيء غير مسموع ثم اندفعت إلى الداخل.

قال (راند): «(مات)، هل هو...؟».

قال الحداد: «إنه على قيد الحياة». ثم أنزل المحفة أرضًا واعتدل واقفًا ببطء. «لقد رأيته منذ قليل. من العجيب أن أيًّا منا لا يزال على قيد الحياة. الطريقة التي هجموا بها على بيتي وورشتي ستجعلك تظن أنني أكنز الذهب والمجوهرات. لقد حطمت (ألسبيت) جمجمة واحد منهم بمقلاة. لقد ألقت نظرة على رماد بيتنا هذا الصباح، ثم خرجت تبحث عنهم في أرجاء القرية وهي تحمل أكبر مطرقة استطاعت أن تستخلصها مما تبقى من الورشة، فقط تحسبًا لأن يكون أحدهم قد اختبأ بدلًا من الهرب. أكاد أشفق على أي مخلوق تعثر عليه منهم». ثم أومأ برأسه ناحية بيت (كالدر) وقال: «لقد استضافت السيدة (كالدر) وبعض الآخرين هؤلاء الذين أصيبوا وهؤلاء الذين لم يعد لديهم بيت قائم. بعدما ترى الحكيمة (تام) سنجد له فراشًا، في الحانة ربما. لقد اقترح العمدة هذا بالفعل، ولكن (ناينيڤ) قالت إن الجرحى سيتعافون بشكل أفضل إن لم يكن هناك عدد كبير منهم في مكان واحد».

هوى (راند) جاثيًا على ركبتيه وانتزع شريط البطانية قبل أن يشغل نفسه بتفحص أغطية (تام). لم يتحرك (تام) أو يند عنه صوت حتى عندما دفعته يد (راند) المتخشبة. ولكنه ما زال يتنفس على الأقل. *إنه أبي. أي كلام آخر هو مجرد هلوسة حمى.* قال بصوت متعب: «ماذا لو عادوا؟».

قال السيد (لوهان) في قلق: «(عجلة الزمن) تنسج بمشيئتها. إن عادوا... حسنًا، المهم الآن هو أنهم قد رحلوا. سنصلح الأمور ونبني كل ما هُدِم». ثم تنهد ووجهه يرتخي وهو يفرك ظهره بمفاصل أصابعه. لأول مرة يُدرك (راند) أن الرجل ضخم الجثة متعب مثله إن لم يكن أكثر منه.

نظر الحداد إلى القرية ثم هز رأسه وقال: «لا أظن أن اليوم سيكون هناك أي احتفال بـ(بِل تاين)، ولكننا سنتجاوز الأمر كما نفعل دومًا». وفجأة رفع فأسه وصار وجهه صارمًا وهو يقول: «هناك عمل ينتظرني، لا تقلق يا فتى، الحكيمة ستعتني به، و(النور) سيعتني بنا جميعًا، وإن لم يفعل (النور) فسنعتني بأنفسنا. نحن شعب (النهرين)، لا تنسَ هذا».

نظر (راند) إلى القرية وهو لا يزال جاثيًا على ركبتيه بينما الحداد يبتعد، ينظر إليها حقًّا للمرة الأولى. قال لنفسه إن السيد (لوهان) محق، وتفاجأ بعدم دهشته مما يرى. كان الناس ما زالوا ينبشون حطام بيوتهم، ولكن حتى في الوقت القصير الذي مضى عليه هناك كان العديد منهم قد بدأ في الحركة مع إحساس بالمسؤولية. كاد أن يشعر بالعزيمة المتزايدة، ولكنه تساءل؛ لقد رأوا (الترولوكيين)، فهل رأوا الفارس المتشح بالسواد؟ هل أحسوا بكراهيته؟

خرجت (ناينيف) و(إيجوين) من بيت (كالدر) فقفز واقفًا على قدميه، أو بالأحرى حاول أن يقفز واقفًا ولكن الأمر كان أشبه باندفاع مترنح كاد أن يسقطه على وجهه في التراب.

جثت الحكيمة على ركبتيها بجوار المحفة دون أن تلقي عليه ولو نظرة واحدة. كان وجهها وفستانها أكثر اتساخًا من وجه (إيجوين) وفستانها، وكان لديها نفس الهالات السوداء حول عينيها، ولكن يديها كانتا نظيفتين أيضًا. تحسست وجه (تام) ثم فتحت جفنيه بإبهامها. عقدت حاجبيها وهي تجذب الأغطية وتزيح الضمادة جانبًا برفق لتنظر إلى الجرح. قبل أن يستطيع (راند) أن يرى ما يوجد أسفلها كانت قد أعادت الضمادة إلى موضعها. تنهدت وهي تدثر (تام) بالبطانية والعباءة بلمسة حانية كأنها تدثر طفلًا من أجل النوم.

قالت: «لا يوجد شيء يمكنني فعله». ثم وضعت يديها على ركبتيها لتعتدل واقفة وهي تقول: «أنا آسفة يا (راند)».

للحظة وقف هناك دون أن يستوعب ما قالته بينما هي تسير عائدة إلى البيت، ثم أسرع وراءها وجذبها لتواجهه وهو يصرخ: «إنه يحتضر».

قالت ببساطة وهي تهز كتفيها في استسلام: «أنا أعرف».

«يجب عليك أن تفعلي شيئًا؛ أنتِ الحكيمة».

تلوى وجهها ألما، ولكن للحظة قصيرة قبل أن تصير عيناها خاويتين مرة أخرى وقالت بصوت حازم خالٍ من المشاعر: «أجل، أعرف. أعرف ما يمكنني فعله بأدويتي، وأعرف عندما يكون الأوان قد فات. ألا تعتقد أنني كنت لأفعل شيئًا إن كان بوسعي هذا؟ ولكني لا أستطيع يا (راند)، لا أستطيع. وهناك آخرون بحاجة إليَّ، أناس يمكنني أن أساعدهم».

تمتم قائلًا: «لقد جلبته إليكِ بأسرع ما أستطيع». كان يشعر بالأمل في الحكيمة رغم أن القرية كانت خرابًا، ومع ضياع هذا الأمل أحس بالخواء.

قالت برفق: «أعلم أنك فعلت هذا». ثم لمست وجنته بيدها وقالت: «هذا ليس خطأك، لقد فعلت أفضل ما يمكن للمرء أن يفعله. أنا آسفة يا (راند) ولكن هناك آخرون يجب أن أعتني بهم. أخشى أن مصيبتنا هي مجرد بداية».

حدق إليها بخواء حتى انغلق باب البيت وراءها. لم يستطع أن يفكر في أي شيء عدا أنها لن تساعده.

فجأة تراجع خطوة للوراء عندما اندفعت (إيجوين) ناحيته وضمته بذراعيها، كان عناقها قويًّا بما يكفي لأن يجعله يتنهد في أي وقت آخر، ولكنه في هذه اللحظة واصل التحديق إلى الباب في صمت بينما آماله تتبدد.

قالت وهي تضع رأسها على صدره: «أنا آسفة يا (راند). بحق (النور)، أتمنى لو أن هناك شيئًا يمكنني فعله».

أحاطها بذراعيه في ذهول وقال: «أنا أعرف. أنا... يجب أن أفعل شيئًا يا (إيجوين)، لا أعرف ما هو، ولكن لا يمكنني أن أتركه...». اختنق صوته فعانقته بقوة أكبر.

صاحت (ناينيف) من داخل البيت: «(إيجوين)!». فجفلت (إيجوين). «أنا أحتاجك يا (إيجوين)! واغسلي يديك مرة أخرى!».

انتزعت نفسها من بين ذراعيّ (راند) وقالت: «إنها بحاجة إلى مساعدتي يا راند».

«(إيجوين)!».

خُيِّل إليه أنه سمع نحيبًا بينما هي تسرع مبتعدة عنه، عندما اختفت وجد نفسه وحيدًا مرة أخرى بجوار المحفة. نظر للحظة إلى (تام) وهو لا يشعر بأي شيء سوى العجز الأجوف. وفجأة اكتسى وجهه بالحزم وقال: «العمدة سيعرف ما يجب فعله». ثم رفع المقبضين مرة أخرى وقال: «العمدة سيعرف». لطالما عرف (بران ألڤير) ما يجب فعله. وبعناد متعب انطلق ناحية حانة (واينسبرينج).

مر حصان آخر من الأحصنة (الدُّورانية) بجواره وأحزمته مربوطة حول كاحليّ شيء كبير، ومغطاة ببطانية قذرة، كان الذراعان الضخمان المغطيان بشعر خشن مجرورين في التراب وراء البطانية، وركن منها مرفوع ليكشف عن قرن ماعز. لم يكن (النهرين) المكان المناسب لتتحول فيه الحكايات إلى واقع مخيف، إن كان (الترولوكيون) ينتمون إلى أي مكان فهو العالم الخارجي، الأماكن التي يوجد بها (الآيز سيداي) و(التنانين الكاذبون) والأشياء الأخرى التي لا يعرفها إلا (النور)، والتي انبعثت إلى الحياة من حكايات صانعي البهجة. ليس (النهرين) هو المكان المناسب، وليس (إيموندز فيلد).

بينما هو يشق طريقه عبر (الساحة الخضراء) بدأ الناس ينادونه. بعضهم من أطلال بيوتهم. ويسألونه إن كان باستطاعتهم المساعدة. لم يكن يسمع

إلا غمغمات في الخلفية، حتى عندما يمشي بالقرب منهم وهم يتحدثون. دون أن يفكر في الأمر حقًّا استطاع أن ينطق بالكلمات التي تقول إنه ليس بحاجة إلى مساعدة وإن كل شيء سيكون على ما يرام. لم يكن يلاحظهم عندما يتركونه بنظرات قلقة، أو عندما يقترحون أحيانًا الإرسال في طلب (نائينيف) من أجله. كل ما كان يدركه هو الهدف الذي حدده في رأسه. (بران ألقير) يمكنه أن يفعل شيئًا لمساعدة (تام). لم يحاول أن يفكر في طبيعة هذا الشيء، ولكن العمدة سيكون قادرًا على أن يفعل شيئًا أو يفكر في شيء.

لقد نجت الحانة تقريبًا من الدمار الذي اجتاح نصف القرية، كانت الجدران مشوهة بقليل من آثار الحروق، ولكن السقف المصنوع من القرميد الأحمر كان يلمع في ضوء الشمس كالمعتاد. إلا أن كل ما تبقى من عربة البائع الجائل كان إطارات العجلات الحديدية المسْوَدَّة المتكئة على صندوق العربة المتفحم المستقر في تلك اللحظة على الأرض، والأطواق الكبيرة التي كانت تحمل غطاء العربة القماشي كانت مائلة على نحو عشوائي بزوايا مختلفة.

كان (توم ميريلين) يجلس متربعًا على أحجار الأساس القديم وهو يقص بحرص الحواف المحروقة من رقع عباءته بمقص صغير. وضع عباءته والمقص جانبًا عندما اقترب (راند)، ودون أن يسأله عما إذا كان بحاجة إلى مساعدة قفز على الأرض وأمسك بالمحفة من الخلف.

«هل ستحمله إلى الداخل؟ بالطبع، بالطبع. لا تقلق يا فتى إن حكيمتكم ستعتني به، لقد شاهدتها وهي تعمل منذ الليلة الماضية، إن لديها لمسة بارعة ومهارة أكيدة، لولاها لكان الأمر أسوأ بكثير. لقد مات البعض الليلة الماضية، ربما ليس الكثير ولكن أي عدد هو كثير للغاية بالنسبة لي. لقد اختفى (فاين) العجوز وهذا هو أسوأ شيء على الإطلاق، يمكن أن يأكل (الترولوكيون) أي شيء. يجب أن تشكر (النور) لأن والدك لا يزال على قيد الحياة ويمكن أن تشفيه الحكيمة».

خفض (راند) صوته وهو يقول «إنه أبي!» متجاهلًا الأصوات من حوله حتى صارت عديمة المعنى ولم يلتفت إليها أكثر من التفاته إلى أزيز ذبابة. لم يكن قادرًا على تحمل المزيد من التعاطف أو أي محاولات أخرى لرفع روحه المعنوية، ليس الآن، ليس قبل أن يخبره (بران ألڤير) كيف يساعد (تام).

فجأة وجد نفسه يحدق إلى رسمة على باب الحانة، خط منحنٍ مرسوم بعصا متفحمة، كدمعة مرتكزة على نقطتها. لقد حدث الكثير حتى إنه بالكاد تفاجأ لرؤية (ناب التنين) منقوشًا على باب حانة (واينسبرينج). لم يستطع أن يفهم لِمَ قد يرغب أي شخص في أن يتهم صاحب الحانة أو أسرته بالشر، أو أن يجلب له سوء الحظ، ولكن هذه الليلة قد أقنعته بشيء واحد؛ لا يجب أن يستبعد أي شيء، أي شيء على الإطلاق.

دفعه صانع البهجة فرفع المزلاج ودخل الحانة.

كانت الحجرة العامة فارغة إلا من (بران ألڤير)، وكانت باردة أيضًا فلا أحد يجد وقتًا لإشعال المدفأة. كان العمدة جالسًا على إحدى الطاولات وهو يغمس قلمه في محبرة وقد عقد حاجبيه في تركيز بينما رأسه الذي لا تغطيه سوى خصلات قليلة رمادية منكب على رق من الورق. كان قد دس رداء نومه على عجالة في سرواله، فصنع انتفاخًا ملحوظًا حول خصره، وكان يحك قدمه العارية في شرود بأصابع القدم الأخرى. كانت قدماه متسختين وكأنما قد خرج أكثر من مرة دون أن يكترث بارتداء حذاء رغم البرد. سأله دون أن ينظر إليه: «ما هي مشكلتك؟ تحدث بسرعة فلديَّ عشرات الأشياء التي يجب أن أفعلها الآن وأكثر منها كان يجب فعلها منذ ساعة، لذا فلديَّ القليل من الوقت والصبر. حسنًا؟ تحدث!».

قال (راند): «الأمر متعلق بأبي يا سيد (ألڤير)».

رفع العمدة رأسه على الفور وقال: «(راند)؟ (تام)!». ثم ألقى بقلمه واعتدل واقفًا على الفور فسقط كرسيه أرضًا. «ربما لم يتخلَّ عنا (النور) تمامًا. كنت أخشى أن كليكما قد مات. لقد جاءت (بيلا) راكضة إلى

القرية بعد ساعة من رحيل (الترولوكيين)، وكانت تزبد وتلهث كأنما قد ركضت طوال الطريق من المزرعة، وقد ظننت... لا وقت لهذا الآن، فلنحمله إلى الأعلى». ثم أمسك بمؤخرة المحفة وهو يدفع صانع البهجة بكتفه جانبًا بعيدًا عن الطريق بينما يقول: «فلتذهب أنت لتحضر الحكيمة يا سيد (ميريلين)، وأخبرها أن تسرع وإلا فستكون العواقب وخيمة! استرح يا (تام)، سنضعك على الفور في فراش مريح دافئ. اذهب يا صانع البهجة، اذهب!».

اختفى (توم ميريلين) عبر المدخل قبل أن يتمكن (راند) من الحديث: «لن تفعل (ناينيف) شيئًا. قالت إنها لا تستطيع مساعدته. كنت أعرف... كنت آمل أن تفكر أنت في شيء».

نظر السيد (ألڤير) إلى (تام) نظرة أكثر تفحصًا ثم هز رأسه وقال: «سنرى يا فتى، سنرى». ولكنه لم يعد يبدو واثقًا من نفسه. «دعنا نضعه في الفراش، يمكنه أن يستريح على الأقل».

استسلم له (راند) وهو يدفعه ناحية الدرج في مؤخرة الحجرة العامة. حاول جاهدًا أن يحافظ على يقينه بأن (تام) سيكون بخير بطريقة ما، ولكنه أدرك أن هذا الأمل ضعيف من البداية، وقد هزه عدم اليقين المفاجئ في صوت العمدة.

في مقدمة الطابق الثاني من الحانة كان هناك ست غرف مريحة وجميلة الأثاث مع نوافذ تطل على (الساحة الخضراء)، عادة ما يشغل معظمها الباعة الجائلون أو الأناس القادمون من (واتش هيل) أو (ديڤِن رايد)، ولكن التجار الذين يأتون كل عام غالبًا ما يتفاجؤون لوجود مثل هذه الغرف المريحة. كانت ثلاث منها مشغولة في تلك اللحظة، فدفع العمدة (راند) مسرعًا إلى واحدة من الغرف الشاغرة.

على الفور أُزيح اللحاف والبطانيات جانبًا من على الفراش الواسع ونُقِل (تام) إلى المرتبة السميكة المصنوعة من الريش ووُضِع تحت رأسه وسادة من

ريش الإوز الناعم. لم يند عنه صوت أثناء تحريكه أكثر من تنفسه الأجش، ولا حتى تأوهًا واحدًا. ولكن العمدة طمأن (راند) وطلب منه أن يشعل المدفأة لتبديد البرد من الغرفة. وبينما (راند) يحضر الحطب من صندوق خشبي بجوار المدفأة جذب (بران) الستائر من على النافذة ليسمح بدخول ضوء الصباح، ثم بدأ يغسل وجه (تام) بلطف. بحلول الوقت الذي عاد فيه صانع البهجة كانت النار المتقدة في المدفأة قد دفَّأت الغرفة.

قال (توم ميريلين) وهو يدلف إلى الغرفة: «إنها لن تأتي». ثم حدق إلى (راند) وهو يعقد حاجبيه الأبيضين بحدة ويقول: «أنت لم تخبرني أنها قد رأته بالفعل، لقد كادت أن تقطع رأسي».

«لقد ظننت... لا أعرف... أن العمدة قد يفعل شيئًا، أن يجعلها ترى...». كوَّر قبضتيه في قلق ثم أبعد عينيه عن المدفأة لينظر إلى (بران) قائلًا: «ما الذي يمكن أن أفعله يا سيد (ألڤير)؟». هز الرجل البدين رأسه في عجز ثم وضع قطعة القماش التي بللها للتو على جبين (تام) متحاشيًا النظر إلى عيني (راند). «لا يمكنني أن أقف مكتوف اليدين وهو يحتضر يا سيد (ألڤير)، يجب أن أفعل شيئًا». تململ صانع البهجة كأنما على وشك أن يتكلم، فالتفت (راند) إليه بلهفة وقال: «هل لديك فكرة؟ سأجرب أي شيء».

قال (توم) وهو ينقر على غليونه الطويل بإبهامه: «كنت أتساءل إن كان العمدة يعرف من رسم (ناب التنين) على بابه». حدق إلى تجويف غليونه ثم نظر إلى (تام) وهو يضع الغليون الذي لم يشعله بعد بين أسنانه قبل أن يتنهد ويقول: «يبدو أن هناك شخصًا لا يحبه أو ربما لا يحب ضيوفه».

نظر إليه (راند) باشمئزاز ثم التفت ليحدق إلى النار. كانت أفكاره تتراقص كألسنة اللهب وتتركز مثلها على شيء واحد، لا يمكنه أن يستسلم، لا يمكنه أن يقف مكتوف اليدين ويراقب (تام) وهو يموت. قال

لنفسه بشراسة إنه أبي، وبمجرد أن تزول الحمى يمكنه أن يوضح لي هذا الأمر، ولكن يجب أن تزول الحمى أولًا، فقط كيف؟

جز (بران ألڤير) على أسنانه وهو يحدق إلى ظهر (راند)، الطريقة التي نظر بها إلى صانع البهجة قد تجعل دبًّا يتوقف في موضعه، ولكن (توم) كان يترقب إجابة سؤاله كأنه لم يلاحظ الأمر.

قال العمدة أخيرًا: «هذا على الأرجح من صنيع واحد من آل (كونجار) أو آل (كوبلِن)، ولكن (النور) وحده يعلم أيهما، إن عددهم كبير للغاية، وإن كان هناك شيء سيئ يمكن أن يُقال عن شخص ما. أو حتى إن لم يكن. فإنهم سيقولونه. إنهم يجعلون (سين بوي) يبدو معسول اللسان».

سأله صانع البهجة: «هؤلاء الذين جاؤوا في عربة قبل الفجر؟ لم يصبهم أذى إلا بقدر شمهم رائحة (الترولوكيين)، وكل ما يرغبون في معرفته هو متى سيبدأ الاحتفال، كأنهم لا يستطيعون أن يروا أن نصف القرية قد صار رمادًا».

أومأ السيد (ألڤير) برأسه في وجوم وقال: «إنهم فرع من العائلة ولكنهم متشابهون كثيرًا. ذلك الأحمق (دارل كوبلِن) قضى نصف الليل وهو يطالبني بأن أطرد السيدة (مويرين) والسيد (لان) من الحانة ومن القرية برمتها، متجاهلًا أنه لولاهما لما ظل هناك قرية على الإطلاق».

لم يكن (راند) يصغي إلى الحديث بشكل كامل، ولكن الجملة الأخيرة جعلته يقول: «ما الذي فعلاه؟».

أجابه السيد (ألڤير): «لقد استدعت لسان برق من سماء الليل الصافية وأرسلتها مباشرة ناحية (الترولوكيين)، لا شك أنك قد رأيت الأشجار التي تحطمت بسببها، و(الترولوكيون) لم يكونوا أفضل حالًا».

قال (راند) في عدم تصديق: «(مويرين)؟».

أومأ العمدة برأسه وقال: «أجل، السيدة (مويرين). أما السيد (لان) فقد كان كالإعصار بسيفه. سيفه؟ الرجل نفسه سلاح، ويبدو لك أنه موجود في عشرة أماكن في آن واحد. لم أكن لأصدق الأمر لو لم أخرجْ وأرَه بنفسي...». فرك رأسه الأصلع بيده قبل أن يقول: «كانت زيارات (ليلة الشتاء) قد بدأت للتو، وأيدينا مليئة بالهدايا وكعك العسل، ورؤوسنا مليئة بالنبيذ، ثم راحت الكلاب تزمجر، وفجأة اندفع كلاهما خارج الحانة يركضان عبر القرية ويصيحان بشيء عن (الترولوكيين). ظننت أنهما قد تناولا الكثير من النبيذ. فمن كان يصدق... (ترولوكيين)؟ بعدها وقبل أن يعرف أحد ما يجري كانت هذه... هذه الأشياء في الشوارع معنا، يقتلون الناس بسيوفهم ويحرقون البيوت بمشاعلهم وعواؤهم يجمد الدماء في عروق المرء». ظهر عليه الاشمئزاز وهو يقول: «كنا نركض كدجاجات يطاردها ثعلب في القُن، قبل أن يمنحنا السيد (لان) بعض الشجاعة».

قال توم: «لا داعي لأن تقسوا على أنفسكم، لقد أبليتم حسنًا بقدر استطاعتكم. لم يسقط كل (ترولوك) ميتًا بالخارج على يد هذين الاثنين فقط».

هز السيد (ألفير) رأسه وقال: «أجل، حسنًا... لا يزال الأمر عصيًّا على التصديق؛ (آيز سيداي) هنا في (إيموندز فيلد)، والسيد (لان) أحد (الحماة)».

همس (راند): «(آيز سيداي)؟ هذا مستحيل. لقد تحدثت إليها، إنها ليست... إنها لا...».

قال العمدة بشيء من السخرية: «هل كنت تعتقد أنهم يحملون علامات مميزة؟ كلمات مثل (آيز سيداي) مرسومة على ظهورهم، أو ربما خطر، احترس؟». وفجأة صفع جبهته وقال: «(آيز سيداي)! يا لي من عجوز أحمق، أنا أفقد سرعة بديهتي. هناك فرصة يا (راند) إن كنت مستعدًّا لأن

تغتنمها. لا يمكنني أن آمرك بفعل هذا، فلا أعرف إن كنت سأملك الجرأة لفعله إن كنت في موضعك».

قال (راند): «فرصة؟ أنا مستعد لاغتنام أي فرصة إن كانت ستساعدني».

«(الآيز سيداي) باستطاعتهم الشفاء يا (راند). لا شك أنك سمعت الحكايات يا فتى، إن باستطاعتهم أن يعالجوا ما تفشل الأدوية في علاجه. بالتأكيد أنت تتذكر أفضل مني يا صانع البهجة، إن حكايات صانعي البهجة حافلة بـ(الآيز سيداي). لمَ لا تتحدث أنت بدلًا من تركي أتخبط».

قال (توم) وهو ينظر باشتياق إلى غليونه الذي لم يشعله بعد: «أنا غريب هنا، وذلك الرجل من آل (كوبلِن) ليس هو الوحيد الذي لا يُريد أن يكون له أدنى علاقة بـ(الآيز سيداي)، من الأفضل أن تكون أنت من يقترح الفكرة».

تمتم (راند): «(آيز سيداي)». وهو يحاول أن يجعل تلك المرأة التي ابتسمت له تتسق مع الحكايات، إن المساعدة من (الآيز سيداي) تكون أحيانًا أسوأ من عدم وجود مساعدة على الإطلاق، هذا ما تقوله بعض الحكايات، كالسم في العسل، ودومًا ما تحمل هداياهم خطافًا بداخلها كصِنَارة السمك. فجأة بدت العملة التي في جيبه . العملة التي أعطتها له (مويرين) . كأنها جمرة ملتهبة. بذل قصارى جهده لكيلا ينتزعها من معطفه ويلقي بها خارج النافذة.

قال العمدة ببطء: «لا أحد يرغب في أن يتورط مع (الآيز سيداي) يا فتى، ولكنها الفرصة الوحيدة التي يمكنني أن أراها، ومع ذلك فهذا ليس قرارًا هينًا. لا يمكنني أن أقرر من أجلك، ولكني لم أرَ شيئًا سوى الخير من السيدة (مويرين)... أفترض أنني يجب أن أناديها (مويرين سيداي)». ثم نظر إلى (تام) نظرة ذات مغزى وقال: «أحيانًا يكون عليك أن تغتنم الفرصة حتى لو كانت ضئيلة».

أضاف (توم) على مضض وكأن الكلمات تُجر منه جرًّا: «بعض الحكايات مبالغ فيها بطريقة ما... بعض الحكايات. علاوة عِلى ذلك ما هي الخيارات الأخرى المتاحة لديك؟».

تنهد (راند) وقال: «ليس لدي أي خيارات أخرى». حتى هذه اللحظة لم يحرك (تام) عضلة من عضلاته، وكانت عيناه غائرتين كأنه مريض منذ أسبوع. «سـ... سأذهب لأبحث عنها».

قال صانع البهجة: «إنها على الجانب الآخر من الجسور، حيث... يتخلصون من جثث (الترولوكيين). ولكن كن حذرًا يا فتى، (الآيز سيداي) يفعلن ما يفعلنه لأسبابهن الخاصة، وهي ليست دومًا الأسباب التي يظنها الآخرون».

كانت جملته الأخيرة هي صيحة لحقت (راند) عبر الباب. كان عليه أن يتشبث بمقبض السيف ليمنع الغمد من الارتطام بساقيه بينما هو يركض، ولم يكن لديه الوقت الكافي لانتزاعه. نزل مهرولًا عبر الدرج ثم اندفع خارج الحانة وقد نسي تعبه في تلك اللحظة. أي فرصة لنجاة (تام). مهما كانت ضئيلة ـ كافية للتغلب على ليلة بدون نوم، لبعض الوقت على الأقل. لم يرغب في التفكير في كون الفرصة آتية من (الآيز سيداي) أو ماذا سيكون ثمنها. أما بالنسبة لمواجهة واحدة من (الآيز سيداي)... أخذ نفسًا عميقًا وحاول أن يتحرك بشكل أسرع.

كانت النيران الاحتفالية تقع وراء آخر البيوت ناحية الشمال على جانب (الغابة الغربية) من الطريق المؤدي إلى (واتش هيل). كانت الرياح لا تزال تحمل أعمدة الدخان الأسود الزيتي بعيدًا عن القرية، ومع هذا كان الهواء مشبعًا برائحة كريهة نفاذة مثيرة للغثيان كأنما هو لحم شواء قد تُرِك لساعات طويلة على النار. كاد (راند) أن يتقيأ بسبب الرائحة، ثم ازدرد لعابه عندما أدرك مصدرها. إنه شيء جيد لفعله بنيران (بِل تاين). كان الرجال الذين يضرمون النار قد ربطوا أقمشة على أنوفهم وأفواههم، ولكن

وجوههم الملتوية أظهرت أن الخل المبلل به القماش لم يكن كافيًا. حتى لو قضى على الرائحة فإنهم ما زالوا يعرفون أن الرائحة الكريهة موجودة، وما زالوا يدركون ما يفعلونه. كان اثنان من الرجال يفكان أحزمة حصان (دُوراني) ضخم من كاحلي (ترولوك). كان (لان) رابضًا بجوار الجثة وقد نزع الغطاء ليكشف عن كتفي (ترولوك) ورأسه ذي خطم الماعز. بينما (راند) يهرول كان (الحامي) يفك أربطة الشارة المعدنية. رمح ثلاثي مطلي باللون الأحمر القاني. من على كتف الزرد الأسود الذي يرتديه (الترولوك).

«(كوبال)». قال وهو يلقي الشارة في الهواء قبل أن يُمسكها مجددًا بكفه. «هذا يجعلهم سبع فرق حتى الآن».

كانت (مويرين) تجلس متربعة على الأرض على مسافة قصيرة منه وهي تهز رأسها في تعب. كان هناك عصا مغطاة من طرفها إلى طرفها بالأغصان والزهور موضوعة على ركبتيها، وكان فستانها يبدو في حالة مزرية بسبب ارتدائه لوقت طويل. «سبع فرق. سبع! لم يقاتل مثل هذا العدد الكبير جنبًا إلى جنب منذ (الحروب الترولوكية). أخشى أن الأخبار السيئة تتراكم فوق بعضها بعضًا يا (لان). كنت أعتقد أننا نسبق بخطوة ولكن ربما نكون متأخرين أكثر من أي وقت مضى».

حدق (راند) إليها غير قادر على الحديث. (آيز سيداي). كان يحاول إقناع نفسه بأنها لن تبدو مختلفة الآن بعد أن عرف مَن تكون... ولكن لدهشته لم تبدُ مختلفة حقًّا. لم تعد مثالية للغاية مع خصلات شعرها المتناثرة في كل الاتجاهات، وخط السخام الباهت على أنفها. ومع ذلك لم تبدُ مختلفة حقًّا. لا بد أن يكون هناك شيء حيالها يميز حقيقتها كواحدة من (الآيز سيداي). وعلى الناحية الأخرى إن كان المظهر الخارجي يعكس ما هو بالداخل وإن كانت الحكايات صحيحة إذن فيجب أن تبدو أقرب إلى (ترولوك) منها إلى امرأة جميلة لم تتأثر كرامتها بجلوسها في التراب. وبإمكانها أن تساعد (تام)، مهما كان الثمن، وكان هذا أهم من أي شيء آخر.

أخذ نفسًا عميقًا ثم قال: «سيدة (مويرين)... أعني (مويرين سيداي)». التفت كلاهما إليه فتجمد أمام نظرتها، لم تكن النظرة الهادئة المبتسمة التي يتذكرها من (الساحة الخضراء). كان وجهها متعبًا ولكن عينيها السوداوين كانتا كعينيّ الصقر. (آيز سيداي)، محطمات العالم، محركات الدمى، اللواتي يجذبن الخيوط ويصنعن العروش، فترقص الأمم في مخططات لا يعرفها إلا نسوة من (تار ڤالون).

تمتمت (الآيز سيداي) قائلة: «القليل من (النور) في الظلام». ثم رفعت صوتها وقالت: «كيف هي أحلامك يا (راند ألثور)؟».

حدق إليها وقال: «أحلامي؟».

«ليلة كهذه من الممكن أن تصيب المرء بالأحلام السيئة يا (راند). إن كان هناك كوابيس قد راودتك فيجب عليك أن تخبرني بها، يمكنني أحيانًا أن أساعد فيما يخص الأحلام السيئة».

«ليس هناك خطب فيَّ... الأمر يتعلق بوالدي، إنه مصاب، ليس أكثر من مجرد خدش ولكن جسده مشتعل بالحمى. الحكيمة لن تساعده، تقول إنها لا تستطيع، ولكن الحكايات...». رفعت أحد حاجبيها فصمت وازدرد لعابه بقوة. بحق *(النور)، هل يوجد حكاية لا تكون (الآيز سيداي) فيها هي الشريرة*؟ نظر إلى (حاميها) ولكن (لان) بدا مهتمًا بـ(الترولوك) الميت أكثر من أي شيء قد يقوله (راند). تلعثم أمام نظرتها وهو يكمل قائلًا: «أنا... آه... يُقال إن (الآيز سيداي) بإمكانهن الشفاء. إن كان باستطاعتك مساعدته... أي شيء يمكنك فعله من أجله... مهما كان الثمن... أعني...». أخذ نفسًا عميقًا قبل أن ينهي جملته في عجالة: «سأدفع أي ثمن بمقدوري دفعه إذا ساعدتِه. أي شيء».

قالت (مويرين) باهتمام كأنما تخاطب نفسها: «أي ثمن». ثم نظرت إليه وقالت: «سنتحدث عن الثمن لاحقًا يا (راند)، هذا إن كان هناك

ثمن. لا يمكنني أن أقطع وعودًا. إن حكيمتك تعرف ما تفعله. سأفعل ما بوسعي، ولكن إيقاف دوران (عجلة الزمن) أمر يتجاوز قدرتي».

قال (الحامي) بوجوم: «الموت يأتي للجميع، عاجلًا أو آجلًا، ما لم يخدم المرء (سيد الظلام)، والحمقى فقط هم من على استعداد لدفع هذا الثمن».

طقطقت (مويرين) بلسانها وقالت: «لا تكن كئيبًا هكذا يا (لان)، لدينا مبرر للاحتفال، مبرر صغير ولكنه وجيه». ثم استخدمت العصا لتساعد نفسها على النهوض قبل أن تقول: «خذني إلى أبيك يا (راند)، سأساعده بقدر ما أستطيع، لقد رفض الكثيرون هنا السماح لنا بمساعدتهم على الإطلاق». ثم أضافت بسخرية مريرة: «لقد سمعوا الحكايات أيضًا».

قال (راند): «إنه في الحانة، من هذا الطريق. وشكرًا لكِ، شكرًا لكِ!».

لحقا به ولكن خطواته كانت سريعة فسبقهما. أبطأ في نفاد صبر في انتظار أن يلحقا به ثم اندفع إلى الأمام مرة أخرى قبل أن يضطر للوقوف من جديد. قال بإلحاح: «أرجوكما أسرعا». كان منشغلًا بحصوله على مساعدة حقيقية من أجل (تام) حتى إنه لم يفكر قط في مدى تجرئه على حث واحدة من (الآيز سيداي) على الإسراع. «جسده مشتعل بالحمى».

حدق إليه (لان) وقال: «ألا تستطيع أن ترى أنها متعبة؟ حتى مع استخدام (أنجريال) فإن ما فعلته الليلة الماضية كان أشبه بالركض في جميع أرجاء القرية وهي تحمل كيس حجارة على ظهرها، لست واثقًا من أنكم تستحقون هذا يا رعاة الأغنام، بغض النظر عما تقوله هي».

رمش (راند) بعينيه وأطبق شفتيه.

قالت (مويرين): «على رسلك يا صديقي». ودون أن تبطئ من مشيتها مدت يدها لتربت على كتف (الحامي). اقترب منها بجسده الطويل بشكل يوحي بأنه يرغب في حمايتها، كأنما يستطيع أن يمنحها القوة بمجرد الاقتراب منها. أكملت قائلة: «أنت لا تفكر إلا في الاعتناء بي، لم لا تفكر في الاعتناء بأبيه أيضًا؟». تجهم (لان) ولكنه ظل صامتًا. «أنا آتية بأسرع ما أستطيع يا (راند)، صدقني».

لم يعرف (راند) أيهما يصدق؛ الضراوة في عينيها أم الهدوء في صوتها؟ لم يكن صوتها رقيقًا تمامًا بل أكثر حزمًا في هيمنته. ربما يمكن أن يتوافقا معًا في واحدة من (الآيز سيداي). لا مجال للتراجع الآن. جعل خطواته تتناسب مع خطواتهما وهو يحاول ألا يفكر في الثمن الذي سيتحدثان عنه لاحقًا.

الفصل الثامن

ملاذ آمن

بينما (راند) يدلف من الباب انتقلت عيناه إلى أبيه، أبيه مهما قال أي شخص. لم يتحرك (تام) بوصة واحدة، وكانت عيناه مغلقتين وأنفاسه شهقات مجهدة وخفيضة ولاهثة. بتر صانع البهجة أبيض الشعر محادثته مع العمدة . الذي كان منحنيًا فوق الفراش ليعتني بـ(تام) . ونظر إلى (مويرين) نظرة متوترة. تجاهلته (الآيز سيداي)، لقد تجاهلت الجميع بالفعل عدا (تام) ولكنها كانت تحدق إليه وهي عاقدة حاجبيها في اهتمام.

وضع (توم) غليونه الذي لم يشعله بعد بين أسنانه ثم انتزعه مرة أخرى وحدق إليه متمتمًا: «لا يستطيع المرء حتى أن يدخن في سلام. يجب عليَّ أن أحرص على ألا يسرق أحد المزارعين عباءتي ليبقي بقرته دافئة. يمكنني على الأقل أن أدخن غليوني بالخارج». ثم أسرع خارجًا من الغرفة.

لاحقه (لان) بنظرته ووجهه حاد القسمات خالٍ من التعبيرات كالصخرة قبل أن يقول: «أنا لا أحب هذا الرجل، هناك شيء حياله يجعلني لا أثق فيه. أنا لم ألمحه ولو لمرة واحدة في الليلة الماضية».

قال (بران) وهو ينظر إلى (مويرين) بتردد: «لقد كان هناك بالتأكيد، لا شك أنه قد كان هناك، فما أحرق أطراف عباءته لم يكن نيران المدفأة».

لم يكن (راند) يبالي إذا ما كان صانع البهجة قد قضى ليلته مختبئًا في الإسطبل، قال لـ(مويرين) متوسلًا: «أبي؟».

فتح (بران) فمه لكن قبل أن يتكلم قالت (مويرين): «اتركني معه يا سيد (ألڤير)، لا يوجد شيء يمكنك فعله هنا سوى أن تعيق طريقي».

تردد (بران) للحظة ما بين نفوره من أن يأمره أحد في حانته وإحجامه عن عصيان أمر من (آيز سيداي). وأخيرًا اعتدل ليضرب على كتف (راند) ويقول: «تعالَ معي يا فتى، دعنا نترك (مويرين سيداي) لكي... لكي... هناك الكثير الذي يمكنك مساعدتي فيه بالأسفل وسرعان ما ستجد (تام) يصيح من أجل غليونه وقدح من الجعة».

«هل يمكنني أن أبقى؟». قالها (راند) لـ(مويرين) رغم أنها بدت وكأنها لا تدرك وجود أي شخص سوى (تام). شد (بران) يده على كتف (راند) ولكنه تجاهله وهو يقول: «أرجوكِ؟ لن أعترض طريقك، لن تلاحظي حتى أنني هنا». ثم أضاف بشراسة أدهشته: «إنه أبي». اتسعت عينا العمدة في دهشة. تمنى (راند) أن يعزوها الآخرون إلى التعب أو التوتر بسبب التعامل مع (آيز سيداي).

قالت (مويرين) في نفاد صبر: «أجل، أجل». ألقت عباءتها وعصاها بلا اكتراث على الكرسي الوحيد في الغرفة، ثم شمَّرت كُمَّي ثوبها لتكشف عن ذراعيها حتى المرفقين. ظل اهتمامها منصبًّا على (تام) طيلة الوقت حتى وهي تتحدث. «اجلس هناك، وأنت أيضًا يا (لان)». كانت تشير بشكل مبهم ناحية المقعد الطويل الموضوع بمحاذاة الجدار. كان نظرها ينتقل ببطء من قدمي (تام) إلى رأسه، ولكن كان لدى (راند) إحساس مبهم بأنها تنظر فيما وراءه بطريقة ما. «يمكنكما التحدث إذا أردتما، ولكن بصوت خفيض. والآن فلتذهب يا سيد (ألڤير)، هذه غرفة تمريض وليست قاعة اجتماعات. فلتحرص على ألا يزعجني أحد».

غمغم العمدة متذمرًا، ولكن صوته لم يكن عاليًا بما يكفي لكي يجذب انتباهها بالطبع، واعتصر كتف (راند) مرة أخرى، ثم أغلق الباب وراءه، طوعًا ولكن على مضض.

تمتمت (الآيز سيداي) بشيء لنفسها وهي تجثو على ركبتيها بجوار الفراش وتضع يديها برفق على صدر (تام). أغلقت عينيها ولوقت طويل لم يند عنها أدنى حركة أو صوت.

في كل الحكايات دومًا ما تكون معجزات (الآيز سيداي) مصحوبة بالوميض والرعد أو أي علامات أخرى تشير إلى الأعمال العظيمة والقوى الهائلة. (القوة)، (القوة الواحدة)، المستمدة من (المصدر الحقيقي) الذي يحرك (عجلة الزمن). لم يكن هذا شيئًا يرغب (راند) في أن يفكر فيه؛ (القوة) التي تورط فيها (تام)، ووجوده هو في نفس الغرفة التي قد تُستخدَم فيها هذه (القوة). إن وجوده في نفس القرية كان سيئًا بما يكفي. ولكن بسبب هذا الهدوء الشديد لم يكن باستطاعته الجزم بأن (مويرين) لم تغرق في النوم، إلا أن أنفاس (تام) قد بدت له أكثر سلاسة، إنها تفعل شيئًا بالتأكيد. كان مستغرقًا تمامًا في تأمل ما يحدث حتى أنه قد جفل حينما تحدث (لان) بهدوء.

«يا له من سلاح جميل هذا الذي تحمله. هل يتصادف أن هناك طائر بلشون آخر على نصله؟».

للحظة حدق (راند) إلى (الحامي) دون أن يستوعب ما الذي يتحدث عنه، لقد نسي تمامًا سيف (تام) في خضم تعامله مع واحدة من (الآيز سيداي). لم يعد يبدو ثقيلًا. «أجل هناك واحد. ما الذي تفعله السيدة (مويرين)؟».

قال (لان): «لم أكن أعتقد أنني سأعثر على سيف بوسم البلشون في مكان كهذا».

«إنه سيف أبي». ثم نظر إلى سيف (لان) الذي لا يظهر منه سوى مقبضه عند حافة عباءته. كان السيفان متشابهين إلى حد كبير، عدا أنه لم يكن هناك طائر بلشون على سيف (الحامي). أعاد نظره إلى الفراش، لقد بدت أنفاس (تام) أكثر سلاسة وقد اختفى اللهاث، كان واثقًا من هذا. «لقد اشتراه منذ زمن بعيد».

«من الغريب أن يشتري راعي غنم شيئًا كهذا».

نظر (راند) إلى (لان) بطرف عينه، إن تساؤل شخص غريب عن السيف يعد تطفلًا، ولكن أن يفعل أحد (الحماة) هذا... ومع هذا أحس أن عليه أن يقول شيئًا. «ما أعرفه هو أنه بالكاد استخدمه. قال إنه كان عديم النفع. حتى الليلة الماضية على الأقل. لم أكن أعرف أنه بحوزته حتى هذا الحين».

«هل قال إنه عديم النفع حقًّا؟ لا أظن أنه كان يعتقد هذا دومًا». لمس (لان) الغمد الموضوع على خصر (راند) بإصبعه للحظة قصيرة قبل أن يقول: «هناك أماكن يكون البلشون فيها رمزًا للمبارز الصنديد، لا شك أن هذا السيف قد قطع مسارًا غريبًا لكي ينتهي به المطاف إلى راعي غنم في (النهرين)».

تجاهل (راند) السؤال المستتر بين الكلمات. لم تتحرك (مويرين) بعد. هل تفعل هذه (الآيز سيداي) شيئًا؟ ارتجف وفرك ذراعيه غير واثق ما إن كان يريد أن يعرف ما تفعله واحدة من (الآيز سيداي).

فجأة خطر على باله سؤال لم يشأ أن يطرحه، ولكنه بحاجة إلى إجابة عليه. «قال العمدة...». تنحنح وأخذ نفسً عميقًا. « قال العمدة إنه لولاكما لما ظل هناك شيء من القرية». ثم أجبر نفسه على النظر إلى (الحامي) وقال: «إذا أخبركما أحد عن رجل في الغابة... رجل يجعل الناس يخافون بمجرد النظر إليه... هل كان هذا ليحذركما؟ رجل لا يصدر عن حصانه أدنى صوت؟ والريح لا تؤثر في عباءته؟ هل كنتما لتعرفا ما

على وشك الحدوث؟ هل كان بمقدورك أنت و(مويرين سيداي) أن تمنعا حدوث الأمر إذا عرفتما بشأنه؟».

«ليس بدون نصف دستة من أخواتي». تحدثت (مويرين) فجفل (راند). كانت لا تزال جاثية على ركبتيها بجوار الفراش ولكنها قد رفعت يديها عن (تام) وأدارت وجهها جزئيًّا لكي تنظر إليهما وهما جالسان على المقعد. لم يرتفع صوتها ولكن عينيها جعلتا (راند) يتجمد في موضعه. «لو كنت أعرف عندما غادرت (تار ڤالون) أنني سأجد (ترولوكيين) و(ميردرال) هنا لأحضرت معي نصف دستة منهن، بل دستة كاملة، حتى لو اضطررت لجذبهن من مؤخرات أعناقهن. ولكن بمفردي لم يكن شهر من التحذير ليصنع فارقًا كبيرًا، أو ربما أي فارق على الإطلاق. هناك حدود لما يمكن للمرء أن يفعله، حتى باستدعاء (القوة الواحدة)، وقد كان هناك على الأرجح أكثر من مئة (ترولوك) متناثرين في تلك المنطقة في الليلة الماضية. قبضة كاملة منهم».

قال (لان) بحدة: «ورغم هذا كان من المفيد أن نعرف». كانت حدقته موجهة ناحية (راند). «متى رأيته بالضبط؟ وأين؟».

قالت (مويرين): «لا فائدة من هذا الآن، لن أجعل الصبي يفكر أنه الملام على شيء لم يكن ذنبه. هذا الغراب اللعين بالأمس، الطريقة التي تصرف بها كانت يجب أن تكون تحذيرًا كافيًا بالنسبة لي، وبالنسبة لك أيضًا يا صديقي العزيز». ثم طقطقت بلسانها في غضب وقالت: «لقد أفرطت في الثقة إلى حد الغطرسة، وكنت واثقة من أن لمسة (سيد الظلام) لا يمكن أن تنتشر بعيدًا إلى هذا المدى. ليس بهذا الثقل بعد. كنت واثقة للغاية».

رمش (راند) بعينيه وقال: «الغراب؟ أنا لا أفهم».

تلوى فم (لان) في نفور وقال: «آكلو الجيفة، غالبًا ما يجد أتباع (سيد الظلام) جواسيس بين المخلوقات التي تتغذى على الجثث، الغربان بأنواعها على وجه الخصوص، والفئران في المدن أحيانًا».

سرت قشعريرة باردة في جسد (راند)، الغربان جواسيس (سيد الظلام)؟ هناك غربان في كل مكان الآن. لمسة (سيد الظلام)، هكذا قالت (مويرين). لطالما عرف أن (سيد الظلام) موجود، ولكنك إن حاولت أن تمشي في (النور)، وحاولت أن تحيا حياة صالحة، ولم تلفظ اسمه، فإنه فلن يتمكن من إيذائك. كان هذا ما يؤمن به الجميع، ما رضعوه مع لبن أمهاتهم. ولكن يبدو أن (مويرين) تقول...

وقع نظره على (تام)، فتبخرت كل الأفكار الأخرى من رأسه. كان وجه والده أقل احتقانًا مما كان عليه بشكل ملحوظ، وبدا تنفسه طبيعيًّا إلى حد كبير. كاد (راند) أن يقفز لولا أن أمسك (لان) بذراعه. «لقد فعلتِها».

هزت (مويرين) رأسها وتنهدت قائلة: «ليس بعد، آمل أنه فقط ليس بعد. تُصنَع أسلحة (الترولوكيين) في أفران في وادٍ يُسمى (ثاكاندار) على منحدرات (شايول غول) ذاته. بعض هذه الأسلحة تكتسب دنسًا من المكان، لطخة من الشر في معدنها. هذه الأسلحة الدنسة تترك جروحًا لا يمكن علاجها بدون عون أو تُسبب حمى قاتلة، أمراض غريبة لا يمكن للأدوية أن توثر فيها أدنى تأثير. لقد خففت من ألم والدك، ولكن علامة الدنس لا تزال فيه، إذا تُركت وشأنها فسوف تنمو مجددًا وتستنزفه».

«ولكنك لن تتركيها وشأنها». كانت كلمات (راند) نصف متوسلة ونصف آمرة. أحس بالصدمة عندما أدرك أنه تحدث إلى واحدة من (الآيز سيداي) بهذه الطريقة، ولكن لم يبدُ عليها أنها لاحظت نبرة صوته.

وافقته ببساطة قائلة: «لن أتركها، ولكني متعبة للغاية يا (راند)، ولم تتح لي فرصة للراحة منذ الليلة الماضية. في العادة لن يكون هذا مهمًّا، ولكن

لمثل هذا النوع من الإصابة...». أخرجت حزمة صغيرة من الحرير الأبيض من جرابها وأكملت: «هذا (أنجريال)». لاحظت التعبير المرتسم على وجهه فقالت: «أنت تعرف (الأنجريال) إذن، رائع».

مال إلى الوراء بشكل لا إرادي بعيدًا عنها وعما تحمله، بعض الحكايات قد ذكرت (الأنجريال)، هذه البقايا الأثرية من (عصر الأساطير) التي تستخدمها (الآيز سيداي) لتحقيق أعظم معجزاتهن. جفل عندما رآها تفض الحزمة لتكشف عن تمثال عاجي ناعم، قد صار لونه بنيًّا داكنًا مع مرور الزمن. لم يكن أطول من يدها، وكان عبارة عن امرأة في ثياب فضفاضة وشعر طويل ينسدل على كتفيها.

قالت: «لقد ضاع منا سر صناعتها، الكثير قد ضاع، وربما لن نعثر عليه مرة أخرى. لم يتبقَّ سوى القليل منه، حتى إن (عرش أميرلين) كادت ألا تسمح لي بأخذ هذا (الأنجريال). من حسن حظ (إيموندز فيلد)، ومن حسن حظ والدك، أنها قد سمحت لي. ولكن يجب عليك ألا تأمل كثيرًا، حتى مع هذا (الأنجريال) لا يمكنني أن أفعل إلا أكثر بقليل مما كان يمكنني أن أفعله بدونه بالأمس. والدنس قوي، فقد كان لديه وقت ليتفاقم».

قال (راند) بحماس: «يمكنك أن تساعديه، أنا أعرف أن بإمكانك هذا».

ابتسمت (مويرين) ابتسامة شاحبة وقالت: «سنرى». ثم أولت اهتمامها مرة أخرى إلى (تام)، كانت تضع يدها على جبهته وباليد الأخرى تمسك بالتمثال العاجي. أغلقت عينيها وبدا على ملامح وجهها التركيز، وبالكاد بدا عليها أنها تتنفس.

قال (لان) بهدوء: «ذلك الفارس الذي تحدثت عنه، الفارس الذي جعلك تشعر بالخوف، كان هذا (ميردرال) بالتأكيد».

صاح (راند): «(ميردرال)! ولكن (العواتم) طولهم عشرون قدمًا و...». تلاشت كلماته أمام ابتسامة (الحامي) الساخرة.

«أحيانًا ما تجعل الحكايات الأشياء أكبر من حقيقتها يا راعي الغنم، صدقني إن الحقيقة جسيمة بما يكفي مع (أنصاف البشر). (نصف بشري)، (كامن)، (عاتم)، (رجل الظل). الاسم يعتمد على الأرض التي أنت فيها، ولكن كلها تعني (ميردرال). (العواتم) من نسل (الترولوكيين). لقد كادوا أن يرتدوا إلى الأصل البشري الذي استخدمه (سادة الرعب) لصنع (الترولوكيين). ولكن إن كان الشق البشري أقوى فكذلك الدنس الذي يحور (الترولوكيين). إن (أنصاف البشر) لديهم قوى فريدة من نوعها، قوى تنبع من (سيد الظلام). لا يفشل في مواجهة (عاتم) وجهًا لوجه إلا الأضعف من بين (الآيز سيداي)، ولكن العديد من الرجال الصالحين والمخلصين قد سقطوا ضحية لهم. منذ الحروب التي أنهت (عصر الأساطير)، ومنذ سجن (الملعونين)، صاروا هم العقل الذي يخبر قبضات (الترولوكيين) أين تضرب. في أيام (الحروب الترولوكية) كان (أنصاف البشر) هم من يقودون (الترولوكيين) في المعارك تحت قيادة (سادة الرعب)».

قال (راند) بخفوت وهو يرتجف: «لقد أخافني، لقد نظر إليَّ فقط و...».

«لا داعي لأن تشعر بالخجل يا راعي الغنم، إنهم يخيفونني أيضًا. لقد رأيت رجالًا كانوا جنودًا طيلة حياتهم يتجمدون كطائر في مواجهة أفعى عندما يواجهون (نصف بشري). هناك مقولة في الشمال في (البلاد الحدودية) على طول (البلاء العظيم)؛ نظرة عديمي الأعين هي الخوف».

قال (راند): «عديمو الأعين؟».

فأومأ (لان) برأسه وقال: «(الميردرال) يرون كالعِقبان، في الظلمة أو الضوء، ولكن لا أعين لهم. لا يمكنني التفكير في أشياء كثيرة أكثر خطورة من مواجهة (ميردرال). لقد حاولت أنا و(مويرين سيداي) أن نقتل (الميردرال) الذي كان هنا بالأمس، ولكننا كنا نفشل في كل مرة. إن (أنصاف البشر) لديهم حظ (سيد الظلام) ذاته».

ازدرد (راند) لعابه وقال: «لقد قال (ترولوك) إن (الميردرال) يرغب في الحديث معي».

اعتدل رأس (لان) على الفور وصارت عيناه حجرين أزرقين وهو يقول: «أنت تحدثت إلى (ترولوك)؟».

قال (راند) متلجلجًا: «ليس بالضبط». كانت نظرة (الحامي) تحاصره كالفخ. «لقد تحدث إليَّ، قال إنه لن يؤذيني وإن (الميردرال) يرغب في الحديث معي. ثم حاول أن يقتلني». لعق شفتيه وفرك يده على مقبض السيف المصنوع من جلد أنيق. وفي جمل مقتضبة متقطعة شرح له ما حدث عند العودة إلى المزرعة. أنهى حديثه قائلًا: «لقد قتلته، ولكن هذا كان صدفة في الواقع، لقد انقض عليَّ وكنت أمسك بالسيف في يدي».

لانت ملامح (لان) قليلًا كأن الصخر يمكن أن يلين، ثم قال: «ومع هذا فإنه شيء يمكنك أن تتفاخر به يا راعي الغنم، حتى الليلة الماضية كان هناك عدد قليل من الرجال جنوب (البلاد الحدودية) يمكنهم أن يقولوا إنهم قد رأوا (ترولوك)، ناهيك بقتل واحد».

قالت (مويرين) في تعب: «وعدد أقل يمكنهم أن يقولوا إنهم قد قتلوا (ترولوك) وحدهم وبدون مساعدة. لقد أتممتُ الأمر يا (راند)، ساعدني على النهوض يا (لان)».

أسرع (الحامي) لمساعدتها ولكنه لم يكن أسرع من (راند) الذي اندفع نحو السرير. كان ملمس بشرة (تام) باردًا رغم أن وجهه كان شاحبًا وباهتًا كأنه قد قضى وقتًا طويلًا بعيدًا عن الشمس. كانت عيناه لا تزالان مغمضتين ولكنه كان يتنفس بعمق كأنما ينام نومًا طبيعيًّا.

سألها (راند) في قلق: «هل سيكون بخير الآن؟».

قالت (مويرين): «مع بعض الراحة، أجل. بضعة أسابيع في الفراش وسيعود معافى كما كان». كانت تسير بخطوات غير متزنة رغم إمساكها

بذراع (لان)، الذي أزال عباءتها وعصاها من على الكرسي لكي تجلس، فجلست ببطء وهي تتنهد. أعادت تغليف (الأنجريال) ببطء وبحرص ثم أعادته إلى جرابه.

ارتجف كتفا (راند) وعض على شفتيه لكي يمنع نفسه من الضحك، وفي الوقت نفسه كان عليه أن يفرك عينيه بيديه ليمسح الدموع قبل أن يقول: «شكرًا لكِ».

قالت (مويرين): «في (عصر الأساطير) كان باستطاعة بعض (الآيز سيداي) تأجيج نيران الحياة والصحة، حتى لو لم يتبقَّ منها سوى شرارة ضئيلة فقط. ولكن تلك الأيام قد ولت، وربما إلى الأبد، لقد ضاع الكثير وليس فقط سر صنع (الأنجريال). لقد كان باستطاعتهن فعل الكثير، الذي لا يمكننا حتى أن نحلم به، هذا إن كنا نتذكره على الإطلاق، هناك عدد قليل للغاية منا الآن، لقد ضاعت بعض المهارات إلى الأبد، والكثير الذي تبقى يبدو أكثر ضعفًا. الآن يجب أن يكون هناك إرادة وقوة في الجسد معًا للاستعانة بهما وإلا فلن تقدر حتى أقوانا على أن تفعل شيئًا لشفائه. من حسن الحظ أن والدك رجل قوي الجسد والروح. لقد استهلك الكثير من قوته ليقاتل من أجل الحياة، ولكن ما تبقى منها الآن هو من أجل أن يتعافى. هذا سيستغرق وقتًا ولكن الدنس قد زال».

قال لها دون أن يبعد عينيه عن (تام): «لن أتمكن أبدًا من أن أرد معروفك، ولكن أي شيء يمكنني أن أفعله من أجلك فسأفعله؛ أي شيء على الإطلاق». ثم تذكر حديثهما عن الثمن، وتذكر وعده. وهو جاثٍ الآن على ركبتيه بجوار (تام) كان يعني حديثه أكثر حتى من ذي قبل، ولكن رغم هذا لم يكن النظر إليها سهلًا. «سأفعل أي شيء طالما لا يؤذي القرية أو أصدقائي».

أشاحت (مويرين) بيدها بلا اكتراث وقالت: «إن كنت تعتقد أنه ضروري. سأود الحديث معك على أي حال. لا شك أنك سترحل في نفس الوقت الذي سنرحل فيه، يمكننا أن نتحدث باستفاضة حينها».

اعتدل واقفًا على قدميه على الفور وصاح: «نرحل! هل الوضع بهذا السوء حقًّا؟ يبدو لي أن الجميع مستعدون لإعادة البناء. إن شعب (النهرين) يميل للاستقرار، لا أحد يرحل».

«(راند)...».

«وإلى أين يمكن أن نذهب؟ لقد قال (بادان فاين) إن الطقس بمثل نفس السوء في كل مكان آخر. إنه... لقد كان... البائع الجائل. (الترولوكيون)...». ازدرد (راند) لعابه وتمنى لو أن (توم ميريلين) لم يخبره بما يأكله (الترولوكيون). «أفضل ما يمكنني فعله هو أن أبقى هنا حيث أنتمي في (النهرين)، وأن أعيد الأمور إلى نصابها الصحيح. لدينا محاصيل في الأرض ولا شك أن الجو سيصير دافئًا عما قريب بما يكفي لجز صوف الأغنام. أنا لا أعرف من بدأ هذا الحديث عن الرحيل. أراهن أنه واحد من آل (كوبلِن). ولكن أيًّا من كان...».

قاطعه (لان) قائلًا: «أنت تتكلم بينما يجب عليك أن تنصت يا راعي الغنم».

رمش بعينيه وهو ينظر إليهما، أدرك أنه كان يثرثر بلا انقطاع بينما هي تحاول أن تتحدث، بينما واحدة من (الآيز سيداي) تحاول أن تتحدث. تساءل عما يقول وكيف يعتذر، ولكن (مويرين) ابتسمت بينما هو لا يزال يفكر.

قالت: «أنا أتفهم مشاعرك يا (راند)، لا تشغل بالك بالأمر». وكان لديه شعور غير مريح بأنها قد تفهمتها حقًّا. ثم جزت على أسنانها وهزت رأسها وهي تقول: «أرى أنني قد تعاملت مع هذا الأمر بشكل سيئ،

أفترض أنه كان يجب عليَّ أن أستريح أولًا. أنت من سيرحل يا (راند)، أنت من يجب أن يرحل في سبيل قريته».

«أنا؟». ثم تنحنح وحاول أن يتكلم مجددًا. «أنا؟». بدت أفضل قليلًا هذه المرة. «لمَ يجب عليَّ أن أذهب؟ أنا لا أفهم أي شيء من هذا. أنا لا أرغب في الذهاب إلى أي مكان».

نظرت (مويرين) إلى (لان) ففك (الحامي) ذراعيه المعقودتين ونظر إلى (راند) من أسفل طوق رأسه الجلدي، فراود (راند) مرة أخرى إحساس بأنه يوزن بموازين خفية. قال (لان) فجأة: «هل تعرف أن بعض البيوت لم تتعرض للهجوم؟».

قال باحتجاج: «لقد صار نصف القرية رمادًا».

ولكن (الحامي) لوح بيده وقال: «بعض البيوت قد أُحرقت فقط لإحداث ارتباك. لقد تجاهلها (الترولوكيون) لاحقًا كما تجاهلوا الناس الذين فروا منها، ما لم يعترضوا طريق القتال الحقيقي. معظم الناس الذين أتوا من المزارع النائية لم يروا حتى شعرة من (ترولوك)، وإن رأوا فلم يكن إلا من مسافة بعيدة. معظمهم لم يعرف أن هناك أي مشكلة حتى رأوا القرية».

قال (راند) ببطء: «لقد سمعت بشأن (دارل كوبلِن)، أعتقد أن الأمر فقط لم يخطر على بالي».

قال (لان): «لقد تعرضت مزرعتان للهجوم، مزرعتكما ومزرعة أخرى. كان قاطنو المزرعة الثانية في القرية بالفعل من أجل (بِل تاين). لقد نجا العديد من الناس لأن (الميردرال) كان جاهلًا بعادات وتقاليد (النهرين)؛ إن العيد و(ليلة الشتاء) قد جعلا مهمته مستحيلة ولكنه لم يكن يعرف هذا».

نظر (راند) إلى (مويرين) وهي متكئة بظهرها إلى الكرسي، ولكنها لم تقل شيئًا، واكتفت بمراقبته وهي تضع إصبعًا على شفتيها. وأخيرًا سأل: «مزرعتنا ومزرعة مَن؟».

أجابه (لان): «مزرعة (آيبارا)، هنا في (إيموندز فيلد). لقد هاجموا أولًا ورشة الحدادة وبيت الحداد وبيت السيد (كاوثون)».

أحس (راند) بحلقه يجف فجأة، وأخيرًا استطاع أن يقول: «هذا جنوني». ثم جفل عندما اعتدلت (مويرين) في جلستها.

قالت: «ليس جنونيًّا يا (راند)، بل عن عمد. لم يأتِ (الترولوكيون) إلى (إيموندز فيلد) بالصدفة، ولم يفعلوا ما فعلوه من أجل متعة القتل والحرق، رغم أن هذا يسعدهم كثيرًا. كانوا يعرفون ما الذي يسعون وراءه، أو بالأحرى من الذين يسعون وراءهم. لقد أتى (الترولوكيون) ليقتلوا شبابًا في عمر معين يعيشون بالقرب من (إيموندز فيلد) أو ليقبضوا عليهم».

قال (راند): «في مثل عمري؟». كان صوته يرتجف ولكنه لم يُبالِ. «بحق (النور)، (مات)! ماذا عن (بيرين)؟».

قالت (مويرين) لتطمأنه: «إنه على قيد الحياة وبخير حال. لم يُصبه إلا السخام».

«ماذا عن (بان كراو) و(ليم ثاين)؟».

قال (لان): «لم يكونا عرضة لأي خطر، على الأقل ليس أكثر من أي شخص آخر».

«ولكنهما رأيا الفارس. هذا (العاتم). أيضًا، كما أنهما في نفس عمري».

قالت (مويرين): «لم يتعرض بيت السيد (كراو) لأدنى ضرر، والطحان وأسرته ظلوا نائمين أثناء نصف وقت الهجوم قبل أن توقظهم الضوضاء. (بان) أكبر منك بعشرة أشهر، و(ليم) أصغر منك بثمانية أشهر». ابتسمت بسخرية لدهشته وقالت: «لقد أخبرتك أني سألت أسئلة، وقد

قلت أيضًا شبابًا في عمر معين. أنت وصديقاك لا يفصل بينكم إلا أسابيع قليلة، لقد كنتم الثلاثة الذين يبحث عنهم (الميردرال)، ولا أحد سواكم».

تململ (راند) في توتر، وتمنى لو أنها لا تنظر إليه هكذا، كأن عينيها قادرتان على اختراق عقله وقراءة ما يكمن في كل ركن منه. «ما الذي يريدونه منا؟ نحن مجرد مزارعين، رعاة أغنام».

قالت (مويرين) بهدوء: «هذا سؤال ليس له إجابة في (النهرين)، ولكن الإجابة مهمة. إن ظهور (الترولوكيين) الذين لم يظهروا منذ ألفي سنة تقريبًا يخبرنا بالكثير».

قال (راند) بعناد: «تتحدث العديد من الحكايات عن هجمات (الترولوكيين)، الأمر وما فيه هو أنهم لم يهجموا علينا من قبل. ولكن (الحماة) يقاتلون (الترولوكيين) طيلة الوقت».

قال (لان) بسخرية: «أنا أتوقع أن أقاتل (الترولوكيين) عند حدود (البلاء العظيم) وليس هنا يا فتى؛ على بعد ستمئة فرسخ تقريبًا نحو الجنوب. إن هجومًا حامي الوطيس كهجوم الليلة الماضية أتوقع أن أراه في (شاينار) أو أي من (البلاد الحدودية)».

قالت (مويرين): «هناك شيء يخشاه (سيد الظلام) في واحد منكم أو في ثلاثتكم معًا».

قال (راند): «هذا... هذا مستحيل». ثم سار بخطوات متعثرة ناحية النافذة وحدق إلى القرية وإلى الناس الذين يعملون بين الأطلال. «بغض النظر عما حدث، فإن هذا مستحيل». جذب شيء ما انتباهه في (الساحة الخضراء)، حدق إليه ثم أدرك أنه الجذع المتفحم لـ(عمود الربيع). عيد (بِل تاين) جميل مع بائع جائل وصانع بهجة وغرباء. ارتجف وهز رأسه بعنف قبل أن يقول: «لا، لا، أنا راعي غنم. لا يمكن أن يكون (سيد الظلام) مهتمًّا بي».

قال (لان) بوجوم: «لقد تطلب الأمر جهدًا كبيرًا لإحضار مثل هذا العدد من (الترولوكيين) إلى هذا المكان البعيد بدون صخب أو جذب انتباه من (البلاد الحدودية) إلى (كايملين) وما ورائها. أتمنى لو أعرف كيف فعلوا هذا. هل تعتقد أنهم قد تكبدوا كل هذا العناء فقط لكي يحرقوا بعض البيوت؟».

أضافت (مويرين) قائلة: «سوف يعودون».

كان (راند) قد فتح فمه ليتجادل مع (لان) ولكن ما قالته جعله يصمت ويلتفت إليها على الفور قبل أن يقول: «يعودون؟ ألا يمكنكما إيقافهم؟ لقد فعلتما هذا في الليلة الماضية رغم أن الهجوم كان مفاجئًا. ولكنكما الآن تعلمان أنهم هنا».

أجابته (مويرين): «ربما. يمكنني أن أرسل إلى (تار ڤالون) لإحضار بعض أخواتي، قد يكون لديهن وقتًا لقطع الرحلة قبل أن نكون بحاجة إليهن. (الميردرال) يعرف أنني هنا أيضًا، ولن يهاجم على الأرجح. أو على الأقل ليس علنًا، وهو يفتقر إلى التعزيزات؛ المزيد من (الميردرال) والمزيد من (الترولوكيين). مع وجود عددٍ كافٍ من (الآيز سيداي) وعدد كاف من (الحماة) يمكن هزيمة (الترولوكيين)، ولكني لا أستطيع الجزم كم معركة سيتطلب الأمر».

تراقصت رؤية في عقله؛ (إيموندز فيلد) قد صارت رمادًا، كل المزارع محروقة. و(واتش هيل) و(ديڤِن رايد) و(تارين فيري)، جميعها رماد ودماء. قال: «لا». وأحس بألم بداخله كأن شيئًا ما كان يتشبث به قد انتُزِع منه. «لهذا يجب عليَّ أن أرحل، أليس كذلك؟ (الترولوكيون) لن يعودوا إن لم أظل هنا». ثم اكتسى صوته بلمحة عناد أخيرة وهو يضيف: «هذا إن كانوا يسعون ورائي حقًّا».

رفعت (مويرين) حاجبيها كأنها قد تفاجأت بعدم اقتناعه، ولكن (لان) قال: «هل أنت مستعد لأن تقامر بقريتك يا راعي الغنم؟ قرى (النهرين) جميعًا؟».

تلاشى عناد (راند) وهو يقول مرة أخرى: «لا». ثم أحس بالخواء بداخله من جديد فقال: «(بيرين) و(مات) سيضطران للذهاب أيضًا أليس كذلك؟». سيرحل عن (النهرين) ويرحل عن بيته وأبيه. على الأقل (تام) سيتحسن، على الأقل سيكون قادرًا على أن يسمع منه أن كل ما قاله في (الطريق الحجري) كان هراءً. «أفترض أن بإمكاننا أن نذهب إلى (بايرلون) أو حتى (كايملين). لقد سمعت أن هناك أناسًا في (كايملين) أكثر من قرى (النهرين) جميعًا. سنكون آمنين هناك». حاول أن يضحك ولكن ضحكته بدت جوفاء. «لطالما حلمت بأن أرى (كايملين)، ولكن لم يُخيَّل لي قط أن الأمر سيكون بهذه الطريقة».

خيم صمت طويل ثم قال (لان): «لا أعتقد أنكم ستكونون آمنين في (كايملين)، إن كان (الميردرال) يريدونكم بشدة فإنهم سيجدون طريقًا، الأسوار عائق ضعيف أمام (أنصاف البشر). وستكون أحمق لو لم تصدق أنهم يريدونك بشدة حقًّا».

كان (راند) يعتقد أن روحه المعنوية قد انخفضت إلى أدنى حد ممكن، ولكنها في تلك اللحظة انحدرت أكثر.

قالت (مويرين) بهدوء: «يوجد ملاذ آمن». فأصغى (راند) السمع على الفور. «في (تار ڤالون) ستكونون بين (الآيز سيداي) و(الحماة). حتى أثناء (الحروب الترولوكية) كانت قوى الشر تخشى الهجوم على (الأسوار اللامعة). كانت محاولتهم الوحيدة هي أكبر هزيمة لهم حتى النهاية. وتحوي (تار ڤالون) كل المعرفة التي جمعناها نحن (الآيز سيداي) منذ (زمن الجنون)، بل إن بعض شذرات هذه المعرفة تعود إلى (عصر الأساطير). إن كان هناك مكان يمكننا فيه أن نعرف ما يريده منكم (الميردرال) فهو

(تار ڤالون)، أن نعرف لم يريدكم (أبو الأكاذيب)، هذا ما يمكنني أن أعدك به».

إن قطع رحلة طويلة إلى (تار ڤالون) شيء لا يقدر على أن يتصوره، رحلة إلى مكان سيكون محاطًا فيه بـ(الآيز سيداي). لقد عالجت (مويرين) (تام) - أو على الأقل يبدو أنها قد فعلت هذا - ولكن لا يزال هناك كل هذه الحكايات. لقد كان يشعر بتوتر كافٍ لوجوده في نفس الغرفة مع واحدة من (الآيز سيداي)، ولكن أن يكون في مدينة مليئة بهن... كما أنها لم تطلب الثمن بعد، هناك دومًا ثمن، أو هذا ما تقوله الحكايات.

سألها أخيرًا: «إلى متى سينام والدي؟ يجب... يجب عليَّ أن أخبره. لا يجب أن يستيقظ فيجدني قد رحلت». خُيِّل إليه أنه سمع (لان) يتنهد بارتياح. نظر إلى (الحامي) بفضول ولكن وجه (لان) كان خاليًا من التعبيرات كعادته.

قالت (مويرين): «من غير المحتمل أن يستيقظ قبل أن نغادر. أنا أنوي أن نذهب سريعًا بعد حلول الظلام، إن التأخير ولو ليوم واحد قد يكون فادحًا، سيكون من الأفضل أن تترك له رسالة».

قال (راند) بشك: «في الليل؟».

فأومأ (لان) برأسه وقال: «سرعان ما سيكتشف (نصف البشري) أننا قد رحلنا، ليس هناك حاجة لجعل الأمور أسهل بالنسبة له أكثر مما هي عليه بالفعل».

أخذ (راند) يحرك بطانية أبيه بحركة متوترة، إنه طريق طويل إلى (تار ڤالون). قال: «في هذه الحالة... في هذه الحالة من الأفضل أن أذهب وأعثر على (مات) و(بيرين)».

قالت (مويرين): «سأتولى أنا هذا الأمر». ثم اعتدلت واقفة على قدميها بخفة وارتدت عباءتها بحيوية مفاجئة. وضعت يدها على كتفه فحاول بقوة

ألا يجفل. لم تضغط على كتفه بقوة ولكنها كانت قبضة حديدية ثبتته في موضعه كأنما هي عصا متشعبة تثبت ثعبانًا. «سيكون من الأفضل أن تُبقي هذا الأمر بيننا فقط، هل تفهم؟ هؤلاء الأشخاص الذين رسموا (ناب التنين) على باب الحانة قد يتسببون في المتاعب إن عرفوا بالأمر».

قال لها: «أفهم». ثم تنفس الصعداء عندما أبعدت يدها عنه.

قالت كأنما لم تلاحظ رد فعله: «سأطلب من السيدة (ألڤير) أن تحضر لك شيئًا لتأكله، ثم عليك أن تخلد إلى النوم. ستكون رحلة شاقة الليلة حتى ولو نلت قسطًا كافيًا من الراحة».

انغلق الباب وراءهما فوقف (راند) وهو ينظر إلى (تام). كان ينظر إلى (تام) ولكنه لم يكن يرى شيئًا. حتى دقيقة واحدة كان يظن أن (إيموندز فيلد) جزء منه بقدر ما هو جزء منها. أدرك الآن أن هذا هو ما أحس به يُنتَزع منه. إنه الآن على وشك أن يفارق القرية، (راعي الليل) يريده. هذا مستحيل، إنه مجرد مزارع، ولكن (الترولوكيين) قد جاءوا، و(لان) كان محقًّا حيال شيء واحد؛ لا يمكنه أن يقامر بالقرية على فرضية أن تكون (مويرين) مخطئة. لا يمكنه حتى أن يخبر أي شخص، سيثير آل (كوبلِن) المتاعب حقًّا إذا عرفوا بشيء كهذا. عليه أن يثق في (آيز سيداي).

قالت السيدة (ألڤير) بينما العمدة يُغلق الباب وراءه هو وزوجته: «لا توقظه الآن». كان هناك روائح لذيذة ودافئة تنبعث من الصينية المغطاة بقطعة قماش. وضعتها على صندوق بجوار الجدار ثم أبعدت (راند) بحزم عن الفراش.

قالت بصوت رقيق: «لقد أخبرتني السيدة (مويرين) بما يحتاجه، وهذا لا يشمل أن تنهار فوقه من التعب. لقد أحضرت لك بعض الطعام لتأكله، هيا لا تدعه يبرد».

قال (بران) بقلق: «أتمنى لو تتوقفين عن مناداتها هكذا، (مويرين سيداي) هو الاسم اللائق، فأنا أخشى أن تغضب».

ربتت السيدة (ألڤير) على وجنته وقالت: «فلتترك لي القلق بشأن هذا، لقد تحدثت أنا وهي طويلًا، ولتبقِ صوتك خفيضًا، إذا أيقظت (تام) فسوف تتحمل المسؤولية أمامي وأمام (مويرين سيداي)». شدَّدت على لقب (مويرين) مما جعل إصرار (بران) يبدو أحمق. «فلتبقيا أنتما الاثنان بعيدًا عن طريقي». ثم ابتسمت لزوجها ابتسامة حب قبل أن تولي اهتمامها إلى الفراش وإلى (تام).

نظر السيد (ألڤير) إلى (راند) وقال: «إنها (آيز سيداي)، ونصف نساء القرية يتصرفن كأنها تجلس في (دائرة النساء)، بينما البقية يتصرفن كأنما هي (ترولوك). لا يبدو أن أيًّا منهن تدرك أن على المرء توخي الحذر فيما يتعلق بـ(الآيز سيداي). قد ينظر إليها الرجال من طرف أعينهم، ولكنهم على الأقل لا يفعلون أي شيء قد يغضبها».

فقال (راند) لنفسه إن عليه أن يكون حذرًا. لم يفت الأوان بعد على التصرف بحذر. قال ببطء: «هل تعرف عدد المزارع التي تعرضت للهجوم يا سيد (ألڤير)؟».

قال العمدة: «مزرعتان فقط حسبما تنامى إلى علمي، بما فيهما مزرعتكما». ثم صمت وعقد حاجبيه قبل أن يهز كتفيه ويقول: «لا يبدو هذا كافيًا مقارنة بما حدث هنا. يجب أن أكون ممتنًّا لهذا، ولكن... حسنًا، على الأرجح سنسمع عن المزيد قبل نهاية اليوم».

تنهد (راند)، لا حاجة لسؤاله أي مزرعة هي. «هنا في القرية، هل كانوا... أعني هل كان هناك أي دلائل تشير إلى ما كانوا يسعون إليه؟».

«يسعون إليه؟ لا أعتقد أنهم كانوا يسعون إلى أي شيء يا فتى، ربما باستثناء قتلنا جميعًا. لقد حدث الأمر كما قلته لك؛ الكلاب تنبح، و(مويرين سيداي) و(لان) يركضان عبر الشوارع، وشخص ما يصيح بأن بيت السيد (لوهان) وورشة الحدادة يحترقان. اشتعلت النيران في بيت (أبيل كاوثون)، والغريب أنه يقع في منتصف القرية تقريبًا. على أي حال ما

حدث بعدها هو أننا وجدنا (الترولوكيين) بيننا. لا، لا أعتقد أنهم كانوا يسعون إلى أي شيء». ثم ضحك ضحكة مفاجئة قبل أن يبترها مع نظرة تحذير من زوجته التي كانت تولي اهتمامها إلى (تام). أكمل حديثه بصوت خفيض قائلًا: «لأصدقك القول، لقد بدا عليهم الارتباك مثلنا تمامًا، أشك أنهم كانوا يتوقعون العثور على واحدة من (الآيز سيداي) أو أحد (الحماة) هنا».

قال (راند) متجهمًا: «أشك في هذا أيضًا».

إن كانت (مويرين) قد قالت الحقيقة بشأن هذا فإنها على الأرجح قد قالت الحقيقة بشأن البقية أيضًا. فكر للحظة أن يطلب النصيحة من العمدة، ولكن من الواضح أن السيد (ألڤير) لا يعرف عن (الآيز سيداي) أكثر من أي شخص آخر في القرية، بالإضافة إلى أنه كان مترددًا في إخبار أي شخص بما يحدث حتى العمدة، أو بالأحرى ما قالت (مويرين) إنه يحدث. لم يكن واثقًا إذا ما كان خائفًا أكثر من السخرية منه أم من تصديقه. حك مقبض سيف (تام) بإبهامه. لقد جال والده العالم، لا شك أنه يعرف عن (الآيز سيداي) أكثر من العمدة. ولكن إن كان (تام) قد خرج حقًّا من (النهرين) إذن فربما ما قاله في (الغابة الغربية)... فرك شعره بيديه لينفض الفكرة عن رأسه.

قال العمدة: «أنت بحاجة لبعض النوم يا فتى».

أضافت السيدة (ألڤير): «أنت بحاجة لهذا حقًّا، تكاد أن تنهار في موضعك».

نظر إليها في دهشة، لم يُدرك حتى أنها قد تركت والده. إنه بحاجة إلى النوم بالفعل، مجرد التفكير في الأمر جعله يتثاءب.

قال العمدة: «يمكنك أن تنام على السرير في الغرفة المجاورة، إن المدفأة موقدة بالفعل».

نظر (راند) إلى أبيه، كان (تام) لا يزال غارقًا في نومٍ عميق، وهذا جعله يتثاءب مرة أخرى. «أفضل أن أبقى هنا إن كنتما لا تمانعان، حتى أكون موجودًا عندما يستيقظ».

كانت الشئون المتعلقة بغرفة التمريض تخضع لمسؤولية السيدة (ألڤير)، فترك العمدة الأمر لها. ترددت للحظة قبل أن تومئ برأسها وتقول: «ولكن فلتتركه يستيقظ وحده، إن أقلقت نومه...». حاول أن يقول لها إنه سيفعل ما تأمر به ولكن الكلمات علقت في تثاؤب آخر. هزت رأسها مبتسمة وقالت: «أنت أيضًا ستنام على الفور، إن أردت رأيي فلتنم بجانب النار، واشرب القليل من مرق اللحم هذا قبل أن تغفو».

قال (راند): «سأفعل». كان مستعدًّا لأن يوافق على أي شيء يُبقيه في هذه الغرفة. «ولن أوقظه».

قالت السيدة (ألڤير): «فلتحرص على هذا». كانت حازمة ولكنها ظلت لطيفة في الوقت ذاته. «سأحضر لك وسادة وبعض البطانيات».

عندما انغلق الباب أخيرًا وراءهما، جذب (راند) الكرسي الوحيد في الغرفة ليقربه من السرير، وجلس حيث يمكنه أن يُراقب (تام). كانت السيدة (ألڤير) محقة في حديثها عن النوم ـ جز على أسنانه وهو يكتم تثاؤبًا آخر ـ ولكن لا يمكنه النوم بعد، قد يستيقظ (تام) في أي لحظة، وربما لا يظل مستيقظًا إلا لوقت قصير. يجب أن يكون (راند) في انتظاره عندما يستيقظ.

تجهم وتململ في كرسيه وهو يحرك مقبض السيف بين ضلوعه في شرود. كان لا يزال يشعر بالتردد بشأن إخبار أي شخص عما قالته (مويرين)، ولكنه (تام) رغم كل شيء، إنه... وبدون أن يدرك أطبق فمه في تصميم.
إنه أبي. يمكنني أن أخبر أبي بأي شيء.

تململ مرة أخرى في كرسيه ووضع رأسه على ظهر الكرسي. (تام) أبوه، ولا يمكن لأحد أن يملي عليه ما يمكن أن يقوله أو لا يقوله إلى أبيه. عليه فقط أن يبقى مستيقظاً حتى يستيقظ (تام)، عليه فقط أن...

الفصل التاسع

حكايات عجلة الزمن

كان قلب (راند) يخفق بقوة وهو يركض، بينما يحدق في فزع إلى التلال القاحلة المحيطة به، لم يكن هذا مجرد مكان تأخر فيه الربيع، الربيع لم يأتِ هنا قط، ولن يأتي أبدًا. لم ينمُ شيئًا في التربة الباردة التي تتهشم تحت حذائه، ولا حتى القليل من الأعشاب. اندفع متجاوزًا جلاميد من الصخر تفوقه طولًا مرتين، أحجارًا يكسوها الغبار كأنما لم تلمسها قطرة مطر. كانت الشمس منتفخة، كرة حمراء دامية، أكثر اتقادًا مما كانت عليه في أشد أيام الصيف حرارة، وساطعة بما يكفي لحرق عينيه، وتبزغ بشكل صارخ في مرجل السماء الرصاصي، حيث كانت السحب السوداء والفضية تغلي وتفور في كل أفق. وعلى الرغم من كل هذه السحب الدوارة، إلا أنه لم يكن هناك نسيم من الهواء يتحرك على الأرض، وعلى الرغم من الشمس الغاضبة إلا أن الهواء كان باردًا كأعماق الشتاء.

كان (راند) ينظر من فوق كتفه بشكل متكرر وهو يركض، ولكنه لم يستطع رؤية مطارديه، لم يكن هناك سوى التلال المقفرة والجبال السوداء الوعرة، تعلوها أعمدة طويلة من الدخان الأسود تتصاعد لكي تنضم إلى السحب المائجة. وعلى الرغم من عدم قدرته على رؤية مطارديه إلا أنه كان

باستطاعته سماعهم؛ أصوات حلقية تصيح ببهجة المطاردة، وتعوي بمتعة الدم الذي على وشك أن يسيل. (الترولوكيون) يقتربون، وقد خارت قواه.

في تعجل يائس أسرع صاعدًا قمة التل الحاد كالسكين، ثم سقط على ركبتيه وهو يتألم. من تحته ينحدر جرف صخري هائل بطول ألف قدم ناحية أخدود شاسع. كان الضباب البخاري يغطي أرض الأخدود، وسطحه الرمادي يمور بموجات كئيبة، تتكسر على الجرف أسفله، ولكن بشكل أبطأ من حركة الأمواج في المحيط. توهجت بقع من الضباب فجأة بلون أحمر كأن حرائق عظيمة قد اندلعت بالأسفل، قبل أن تنطفئ. دوى الرعد في أعماق الوادي ولمع البرق من بين الضباب الرمادي وهو يضرب أحيانًا نحو السماء.

لم يكن الوادي نفسه هو ما استنزف قوته ليحل محلها الإحساس بالعجز. من قلب الأبخرة الغاضبة يبزغ جبل نحو السماء، جبل أطول من أي جبل قد رآه في (جبال الضباب)، جبل أسود كفقدان كل أمل، كانت هذه القمة الحجرية السوداء كخنجر يطعن السماوات هي مصدر إحساسه بالخواء والعجز. إنه لم يرَها من قبل ولكنه يعرفها. ومضت الذكرى كالزئبق عندما حاول أن يلمسها، ولكن الذكرى كانت موجودة، كان يعلم أنها موجودة.

لمسته أصابع خفية، جذبته من ذراعيه وساقيه، تحاول أن تجره بعيدًا عن الجبل. ارتعش جسده وهو مستعد للطاعة، تخشب ذراعاه وساقاه كأنما يحاول أن يغرس أصابع يديه وقدميه في الصخر. تشابكت خيوط شبحية حول قلبه، تجذبه وتناديه إلى قمة الجبل، انهمرت الدموع على وجهه، وتهاوى على الأرض، أحس بإرادته تُستَنزَف منه كما يتسرب الماء من دلو مثقوب. عليه أن يقاوم قليلًا فقط وسيذهب إلى حيث يُنادى. سيُطيع، سيفعل ما يؤمر به. فجأة اكتشف شعورًا آخر؛ الغضب. ادفعوه، اجذبوه، إنه ليس خروفًا يُنْخَسُ إلى حظيرة. تجمع الغضب في عقدة صلبة فتشبث بها كما لو أنه يتشبث بقارب في الطوفان.

اخدمني، همس صوت في سكون عقله، صوت مألوف. أصغى السمع بقوة ليتيقن من أنه يعرفه. *اخدمني*. هز رأسه محاولًا أن يخرج الصوت منه. *اخدمني*! لوح بقبضته ناحية الجبل. «فليحرقك (النور) أيها (الشيطان)!».

فجأة صار هناك رائحة موت كثيفة من حوله، ولاح من فوقه هيئة شخص يرتدي عباءة بلون الدم الجاف، شخص له وجه... لم يرغب في رؤية الوجه الذي ينظر إليه، لم يرغب في التفكير في هذا الوجه. كان التفكير فيه يؤلمه ويحيل عقله إلى جمرات. امتدت يد ناحيته، فألقى بنفسه بعيدًا دون أن يبالي إذا ما سقط من فوق الحافة، يجب عليه أن يبتعد، بعيدًا للغاية. سقط وراح يلوح بيديه في الهواء، أراد أن يصرخ ولكنه لم يجد نفسًا للصراخ، أي نفس على الإطلاق.

فجأة لم يعد في الأرض القاحلة، ولم يعد يسقط. كان هناك نباتات شتوية بنية مدهوسة تحت حذائه، بدت كأنها زهور. كاد أن يضحك لرؤية الأشجار والشجيرات العارية أغصانها من الأوراق، المتناثرة في الوادي المتموج الذي يحيط به. في الأفق يبزغ جبل وحيد، قمته مكسورة ومنقسمة، ولكن هذا الجبل لم يجلب أي خوف أو يأس، كان مجرد جبل، رغم أنه قد بدا مقحمًا على المكان بشكل غريب، ولم يكن هناك أي جبل آخر على مرمى البصر.

كان هناك نهر عريض يتدفق بمحاذاة الجبل، وعلى جزيرة في منتصف هذا النهر كان هناك مدينة كأنما هي من حكايات صانعي البهجة، مدينة محاطة بأسوار عالية لامعة بيضاء وفضية، تحت أشعة الشمس الدافئة. بدأ يسير نحو الجدران وهو يشعر بمزيج من الارتياح والبهجة، نحو الأمان والسكينة اللذين كان يعلم بطريقة ما أنه سيجدهما وراء الأسوار.

عندما اقترب استطاع أن يميز أبراجًا شاهقة يربط بين العديد منها ممرات مذهلة معلقة في الهواء. جسور عالية منحنية تربط بين مدينة الجزيرة وضفتيّ النهر. استطاع حتى من هذه المسافة أن يرى النحت الحجري المزخرف

على هذه الجسور، التي تبدو رقيقة للغاية على تحمل المياه السريعة المتدفقة من أسفلها. من وراء هذه الجسور تكمن النجاة، الملاذ الآمن.

فجأة سرت قشعريرة باردة في جسده، ندى ثلجي استقر على جلده وصار الهواء من حوله نتنًا ورطبًا. بدأ يركض دون أن ينظر وراءه، هربًا من مطارده الذي كانت أصابعه الباردة تلمس ظهره وتجذب عباءته. كان يركض من الشخص الآكل للنور ذي الوجه الذي... لم يستطع أن يتذكر الوجه إلا كرعب، لم يرغب في تذكر الوجه، كان يركض والأرض تتحرك من أسفل قدميه، التلال المتموجة والسهل المنبسط... أراد أن يعوي ككلب مسعور. كانت المدينة تنحسر أمامه، كلما ركض أسرع ابتعدت الأسوار البيضاء اللامعة والملاذ الآمن أكثر. صارت أصغر وأصغر حتى لم يتبقَّ سوى نقطة شاحبة في الأفق. أمسكت يد مطارده الباردة بياقته، كان يعرف أن هذه الأصابع إن لمسته سيصاب بالجنون، أو ما هو أسوأ، أسوأ بكثير. وبينما هو يستوعب هذه الفكرة تعثر وسقط...

صرخ: «لاااا!».

... تأوه عندما ارتطم جسده بأحجار الرصف من أسفله. اعتدل واقفًا على قدميه في تعجب، كان يقف على الطريق المؤدي إلى واحد من تلك الجسور العجيبة التي رآها تمر من فوق النهر. كان هناك أناس مبتسمون يمرون على كلا الجانبين، أناس يرتدون ملابس بألوان متعددة مما جعله يفكر في حقل من الزهور البرية، بعضهم قد تحدث إليه، ولكنه لم يستطع أن يفهم رغم أن نبرة الكلمات توحي بأنه يجب عليه أن يفهم. ولكن الوجوه كانت ودية والناس يشيرون إليه لكي يتقدم إلى الأمام، فوق الجسر وزخرفته الحجرية المتشابكة، نحو (الأسوار اللامعة) ذات الخطوط الفضية والأبراج من ورائها، نحو الأمان الذي يعرف أنه ينتظره هناك.

انضم إلى الحشد المتدفق الذي يقطع الجسر نحو المدينة عبر بوابات هائلة في أسوار عالية راسخة. كان بداخلها أرض من عجائب، حيث

كان أقل المباني شأنًا يبدو قصرًا، بدا الأمر وكأنه قيل للبنائين أن يأخذوا الصخور والطوب والبلاط ويصنعوا جمالًا يخلب لب البشر. لم يكن هناك مبنى أو صرح لا يجعله يحدق بعينين متسعتين، كانت الموسيقى تتدفق عبر الشوارع، مئات من الأغاني المختلفة، ولكن كلها ممتزجة بصخب الحشود لتخلق تناغمًا عظيمًا مبهجًا. كانت روائح العطور النفاذة وتوابل الأطعمة الرائعة والزهور العديدة كلها تحلق في الهواء كأن كل الروائح الطيبة في العالم قد اجتمعت هنا.

كان الشارع الذي دلف منه إلى المدينة عريضًا وممهدًا بأحجار رمادية ناعمة، ويمتد أمامه نحو مركز المدينة، وفي نهايته يطل برج أضخم وأطول من أي برج آخر في المدينة، برج أبيض كثلج قد تساقط للتو. في هذا البرج يكمن الأمان، والمعرفة التي يسعى وراءها. ولكن المدينة كانت شيئًا لم يحلم قط برؤيته، بالتأكيد لن يضير إذا تأخر لوقت قصير في الذهاب إلى البرج؟ انعطف في شارع جانبي ضيق حيث كان الحواة يتجولون بين باعة جائلين يبيعون فاكهة غريبة.

أمامه في نهاية الشارع كان البرج الأبيض كالثلج، البرج ذاته. قال لنفسه؛ سأذهب بعد وقت قصير. ثم انعطف عند ناصية أخرى، وفي نهاية هذا الشارع أيضًا كان يقع البرج الأبيض. انعطف في عناد عند ناصية أخرى، ثم أخرى، وكل مرة كان يجد البرج المرمري أمام عينيه. استدار على عقبيه وركض مبتعدًا عنه... وتوقف فجأة، فأمام عينيه كان البرج الأبيض. كان يخشى أن ينظر وراءه، يخشى أنه سيجده هناك أيضًا.

كانت الوجوه من حوله لا تزال ودية ولكن الأمل المحطم كان يملأها، أمل قد حطمه بنفسه. كانت الناس لا تزال تشير إليه ليتقدم إلى الأمام - بإيماءات متوسلة - ناحية البرج. كانت أعينهم تلمع بحاجة ماسة، هو وحده القادر على تلبيتها، هو وحده القادر على إنقاذهم.

قال لنفسه؛ *لا بأس*. على أي حال كان البرج هو المكان الذي يرغب في الذهاب إليه.

بينما هو يقطع خطوته الأولى إلى الأمام تلاشت خيبة الأمل من حوله، وعلت الابتسامات كل الوجوه. تحركوا معه بينما الأطفال ينثرون بتلات الزهور في طريقه، نظر وراءه في حيرة وهو يتساءل لمن هذه الزهور، ولكن من ورائه لم يكن هناك سوى المزيد من الناس يبتسمون ويشيرون إليه بأن يتقدم إلى الأمام. قال لنفسه؛ *لا شك أن هذه الزهور من أجلي*. وتساءل لِمَ لَمْ يعد الأمر غريبًا على الإطلاق فجأة. ولكن الدهشة لم تستمر سوى للحظة قبل أن تتلاشى. كان كل شيء كما يجب أن يكون عليه.

بدأ الناس يغنون واحدًا تلو الآخر حتى علا كل صوت في ترنيمة مهيبة. ما زال غير قادر على فهم الكلمات، ولكن عشرات من التناغمات المتداخلة كانت تصيح بالبهجة والخلاص. كان العازفون يتنقلون بين الحشود المتدفقة يضيفون مزامير وقيثارات وطبولًا بأحجام متنوعة إلى الترنيمة. وكل الأغاني التي سمعها من قبل قد امتزجت معها في تجانس تام. كانت الفتيات يرقصن من حوله ويضعن أكاليل من زهور طيبة الرائحة على كتفيه ويعقدنها حول عنقه. ابتسمن له وبهجتهن تتزايد مع كل خطوة يقطعها. لم يستطع أن يمنع نفسه من مبادلتهن الابتسام، وقدماه تحثانه على مشاركتهن الرقص، ولكن بينما تراوده هذه الفكرة وجد نفسه يرقص، وخطواته تتماشى مع خطواتهن كأنه يعرف كل شيء منذ مولده. أمال رأسه للوراء وهو يضحك. كانت قدماه أكثر خفة من أي وقت مضى وهو يرقص مع... لم يستطع تذكر الاسم ولكن هذا لم يبدُ مهمًّا.

همس صوت في رأسه؛ *هذا هو قدرك*، وكان الهمس منسجمًا مع الأنشودة.

حمله الحشد كما تحمل الموجة غصنًا خشبيًّا، وتدفق ناحية الساحة الضخمة في وسط المدينة، ولأول مرة رأى البرج الأبيض يبزغ من قصر

كبير من الرخام الأبيض، منحوتًا بالأحرى وليس مبنيًّا، بجدرانه المنحنية وقبابه المنتفخة وأبراجه الرقيقة التي تلامس السماء. جعله المشهد يشهق في انبهار. كان هناك درجات سلم عريضة من الأحجار النقية تصعد من الساحة، وعند سفح هذه الدرجات توقف الناس، ولكن أغنيتهم صارت أعلى من ذي قبل. الأصوات المتصاعدة جعلته يرتفع في الهواء. همس الصوت بإصرار وحماس؛ *إنه قدرك*.

لم يعد يرقص ولكنه لم يتوقف أيضًا، لقد صعد درجات السلم بدون تردد، هذا هو المكان الذي ينتمي إليه.

كان هناك زخارف تزين الأبواب الضخمة في أعلى الدرج، منحوتات متشابكة ودقيقة، حتى إنه لم يستطع أن يتصور شفرة سكين حادة بما يكفي لنحتها. انفتحت البوابات على مصراعيها فدلف منها. انغلقت من ورائه بدوي يتردد صداه كالرعد.

قال (الميردرال) بصوت كالفحيح: «لقد كنا في انتظارك».

اعتدل (راند) في جلسته وهو يلهث من أجل الهواء ويرتجف ويحدق. كان (تام) لا يزال نائمًا في فراشه. تباطأت أنفاسه تدريجيًّا. كانت قطع الحطب نصف المحترقة مشتعلة في المدفأة مع طبقة كثيفة من الفحم متراكمة حول مهماز النار. شخص ما كان هنا ليعتني بالنار أثناء نومه. كان هناك بطانية مستقرة عند قدميه حيث سقطت حينما استيقظ. كانت المحفة قد اختفت أيضًا، وعباءته وعباءة (تام) معلقتان بجوار الباب.

مسح العرق البارد من على وجهه بيده التي كانت ترتجف، وتساءل عما إذا كان نطق اسم (سيد الظلام) في الحلم يجذب انتباهه بنفس الطريقة التي يجذبه بها نطقه بصوت عالٍ.

كان الشفق المظلم قد حل خارج النوافذ، والقمر قد أشرق مستديرًا وبدينًا، ونجوم المساء تتلألأ فوق (جبال الضباب). لقد نام طيلة النهار، ويبدو أنه قد نام ومقبض السيف مغروس في ضلوعه. لم يكن من العجيب أن تراوده الكوابيس ما بين هذا ومعدته الفارغة والليلة السابقة.

قرقرت معدته فنهض متيبسًا وشق طريقه إلى الطاولة التي تركت السيدة (ألڤير) الصينية عليها. أزاح المنديل الأبيض الذي يغطي الطعام جانبًا، رغم الوقت الذي قضاه نائمًا إلا أن مرق اللحم كان لا يزال دافئًا وكذلك الخبز المقرمش. أدرك على الفور ما فعلته السيدة (ألڤير)، لقد استبدلت الصينية، ما إن تقرر أنك بحاجة إلى وجبة ساخنة فإنها لا تستسلم حتى تتناولها.

تجرع بعض المرق وكان هذا هو كل ما يحتاجه لكي يضع بعض اللحم والجبن بين قطعتين من الخبز قبل أن يدس كل هذا في فمه. تناول طعامه في قضمات كبيرة قبل أن يعود إلى السرير.

من الواضح أن السيدة (ألڤير) قد اعتنت بـ(تام) أيضًا. كان (تام) قد جُرِّد من ثيابه التي صارت نظيفة ومطوية بعناية على الطاولة الصغيرة بجوار الفراش، وجسده مغطى ببطانية تصل إلى أسفل ذقنه. عندما لمس (راند) جبهة أبيه فتح عينيه.

«ها أنت ذا يا فتى. لقد قالت (مارين) إنك هنا، ولكني لم أستطع حتى أن أجلس لكي أراك. قالت إنك متعب للغاية لذا لم ترغب في إيقاظك لكي أتمكن من النظر إليك. حتى (بران) لا يستطيع أن يثنيها عن شيء قد عقدت العزم عليه».

كان صوت (تام) ضعيفًا ولكن نظرته كانت صافية وثابتة. قال (راند) لنفسه إن (الآيز سيداي) كانت محقة، مع بعض الراحة سيعود معافى كما كان.

«هل أُحضر لك شيئًا لتأكله؟ لقد تركت السيدة (ألڤير) صينية طعام».

«لقد أطعمتني بالفعل... إن كنت ستسمي هذا طعامًا. لم تدعني أتناول أي شيء سوى المرق، كيف يمكن للمرء أن يتجنب الأحلام السيئة بينما لا يوجد سوى المرق في...». أخرج (تام) يده من تحت الغطاء ولمس السيف على خصر (راند). «إذن لم يكن هذا حلمًا، عندما أخبرتني (مارين) أنني كنت مريضًا ظننت أنني... ولكنك بخير، وهذا هو المهم. ماذا عن المزرعة».

أخذ (راند) نفسًا عميقًا ثم قال: «لقد قتل (الترولوكيون) الأغنام، وأعتقد أنهم قد قتلوا البقرة أيضًا، والبيت بحاجة إلى الكثير من التنظيف». استطاع أن يبتسم ابتسامة شاحبة وهو يقول: «كنا أسعد حظًّا من بعض الآخرين، لقد أحرقوا نصف القرية».

قصَّ على (تام) كل شيء قد حدث، أو على الأقل معظمه. استمع له (تام) باهتمام وسأله أسئلة دقيقة فوجد نفسه مضطرًا لأن يخبره بعودته إلى البيت من الغابة، ومن ثم تطرق إلى (الترولوك) الذي قتله. كان مضطرًا لأن يخبره بأن (نايِنيف) قد قالت إن (تام) يحتضر ليشرح له لم اعتنت به (الآيز سيداي) بدلًا من الحكيمة. اتسعت عينا (تام) عندما سمع هذا؛ (آيز سيداي) في (إيموندز فيلد). ولكن (راند) لم يرَ حاجة لأن يذكر كل خطوة في رحلته من المزرعة، أو مخاوفه، أو (الميردرال) الذي التقى به على الطريق. وبالطبع لم يقص عليه الكوابيس التي راودته أثناء نومه بجوار السرير، ولم يرَ أي سبب على وجه الخصوص لأن يذكر هلوسة (تام) تحت تأثير الحمى، ليس بعد. أما عن حكاية (مويرين) فلم يكن هناك مفرًّا من ذكرها.

عندما انتهى من حديثه قال (تام): «هذه حكاية تجعل أي صانع بهجة يشعر بالفخر، ما الذي قد يريده (الترولوكيون) منكم أيها الفتيان، أو . فليحمنا (النور) . (سيد الظلام)؟».

«هل تعتقد أنها تكذب؟ لقد عرفت من السيد (ألڤير) أنها قد قالت الحقيقة بشأن تعرض مزرعتين فقط للهجوم، وبشأن بيت السيد (لوهان) وبيت السيد (كاوثون)».

لاذ (تام) بالصمت للحظة قبل أن يقول: «أخبرني بما قالته، كل كلمة كما قالتها بالضبط من فضلك».

أحس (راند) بصعوبة الأمر، هل يمكنه أن يتذكر الكلمات التي سمعها بالضبط؟ عض على شفته وحك رأسه، ثم شيئًا فشيئًا راح يقص الأمر بدقة قدر ما يتذكر. أنهى حديثه قائلًا: «لا أستطيع أن أفكر في أي شيء آخر، لا يمكنني الجزم بأن بعضه لم تقُله بطريقة مختلفة بعض الشيء، ولكن هذا قريب منه على أي حال».

«هذا جيد بما يكفي، يجب أن يكون هكذا، أليس كذلك؟ (الآيز سيداي) مخادعات يا فتى، إنهن لا يكذبن، ليس بشكل مباشر، ولكن الحقيقة التي تخبرك بها واحدة من (الآيز سيداي) ليست دومًا هي الحقيقة التي تعتقد أنها كذلك. يجب أن تكون حذرًا في التعامل معهن».

قال (راند) مدافعًا عن نفسه: «لقد سمعت الحكايات، أنا لست طفلًا».

قال (تام): «أنت لست طفلًا حقًّا». ثم تنهد بعمق قبل أن يهز كتفيه في انزعاج ويقول: «يجب أن أرافقك على أي حال، العالم خارج (النهرين) لا يشبه (إيموندز فيلد) على الإطلاق».

كانت هذه فرصة مواتية لكي يسأله (راند) عن ذهابه إلى العالم الخارجي، وما إلى ذلك، ولكنه لم ينتهزها، بل فغر فاه وقال: «بهذه البساطة؟ ظننت أنك ستحاول إثنائي عن الأمر، ظننت أنه سيكون لديك مئة سبب يمنعني من الذهاب». أدرك أنه كان يأمل أن يكون لدى (تام) مئة سبب وأن يكونوا مقنعين أيضًا.

قال (تام) ساخرًا: «ربما ليسوا مئة، ولكن خطر على بالي بضعة أسباب. الأمر وما فيه أنهم لا يُعوَّل عليهم. إن كان (الترولوكيون) يسعون وراءك فإنك ستكون أكثر أمانًا في (تار ڤالون)، أكثر بكثير من هنا. فقط تذكر أن تكون حذرًا، (الآيز سيداي) يفعلن الأشياء لأسبابهن الخاصة، وهذه الأسباب لا تكون دومًا ما تعتقده».

قال (راند) ببطء: «لقد قال صانع البهجة شيئًا كهذا».

«إذن فهو يعرف ما الذي يتحدث عنه، عليك أن تصغي باهتمام وأن تفكر بعمق وأن تمسك لسانك. هذه نصيحة مفيدة لأي تعامل فيما وراء (النهرين)، ولكنها مفيدة على وجه الخصوص في التعامل مع (الآيز سيداي)، ومع (الحماة) أيضًا. إذا أخبرت (لان) شيئًا فسيكون كأنك أخبرت (مويرين)، إن كان (حاميًا) فكن واثقًا من أنه مرتبط تمامًا بها كما أنك واثق من شروق الشمس هذا الصباح. وهو لن يخفي أي سر عنها».

كان (راند) يعرف القليل عن الرابطة بين (الآيز سيداي) و(الحماة)، على الرغم من أنها كانت تلعب دورًا كبيرًا في كل حكاية سمعها عن (الحماة). لقد كانت شيئًا له علاقة بـ(القوة الواحدة)، هبة (للحامي)، أو ربما نوعًا من المقايضة. (الحماة) ينالون كل المزايا بحسب الحكايات، إنهم يتعافون بسرعة أكبر من أي رجل آخر، ويمكنهم أن يمضوا وقت أطول من دون طعام أو ماء أو نوم، ومن المفترض أنهم يستطيعون الشعور بـ(الترولوكيين) إذا اقتربوا بشكل كافٍ، ومخلوقات (سيد الظلام) الأخرى أيضًا، مما يفسر كيف حاول (لان) و(مويرين) تحذير القرية قبل الهجوم. أما فيما يتعلق بما تناله (الآيز سيداي) من هذا الأمر، فإن الحكايات لم تذكره، ولكنه لن يصدق أنهن لا ينلن شيئًا.

قال (راند): «سأكون حذرًا، ولكني أتمنى فقط أن أعرف لماذا. الأمر ليس منطقيًّا على الإطلاق، لماذا أنا؟ لماذا نحن؟».

قال (تام): «أتمنى لو أعرف أنا أيضًا يا فتى، بحق الدماء والرماد أتمنى لو أعرف». ثم تنهد بعمق وقال: «حسنًا، أفترض أنه لا فائدة من محاولة إعادة بيضة مكسورة إلى قشرتها. متى يجب عليك الذهاب؟ سأستطيع الوقوف على قدمي في غضون يوم أو يومين ثم يمكننا التفكير في تكوين قطيع جديد. إن (أورين داوتري) لديه بعض الماشية الجيدة، ربما يكون مستعدًّا للتخلي عنها، بما أن المراعي قد اختفت كلها. وكذلك (جون ثاين)».

«(مويرين)... (الآيز سيداي) قالت إن عليك البقاء في الفراش. قالت لأسابيع». فتح (تام) فمه ولكن (راند) أكمل قائلًا: «لقد تحدثت إلى السيدة (ألڤير) أيضًا».

«حسنًا ربما يمكنني أن أقنع (مارين)». ولكن (تام) لم يبدُ متفائلًا بالأمر. نظر إلى (راند) نظرة حادة وقال: «الطريقة التي تجنبت بها إجابة سؤالي تعني أن عليك الرحيل قريبًا. غدًا؟ أم الليلة؟».

قال (راند) بخفوت: «الليلة».

فأومأ (تام) برأسه في حزن وقال: «حسنًا، إن كان يجب عليك فعل هذا فمن الأفضل ألا تؤجله، ولكننا سنرى أمر الأسابيع تلك». ثم جذب بطانيته بانزعاج أكثر منه قوة وقال: «ربما سألحق بك بعد بضعة أيام على أي حال. سألتقي بك في الطريق. سنرى إن كان (مارين) بمقدورها أن تبقيني في الفراش عندما أرغب في النهوض».

كان هناك طرق على الباب ثم ظهر رأس (لان) وهو يقول: «فلتنتهِ من وداعك سريعًا وتأتي يا راعي الغنم، قد يكون هناك مشكلة».

قال (راند): «مشكلة؟».

تذمر (الحامي) في نفاد صبر وهو يقول: «فقط فلتسرع!».

على الفور انتزع (راند) عباءته وحدق إلى حزام السيف الذي لم ينزعه، فقال له (تام): «فلتحتفظ به. أنت ستحتاجه على الأرجح أكثر مني، ولكني أدعو (النور) ألا يحتاجه أي منا، فلتعتنِ بنفسك يا فتى، هل تسمعني؟».

تجاهل (راند) تذمر (لان) وهو ينحني ليحتضن (تام) ويقول: «سوف أعود، أعدك بهذا».

ضحك (تام) قائلًا: «بالطبع ستعود». وهو يبادل (راند) العناق بضعف ويربت على ظهره. «أنا واثق من هذا، وسوف يكون لدينا ضعف عدد الأغنام لتعتني بها عندما تعود. والآن اذهب قبل أن يؤذي هذا الرجل نفسه».

حاول (راند) أن يتمهل، حاول أن يعثر على كلمات السؤال الذي لم يرغب في طرحه، ولكن (لان) دلف إلى الغرفة وأمسك بذراعه ليجذبه ناحية الردهة. كان (الحامي) يرتدي سترة خضراء رمادية باهتة من قشور معدنية متداخلة.

كان صوته مبحوحًا بسبب الانزعاج وهو يقول: «يجب علينا أن نسرع، ألم تفهم كلمة *مشكلة*؟».

كان (مات) ينتظرهما خارج الغرفة، مرتديًا عباءته ومعطفه، ويحمل قوسه، وجعبته معلقة في خصره. كان يتمايل على كاحليه في قلق وهو يواصل التحديق ناحية السلم فيما بدا أنه مزيج من الخوف ونفاد الصبر. قال بصوت أجش: «هذا لا يشبه الحكايات كثيرًا يا (راند)، أليس كذلك؟».

تساءل (راند): «أي نوع من المشكلات؟». ولكن (الحامي) ركض أمامه بدلًا من أن يجيبه وهو يهبط السلم درجتين في المرة. اندفع (مات) وراءه وهو يشير إلى (راند) لكي يلحق بهما.

ارتدى عباءته في عجالة وهو يلحق بهما في الطابق السفلي. لم يكن هناك سوى ضوء ضعيف يملأ الحجرة العامة. نصف الشموع قد احترقت تمامًا، والنصف الآخر معظمه قد أوشك على الانطفاء. كانت الحجرة فارغة إلا من ثلاثتهم. وقف (مات) بالقرب من إحدى النوافذ الأمامية مختلسًا النظر كأنما يحاول ألا يراه أحد. أما (لان) فقد فتح الباب قليلًا واختلس النظر إلى باحة الحانة.

تساءل (راند) عما يمكن أن يكونا يراقبانه، ثم لحق بهما. تمتم (الحامي) له أن يحترس، ثم فتح الباب بعض الشيء لكي يسمح لـ(راند) بالنظر أيضًا.

في البداية لم يكن واثقًا مما يراه بالضبط. كان هناك حشد من رجال القرية؛ ثلاثون منهم أو أكثر متجمهرين بالقرب من بقايا عربة البائع الجائل المحترقة، وقد أضاء الليل المشاعل التي يحملها بعضهم. كانت (مويرين) تواجههم وهي تولي ظهرها إلى الحانة متكئة بلا مبالاة ظاهرية على عصاها. كان (هاري كوبلِن) يقف في مقدمة الحشد بصحبة أخيه (دارل)

و(بيلي كونجار). كان (سين بوي) واقفًا أيضًا ويبدو عليه الانزعاج. جفل (راند) لرؤية (هاري) يلوح بقبضته في وجه (مويرين).

صاح المزارع متعكر الوجه: «ارحلي عن (إيموندز فيلد)!». فرددت بعض الأصوات من الحشد صياحه، ولكن ببعض التردد ودون أن يتقدم أي منهم. قد يكونون مستعدين لمواجهة (آيز سيداي) من داخل الحشد، ولكن لم يرغب أي منهم في أن يكون بارزًا، وخصوصًا أن لديها كل الحق في أن تشعر بالإهانة.

صرخ (دارل): «أنتِ من جلب هذه الوحوش!». ثم لوح بمشعله فوق رأسه فترددت الصيحات التي يقودها ابن عمه (بيلي)، «أنتِ من أحضرهم!»، و«كل هذا بسببك».

وكز (هاري) (سين بوي) بمرفقه، فزم عامل القش العجوز شفتيه ونظر إليه بحدة من طرف عينه قبل أن يتمتم بصوتٍ عالٍ بما يكفي لكي يسمع بالكاد: «هذه الأشياء... هؤلاء (الترولوكيون) لم يظهروا إلا بعد مجيئك». ثم هز رأسه بضيق كأنما يتمنى أن يكون في مكان آخر، وكأنما يبحث عن طريقة ليخرج بها من هذا الموقف. «أنتِ (آيز سيداي)، نحن لا نريد أحدًا من أمثالك في (النهرين). (الآيز سيداي) يجلبن المصائب في أعقابهن، وإذا بقيتِ فلن تفعلي شيئًا سوى جلب المزيد».

لم يكن هناك أدنى استجابة لخطبته من القرويين المتجمهرين، فعقد (هاري) حاجبيه في إحباط، وفجأة انتزع مشعل (دارل) ولوح به في اتجاهها وهو يصيح: «ارحلي وإلا أحرقناكِ!».

خيم صمت مطبق إلا من صوت بعض أقدام الرجال المتعثرة وهم يتراجعون إلى الوراء. كان بإمكان قاطني (النهرين) أن يقاوموا إذا تعرضوا للهجوم، ولكن العنف لم يكن شائعًا على الإطلاق، وكان تهديد الناس أمرًا غريبًا عليهم، إلا من التلويح بقبضة من آن إلى آخر. تُرِك (سين بوي)

و(بيلي كونجار) والأخوان (كوبلِن) وحدهم في المقدمة. بدا على (بيلي) كما لو أنه يرغب في التراجع أيضًا.

جفل (هاري) بسبب غياب الدعم، ولكنه تمالك نفسه على الفور وهو يصيح مرة أخرى: «ارحلي!». فردد صيحته (دارل)، ورددها (بيلي) بشكل أضعف. حدق (هاري) إلى بقية الحشد، ولكن معظمهم تحاشى النظر إلى عينيه.

فجأة خرج (بران ألفير) و(هارال لوهان) من الظلال ليقفا على مسافة من (الآيز سيداي) والحشد. كان العمدة يحمل في إحدى يديه المطرقة الخشبية الضخمة، التي يستخدمها لدق الصنابير في البراميل وهو يسأل بهدوء: «هل اقترح أحدكم حرق حانتي؟».

قطع الأخوان (كوبلِن) خطوة إلى الوراء، فابتعد (سين بوي) عنهما. أما (بيلي كونجار) فقد اختبأ بين الحشد. قال (دارل) على الفور: «لم نقصد هذا، نحن لم نقل هذا قط يا (بران)... أقصد أيها العمدة».

أومأ (بران) برأسه وقال: «إذن ربما سمعتكم تهددون بإيذاء ضيوف حانتي؟».

قال (هاري) بغضب: «إنها واحدة من (الآيز سيداي)...». ولكنه بتر جملته على الفور عندما تحرك (هارال لوهان).

مط الحداد ذراعيه السميكتين فوق رأسه ببساطة وهو يضم قبضتيه بقوة حتى طقطقت مفاصل أصابعه، ولكن (هاري) نظر إلى الرجل مفتول العضلات كأنما قد لوح بقبضتيه تحت أنفه. عقد (هارال) ذراعيه على صدره وقال: «المعذرة يا (هاري) لم أقصد مقاطعتك، كنت تقول؟».

ولكن (هاري) أطرق بكتفيه كأنما يحاول الانكماش على نفسه والاختباء، وبدا أنه ليس لديه شيء آخر ليقوله.

صاح (بران): «أنا مندهش منكم أيها القوم، إن ساق ابنك قد انكسرت بالأمس يا (بايت ألكار) ولكني رأيته يمشي اليوم، بسببها. وأنت يا (إوارد كاندوين) كنت ترقد على بطنك بجرح في ظهرك كسمكة على وشك التنظيف حتى وضعت يديها عليك. والآن يبدو وكأن الأمر قد حدث منذ شهر، وأشك أن الجرح سيترك أي ندبة، ما لم تخطئ حساباتي. وأنت يا (سين)...». كان عامل القش قد بدأ يتراجع إلى الوراء ليختبئ في الحشد ولكن نظرة العمدة جعلته يتوقف في موضعه متوترًا. «كنت لأشعر بالصدمة لرؤية أي رجل من (مجلس القرية) هنا يا (سين)، ولكن أنت آخر من كنت أتوقع رؤيته. إن ذراعك كانت لتتدلى عديمة النفع على جانبك مع كتلة من الحروق والندبات لولاها. إن لم تكن تشعر بالامتنان أفلا تشعر بالخجل على الأقل؟».

رفع (سين) يده اليمنى ثم أشاح بنظره بعيدًا عنها في غضب وهو يقول: «لا يمكنني أن أنكر ما فعلته». بدا على صوته الإحساس بالخجل بالفعل. «لقد ساعدتني وساعدت الآخرين». ثم قال بنبرة متوسلة: «ولكنها واحدة من (الآيز سيداي) يا (بران). إن لم يكن هؤلاء (الترولوكيون) قد أتوا بسببها فلماذا جاءوا؟ نحن لا نريد أي شيء له أدنى علاقة بـ(الآيز سيداي) في (النهرين)، فليُبقين مصائبهن بعيدًا عنا».

صاح بعض الرجال الواقفين بأمان في مؤخرة الحشد: «نحن لا نريد مصائب (الآيز سيداي)!»، «أخرجوها من هنا!»، «لم جاءوا إن لم يكن بسببها؟».

ظهر التجهم على وجه (بران)، ولكن فجأة قبل أن يتكلم رفعت (مويرين) عصاها المزينة بالأغصان فوق رأسها وأدارتها بكلتا يديها. ترددت شهقة (راند) مع شهقات القرويين عندما لمع لهب أبيض يصدر فحيحًا من كلا طرفي العصا، وهي تقف بشكل مستقيم كرؤوس الرماح على الرغم من دوران العصا. حتى (بران) و(هارال) تراجعا بعيدًا عنها. أنزلت ذراعيها أمامها وكانت العصا موازية للأرض، ولكن النيران الشاحبة

كانت لا تزال تتدفق أكثر سطوعًا من المشاعل. أشاح الرجال بوجوههم وهم يرفعون أيديهم لحماية أعينهم من ألم هذا التوهج.

«هل هذا ما صارت إليه دماء (إيمون)؟». لم يكن صوت (الآيز سيداي) عاليًا ولكنه طغى على كل صوت آخر. «أناس بسطاء يتشاجرون من أجل الحق في الاختباء كالأرانب؟ لقد نسيتم من كنتم، نسيتم ماذا كنتم، ولكني كنت آمل أن جزءً صغيرًا قد تبقى، بعض الذكريات في الدماء والعظام، جزءً قد يهيئكم من أجل الليل الطويل الذي سيغشاكم».

لم يتحدث أحد، وبدا على الأخوين (كوبلِن) كأنهما لا يرغبان في فتح فميهما مرة أخرى.

قال (بران): «نسينا من نحن؟ نحن ما كنا عليه دائمًا؛ مزارعون صالحون ورعاة أغنام وحرفيون، شعب (النهرين)».

قالت (مويرين): «في الجنوب يقع النهر الذي تسمونه (النهر الأبيض)، ولكن بعيدًا في الشرق يُطلق عليه الناس هناك اسمه الحقيقي؛ (مانثيرندريل)، الذي يعني في اللغة القديمة (مياه مسكن الجبل)، مياه متلألئة قد تدفقت ذات يوم في أرض من الشجاعة والجمال، منذ ألفي سنة كان (مانثيرندريل) يتدفق بمحاذاة أسوار مدينة جبلية جميلة للغاية حتى أن البنَّائين (الأوجير) كانوا يأتون لينظروا إليها في انبهار. كانت المزارع والقرى تغطي أيضًا هذه المنطقة التي تسمونها (غابة الظلال) وما وراءها. ولكن كل هؤلاء الناس كانوا يعدون أنفسهم شعب (مسكن الجبل)، شعب (مانثيرن).

كان ملكهم هو (إيمون أل كار أل ثورين)، (إيمون ابن كار ابن ثورين)، وكانت زوجته هي الملكة (إلدرين أي إيلان أي كارلان). كان (إيمون) رجلًا جسورًا، حتى إن أعظم مديح بالشجاعة يمكن أن يمنحه المرء حينها لأي شخص - حتى أعدائه - هو أن يقول إنه رجل لديه قلب (إيمون). كانت (إلدرين) جميلة للغاية، حتى قيل إن الزهور كانت تتفتح لتجعلها تبتسم. الشجاعة والجمال والحكمة والحب الذي لا يستطيع الموت أن

يُنهيه. فلتبكوا إن كان لديكم قلب على ضياعهما، أو حتى على ضياع ذكراهما. فلتبكوا على ضياع دمائهما».

صمتت حينها ولكن أحدًا لم يتكلم. كان (راند) مقيدًا كالآخرين في التعويذة التي صنعتها. عندما تحدثت من جديد تشرَّب الحديث، وكذلك فعل البقية.

«طيلة قرنين من الزمان تقريبًا عصفت (الحروب الترولوكية) بالعالم طولًا وعرضًا. وحيثما تندلع المعارك كانت راية العُقاب الأحمر لـ(مانثيرن) دومًا في المقدمة. كان رجال (مانثيرن) شوكة في قدم (سيد الظلام) وأسلة في يده. أغنية (مانثيرن) التي لم تركع قط (للظل)، أغنية (مانثيرن) السيف الذي لا يمكن أن ينكسر.

لقد كان رجال (مانثيرن) بعيدين للغاية في ميدان حرب يُدعى (ميدان بيكّار)، الذي يُطلق عليه أيضًا اسم (ميدان الدماء)، عندما وردت أنباء عن تحرك جيش من (الترولوكيين) للهجوم على وطنهم. كانوا بعيدين للغاية على أن يفعلوا أي شيء آخر سوى انتظار موت أرضهم، فقد كانت قوى (سيد الظلام) تهدف إلى وضع نهاية لهم. قتل شجرة البلوط العظيمة بقطع جذورها. كانوا بعيدين على أن يفعلوا أي شيء آخر سوى الرثاء. ولكنهم كانوا رجال (مسكن الجبل).

بدون تردد وبدون التفكير في المسافة التي يجب عليهم قطعها بدأوا مسيرتهم من ميدان الانتصار الذي لا يزال مغطى بالغبار والعرق والدماء. قطعوا مسيرتهم ليلًا ونهارًا، فهم قد رأوا الرعب الذي يخلفه جيش من (الترولوكيين) وراءه، ولم يتمكن أي رجل منهم من النوم بينما مثل هذا الخطر يهدد (مانثيرن). لقد تحركوا كما لو أن أقدامهم لها أجنحة، بأسرع مما يأمل أصدقاؤهم أو يخشى أعداؤهم. في ظروف أخرى كانت تلك المسيرة لتُلْهِمَ بالأغنيات. عندما اجتاحت جيوش (سيد الظلام) أراضي (مانثيرن) وقف رجال (مسكن الجبل) أمامها وظهورهم إلى (تاريندريل)».

صاح بعض القرويين حينها في حماس ولكن (مويرين) واصلت وكأنها لا تسمعهم. «الجيش الذي واجه رجال (مانثيرن) كان كافيًا لإرهاب أشجع القلوب. الغربان تغطي السماء و(الترولوكيون) يغطون الأرض، (الترولوكيون) وأعوانهم من البشر، (الترولوكيون) و(أصدقاء الظلام) في عشرات منْ عشرات الآلاف، تحت إمرة (سادة الرعب). في الليل كانت نيران معسكراتهم تفوق نجوم السماء عددًا، وفي الفجر ظهرت راية (بعلزمون) فوق رؤوسهم. (بعلزمون) قلب الظلام، اسم قديم لـ(أبي الأكاذيب). لا يمكن أن يكون (سيد الظلام) قد تحرر من سجنه في (شايول غول)، فلم تكن قوى البشرية مجتمعة لتصمد في وجهه إن تحرر، ولكن ثمة قوة هناك. (سادة الرعب) وبعض الأشرار الذين صنعوا هذه الراية . حرقها (النور) . كانوا كافين لبث قشعريرة باردة في أرواح الرجال الذين واجهوهم.

ومع هذا كانوا يعرفون ما يجب عليهم فعله. إن وطنهم على الجانب الآخر من النهر، يجب أن يمنعوا هذا الجيش والقوة التي معه من الوصول إلى (مسكن الجبل). لقد أرسل (إيمون) رسلًا وجاءت وعود بالعون إن هم صمدوا فقط لثلاثة أيام عند (تاريندريل). الصمود لثلاثة أيام في وجه خطر من المؤكد أنه سيتغلب عليهم في الساعة الأولى. ولكنهم بطريقة ما عن طريق الهجوم الانتحاري والدفاع المستميت استطاعوا الصمود لساعة، ثم ثانية، ثم ثالثة. لقد قاتلوا لثلاثة أيام، ورغم أن الأرض قد تحولت إلى ساحة ذبح إلا أنهم لم يسمحوا لأي شخص بأن يعبر (تاريندريل). ولكن في الليلة الثالثة لم يأتِ أي عون، ولا أي رسل، وقاتلوا وحدهم، لستة أيام، لتسعة، وفي اليوم العاشر عرف (إيمون) مذاق الخيانة المر. لن يأتي أي عون، ولا يمكنهم ردعهم عن عبور النهر أكثر من هذا».

سألها (هاري): «ما الذي فعلوه؟». كانت نيران المشاعل تتراقص في نسيم الليل البارد، ولكن لم يشد أحدهم عباءته على جسده.

قالت لهم (مويرين): «عبر (إيمون) نهر (تاريندريل) ودمَّر الجسور من ورائه، ثم أرسل من ينادي في أنحاء البلاد أن على الناس أن يهربوا، فهو يعرف أن جحافل (الترولوكيين) ستجد طريقة لعبور النهر. حتى في هذه الأثناء كان (الترولوكيون) قد بدأوا عبورهم بالفعل، فهب جنود (مانثيرن) إلى القتال مرة أخرى، ليشتروا بأرواحهم ساعات يتمكن فيها قومهم من الهرب. نظمت (إلدرين) هرب شعبها من مدينة (مانثيرن) إلى أعماق الغابات ومآمن الجبال.

ولكن بعضهم لم يهرب. في البداية كانت قطرات، ثم نهر، ثم فيضان من الرجال، ليس هربًا إلى الأمان بل للالتحاق بالجيش الذي يقاتل من أجل أرضهم، رعاة أغنام بأقواس وسهام، ومزارعون بمذاري الحقول، وحطابون بالفؤوس. وقد انضمت إليهم النساء أيضًا، يحملن أي أسلحة عثرن عليها، ويسرن جنبًا إلى جنب مع رجالهن. لم يخض أحد هذه الرحلة وهو لا يعرف أنه لن يعود، ولكنها كانت أرضهم. لقد كانت أرض آبائهم وستكون أرض أبنائهم، وقد ذهبوا ليدفعوا ثمنها. لم يتخلوا عن شبر من الأرض دون أن يغرق بالدماء. ولكن في النهاية تقهقر جيش (مانثيرن) إلى هنا، إلى المكان الذي تسمونه (إيموندز فيلد). وهنا حاصرتهم جحافل (الترولوكيين)».

تردد في صوتها صدى دموع باردة وهي تقول: «تكدست جثث (الترولوكيين) والبشر في أكوام ولكنهم ظلوا يتدفقون فوق أكوام الجثث في أمواج من الموت بلا نهاية. لم يكن هناك سوى نهاية ممكنة واحدة. عندما حل الليل لم يكن هناك رجل أو امرأة من هؤلاء الذين وقفوا تحت راية العُقاب الأحمر ذلك الفجر على قيد الحياة. لقد تحطم السيف الذي لا يمكن كسره.

في (جبال الضباب)، وحدها في مدينة (مانثيرن) الخاوية أحست (إلدرين) بموت (إيمون)، فمات قلبها معه. ولم يبقَ في قلبها إلا التعطش للانتقام، الانتقام لحبيبها، الانتقام لشعبها وأرضها. مدفوعة بحزنها مدت

يدها إلى (المصدر الحقيقي) واستدعت (القوة الواحدة) في وجه جيش (الترولوكيين). وهناك مات (سادة الرعب) حيث هم، سواء كانوا في مجالسهم السرية أو وهم يحثون جنودهم. في لمح البصر اشتعلت النيران في (سادة الرعب) وجنرالات جيش (سيد الظلام). التهمت النيران أجسادهم والتهم الرعب جيشهم المنتصر للتو.

حينها هرولوا كالبهائم من أمام الحرائق البرية في الغابات، دون أن يفكروا في أي شيء سوى الهرب، لقد هربوا إلى الشمال والجنوب، وغرق الآلاف منهم في محاولتهم لعبور (تاريندريل) بدون مساعدة (سادة الرعب)، وفي (مانثيرندريل) دمروا الجسور لرعبهم مما قد يلحق بهم. أينما وجدوا أناسًا كانوا يقتلون ويحرقون، ولكن الهرب كان هو الرغبة الملحة التي تستحوذ عليهم. وأخيرًا لم يتبقَّ أي واحد منهم في أراضي (مانثيرن)، لقد تبعثروا كالغبار أمام رياح عاتية. لقد أتى الانتقام النهائي بشكل أبطأ، ولكنه أتى، عندما طاردتهم الشعوب الأخرى وجيوش الأراضي الأخرى. لم يتبقَّ على قيد الحياة واحد من هؤلاء الذين ارتكبوا جرائم القتل في (ميدان إيمون)؛ (إيمونز فيلد).

ولكن الثمن الذي دفعته (مانثيرن) كان باهظًا، لقد اغترفت (إلدرين) من (القوة الواحدة) أكثر مما يمكن لأي إنسان أن يأمل في تسخيره بدون عون. مع موت جنرالات العدو ماتت هي الأخرى، ولكن النيران التي التهمتها قد التهمت مدينة (مانثيرن) الخاوية حتى أحجارها، وصولًا إلى صخور الجبل. ولكن الناس قد نجوا.

لم يتبقَّ شيء من مزارعهم أو قراهم أو مدينتهم العظيمة. قد يقول البعض إنه لم يتبقَّ لهم شيئًا، لا شيء سوى الهرب إلى أراضٍ جديدة حيث يمكنهم أن يبدؤوا حياة جديدة. ولكنهم لم يقولوا هذا. لقد دفعوا ثمنًا من الدماء والأمل من أجل أرضهم، لم يُدفع مثله من قبل، والآن هم مرتبطون بهذه التربة بروابط أقوى من الفولاذ. لقد اجتاحتهم حروب أخرى في السنوات التالية حتى نُسي أخيرًا هذا الركن المنزوي من العالم، فنسوا الحروب وسبل

الحرب. لم تنهض (مانثيرن) مرة أخرى، إن أبراجها الشاهقة ونوافيرها المتدفقة قد صارت حلمًا تلاشى ببطء من عقول شعبها. ولكنهم وأبناءهم وأبناء أبنائهم قد تشبثوا بالأرض التي كانت أرضهم. لقد تشبثوا بها رغم أن القرون الطويلة قد محت سبب هذا من ذاكرتهم. إنهم يتشبثون بها حتى اليوم، وها أنتم ذا. فلتنتحبوا على (مانثيرن)، فلتنتحبوا على ما ضاع إلى الأبد».

انطفأت النيران من عصا (مويرين) فخفضتها جانبًا كأنها تزن مئة رطل. للحظة طويلة كان أنين الرياح هو الصوت الوحيد المسموع. ثم شق (بايت ألكار) طريقه بكتفه بين الأخوين (كوبلِن).

قال المزارع ذو الفك الطويل: «أنا لا أعرف شيئًا عن حكايتك، وأنا لست شوكة في قدم (سيد الظلام)، وعلى الأرجح لن أكون أبدًا. ولكن ابني (ويل) يستطيع المشي بسببك، ولهذا أنا أخجل من كوني هنا. لا أعرف إن كان بإمكانك أن تسامحيني أم لا، ولكني سأنصرف. وبالنسبة لي يمكنك البقاء في (إيموندز فيلد) قدر ما تشائين».

أومأ برأسه في انحناءة سريعة وكاد أن ينحني قبل أن يشق طريقه عائدًا عبر الحشد. ثم بدأ الآخرون في التمتمة معربين عن ندمهم قبل أن ينصرفوا بدورهم واحدًا تلو الآخر. تجهم الأخوان (كوبلِن) مرة أخرى وهما ينظران إلى الوجوه من حولهما قبل أن يختفيا في ظلام الليل دون كلمة واحدة. كان (بيلي كونجار) قد اختفى حتى قبل ابني عمه.

جذب (لان) (راند) إلى الوراء وأغلق الباب وهو يقول: «هيا بنا يا فتى». ثم نظر إلى مؤخرة الحانة وقال: «تعاليا معنا، أنتما الاثنان، بسرعة!».

تردد (راند) وهو يتبادل نظرة متسائلة مع (مات). بينما (مويرين) تروي حكايتها لم يكن بإمكان أحصنة السيد (ألڤير) (الدُّورانية) أن تجذبه من موضعه، ولكن الآن كان هناك شيء آخر يثبت قدميه. كانت هذه هي البداية الحقيقية، أن يترك الحانة ويتبع (الحامي) إلى ظلام الليل... هز

نفسه وحاول أن يحسم أمره. لم يكن لديه خيار سوى الذهاب، ولكنه سيعود إلى (إيموندز فيلد)، مهما بعدت الرحلة أو طالت.

«ما الذي تنتظرانه؟». سألهما (لان) من الباب الذي يؤدي إلى خارج الحجرة العامة. فجفل (مات) وأسرع للحاق به.

حاول (راند) أن يقنع نفسه أنه يبدأ مغامرة عظيمة وهو يتبعهما عبر المطبخ المظلم، ثم إلى الخارج إلى ساحة الإسطبل.

الفصل العاشر

الوداع

كان هناك مصباح واحد مصراعه نصف مغلق، معلق من مسمار على عمود الحجيرة بالإسطبل ملقيًا ضوءً خافتًا. كانت معظم الحجيرات غارقة في ظلال عميقة. عندما دلف (راند) من البوابة المؤدية إلى باحة الإسطبل في أعقاب (مات) و(الحامي) قفز (بيرين) مع حفيف القش، من حيث كان يجلس متكئًا بظهره إلى باب إحدى الحجيرات. كان يلف نفسه بعباءة ثقيلة.

بالكاد توقف (لان) لكي يسأله: «هل فتشت المكان كما طلبت منك أيها الحداد؟».

أجابه (بيرين): «أجل، لقد فعلت. لا يوجد أحد هنا سوانا. ولكن لم قد يختبئ أحدهم...».

قال (الحامي): «الحذر والعيش طويلًا متلازمان أيها الحداد». ثم مرر عينيه بسرعة في ظلال الإسطبل وظلال مخزن التبن الأكثر عمقًا أعلاه، ثم هز رأسه وتمتم كأنما يقول لنفسه: «لا وقت لهذا، لقد قالت إن علينا أن نسرع».

وكأنما ليطبق كلماته أسرع على الفور إلى مؤخرة بقعة الضوء حيث تقف الخيول الخمسة مربوطة وقد لُجِمَت وأُسرِجَت. كان اثنان منهم هما

الحصان الأبيض والفرس البيضاء اللذين رآهما (راند) من قبل. البقية لم تكن بنفس الطول أو الرشاقة، ولكنها بدت بالتأكيد من بين أفضل الخيول في (النهرين). باهتمام متعجل تفحص (لان) الأحزمة الجلدية التي تربط أكياس السروج وقِرَب الماء ولفّات البطانيات وراء السروج.

تبادل (راند) ابتسامة مرتجفة مع صديقيه محاولًا قدر الإمكان أن يبدو كأنه متلهف حقًّا للرحيل.

لاحظ (مات) لأول مرة السيف عند خصر (راند) فأشار إليه وقال: «هل صرت واحدًا من (الحماة)؟». ثم ضحك قبل أن يبتر ضحكته وهو يختلس النظر إلى (لان). لم يبدُ على (الحامي) أنه قد لاحظه. أكمل (مات) بابتسامة بدت مفتعلة بعض الشيء: «أو على الأقل واحدًا من حراس التجار». ثم وزن قوسه بيده وهو يقول: «إن أسلحة البسطاء ليست كافية بالنسبة لهم».

فكر (راند) في أن يستل سيفه ولكن وجود (لان) منعه من هذا. لم يكن (الحامي) ينظر ناحيته ولكنه كان متيقنًا من أن الرجل يدرك كل شيء يحدث من حوله، بدلًا من هذا قال بلا مبالاة مبالغ فيها: «قد يكون مفيدًا». كأن امتشاق سيف لم يكن شيئًا خارجًا عن المألوف.

تحرك (بيرين) محاولًا أن يُخفي شيئًا تحت عباءته. لمح (راند) حزامًا جلديًّا عريضًا يحيط بخصر مساعد الحداد، ومقبض فأس يبرز من حلقة في الحزام.

سأله: «ما هذا الذي تحمله؟».

قال (مات) بسخرية: «يبدو كواحد من حراس التجار حقًّا».

نظر الشاب ذو الشعر الأشعث إلى (مات) وقد عقد حاجبيه بما يشي أنه قد نال كفايته بالفعل من المزاح. ثم تنهد بعمق وألقى بعباءته إلى الوراء ليكشف عن الفأس. لم يكن فأسًا كفؤوس الحطابين المعتادة. كان رأس الفأس مكونًا من نصل عريض على هيئة نصف قمر من ناحية، ونصل

مدبب مقوس على الناحية الأخرى. مما جعله يبدو غريبًا تمامًا على (النهرين) كسيف (راند). ولكن يد (بيرين) كانت مستقرة عليه بنوع من الألفة.

«لقد صنعه السيد (لوهان) منذ عامين تقريبًا من أجل حارس أحد تجار الصوف، ولكن عندما انتهى منه لم يدفع الرجل المبلغ المتفق عليه، ولكن السيد (لوهان) لم يكن ليقبل بمبلغ أقل. لقد أعطاه لي عندما...». تنحنح ونظر إلى (راند) بنفس التحذير المتجهم الذي نظر به إلى (مات) وقال: «عندما وجدني أتدرب به. قال إنه بإمكاني أن أحصل عليه بما أنه لن يقدر على الاستفادة منه».

قال (مات) بسخرية: «تتدرب؟». ثم رفع يديه في استسلام وقال: «كما تشاء، الأمر وما فيه هو أن أيًّا منا لا يعرف كيفية استخدام سلاح حقيقي».

قال (لان) فجأة: «هذا القوس سلاح حقيقي». كان متكئًا بذراعه على سرج حصانه الأسود الطويل وهو ينظر إليهم بجدية. «وكذلك المقاليع التي رأيتها معكم يا فتيان القرية. لا يصنع فارقًا أنكم لم تستخدموها إلا في صيد الأرانب أو إبعاد الذئاب عن الأغنام. أي شيء يمكن أن يكون سلاحًا، إن كان لدى من يحمله ـ رجل أو امرأة ـ الشجاعة الكافية والعزيمة لجعله كذلك. بغض النظر عن (الترولوكيين) فإن هذا يجب أن يكون واضحًا في أذهانكم قبل أن نغادر (النهرين)، قبل أن نغادر (إيموندز فيلد). إذا أردتم أن تصلوا إلى (تار ڤالون) أحياء».

كان وجهه وصوته باردين كالموت، وصارمين كشاهد قبر، مما خنق ابتسامتهم وألجم ألسنتهم. تجهم (بيرين) وجذب عباءته ليغطي الفأس مرة أخرى. حدق (مات) إلى قدميه وهو يقلب القش على أرضية الإسطبل بإصبع قدمه. تنهد (الحامي) ثم عاد إلى تفحص الخيول فخيم الصمت لوقت طويل.

وأخيرًا قال (مات): «الأمر لا يشبه الحكايات كثيرًا».

قال (بيرين) بمرارة: «لا أعرف. هناك (ترولوكيون) وأحد (الحماة) وواحدة من (الآيز سيداي)، ما الذي تريده أكثر من هذا؟».

همس (مات): «(آيز سيداي)». وبدا عليه فجأة كأنما قد أصابته قشعريرة باردة.

سأل (بيرين): «هل تصدقها حقًّا يا (راند)؟ أعني ما الذي قد يريده (الترولوكيون) منا؟».

نظر ثلاثتهم في آن واحد إلى (لان)، الذي بدا مستغرقًا في تفحص حزام سرج الفرس البيضاء، ولكن ثلاثتهم تراجعوا إلى الوراء ناحية باب الإسطبل بعيدًا عن (لان). ومع هذا اقتربوا من بعضهم وتحدثوا بصوت خافت.

هز (راند) رأسه وقال: «لا أعرف، ولكنها كانت محقة بشأن تعرض مزرعتينا فقط للهجوم، كما أنهم قد هاجموا بيت السيد (لوهان) وورشة الحدادة أولًا هنا في القرية. لقد سألت العمدة. من السهل تصديق أنهم يلاحقوننا كأي شيء آخر يمكنني التفكير فيه». فجأة أدرك أنهما يحدقان إليه.

قال (مات) في ارتياب: «سألت العمدة؟ لقد قالت ألا نخبر أحدًا».

قال (راند) محتجًّا: «لم أخبره لماذا أسأل. هل تقصدان أنكما لم تتحدثا إلى أي شخص على الإطلاق؟ ألم تخبرا أي شخص أنكما راحلان؟».

هز (بيرين) كتفيه وقال مدافعًا عن نفسه: «لقد قالت (مويرين سيداي) ألا نخبر أحدًا».

قال (مات): «لقد ترك كل واحد منا رسالة لعائلته، سيجدونهما في الصباح. إن والدتي تعتقد أن (تار ڤالون) تشبه (شايول غول) يا (راند)». ثم ضحك ضحكة قصيرة ليظهر أنه لا يشاركها الرأي، ولكنه لم يكن

مقنعًا للغاية. «كانت ستحاول حبسي في القبو إذا اعتقدت أنني أفكر مجرد التفكير في الذهاب إلى هناك».

أضاف (بيرين) قائلًا: «السيد (لوهان) عنيد كالصخر، والسيدة (لوهان) أكثر منه عنادًا. إن كنت قد رأيتها تنقب بين أنقاض البيت وهي تقول إنها تأمل أن يعود (الترولوكيون) لكي تستطيع أن تضع يدها عليهم...».

قال (مات): «أنا أعرف أنها (آيز سيداي) وما إلى ذلك يا (راند)، ولكن (الترولوكيين) كانوا هنا حقًّا. لقد قالت ألا نخبر أحدًا، إن كانت واحدة من (الآيز سيداي) لا تعرف ما يجب أن نفعله حيال شيء كهذا فمن يعرف؟».

قال (راند) وهو يفرك جبهته: «لا أعرف». كان رأسه يؤلمه، لم يقدر على إخراج ذلك الحلم من عقله. «أبي يصدقها، لقد وافقها على ضرورة رحيلنا على الأقل».

فجأة ظهرت (مويرين) عند الباب وهي تقول: «أنت تحدثت مع أبيك بشأن الرحلة؟». كانت ترتدي ثيابًا رمادية داكنة من رأسها وحتى أخمص قدميها. مع تنورة منقسمة من أجل ركوب الخيل، وكان خاتم الأفعوان هو الذهب الوحيد الذي ترتديه في تلك اللحظة.

نظر (راند) إلى عصاها التي تتوكأ عليها، فرغم ألسنة اللهب التي قد رآها إلا أنه لم يكن هناك آثار حرق أو حتى سخام. قال: «لم أقدر على الرحيل دون إخباره».

نظرت إليه للحظة وهي تزم شفتيها قبل أن تلتفت إلى الآخرين وتقول: «وهل قررتما أنتما أيضًا أن الرسالة ليست كافية؟». تسابق (مات) و(بيرين) في الحديث ليؤكدا لها أنهما لم يفعلا شيئًا سوى ترك الرسالتين كما قالت بالضبط. أومأت برأسها ثم أشارت لهما أن يصمتا. قبل أن

تنظر إلى (راند) نظرة حادة وتقول: «ما حدث كان منسوجًا بالفعل في نمط (عجلة الزمن). (لان)؟».

قال (الحامي): «الخيول جاهزة، ولدينا من المؤن ما يكفي ويزيد للوصول إلى (بايرلون). يمكننا الرحيل في أي وقت، وأقترح أن نرحل الآن».

«ليس من دوني». دلفت (إيجوين) إلى الإسطبل وهي تمسك حزمة ملفوفة بشال بين ذراعيها. كاد (راند) أن يفقد توازنه.

كان (لان) قد استل نصف سيفه من غمده ولكنه أعاد النصل إلى موضعه عندما أدرك من تكون، وقد صارت عيناه باردتين فجأة. بدأ (بيرين) و(مات) يثرثران لإقناع (مويرين) بأنهما لم يخبرا (إيجوين) بشأن الرحيل. تجاهلتهما (الآيز سيداي) واكتفت بالنظر إلى (إيجوين) وهي تنقر بإصبعها على شفتيها في تفكير.

كان غطاء رأس (إيجوين) البني الداكن الموضوع على رأسها غير كافٍ لإخفاء التحدي الذي تنظر به إلى (مويرين). قالت: «لديَّ كل شيء هنا، بما فيه الطعام. ولن أدعكم تتركونني وراءكم. قد لا أنال فرصة أخرى لرؤية العالم خارج (النهرين)».

قال (مات) متذمرًا: «هذه ليست نزهة إلى (غابة الماء) يا (إيجوين)». ثم خطا إلى الوراء عندما نظرت إليه من أسفل حاجبيها المعقودين.

«شكرًا لك يا (مات)، لم أكن لأعرف. هل تعتقد أن ثلاثتكم فقط هم الذين يرغبون في رؤية العالم بالخارج؟ لطالما حلمت بهذا مثلكم، ولا أنوي تفويت هذه الفرصة».

سألها (راند): «كيف عرفتِ أننا على وشك الرحيل؟ على أي حال لا يمكنك الذهاب معنا، نحن لا نرحل من أجل التسلية. إن (الترولوكيين) يسعون وراءنا». نظرت إليه نظرة متسامحة فاحتقن وجهه بالدماء وتيبست أطرافه في سخط.

قالت له في صبر: «أولًا لقد رأيت (مات) يتسلل في الأنحاء محاولًا قدر الإمكان ألا يلاحظه أحد. ثم رأيت (بيرين) يحاول أن يخفي هذا الفأس الكبير الغريب أسفل عباءته. لقد عرفت أن (لان) قد اشترى حصانًا؛ وفجأة خطر على بالي لم قد يحتاج حصانًا آخر، وإن كان باستطاعته شراء واحد فربما بإمكانه شراء أحصنة أخرى. أضف إلى هذا محاولة (مات) و(بيرين) التسلل كعجلين يتظاهران بأنهما ثعلبان... حسنًا، لم أستطع أن أرى سوى إجابة واحدة. لا أعرف إن كنت مندهشة أم لا لرؤيتك هنا يا (راند) بعد كل ما قلته عن أحلام اليقظة. أعتقد أنه كان يجب عليَّ أن أعرف أنك ستكون مشتركًا في الأمر بما أن (مات) و(بيرين) متورطان فيه».

قال (راند): «أنا مضطر للرحيل يا (إيجوين)، ثلاثتنا مضطرون لهذا وإلا فسيعود (الترولوكيون)».

ضحكت (إيجوين) في استهزاء وقالت: «(ترولوكيون)! إن كنت قد قررت أن تخرج لرؤية العالم يا (راند) فهذا من حقك، ولكن أرجوك أعفني من أي حكايات سخيفة».

قال (بيرين): «هذا حقيقي». بينما حاول (مات) أن يقول: «(الترولوكيون)...».

قالت (مويرين): «هذا يكفي». كان صوتها هادئًا ولكنه قطع حديثهم كسكين حاد. «هل لاحظ أي شخص آخر كل هذا؟». رغم هدوء صوتها إلا أن (إيجوين) ازدردت لعابها واستجمعت شجاعتها قبل أن تجيب.

«بعد الليلة الماضية كل ما يمكنهم التفكير فيه هو إعادة البناء، وما يمكنهم أن يفعلوه إذا حدث هذا الأمر مجددًا. لا يمكنهم أن يروا شيئًا إلا إذا وُضِع تحت أنوفهم. صدقيني لم أخبر أحدًا بما شككت فيه، لا أحد على الإطلاق».

صمتت (مويرين) لحظة ثم قالت: «حسنًا، يمكنك أن تأتي معنا».

ظهر تعبير من الدهشة على وجه (لان) ولكنه اختفى على الفور تاركًا هدوءه الظاهري، ولكن الكلمات الغاضبة انفجرت منه: «لا يا (مويرين)!».

«هذا جزء من النمط الآن يا (لان)».

قال بحدة: «هذا سخيف! لا يوجد أي سبب لذهابها معنا، ويوجد كل الأسباب لمنعها من الذهاب».

قالت (مويرين) بهدوء: «هناك سبب لهذا بالتأكيد يا (لان)، جزء من النمط». لم يُظهر وجه (الحامي) الجامد أي تعبيرات، ولكنه أومأ برأسه ببطء.

قال (راند): «ولكن (الترولوكيين) سيطاردوننا يا (إيجوين)، ولن نكون بأمان حتى نصل إلى (تار ڤالون)».

قالت: «لا تحاول إخافتي للبقاء، أنا ذاهبة».

كان (راند) يعرف هذه النبرة، لم يسمعها منذ أن قررت أن تسلق الأشجار الطويلة هو أمر مناسب للأطفال، ولكنه يتذكرها جيدًا. قال لها: «إن كنتِ تظنين أن التعرض للمطاردة هو أمر ممتع...».

ولكن (مويرين) قاطعته: «ليس لدينا وقت لهذا، يجب أن نكون قد ابتعدنا قدر الإمكان بحلول الفجر. إن تركناها وراءنا يا (راند) فإن باستطاعتها أن تنبه القرية قبل أن نبتعد مسافة ميل، وهذا بالتأكيد سيحذر (الميردرال)».

قالت (إيجوين) باحتجاج: «لن أفعل هذا».

قال (الحامي): «يمكنها أن تمتطي حصان صانع البهجة، سأترك له ما يكفي لشراء حصان آخر».

«هذا لن يكون متاحًا». تردد صوت (توم ميريلين) من مخزن التبن. استل (لان) سيفه من غمده هذه المرة، ولم يعده مرة أخرى بينما هو يحدق أعلاه إلى صانع البهجة.

ألقى (توم) بلفافة بطانياته، ثم علق مزماره وقيثارته ووضع على كتفه أكياس السرج المنتفخة. «هذه القرية لم تعد بحاجة إليَّ الآن، ومن ناحية أخرى أنا لم أؤدِّ عرضًا من قبل في (تار ڤالون). ورغم أنني عادة ما أسافر وحدي، إلا أنني بعد أحداث الليلة الماضية لا أُمانع مطلقًا السفر مع صحبة».

نظر (الحامي) إلى (بيرين) نظرة صارمة، فتململ في موضعه بتوتر وقال: «لم أفكر في تفتيش المخزن».

هبط صانع البهجة طويل الأطراف من المخزن عبر السلم، فقال (لان) بنبرة رسمية صارمة: «هل هذا أيضًا جزء من النمط يا (مويرين سيداي)؟».

أجابته (مويرين) بهدوء: «كل شيء هو جزء من النمط يا صديقي العزيز. لا يمكننا أن ننتقي ونختار، ولكننا سنرى ما سيحدث».

وضع (توم) قدميه على أرضية الإسطبل ثم أدار ظهره للسلم وهو ينفض التبن عن عباءته المرقعة، قبل أن يقول بنبرة هادئة: «في الواقع يمكنك أن تقول إنني أصر على السفر في صحبة. لقد قضيت العديد من الساعات أتناول أقداحًا من الجعة، وأفكر في الطرق التي يمكن أن تنتهي بها حياتي، ولم يكن قِدْرُ طهي أحد (الترولوكيين) واحدة منها». ثم نظر باستياء إلى سيف (الحامي) وقال: «ليس هناك حاجة لهذا، أنا لست قطعة جبن لتقطيعها».

قالت (مويرين): «يجب أن نذهب على الفور يا سيد (ميريلين)، وسيكون هناك خطر كبير بالتأكيد. لا يزال (الترولوكيون) موجودين ونحن سنذهب ليلًا. هل أنت واثق من أنك ترغب في السفر معنا؟».

نظر (توم) إليهم جميعًا بابتسامة غامضة وقال: «إن لم يكن الأمر خطيرًا للغاية بالنسبة لفتاة فلا يمكن أن يكون خطيرًا للغاية بالنسبة لي. بالإضافة إلى هذا فمن صانع البهجة الذي لن يواجه القليل من الخطر من أجل تأدية عرض في (تار ڤالون)؟».

أومأت (مويرين) برأسها فأعاد (لان) السيف إلى غمده. تساءل (راند) فجأة عما كان ليحدث إن غير (توم) رأيه أو إن لم تومئ (مويرين) برأسها. بدأ صانع البهجة يسرج حصانه كأن أفكارًا مماثلة لم تخطر على باله، ولكن (راند) لاحظ أنه اختلس النظر إلى سيف (لان) أكثر من مرة.

قالت (مويرين): «والآن أي حصان من أجل (إيجوين)؟».

قال (الحامي) بمرارة: «إن خيول البائع الجائل بنفس سوء الخيول (الدُّورانية)؛ قوية ولكنها بطيئة».

قال (راند): «(بيلا)». فنظر إليه صانع البهجة نظرة جعلته يتمنى لو بقي صامتًا. ولكنه كان يعرف أنه لا يستطيع إثناء (إيجوين) عن عزمها، وأنه لم يتبقَّ له سوى مساعدتها. «قد لا تكون (بيلا) سريعة كالخيول الأخرى، ولكنها قوية. أنا أمتطيها أحيانًا، يمكنها أن تجارينا».

نظر (لان) إلى حجيرة (بيلا) وهو يغمغم بصوت غير مسموع، قبل أن يقول أخيرًا: «قد تكون أفضل من البقية، لا أعتقد أن هناك أي خيار آخر».

قالت (مويرين): «إذن يجب أن تفي بالغرض. فلتعثر على سرج من أجل (بيلا) يا (راند)، وبسرعة! لقد تلكأنا أكثر من اللازم».

أسرع (راند) ليختار سرجًا وبطانية من حجرة السروج. ثم أحضر (بيلا) من حجيرتها. جفلت الفرس ونظرت إليه في دهشة ناعسة عندما وضع السرج على ظهرها. لقد اعتادت أن يمتطيها عارية الظهر، لم تكن معتادة

على السروج. أصدر أصواتًا لتهدئها بينما هو يشد الأربطة، فقبلت هذا الأمر الغريب بأن هزَّت عُرفها.

أخذ الحزمة التي تحملها (إيجوين) وربطها خلف السرج بينما هي تمتطي الفرس وتعدل من تنورتها التي لم تكن مشقوقة من أجل ركوب الخيل، فانكشف جوربها الصوفي حتى ركبتيها. كانت ترتدي نفس الحذاء الجلدي الناعم كجميع فتيات القرية، لم يكن مناسبًا لقطع رحلة حتى (واتش هيل)، ناهيك عن (تار ڤالون).

قال لها: «ما زلت أعتقد أنه لا يجب عليك الذهاب، ولم أكن أختلق ما قلته عن (الترولوكيين)، ولكني أعدك أنني سأعتني بك».

أجابته بخفة: «ربما أنا من سيعتني بك». وعندما رأت نظرته الحانقة مالت لتمسد شعره وقالت: «أنا أعرف أنك ستعتني بي يا (راند). سنعتني بأحدنا الآخر. ولكن من الأفضل لك أن تهتم الآن بامتطاء حصانك».

أدرك أن الآخرين قد امتطوا أحصنتهم بالفعل وأنهم ينتظرونه. الحصان الوحيد الذي كان بلا راكب في تلك اللحظة هو (كلاود)؛ حصان طويل رمادي بعُرْف وذيل أسودين، حصان (جون ثاين)، أو الذي كان حصانه. استطاع بصعوبة أن يعتلي السرج، فقد راح الحصان الرمادي يلوح برأسه ويقفز يمينًا ويسارًا بينما (راند) يضع قدمه في الركاب، فأخذ غمد سيفه يرتطم بساقيه. لم يكن من المصادفة أن أيًّا من أصدقائه لم يختر (كلاود). كثيرًا ما تسابق السيد (ثاين) بحصانه الرمادي المفعم بالحيوية في وجه أحصنة التجار، وكان (راند) يعرف أن الحصان لم يخسر قط، ولكنه كان يعرف أيضًا أن (كلاود) لا يسمح لأحد بأن يمتطيه بسهولة. لا شك أن (لان) قد دفع مبلغًا كبيرًا لإقناع الطحَّان ببيع حصانه. بينما هو يستقر في السرج تزايدت قفزات (كلاود) كأن الحصان الرمادي متلهف للجري. أمسك (راند) باللجام بحزم وهو يحاول أن يقنع نفسه أنه لن يواجه أي صعوبة، ربما إن أقنع نفسه يمكنه أن يقنع الحصان أيضًا.

نعقت بومة عبر الليل في الخارج فجفل القرويون منهم قبل أن يُدركوا طبيعة الصوت، ثم ضحكوا في توتر وهم يتبادلون النظرات الخجلة.

قالت (إيجوين) وهي تضحك في عصبية: «ما ينقصنا هو أن تطاردنا فئران الحقول إلى قمة إحدى الأشجار».

هز (راند) رأسه وقال: «من الأفضل لو كانت ذئابًا».

صاح (بيرين): «ذئاب!».

فنظر إليه (الحامي) نظرة فاترة وقال: «الذئاب لا تحب (الترولوكيين) أيها الحداد، و(الترولوكيون) لا يحبون الذئاب ولا الكلاب أيضًا. إذا سمعت عواء الذئاب فهذا يعني أنه لا يوجد (ترولوكيون) بانتظارنا في الخارج». ثم تحرك بحصانه الأسود الطويل ببطء خارجًا إلى ضوء القمر.

تبعته (مويرين) بفرسها دون لحظة تردد، فأبقت (إيجوين) فرسها بمحاذاة فرس (الآيز سيداي). كان (راند) وصانع البهجة في مؤخرة الركب، وراء (مات) و(بيرين).

كانت مؤخرة الحانة مظلمة وصامتة، وضوء القمر المتسلل يملأ ساحة الإسطبل بالظلال. كانت أصوات ضربات الحوافر الخافتة تتلاشى سريعًا ويبتلعها الليل. عباءة (الحامي) جعلته يبدو كأحد الظلال أيضًا. لم يمنع الآخرين من التجمع حوله سوى حاجتهم لإبقائه في المقدمة ليدلهم على الطريق. فكر (راند) وهم يقتربون من البوابة أن خروجهم من القرية دون أن يراهم أحد لن يكون مهمة سهلة. أو على الأقل دون أن يراهم القرويون. كانت العديد من النوافذ في القرية ينبعث منها ضوء أصفر شاحب، وعلى الرغم من أن هذه التوهجات بدت صغيرة للغاية في ظلمة الليل إلا أن هناك أشكالًا كانت تتحرك باستمرار بداخلها، أشكال القرويين الذين يراقبون ليروا ما تحمله لهم هذه الليلة. لم يرغب أحدهم في أن يصيبهم شيء على حين غرة مرة أخرى.

في الظلال الداكنة بجوار الحانة وهم موشكون على مغادرة باحة الإسطبل توقف (لان) فجأة وهو يشير لهم بحدة أن يصمتوا.

كان هناك صوت خطوات أقدام على (جسر العربات)، ومن آن لآخر كان ضوء القمر يلمع على شيء معدني. عبرت الأقدام الجسر ثم سارت على الحصى مقتربة من الحانة. لم يصدر أي صوت على الإطلاق من هؤلاء المختبئين في الظلال. كان (راند) يدرك أن أصدقاءه على الأقل خائفون مثله من صنع ضوضاء.

توقفت خطوات الأقدام أمام الحانة في الظلمة الواقعة خارج دائرة الضوء الشاحب القادم من نوافذ الحجرة العامة. ما إن خطا (جون ثاين) إلى الأمام واضعًا رمحًا على كتفه العريض وهو يرتدي درعًا مصنوعًا من أقراص فولاذية مشدودًا على صدره حتى أدرك (راند) حقيقة من هم، اثني عشر رجلًا من رجال القرية والمزارع المجاورة، بعضهم يرتدي خوذات أو قطعًا من دروع كان يغطيها التراب في المخازن لأجيال، وكل واحد منهم يحمل رمحًا أو فأس حطابة أو منجلًا صدئًا.

اختلس الطحان النظر من إحدى نوافذ الحجرة العامة، ثم التفت وقال على نحو مقتضب: «يبدو الوضع على ما يرام هنا». فشكَّل البقية صفين غير متساويين من ورائه، وبدأت دورية الحراسة تقطع الليل كأنما يحركها ثلاث طبول مختلفة.

عندما تلاشى صوت خطوات أقدامهم تمتم (لان) قائلًا: «يمكن لاثنين من (ترولوكيّ الداقول) أن يأكلاهم جميعًا على الإفطار، ولكن لديهم أعينًا وآذان». ثم أدار حصانه إلى الوراء وقال: «هيا بنا».

ببطء وهدوء أخذهم (الحامي) عائدين عبر باحة الإسطبل، ثم من بين أشجار الصفصاف، حتى وصلوا إلى ضفة نبع (واينسبرينج)، قبل أن يخوضوا ماء النبع ذاته. كانوا قريبين للغاية من منبع (واينسبرينج)، فكانت

المياه باردة وسريعة وتتلألأ بينما هي تدور حول سيقان الخيول، وكانت عميقة بما يكفي لكي ترتطم بأحذية الركبان.

بعد خروجهم من الضفة الأخرى شق صف الخيول طريقه تحت توجيه (الحامي) الماهر وهو يبقيهم بعيدًا عن أي من بيوت القرية. من آن لآخر كان (لان) يتوقف ويشير إليهم أن يصمتوا، على الرغم من أن أيًّا منهم لم يرَ أو يسمع شيئًا. وفي كل مرة يفعل فيها ذلك سرعان ما تمر دورية أخرى من القرويين والمزارعين. شقوا طريقهم ببطء ناحية الحدود الشمالية للقرية.

أطال (راند) النظر في الظلمة إلى البيوت ذات الأسقف المحدبة محاولًا أن يطبع صورتها في ذاكرته. قال لنفسه، *يا لي من مغامر رائع*. إنه لم يغادر القرية بعد ويشعر بالفعل بالحنين إلى الديار. ولكنه لم يتوقف عن النظر.

مروا بآخر بيوت ريفية في تخوم القرية وقطعوا المنطقة الريفية بمحاذاة (الطريق الشمالي) الذي يؤدي إلى (تارين فيري).

قال (راند) لنفسه إنه لا توجد سماء ليل في أي مكان آخر يمكن أن تكون بمثل جمال سماء (النهرين). بدا كأن اللون الأسود الصافي يمتد إلى ما لا نهاية، ونجوم لا تعد ولا تحصى تتلألأ كنقاط الضوء المتناثرة عبر البلور. كاد القمر الموشك على الاكتمال أن يبدو قريبًا بما يكفي لكي يلمسه إن هو مد يده و...

حلق شكل أسود ببطء من أمام كرة القمر الفضية، بشكل لا إرادي جذب (راند) لجام حصانه الرمادي ليوقفه، قال لنفسه بضعف إنه خفاش، ولكنه كان يعرف أنه ليس كذلك. كان مشهد الخفافيش مألوفًا في المساء، وهي تندفع محلقة وراء الذباب والقرضان أثناء الشفق. الجناحان اللذان يحملان هذا المخلوق قد يكون لهما نفس الشكل، ولكنهما كانا يتحركان بخفقان بطيء قوي لطائر جارح، كأنه يسعى وراء فريسته. الطريقة التي كان يتحرك بها جيئة وذهابًا في أقواس طويلة لم تدع مجالًا للشك في هذا. والأسوأ من كل ذلك كان حجمه. لكي يبدو أي خفاش كبيرًا

لهذه الدرجة أمام القمر فيجب أن يكون في متناول اليد تقريبًا، حاول أن يحسب في عقله إلى أي مدى كان بعيدًا، وكم كان حجمه كبيرًا. يجب أن يكون جسمه ضخمًا بحجم رجل، وجناحاه... عبر مرة أخرى من أمام القمر قبل أن يحلق فجأة إلى أسفل ليبتلعه الليل.

لم يدرك أن (لان) قد عاد بحصانه إليه إلا عندما أمسك بذراعه وقال: «ما الذي تفعله بالوقوف هنا وإلام تحدق يا فتى؟ يجب علينا مواصلة المسير». كان الآخرون ينتظرون وراء (لان).

أخبره (راند) بما رآه وهو يتوقع أنه سيخبره بأن خوفه من (الترولوكيين) قد تغلب على حواسه. كان يأمل أن (لان) سيتغاضى عن الأمر باعتباره خفاشًا أو خدعة بصرية.

تمتم (لان) بكلمة بدت وكأنها قد تركت مذاقًا سيئًا في فمه: «(دراكار)».

حدقت (إيجوين) وبقية القرويين إلى سماء القرية في توتر في كل الاتجاهات، ولكن صانع البهجة تذمر بصوت خافت.

قالت (مويرين): «أجل، من السذاجة أن نأمل خلاف هذا. إن كان (الميردرال) لديه (دراكار) تحت إمرته فسرعان ما سيعرف مكاننا، إن لم يكن قد عرفه بالفعل. علينا أن نتحرك بسرعة أكبر حتى نعبر المنطقة الريفية. ربما نتمكن من أن نصل إلى (تارين فيري) قبل (الميردرال)، ولن يتمكن هو و(ترولوكيونه) من أن يعبروا بسهولة مثلنا».

قالت (إيجوين): «(دراكار)؟ ما هذا؟».

كان (توم ميريلين) هو من أجابها بصوت أجش: «في الحرب التي أنهت (عصر الأساطير) خُلِقت أشياء أسوأ من (الترولوكيين) و(أنصاف البشر)».

أدارت (مويرين) رأسها ناحيته بحدة وهو يتحدث. حتى الظلمة لم تستطع أن تخفي حدة نظرتها.

قبل أن يتمكن أحد من أن يسأل صانع البهجة عن المزيد بدأ (لان) يعطيهم توجيهاته: «سنسلك (الطريق الشمالي) الآن. من أجل الحفاظ على أرواحكم اتبعوا توجيهاتي، وحافظوا على مجاراة الركب ولا تتفرقوا».

ثم بدأ يتحرك بحصانه فتبعه الآخرون بأحصنتهم بدون كلمة واحدة.

الفصل الحادي عشر

الطريق إلى تارين فيري

على (الطريق الشمالي) الترابي الممهد أسرعت الخيول نحو الشمال، بينما أعرافها وذيولها تتطاير إلى الوراء في ضوء القمر، وحوافرها تضرب الأرض بإيقاع ثابت. كان (لان) يتقدمهم، بينما الحصان الأسود وراكبه ذو العباءة المكسوة بالظلال كلاهما خفي في الليل البارد. كانت فرس (مويرين) البيضاء تجاري عدو الحصان الأسود، فكانت مثل سهم شاحب مندفع عبر الظلام. كان البقية يتبعونهما في صف واحد، كأنهم مقيدون إلى حبل طرفه في يدي (الحامي).

كان (راند) هو الأخير في الصف، يتقدمه (توم ميريلين)، والبقية من أمامه على مسافة ليست ببعيدة. لم يلتفت صانع البهجة وراءه قط، مبقيًا عينيه على ما يركضون إليه لا ما يركضون منه. إن ظهر (الترولوكيون) وراءهم، أو (العاتم) على حصانه الصامت، أو ذلك المخلوق الطائر (الدراكار)، فسيقع أمر تحذيرهم على عاتق (راند).

كان (راند) يختلس النظر وراءه بين الحين والآخر وهو يتشبث بعرف (كلاود) ولجامه. (الدراكار)... أسوأ من (الترولوكيين) والعواتم كما قال (توم). ولكن السماء كانت خاوية، ولم يكن هناك على الأرض أمامه سوى الظلمة والظلال. ظلال يمكنها أن تخفي جيشًا.

الآن وقد أُطلق سراح الحصان الرمادي لكي يركض كما يحلو له فقد أسرع عبر الليل كشبح وهو يجاري حصان (لان) بسهولة، وقد أراد (كلاود) أن يركض بشكل أسرع، أراد أن يلحق بالحصان الأسود، متلهفًا لأن يجاريه. كان (راند) مضطرًا لأن يمسك اللجام بحزم لكي يكبح جماحه. كان (كلاود) يحتج على قيده كأنما يظن أنه في سباق، مما يضطره لأن يبذل مجهودًا أكبر للسيطرة عليه مع كل خطوة. كان (راند) يتشبث بالسرج واللجام بكل عضلة في جسده. كان يأمل بشكل محموم ألا يلاحظ حصانه مدى توتره، إن أحس (كلاود) بهذا فسوف يفقد السيطرة عليه بشكل خطير.

كان (راند) يميل إلى الأمام على عنق (كلاود) وهو يُبقي عينيه بقلق على (بيلا) وراكبتها. عندما قال إن الفرس الشعثاء يمكنها أن تجاري الآخرين لم يكن يعني في الركض، ولكنها كانت تجاريهم الآن في الركض بشكل لم يكن يتوقع أنها قادرة عليه. لم يكن (لان) يرغب في أن تكون (إيجوين) بصحبتهم، فهل سيبطئ من حركته إن تباطأت حركة (بيلا)؟ أم هل سيحاول أن يتركها وراءهم؟ إن كلًّا من (الآيز سيداي) و(الحامي) يعتقدان أن (راند) وأصدقاءه مهمون بطريقة ما، ولكن بسبب حديث (مويرين) عن النمط فإنه لم يعتقد أنهما يشملان (إيجوين) في هذه الأهمية.

إن تراجعت (بيلا) إلى الوراء فسوف يتراجع إلى الوراء بدوره، مهما كان ما ستقوله (مويرين) و(لان) عن الأمر. الوراء حيث يوجد (العاتم) و(الترولوكيون)، حيث يوجد (الدراكار). وبكل يأسه ومن أعماق قلبه صرخ بصمت آمرًا (بيلا) أن تركض كالريح، محاولًا أن يمدها بقوته. *اركضي! أحس بوخز في جلده وأحس بعظامه كأنما هي متجمدة وعلى وشك الانشطار. فليساعدها (النور)، اركضي!* فركضت (بيلا).

اندفعوا مسرعين نحو الشمال عبر الليل والوقت يتحول إلى ضبابية غير واضحة. من آن لآخر كانت أضواء المزارع تومض أمام أعينهم قبل أن تختفي بسرعة كأنها مجرد تخيلات. كانت الكلاب التي تحاول مطاردتهم في

عناد تختفي تدريجيًا، أو تختفي فجأة عندما تقرر أنه لا فائدة من المطاردة. أسرعوا عبر الظلمة التي لا يضيئها سوى ضوء القمر الشاحب، الظلمة التي تظهر فيها الأشجار على جانبي الطريق فجأة قبل أن تختفي بدون تحذير. كانت الظلمة تحيط بهم، ولا يوجد صوت يتخلل ضربات الحوافر المتواصلة إلا صيحة طائر ليلي حزين ووحيد.

فجأة أبطأ (لان) من حركته فتوقف صف الخيول، لم يكن (راند) واثقًا من الوقت الذي مضى وهم يتحركون، ولكن كان هناك ألم خفيف يغزو ساقيه بسبب تشبثه بالسرج. أمامهم عبر الليل كانت الأضواء تتلألأ كما لو أن سربًا من اليراعات يحتل مكانًا بين الأشجار.

عقد (راند) حاجبيه وهو يحدق إلى الأضواء في حيرة، ثم شهق فجأة في دهشة، كانت اليراعات عبارة عن نوافذ بيوت تغطي جانبي تل وقمته، إنها (واتش هيل). لم يكد يصدق أنهم قد وصلوا إلى هذا الحد. لا شك أنهم قد قطعوا الرحلة بأسرع ما يمكن لأي أحد أن يقطعها. ترجل (لان) عن حصانه ففعل (راند) و(توم ميريلين) مثله. وقف (كلاود) مطرقًا برأسه وجانبيه يعلوان ويهبطان مع أنفاسه، والعرق الغزير يتصبب على رقبته وكتفيه. قال (راند) لنفسه إن (كلاود) لن يستطيع أن يتحمل المزيد من الركض هذه الليلة.

قال (توم): «بقدر ما أرغب في الابتعاد عن هذه القرى إلا أن بضع ساعات من الراحة لن تضير الآن. بالتأكيد قطعنا شوطًا كبيرًا يسمح لنا بهذا».

تمطى (راند) وهو يطقطق أسفل ظهره قبل أن يقول: «إن كنا سنتوقف لنستريح الليلة في (واتش هيل) فيمكننا إذن أن نصعد التل».

حملت هَبَّة شاردة من الرياح شذرات أغنية من القرية وروائح طبخ جعلت فمه يسيل باللعاب، إنهم ما زالوا يحتفلون في (واتش هيل). لم يكن هناك (ترولوكيون) ليعكروا صفو احتفالهم بـ(بِل تاين). نظر إلى (إيجوين)

التي كانت متكئة على (بيلا) وقد أنهكها التعب. كان البقية يترجلون عن أحصنتهم أيضًا، مع كثير من التنهد ومط العضلات المتألمة. وحدهما (الحامي) و(الآيز سيداي) لم يظهرا أي علامات على التعب.

قال (مات) في إرهاق: «أنا بحاجة بالفعل إلى سماع بعض الغناء، وربما فطيرة ساخنة من لحم الضأن في حانة (الخنزير الأبيض)». ثم صمت للحظة قبل أن يضيف: «لم أذهب من قبل إلى أبعد من (واتش هيل). إن حانة (الخنزير الأبيض) ليست بمثل جودة حانة (واينسبرينج)».

قال (بيرين): «حانة (الخنزير الأبيض) ليست بهذا السوء. سأتناول فطيرة لحم ضأن أيضًا والكثير من الشاي الساخن لطرد البرودة من عظامي».

قال (لان) بحدة: «لا يمكننا أن نتوقف حتى نعبر (نهر تارين)، ليس لأكثر من بضع دقائق».

قال (راند) باحتجاج: «ولكن الخيول لن تتحمل المزيد من الركض هذه الليلة وإلا فقد تموت. (مويرين سيداي)، أنتِ بالتأكيد...».

كان بالكاد قد لاحظ حركتها بين الخيول، ولكنه لم يولِ أي اهتمام حقيقي لما تفعله. كانت في هذه اللحظة تمر بجواره لتضع يديها على عنق (كلاود). لاذ (راند) بالصمت، وفجأة رفع الحصان رأسه بسرعة وخفة فكاد أن ينتزع اللجام من بين يديه. بدأ الحصان الرمادي يقفز من جانب إلى آخر، كأنما قد قضى أسبوعًا مستريحًا في الإسطبل. وبدون كلمة توجهت (مويرين) ناحية (بيلا).

قال (راند) بهدوء مخاطبًا (لان) وقد احمرت وجنتاه خجلًا: «لم أكن أعرف أن باستطاعتها فعل هذا».

أجابه (الحامي): «أنت من بين كل الناس كان يجب عليك توقع هذا، لقد شاهدت ما فعلته مع والدك، سوف تمحو كل التعب أولًا من الخيل، ثم من بقيتكم».

«بقيتنا؟ وماذا عنك؟».

«أنا لست بحاجة إلى هذا بعد يا راعي الغنم، وكذلك هي. ما تفعله للآخرين لا يمكنها أن تفعله لنفسها. سيكون عليها أن تمتطي حصانها حتى وهي تشعر بالتعب، ولتأمل ألا تشعر بتعب شديد قبل أن نصل إلى (تار ڤالون)».

سأله (راند): «تعب شديد من ماذا؟».

قالت (مويرين) من حيث تقف بجوار الفرس: «لقد كنت محقًّا بشأن (بيلا) يا (راند)، إن لديها قلب طيب ونفس القدر من العناد كبقية قاطني (النهرين). قد يبدو هذا غريبًا إلا أنها الأقل تعبًا من بين الجميع».

شق الظلام صرخة بدت كصوت رجل يموت بسكاكين حادة، وخفقت أجنحة على مسافة منخفضة من المجموعة. ازداد الليل ظلمة بفعل الظلال التي مرت من فوقهم. مالت الأحصنة على قوائمها الخلفية وهي تصيح في فزع.

الرياح الناتجة عن خفقان أجنحة (الدراكار) صفعت وجه (راند) بملمس لزج، كالغرق في ظلمة كابوس رطبة موحلة. لم يجد وقتًا حتى للإحساس بالخوف، فقد قفز (كلاود) في الهواء وهو يصرخ بدوره ويلوي جسده في محاولة يائسة لأن يخلص نفسه من شيء قد علق به. (راند) الذي كان لا يزال يمسك باللجام اختل توازنه وسقط ليُجَرَّ على الأرض، بينما (كلاود) يصرخ كأنه يشعر بذئاب تحاول أن تمزق لحمه.

استطاع بشكل ما أن يبقى قابضًا على اللجام، بينما يستخدم اليد الأخرى بقدر ما يستخدم قدميه ليعتدل واقفًا ويقفز قفزات متعثرة ليمنع نفسه من السقوط مرة أخرى. كانت أنفاسه عبارة عن لهاث يائس متقطع، لا يمكنه أن يترك (كلاود) يبتعد. مد يده بشكل محموم وبالكاد استطاع الإمساك بالشكيمة. مال (كلاود) على ساقيه الخلفيتين فرفع (راند) في الهواء الذي تشبث بعجز وهو يأمل أن يهدأ الحصان.

الصدمة الناتجة عن الهبوط جعلت أسنان (راند) تصطك، ولكن فجأة سكن الحصان الرمادي، وفتحتا أنفه منتفختان، وعيناه زائغتان، وسيقانه متيبسة وهي ترتجف. كان (راند) يرتجف بدوره وكل ما استطاع فعله هو أن يتعلق بالشكيمة. قال لنفسه إن الصدمة بالتأكيد قد جعلت الحيوان الأحمق يرتجف أيضًا. تنفس عميقًا وهو يرتجف، ثلاث مرات أو أربعة، وحينها فقط استطاع أن يتلفت حوله ليرى ما يحدث للآخرين.

سادت الفوضى بين المجموعة، كانوا يتشبثون بالألجمة في مواجهة رؤوس الأحصنة المتشنجة، ويحاولون بلا فائدة تهدئة الأحصنة الواقفة على قوائمها الخلفية وهي تجذبهم هنا وهناك في الفوضى العارمة. اثنان فقط بدا أنهما لا يواجهان أي مشكلة مع حصانيهما. كانت (مويرين) تجلس مستقيمة على سرجها وهي تخطو بالفرس البيضاء ببراعة بعيدًا عن الفوضى، كأنما لم يحدث شيء على الإطلاق خارج عن المألوف. كان (لان) واقفًا على قدميه يتفحص السماء، السيف في يده واللجام في اليد الأخرى، بينما حصانه الأسود الرشيق يقف بهدوء إلى جواره.

انقطعت أصوات المرح القادمة من (واتش هيل)، لا شك أن سكان القرية قد سمعوا الصرخة بدورهم. كان (راند) يعرف أنهم سيصغون السمع لبعض الوقت، وربما ينظرون بحثًا عما تسبب فيها، ثم يعودون إلى مرحهم. سرعان ما سينسون الحادثة وتغرق ذكراها تحت الغناء والطعام والرقص والمرح. ربما عندما يسمعون أخبار ما حدث في (إيموندز فيلد) سيتذكر بعضهم ويتساءل. بدأ أحدهم يعزف على الكمان، وبعد دقيقة انضم له مزمار. كانت القرية تستأنف احتفالها.

أمرهم (لان) باقتضاب: «امتطوا أحصنتكم». ثم غمد سيفه وقفز على صهوة حصانه قبل أن يقول: «لم يكن (الدراكار) ليظهر نفسه ما لم يكن قد أبلغ (الميردرال) بالفعل عن مكان تواجدنا». صرخة حادة أخرى جاءت من مكان بعيد أعلاهم، كانت خافتة لكنها لم تكن أقل حدة. صمتت الموسيقى القادمة من (واتش هيل) بشكل مفاجئ مرة أخرى.

«إنه يتعقبنا الآن، ويوضح موضعنا من أجل (نصف البشري). لن يكون بعيدًا».

الخيول التي استعادت حيويتها، بالإضافة إلى ما أصابها من خوف، قفزت مبتعدة عن هؤلاء الذين يحاولون امتطاءها. كان (توم ميريلين) أول من استطاع اعتلاء سرجه وهو يسب ويلعن، وسرعان ما تلاه البقية واحدًا تلو الآخر، حتى لم يتبقَّ سوى شخص واحد.

صاحت (إيجوين): «أسرع يا (راند)!». صرخ (الدراكار) صرخة حادة أخرى، فركضت (بيلا) بضع خطوات قبل أن تتمكن (إيجوين) من كبح جماح الفرس. «أسرع!».

جفل (راند) عندما أدرك أنه بدلًا من محاولة امتطاء (كلاود) كان يقف محدقًا إلى السماء في محاولة يائسة لتحديد مصدر هذه الصرخات الكريهة. علاوة على هذا كان قد استل سيف (تام) دون أن يدرك، كأنما ليقاتل هذا الشيء المحلق.

كان وجهه قد احتقن بالدماء مما جعله يشعر بالامتنان لأن ظلمة الليل تخفيه. كانت إحدى يديه مشغولة بإمساك اللجام بشكل غير متقن، بينما اليد الأخرى تعيد السيف إلى غمده وهو يلقي نظرة سريعة على الآخرين. كانت (مويرين) و(لان) و(إيجوين) ثلاثتهم ينظرون إليه، رغم أنه لم يكن واثقًا من مقدار ما يمكنهم رؤيته في ضوء القمر. البقية بدوا مستغرقين في محاولة إبقاء خيولهم تحت السيطرة، فلم يعيروه اهتمامًا. وضع يده على مقدمة السرج ثم اعتلاه بقفزة واحدة كأنما كان يفعل هذا طيلة حياته. إن كان أي من أصدقائه قد لاحظ السيف فإنه بالتأكيد سيتحدث عن هذا الأمر لاحقًا. سيكون هناك وقت كافٍ للقلق حيال الأمر حينها.

بمجرد أن استقر على السرج انطلقوا جميعًا راكضين مرة أخرى على طول الطريق بمحاذاة التل الذي يشبه القبة. نبحت الكلاب في القرية بما يشي

أنهم قد لاحظوا مرورهم. قال (راند) لنفسه؛ *أو ربما اشتمت الكلاب رائحة (الترولوكيين)*. سرعان ما اختفى النباح وأضواء القرية من ورائهم.

كانوا يركضون في عقدة، بينما الخيول تندفع معًا أثناء عدوها. أمرهم (لان) بالتفرق مرة أخرى، ولكن لم يرغب أحد أن يكون وحده ولو قليلًا في ظلمة الليل. جاءت صرخة من مكان ما أعلاهم فاستسلم الحارس وتركهم يركضون محتشدين.

كان (راند) على مقربة من (مويرين) و(لان) وحصانه الرمادي يبذل مجهودًا ليدفع نفسه ما بين حصان (الحامي) الأسود وفرس (الآيز سيداي) المشذبة البيضاء. كانت (إيجوين) وصانع البهجة مسرعين على كلا جانبيه، بينما صديقا (راند) متجاوران من ورائه. (كلاود) الذي تحفزه صرخات (الدراكار) كان يركض بسرعة تفوق قدرة (راند) على إبطائه حتى لو رغب في هذا، ومع ذلك لم يستطع الحصان الرمادي أن يسبق الحصانين الآخرين ولو بخطوة واحدة.

كان صراخ (الدراكار) يشق سكون الليل.

ركضت (بيلا) بنشاط وهي تمد رقبتها للإمام، بينما ذيلها وعرفها يتطايران مع الريح أثناء ركضها، لتجاري الأحصنة الأكبر حجمًا مع كل خطوة. لا شك أن (الآيز سيداي) قد فعلت شيئًا أكثر من مجرد تخليصها من تعب.

كان وجه (إيجوين) في ضوء القمر مبتسمًا ببهجة وحماس، وكانت ضفيرتها تتطاير من ورائها كأعراف الخيول. وكان (راند) واثقًا أن بريق عينيها لم يكن بسبب القمر وحده. كان فاغرًا فاه في دهشة حتى ابتلع قارضة مما جعله يدخل في نوبة من السعال.

لا شك أن (لان) قد طرح سؤالًا، فقد صاحت (مويرين) فجأة بصوت يعلو على الريح وضربات الحوافر: «لا أستطيع! ولاسيما من على صهوة

حصان راكض. لا يمكن قتلهم بسهولة، حتى عندما يمكن رؤيتهم. يجب أن نركض ونأمل».

ركضوا عبر بقعة من الضباب الخفيف الذي لا يعلو عن ركب الخيل. كان (كلاود) يسرع عبر الضباب بخطوات واسعة، بينما (راند) يرمش بعينيه ويتساءل إن كان يتخيل الأمر، فقد كانت الليلة باردة للغاية على أن يكون هناك ضباب. اندفعوا بجوار بقعة أخرى من الضباب أكبر من سابقتها وأكثر رمادية. كانت تتزايد كأن الضباب ينساب من الأرض، ومن فوقهم صرخ (الدراكار) في غضب. غلّف الضباب الركبان للحظة ثم اختفى، ثم ظهر مرة أخرى قبل أن يختفي من ورائهم. ترك الضباب الثلجي رطوبة باردة على وجه (راند) ويديه. ثم ظهر جدار من اللون الرمادي الشاحب أمامهم قبل أن يغلفهم فجأة. أدت كثافتها إلى خفض أصوات حوافرهم حتى صارت صوتًا مكتومًا. وكانت الصرخات تأتي من أعلاهم كأنما من وراء جدار. لم يكن باستطاعة (راند) سوى أن يميز هيئتي (إيجوين) و(توم ميريلين) على كلا جانبيه.

لم يُبطئ (لان) من سرعتهم وهو يصيح: «لا يزال هناك مكان واحد يمكننا الذهاب إليه». بدا صوته أجوف وكأنما يتردد من كل مكان.

أجابته (مويرين): «(الميردرال) خبثاء، سأستغل خبثهم في مواجهتهم». وفجأة صار ركضهم صامتًا.

كان الضباب الرمادي الداكن يحجب كلًّا من السماء والأرض على حد سواء، حتى أن الركبان الذين تحولوا بدورهم إلى ظلال بدوا وكأنهم يطفون عبر سحب الليل. حتى أرجل خيولهم بدت وكأنها قد اختفت.

تململ (راند) في سرجه محاولًا أن ينكمش بعيدًا عن الضباب الثلجي. إن معرفة أن (مويرين) تستطيع فعل أشياء . أو حتى رؤيتها تفعل هذه الأشياء . كان أمرًا مختلفًا عن الإحساس بهذه الأشياء وهي تجعل جلده رطبًا. أدرك أنه يكتم أنفاسه أيضًا فنعت نفسه بالأحمق بألفاظ متنوعة.

لا يمكنه أن يمتطي حصانه طيلة الطريق إلى (تارين فيري) دون أن يتنفس. لقد استخدمت (القوة الواحدة) على (تام) وقد بدا بصحة جيدة، ومع هذا كان عليه أن يجبر نفسه على الاستنشاق. كان الهواء ثقيلًا ولكنه لم يكن مختلفًا عن أي ليلة ضبابية أخرى إلا بكونه أكثر برودة. قال هذا لنفسه ولكنه لم يكن واثقًا إن كان قد صدق نفسه.

حثهم (لان) على البقاء بالقرب منه حيث يمكن لكل واحد أن يرى الهيئة المبهمة للآخرين في ذلك الضباب الرمادي الرطب البارد. ومع هذا لم يُبطئ (الحامي) من إسراع حصانه المندفع. كان (لان) و(مويرين) يتقدمان الطريق جنبًا إلى جنب عبر الضباب كأنما باستطاعتهما أن يريا بوضوح ما يوجد أمامهما. لم يكن بوسع البقية سوى الثقة بهما واتباعهما والتحلي بالأمل.

تلاشت الصرخات الحادة التي كانت تطاردهم وهم يركضون، ولكن هذا لم يمنحهم سوى القليل من الارتياح. كان الضباب يخفي الغابة والمزارع والقمر والطريق. كانت الكلاب لا تزال تنبح بصوت أجوف بعيد في الغبش الرمادي، عندما يمرون بجوار المزارع. ولكن لم يكن هناك أي صوت آخر سوى ضربات حوافر خيولهم المكتومة. لم يكن هناك شيء في هذا الضباب الرمادي عديم الملامح. ولا شيء يعطي أدنى تلميح عن مرور الوقت إلا الألم المتزايد في الفخذين والظهر.

كان (راند) واثقًا أن ساعات قد مرت ويداه متشبثتان باللجام، حتى لم يعد واثقًا إن كان بإمكانه تركه، وتساءل إن كان سيقدر على السير بشكل صحيح مرة أخرى. اختلس النظر وراءه مرة واحدة، كان هناك ظلال تسرع في الضباب من ورائه ولكنه لم يكن واثقًا حتى من عددها، أو حتى إذا ما كانوا أصدقاءه حقًّا. لقد تسللت البرودة والرطوبة إليه من عباءته ومعطفه وقميصه، وبدا كأنها قد تسللت إلى عظامه ذاتها. الشيء الوحيد الذي يخبره بأنه يتحرك على الإطلاق كان الهواء المرتطم بوجهه والحصان الذي يمد رأسه من أمامه. لا شك أن ساعات قد مرت.

فجأة صاح (لان): «أبطئوا، شدوا ألجمتكم».

جفل (راند) عندما شق (كلاود) طريقه ما بين (لان) و(مويرين) وسبقهما ببضع خطوات، قبل أن يتمكن من جذب لجام الحصان الرمادي الكبير، وإجباره على التوقف والتحديق.

كان هناك بيوت تلوح من كل الجوانب، بيوت طويلة بشكل غريب على عيني (راند). لم يرَ مثل هذا المكان من قبل، ولكنه كثيراً ما سمع عن أوصافه. ينبع هذا الطول من الأساسات العالية المصنوعة من الحجر الأحمر، والضرورية عندما يذيب الربيع الجليد في (جبال الضباب) مما يجعل (نهر تارين) يفيض من ضفتيه. لقد وصلوا إلى (تارين فيري).

تحرك (لان) بحصانه الأسود وهو يقول: «لا تكن متلهفًا هكذا يا راعي الغنم».

أحس (راند) بالإحراج فوقف في موضعه دون أن يحاول تفسير موقفه بينما المجموعة تتوغل أكثر في القرية. كان وجهه محتقنًا بالدماء، وفي تلك اللحظة كان الضباب موضع ترحيب بالنسبة له.

كان هناك كلب وحيد مختفيًا في الضباب البارد ينبح في وجههم بشراسة قبل أن يركض مبتعدًا. هنا وهناك يظهر ضوء في نافذة، بينما هؤلاء الذين يستيقظون مبكرًا يتململون في أَسِرَّتِهم. بخلاف هذا الكلب لم يكن هناك صوت آخر يخترق سكون ساعة الليل الأخيرة سوى حوافر خيولهم المكتومة.

لقد التقى (راند) من قبل ببضعة أشخاص من (تارين فيري)، حاول أن يتذكر القليل الذي يعرفه عنهم. نادرًا ما يغامرون بالنزول إلى ما يسمونه «القرى السفلية» وهم يشمخون بأنوفهم كأنهم يشتمون رائحة كريهة. القلة الذي التقى بهم كانوا يحملون أسماء غريبة مثل (هيلتوب)

و(ستونبوت)[1]. جميع قاطني (تارين فيري) مشهورون بالخبث والخداع. يقول الناس إنك إن صافحت رجلًا من (تارين فيري) فعليك بعدها أن تعد أصابع يدك.

وقف (لان) و(مويرين) أمام بيت طويل مظلم، لا يختلف عن أي بيت آخر في القرية. كان الضباب يحوم حول (الحامي) كالدخان وهو يقفز من فوق سرجه، قبل أن يصعد الدرج المؤدي إلى الباب الأمامي الذي يعلو فوق الشارع بارتفاع رؤوسهم. أعلى الدرج طرق (لان) بيده على الباب بصوت مرتفع.

تمتم (مات) قائلًا: «ظننت أنه يرغب في أن نكون هادئين».

استمرت طرقات (لان) حتى ظهر ضوء في نافذة البيت المجاور وأحدهم يصيح بغضب، ولكن (الحامي) واصل طرقه المرتفع.

فجأة انفتح الباب على مصراعيه إلى الوراء ليظهر رجل يرتدي ثياب نوم ترفرف حول كاحليه العاريين. كان يمسك في يده بمصباح زيتي يظهر على ضوئه وجهه حاد القسمات. كان قد فتح فمه في غضب، ولكنه ظل فاغر الفاه ورأسه يتلفت في محاولة لاستيعاب الضباب، قبل أن تجحظ عيناه ويقول: «ما هذا؟ ما هذا؟». تسللت خيوط الضباب الملتوية إلى الباب الأمامي فخطا إلى الوراء على الفور مبتعدًا عنها.

قال (لان): «سيد (هايتاور)[2]، الرجل الذي أحتاجه. نحن نرغب في عبور النهر باستخدام مركبك».

قال (مات) ساخرًا: «إنه لم يرَ في حياته برجًا عاليًا». فأشار (راند) إلى صديقه أن يصمت. رفع الرجل حاد القسمات مصباحه عاليًا وهو ينظر إليهم بريبة.

---

(1) (هيلتوب) تعني قمة التل، و(ستونبوت) تعني القارب الحجري.

(2) هايتاور: تعني البرج العالي.

بعد دقيقة قال السيد (هايتاور) في غضب: «المركب يُبحر في ضوء النهار وليس في الليل. هذا لا يحدث مُطلقًا، وليس في مثل هذا الضباب أيضًا. تعالوا عندما تشرق الشمس وينقشع الضباب».

هم بإغلاق الباب ولكن (لان) أمسك بمعصمه. فتح المراكبي فمه في غضب ولكن الذهب لمع في ضوء المصباح بينما (الحامي) يعد العملات المعدنية واحدة تلو الأخرى في راحة يد الرجل. لعق (هايتاور) شفتيه مع رنين العملات المعدنية وهو يقرب رأسه بضع بوصات من يده كأنه لا يستطيع أن يصدق ما يراه.

قال (لان): «ومثل هذا القدر عندما نصل بأمان إلى الجانب الآخر، ولكننا يجب أن نعبر الآن».

قال المراكبي: «الآن؟». ثم عض شفته السفلى وهو يتململ في وقفته بينما ينظر إلى الليل المشبع بالضباب، ثم أومأ برأسه فجأة وقال: «حسنًا، فليكن. والآن اترك معصمي، يجب عليَّ أن أوقظ العمال، أنت لا تعتقد أنني أحرك المركب بنفسي إلى الجانب الآخر، أليس كذلك؟».

قال (لان) بجمود: «سأنتظرك عند المركب، لا تتأخر». ثم أرخى قبضته الممسكة بمعصم المراكبي.

ضم السيد (هايتاور) حفنة العملات إلى صدره وأومأ موافقًا قبل أن يغلق الباب بقدمه على عجل.

الفصل الثاني عشر

عبور نهر تارين

هبط (لان) الدرج وأخبر الصحبة أن يترجلوا عن خيولهم وأن يجروها من ورائهم وهم يلحقون به عبر الضباب. مرة أخرى كان عليهم أن يثقوا في أن (الحامي) يعرف إلى أين هو ذاهب. كان الضباب يدور حول ركبتي (راند) مخفيًا قدميه وحاجبًا كل شيء على بعد ذراع أو أكثر من حوله. لم يكن الضباب ثقيلًا كما كان خارج البلدة، ولكنه بالكاد استطاع أن يميز رفاقه.

حتى هذه اللحظة لم يكن هناك إنسان يتحرك في ظلمة الليل سواهم. أظهرت المزيد من النوافذ ضوءًا، ولكنها في الضباب الكثيف لم تكن أكثر من بقع باهتة، وفي كثير من الأحيان لم يكن هناك شيء مرئي سوى هذا التوهج الضبابي. بدت البيوت التي يمكن رؤيتها وكأنها تطفو في بحر من السحاب، أو تبزغ بشكل مفاجئ من الضباب، بينما البيوت الأخرى لا تزال مخفية، كأنما لا يوجد شيء آخر سواها على بعد أميال.

كان (راند) يتحرك بتخشب بسبب ألم امتطاء الحصان لوقت طويل، وهو يتساءل إذا ما كان هناك أي طريقة يمكنه من خلالها أن يمشي بقية الطريق إلى (تار ڤالون). لم يكن هذا يعني أن المشي كان أفضل من امتطاء الحصان في تلك اللحظة بالطبع، ولكن قدميه كانتا الجزء الوحيد منه الذي لم يكن متألما. على الأقل كان معتادًا على المشي.

لم يتحدث أحد بصوتٍ عالٍ بما يكفي لأن يسمعه (راند) بوضوح إلا عندما قالت (مويرين) وهي تجيب سؤالًا لم يسمعه من (لان): «يجب عليك أن تتعامل مع الأمر، هكذا سيتذكر الكثير، ولن يمكننا فعل شيء حيال هذا. إذا ظهرتُ بوضوح في أفكاره...».

في تذمر عدل (راند) عباءته التي تشبعت بالرطوبة على كتفيه وهو يحافظ على بقائه قريبًا من الآخرين. كان (مات) و(بيرين) يتذمران وهما يتمتمان بصوت خفيض، مع تعبير متألم كلما ارتطم إصبع قدم أحدهما بشيء غير مرئي. كان (توم ميريلين) يتذمر أيضًا فوصلت إلى أذني (راند) كلمات مثل «وجبة ساخنة» و«نار» و«نبيذ دافئ». ولكن (الحامي) و(الآيز سيداي) لم يلاحظا هذا. كانت (إيجوين) تمشي بجوارهم دون كلمة وهي تنصب ظهرها وترفع رأسها. كانت مشيتها تبدو مترددة ومتألمة بشكل واضح، فهي لم تكن معتادة على امتطاء الخيل كالبقية.

قال لنفسه بوجوم إنها قد نالت مغامرتها أخيرًا، وما دامت المغامرة مستمرة فإنه يشك أن تلاحظ أشياء صغيرة كالضباب أو الرطوبة أو البرودة. بدا له أن المرء يرى الأمر بشكل مختلف بناءً على إذا ما كان يسعى إلى المغامرة أم قد أُجبر عليها. لا شك أن الحكايات تجعل الركض عبر الضباب البارد بينما يلاحقك (دراكار) وأشياء أخرى يعرفها (النور) وحده يبدو مثيرًا. ربما تشعر (إيجوين) بالإثارة ولكنه لم يشعر إلا بالبرودة والرطوبة، وكان مسرورًا لوجود قرية من حوله مرة أخرى حتى لو كانت (تارين فيري).

فجأة اصطدم بشيء ضخم ودافئ في الظلمة، حصان (لان)؛ لقد توقف (الحامي) و(مويرين)، ففعل بقية المجموعة مثلهما، وهم يربتون على خيولهم لطمأنة أنفسهم بقدر طمأنتها. كان الضباب أقل كثافة هنا بما يكفي لكي يرى أحدهم الآخر بشكل أكثر وضوحًا عن ذي قبل، ولكن ليس بما يكفي لتمييز المزيد. كانت أقدامهم لا تزال مخفية أسفل أمواج منخفضة كفيضان رمادي. بدا كأن الضباب قد ابتلع كل البيوت.

بحذر جذب (راند) (كلاود) إلى الأمام قليلًا ثم اندهش عندما سمع صوت احتكاك حذائه بألواح خشبية؛ مرسى المركب. تراجع إلى الوراء بحرص مما جعل الحصان الرمادي يتراجع بدوره. كان قد سمع من قبل عن مرسى (تارين فيري)، كان أشبه بجسر لا يؤدي إلى أي مكان سوى المركب. كان من المفترض أن يكون (نهر تارين) واسعًا وعميقًا، مع تيارات غادرة يمكنها أن تُغرق أقوى السباحين. افترض (راند) أنه أكثر اتساعًا بكثير من نبع (واينسبرينج). مع إضافة الضباب... أحس بالارتياح عندما شعر بالتراب تحت قدميه مرة أخرى.

صاح (لان) بصوت حاد كالضباب: «انتبهوا!». وهو يشير إليهم بينما يندفع إلى جوار (بيرين)، ويزيح عباءة الشاب مفتول العضلات إلى الوراء كاشفًا عن الفأس العظيم. أطاعه (راند) رغم أنه لم يفهم بعد؛ مزيحًا عباءته إلى الوراء على كتفيه ليُظهر سيفه. بينما (لان) يعود بسرعة إلى حصانه ظهرت أضواء متمايلة في الضباب وصوت خطوات أقدام مكتومة تقترب منهم.

كانوا ستة رجال بوجوه متبلدة في ثياب خشنة يتبعون السيد (هايتاور). كانت المشاعل التي يحملونها تبدد بقعة من الضباب من حولهم. عندما توقفوا كان باستطاعتهم رؤية المجموعة القادمة من (إيموندز فيلد) بوضوح، جميعهم محاطون بجدار رمادي يبدو أكثر سمكًا بسبب انعكاس ضوء المشاعل عليه. تفحصهم المراكبي وقد أمال رأسه الصغير جانبًا بينما أنفه يرتعش كابن عرس يتشمم الهواء بحثًا عن فخ. اتكأ (لان) على سرجه بلا مبالاة ظاهرية، ولكن إحدى يديه كانت تستقر ببراعة على مقبض سيفه الطويل. كان هناك هالة تحيط به كأنه زنبرك معدني مضغوط ومتأهب.

على الفور قلَّد (راند) وقفة (الحامي)، أو على الأقل وضع يده على سيفه إلى حد ما. لم يعتقد أنه قادر على تحقيق هذا التراخي الذي يبدو مميتًا. *على الأرجح سيضحكون إن حاولت هذا.*

استل (بيرين) فأسه من حلقته الجلدية وثبَّت قدميه في الأرض بشكل متعمد. وضع (مات) يده بالقرب من جعبته، رغم أن (راند) لم يكن واثقًا من حالة وتر القوس بعد تعرضه لكل هذه الرطوبة. خطا (توم ميريلين) إلى الأمام بشكل متباهٍ وهو يرفع يده الفارغة ويديرها ببطء. فجأة ظهر خنجر وراح يدور بين أصابعه. استقر المقبض في راحة يده، وفجأة وبلا اكتراث بدأ يقلم أظافر أصابعه.

ضحكت (مويرين) ضحكة خفيضة مبتهجة، بينما صفقت (إيجوين) كأنما تشاهد عرضًا في العيد، ثم توقفت وبدت خجلة رغم أن ثغرها ارتعش بابتسامة في نفس الوقت.

بدا (هايتاور) أبعد ما يكون عن الاستمتاع بالأمر وهو يحدق إلى (توم) قبل أن يتنحنح بصوت عالٍ ويقول: «لقد ذكرت المزيد من الذهب في حالة عبور النهر». ثم أجال بصره وهو ينظر إليهم مرة أخرى نظرة خبيثة ماكرة. «ما أعطيته لي من قبل موضوع في مكان آمن، هل تسمعني؟ مكان لا يمكنكم الوصول إليه».

قال (لان): «ستحصل على بقية الذهب عندما نصل إلى الجانب الآخر». ثم أصدر كيس النقود المعلق في خصره رنينًا وهو يهزه قليلًا.

للحظة تعلقت به عينا المراكبي، ولكنه أومأ في النهاية وقال: «هيا بنا إذن». ثم توجه ناحية المرسى يتبعه مساعدوه الستة. كان الضباب يتلاشى من حولهم أثناء حركتهم قبل أن تُسرع الحلقات الرمادية لتغشى المكان مرة أخرى من ورائهم. أسرع (راند) للحاق بهم.

كان المركب عبارة عن صندل خشبي بجانبين مرتفعين، يمكن الصعود على متنه عن طريق منحدر خشبي يمكن جذبه لإغلاق مؤخرة الصندل. كان هناك حبال بسمك معصم الرجل على كل جانب منه، حبال مربوطة بأعمدة ضخمة على كلا جانبي المرسى، وتختفي في ظلمة الليل فوق النهر. وضع مساعدو المراكبي مشاعلهم في أقواس حديدية على

جانبي المركب، وانتظروا بينما الجميع يجرون خيولهم للصعود على متن المركب قبل أن يرفعوا المنحدر. أصدر سطح المركب صريرًا تحت الحوافر والأقدام المتنقلة، وتمايل المركب مع الوزن.

تمتم (هايتاور) بصوت غير مسموع وهو يحملق إليهم لإبقاء الخيول ساكنة وثابتة في المنتصف، بعيدًا عن طريق العمال. صرخ في مساعديه وهو يحفزهم بينما يعدون المركب من أجل عبور النهر. ولكن الرجال كانوا يتحركون بنفس الوتيرة المترددة مهما قال. وهو نفسه لم يكن متحمسًا للأمر. ومن وقت لآخر يقطع صياحه ليرفع مشعله عاليًا ويحدق إلى الضباب. وأخيرًا توقف عن الصياح تمامًا وذهب إلى مقدمة المركب وحملق إلى الضباب الذي يغطي النهر.

لم يتحرك من موضعه حتى لمس ذراعه أحد مساعديه فجفل وهو يصرخ: «ما الأمر؟ آه إنه أنت. أنتم مستعدون؟ إذن حان الوقت، ما الذي تنتظره يا رجل؟». ثم لوح بذراعيه دون أن ينتبه إلى المشعل والطريقة التي جفلت بها الخيول وهي تحاول أن تتراجع إلى الوراء. «أرخوا الحبال! ابدؤوا العمل! تحركوا!». تباطأ الرجال عن الامتثال لأوامره فنظر (هايتاور) مرة أخرى إلى الضباب أمامه وهو يفرك بيده على معطفه بتوتر.

تمايل المركب مع تحريره من المرساة بفعل التيار الشديد، ثم تمايل مرة أخرى عندما أمسكت به حبال التوجيه. أمسك العمال ـ ثلاثة على كل جانب ـ بالحبال في مقدمة المركب، ثم بدأوا يسيرون بمشقة نحو المؤخرة وهم يتمتمون بقلق بينما المركب يتحرك عبر النهر المغطى بالضباب الرمادي.

اختفى المرسى بينما الضباب يحيط بهم، وقد تسللت بعض خيوط الضباب إلى القارب من بين المشاعل ذات ألسنة اللهب المتراقصة. كان الصندل يتأرجح ببطء بفعل التيار. لم يكن هناك أحد يتكلم، ولم يكن هناك أدنى حركة سوى خطوات أقدام العمال الرتيبة؛ إلى الأمام ليمسكوا بالحبال ثم إلى الوراء وهم يجذبونها. حافظ القرويون على بقائهم في منتصف

المركب قدر الإمكان. لقد سمعوا أن (نهر تارين) أكثر اتساعًا بكثير من الينابيع التي اعتادوا عليها، وقد جعله الضباب واسعًا بشكل لا نهائي في أذهانهم.

بعد مرور بعض الوقت اقترب (راند) من (لان)، إن الأنهار التي لا يستطيع رجل أن يخوضها أو يسبح عبرها، أو حتى يرى ضفتها الأخرى، مثيرة للتوتر بالنسبة لشخص لم يرَ شيئًا أوسع من بركة في (غابة الماء) أو أعمق منها. سأله بصوت خفيض: «هل كانوا ليحاولوا سرقتنا بالفعل؟ لقد تصرف كما لو أنه يخشى أن نسرقه».

نظر (الحامي) إلى المراكبي ومساعديه، لم يبدُ أن أحدًا ينصت إليهما، فأجابه بصوت خفيض مماثل: «مع وجود الضباب ليخفيهم... حسنًا، ما يفعلونه يكون مخفيًّا، وأحيانًا ما يتعامل الناس مع الغرباء بطريقة ما كانوا ليتعاملوا بها إذا كان هناك أعين أخرى يمكنها أن تراهم. وهؤلاء الذين يسارعون في إيذاء الغرباء هم أسرع من يفكر في أن الغرباء قد يؤذونهم. هذا الرجل... أعتقد أنه قد يبيع والدته إلى (الترولوكيين) على هيئة لحم مطبوخ إن كان الثمن مناسبًا. أنا متفاجئ بعض الشيء لأنك سألت. لقد سمعت الطريقة التي يتحدث بها سكان (إيموندز فيلد) عن سكان (تارين فيري)».

«أجل ولكن... حسنًا الجميع يقولون هذا... لكني لم أعتقد قط أنهم قد يكونون حقًّا...». قرر (راند) أنه من الأفضل أن يتوقف عن التفكير في أنه يعرف أي شيء على الإطلاق عن طبيعة الناس خارج قريته. قال أخيرًا: «قد يُخبر (العاتم) أننا عبرنا على متن مركبه، ربما سينقل (الترولوكيين) إلى الجانب الآخر بعدنا».

ضحك (لان) ضحكة جافة وقال: «إن سرقة غريب هو أمر يختلف تمامًا عن التعامل مع (نصف بشري)، هل يمكنك أن تتخيله حقًّا وهو ينقل (الترولوكيين) إلى الجانب الآخر، وخصوصًا في هذا الضباب، مهما كان

مقدار الذهب الذي يعرضونه عليه؟ أو حتى أن يتحدث إلى (ميردرال) لو كان لديه خيار؟ إن مجرد التفكير في الأمر سيجعله يركض شهرًا. لا أعتقد أن علينا أن نقلق كثيرًا بشأن (أصدقاء الظلام) في (تارين فيري). ليس هنا. نحن بأمان... مؤقتًا على الأقل. هؤلاء الرجال لا يمثلون تهديدًا لنا على أي حال، انظر بنفسك».

كان (هايتاور) قد توقف عن التحديق إلى الضباب أمامه، وكان قد رفع شعلته، وهو يحدق بوجه حاد القسمات إلى (لان) و(راند) كأنه يراهما بوضوح للمرة الأولى. كانت ألواح سطح المركب الخشبية تصدر صريرًا تحت أقدام العمال، ومن وقت لآخر يتردد صوت ضربة حافر. فجأة ارتجف المراكبي عندما أدرك أنهما يراقبانه بينما هو يراقبهما، ثم قفز وهو يستدير لينظر مرة أخرى إلى الضفة البعيدة أو أيًّا كان ما يحاول أن ينظر إليه في الضباب.

قال (لان) بصوت خفيض للغاية حتى أن (راند) سمعه بالكاد: «لا تقل شيئًا آخر، هذه أيام لا يحبذ فيها الحديث عن (الترولوكيين) أو (أصدقاء الظلام) أو (أبي الأكاذيب)، مع وجود آذان غريبة يمكنها أن تسمع، مثل هذا الحديث يمكن أن يجذب شيئًا أسوأ من رسم (ناب التنين) على بابك».

لم يشعر (راند) بأي رغبة في مواصلة طرح أسئلته، وقد خيم عليه الاكتئاب أكثر من ذي قبل. (أصدقاء الظلام)! كأنما لا يكفيه القلق بشأن (العواتم) و(الترولوكيين) و(الدراكار). على الأقل يمكن للمرء أن يميز (الترولوك) عند رؤيته.

فجأة لاحت دعائم في الأفق بين الضباب أمامهم. اصطدم المركب بالضفة الأخرى، فأسرع العمال ليربطوه بسرعة، وينزلوا المنحدر الموجود في مؤخرته بصوت ارتطام. بينما (مات) و(بيرين) يقولان بصوت مرتفع إن

(نهر تارين) ليس بنصف الاتساع الذي سمعا به. جر (لان) حصانه ليهبط المنحدر، ومن ورائه (مويرين) والبقية.

وبينما كان (راند) - الأخير - يُنزل (كلاود) من وراء (بيلا) ناداهم السيد (هايتاور) بغضب: «مهلًا! انتظروا! أين ذهبي؟».

بينما حذاء (راند) ينتقل من المنحدر إلى المرسى الخشبي جاء صوت (مويرين) من مكان ما من بين الضباب وهي تقول: «سندفعه لك، ومارك فضي لكل واحد من رجالك نظير العبور السريع».

تردد المراكبي وقد مد وجهه للأمام كأنه يتشمم خطرًا، ولكن عند ذكر الفضة انتبه العمال، توقف بعضهم ليحمل مشعلًا، ولكن جميعهم قد هبطوا المنحدر قبل أن يتمكن (هايتاور) من فتح فمه. بوجه كئيب متجهم لحق المراكبي بطاقمه.

كان صوت حوافر (كلاود) أجوف في الضباب بينما (راند) يشق طريقه بحرص عبر المرسى. كان الضباب الرمادي كثيفًا هنا كما كان في النهر. عند نهاية المرسى بدأ (الحامي) في توزيع العملات المعدنية وهو محاط بمشاعل (هايتاور) ورفاقه. كان الجميع باستثناء (مويرين) ينتظرون من ورائه وهم متجمعون في قلق. كانت (الآيز سيداي) واقفة وهي تنظر إلى النهر، ولكن (راند) لم يعرف ما يمكن أن تراه. ارتجف وهو يربط عباءته متجاهلًا كونها رطبة. لقد صار خارج (النهرين) حقًا، وقد بدت أبعد بكثير من اتساع النهر.

قال (لان) وهو يعطي (هايتاور) العملة الأخيرة: «هاك، كما اتفقنا». لم يغلق كيس نقوده فراح الرجل بوجهه الذي يشبه ابن عرس ينظر إليه بجشع.

بصرير مرتفع اهتز المرسى. اعتدل (هايتاور) على الفور وهو يدير رأسه لينظر إلى المركب المتشح بالضباب. كان المشعلان اللذان بقيا على متنه عبارة عن نقطتين خافتتين ضبابيتين من الضوء. تأوه المرسى مع صوت

تشقق مدوٍّ لخشبٍ ينشطر، بينما نقطتا الضوء تترنحان قبل أن تبدآ في الدوران. صرخت (إيجوين) بلا صوت، بينما راح (توم) يسب ويلعن.

صرخ (هايتاور): «إنه غير مُثبَّت». ثم أمسك برجاله ودفعهم ناحية نهاية المرسى وهو يصيح: «المركب غير مثبت أيها الحمقى! أمسكوا به! أمسكوا به!».

تعثر العمال بضع خطوات إثر دفعات (هايتاور) ثم توقفوا. كانت نقطتا الضوء على المركب تدوران أسرع وأسرع، والضباب من فوقهما يدور في شكل حلزوني. ارتجف المرسى وأصوات التصدع وتشقق الخشب تملأ الهواء بينما المركب يتحطم إلى أجزاء.

صاح أحد العمال وصوته مليء بالخوف: «إنها دوامة».

قال (هايتاور) في ذهول: «لا يوجد دوامات في (نهر تارين)، لم يكن هناك أي دوامة قط...».

«إنه حادث مؤسف». كان صوت (مويرين) أجوف في الضباب الذي جعلها تبدو كظل وهي تدير ظهرها إلى النهر.

وافقها (لان) بلهجة خالية من المشاعر: «هذا مؤسف، يبدو لي أنك لن تحمل أي شخص آخر لعبور النهر لبعض الوقت، ومن المؤسف أنك فقدت مركبك أثناء خدمتنا». ثم مد يده مرة أخرى إلى كيس نقوده، الذي لا يزال مفتوحًا في يده الأخرى. «يجب أن يكون هذا كافيًا لتعويضك».

لوهلة حدق (هايتاور) إلى الذهب الذي يلمع في يد (لان) على ضوء المشعل، ثم أطرق بكتفيه وعيناه تتنقلان بين بقية من حملهم عبر النهر. وقف هؤلاء القادمون من (إيموندز فيلد) في صمت وقد أخفى الضباب ملامحهم. بصرخة خائفة مبهمة انتزع المراكبي الذهب من يد (لان) ثم دار على عقبيه وركض عبر الضباب، ورجاله على بعد نصف خطوة من ورائه. وسرعان ما ابتلع الضباب مشاعلهم وهم يركضون بمحاذاة النهر.

قالت (الآيز سيداي) كأنما لم يحدث للتو شيء غير مألوف: «لا يوجد شيء آخر لنفعله هنا». ثم اقتادت فرسها البيضاء بعيدًا عن المرسى على طول ضفة النهر. وقف (راند) وهو يحدق إلى النهر الخفي. *من الممكن أن تكون مصادفة. لقد قال إنه لا يوجد دوامات ولكن..* أدرك فجأة أن الجميع قد رحلوا فأسرع متعثر الخطى على طول الضفة المنحدرة بعض الشيء.

بعد أن قطع ثلاث خطوات تلاشى الضباب الكثيف تمامًا، فتوقف في موضعه وحدق وراءه. كان هناك خط كثيف من الضباب الرمادي على طول إحدى الضفتين، بينما على الضفة الأخرى تظهر سماء الليل الصافية، التي لا تزال مظلمة رغم أن حدة ضوء القمر تشي بفجر ليس ببعيد.

وقف (الحامي) و(الآيز سيداي) يتبادلان الحديث بجوار حصانيهما على مسافة ليست ببعيدة عن حدود الضباب. كان البقية متجمعين على مسافة قريبة بعض الشيء، وحتى في الظلمة التي يضيئها القمر كان توترهم محسوسًا. كانت كل الأنظار منصبة على (لان) و(مويرين)، وكان الجميع عدا (إيجوين) يميلون إلى الوراء كأنما هم متحيرون بين أن يفوتهم حديثهما أو أن يقتربوا منهما أكثر من اللازم. قطع (راند) الخطوات الأخيرة مقتربًا من (إيجوين) وهو يجر (كلاود) وراءه. ابتسمت له فخيل إليه أن البريق في عينيها لم يكن بسبب ضوء القمر وحده.

قالت (مويرين) بنبرة راضية: «إنه يتبع النهر كأنه مرسوم بقلم. يوجد أقل من عشر نساء في (تار ڤالون) يمكنهن فعل هذا بدون عون، ناهيك عن كون الأمر من فوق صهوة حصان راكض».

قال (توم ميريلين) وقد بدا صوته خجولًا بعض الشيء على عكس عادته: «لا أقصد أن أشتكي يا (مويرين سيداي)، ولكن ألم يكن من الأفضل تغطيتنا لمسافة أبعد بعض الشيء؟ إلى (بايرلون) مثلًا؟ إن كان

هذا (الدراكار) يبحث عنا على هذا الجانب من النهر فسنخسر كل شيء قد جنيناه».

قالت (الآيز سيداي) بفتور: «(الدراكار) ليسوا بالغي الذكاء يا سيد (ميريلين). إنهم مخيفون ويتسمون بالخطر المميت والأعين الحادة، ولكن ذكاءهم محدود. سوف يُخبر (الميردرال) أن هذا الجانب من النهر صافيًا، ولكن النهر نفسه مغطى بالضباب لأميال في كلا الاتجاهين. سيعرف (الميردرال) أن هذا المجهود الإضافي يكلفني الكثير، وسيكون عليه أن يضع في اعتباره احتمال هربنا عبر النهر، مما سيبطئه، فسيكون عليه توزيع جهوده. يجب أن يستمر الضباب لوقت كافٍ حتى أنه لن يكون واثقًا إن كنا لم نرتحل جزءً من الطريق باستخدام قارب. يمكنني تمديد الضباب قليلًا ناحية (بايرلون) بدلًا من هذا، ولكن حينها يمكن (للدراكار) أن يفتش النهر في غضون ساعات، وسيعرف (الميردرال) إلى أين نحن متوجهون بالضبط».

زفر (توم) ثم هز رأسه وهو يقول: «أعتذر يا (آيز سيداي)، آمل أن كلماتي لم تحمل إهانة».

خطا (مات) إلى الأمام وهو يزدرد لعابه بصوت مسموع قبل أن يقول: «مويـ... أقصد (آيز سيداي). المركب... هل أنتِ... أعني... لم أفهم لماذا...». خفت صوته بضعف وكان هناك صمت مطبق، حتى إن أعلى صوت سمعه (راند) كان صوت أنفاسه.

وأخيرًا تحدثت (مويرين) فملأ صوتها الصمت الخاوي بحدته: «أنتم جميعًا تريدون تفسيرات، ولكن إن فسرت لكم كل أفعالي فلن أجد وقتًا لفعل أي شيء آخر». بدت (الآيز سيداي) في ضوء القمر أكثر طولًا بشكل ما، وتكاد تبدو أطول منهم جميعًا. «شيء واحد يجب أن تعرفوه، هو أنني عازمة على إيصالكم بأمان إلى (تار ڤالون)».

أضاف (لان): «إن ظللنا واقفين هنا فلن يحتاج (الدراكار) إلى تفتيش النهر. إن كنت أتذكر بشكل صحيح...». ثم اقتاد حصانه على طول ضفة النهر.

أخذ (راند) نفسًا عميقًا كأن حركة (الحامي) قد أرخت شيئًا في صدره. سمع الآخرين يفعلون مثله، حتى (توم)، فتذكر مقولة قديمة؛ إن البصق في وجه ذئب أهون من إغضاب (آيز سيداي). ولكن حدة التوتر قد خفتت، لم تعد (مويرين) تبدو أطول من الجميع، وكانت بالكاد تصل إلى صدره.

قال (بيرين) في أمل: «أليس بإمكاننا أن نستريح قليلًا؟». ثم أنهى حديثه بتثاؤب.

تنهدت (إيجوين) بتعب وهي تتكئ على (بيلا).

كان هذا هو أول صوت يشبه الشكوى يسمعه (راند) منها. *ربما تدرك الآن أنها ليست مغامرة كبرى في نهاية المطاف.* ثم تذكر وهو يشعر بتأنيب الضمير أنها على عكسه لم تنم النهار بالكامل. قال: «نحن بحاجة إلى الراحة يا (مويرين سيداي)، فنحن قد ارتحلنا طيلة الليل».

قالت (مويرين): «إذن أقترح أن نرى ما يمكن أن يخبرنا به (لان). هيا بنا».

اقتادتهم ليبتعدوا عن الضفة إلى الغابة وراء النهر. الأغصان عارية الأوراق قد جعلت الظلال أكثر كثافة. على بعد مئة باعٍ من (نهر تارين) وصلوا إلى كومة مظلمة بجوار بقعة خالية من الأشجار. لقد أدى فيضان قديم إلى تقويض مجموعة كاملة من أشجار الكاسندرا وإسقاطها، ثم تكويمها في كتلة متشابكة صلبة من الجذوع والأغصان والجذور. توقفت (مويرين) وفجأة ظهر ضوء منخفض على الأرض يأتي من تحت كومة الأشجار.

زحف (لان) خارجًا من أسفل الكومة وهو يحمل المشعل أمامه قبل أن يعتدل واقفًا ويقول مخاطبًا (مويرين): «لا يوجد زوار غير مرحب بهم، والحطب الذي تركته لا يزال جافًّا، لذا أشعلت نيرانًا صغيرة. سنرتاح وننعم بالدفء».

قالت (إيجوين) في دهشة: «هل توقعتما أن نتوقف هنا؟».

أجابها (لان): «كان من المرجح أن نتوقف هنا، وأنا أحب أن أكون مستعدًّا فقط من باب الاحتياط».

أخذت (مويرين) المشعل منه وقالت: «هل ستعتني بالخيول؟ عندما تنتهي سأفعل ما بوسعي حيال تعب الجميع. الآن أريد أن أتحدث إلى (إيجوين). (إيجوين)؟».

راقب (راند) المرأتين وهما تنحنيان وتختفيان تحت كومة جذوع الأشجار الكبيرة. كان هناك فتحة خفيضة، بالكاد كبيرة بما يكفي للزحف من خلالها. اختفى ضوء المشعل.

كان (لان) قد وضع أكياس عَلْف وكمية صغيرة من الشوفان ضمن المؤن، ولكنه منع الآخرين من نزع سروج خيولهم، وبدلًا من هذا أخرج حبال تقييد الخيل التي أحضرها معه أيضًا وقال: «سيستريحون بشكل أفضل بدون السروج ولكن إن اضطررنا للمغادرة سريعًا فلن نجد وقتًا لإعادة وضعها».

قال (بيرين): «لا يبدو لي أنهم يحتاجون إلى الراحة». وهو يضع كيس علف على خطم حصانه. أخذ الحصان يلوح برأسه قبل أن يسمح له بربط الأحزمة في موضعها. واجه (راند) صعوبة مع (كلاود) أيضًا، واحتاج إلى ثلاث محاولات قبل أن يستطيع وضع الكيس على أنف الحصان الرمادي.

قال (لان): «إنهم بحاجة إلى الراحة». قبل أن ينتصب بعد أن قيد حصانه ويقول: «ما زال بإمكانهم الركض، سيركضون بأسرع ما يقدرون

إن تركناهم يفعلون هذا حتى الثانية التي يسقطون فيها صرعى من التعب الذي لم يشعروا به حتى. كنت أفضل ألا تفعل (مويرين سيداي) ما فعلته، ولكنه كان ضروريًّا». ثم ربت على عنق حصانه فهز الحصان رأسه كأنه ممتن للمسة (الحامي). «يجب أن نتحرك بهم ببطء في الأيام القلية المقبلة حتى يتعافوا. أكثر بطءً مما كنت أود ولكن مع بعض الحظ سيكون هذا كافيًا».

ازدرد (مات) لعابه بصوت مسموع وقال: «هل هذا... هل هذا ما كانت تعنيه؟ بشأن تعبنا؟».

ربت (راند) على عنق (كلاود) وهو ينظر بشرود. رغم ما فعلته (الآيز سيداي) من أجل (تام)، إلا أنه لم يكن لديه أي رغبة في أن تستخدم (القوة الواحدة) عليه. بحق *(النور) لقد اعترفت بشكل ما أنها أغرقت المركب.*

ضحك (لان) بتعب وقال: «شيء من هذا القبيل، ولكن لن يكون عليك القلق بشأن إنهاك نفسك حتى الموت. ليس إلا إذا ساءت الأمور أكثر مما هي عليه بالفعل. فلتفكر في الأمر على أنه ليلة إضافية من النوم فحسب».

فجأة تردد صدى صرخة (الدراكار) الحادة من فوق النهر المغطى بالضباب. حتى الخيول تجمدت في موضعها. ثم جاء الصوت مرة أخرى، أقرب هذه المرة، واخترق جمجمة (راند) مثل الإبر. ثم خفتت الصرخات حتى تلاشت تمامًا.

قال (لان) هامسًا: «يا للحظ، إنه يفتش النهر بحثًا عنا». ثم هز كتفيه وقال ببساطة: «دعونا ندخل، أحتاج إلى بعض الشاي الساخن وشيء أملأ به معدتي».

كان (راند) هو أول من زحف على يديه وركبتيه عبر الفتحة بين الأشجار المتشابكة، ثم عبر نفق قصير. توقف في نهاية النفق وهو لا يزال رابضًا. أمامه كان هناك مساحة فارغة غير منتظمة، كهف خشبي كبير بما يكفي لاحتوائهم جميعًا. كان سقف جذوع الأشجار وأغصانها منخفضًا بما لا يسمح لأحد بالوقوف سوى المرأتين. كان الدخان يتصاعد من حطب مشتعل موضوع على مجموعة من الصخور النهرية، ويتسلل مع تيار هواء من بين السقف. كان التيار كافيًا لإبقاء المكان خاويًا من الدخان، ولكن التشابك كان كثيفًا للغاية بما لا يسمح بتسلل أقل وميض من ألسنة اللهب. كانت (مويرين) و(إيجوين) قد وضعتا عباءتيهما جانبًا وجلستا متربعتين ومتقابلتين بجوار النار. كانت (مويرين) تقول: «إن (القوة الواحدة) تنبع من (المصدر الحقيقي)، القوة المحركة للخلق، القوة التي وضعها (الخالق) لتحريك (عجلة الزمن)». ثم وضعت يديها أمام وجهها وهي تضغط بإحداهما على الأخرى. «(السايدين) هو النصف الذكوري من (المصدر الحقيقي)، و(السايدار) هو النصف الأنثوي، يتصارعان ويتعاونان في الوقت ذاته لتوفير هذه القوة». ثم رفعت إحدى يديها وتركت الأخرى تهوي إلى جوارها وهي تقول: «(السايدين) قد تلوث بلمسة (سيد الظلام). كالماء الذي تطفو فوقه طبقة رقيقة من الزيت الفاسد. الماء لا يزال نقيًّا ولكن لا يمكن لمسه بدون لمس التلوث. وحده (السايدار) لا يزال استخدامه آمنًا». كانت (إيجوين) تدير ظهرها إلى (راند) فلم يستطع أن يرى وجهها ولكنها كانت تميل إلى الأمام بحماس.

وكز (مات) (راند) من الخلف وهو يتمتم بشيء، فأكمل طريقه ليدلف إلى كهف الشجيرات. تجاهلت (مويرين) و(إيجوين) دخوله. احتشد بقية الرجال وراءه وهم يخلعون عباءاتهم الرطبة ويجلسون حول النار ويمدون أيديهم ملتمسين الدفء. جذب (لان) - آخر الداخلين - قِرَب ماء وأكياسًا جلدية من فجوة في الجدار، ثم أخرج غلاية وبدأ في إعداد الشاي. لم يعر اهتمامًا لما تقوله المرأتان، ولكن صديقي (راند) توقفا عن الاصطلاء بالنار وحدقا بشكل علني، بينما تظاهر (توم) بأن كل اهتمامه منصب على حشو غليونه ذي النقوش الغائرة، ولكن الطريقة التي كان يميل بها ناحية المرأتين أفصحت عن اهتمامه الحقيقي. كانت (مويرين) و(إيجوين) تتصرفان كأنهما وحدهما.

قالت (مويرين) مجيبة على سؤال لم يسمعه (راند): «لا، لا يمكن استنفاد (المصدر الحقيقي) إلا بقدر ما يمكن لساقية أن تستنفد ماء نهر. المصدر هو النهر، و(الآيز سيداي) هن الساقية».

سألتها (إيجوين): «وأنت تعتقدين حقًّا أنه بإمكاني أن أتعلم؟». كان وجهها مشرقًا بالحماس. لم يرها (راند) من قبل جميلة للغاية هكذا، أو بعيدة للغاية عنه هكذا. «يمكنني أن أصير واحدة من (الآيز سيداي)؟».

قفز (راند) واقفًا فارتطم رأسه بسقف جذوع الأشجار الخفيض. أمسك (توم ميريلين) بذراعه وجذبه ليجلس مرة أخرى.

تمتم صانع البهجة: «لا تكن أحمق». نظر إلى المرأتين - لم يبدُ أن أيًّا منهما قد لاحظت ما حدث - ثم نظر إلى (راند) بإشفاق وقال: «لقد تجاوزك هذا الأمر يا فتى».

أجابت (مويرين) برفق: «لا يمكن أن يتعلم لمس (المصدر الحقيقي) واستخدام (القوة الواحدة) إلا عدد قليل للغاية يا طفلتي. بعض هؤلاء يمكنهم أن يتعلموا هذا بدرجة كبيرة، والبعض بدرجة أقل. أنتِ واحدة من هؤلاء الذين يعدون على أصابع اليد الواحدة، الذين لا يحتاجون إلى

تعليم، على الأقل ستقدرين على لمس المصدر سواء أردتِ هذا أم لا. ولكن من دون التعلم الذي يمكن أن تتلقيه في (تار ڤالون) فلن تتمكني من تسخيره بشكل كامل، وقد لا تنجين. الرجال الذين تولد بداخلهم القدرة على لمس (السايدين) يموتون، هذا بالطبع إن لم تعثر عليهم (الآجاه الحمراوات) ويرققنهم...».

تذمر (توم) بصوت عميق من حلقه، بينما تململ (راند) في عدم ارتياح. الرجال كهؤلاء الذين تحدثت عنهم (الآيز سيداي) كانوا نادرين. لم يسمع إلا عن ثلاثة منهم في حياته كلها وحمدًا (للنور) أنهم لم يكونوا قط في (النهرين) . ولكن الضرر الذي تسببوا فيه قبل أن تعثر عليهم (الآيز سيداي) كان دومًا سيئًا بما يكفي لكي تتناقله الأخبار كأخبار الحروب أو الزلازل التي تدمر المدن. لم يفهم تمامًا ما تفعله (الآجاهات). بحسب الحكايات فإن هناك مجتمعات بداخل (الآيز سيداي) تتآمر وتتشاجر فيما بينها على ما يبدو أكثر من أي شيء آخر. ولكن الحكايات كانت دومًا واضحة في نقطة واحدة؛ إن الواجب الأساسي الذي يحملنه (الآجاه الحمراوات) على عاتقهن هو منع تحطم آخر للعالم، وهن يفعلن هذا بتعقب كل رجل يحلم حتى باستخدام (القوة الواحدة). بدا على (مات) و(بيرين) أنهما يتمنيان فجأة لو كانا في قريتهما في فراشيهما.

«... ولكن بعض النسوة يمتن أيضًا، من الصعب التعلم بدون مرشد. النسوة اللاتي لا نعثر عليهن، هؤلاء اللاتي يعشن منهن... حسنًا، في هذا الجزء من العالم قد يصرن حكيمات في قراهن». صمتت (الآيز سيداي) وهي تفكر، ثم قالت: «الدماء القديمة قوية في (إيموندز فيلد)، والدماء القديمة تغني. لقد عرفت حقيقتك في اللحظة التي رأيتك فيها، لا يمكن لواحدة من (الآيز سيداي) أن تقف في حضرة امرأة يمكنها التسخير، أو قريبة من تبدلها، دون أن تشعر بهذا». أخذت تفتش في الجراب المعلق بحزامها ثم أخرجت جوهرة زرقاء صغيرة متدلية من سلسلة ذهبية كانت ترتديها باكرًا في شعرها. «أنت قريبة للغاية من تبدلك، لمستك الأولى.

سيكون من الأفضل أن أرشدك خلالها. بهذه الطريقة سنتجنب... الآثار غير السارة التي تلحق بهؤلاء اللاتي يتحسسن طريقهن بأنفسهن».

اتسعت عينا (إيجوين) وهي تنظر إلى الجوهرة، ثم بللت شفتيها قبل أن تقول: «هل هذه... تحتوي على (القوة الواحدة)؟».

قالت (مويرين) على الفور: «بالطبع لا، الأشياء لا تحتوي على (القوة الواحدة) يا طفلتي، حتى (الأنجريال) هو مجرد أداة. هذه مجرد جوهرة زرقاء جميلة، ولكن يمكنها أن تلمع بالضوء. هاك».

ارتجفت يدا (إيجوين) بينما (مويرين) تضع الجوهرة على أناملها. حاولت أن تسحب يديها ولكن (الآيز سيداي) أمسكت بهما بيدها وهي تلمس بيدها الأخرى برفق جانب رأس (إيجوين).

قالت (الآيز سيداي) برقة: «انظري إلى الجوهرة، سيكون هذا أفضل من تحسس طريقك بمفردك. صفي ذهنك من كل شيء عدا الجوهرة. صفي ذهنك واتركي نفسك تنجرفين. لا يوجد سوى الجوهرة والخواء. سأبدأ الأمر. انجرفي واتركيني أرشدك. لا تفكري، انجرفي».

غرس (راند) أصابعه في ركبتيه وقد جز على فكيه حتى آلماه. يجب أن تفشل. يجب عليها هذا.

توهج (النور) في الجوهرة، مجرد وميض أزرق واحد ثم اختفى، لم يكن أكثر سطوعًا من يراعة، ولكنه جفل كأن الضوء يعمي الأبصار. كانت (إيجوين) و(مويرين) تحدقان إلى الجوهرة بوجهين خاويين. جاء وميض آخر، ثم آخر، حتى صار الضوء السماوي نابضًا كخفقات قلب. قال لنفسه في يأس؛ *إنها (الآيز سيداي)، (مويرين) تفعل هذا وليس (إيجوين)*.

وميض ضعيف آخر ثم صارت الجوهرة مجرد حلية مرة أخرى. حبس (راند) أنفاسه. للحظات واصلت (إيجوين) التحديق إلى الجوهرة الصغيرة ثم رفعت عينيها لتنظر إلى (مويرين) وقالت: «ظننت... ظننت أنني

أحسست بشيء، ولكن... ربما أنتِ مخطئة بشأني. أعتذر لأنني أضعت وقتك».

ظهرت ابتسامة شاحبة من الرضا على شفتي (مويرين) وهي تقول: «لم يضع مني شيئًا يا طفلتي. الضوء الأخير كان ضوءك».

صاحت (إيجوين): «حقًّا؟». ثم عادت مرة أخرى إلى الوجوم وهي تقول: «ولكنه كان ظاهرًا بالكاد».

«الآن أنتِ تتصرفين كفتاة قروية حمقاء. معظم اللاتي يأتين إلى (تار ڤالون) يكون عليهن الدراسة لعدة أشهر قبل أن يتمكنَّ من فعل ما فعلتِه للتو. يمكنكِ أن تصلي إلى مدى بعيد، ربما حتى (عرش أميرلين) يومًا ما، إذا درستِ بجد وعملتِ بجد».

صاحت (إيجوين) بفرحة: «هل تقصدين...؟». ثم ألقت بذراعيها حول (الآيز سيداي) وقالت: «أوه، شكرًا لكِ. هل سمعت يا (راند)؟ سأصير واحدة من (الآيز سيداي)!».

الفصل الثالث عشر

الاختيارات

قبل أن يخلدوا إلى النوم جثت (مويرين) على ركبتيها بجوار كل واحد منهم على حدة ووضعت يديها على رؤوسهم. تذمر (لان) قائلًا إنه لا يحتاج لهذا، وإنها لا يجب عليها أن تهدر قوتها، ولكنه لم يحاول أن يمنعها. كانت (إيجوين) متحمسة للتجربة، بينما كان من الواضح أن (مات) و(بيرين) خائفان منها، ولكنهما كانا خائفين من أن يقولا لا. أبعد (توم) رأسه عن (الآيز سيداي) ولكنها أمسكت برأسه الرمادي بنظرة لا تسمح بأي هراء. ظل صانع البهجة عابسًا خلال الأمر برمته. ابتسمت بسخرية بمجرد أن أبعدت يديها عنه فازداد عبوسه ولكنه بدا أكثر نشاطًا، جميعهم بدوا هكذا.

تراجع (راند) إلى فجوة في الجدار غير المتساوي، حيث كان يأمل ألا تلاحظه. أرادت عيناه أن تنغلقا بمجرد أن اتكأ بظهره إلى الجدار، ولكنه أجبر نفسه على المشاهدة. وضع قبضته على فمه ليكتم تثاؤبًا. قليل من النوم. ساعة أو ساعتين. وسيكون على ما يرام. ولكن (مويرين) لم تنسه.

جفل عندما أحس ببرودة أصابعها على وجهه وقال: «أنا لا...». ولكن عينيه اتسعتا في دهشة. كان التعب يتسرب منه كماء يسيل على

جانب تل. كانت الآلام والأوجاع تنحسر لتصير ذكرى خافتة قبل أن تتلاشى تمامًا. حدق إليها وقد فغر فاه، ولكنها اكتفت بالابتسام وهي تسحب يديها.

قالت: «لقد انتهى الأمر». بينما تقف وتتنهد في تعب تذكر أنها لا تستطيع فعل الشيء ذاته لنفسها. وبالفعل اكتفت بشرب القليل من الشاي، رافضة الخبز والجبن اللذين ألح (لان) عليها بهما. قبل أن تتكوم على نفسها بجوار النار. بدت أنها قد غرقت في النوم في اللحظة التي تدثرت فيها بعباءتها.

البقية جميعًا - باستثناء (لان) - خلدوا إلى النوم أينما وجدوا مساحة كافية لتمديد أجسادهم، ولم يستطع (راند) أن يتخيل السبب، كان يشعر كأنه قد نام ليلة كاملة في فراش وثير. ولكنه بمجرد أن اتكأ برأسه على الجدار الخشبي حتى غلبه النوم. عندما وكزه (لان) ليوقظه بعد ساعة أحس كأنه قد نام ثلاثة أيام.

أيقظهم (الحامي) جميعًا باستثناء (مويرين)، وهو يشير إليهم بصرامة ألا يصدروا أدنى صوت قد يزعجها. ورغم هذا لم يسمح لهم إلا بالبقاء لوقت قصير في كهف الأشجار المريح. قبل أن ترتفع الشمس ضعف طولها فوق الأفق كانت كل الآثار التي تدل على توقف أحد هنا قد مُحِيَت. ثم امتطوا خيولهم وتحركوا شمالًا ناحية (بايرلون) ببطء للحفاظ على طاقة الخيول. كانت عينا (الآيز سيداي) محاطتين بهالتين سوداوين، ولكنها جلست باعتدال وثبات على سرجها.

كان الضباب لا يزال معلقًا بكثافة فوق النهر من ورائهم، جدار رمادي يقاوم جهود الشمس الضعيفة لتبديده، مخفيًا أرض (النهرين) عن الأنظار. نظر (راند) وراءه من فوق صهوة حصانه على أمل أن يرى لمحة أخيرة - حتى من (تارين فيري) - إلى أن اختفت الضفة الضبابية عن الأنظار.

عندما أخفت الأشجار أخيرًا الضباب والنهر قال: «لم أعتقد قط أنني قد أبتعد عن الديار إلى هذا الحد. هل تذكران عندما بدا الطريق إلى (واتش هيل) طويلًا؟». كان هذا منذ يومين ولكنه بدا كدهر كامل.

قال (بيرين) بصوت مُجهَد: «سوف نعود في غضون شهر أو شهرين، فكرا فيما سيكون بمقدورنا أن نحكيه».

قال (مات): «حتى (الترولوكيون) لا يستطيعون أن يطاردونا إلى الأبد. بحق (النور) لا يستطيعون هذا». ثم التفت أمامه وهو يتنهد بعمق، وقد أطرق بكتفيه على سرجه كأنه لا يصدق كلمة مما قاله.

قالت (إيجوين) بسخرية: «يا للرجال! لقد نلتم المغامرة التي لطالما تمنيتموها، وها أنتم تتحدثون بالفعل عن الديار». ثم شمخت برأسها، ولكن (راند) لاحظ رجفة في صوتها، فلم يعد هناك شيء يمكن رؤيته من (النهرين).

لم تبذل (مويرين) أو (لان) أي محاولة لطمأنتهم، ولا كلمة تشير إلى أنهم سيعودون بالطبع. حاول ألا يفكر فيما قد يعنيه هذا، فرغم أنه قد استراح، إلا أن ما يملأه من شكوك كان كافيًا، دون الحاجة إلى البحث عن المزيد. بينما هو منحنٍ على سرجه راوده حلم يقظة وهو يرعى الأغنام جنبًا إلى جنب مع (تام)، في مرعى من حشائش كثيفة ومورقة، والعصافير تغني في صباح ربيعي، ورحلة إلى (إيموندز فيلد)، والاحتفال بعيد (بِل تاين) كما كان دومًا، راقصًا في (الساحة الخضراء) دون أن يشغل باله بشيء أكثر من عدم تعثره في خطواته. استطاع أن يغرق في حلم اليقظة هذا لفترة طويلة.

استغرقت الرحلة إلى (بايرلون) ما يقرب من أسبوع. تمتم (لان) بشيء عن تباطؤ رحلتهم، ولكن كان هو من حدد وتيرة الحركة، وأجبر البقية على الحفاظ عليها. أسرع بحصانه (ماندارب) ـ قال إن اسمه يعني «النصل» في اللغة القديمة ـ ليسبقهم قاطعًا ضعف المسافة التي يقطعونها،

وعباءته متغيرة الألوان تخفق في الرياح، لكي يستطلع ما يقع أمامهم، أو متراجعًا إلى الوراء ليتفحص الطريق الذي قطعوه. ولكن أي شخص آخر يحاول أن يتحرك بسرعة أكبر من المشي كان يتلقى كلمات موبخة عن الاعتناء بحصانه أو كلمات لاذعة عما سيفعله سيرًا على قدميه إذا ظهر (الترولوكيون). حتى (مويرين) لم تكن منيعة في وجه لسانه إن تركت فرسها البيضاء تسرع في سيرها. كان اسم الفرس (آلديب)، الذي يعني في اللغة القديمة «رياح الغرب»، الرياح التي تجلب أمطار الربيع.

لم ينتج عن استطلاع (الحامي) أي إشارة عن ملاحقة أو كمين، لم يكن يتحدث عما يراه إلا إلى (مويرين)، وبصوت خفيض للغاية حتى لا يقدر شخص آخر على سماعه، وكانت (الآيز سيداي) تخبر بقيتهم بما ترى أنهم بحاجة إلى معرفته. في البداية كان (راند) ينظر وراءه بقدر ما ينظر أمامه، ولم يكن الشخص الوحيد الذي يفعل هذا، كان (بيرين) يتحسس فأسه كثيرًا، بينما (مات) كان يمتطي حصانه في البداية وهو يضع سهمًا في قوسه. ولكن الأرض من ورائهم ظلت خاوية من (الترولوكيين) أو أي أشخاص في عباءات سوداء، وظلت السماء خاوية من (الدراكار). ببطء بدأ (راند) يفكر في أنهم ربما قد نجحوا بالفعل في الهرب.

لم يكن هناك الكثير من الأماكن للاختباء، حتى في أكثر الأجزاء كثافة في الغابة. كان الشتاء متشبثًا بقوة شمال (نهر تارين)، كما كان في (النهرين). مجموعات من أشجار الصنوبر والتنوب والكاسندرا، وهنا وهناك شجيرات متفرقة من الأرجوان والغار، تزين الغابة المكونة عدا ذلك من أغصان رمادية عارية من الأوراق، حتى الأشجار العتيقة لم تُنبت ورقة واحدة. وحدها الأغصان الخضراء المتناثرة للأشجار حديثة النمو تبرز في وجه المروج البنية التي أنهكتها ثلوج الشتاء. الكثير مما نما هنا أيضًا كان نبات القرّاص والنباتات الشوكية والأعشاب ذات الرائحة الكريهة. كان هناك بعض بقايا الثلج لا تزال موجودة على التراب العاري بأرضية الغابة في البقع الظليلة وفي المنجرفات أسفل الأغصان الخفيضة للأشجار

دائمة الخضرة. كان الجميع يقون عباءاتهم مضمومة جيدًا على أجسامهم، فضوء الشمس الشاحب لم يكن يبعث على الدفء، وبرودة الليل كانت تخترق أجسامهم حتى النخاع. لم يكن هناك طيور تحلق هنا أكثر من (النهرين)، ولا حتى غربان.

لم يكن هناك أي استرخاء في بطء حركتهم، إن (الطريق الشمالي) - واصل (راند) التفكير فيه على هذا النحو، رغم تخمينه أن له اسمًا آخر هنا شمال (نهر تارين) - لا يزال مستمرًا نحو الشمال، ولكن بسبب إصرار (لان) كان مسارهم يتعرج من هذا الطريق أو ذاك عبر الغابة بنفس مقدار سيرهم على الطريق الترابي الممهد. أحيانًا ما تجعلهم قرية أو مزرعة أو أي إشارة على وجود بشر أو حضارة يدورون لأميال لتجنبها، رغم أنه لم يقابلهم من هذه الأشياء سوى القليل. طيلة اليوم الأول لم يرَ (راند) أي دليل على مجيء البشر إلى هذه الغابة سوى هذا الطريق. خطر على باله أنه حتى عندما ذهب إلى سفح (جبال الضباب) فإنه ربما لم يكن بعيدًا عن التجمعات البشرية كما كان هذا اليوم.

أول مزرعة رآها - بيت ريفي كبير وحظيرة طويلة ذات أسقف محدبة من القش، وحلقة من الدخان تتصاعد من مدخنة حجرية - كانت صدمة بالنسبة له.

«إنها لا تختلف كثيرًا عن مزارعنا». قالها (بيرين) وهو يعقد حاجبيه ناظرًا إلى المباني البعيدة، التي يمكن رؤيتها بالكاد من بين الأشجار. كان هناك اشخاص يتحركون في باحة المزرعة دون أن يشعروا بوجود المسافرين.

قال (مات): «إنها مختلفة بالطبع ولكننا لم نقترب بما يكفي لكي نراها».

قال (بيرين) بإصرار: «أنا أقول لك إنها غير مختلفة».

«يجب أن تكون مختلفة، فنحن شمال (نهر تارين) على كل حال».

قال (لان) متذمرًا: «اصمتا أنتما الاثنين، هل نسيتما أننا لا نريد أن يرانا أحد؟ اتبعوني». ثم انعطف غربًا ليدور حول المزرعة من بين الأشجار.

نظر (راند) وراءه وهو يفكر أن (بيرين) محقٌّ؛ المزرعة تشبه إلى حد كبير أي مزرعة في (إيموندز فيلد). كان هناك ولد صغير يحمل ماءً من البئر، وفتية أكبر سنًّا يرعون الغنم من وراء سياج. لقد كان هناك حتى سقيفة تجفيف من أجل أوراق الطباق. ولكن (مات) كان محقًّا أيضًا؛ نحن شمال (نهر تارين)، يجب أن تكون مختلفة.

دومًا ما كانوا يتوقفون بينما الضوء لا يزال في السماء لاختيار بقعة يغطيها منحدر حجري من أجل تخفيف التعب، والاحتماء من الرياح التي نادرًا ما تتوقف ولكنها فقط تغير اتجاهها. دومًا ما تكون نيرانهم صغيرة ومخفية فلا يمكن رؤيتها إلا من على بعد بضعة أذرع، وبمجرد تحضير الشاي تُخْمَد النيران ويُدفَن الجمر.

عندما توقفوا لأول مرة قبل غروب الشمس بدأ (لان) يعلم الفتيان ما يجب عليهم فعله بالأسلحة التي يحملونها. بدأ بالقوس، وبعد أن شاهد (مات) وهو يصوب ثلاثة أسهم ليصيب عقدة بحجم رأس رجل على الجذع المتيبس لشجرة كاسندرا ميتة على بعد مئة قدم طلب من الآخرين أن يأخذا دوريهما. فعل (بيرين) مثل ما فعله (مات). أما (راند) فقد استحضر الشعلة والخواء، الهدوء الخاوي من أي فكر، الذي سمح للقوس أن يصير جزءً منه، أو أن يصير هو جزءً من القوس. ثم أصاب بأسهمه ثلاث نقاط متقاربة، حتى كادت تلمس بعضها. ربت (مات) على كتفه وهو يهنئه.

قال (الحامي) بنبرة جافة عندما بدأوا يتبسمون: «الآن إن كان لديكم أقواس، وإن وافق (الترولوكيين) على ألا يقتربوا كثيرًا بما لا يسمح باستخدامها...». اختفت الابتسامات على الفور. «دعوني أرى ما يمكنني أن أعلمه لكم في حال أن اقتربوا إلى هذا الحد».

عَلَّم (بيرين) القليل عن كيفية استخدام الفأس ذي النصل العظيم، إشهار فأس في وجه شخص ما أو شيء ما يحمل سلاحًا كان مختلفًا تمامًا عن تقطيع الحطب أو التلويح به أثناء التظاهر بالقتال. لقد وضع لمساعد الحداد سلسلة من التدريبات؛ الصد والتفادي والهجوم. ثم فعل المثل بالنسبة لـ(راند) وسيفه؛ لم تكن التدريبات قفزًا جامحًا في الأرجاء وتلويحًا بالسيف كما كان (راند) يعتقد كلما فكر في استخدامه، بل حركات سلسة تنساب إحداها إلى الأخرى، تكاد تكون رقصة.

قال (لان): «إن تحريك النصل ليس كافيًا، رغم أن البعض قد يعتقد هذا، العقل جزء من الأمر، الجزء الأكبر. فَرِّغ عقلك يا راعي الغنم، فرغه من الكراهية أو الخوف من كل شيء. احرق كل هذا حتى يتلاشى. وأنتما أنصتا إلى هذا أيضًا، يمكنكما استخدامه مع الفأس أو القوس، مع الرمح أو العصا، أو حتى القبضتين العاريتين».

حدق (راند) إليه وقال متعجبًا: «الشعلة والخواء، هذا ما تعنيه، أليس كذلك؟ لقد علمني والدي هذا».

نظر إليه (الحامي) نظرة مبهمة ثم قال: «أمسك السيف كما علمتك يا راعي الغنم، لا يمكنني أن أجعل قرويًّا موحل القدمين مبارزًا في غضون ساعة، ولكن يمكنني أن أجعلك تتفادى قطع قدميك».

تنهد (راند) ثم رفع السيف أمام وجهه بكلتا يديه. كانت (مويرين) تراقبهم دون أن تتغير تعابير وجهها، ولكنها في المساء التالي طلبت من (لان) مواصلة الدروس.

كانت وجبة العشاء هي دومًا نفس وجبتي الغداء والإفطار؛ الخبز والجبن واللحم المجفف، باستثناء الأمسيات التي يتناولون فيها الشاي الساخن للمساعدة على بلع الطعام بدلًا من الماء. كان (توم) يسليهم في الأمسيات، لم يكن (لان) ليسمح لصانع البهجة أن يعزف على القيثارة أو المزمار ـ قال (الحامي) إنه لا حاجة لجذب انتباه قاطني الريف ـ ولكن (توم)

كان يتلاعب بالكرات ويحكي الحكايات. (مارا والملوك الحمقى الثلاثة)، أو واحدة من مئات الحكايات عن (آنلا المستشارة الحكيمة)، أو حكاية مليئة بالمجد والمغامرة مثل (الصيد العظيم للبوق)، ولكنها دومًا ما تكون بنهاية سعيدة وعودة مبهجة إلى الديار.

كانت السكينة تسود الأرض من حولهم فلم يظهر أي (ترولوكيين) بين الأشجار، ولم يظهر أي (دراكار) بين السحب، ومع هذا بدا لـ(راند) أنهم قد استطاعوا رفع توترهم بأنفسهم كلما كان على وشك الزوال.

كان هناك صباح استيقظت فيه (إيجوين) وبدأت تفك ضفيرة شعرها. راقبها (راند) من طرف عينه وهو يلف بطانياته. في كل مساء عندما تخمد النيران يخلد الجميع إلى النوم في بطانياتهم باستثناء (إيجوين) و(الآيز سيداي). دومًا ما تتنحى المرأتان جانبًا بعيدًا عن الآخرين وتتحدثان لساعة أو ساعتين، ولا تعودان إلا عندما ينام الجميع. مشطت (إيجوين) شعرها ـ مئة مشطة، لقد حسبهم ـ بينما هو يضع السرج على (كلاود) ويربط أكياس السرج والبطانية خلف السرج، ثم وضعت المشط في طيات ملابسها وتركت شعرها ينسدل على كتفيها قبل أن تجذب غطاء الرأس في عباءتها.

جفل وسألها: «ما الذي تفعلينه؟». نظرت إليه نظرة جانبية دون أن تجيبه. أدرك أن هذه هي المرة الأولى التي يتحدث إليها منذ يومين، منذ تلك الليلة التي أمضوها في الملجأ المصنوع من جذوع الأشجار على ضفة (نهر تارين)، ولكنه لم يدع هذا يوقفه. «لقد انتظرتِ طيلة حياتك أن تضفري شعرك، والآن تتخلين عن هذا؟ لماذا؟ لأنها لا تضفر شعرها؟».

أجابته ببساطة: «(الآيز سيداي) لا يضفرن شعرهن، على الأقل ما لم يرغبن في هذا».

«أنتِ لستِ (آيز سيداي)، أنتِ (إيجوين ألڤير) من (إيموندز فيلد)، و(دائرة النساء) ستنتابهن نوبة من الغضب إن استطعن رؤيتك الآن».

«إن شئون (دائرة النساء) ليست من اختصاصك يا (راند ألثور)، وأنا سأصير (آيز سيداي) بمجرد وصولي إلى (تار ڤالون).

قال بسخرية: «بمجرد وصولك إلى (تار ڤالون)، لماذا؟ فلتخبريني بحق (النور)، أنت لست من (أصدقاء الظلام)».

«هل تعتقد أن (مويرين سيداي) من (أصدقاء الظلام)؟ هل تعتقد هذا؟». ثم استدارت على عقبيها لتواجهه بقبضتين مضمومتين، وخُيِّل إليه أنها على وشك أن تضربه. «بعد أن أنقذت القرية؟ بعد أن أنقذت والدك؟».

«أنا لا أعرف ما هي، ولكن أيًّا ما كانت فإن هذا لا يخبر بشيء عن بقيتهن. الحكايات...».

«انضج يا راند! انسَ الحكايات واستخدم عينيك».

«لقد رأتها عيناي وهي تغرق المركب! فلتنكري هذا! ما إن تضعي فكرة في رأسك فإنك لا تتزحزحين عنها، حتى لو أشار أحدهم إلى أنك تحاولين الوقوف على الماء. إن لم تكوني حمقاء عمياء عن (النور) فإنك سترين...».

«أنا حمقاء؟ دعني أخبرك شيئًا أو اثنين يا (راند ألثور)؛ أنت الأغبى والأكثر حماقة...».

سألهما (الحامي): «هل تحاولان إيقاظ الجميع على مسافة عشرة أميال؟».

ظل (راند) واقفًا هناك فاغرًا فاه محاولًا أن ينطق بكلمة من جانبه، ثم أدرك فجأة أنه كان يصيح، أن كليهما كانا يصيحان.

اكتسى وجه (إيجوين) بحمرة الخجل، ثم دارت على عقبيها وهي تتمتم: «يا للرجال!». بدا أنها توجه هذا (للحامي) بقدر ما توجهه إليه.

جال (راند) بنظره في أرجاء المخيم بحذر، كان الجميع ينظرون إليه، وليس فقط إلى (الحامي)، (مات) و(بيرين) بوجهين شاحبين، (توم) متوترًا كما لو كان مستعدًّا للهرب أو القتال، (مويرين) بوجهٍ خالٍ من التعبيرات، ولكن بدا أن عينيها تخترقان رأسه. حاول يائسًا أن يتذكر ما قاله بالضبط عن (الآيز سيداي) و(أصدقاء الظلام).

قالت (مويرين): «حان وقت الذهاب». ثم توجهت إلى (آلديب)، فارتجف (راند) كأنما قد هرب من فخ. تساءل إن كان قد هرب حقًّا.

بعد ليلتين بينما النار توشك على أن تخمد لعق (مات) آخر فتات الجبن من على أصابعه وقال: «أتعرفان، أعتقد أنهم قد فقدوا أثرنا تمامًا». كان (لان) قد خرج إلى الليل ليلقي نظرة أخيرة في الأرجاء. بينما تنحت (مويرين) و(إيجوين) جانبًا من أجل واحدة من محادثاتهما. أما (توم) فكان شبه نائم وهو يدخن غليونه فانفرد الفتية الثلاثة بالنار لأنفسهم.

أجابه (بيرين) وهو يكز الجمرات بعصا في شرود: «إن كانوا قد فقدوا أثرنا فلماذا يواصل (لان) الاستطلاع؟». تقلب (راند) مديرًا ظهره إلى النار وقد أوشك على النوم.

استلقى (مات) على ظهره شابكًا أصابعه خلف رأسه محدقًا إلى السماء التي يملأها القمر وقال: «لقد فقدوا أثرنا في (تارين فيري)، إن كانوا يتعقبوننا هناك حقًّا».

سأله (بيرين): «هل تعتقد أن ذلك (الدراكار) كان يلاحقنا لأنه معجب بنا؟».

أكمل (مات) حديثه كأن (بيرين) لم يتكلم: «أنا أقول إن علينا أن نكف عن القلق بشأن (الترولوكيين) وهذه الأشياء ونبدأ في التفكير بشأن رؤية العالم، لقد خرجنا إلى المكان الذي تأتي منه الحكايات. كيف تبدو أي مدينة حقيقية برأيك؟».

قال (راند) ناعسًا: «نحن ذاهبون إلى (بايرلون)».

ولكن (مات) قال ساخرًا: «إن (بايرلون) لا بأس بها، ولكني رأيت تلك الخريطة القديمة التي يمتلكها السيد (ألڤير). إذا اتجهنا جنوبًا بمجرد وصولنا إلى (كايملين) فإن الطريق سيؤدي بنا إلى (إليان) وما ورائها».

سأله (بيرين) وهو يتثاءب: «ما المميز بشأن (إليان)؟».

أجابه (مات): «على سبيل المثال (إليان) ليست مليئة بالآيز سيد...».

خيم الصمت عليهم وأحس (راند) باليقظة التامة فجأة. لقد عادت (مويرين) مبكرًا. كانت (إيجوين) معها ولكن ما جذب انتباههم كانت (الآيز سيداي) التي تقف على حافة ضوء النار. ظل (مات) مستلقيًا على ظهره وهو لا يزال فاغرًا فاه محدقًا إليها. لمعت عينا (مويرين) في الضوء كحجرين أسودين مصقولين. فجأة تساءل (راند) عن الوقت الذي قضته واقفة هناك.

بدأ (توم) حديثه قائلًا: «لقد كان الفتية فقط...».

ولكن (مويرين) قاطعت حديثه قائلة: «أنتم مستعدون للاستسلام بالفعل بعد بضعة أيام من الراحة». كان صوتها الهادئ الرزين يتناقض بحدة مع عينيها. «لقد نسيتم بالفعل ما حدث في (ليلة الشتاء) بعد يوم أو اثنين من الهدوء».

قال (بيرين): «لم ننسَ، الأمر وما فيه...».

قاطعته (الآيز سيداي) كما فعلت مع صانع البهجة دون أن ترفع صوتها: «هل هذا هو شعوركم؟ أنتم متلهفون للهرب إلى (إليان) وتناسي

(الترولوكيين) و(أنصاف البشر) و(الدراكار)؟». تفحصتهم جميعًا بعينيها . البريق الصخري مع نبرة الصوت الهادئة جعل (راند) يشعر بعدم الارتياح . ولكنها لم تعطِ أيًّا منهم فرصة للحديث. «(سيد الظلام) يسعى وراء ثلاثتكم، واحد منكم أو جميعكم. وإذا سمحت لكم بالهرب أينما تريدون فسوف يمسك بكم. أيًّا كان ما يريده (سيد الظلام) فأنا أعارضه. لذا اسمعوا هذا وافهموه جيدًا؛ سأدمركم بنفسي قبل أن أسمح لـ(سيد الظلام) بالإمساك بكم».

كان صوتها الذي يقر الأمر ببساطة هو ما أقنع (راند)، ستفعل (الآيز سيداي) ما قالته بالضبط إن رأت أنه ضروري. واجه صعوبة في النوم هذه الليلة، ولم يكن الشخص الوحيد. حتى صانع البهجة لم يغط في النوم إلا بعد وقت طويل من انطفاء آخر الجمرات. وهذه المرة لم تقدم (مويرين) أي مساعدة.

هذه المحادثات الليلية بين (إيجوين) و(الآيز سيداي) كانت أمرًا مزعجًا بالنسبة لراند، كلما اختفيتا في الظلام متنحيتين جانبًا بعيدًا عن البقية من أجل الخصوصية كان يتساءل ما الذي تتحدثان عنه وما الذي تفعلانه. ما الذي تفعله (الآيز سيداي) بـ(إيجوين)؟

ذات ليلة انتظر حتى نام الرجال الآخرون وغط (توم) في نومه كمنشار يقطع عقدة بلوط، ثم تسلل وهو يحيط نفسه ببطانيته، مستخدمًا كل جزء من المهارة التي اكتسبها في تعقب الأرانب، تحرك مع ظلال القمر حتى ربض عند قاعدة شجرة كاسندرا طويلة بأوراق كثيفة عريضة صلبة، قريبًا بما يكفي لسماع (مويرين) و(إيجوين)، حيث تجلسان على جذع شجرة ملقى أرضًا في ضوء مصباح صغير.

كانت (مويرين) تقول: «اسألي وإن كنت قادرة على أن أجيبك الآن فسأفعل. فلتفهمي أن هناك الكثير مما لم تستعدي له بعد، أشياء لا

يمكنك تعلمها حتى تتعلمي أشياء أخرى تتطلب هي أيضًا تعلم أشياء أخرى قبلها. ولكن اسألي كما تشائين».

قالت (إيجوين) ببطء: «القوى الخمسة؛ الأرض والرياح والنار والماء والروح. لا يبدو من العدل أن يكون الرجال الأقوى في استخدام الأرض والنار. لِمَ يجب أن يكون لديهم أقوى قوتين؟».

ضحكت (مويرين) وقالت: «هل هذا ما تعتقدينه يا طفلتي؟ هل هناك صخرة أصلب من أن تجعلها الرياح والماء تتآكل، أو نيران أقوى من أن تخمدها الماء أو تطفئها الرياح؟».

ظلت (إيجوين) صامتة لبعض الوقت وهي تغرس إبهام قدمها في أرضية الغابة قبل أن تقول: «لقد كانوا... لقد كانوا هم من... من حاولوا تحرير (سيد الظلام) و(الملعونين)، أليس كذلك؟ (الآيز سيداي) الذكور؟». ثم أخذت نفسًا عميقًا وقالت بنبرة متسارعة: «النساء لم يكن جزءً من الأمر، كان الرجال هم من أُصيبوا بالجنون وحطموا العالم».

قالت (مويرين) بوجوم: «أنتِ خائفة، لو أنكِ بقيتِ في (إيموندز فيلد) لصرتِ حكيمة في الوقت المناسب، كانت هذه هي خطة (ناينيڤ)، أليس كذلك؟ أو كنتِ ستجلسين في (دائرة النساء) وتديرين شئون (إيموندز فيلد) بينما (مجلس القرية) يعتقدون أنهم يفعلون هذا. ولكنك فعلتِ ما لا يمكنك تصوره، لقد رحلتِ عن (إيموندز فيلد)، رحلتِ عن (النهرين) بحثًا عن المغامرة، لقد أردت أن تفعلي هذا وفي الوقت ذاته تخافين منه، ولكنك ترفضين بعناد أن يتغلب الخوف عليكِ. لولا هذا ما كنتِ لتسأليني كيف تصير المرأة واحدة من (الآيز سيداي)، وما كنتِ لتلقي بالعادات والتقاليد وراء ظهرك».

قالت (إيجوين) محتجة: «لا، أنا لست خائفة، أنا أرغب في أن أصير (آيز سيداي)».

«من الأفضل لكِ أن تكوني خائفة. ولكني آمل أن تتمسكي بهذه القناعة. قلة من النساء هذه الأيام لديهن القدرة على أن يصرن متدربات، وأقل القليل يرغبن في هذا». بدا صوت (مويرين) كأنما تحدث نفسها. «بالتأكيد لم يكن هناك اثنتان في قرية واحدة من قبل. الدماء القديمة لا تزال قوية في (النهرين)».

تململ (راند) في الظلال فانكسر غصن صغير تحت قدمه، تجمد في موضعه على الفور وهو يتصبب عرقًا ويحبس أنفاسه، ولكن لم تتلفت أي من المرأتين حولها.

صاحت (إيجوين): «اثنتان؟ من أيضًا؟ هل هي (كاري ثاين)؟ (لارا آيلان)؟».

طقطقت (مويرين) بلسانها في غضب ثم قالت بصرامة: «يجب أن تنسي أنني قلت هذا. أخشى أن دربها يكمن في طريق آخر. فلتشغلي نفسك بظروفك الخاصة، إن الطريق الذي اخترتِه ليس سهلًا».

قالت (إيجوين): «أنا لن أدير ظهري».

«أيًّا ما كان الأمر، فأنتِ ما زلتِ تحتاجين إلى طمأنينة، وأنا لا أستطيع منحك إياها، ليس بالطريقة التي تريدينها».

«لا أفهم».

«أنت تريدين أن تعرفي أن (الآيز سيداي) طيبات ونقيات وأن هؤلاء الرجال الأشرار من الأساطير هم من تسببوا في تحطيم العالم، وليس النساء. حسنًا لقد كانوا الرجال، ولكنهم لم يكونوا أكثر شرًّا من أي رجال، لقد كانوا مجانين وليس أشرارًا. (الآيز سيداي) اللائي ستلتقين بهن في (تار ڤالون) هم بشر، لا يختلفن عن أي نسوة أخريات باستثناء القدرات التي تميزنا عنهن. من بينهن من تتحلى بالشجاعة أو الجبن، بالقوة أو

الضعف، بالطيبة أو القسوة، بالحميمة أو البرود. إن كونك واحدة من (الآيز سيداي) لن يغير من طبيعتك».

أخذت (إيجوين) نفسًا عميقًا ثم قالت: «أعتقد أنني كنت أخشى هذا، أن (القوة الواحدة) ستغيرني. بالإضافة إلى خشيتي من (الترولوكيين) و(العاتم)، و... بحق (النور) يا (مويرين سيداي)، لماذا جاء (الترولوكيون) إلى (إيموندز فيلد)؟».

مالت رأس (الآيز سيداي) ونظرت مباشرة إلى موضع اختباء (راند). اختنقت أنفاسه في حلقه. كانت عيناها صارمتين مثلما كانتا بينما هي تهددهم، وأحس بأنهما تستطيعان اختراق أغصان الكاسندرا كثيفة الأوراق. *بحق (النور) ماذا ستفعل إن أدركت أنني أسترق السمع؟*

حاول أن يذوب مرة أخرى في الظلال الأكثر كثافة. بينما عيناه معلقتان على المرأتين تعثرت قدمه بأحد جذور الشجرة وبالكاد تمالك نفسه لكيلا يسقط فوق مجموعة من الأغصان اليابسة كانت ستفصح عن موضعه مع تكسرها وطقطقتها كألعاب نارية. أخذ يلهث وهو يسرع مبتعدًا عن المكان على أطرافه الأربعة دون أن يصدر عنه صوت بسبب الحظ أكثر من مهارته. كان قلبه يخفق بشدة حتى اعتقد أنه قد يفصح عن موضعه بدوره. *أيها الأحمق! تسترق السمع إلى حديث واحدة من (الآيز سيداي)!*

عاد إلى حيث ينام الآخرون واستطاع أن يتسلل بينهم بصمت. تحرك (لان) عندما استلقى على الأرض وجذب البطانية على جسده، ولكن (الحامي) استرخى مجددًا وهو يتنهد، لقد كان يتقلب في نومه فقط. تنفس (راند) الصعداء في صمت.

بعد لحظة ظهرت (مويرين) من الليل وتوقفت حيث يمكنها أن تتفحص الأجسام النائمة. صنع ضوء القمر هالة نورانية من حولها. أغلق (راند) عينيه وتنفس بشكل منتظم بينما يصغي السمع لأي خطوات أقدام

تقترب. لم تقترب أي خطوات أقدام وعندما فتح عينيه مرة أخرى كانت قد اختفت.

عندما جاء النوم أخيرًا كان متقطعًا ومليئًا بالكوابيس، حيث كان كل الرجال في (إيموندز فيلد) يزعمون أنهم (التنين العائد)، وكل النساء لديهن جواهر زرقاء في شعرهن كتلك التي كانت (مويرين) ترتديها. لم يحاول أن يسترق السمع إلى حديث (مويرين) و(إيجوين) مرة أخرى.

امتدت الرحلة البطيئة ليوم سادس، كانت الشمس الباردة تميل ببطء ناحية قمم الأشجار، بينما مجموعة من السحب الرقيقة تنجرف عاليًا نحو الشمال. هبَّت الرياح بقوة للحظة فضم (راند) عباءته على كتفيه وهو يتمتم لنفسه. تساءل إن كانوا سيصلون إلى (بايرلون). المسافة التي قطعوها من النهر كانت أكثر من كافية لتأخذهم من (تارين فيري) إلى (النهر الأبيض). لكن كلما سألوا (لان) كان يقول إنها مجرد رحلة قصيرة، بل بالكاد يمكن تسميتها رحلة على الإطلاق. جعله هذا يشعر بالضياع.

ظهر (لان) أمامهم في الغابة عائدًا من واحدة من جولاته الاستطلاعية. أبطأ من حركة حصانه وسار بجوار (مويرين) وقد أحنى رأسه بالقرب من رأسها.

تجهم (راند) ولكنه لم يسأل أي أسئلة. كان (لان) يتجاهل ببساطة أي أسئلة توجه إليه.

وحدها (إيجوين) من بين البقية بدا عليها أنها قد لاحظت عودة (لان)، لقد صارا معتادين على هذا الاتفاق، وقد نأت بنفسها عنه أيضًا. ربما تتصرف (الآيز سيداي) كأن (إيجوين) مسؤولة عن القادمين من (إيموندز فيلد)، ولكن هذا لم يمنحها دورًا عند عودة (الحامي) لتقديم تقاريره. كان (بيرين) يحمل قوس (مات) غارقًا في صمت واجم، بدا أنه يغلفهم أكثر كلما ابتعدوا عن (النهرين). إن سير الخيول البطيء منح (مات) فرصة

للتدرب على التلاعب بثلاثة أحجار صغيرة، تحت إشراف (توم ميريلين). كان صانع البهجة يعطيهم دروسًا كل ليلة تمامًا مثل (لان).

انتهى (لان) مما كان يقوله لـ (مويرين) فاستدارت في سرجها لتنظر وراءها إلى الآخرين. حاول (راند) ألا يتخشب أثناء مرور عينيها عليه. هل استقرت عيناها عليه للحظة أكثر من البقية؟ كان لديه شعور قلق بأنها تعرف من الذي كان يسترق السمع إليها في ظلمة تلك الليلة.

ناداه (مات): «انظر يا (راند) يمكنني أن أتلاعب بأربعة أحجار!».

أجابه (راند) بأن لوَّح بيده دون أن ينظر إليه. «لقد أخبرتك أني سأصل إلى أربعة قبلك. أنا... انظر!».

كانوا قد صعدوا قمة تل منخفض، وتحتهم على مسافة ميل من بين الأشجار البارزة وظلال المساء الممتدة تقع (بايرلون). شهق (راند) محاولًا أن يبتسم ويفغر فاه في الوقت ذاته.

كان هناك سور من جذوع خشبية بارتفاع عشرين قدمًا تقريبًا يحيط بالبلدة كلها، تتناثر على طوله أبراج مراقبة خشبية. بالداخل تتلألأ أسقف البيوت المصنوعة من الأردواز مع أشعة الشمس الغاربة، كما تتصاعد خيوط الدخان من المداخن. مئات المداخن. لم يكن بإمكانهم رؤية سقف واحد مصنوع من القش. كان هناك طريق عريض يمتد شرقًا من البلدة وآخر غربًا. بكل واحد منها ما لا يقل عن اثنتي عشرة عربة، وضعف هذا العدد من الثيران التي تجرها نحو السور الخشبي. كانت المزارع التي تتناثر حول البلدة تزداد كثافة نحو الشمال، بينما في الجنوب لم يكن هناك سوى عدد قليل منها يتخلل الغابة، ولكن (راند) لم يُبالِ بها. كانت أكبر من (إيموندز فيلد) و(واتش هيل) و(ديفن رايد) مجتمعين! وربما (تارين فيري) أيضًا.

قال (مات) بذهول وهو يميل للأمام على عنق حصانه محدقًا: «إذن فهذه مدينة».

هز (بيرين) رأسه وقال: «كيف يمكن لهذا العدد الكبير من الناس أن يعيشوا في مكان واحد؟».

أما (إيجوين) فقد اكتفت بالتحديق.

نظر (توم ميريلين) إلى (مات) ثمَ زفر وقال بسخرية: «مدينة!».

قالت (مويرين): «وماذا عنك يا (راند)؟ ما هو انطباعك عن رؤية (بايرلون) للمرة الأولى؟».

قال ببطء: «أعتقد أنها بعيدة للغاية عن الديار». فضحك (مات) ضحكة حادة.

قالت (مويرين): «ما زال عليك الابتعاد أكثر، أكثر بكثير. ولكن لا يوجد أي خيار آخر سوى الهرب والاختباء والهرب مرة أخرى لبقية حياتكم. وسوف تكون حياتكم قصيرة، يجب أن تتذكروا هذا عندما تصير رحلتكم شاقة، ليس لديكم خيار».

تبادل (راند) النظرات مع (مات) و(بيرين)، وبدا على وجيههما أنهما يفكران في نفس الشيء مثله. كيف يمكن أن تتحدث وكأن لديهم أي خيار بعد ما قالته؟ *لقد حسمت (الآيز سيداي) اختياراتنا.*

أكملت (مويرين) حديثها كأن أفكارهم لم تكن واضحة: «الخطر يبدأ مرة أخرى هنا. انتبهوا لما تقولونه داخل هذه الأسوار، وفي المقام الأول لا تذكروا (الترولوكيين) أو (أنصاف البشر) أو أي شيء من هذا القبيل. يجب عليكم حتى ألا تفكروا في (سيد الظلام). البعض في (بايرلون) يكنون (للآيز سيداي) حبًّا أقل مما يكنه لهن قاطنو (إيموندز فيلد)، وربما يكون هناك حتى بعض (أصدقاء الظلام)». شهقت (إيجوين)، وغمغم (بيرين) بصوت غير مسموع، وشحب وجه (مات). ولكن (مويرين) أكملت بهدوء: «يجب أن نجذب أقل قدر ممكن من الاهتمام». كان (لان) يُبَدِّل عباءته ذات الألوان الرمادية والخضراء المتغيرة بعباءةٍ عادية

ذات لون بني داكن، ولكنها كانت جميلة التصميم ومصنوعة من قماش فاخر. تحولت عباءته متغيرة الألوان إلى انتفاخ كبير في أكياس سرجه. أكملت (مويرين) حديثها قائلة: «لن نستخدم أسماءنا الحقيقية هنا. أنا معروفة هنا باسم (أليس)، و(لان) باسم (أندرا). تذكروا هذا. حسنًا، دعونا ندلف إلى داخل الأسوار قبل أن يخيم علينا الليل، إن بوابات (بايرلون) تُغلق من غروب الشمس حتى شروقها».

تقدمهم (لان) ليهبطوا التل ويعبروا الغابة ناحية السور الخشبي. مروا في طريقهم ببعض المزارع، ولكن أيًّا منها لم يكن قريبًا من الطريق، ولم يلاحظهم أي من الأشخاص المنهمكين في إنهاء أعمالهم. انتهى الطريق عند بوابة خشبية ثقيلة مُدعمة بمفاصل عريضة من الحديد الأسود. كانت مغلقة بإحكام رغم أن الشمس لم تغرب بعد.

اقترب (لان) بحصانه من السور وجذب حبلًا باليًا متدليًا بجوار البوابة، فدوى صوت جرس على الجانب الآخر من السور. فجأة ظهر وجه متغضن تحت قبعة قماشية مهترئة وهو ينظر لأسفل بريبة من أعلى السور، محدقًا من بين جزء مفتوح بين جذعين من الخشب، من على مسافة ثلاثة باعات فوق رؤوسهم.

«ما كل هذا؟ لقد فات الأوان هذا اليوم على فتح هذه البوابة. أقول لكم فات الأوان. فلتذهبوا إلى بوابة (الجسر الأبيض) إذا أردتم أن...». تحركت (مويرين) بفرسها إلى حيث يمكن أن يراها الرجل الموجود أعلى السور بوضوح. فجأة ازدادت التجاعيد حول فمه المبتسم متفلج الأسنان، وبدا أنه يرتجف ما بين حديثه وتأدية واجبه. «لم أكن أعرف أنه أنتِ يا سيدتي. انتظروا سأهبط على الفور. فقط انتظروا، أنا قادم، أنا قادم.».

اختفى الرأس عن الأنظار، ولكن (راند) كان لا يزال باستطاعته سماع صيحات مكتومة تطلب منهم أن يبقوا مكانهم وأنه قادم. تأرجح مصراع البوابة الأيمن ببطء إلى الخارج مع صوت صرير عظيم ناتج عن قلة

الاستخدام. توقف المصراع عندما صار مفتوحًا بما يكفي لعبور حصانٍ واحد في المرة، ثم أطل الحارس برأسه من الفجوة مبتسمًا لهم بفمه الأفلج مرة أخرى قبل أن يتراجع إلى الوراء مفسحًا لهم الطريق. دلفت (مويرين) وراء (لان) ومن ورائها (إيجوين).

تحرك (راند) بـ(كلاود) وراء (بيلا) فوجد نفسه في شارع ضيق على جانبه أسيجة خشبية ومستودعات طويلة بلا نوافذ، وأبوابها العريضة مغلقة بإحكام. كانت (مويرين) و(لان) قد ترجلا عن حصانيهما بالفعل وهما يتحدثان إلى حارس البوابة ذي الوجه المتغضن، فترجل (راند) عن حصانه هو أيضًا.

كان الرجل الضئيل . الذي يرتدي عباءة ومعطفًا مرتقين كثيرًا . يمسك قبعته القماشية منكمشة في إحدى يديه ويحني رأسه كلما تكلم. اختلس النظر إلى هؤلاء الذين يترجلون عن خيولهم وراء (لان) و(مويرين)، ثم هز رأسه وقال مبتسمًا: «قرويون من الريف الجنوبي. لم حملت على عاتقك جمع قرويين من الريف الجنوبي بتبن في شعرهم يا سيدة (أليس)؟». ثم نظر إلى (توم ميريلين) وقال: «أنت لست راعي غنم، أتذكر أني سمحت لك بالمرور منذ عدة أيام. ألم يعجبوا بحيلك في الريف الجنوبي يا صانع البهجة؟».

قال (لان) وهو يضع عملة في يد الرجل الأخرى: «آمل أنك تذكرت نسيان أنك سمحت لنا بالمرور يا سيد (آفين)، وأنك سمحت لنا بالعودة أيضًا».

«لا حاجة لهذا يا سيد (أندرا)، لا حاجة لهذا، لقد أعطيتني الكثير عند خروجكما، الكثير». ولكن في نفس الوقت جعل (آفين) العملة تختفي بمهارة كأنما هو صانع بهجة أيضًا. «لم أخبر أحدًا، ولن أخبر أحدًا أيضًا. خصوصًا أصحاب العباءات البيضاء». أنهى عبارته متجهمًا وزم شفتيه ليبصق، ثم نظر إلى (مويرين) فازدرد لعابه بدلًا من هذا.

رمش (راند) بعينيه ولكنه أبقى فمه مغلقًا. فعل البقية مثله. رغم أن (مات) بدا عليه أنه بذل مجهودًا شاقًّا. قال (راند) لنفسه بتعجب؛ *(أبناء النور)*. تتباين الحكايات التي يرويها الباعة الجائلون والتجار وحراسهم عن (أبناء النور) ما بين الإعجاب والكراهية، ولكن جميعهم يتفقون على أن (أبناء النور) يكرهون (الآيز سيداي) بقدر كراهيتهم لـ(أصدقاء الظلام). وتساءل إن كان هذا يعني المزيد من المتاعب بالفعل.

سأله (لان): «(أبناء النور) هنا في (بايرلون)؟».

أومأ حارس البوابة برأسه وقال: «إنهم هنا بالفعل، لقد أتوا في نفس اليوم الذي غادرتما فيه حسبما أتذكر. لا أحد هنا يحبهم على الإطلاق، معظمنا لا يبوح بهذا بالطبع».

سألته (مويرين) باهتمام: «هل قالوا لماذا هم هنا؟».

«لماذا هم هنا يا سيدتي؟». كان (آفين) مندهشًا للغاية حتى أنه نسي أن يحني رأسه. «بالطبع لقد قالوا لماذا... أوه، نسيت. لقد كنتما بالريف الجنوبي، على الأرجح أنتما لم تسمعا شيئًا سوى ثغاء الأغنام. يقولون إنهم هنا بسبب ما يحدث في (غيلدان)؛ (التنين)... أو هذا الذي يسمي نفسه (التنين). يقولون إن هذا الرجل يؤجج الشر. وهو ما أتوقع أن يفعله. وهم هنا للقضاء عليه. ولكنه هناك في (غيلدان) وليس هنا. مجرد حجة لدس أنوفهم في شئون الآخرين، هذا ما أخمنه. إن (ناب التنين) موجود بالفعل على أبواب بعض الناس». وهذه المرة بصق بالفعل.

قال (لان): «هل سببوا الكثير من المتاعب إذن؟».

فهز (آفين) رأسه بحماس وقال: «لا، رغم اعتقادي بأن هذا ما يريدونه، ولكن الحاكم لا يثق فيهم أكثر من ثقتي أنا فيهم. إنه لا يسمح بوجود أكثر من قرابة عشرة منهم بداخل الأسوار في المرة الواحدة، وهذا يغضبهم بالتأكيد. سمعت أن البقية لديهم معسكر على بعد مسافة قصيرة شمالًا. أراهن أنهم يجعلون المزارعين يتلفتون حولهم. هؤلاء الذين يأتون يكتفون

بالسير في الأرجاء بعباءاتهم البيضاء، والنظر بعجرفة إلى الأناس الصالحين. يقولون امشِ في (النور)، وهو أمر منهم. لقد كادوا أن يتشاجروا أكثر من مرة مع سائقي العربات وعمال المناجم والمصاهر وما إلى ذلك، وحتى مع الحرس. ولكن الحاكم يريد أن يكون كل شيء سلميًّا. وهذا هو الحال حتى الآن. إذا كانوا يرغبون في ملاحقة الشر فلم لا يذهبون إلى (سالدايا)؟ يوجد بعض المتاعب هناك كما سمعت. أو جنوبًا إلى (غيلدان)؟ يقولون إن معركة كبيرة اندلعت هناك، كبيرة حقًّا».

أخذت (مويرين) نفسًا هادئًا وقالت: «سمعت أن (الآيز سيداي) ذاهبات إلى (غيلدان)».

أومأ (آڤين) برأسه مرة أخرى وقال: «أجل يا سيدتي، لقد ذهبن إلى (غيلدان) بالفعل، وهذا ما تسبب في اندلاع المعركة، أو هكذا سمعت. يقولون إن بعض هؤلاء (الآيز سيداي) قد لقين حتفهن، ربما جميعهن. أنا أعرف أن بعض الناس لا يحبون (الآيز سيداي)، ولكني أقول من غيرهن سيوقف تنينًا كاذبًا؟ وهؤلاء الحمقى الذين يعتقدون أن بإمكانهم أن يصبحوا (آيز سيداي) رجال أو شيئًا كهذا، ماذا عنهم؟ بالطبع يقول البعض - ليس أصحاب العباءات البيضاء وليس أنا ولكن بعض الناس - إن هذا الرجل هو حقًّا (التنين العائد)، سمعت أن باستطاعته أن يفعل أشياء، أن يستخدم (القوة الواحدة). هناك آلاف يتبعونه».

قال (لان) بحدة: «لا تكن أحمق».

فتغضن وجه (آڤين) في أسى وقال: «أنا لا أقول سوى ما سمعته، أليس كذلك؟ فقط ما سمعته يا سيد (أندرا). البعض يقول إنه يحرك جيوشه شرقًا وجنوبًا باتجاه (تير)». ثم قال بطريقة ذات مغزى: «يقولون إنه قد أطلق عليهم اسم (قوم التنين)».

قالت (مويرين) بهدوء: «الأسماء لا تعني الكثير». إن كان شيء مما سمعته قد أزعجها فإنها لم تُبدِ إشارة ظاهرة على هذا في تلك اللحظة. «يمكنك أن تسمي بغلك (قوم التنين) إذا أردت».

ضحك (آڤين) وقال: «هذا مستبعد يا سيدتي. وبالتأكيد ليس مع وجود أصحاب العباءات البيضاء في الأرجاء. أنا لا أتوقع أيضًا أن يتسامح أحد مع اسم كهذا. أفهم ما تعنينه ولكن... أوه، لا يا سيدتي، ليس بغلي».

قالت (مويرين): «قرار حكيم بلا شك. يجب أن نذهب الآن».

قال (آڤين) وهو يُحني رأسه بشدة: «ولا تقلقي يا سيدتي، أنا لم أرَ أحدًا». ثم اندفع إلى مصراع البوابة وبدأ يغلقه وهو يجذبه بحركات متتالية سريعة. «لم أرَ شخصًا، ولم أرَ شيئًا». انغلق مصراع البوابة بقوة، ثم أنزل المزلاج المعدني بحبل. «في الواقع يا سيدتي هذه البوابة لم تفتح منذ أيام».

قالت (مويرين): «فليشرق عليك (النور) يا (آڤين)».

ثم تقدمتهم مبتعدة عن البوابة. نظر (راند) وراءه مرة واحدة، كان (آڤين) لا يزال واقفًا أمام البوابة. بدا أنه يُلِّمع العملة بطرف عباءته وهو يضحك.

اخترق الطريق شوارع ترابية، تتسع بالكاد لعربتين، خالية من الناس، تصطف على جانبيها المستودعات، ومن آن لآخر الأسيجة الخشبية العالية. مشى (راند) بجوار صانع البهجة وقال: «ما هذا الحديث عن (تير) و(قوم التنين) يا (توم)؟ (تير) هي المدينة الموجودة في أقصى الجنوب، أو بالقرب من (بحر العواصف)، أليس كذلك؟».

قال (توم) باقتضاب: «حكايات كارايثون».

رمش (راند) بعينيه؛ (نبوءات التنين). ثم قال: «لا أحد يحكي... هذه الحكايات في (النهرين). ليس في (إيموندز فيلد) على الأقل. إذا فعل أحد هذا فستسلخه الحكيمة حيًّا».

قال (توم) بسخرية: «أفترض أنها ستفعل هذا». ثم اختلس النظر إلى (مويرين) الموجودة في المقدمة مع (لان) وأدرك أنها لا تستطيع سماعه فأكمل قائلًا: «(تير) هي أعظم ميناء يطل على (بحر العواصف)، و(حجر تير) هو الحصن الذي يحميه. يقال إن (الحجر) هو أول حصن بُني بعد (تحطم العالم)، وطيلة هذا الوقت لم يسقط، رغم أن أكثر من جيش حاول إسقاطه. واحدة من النبوءات تقول إن (حجر تير) لن يسقط حتى يأتي (قوم التنين) إلى (الحجر). تقول أخرى إن (الحجر) لن يسقط حتى يحمل (التنين) بيده السيف الذي لا يمكن لمسه». ثم تجهم وقال: «إن سقوط (الحجر) سيكون واحدًا من الدلائل الرئيسية على أن (التنين) قد وُلِد من جديد. ربما سيظل (الحجر) صامدًا حتى أصير أنا غبارًا».

«السيف الذي لا يمكن لمسه؟».

«هذا ما تقوله النبوءة. لا أعرف إن كان سيفًا حقًّا، ولكن أيًّا ما كان فإنه يكمن في (قلب الحجر)؛ القلعة المركزية للحصن. لا يمكن لأحد أن يدخل هناك إلا (سادة تير النبلاء)، وهم لا يتحدثون مطلقًا عما يكمن في الداخل. لن يقولوا هذا لصانع بهجة على أي حال».

عقد (راند) حاجبيه وقال: «لا يمكن أن يسقط (الحجر) حتى يحمل (التنين) السيف، ولكن كيف يمكنه فعل هذا ما لم يكن (الحجر) قد سقط بالفعل؟ هل من المفترض أن يكون (التنين) أحد (سادة تير النبلاء)؟».

قال صانع البهجة بسخرية: «هذا مستبعد تمامًا، (تير) تكره أي شيء له علاقة بـ(القوة الواحدة) أكثر حتى من (أمادور)، و(أمادور) هي معقل (أبناء النور)».

سأله (راند): «إذن كيف يمكن للنبوءة أن تتحقق؟ أنا أود حقًّا ألا يولد (التنين) من جديد، ولكن نبوءة لا يمكن تحقيقها فهذا ليس منطقيًّا، تبدو وكأنها حكاية تهدف إلى جعل الناس يعتقدون أن (التنين) لن يولد من جديد، أليس كذلك؟».

قال توم: «أنت تسأل الكثير من الأسئلة يا فتى. النبوءة التي يمكن تحقيقها بسهولة لا تستحق الحديث عنها، أليس كذلك؟». ثم ابتهج صوته وقال: «حسنًا لقد وصلنا إلى وجهتنا، أيًّا ما كانت وجهتنا هذه».

كان (لان) قد توقف أمام جزء من سياج خشبي مرتفع لا يبدو مختلفًا عن أي سياج آخر قد مروا من أمامه. كان يغرس نصل خنجره بين اثنين من الألواح الخشبية، فجأة تنهد في رضا وهو يجذب خنجره إلى الوراء فانفتح جزء من السياج كأنه بوابة. لقد أدرك (راند) أنها كانت في الواقع بوابة، ولكنها من المفترض ألا تُفتح إلا من الجانب الآخر، المزلاج المعدني الذي رفعه (لان) بخنجره أظهر هذا.

دلفت (مويرين) من خلاله على الفور وهي تجر (آلديب) وراءها. أشار (لان) إلى الباقين ليتبعوها، ثم دلف هو آخر واحد مغلقًا الباب وراءه.

على الجانب الآخر من السياج وجد (راند) نفسه في باحة إسطبل حانة. كان هناك صوت صخب وقعقعة يأتي من مطبخ المبنى، ولكن ما أذهله كان حجمه؛ كان يغطي أكثر من ضعف مساحة حانة (واينسبرينج)، وارتفاعه يصل إلى أربعة طوابق. أكثر من نصف النوافذ كانت مضيئة في الشفق المظلم. تعجب من هذه المدينة التي يمكن أن يكون فيها مثل هذا العدد الهائل من الغرباء.

بمجرد أن صاروا بمنتصف باحة الإسطبل ظهر ثلاثة رجال يرتدون مآزر قماشية متسخة عند أبواب الإسطبل العريضة المقوسة. اقترب منهم أحدهم، كان رجلًا نحيلًا وهو الوحيد الذي لا يحمل شوكة روث في يده، ملوحًا بذراعيه.

«مهلًا مهلًا، لا يمكنكم الدخول من هذا الطريق! سيكون عليكم الالتفاف والدخول من الباب الأمامي».

امتدت يد (لان) إلى كيس نقوده مرة أخرى، ولكن أثناء فعله هذا جاء رجل آخر ممتلئ الجسم مثل السيد (ألڤير) يخرج مسرعًا من الحانة، يعلو

أذنيه أجزاء من الشعر المنتفخ، وكان مئزره ناصع البياض كعلامة تدل على أنه صاحب الحانة. قال الوافد الجديد: «لا بأس يا (موتش)، لا بأس. هؤلاء الضيوف موضع ترحيب. فلتعتنِ بخيولهم الآن، اعتنِ بها جيدًا».

فرك (موتش) جبهته في عبوس ثم أشار لرفيقيه أن يأتيا لمساعدته. أسرع (راند) والبقية بإنزال أكياس السروج ولفافات البطانيات، بينما صاحب الحانة يلتفت إلى (مويرين) وينحني انحناءة كبيرة ويتحدث بابتسامة صادقة.

«مرحبًا بكِ يا سيدة (أليس)، مرحبًا بكِ. من الرائع رؤيتك أنتِ والسيد (أندرا)، من الرائع حقًّا. لقد افتقدت محادثاتنا اللطيفة، أجل كانت لطيفة بالفعل. يجب أن أقول إنني أحسست بالقلق بسبب ذهابكما إلى الريف الجنوبي. أعني في وقت كهذا مع جنون الطقس والذئاب التي تعوي بوحشية في الليل». فجأة ضرب بكلتا يديه على بطنه الممتلئ وهز رأسه قائلًا: «ها أنا ذا أضيع الوقت في الثرثرة بدلًا من اصطحابكم إلى الداخل، تعالوا، تعالوا. وجبات ساخنة وأسِرَّة دافئة، هذا ما تحتاجون إليه. والأفضل في (بايرلون) موجودة هنا، الأفضل على الإطلاق».

قالت (مويرين): «وحمامات ساخنة أيضًا كما أعتقد يا سيد (فيتش)؟». فرددت (إيجوين) وراءها بحماس: «أجل».

قال صاحب الحانة: «حمامات؟ الأفضل والأكثر سخونة في (بايرلون). تعالوا، مرحبًا بكم في حانة (الأيل والأسد)، مرحبًا بكم في (بايرلون)».

الفصل الرابع عشر

حانة الأيل والأسد

بالداخل كانت الحانة مزدحمة كما تشي الأصوات الخارجة منها وأكثر. لحقت المجموعة القادمة من (إيموندز فيلد) بالسيد (فيتش) عبر الباب الخلفي، وشقوا طريقهم من بين التدفق المستمر من الرجال والنساء الذين يرتدون المآزر الطويلة ويحملون أطباق الطعام وأواني المشروبات عاليًا. كان الحاملون يتمتمون باعتذارات سريعة عندما يعترضون طريق أي شخص، ولكنهم لم يبطئوا ولو خطوة واحدة. تلقى أحد الرجال أوامر متعجلة من السيد (فيتش) ثم اختفى راكضًا.

قال صاحب الحانة لـ(مويرين): «يؤسفني أن الحانة شبه مكتملة، تكاد أن تمتلئ حتى السقف، والوضع هو نفسه في كل حانة في المدينة، مع الشتاء كنا... حسنًا، بمجرد أن صفا الجو لهم بما يسمح بنزولهم من الجبال حتى اجتاحنا الطوفان، أجل هذه هي الكلمة المناسبة، طوفان من الرجال القادمين من المناجم والمصاهر، وجميعهم يحكون أكثر الحكايات فظاعة، الذئاب وما هو أسوأ، نوعية الحكايات التي يحكيها رجال كانوا محبوسين طيلة الشتاء. لا أعتقد أنه تبقى أحد هنالك بالأعلى على الإطلاق، بينما لدينا هذا العدد الكثير هنا. ولكن لا تخافوا، قد يكون المكان مزدحمًا بعض الشيء، ولكني سأفعل ما بوسعي من أجلكِ ومن أجل السيد

(أندرا)، ومن أجل أصدقائك أيضًا بالطبع». ثم نظر بفضول مرة أو مرتين إلى (راند) والبقية، فباستثناء (توم) كانت ملابسهم تشي بأنهم من الريف. أما عباءة صانع البهجة التي يرتديها (توم) فقد جعلته رفيق سفر غريبًا أيضًا للسيدة (أليس) والسيد (أندرا). «سأفعل ما بوسعي، يمكنكم أن تطمئنوا».

حدق (راند) إلى الصخب المحيط بهم وحاول أن يتفادى أن يطأه أحدهم، رغم أن أيًّا من الخدم لم يبدُ معرضًا لمثل هذا الخطر. ظل يفكر كيف يدير السيد (ألڤير) وزوجته حانة (واينسبرينج) مع القليل من المساعدة في بعض الأحيان من بناتهما.

اشرأب (مات) و(بيرين) بعنقيهما باهتمام ناحية الحجرة العامة، التي يتدفق منها موجة من الضحك والغناء والصياح المرح كلما فُتِحَ الباب العريض المتأرجح في نهاية الردهة. تمتم (الحامي) بشيء عن معرفة الأخبار ثم اختفى بوجوم عبر الباب المتأرجح وقد ابتلعته موجة المرح.

أراد (راند) أن يلحق به لكنه كان يرغب أكثر في الاستحمام، تمنى لو كان موجودًا مع الناس والضحك في تلك اللحظة، ولكن الحجرة العامة سترحب به أكثر عندما يكون نظيفًا. كان من الواضح أن (مات) و(بيرين) يشاركانه نفس الإحساس. بينما كان (مات) يحك جسده خلسة.

قالت (مويرين): «عرفت أن (أبناء النور) في (بايرلون) يا سيد (فيتش)، هل من المحتمل أن يكون هناك أي متاعب؟».

«أوه، لا تقلقي بشأنهم يا سيدة (أليس)، إنهم يمارسون حيلهم المعتادة، يدعون أن هناك واحدة من (الآيز سيداي) في البلدة». رفعت (مويرين) حاجبًا، فبسط صاحب الحانة كفيه الممتلئتين وقال: «لا تقلقي، لقد جربوا هذه الحيلة من قبل، لا يوجد أي (آيز سيداي) في (بايرلون)، والحاكم يعرف هذا. أصحاب العباءات البيضاء يعتقدون أنهم إن أمسكوا بـ(آيز سيداي) ـ امرأة يزعمون أنها (آيز سيداي) ـ فإن الناس سيسمحون

لهم بالوجود داخل الأسوار. حسنًا، أفترض أن البعض سيسمحون لهم بهذا، البعض، ولكن معظم الناس يعرفون ما يسعى إليه أصحاب العباءات البيضاء، وهم يدعمون الحاكم. لا أحد يرغب في أن تتعرض امرأة عجوز بريئة للأذى فقط لكي يجد (أبناء النور) مبررًا لإثارة الذعر».

قالت (مويرين) ببساطة: «أنا مسرورة لسماع هذا». ثم وضعت يدها على ذراع صاحب الحانة وقالت: «هل (مين) لا تزال هنا؟ أنا أرغب في الحديث معها إن كانت لا تزال موجودة».

لم ينتبه (راند) إلى إجابة السيد (فيتش) مع وصول الخدم لاصطحابهم إلى الحمامات. اختفت (مويرين) و(إيجوين) وراء امرأة بدينة بابتسامة لطيفة وذراع مُحمَّلة بالمناشف. وجد صانع البهجة و(راند) وصديقاه أنفسهم يتبعون رجلًا ضئيلًا داكن الشعر يُدعى (آرا).

حاول (راند) أن يسأل (آرا) عن (بايرلون) ولكن الرجل بالكاد قال كلمتين معًا باستثناء القول بأن لكنة (راند) مضحكة، وعندما وقع نظر (راند) على الحمام تبخرت كل رغبة في الحديث من رأسه. كان هناك اثنا عشر حوض استحمام نحاسي طويل، موضوعين في دائرة على الأرض المكسوة بالبلاط، التي تميل قليلًا ناحية بالوعة في منتصف الحجرة الكبيرة ذات الجدران الصخرية. كان هناك منشفة كبيرة مطوية بعناية، وقطعة كبيرة من الصابون الأصفر، موضوعتان على مقعد خلف كل حوض، ومراجل حديدية سوداء مليئة بالماء تُسخَّن فوق النيران على طول أحد الجدران. على الجدار المقابل كانت النيران متأججة في حطب بمدفأة عميقة مما زاد من الدفء العام.

«تقريبًا بنفس جودة حانة (واينسبرينج) في الديار». قالها (بيرين) باعتزاز دون أن يولي الحقيقة اهتمامًا كبيرًا.

ضحك (توم) عاليًا بينما قال (مات) ساخرًا: «يبدو أننا أحضرنا واحدًا من آل (كوبلِن) معنا دون أن ندري».

تخلص (راند) من عباءته وخلع ملابسه بينما (آرا) يملأ أربعة من الأحواض النحاسية. لم يتأخر البقية في اختيار حوض الاستحمام، بمجرد أن تكومت ملابسهم على المقاعد جلب (آرا) لكل واحد منهم دلوًا كبيرًا من الماء الساخن ومِغرفة. ما إن انتهى من هذا حتى جلس على مقعد بجانب الباب متكئًا بظهره إلى الحائط، ثم عقد ذراعيه على صدره وبدا عليه أنه قد غرق في أفكاره الخاصة.

لم يتحدثوا كثيرًا وهم يفركون أجسامهم بالصابون، ويغسلونها من أوساخ أسبوع مع غرفات من الماء الساخن الذي يتصاعد منه البخار. ثم نقعوا أجسامهم في الماء لفترة طويلة. كان (آرا) قد جعل الماء ساخنًا بما يكفي حتى أن الاستقرار فيه كان تتابعًا بطيئًا من التنهدات المستمتعة. صار هواء الحجرة الدافئ ضبابيًّا وساخنًا، ولوقت طويل لم يكن هناك صوت باستثناء الزفير الطويل في استرخاء بينما العضلات المشدودة ترتخي والبرودة التي ظنوا أنها دائمة تتسلل من عظامهم.

سألهم (آرا) فجأة: «هل تحتاجون إلى شيء آخر؟». لم يشعر (راند) أن من حقه السخرية من لهجات الناس، فقد كان هو والسيد (فيتش) يتحدثان وكأن فميهما مليئان بالهريسة. «المزيد من المناشف؟ المزيد من الماء الساخن؟».

قال (توم) بصوته الرخيم، وقد أغلق عينيه بينما يلوح بيده في تكاسل: «لا شيء، اذهب واستمتع بالأمسية، وسأحرص لاحقًا على أن تتلقى مكافأة أكثر من مجزية نظير خدماتك». ثم انزلق لأسفل أكثر في حوضه حتى غطى الماء كل شيء عدا عينيه وأنفه.

انتقلت عينا (آرا) إلى المقاعد خلف الأحواض حيث كانت ملابسهم وممتلكاتهم مكومة. ألقى نظرة عابرة على القوس ولكن نظره استقر لفترة أطول على سيف (راند) وفأس (بيرين)، ثم قال فجأة: «هل هناك متاعب أيضًا في الريف الجنوبي؟ الأنهار أو أيًّا كان ما تسمونه؟».

قال (مات) ضاغطًا على حروف الكلمة: «(النهران)، اسمه (النهران). أما بالنسبة للمتاعب...».

سأله (راند): «ما الذي تعنيه بكلمة أيضًا؟ هل يوجد نوع من المتاعب هنا؟».

كان (بيرين) يستمتع بالماء الساخن وهو يتمتم: «رائع! رائع!». أما (توم) فقد رفع نفسه قليلًا وفتح عينيه.

قال (آرا) ساخرًا: «هنا؟ متاعب؟ إن مشاجرات عمال المناجم في الشوارع في ظلمة الصباح لا تعد متاعب، أو...». ثم صمت ونظر إليهم للحظة قبل أن يقول أخيرًا: «أقصد نوعًا من متاعب (غيلدان). لا، لا أفترض هذا، لا يوجد شيء في الريف الجنوبي سوى الأغنام، أليس كذلك؟ لا أقصد الإهانة، بل أعني فقط أن الجو هادئ هناك، ولكن مع هذا فقد كان شتاءً غريبًا، وهناك أشياء غريبة تحدث في الجبال، سمعت منذ بضعة أيام أن هناك (ترولوكيين) شمالًا في (سالدايا). ولكن هذه هي طبيعة (البلاد الحدودية)، أليس كذلك؟». أنهى حديثه وفمه لا يزال مفتوحًا ثم أغلقه على الفور وقد بدا مندهشًا لأنه قد قال الكثير.

توتر (راند) عند سماع كلمة (الترولوكيين) وحاول إخفاء هذا عن طريق وضع قماشة الاستحمام على رأسه. استرخى جسده بينما الرجل يكمل حديثه، ولكن لم يُبقِ الجميع أفواههم مغلقة.

قال (مات) ضاحكًا: «(الترولوكيون)؟». فنثر (راند) الماء ناحيته ولكن (مات) مسحه من على وجهه مبتسمًا وهو يقول: «دعني أخبرك عن (الترولوكيين)».

لأول مرة منذ جلوسه في حوضه تحدث (توم): «ما رأيك ألا تفعل؟ لقد سئمت بعض الشيء من سماعك وأنت تعيد قص حكاياتي».

قال (بيرين): «إنه صانع بهجة».

فنظر إليه (آرا) بازدراء وقال: «لقد رأيت العباءة، هل ستؤدي عرضًا؟».

قال (مات) باحتجاج: «مهلًا، ما هذا الحديث عن كوني أقص حكايات (توم)؟ هل أنتم جميعًا...».

قاطعه (راند) على الفور: «أنت لا تحكيها بنفس براعة (توم)». وتدخل (بيرين) مضيفًا: «أنت لا تنفك تضيف أشياء محاولًا أن تجعلها أفضل ولكن هذا لا يحدث مطلقًا».

أضاف (راند): «وكثيرًا ما تختلط عليك الأمور، من الأفضل أن تترك الأمر لـ(توم)».

كانوا جميعًا يتحدثون بسرعة حتى أن (آرا) حدق إليهم فاغرًا فاه، وكان (مات) يحدق إليهم أيضًا كأنهم جميعًا قد أُصيبوا فجأة بالجنون. كان (راند) يفكر في طريقة لإسكاته دون أن ينقض عليه.

انفتح الباب بدويٍّ مرتفع ليدلف منه (لان) وعباءته البنية معلقة على إحدى كتفيه، مع هبة من الهواء البارد خففت من كثافة الضباب للحظات.

قال (الحامي) وهو يفرك يديه: «هذا ما كنت أنتظره». التقط (آرا) دلوًا، لكن (لان) لوح له بيده لينصرف وقال: «لا، سأعتني بنفسي». ثم أسقط عباءته على أحد المقاعد قبل أن يدفع خادم الحمام خارج الحجرة رغم احتجاج الرجل، ثم أغلق الباب وراءه بحزم. انتظر هناك للحظة وقد أمال رأسه للإنصات، ثم التفت وراءه إلى بقيتهم وكان صوته صارمًا وعيناه حادتان وهو ينظر إلى (مات) قائلًا: «من حسن الحظ أنني عدت في الوقت المناسب أيها الفتى الريفي. ألا تُصغي إلى ما يُقال لك؟».

قال (مات) محتجًا: «أنا لم أفعل أي شيء، كنت فقط سأخبره عن (الترولوكيين) وليس عن...». ثم صمت ومال إلى الوراء مبتعدًا عن عينيّ (الحامي) وألصق ظهره بالحوض.

قال (لان) بوجوم: «لا تتحدث عن (الترولوكيين)، لا تفكر حتى في (الترولوكيين)». ثم بدأ يملأ حوض استحمامه وهو يقول في غضب: «بحق الدماء والرماد، من الأفضل لك أن تتذكر، إن (سيد الظلام) لديه أعين وآذان في أماكن لا تتوقعها على الإطلاق، وإن سمع (أبناء النور) أن (الترولوكيين) يلاحقونكم فإنهم سيتحرقون شوقًا لوضع أيديهم عليكم، بالنسبة لهم هذا لا يختلف كثيرًا عن تسميتكم (أصدقاء الظلام). قد لا يكون هذا ما اعتدتم عليه، ولكن حتى نصل إلى وجهتنا فلا تثقوا كثيرًا في أحد، حتى أخبركم أنا أو السيدة (أليس) خلاف هذا». جفل (مات) مع التشديد على الاسم الذي تستخدمه (مويرين).

قال (راند): «هناك شيء لم يخبرنا به هذا الرجل، شيء ما يعتقد أنه متاعب. ولكنه لم يخبرنا».

قال (لان) وهو يصب المزيد من الماء الساخن في حوضه: «على الأرجح (أبناء النور)، معظم الناس يعتبرونهم متاعب. البعض لا يعتبرهم هكذا، ولكنه لا يعرفكم بما يكفي للمخاطرة بالأمر. لا يعرف إن كنتم ستذهبون مهرولين إلى أصحاب العباءات البيضاء أم لا».

هز (راند) رأسه؛ هذا المكان يبدو أسوأ بالفعل مما يمكن أن تكون عليه (تارين فيري).

قال (بيرين): «لقد قال إن هناك (ترولوكيين) في... في (سالدايا)، أليس هذا اسمها؟».

ألقى (لان) دلوه الفارغ ليرتطم بالأرض وقال: «أنتم مصممون على الحديث في الأمر، أليس كذلك؟ هناك دومًا (ترولوكيون) في (البلاد الحدودية) أيها الحداد. فلتضعوا في أذهانكم جيدًا أننا لا نريد جذب اهتمام أكثر مما تجذبه فئران الحقول. ركزوا على هذا. ترغب (مويرين) في إيصالكم جميعًا إلى (تار ڤالون) أحياء، وأنا سأفعل هذا طالما كان ممكنًا، ولكن إن تسببتم في أي أذى لها...».

أنهوا استحمامهم في صمت وكذلك ارتداء ملابسهم.

عندما غادروا حجرة الاستحمام كانت (مويرين) تقف في نهاية الردهة مع فتاة نحيلة لا تفوقها طولًا بكثير. على الأقل خمن (راند) أنها فتاة، رغم أن شعرها الأسود كان قصيرًا، وكانت ترتدي قميصًا وسروالًا رجاليين. قالت (مويرين) شيئًا فنظرت الفتاة إلى الرجال بحدة ثم أومأت برأسها إلى (مويرين) وأسرعت مبتعدة.

قالت (مويرين) وهم يقتربون منها: «حسنًا، أنا واثقة من أن الاستحمام قد فتح شهيتكم جميعًا، لقد منحنا السيد (فيتش) غرفة طعام خاصة». ثم التفتت واصطحبتهم وهي تتحدث في أمور غير ذات أهمية عن غرفهم والازدحام في البلدة، وكيف أن صاحب الحانة يأمل أن يتفضل (توم) على الحجرة العامة ببعض الموسيقى وحكاية أو اثنتين. لم تذكر الفتاة قط، هذا إن كانت فتاة.

كانت غرفة الطعام الخاصة تحتوي على طاولة مصقولة من خشب البلوط مع اثني عشر كرسيًّا حولها وسجادة سميكة على الأرض. عند دخولهم إليها التفتت (إيجوين) ـ وشعرها اللامع المصفف حديثًا منسدل على كتفيها ـ مبعدة يديها عن الاصطلاء بالنار التي تطقطق في المدفأة. كان لدى (راند) وقت طويل ليختلي بأفكاره أثناء الصمت الطويل في حجرة الاستحمام، إن تحذيرات (لان) المستمرة بعدم الثقة في أي شخص، وخاصة خوف (آرا) من الوثوق بهم، جعله يدرك كم أنهم وحدهم حقًّا. يبدو أنهم لا يستطيعون الثقة بأحد سوى أنفسهم، ولا يزال غير واثق تمامًا إلى أي مدى يمكنهم الوثوق بـ(مويرين) أو (لان). يمكنهم الوثوق بأنفسهم فقط. أما (إيجوين) فلا تزال (إيجوين) التي يعرفها. قالت (مويرين) إن هذا كان سيحدث لها على أي حال؛ تقصد لمس (المصدر الحقيقي) هذا. ليس لديها سيطرة عليه، وهذا يعني أنه لم يكن خطأها، وأنها لا تزال (إيجوين) التي يعرفها.

فتح فمه ليعتذر ولكن (إيجوين) تيبست وأدارت له ظهرها قبل أن ينطق بكلمة. حدق إلى ظهرها مكتئبًا ثم ابتلع ما كان سيقوله. *حسنًا إذن، إن كانت تريد أن تكون على هذا النحو فلا يوجد شيء يمكنني فعله.*

اندفع السيد (فيتش) إلى الداخل حينها بصوت صاخب، ومن ورائه أربع نساء بمآزر بيضاء طويلة كمئزره، مع صحفة عليها ثلاث دجاجات مشوية، وصحاف أخرى عليها أطباق فضية وأوانٍ فخارية وأوعية مغطاة. بدأ النسوة في إعداد الطاولة على الفور بينما انحنى صاحب الحانة إلى (مويرين).

«أعتذر يا سيدة (أليس) لجعلك تنتظرين، ولكن مع وجود هذا العدد الكبير من الناس في الحانة فمن المدهش أن يتلقى أي شخص أي خدمة على الإطلاق. يؤسفني أن الطعام ليس كما ينبغي أيضًا، ليس سوى الدجاج وبعض اللفت والبازلاء مع القليل من الجبن. لا ليس كما ينبغي بالفعل، أنا أعتذر حقًّا».

ابتسمت (مويرين) وقالت: «إنها وليمة بالنسبة لهذه الأيام العصيبة يا سيد (فيتش)، وليمة بالفعل».

انحنى صاحب الحانة مرة أخرى وخصلات شعره الخفيف تبرز في كل الاتجاهات، بينما هو يمرر يده باستمرار عليه مما جعل انحناءته تبدو هزلية. ولكن ابتسامته كانت مبهجة للغاية، حتى أن أي شخص يضحك كان سيضحك معه لا عليه. «شكرًا لكِ يا سيدة (أليس)، شكرًا لكِ». ثم اعتدل واقفًا وعقد حاجبيه وهو يمسح بطرف مئزره ما خُيِّل إليه أنه القليل من التراب على الطاولة. «ليس هذا ما كنت لأقدمه لكم منذ عام بالطبع، ليس حتى قريبًا منه. الشتاء، أجل الشتاء، إن مخازني تنفد والسوق شبه خاوٍ، ومن يستطيع أن يلوم المزارعين؟ من؟ لا أحد يعرف متى سيحصدون محصولًا آخر، لا أحد يعرف على الإطلاق. الذئاب تلتهم لحم الضأن ولحم البقر الذي كان يجب أن يوضع على موائد الناس و...».

بدا عليه فجأة أنه قد أدرك أن هذه ليست محادثة مناسبة لكي يتناول ضيوفه وجبتهم بارتياح فقال: «انظروا كيف أسترسل في الحديث، إنني مليء بالثرثرة. (ماري)، (سيندا)، اتركا هؤلاء الأعزاء يأكلون بسلام». ثم أشار للنسوة بالانصراف، وبينما يسرعن بالخروج من الغرفة التفت لينحني إلى (مويرين) مرة أخرى وقال: «آمل أن تستمتعوا بوجبتكم يا سيدة (أليس)، إن احتجتم أي شيء آخر فلتنادوني وسأحضره، عليكم فقط أن تنادوني. إنه لمن دواعي سروري خدمتك أنت والسيد (أندرا)، من دواعي سروري». ثم انحنى انحناءة كبيرة أخرى قبل أن يختفي مغلقًا الباب بهدوء من ورائه.

كان (لان) متكئًا إلى الجدار طيلة الوقت كأنه نصف نائم، ولكن في تلك اللحظة قفز وكان عند الباب في خطوتين واسعتين. وضع أذنه على الباب مصغيًا السمع باهتمام لوقت طويل، ثم فتح الباب ونظر إلى الردهة قبل أن يقول وهو يغلقه: «لقد رحلوا، يمكننا أن نتحدث بأمان».

قالت (إيجوين): «أعرف أنك تقول إن علينا ألا نثق بأحد، ولكن إن كنتَ ترتاب في صاحب الحانة فلمَ نبقَ هنا؟».

أجابها (لان): «أنا لا أرتاب فيه أكثر من أي شخص آخر، ولكني سأرتاب في الجميع حتى نصل إلى (تار ڤالون)، وهناك سأرتاب في نصفهم فقط».

بدأ (راند) يبتسم وقد ظن أن (الحامي) يمزح، ثم أدرك أنه لم يكن هناك أدنى أثر للفكاهة على وجه (لان)، إنه سيرتاب حقًّا في بعض الناس في (تار ڤالون). هل يوجد أي مكان آمن؟

قالت لهم (مويرين) بسلاسة: «إنه يبالغ. السيد (فيتش) رجل طيب وصادق وجدير بالثقة، ولكنه يحب أن يتحدث. وحتى إن بذل مجهودًا كبيرًا لكيلا يفعل هذا فقد يزل لسانه أمام الأذن الخاطئة. وأنا لم أتوقف بعد في حانة لا يسترق نصف خادماتها السمع عند الأبواب، ولا يقضين

وقتهن في النميمة بدلًا من ترتيب الأسِرَّة. هيا بنا، فلنجلس قبل أن تبرد وجبتنا».

اتخذوا أماكنهم حول المائدة فكانت (مويرين) على رأس المائدة و(لان) على طرفها الآخر، وانشغل الجميع لبعض الوقت عن الحديث بملء أطباقهم. قد لا تكون وليمة ولكنها بدت كذلك بعد ما يقرب من أسبوع من الخبز واللحم المجفف.

بعد مرور بعض الوقت سألت (مويرين): «ما الذي عرفته أثناء وجودك في الحجرة العامة؟».

تعلقت السكاكين والشوك في الهواء، واتجهت كل العيون إلى (الحامي).

أجابها (لان): «لا يوجد الكثير من الأخبار السارة. كان (آڨين) محقًّا، على الأقل حسب ما يتناقله الناس من أقوال. كان هناك معركة في (غيلدان)، وكان (لوجاين) هو المنتصر. هناك عشرات القصص المختلفة التي يتداولها الناس، ولكن جميعها تتفق على هذا».

(لوجاين)؟ لا شك أنه (التنين الكاذب). كانت هذه هي المرة الأولى التي يسمع فيها (راند) اسم الرجل. لقد بدا (لان) تقريبًا كما لو أنه يعرفه.

سألته (مويرين) بهدوء: «وماذا عن (الآيز سيداي)؟».

فهز (لان) رأسه وقال: «لا أعرف. البعض يقول إنهن قد قُتِلن جميعًا، والبعض يقول لم تُقتَل واحدة منهن». ثم أضاف بسخرية: «البعض يقول إنهن قد انضممن إلى (لوجاين). لا يوجد شيء موثوق به، ولم أكترث لإبداء الكثير من الاهتمام».

قالت (مويرين): «أجل، لا يوجد الكثير من الأخبار السارة». ثم أخذت نفسًا عميقًا وهي تولي اهتمامها مجددًا إلى الطاولة قبل أن تقول: «وماذا عن ظروفنا الخاصة».

«الأخبار أفضل في هذا الصدد، لا توجد حوادث غير مألوفة، لا يوجد غرباء في الأرجاء ممن قد يكونون (ميردرال)، وبالتأكيد لا يوجد (ترولوكيون). وأصحاب العباءات البيضاء مشغولون بمحاولة إثارة المتاعب للحاكم (آدان) لأنه لا يتعاون معهم. لن يلاحظونا ما لم نعلن عن أنفسنا».

قالت (مويرين): «رائع، هذا يتفق مع ما قالته خادمة الحَمَّام، إن النميمة لها فوائدها». ثم وجهت حديثها إلى الصحبة بأكملها قائلة: «لا يزال لدينا رحلة طويلة لنقطعها، ولكن الأسبوع الماضي لم يكن سهلًا أيضًا، لذا أنا أقترح المبيت هنا الليلة، وليلة الغد، والمغادرة باكرًا في الصباح التالي». ابتسم الشباب بفرح، سيقضون أول ليلة لهم في مدينة. ابتسمت (مويرين)، ولكنها رغم هذا قالت: «ما رأي السيد (أندرا) في الأمر؟».

نظر (لان) إلى الوجوه المبتسمة بفرح، ثم قال بفتور: «لا بأس بهذا، فقط لو يتذكرون ما قلته لهم ولو لمرة على سبيل التغيير».

قال (توم) ساخرًا وهو يهز رأسه: «هؤلاء الريفيون سيضيعون في... المدينة».

مع ازدحام الحانة لم يكن هناك سوى ثلاث غرف يمكن الحصول عليها، واحدة من أجل (مويرين) و(إيجوين)، واثنتين من أجل الرجال. وجد (راند) نفسه يتشارك الغرفة مع (لان) و(توم) في الطابق الرابع في الوراء تحت الأفاريز البارزة، مع نافذة صغيرة واحدة تطل على باحة الإسطبل. كان الليل قد حل بالكامل فصنعت الأضواء المنبعثة من الحانة دائرة من الضوء بالخارج. كانت غرفة صغيرة وقد وُضع فيها سرير إضافي من أجل (توم) مما جعلها تبدو أصغر حجمًا، رغم أن الأسِرّة الثلاثة لم تكن عريضة، وأدرك (راند) بمجرد أن ألقى بنفسه على سريره أنها لم تكن لينة أيضًا. ليست أفضل غرفة بالتأكيد.

لم يبقَ (توم) في الغرفة إلا بما يكفي لإخراج مزماره وقيثارته من حقيبتيهما، قبل أن يغادر بالفعل لعزف مقطوعات عظيمة. غادر (لان) معه.

فكر (راند) وهو يتململ في فراشه بعدم ارتياح كم أن هذا غريب؛ منذ أسبوع مضى كان سيسرع هابطًا درجات السلم إلى الطابق السفلي كحجر متدحرج، فقط من أجل فرصة رؤية استعراض صانع بهجة، حتى لو كانت مجرد إشاعة. ولكنه قد سمع (توم) يحكي حكاياته كل ليلة لمدة أسبوع، وسيكون (توم) هنا في ليلة الغد، وفي الليلة التالية، وكان الحمام الساخن قد أرخى تشنجات عضلاته التي ظن أنها لن ترتخي أبدًا، وكانت أول وجبة ساخنة له منذ أسبوع تملأه بالخمول. تساءل في نعاس إن كان (لان) يعرف حقًّا هذا (التنين الكاذب) (لوجاين). جاء صوت صراخ مكتوم من الطابق السفلي بينما الحجرة العامة ترحب بقدوم (توم)، ولكن (راند) كان قد غرق في النوم بالفعل.

كان الممر الصخري خافت الإضاءة وتكتنفه الظلال، وكان خاويًا إلا من (راند). لم يستطع أن يعرف من أين يأتي الضوء، أو القليل منه الذي كان موجودًا. كانت الجدران الرمادية عارية من الشموع أو المصابيح، أو أي شيء على الإطلاق يمكن أن يفسر التوهج الخافت، الذي يبدو كأنما هو موجود من دون مصدر. كان الهواء ساكنًا ورطبًا، ومن مكان ما بعيد كانت قطرات الماء تتساقط بصوت منتظم أجوف، أيًّا ما كان هذا المكان فإنه ليس الحانة. عقد حاجبيه وهو يفرك جبهته. حانة؟ كان رأسه يؤلمه، وكان من الصعب أن يتشبث بأفكاره. كان يفكر في شيء عن... حانة؟ أيًّا ما كان هذا فإنه قد اختفى.

لعق شفتيه وتمنى لو أن معه شيئًا ليشربه، كان حلقه جافًّا ويشعر بعطش شديد. كان صوت تساقط الماء هو ما حسم قراره. لم يكن هناك شيء يمكن أن يختار على أساسه سوى عطشه، لذا بدأ في السير ناحية صوت تساقط قطرات الماء.

أخذ يسير في الممر الممتد أمامه بدون أي ممرات متقاطعة أو أدنى تغير في هيئته. كانت السمة الوحيدة على الإطلاق هي الأبواب الموجودة على مسافات منتظمة في أزواج، واحد على كل جانب من الممر، وكان الخشب متشقق وجاف رغم رطوبة الهواء، كانت الظلال تنحسر أمامه وتبقى كما هي، وصوت تساقط المياه لا يقترب مطلقًا. بعد وقت طويل قرر أن يجرب أحد هذه الأبواب. انفتح بسهولة فدلف إلى غرفة كئيبة ذات جدران صخرية.

كان أحد الجدران منفتحًا في سلسلة من الأقواس على شرفة صخرية رمادية اللون، ومن ورائها سماء لم يرَ مثلها من قبل. غيوم مخططة سوداء ورمادية، حمراء وبرتقالية، تتدفق كأنما رياحُ عاصفة تحركها فتتشابك وتتداخل إلى ما لا نهاية. مستحيل أن يكون أحد قد رأى سماءً كهذه، لا يمكن أن توجد سماء كهذه.

أشاح بعينيه بعيدًا عن الشرفة ولكن بقية الغرفة لم تكن أفضل حالًا. كان هناك منحنيات غريبة وزوايا غير مألوفة، كأن الغرفة قد تشكلت بشكل عشوائي من صخور ذائبة، وأعمدة يبدو وكأنها قد نبتت من الأرض الرمادية. كانت ألسنة اللهب تزأر في المدفأة كنيران فرن ينفخ حداد عليها بالكير، ولكن لم يكن يصدر عنها أي حرارة. كانت المدفأة مصنوعة من أحجار بيضاوية، كانت تبدو كأحجار، تلمع كأنها مبللة رغم النار، عندما ينظر مباشرة إليها، ولكن عندما ينظر إليها من طرف عينه تبدو كوجوه بدلًا من هذا، وجوه رجال ونساء تتلوى في معاناة وتصرخ في صمت. كانت الكراسي ذات الظهر المرتفع والطاولة المصقولة في منتصف الغرفة تبدو طبيعية تمامًا، ولكن كان هذا في حد ذاته يُبرز بقية الأشياء. كان هناك مرآة وحيدة معلقة على الجدار، ولكنها لم تكن طبيعية على الإطلاق. عندما نظر إليها لم يرَ إلا صورة ضبابية بدلًا من انعكاسه. كل شيء آخر في الغرفة كان منعكس عليها بشكل صحيح، كل شيء سواه.

كان هناك رجل يقف أمام المدفأة، لم يلاحظه عندما دلف إلى الغرفة في بادئ الأمر. لولا أنه يعلم أن هذا مستحيل لقال إنه لم يكن أي شخص هناك حتى نظر إلى الرجل بالفعل. كان يرتدي ملابس سوداء فاخرة، وبدا أنه في ريعان شبابه، وخمن (راند) أن النساء قد يعتبرنه حسن المظهر.

قال الرجل: «ها قد التقينا مرة أخرى وجهًا لوجه». وللحظة صار فمه وعيناه فتحات لكهوف لا نهاية لها من اللهب.

صرخ (راند) وهو يندفع إلى الوراء خارج الغرفة بقوة حتى أنه تعثر عبر الممر وارتطم بالباب على الجانب الآخر لينفتح إثر ارتطامه به. التف وأمسك بمقبض الباب ليتحاشى السقوط على الأرض، فوجد نفسه يحدق بعينين متسعتين إلى غرفة صخرية بمدفأة وسماء مستحيلة عبر أقواس مؤدية إلى شرفة...

قال الرجل: «لا يمكنك أن تهرب مني بهذه السهولة».

التف (راند) واندفع خارجًا من الغرفة محاولًا أن يحافظ على توازن قدميه دون أن يبطئ من حركته، هذه المرة لم يكن هناك أي ممر. تجمد نصف جاثم بالقرب من المنضدة المصقولة ونظر إلى الرجل الواقف أمام المدفأة، كان هذا أفضل من النظر إلى أحجار المدفأة أو السماء.

قال وهو يعتدل واقفًا: «هذا حلم». ومن ورائه سمع تكة الباب وهو يُغلَق. «لا شك أنه كابوس». أغلق عينيه وهو يفكر في الاستيقاظ. عندما كان صغيرًا أخبرته الحكيمة أنه إن فعل هذا في كابوس فسينتهي. الـ... حكيمة؟ ماذا؟ تمنى أن تتوقف أفكاره عن الهرب منه، أن يتلاشى الألم من رأسه ليتمكن من التفكير بشكل صحيح.

فتح عينيه مرة أخرى، كانت الغرفة لا تزال كما هي؛ الشرفة، السماء، الرجل الواقف أمام المدفأة.

قال الرجل: «هل هو حلم؟ هل يصنع هذا فارقًا؟». مرة أخرى صار فمه وعيناه للحظة فتحات تنُّور بدا أنه يمتد إلى ما لا نهاية. لم يتغير صوته، ولم يبدُ عليه أنه يلاحظ الأمر على الإطلاق.

جفل (راند) قليلًا هذه المرة، ولكنه تمكن من منع نفسه من الصراخ. هذا حلم، لا شك أنه كذلك. ورغم هذا تراجع إلى الوراء ناحية الباب دون أن يُبعد عينيه عن الرجل الواقف أمام المدفأة، ثم حاول تحريك المقبض ولكنه لم يتحرك، فقد كان الباب مغلقًا.

قال الرجل الواقف أمام المدفأة: «تبدو عطشًا، فلتشرب».

كان هناك قدح على الطاولة، من ذهب لامع ومزخرف بالياقوت والجمشت. لم يكن هذا القدح موجودًا من قبل. تمنى لو أنه يتوقف عن الجفول، إن هذا مجرد حلم. ولكن حلقه كان جافًّا.

قال وهو يتناول القدح: «أنا عطش بالفعل، قليلًا».

مال الرجل إلى الأمام باهتمام، وقد وضع إحدى يديه على ظهر كرسي وهو يراقبه. رائحة النبيذ المتبل ذكرت (راند) كم كان عطشًا، كأنه لم يشرب شيئًا منذ أيام. *هل شربت شيئًا؟*

توقف قبل أن يصل القدح إلى فمه. كان هناك خيوط من الدخان تتصاعد من الكرسي من بين أصابع الرجل، وهاتان العينان كانتا تراقبانه بحدة، وألسنة اللهب تتراقص فيهما.

لعق (راند) شفتيه وأعاد القدح إلى الطاولة دون أن يتذوق النبيذ وقال: «أنا لست عطشًا كما كنت أظن». اعتدل الرجل فجأة ووجهه خالٍ من التعابير. لم تكن خيبة أمله لتكون أكثر وضوحًا لو أنه سب ولعن. تساءل (راند) عما يوجد في النبيذ، ولكنه كان سؤالًا غبيًّا بالطبع، هذا كله حلم، ولكن لماذا لا ينتهي؟ سأل الرجل: «ماذا تريد؟ من أنت؟».

توهجت ألسنة اللهب في عيني الرجل وفمه وخُيِّل لـ(راند) أن باستطاعته سماع صوت تأججها. «البعض يسميني (بعلزمون)».

وجد (راند) نفسه يواجه الباب وهو يحاول بشكل محموم أن يحرك المقبض. اختفت كل أفكاره عن الأحلام. (سيد الظلام). لم يتزحزح مقبض الباب عن موضعه قيد أنملة ولكنه استمر في المحاولة.

قال (بعلزمون) فجأة: «هل أنت المنشود؟ لا يمكنك أن تخفي هذا عني إلى الأبد. لا يمكنك حتى أن تخفي نفسك عني، لا في أعالي الجبال ولا في أعماق الكهوف، أنا أعرفك حتى أصغر شعرة».

التفت (راند) ليواجه الرجل، ليواجه (بعلزمون)، وازدرد لعابه بقوة. إنه كابوس. مد يده وراءه ليجذب المقبض جذبة أخيرة ثم اعتدل واقفًا.

قال (بعلزمون): «هل تنتظر المجد؟ القوة؟ هل أخبروك أن (عين العالم) ستخدمك؟ أي مجد وأي قوة هناك من أجل دمية؟ إن الخيوط التي تحركك تحاك منذ قرون. لقد اختار (البرج الأبيض) أباك، كحصان يُربط بالحبال ويُقاد إلى العمل. لم تكن أمك أكثر من مجرد فرس تفريخ من أجل خططهم، وهذه الخطط تؤدي إلى موتك».

كور (راند) قبضتيه وقال: «أبي رجل صالح، وأمي كانت امرأة صالحة، لا تتحدث عنهما!».

ضحكت ألسنة اللهب. «إذن فهناك بعض الروح بداخلك رغم كل شيء، ربما أنت المنشود حقًّا، هذا لن ينفعك كثيرًا. (عرش أميرلين) ستستغلك حتى تُستَنزَف تمامًا كما استغلت (ديفيان)، و(يوريان ستونبو)، و(جوير أمالاسان)، و(راولن داركسبين). تمامًا كما يُستغل (لوجاين) الآن، ستُستَغل حتى لا يتبقى منك شيء».

«لا أعرف...». كان (راند) يؤرجح رأسه من جانب إلى آخر. لقد اختفت هذه اللحظة من التفكير الصافي التي وُلِدَت من الغضب، حتى

وهو يتلمسها مرة أخرى لم يستطع أن يتذكر كيف وصل إليها في المرة الأولى. كانت أفكاره تدور في رأسه. أمسك بواحدة كطوف في دوامة، وأجبر الكلمات على الخروج من فمه فكان صوته يزداد قوة مع الحديث: «أنت... مسجون... في (شايول غول). أنت وكل (الملعونين)... يسجنكم (الخالق) حتى نهاية الزمان».

قال (بعلزمون) بسخرية: «نهاية الزمان؟ أنت تعيش كخنفساء تحت صخرة وتعتقد أن وحلك هو الكون. إن موت الزمان سيجلب لي قوة لا يمكن أن تحلم بمثلها أيها الدودة».

«أنت مسجون...».

«أيها الأحمق، أنا لم أُسجن قط!». تأججت نيران وجهه بحرارة شديدة حتى أن (راند) خطا إلى الوراء وهو يحمي وجهه بيديه. جف عرق راحتي يديه بفعل الحرارة. «لقد وقفت بمحاذاة (ليوز ثيرين قاتل أهله)، عندما فعل الفعل الذي منحه لقبه. كنت أنا من أخبره بأن يقتل زوجته وأطفاله وكل من هو من دمه، وكل شخص حي يحبه، أو يكن له هو حبًّا. كنت أنا من منحه هذه اللحظة من العقل ليعرف ما فعله. هل سمعت عن رجل يصرخ حتى تُزهَق روحه أيها الدودة؟ كان بإمكانه أن يهاجمني حينها، كان بإمكانه أن ينتصر لو أنه حاول. بدلًا من هذا استدعى غاليته (القوة الواحدة) على نفسه، الكثير منها حتى أن الأرض قد انفتحت وبرز منها (جبل التنين) ليكون شاهدَ قبره.

بعد ألف سنة أرسلت (الترولوكيين) ليصطادوا فرائسهم بنهم في الجنوب، وقد عاثوا فسادًا في العالم لثلاثة قرون. هؤلاء الحمقى عميان البصيرة في (تار ڤالون) قالوا إنني هُزِمت في النهاية، ولكن (الميثاق الثاني)، (ميثاق الأمم العشرة)، قد تحطم بشكل لا رجعة فيه، فمن تبقى لمعارضتي إذن؟ لقد همست في أذن (أرتور هاوكوينج)، فماتت أرض (الآيز سيداي) طولًا وعرضًا. همست مرة أخرى فأرسل (الملك السامي) جيوشه عبر (محيط

آريث)، عبر (بحر العالم)، وحكم على شيئين بالهلاك؛ هلاك حلمه بأرض واحدة وشعب واحد، وهلاك لم يأتِ بعد. لقد كنت هناك وهو على فراش الموت عندما أخبره مستشاروه أن (الآيز سيداي) وحدهن من يمكنهن إنقاذ حياته. لقد تحدثت فأمر مستشاريه بإعلان الحرب، لقد تحدثت فكانت كلمات (الملك السامي) الأخيرة هي صيحة بأن (تار ڤالون) يجب أن تُدمَّر.

لم يتمكن رجال كهؤلاء من الوقوف في وجهي فأي فرصة تملكها أنت، مجرد ضفدع يربض بجانب بركة في غابة، سوف تخدمني أو سترقص بخيوط (الآيز سيداي) حتى تموت، وحينها ستكون مِلكي، الموتى ينتمون إليَّ!».

تمتم (راند): «لا، هذا حلم، هذا حلم!».

«هل تعتقد أنك آمن مني في أحلامك؟ انظر!». أشار (بعلزمون) بإصبعه آمرًا فالتفت رأس (راند) ليتبعه رغم أنه لم يدر رأسه، لم يرغب في أن يديره.

كان القدح قد اختفى من على الطاولة، وفي موضعه يربض فأر ضخم، يرمش بعينيه وهو ينظر إلى الضوء ويتشمم الهواء بحذر. ثنى (بعلزمون) إصبعه فأصدر الفأر صريرًا وهو يحني ظهره، وكفاه الأماميتان ترتفعان في الهواء، بينما يوازن نفسه بشكل أخرق على قائمتيه الخلفيتين. انحنى الإصبع أكثر فسقط الفأر إلى الوراء وهو يخمش الهواء بشكل محموم ويصدر صريرًا حادًّا، وظهره ينثني وينثني وينثني. بصوت انقسام حاد كغصن ينكسر ارتجف الفأر بعنف ثم استقر ساكنًا وقد انطوى على نفسه تمامًا.

ازدرد (راند) لعابه ثم تمتم قائلًا: «أي شيء يمكن أن يحدث في الحلم». ودون أن ينظر وراءه ضرب بقبضته على الباب مرة أخرى، آلمته يده ولكنه رغم هذا لم يستيقظ.

«إذن فلتذهب إلى (الآيز سيداي)، فلتذهب إلى (البرج الأبيض) وتخبرهن. أخبر (عرش أميرلين) بهذا الـ... حلم». ضحك الرجل فأحس

(راند) بحرارة اللهب في وجهه. «هذه طريقة للهرب منهن، لن يستغلوك حينها، ليس وهن يعرفن أني أعرف. ولكن هل سيسمحن لك بالعيش، لكي تنشر حكايات عما يفعلنه؟ هل أنت أحمق كبير بما يكفي لتصديق أنهن سيفعلن هذا؟ إن رماد الكثير من أمثالك مبعثر على منحدرات (جبل التنين)».

قال (راند) وهو يلهث: «هذا حلم، هذا حلم وأنا سأستيقظ».

«هل ستستيقظ؟». من طرف عينه رأى إصبع الرجل يتحرك ليشر إليه. «هل ستستيقظ حقًّا؟». انثنى الإصبع فصرخ (راند) وظهره ينحني إلى الوراء وكل عضلة في جسده تجبره على الانحناء أكثر. «هل ستستيقظ مرة أخرى أبدًا؟».

انتفض (راند) وهو يتشنج في الظلام، ويداه متشبثتان بالبطانية. كان ضوء القمر الشاحب يتسلل من النافذة الوحيدة، كان هناك شكلان مظلمان للسريرين الآخرين، وغطيط يتعالى من أحدهما كقماش يتمزق، إنه (توم ميريلين). كان هناك بعض الجمرات تتوهج بين الرماد في المدفأة.

لقد كان حلمًا إذن، كالكابوس الذي راوده في حانة (واينسبرينج) في يوم (بِل تاين)، كل ما سمعه وفعله قد اختلط بحكايات قديمة وهراء غير منطقي. جذب البطانية حول كتفيه ولكن الجو البارد لم يكن هو ما يجعله يرتجف. كان رأسه يؤلمه أيضًا، ربما يمكن أن تفعل (مويرين) شيئًا لإيقاف هذه الأحلام. قالت إن باستطاعتها أن تساعد في مسألة الكوابيس.

تنهد وهو يسترخي إلى الوراء. هل كانت الأحلام سيئة بما يكفي حقًّا لكي يطلب المساعدة من (آيز سيداي)؟ على الجانب الآخر هل يمكن لأي شيء يفعله الآن أن يورطه أكثر؟ لقد غادر (النهرين) وارتحل مع (آيز سيداي). ولكن لم يكن هناك أي خيار بالطبع، فهل كان لديه أي خيار سوى الثقة بها؟ واحدة من (الآيز سيداي)؟ كان التفكير في الأمر سيئًا كأحلامه. كوَّم نفسه تحت بطانيته محاولًا أن يجد هدوء الخواء كما علمه (تام)، ولكن النوم لم يعد إليه إلا بعد وقت طويل.

الفصل الخامس عشر

غرباء وأصدقاء

تدفق ضوء الشمس على فراش (راند) ليوقظه أخيرًا من نومه العميق والمضطرب. جذب وسادة فوق رأسه ولكنها لم تحجب الضوء تمامًا، ولم يكن راغبًا حقًّا في العودة إلى النوم. كان هناك مزيدًا من الأحلام بعد الحلم الأول، لم يستطع أن يتذكر أيًّا منها سوى الحلم الأول، ولكنه كان يعرف أنه لا يريد المزيد.

تنهد وهو يُلقي الوسادة جانبًا ويعتدل في جلسته، ثم ظهر الألم على وجهه وهو يتمطى. كل الأوجاع التي ظن أنها تلاشت مع الحمام قد عادت إليه. وكان رأسه لا يزال يؤلمه أيضًا. لم يدهشه الأمر، إن حلم كهذا كان كافيًا لإصابة أي شخص بالصداع. لقد تلاشت الأحلام الأخرى بالفعل ولكن هذا الحلم لم يتلاشَ.

كان الفراشان الآخران شاغرين. كان الضوء يتدفق عبر النافذة بزاوية حادة وقد ارتفعت الشمس كثيرًا فوق الأفق. بحلول هذه الساعة عندما كان في المزرعة يكون بالفعل قد جهَّز شيئًا ليأكله بعد أن أنهى جزءًا كبيرًا من مهامه. غادر فراشه وهو يتمتم لنفسه في غضب، أمامه مدينة ليراها ولم يوقظه أحد، على الأقل حرص أحدهم على أن يكون هناك ماء في الإبريق، ولا يزال دافئًا أيضًا.

اغتسل وارتدى ملابسه في عجالة، ثم تردد لحظة أمام سيف (تام). لقد ترك (لان) و(توم) أكياس السروج ولفافات البطانيات وراءهما في الغرفة بالطبع، ولكن لم يكن سيف (الحامي) موجودًا في أي مكان. كان (لان) يمتشق سيفه في (إيموندز فيلد)، حتى قبل أن يكون هناك أدنى إشارة على وجود متاعب. فكر أن عليه أن يحذو حذو الرجل الأكبر سنًّا، وقال لنفسه إن هذا ليس بسبب أحلام يقظته المتكررة عن السير في شوارع مدينة حقيقية وهو يمتشق سيفًا. ثم وضع السيف في حزامه وألقى عباءته على كتفه كالجِوال. قطع درجات السلم درجتين في المرة مسرعًا في هبوطه إلى المطبخ، كان هذا هو أسرع مكان بالتأكيد لتناول بعض الطعام. وفي يومه الوحيد في (بايرلون) لم يرغب في إضاعة أي وقت أكثر مما ضاع بالفعل. *كان بإمكانهم أن يوقظوني بحق الدماء والرماد.*

كان السيد (فيتش) في المطبخ، يواجه امرأة ممتلئة الجسم، يغطي الدقيق ذراعيها حتى مرفقيها، من الواضح أنها الطاهية، أو بالأحرى كانت هي من تواجهه وهي تلوح بإصبعها تحت أنفه. كان المساعدون والنادلات والسقاة يسرعون لتأدية مهامهم متجاهلين عن عمد ما يحدث أمامهم.

كانت الطاهية تقول بحدة: «... عزيزتي (سيري) قطة طيبة، ولن أسمح لأحد بأن يقول عكس هذا، هل تفهمني؟ أنت تشتكي من تأديتها لمهمتها على أكمل وجه، أنت تشتكي بالفعل إن أردت رأيي».

تمكن السيد (فيتش) من أن يقول: «لدي شكاوى يا سيدتي، شكاوى. نصف النزلاء...».

«لن أسمع هذا، لن أسمعه. إن كانوا يرغبون في أن يشتكوا قطتي فدعهم يتولون أعمال الطهي. سأذهب أنا وقطتي العجوز المسكينة التي لم تفعل شيئًا سوى تأدية مهمتها إلى مكان نحظى فيه بالتقدير. سنفعل هذا حقًّا». ثم فكت مئزرها وبدأت ترفعه فوق رأسها.

صرخ السيد (فيتش) وهو يقفز ليمنعها: «لا!». رقصا في دائرة بينما الطاهية تحاول أن تنتزع مئزرها وصاحب الحانة يحاول أن يضعه عليها مرة أخرى. قال وهو يلهث: «لا يا (سارا)، لا حاجة لهذا، أقول لا حاجة لهذا! ماذا سأفعل من دونك؟ (سيري) قطة جيدة، قطة ممتازة، إنها أفضل قطة في (بايرلون)، إن اشتكى أي شخص آخر فسأخبره أن يكون ممتنًّا لأن القطة تؤدي مهمتها، أجل ممتنًّا. يجب ألا تذهبي. (سارا)؟ (سارا)!».

أوقفت الطاهية دورانهما وتمكنت من انتزاع مئزرها منه. «حسنًا إذن، حسنًا». أمسكت بمئزرها بكلتا يديها ولكنها مع هذا لم تربطه. «ولكن إن كنت تتوقع مني أن يكون لديَّ شيء جاهز من أجل وجبة منتصف النهار فمن الأفضل لك أن تخرج من هنا وتتركني أباشر العمل. قد تكون هذه حانتك ولكن هذا مطبخي، ما لم تكن راغبًا في الطهو بنفسك؟». ثم حركت يديها كأنما ستعطيه المئزر.

تراجع السيد (فيتش) وهو يلوح بيديه. فتح فمه ثم توقف وهو يتلفت حوله للمرة الأولى. كان خدم المطبخ ما زالوا يتجاهلون الطاهية وصاحب الحانة عن عمد، وبدأ (راند) يفتش جيوب معطفه باهتمام، ولكنه لم يجد شيئًا سوى العملة التي أعطتها له (مويرين) وبعض العملات النحاسية وحفنة من الأشياء المختلفة؛ سكين الجيب، وحجر شحذ، ووترين احتياطيين للقوس، وقطعة من خيط ظن أنها قد تكون مفيدة.

قال السيد (فيتش) بحذر: «أنا واثق من أن كل شيء سيكون ممتازًا كعادتك يا (سارا)». ثم ألقى نظرة مرتابة أخيرة على خدم المطبخ قبل أن يُغادر بما استطاع أن يحتفظ به من كرامته.

انتظرت (سارا) حتى اختفى قبل أن تربط خيوط مئزرها بخفة وهي تنظر إلى (راند) وتقول: «أفترض أنك تريد شيئًا لتأكله، أليس كذلك؟ حسنًا، تعالَ». ابتسمت له ابتسامة سريعة قبل أن تقول: «أنا لا أعض، لست كذلك. أيًّا كان ما رأيته فلم يكن من المفترض أن تراه. فلتحضري للفتى

بعض الخبز والجبن واللبن يا (سايل)، لا يوجد شيء سوى هذا الآن. فلتجلس يا فتى، لقد خرج أصدقاؤك باستثناء فتى واحد، فهمت أنه كان متوعكًا، أتوقع أنك سترغب في أن تخرج مثلهم».

جلبت إحدى النادلات صينية بينما (راند) يجلس على مقعد أمام الطاولة. بدأ يأكل بينما عادت الطاهية إلى عجن عجينة الخبز، ولكنها لم تكن قد انتهت من الحديث.

«لا تفكر كثيرًا فيما رأيته، السيد (فيتش) رجل صالح بما يكفي، بالنسبة لمعظم الرجال على الأقل، ولكن شكوى الناس جعلته يتوتر، وما الذي يشكون منه؟ هل يفضلون العثور على خمسة فئران حية بدلًا من الميتة؟ رغم أن (سيري) ليس من عادتها أن تترك صنيع يدها وراءها، وأكثر من اثني عشر؟ لن تسمح (سيري) لمثل هذا العدد بأن يدخل إلى الحانة، لن تسمح بهذا. إنه مكان نظيف أيضًا، وليس مكانًا يدعو للانزعاج. وجميع الفئران ظهورها مكسورة». ثم هزت رأسها لغرابة الأمر.

تحول الخبز والجبن إلى رماد في فم (راند). «ظهورها كانت مكسورة؟».

لوحت بيدها المغطاة بالدقيق وقالت: «فكر في أشياء أكثر بهجة، هذه هي طريقتي في النظر إلى الأمور. هناك صانع بهجة في الحجرة العامة الآن، ولكنك أتيت معه، أليس كذلك؟ أنت واحد من هؤلاء الذين أتوا مع السيدة (أليس) الليلة الماضية، أليس كذلك؟ أعتقد أنك كنت معهم. أعتقد أنني لن أحظى بفرصة كبيرة لرؤية صانع البهجة هذا بنفسي، ليس والحانة ممتلئة هكذا، ومعظمهم رعاع قادمون من المناجم». ضربت العجين ضربة ثقيلة وقالت: «ليسوا من النوع الذي نسمح بدخوله في معظم الأوقات، ولكن الأمر وما فيه هو أن البلدة ممتلئة بهم. ولكني أعتقد أنهم أفضل حالًا من غيرهم. لم أرَ صانع بهجة منذ ما قبل الشتاء و...».

كان (راند) يأكل بشكل تلقائي، لا يتذوق أي شيء ولا يصغي إلى ما تقوله الطاهية. فئران ميتة وظهورها مكسورة. أنهى إفطاره على عجالة ثم تلعثم في شكره قبل أن يسرع خارجًا.

عليه أن يتحدث إلى شخص ما.

كانت الحجرة العامة في حانة (الأيل والأسد) تشبه مثيلتها في حانة (واينسبرينج) باستثناء الغرض منها. كانت ضعف عرضها وثلاثة أضعاف طولها، ومرسوم عاليًا على جدرانها صور ملونة لمبانٍ مزخرفة مع حدائق من أشجار طويلة وزهور زاهية. بدلًا من وجود مدفأة واحدة كان هناك مدفأة متأججة بالنيران في كل جدار، وعشرات الطاولات تغطي الأرضية، وقد شغل الناس كل كرسي ومقعد.

كان كل رجل بين حشد الزبائن بغليون في فمه وقدح في يده وهو يميل إلى الأمام واهتمامه منصب على شيء ما؛ (توم)، واقفًا على طاولة في منتصف الحجرة، وعباءته متعددة الألوان ملقاة على كرسي قريب. حتى السيد (فيتش) كان يُمسك إبريقًا فضيًّا وقماشة تلميع في يديه بلا حراك.

«... تتبختر بحوافر فضية وأعناق مرفوعة في فخر». صاح (توم) بينما بشكل ما لم يبدُ فقط كأنما يمتطي حصانًا بل كأنما في موكب طويل من الفرسان. «أعراف حريرية تخفق مع رؤوس متمايلة، آلاف الرايات الخفاقة تصنع أقواس قزح تحت سماء لا نهائية، مئة من الأبواق النحاسية الصاخبة تهز السماء، وطبول تقرع كالرعد. في موجة تلو الأخرى تدفق الهتاف فوق أسقف (إليان) وأبراجها. تتلاطم وتتحطم بلا صوت حول آلاف الآذان للفرسان الذين كانت أعينهم وقلوبهم تتلألأ مع مسعاهم المقدس. سيبدأ (الصيد العظيم للبوق). الفرسان سيسعون وراء (بوق ڤالير)، الذي سيستدعي أبطال العصور ليعودوا من القبور ويحاربون من أجل (النور)...».

كان هذا ما أطلق عليه صانع البهجة ترنيمًا بسيطًا، في هذه الليالي بجوار النار في رحلتهم إلى الشمال. قال إن الحكايات تُروى في ثلاثة أصوات؛ ترنيم عالٍ، وترنيم بسيط، وترنيم عام وهو يعني ببساطة الحكي بالطريقة التي قد تخبر فيها جارك عن محصولك. كان (توم) يحكي حكاياته بالترنيم العام، ولم يكلف نفسه عناء إخفاء الازدراء من صوته.

أغلق (راند) الباب دون أن يدخل واستند بظهره إلى الجدار، لن يحصل على نصيحة من (توم). (مويرين)... ماذا ستفعل إن عرفت؟

لاحظ أن الناس يحدقون إليه أثناء مرورهم، وأدرك أنه كان يتمتم بصوت خفيض. اعتدل واقفًا وهو يعدل من معطفه، يجب عليه أن يتحدث إلى شخص ما، قالت الطاهية إن واحدًا منهم لم يخرج، بذل مجهودًا كبيرًا لكيلا يركض.

عندما طرق على باب الغرفة التي ينام فيها الفتيان الآخران وأطل برأسه داخلها. لم يجد سوى (بيرين) بالداخل، مستلقيًا على سريره ولم يرتدِ ملابسه بعد. أدار رأسه على الوسادة لينظر إلى (راند) ثم أغلق عينيه مرة أخرى. كان قوس (مات) وجعبته مسنودين في ركن الغرفة.

قال (راند): «سمعت أنك متوعك». ثم دلف إلى الداخل وجلس على السرير الآخر وقال: «أردت فقط أن أتحدث، أنا...». أدرك أنه لا يعرف كيف يطرح الأمر. قال وهو يعتدل واقفًا: «إن كنت مريضًا فربما من الأفضل أن تنام يمكنني أن أذهب».

تنهد (بيرين) وقال: «لا أعرف إن كنت سأنام مرة أخرى أبدًا، بيني وبينك راودتني أحلام سيئة، ولم أستطع العودة إلى النوم. سرعان ما سيخبرك (مات) بهذا، لقد ضحك هذا الصباح عندما أخبرته لمَ أشعر بالتعب ولا أقدر على الخروج معهم، ولكنه قد حلم أيضًا، لقد أصغيت إليه معظم الليل وهو يتقلب ويتمتم، ولا يمكنني أن أقتنع أنه قد نام نومًا هنيئًا هذه الليلة». ثم وضع ذراعه الثخينة على عينيه وقال: «ولكني

متعب بحق (النور)، ربما إذا بقيت هنا لساعة أو ساعتين سأشعر بالرغبة في النهوض. لن يتوقف (مات) عن السخرية مني إذا فاتتني رؤية (بايرلون) بسبب حلم».

جلس (راند) على السرير مرة أخرى ببطء وهو يلعق شفتيه ثم قال على الفور: «هل قتل فأرًا؟».

خفض (بيرين) ذراعه وحدق إليه قبل أن يقول أخيرًا: «أنت أيضًا؟». عندما أومأ (راند) برأسه قال: «أتمنى لو كنت في الديار. لقد أخبرني... قال... ماذا سنفعل؟ هل أخبرت (مويرين)؟».

«لا، ليس بعد. ربما لن أخبرها، لا أعرف. ماذا عنك؟».

«لقد قال... بحق الدماء والرماد يا (راند) أنا لا أعرف». ثم نهض (بيرين) فجأة متكئًا على مرفقه وقال: «هل تعتقد أن (مات) قد راوده نفس الحلم؟ لقد ضحك، ولكنها بدت ضحكة مصطنعة، وقد بدا غريبًا عندما قلت إنني لا أستطيع النوم بسبب حلم».

قال (راند): «ربما قد راوده». وأحس بالذنب لارتياحه لأنه ليس الوحيد. «كنت على وشك أن أطلب النصيحة من (توم)، لقد رأى الكثير من العالم. أنت... أنت لا تعتقد أن علينا إخبار (مويرين)، أليس كذلك؟».

هوى (بيرين) على وسادته وقال: «لقد سمعت الحكايات عن (الآيز سيداي)، هل تعتقد أن بإمكاننا أن نثق في (توم)؟ هذا إن كان باستطاعتنا أن نثق في أي شخص. إذا خرجنا من هذا الأمر أحياء يا (راند)، وإذا عدنا يومًا إلى الديار، وسمعتني أقول شيئًا عن مغادرة (إيموندز فيلد) . حتى للذهاب إلى (واتش هيل) . فلتركلني، اتفقنا؟».

قال (راند): «لا تقل هذا». ثم رسم على وجهه ابتسامة مبهجة قدر استطاعته وقال: «بالطبع سنعود إلى الديار. هيا انهض، نحن في مدينة ولدينا يوم كامل لرؤيتها، أين ملابسك؟».

«فلتذهب أنت، أنا أريد أن أستلقي هنا لبعض الوقت». وضع (بيرين) ذراعه مرة أخرى على عينيه وقال: «فلتسبقني، سألحق بك في غضون ساعة أو ساعتين».

قال (راند) وهو ينهض: «أنت الخاسر، فكر فيما سيفوتك». ثم خطا ناحية الباب قبل أن يقول: «(بايرلون)، كم مرة تحدثنا عن رؤية (بايرلون) ذات يوم؟». ظل (بيرين) مستلقيًا وهو يغطي عينيه دون أن يتفوه بكلمة واحدة، بعد دقيقة خطا (راند) خارجًا وأغلق الباب وراءه.

في الردهة اتكأ على الجدار وابتسامته تتلاشى. كان رأسه لا يزال يؤلمه، بل كان الأمر أسوأ وليس أفضل. لم يستطع أن يشعر بالكثير من الحماس من أجل (بايرلون) أيضًا، ليس في هذه اللحظة، لم يستطع أن يشعر بالحماس تجاه أي شيء.

مرت إحدى خادمات الغرف من جواره وذراعاها ممتلئتان بالملاءات، ونظرت إليه بقلق، ولكن قبل أن تقول شيئًا تحرك عبر الردهة وهو يرتدي عباءته. لن ينتهي (توم) من استعراضه في الحجرة العامة قبل ساعات. ربما يجب عليه أن يرى ما يمكنه فعله. ربما يعثر على (مات) ويعرف إن كان (بعلزمون) قد ظهر في أحلامه أيضًا. هبط درجات السلم ببطء أكبر هذه المرة وهو يفرك صدغه.

انتهى السلم بالقرب من المطبخ فشق طريقه مبتعدًا وهو يومئ برأسه إلى (سارا) ولكنه أسرع عندما بدا أنها على وشك أن تكمل حديثها من حيث أنهته. كانت باحة الإسطبل خالية إلا من (موتش) الواقف عند باب الإسطبل، وأحد الخدم الذين يعتنون بالخيول يحمل جِوالًا على كتفه وهو يدلف إلى الإسطبل. أومأ (راند) إلى (موتش) أيضًا ولكن عامل

الإسطبل نظر إليه نظرة عدائية قبل أن يدلف إلى الداخل. كان يأمل أن تكون بقية المدينة أكثر شبهًا بـ(سارا) وأقل شبهًا بـ(موتش). أسرع في خطواته وهو مستعد ليرى ما تبدو عليه المدينة.

وقف عند بوابات الإسطبل المفتوحة وهو يحدق إلى الخارج. كان الناس يملؤون الشارع كأغنام في مربض، متشحين بالعباءات والمعاطف، والقبعات منسدلة على رؤسهم لحمايتهم من البرد، يذهبون ويجيئون بخطوات سريعة كأن الرياح التي تصفر فوق الأسقف تدفعهم معها، وكانوا يتدافعون أثناء مرورهم دون كلمة أو نظرة تقريبًا. قال لنفسه إن الجميع غرباء، لا أحد منهم يعرف الآخر.

كانت الروائح غريبة أيضًا؛ حادة ونفاذة ولاذعة، جميعها مختلطة في مزيج جعله يفرك أنفه. حتى في ذروة العيد لم يرَ مثل هذا العدد من الناس محتشدين معًا، ولا حتى نصف هذا العدد، وكان هذا شارعًا واحدًا فقط. قال السيد (فيتش) والطاهية إن المدينة ممتلئة بالكامل. المدينة بالكامل... هكذا؟

تراجع ببطء بعيدًا عن البوابة، بعيدًا عن الشارع الممتلئ بالناس. لم يكن من الصواب حقًّا الخروج وترك (بيرين) مريضًا في الفراش، وماذا لو أنهى (توم) حكايته بينما (راند) بالخارج في المدينة. قد يخرج صانع البهجة أيضًا، و(راند) بحاجة إلى أن يتحدث إلى شخص ما، من الأفضل الانتظار قليلًا. تنفس الصعداء وهو يدير ظهره إلى الشارع الذي يعج بالناس.

لم يعجبه العودة إلى داخل الحانة أيضًا، ليس وهو يشعر بمثل هذا الصداع، جلس على برميل مقلوب في مؤخرة الحانة وهو يأمل أن يخفف الهواء البارد من صداعه.

كان (موتش) يأتي إلى باب الإسطبل من وقت لآخر ليحدق إليه، ورغم أن (راند) كان جالسًا على الجانب الآخر من باحة الإسطبل إلا أنه كان قادرًا على رؤية استهجان الرجل. هل الأمر هو أنه لا يحب الريفيين؟ أم أنه كان يشعر بالإحراج لتحية السيد (فيتش) لهم بعد أن حاول طردهم لدخولهم من المدخل الخلفي؟ فكر أنه ربما يكون واحدًا من (أصدقاء الظلام)، وتوقع أن يضحك على الفكرة ولكنها لم تكن مضحكة على الإطلاق. فرك بيده على مقبض سيف (تام)، لم يعد يرَ الكثير من الأشياء مضحكة.

قالت امرأة بصوت خفيض: «راعي غنم يحمل سيفًا بعلامة البلشون، هذا كافيًا لجعل المرء يصدق أي شيء. أي مشكلة تواجهها أيها الفتى الريفي؟».

جفل (راند) وقفز واقفًا على قدميه، كانت هذه هي الشابة ذات الشعر القصير التي كانت مع (مويرين) عندما خرج من غرفة الاستحمام، وكانت لا تزال ترتدي نفس المعطف الرجالي والسروال القصير. فكر أنها أكبر منه بقليل بعينين سوداوين، أوسع حتى من عيني (إيجوين)، وتشعان باهتمام غريب.

قالت له: «أنت (راند)، أليس كذلك؟ اسمي (مين)».

قال لها: «لا أواجه أي مشكلة». لم يكن يعرف ما قالته لها (مويرين) ولكنه تذكر تحذير (لان) بألا يجذب أي انتباه. «ما الذي يجعلك تظنين أنني أواجه مشكلة؟ (النهران) مكان هادئ، ونحن أناس مسالمون. ليس مكانًا للمشكلات ما لم يكن أمرًا متعلقًا بالمحاصيل أو الأغنام».

قالت (مين) بابتسامة شاحبة: « مسالمون؟ لقد سمعت أناس يتحدثون عنكم يا قوم (النهرين)، سمعت نكات عن رعاة الأغنام متحجري الرأس، وهناك أناس قد ذهبوا بالفعل إلى الريف الجنوبي».

قال (راند) وهو يعقد حاجبيه: «متحجري الرأس؟ أي نكات؟».

أكملت حديثها كأنه لم يتكلم: «الأناس الذين يعرفونكم يقولون إنكم جميعًا تتجولون في الأرجاء مبتسمين ومهذبين، بسطاء ولَيِّنِين كالزبد، ظاهريًّا على الأقل، ولكنكم في باطنكم قاسون كجذر شجرة بلوط عجوز. يقولون إن المرء إن حفر بداخلكم كثيرًا فسيصطدم بصخرة، ولكن الصخرة ليست مدفونة عميقًا بداخلك أو بداخل أصدقائك، كأن عاصفة قد جرفت معظم الغطاء تقريبًا. لم تخبرني (مويرين) بكل شيء ولكني أرى هذا بوضوح».

جذور بلوط عجوز؟ صخرة؟ لم يبدُ هذا نوعًا من الكلام الذي قد يقوله التجار أو من هم على شاكلتهم، ولكن هذه الجملة الأخيرة جعلته يجفل.

تلفت حوله على الفور، كانت باحة الإسطبل خاوية وأقرب النوافذ مغلقة. «أنا لا أعرف أي شخص يُدعى... ماذا كان الاسم الذي قلتِه؟».

«السيدة (أليس) إذن، إن كنت تفضل هذا الاسم». قالتها (مين) بجذل فاحتقنت وجنتاه خجلًا. «لا يوجد أحد قريب بما يكفي لسماعنا».

«ما الذي يجعلك تظنين أن السيدة (أليس) لديها اسم آخر؟».

قالت (مين) بصبر شديد حتى أن وجهه احتقن مجددًا: «لأنها أخبرتني بهذا. أفترض أنه لم يكن لديها خيارًا. لقد رأيت أنها... مختلفة... على الفور، عندما توقفت هنا من قبل في طريقها إلى الريف الجنوبي. لقد عَرِفَتْ بشأني، فقد تحدثت إلى... آخرين مثلها من قبل».

قال (راند): «رأيتِ؟».

«حسنًا، لا أفترض أنك ستهرع إلى (أبناء النور)، بالأخذ في الاعتبار الصحبة التي تسافر معها. لن يُعْجَب أصحاب العباءات البيضاء بما أفعله أكثر من إعجابهم بما تفعله هي».

«أنا لا أفهم».

قالت (مين): «تقول إنني أرى أجزاءً من النمط». ثم ضحكت ضحكة قصيرة وهي تهز رأسها قبل أن تكمل: «يبدو هذا عظيمًا أكثر من اللازم بالنسبة لي. الأمر ببساطة هو أنني عندما أنظر إلى الناس أرى أشياء، وأحيانًا أعرف ما تعنيه هذه الأشياء. أنظر إلى رجل وامرأة لم يسبق لهما حتى تبادل الحديث مع بعضهما، وأعرف أنهما سيتزوجان، ويتزوجان بالفعل. أشياء من هذا القبيل. أرادت مني أن أنظر إليكم جميعًا».

قال (راند) وهو يرتجف: «وما الذي رأيتِه؟».

«عندما تكونون في مجموعة؟ تدور الشرارات من حولكم، الآلاف منها، وظل كبير، أكثر ظلامًا من منتصف الليل. إنه قوي للغاية وأكاد أتساءل لمَ لا يستطيع الجميع رؤيته. الشرارات تحاول أن تملأ الظل، والظل يحاول أن يبتلع الشرارات». ثم هزت كتفيها وقالت: «إنكم جميعًا مرتبطون بشيء خطير ولكني لا أستطيع أن أفسره أكثر من هذا».

قال (راند) متمتمًا: «جميعنا؟ (إيجوين) أيضًا؟ ولكنهم لم يسعوا وراء... أعني...».

لم يبدُ على (مين) أنها قد لاحظت ذلة لسانه وهي تقول: «الفتاة؟ إنها جزء من الأمر، وصانع البهجة أيضًا، جميعكم. أنت تحبها». حدق إليها فقالت: «يمكنني معرفة هذا حتى بدون رؤية أي صور. إنها تحبك أيضًا، ولكنها ليست لك، وأنت لست لها، ليس بالطريقة التي يريدها كلاكما».

«ما الذي يعنيه هذا؟».

«عندما أنظر إليها أرى نفس الشيء الذي أراه عندما أنظر إلى... السيدة (أليس). أشياء أخرى، أشياء لا أفهمها أيضًا، ولكني أعرف ما تعنيه. إنها لن ترفض الأمر».

قال (راند) بعدم ارتياح: «هذا كله حماقة». كان صداعه يتلاشى ويحل محله إحساس بالخدر. أحس كأن رأسه مليء بالصوف. أراد أن يبتعد

عن الفتاة والأشياء التي رأتها، ورغم هذا... «ما الذي ترينه عندما تنظرين إلى... بقيتنا؟».

قالت (مين) مبتسمة كأنها تعرف حقًّا ما يرغب في السؤال عنه: «أشياء عديدة؛ الحرب... آه... هناك سبعة أبراج متداعية حول رأس السيد (أندرا)، وطفل في المهد يحمل سيفًا، و...». هزت رأسها. «رجال مثله، هل تفهم؟ دومًا ما يكون هناك صور عديدة تزاحم إحداها الأخرى. أقوى الصور التي تحيط بصانع البهجة هي صورة رجل. ليس هو - يتلاعب بالنار، و(البرج الأبيض)، وهذا ليس منطقيًّا على الإطلاق بالنسبة لرجل. أقوى الأشياء التي أراها حول الشاب الضخم ذي الشعر الأشعث هو ذئب، وتاج محطم، وأشجار تزدهر في كل مكان من حوله. والشاب الآخر؛ عُقاب أحمر، وعين على ميزان، وخنجر به ياقوتة، وبوق، ووجه ضاحك. هناك أشياء أخرى ولكنك تفهم ما أعنيه. هذه المرة لا يمكنني تفسير أي من هذه الأشياء».

انتظرت حينها وهي لا تزال مبتسمة، حتى تنحنح وسألها أخيرًا: «ماذا عني؟».

كادت ابتسامتها أن تتحول إلى ضحكة وهي تقول: «أشياء من نفس القبيل كالبقية؛ سيف ليس بسيف، وتاج ذهبي من أوراق الغار، وعصا شحَّاذ، وأنت تسكب ماءً على رمال، ويد دامية، وحديد ملتهب، وثلاث نساء يقفن أمام نعش أنت موضوع عليه، وصخرة سوداء ملطخة بالدماء...».

قاطعها قائلًا في توتر: «حسنًا، لا داعي لأن تذكري كل شيء».

«وأغرب شيء هو أنني أرى برقًا من حولك، بعضه يضربك وبعضه يخرج منك. أنا لا أعرف ما الذي يعنيه أي من هذا إلا شيئًا واحدًا؛ أنا وأنت سنلتقي مرة أخرى». ثم نظرت إليه بحيرة كأنها لا تفهم ما يعنيه هذا أيضًا.

قال لها: «وما الغريب في أن نلتقي مرة أخرى؟ سأمر من هذا الطريق أثناء عودتي إلى الديار».

«أفترض أنك ستفعل هذا». وفجأة عادت ابتسامتها ساخرة وغامضة، ثم ربتت على وجنته وقالت: «ولكن إن أخبرتك بكل شيء رأيته فإنك ستصير أشعث الشعر كصديقك عريض الكتفين».

ابتعد فجأة عن يدها كأنها حارقة وقال: «ما الذي تعنينه؟ هل ترين أي شيء عن فئران؟ أو أحلام؟».

«فئران! لا، لا فئران. أما بالنسبة للأحلام فربما تظن أن الأمر أشبه بحلم، ولكني لا أراه هكذا مطلقًا».

تساءل إن كانت مجنونة وهي تبتسم هكذا، ثم قال وهو يبتعد بحذر عنها: «يجب عليَّ أن أذهب. يجب... يجب عليَّ أن ألتقي بأصدقائي».

«اذهب إذن ولكنك لن تهرب».

لم يركض بالضبط، ولكن كل خطوة يقطعها كانت أسرع من سابقتها. صاحت من ورائه: «اركض إن شئت، لا يمكنك الهرب مني». جعلته ضحكتها يسرع عبر باحة الإسطبل خارجًا إلى الشارع، إلى صخب الناس. كانت كلماتها الأخيرة قريبة إلى حد كبير مما قاله (بعلزمون). كان يرتطم بالناس وهو يسرع عبر الحشد، فنال نظرات صارمة وكلمات قاسية، ولكنه لم يبطئ من سرعته حتى صار على بعد عدة شوارع من الحانة.

بعد مرور بعض الوقت بدأ يولي اهتمامًا إلى المكان الذي هو فيه. أحس أن رأسه كالبالون، ولكنه أخذ يحدق واستمتع بالأمر على أي حال. قال لنفسه إن (بايرلون) مدينة كبيرة، رغم أنها لم تكن تمامًا كالمدن في حكايات (توم). تجول في الشوارع العريضة التي كان معظمها مرصوفًا بالأحجار، وعبر طرقٍ ضيقة وملتوية، حيثما تقتاده الصدفة وازدحام الناس. كان المطر قد هطل أثناء الليل فتحولت الشوارع غير المرصوفة إلى طين بسبب

الحشود، ولكن الشوارع الطينية لم تكن شيئًا جديدًا عليه، لا يوجد أي شارع مرصوف في (إيموندز فيلد).

لم يكن هناك أي قصور بالتأكيد، ولكن بعض البيوت كانت أكبر من البيوت في قريته، ولكن كل البيوت كان لها أسقف من الأردواز أو القرميد الممتاز كسقف حانة (واينسبرينج). افترض أنه قد يكون هناك قصر أو اثنان في (كايملين). أما بالنسبة للحانات فقد أحصى تسعًا منها، ولم تكن أي منها أصغر من حانة (واينسبرينج)، ومعظمها كبير مثل حانة (الأيل والأسد)، وكان هناك الكثير من الشوارع التي لم يرها بعد.

كانت المتاجر منتشرة في كل الشوارع، مع مظلات ممدودة لتحمي الطاولات المغطاة بالبضائع، كل شيء ما بين الأقمشة والكتب والأواني والأحذية. كان هناك مئات من عربات الباعة الجائلين التي تعرض محتوياتها. كان يُكثر من التحديق حتى أنه أكثر من مرة كان عليه أن يُسرع مبتعدًا إثر نظرة مرتابة من صاحب متجر. لم يفهم أول نظرة يرميه بها أحد أصحاب المتاجر، وعندما فهم بدأ يشعر بالغضب، حتى تذكر أنه كان غريبًا. لا يمكنه أن يشتري الكثير على أي حال. شهق عندما رأى عدد العملات النحاسية التي تُدفع مقابل بعض التفاح الباهت أو حفنة من اللفت الذابل، الأشياء التي تُطعَم للخيول في (النهرين)، ولكن الناس يبدون متحمسين للدفع.

كان هناك بالتأكيد عدد أكثر من كافٍ من الناس حسب تقديره، لبعض الوقت كان عددهم الهائل أكبر من قدرته على الاستيعاب، بعضهم كان يرتدي ثيابًا أفخم من أي شخص في (النهرين). تكاد تكون فخمة كثياب (مويرين). وعدد قليل يرتدي معاطف طويلة مبطنة بالفراء ترفرف حول كواحلهم. عمال المناجم - الذين يتحدث عنهم كل شخص في الحانة - كان لديهم هذه الهيئة المنحنية التي تميز الرجال الذين يحفرون تحت الأرض. ولكن معظم الناس لم يبدوا مختلفين عن أولئك الذين نشأ معهم، لا في الملبس ولا في الملامح. لقد توقع أن يكونوا مختلفين بشكل ما. كان

بعضهم يُشبه قاطني (النهرين) كثيرًا في الملامح حتى كان باستطاعته أن يتخيل أنهم ينتمون لعائلة أو أخرى يعرفها في (إيموندز فيلد). كان هناك رجل بلا أسنان، رمادي الشعر، بأذنين كمقبضي الإبريق، يجلس على مقعد خارج واحدة من الحانات وينظر بحزن إلى قدح فارغ، يمكن ببساطة أن يكون أحد أبناء عمومة (بيلي كونجار) المقربين. يمكن للخياط ذي الفك الطويل المدبب الذي يخيط أمام متجره أن يكون أخًا لـ(جون ثاين)، لديه حتى نفس البقعة الصلعاء على مؤخرة رأسه. كان هناك رجل يكاد أن يكون نسخة طبل الأصل من (سامل كراو)، مر من جوار (راند) وهو ينعطف عند ناصية، و...

حدق في ذهول إلى الرجل الضئيل النحيل ذي الذراعين الطويلتين والأنف الضخم، وهو يشق طريقه في تعجل عبر الحشد مرتديًا ما يبدو كأنه حزمة من الأسمال البالية. كانت عين الرجل غائرتين ووجهه المتسخ هزيلًا، كأنه لم يأكل أو ينَم منذ أيام. ولكن (راند) كاد أن يقسم... رآه الرجل الرث حينها فتجمد في موضعه دون أن ينتبه إلى الناس الذين يتعثرون به. اختفت آخر ذرة من الشك في عقل (راند).

صاح: «سيد (فاين)! لقد ظننا أنك...».

في لمح البصر اندفع البائع الجائل مبتعدًا، ولكن (راند) أسرع في عقبيه وهو يعتذر لكل الأشخاص الذين يصطدم بهم. استطاع أن يلمح (فاين) بين الحشد يندفع إلى زقاق فانعطف وراءه.

بعد بضع خطوات في الزقاق توقف البائع الجائل في موضعه، كان هناك سياج طويل يسد الطريق. بينما (راند) يبطئ من حركته ويتوقف في موضعه بدوره، التفت (فاين) ليواجهه منحنيًا للأمام بحذر وهو يتراجع للوراء. لوَّح بيديه المتسختين ناحية (راند) لكي يبقى بعيدًا. كان هناك أكثر من خرق في معطفه، وكانت عباءته بالية وممزقة كأنما قد شهدت أيامًا أكثر قسوة مما كان يجب أن تواجهه.

قال (راند) مترددًا: «سيد (فاين)؟ ما الخطب؟ هذا أنا، (راند ألثور) من (إيموندز فيلد). لقد ظننا أن (الترولوكيين) قد أخذوك».

لوح (فاين) بيديه في حدة وهو لا يزال منحنيًا، ثم ركض بضع خطوات جانبية ناحية الطرف المفتوح من الزقاق. لم يحاول أن يتخطى (راند) أو حتى يقترب منه. قال بصوت مبحوح: «لا!». كان يتلفت برأسه باستمرار كأنه يحاول أن يرى كل شيء في الشارع وراء (راند). «لا تذكر...». انخفض صوته إلى همس أجش وهو يبعد رأسه مختلسًا النظر إلى (راند) بنظرات جانبية سريعة. «... اسمهم. أصحاب العباءات البيضاء في القرية».

قال (راند): «ليس لديهم أي سبب لمضايقتك. تعالَ معي إلى حانة (الأيل والأسد). أنا أُقيم هناك مع أصدقاء، أنت تعرف معظمهم، سيكونون مسرورين لرؤيتك. كنا جميعًا نظن أنك ميت».

قال البائع الجائل بحدة وسخط: «ميت؟ ليس (باداان فاين). (باداان فاين) يعرف في أي اتجاه يقفز وأين يهبط». ثم هندم ثيابه الرثة كأنما هي ثياب عيد وقال: «هكذا كنت دومًا وهكذا سأكون دومًا، سأعيش لوقت طويل، أطول من...». فجأة تلوى وجهه وتشبثت يداه بمقدمة معطفه. «لقد أحرقوا عربتي وكل بضائعي. لم يكن لديهم سبب لفعل هذا، أليس كذلك؟ لم أستطع الوصول إلى أحصنتي، لقد احتجزهم صاحب الحانة العجوز السمين في إسطبله. لقد اضطررت إلى التحرك بسرعة حتى لا يقطع عنقي، وإلام أوصلني هذا؟ كل ما تبقى لديَّ هو ما أرتديه. هل هذا عدل؟ أخبرني، هل هذا عدل؟».

«إن أحصنتك بأمان في إسطبل السيد (ألفير)، يمكنك الحصول عليها في أي وقت، إذا أتيت معي إلى الحانة فأنا واثق أن (مويرين) ستساعدك على العودة إلى (النهرين)».

«آها، إنها... (الآيز سيداي)، أليس كذلك؟». ظهرت نظرة حذرة على وجه (فاين). «ولكن ربما...». لعق شفتيه في توتر. «إلى متى ستبقون في... ماذا كانت؟ ما الاسم الذي قلته؟ (الأيل والأسد)؟».

قال (راند): «سنغادر في الغد، ولكن ما علاقة هذا بـ...».

قال (فاين) منتحبًا: «أنت لا تعرف شيئًا، بل تقف هنا بمعدة ممتلئة وليلة من النوم الهانئ في فراش وثير. أنا بالكاد أغمضت عينيَّ منذ تلك الليلة. إن حذائي مهترئ من الركض، أما بالنسبة لما اضطررت لأكله...». تلوى وجهه قبل أن يُكمل: «أنا لا أريد أن أكون على مسافة أميال من (آيز سيداي)». بصق الكلمات الأخيرة. «بل أميال وأميال. ولكني مضطر، ليس لديَّ خيار، أليس كذلك؟ إن مجرد التفكير في أن تنظر إليَّ بعينيها، أو حتى تعرف أين أنا...». مد يديه ناحية (راند) كأنه يرغب في أن يُمسك بمعطفه، ولكنهما توقفتا على مسافة قصيرة منه وهما ترتجفان، ثم قطع خطوة للوراء وقال: «عدني أنك لن تخبرها. إنها تخيفني. ليس هناك حاجة لأن تخبرها، لا يوجد سبب لأن تعرف واحدة من (الآيز سيداي) حتى أنني على قيد الحياة. يجب عليك أن تعدني، يجب عليك!».

قال (راند) وهو يحاول أن يهدئ من روعه: «أعدك، ولكن لا يوجد سبب يجعلك تخاف منها. تعالَ معي، على الأقل ستنال وجبة ساخنة».

قال (فاين) وهو يفرك ذقنه مفكرًا: «ربما، ربما. قلت لي في الغد؟ حتى هذا الوقت... لن تنسى وعدك؟ لن تدعها...».

قال (راند): «لن أدعها تؤذيك». وهو يفكر كيف يمكن أن يمنع (آيز سيداي) عن أي شيء ترغب في فعله.

قال (فاين): «إنها لن تؤذيني، لا لن تفعل هذا، لن أسمح لها». وفي لمح البصر اندفع متجاوزًا (راند) ناحية الزحام.

ناداه (راند): «سيد (فاين)! انتظر!».

اندفع خارجًا من الزقاق في الوقت المناسب لكي يرى معطفًا ممزقًا يختفي عند الناصية التالية. ركض وراءه وهو لا يزال يناديه، قبل أن يسرع منعطفًا عند الناصية هو أيضًا. لم يكن لديه وقت كافٍ سوى لأن يرى ظهر الرجل، قبل أن يصطدم به ليسقط كلاهما متكومين في الطين.

جاء صوت يتمتم من أسفله: «ألا يمكنك أن ترى إلى أين أنت ذاهب؟».

فاعتدل (راند) على الفور واقفًا في دهشة وصاح: «(مات)؟».

اعتدل (مات) جالسًا وهو يحدق إليه بغضب قبل أن يبدأ في كشط الطين من عباءته بيديه، وهو يقول: «أنت تتحول حقًّا إلى واحد من سكان المدن؛ تنام طيلة الصباح، وتصطدم بالناس أثناء ركضك». ثم وقف على قدميه وهو يحدق إلى يديه الموحلتين قبل أن يمسحهما في عباءته ويقول: «اسمعني، لن تصدق من رأيت للتو».

قال (راند): «(بادان فاين)».

«(بادان فا...) كيف عرفت؟».

«كنت أتحدث معه ولكنه هرب مني».

«إذن فـ(الترو...)». صمت (مات) وتلفت حوله في حذر، ولكن الناس كانوا يمرون من جوارهم دون حتى أن يلتفتوا إليهما. كان (راند) مسرورًا لأنه تعلم القليل من الحذر. «إذن فإنهم لم ينالوا منه. أتساءل لمَ غادر (إيموندز فيلد) هكذا بدون كلمة؟ ربما بدأ الركض حينها أيضًا ولم يتوقف حتى وصل إلى هنا. ولكن لماذا يركض الآن؟».

هز (راند) رأسه وتمنى لو أنه لم يفعل هذا، فقد أحس أنه قد يسقط أرضًا. «لا أعرف، أعتقد أنه خائف من (مو...) السيدة (أليس)». كل هذا الحذر في الحديث لم يكن سهلًا. «لم يرغب في أن تعرف أنه هنا، لقد جعلني أعده بأنني لن أخبرها».

«حسنًا، إن سره بأمان معي. أتمنى لو أنها لا تعرف أين أنا أيضًا».

«(مات)؟». كان الناس ما زالوا يتدفقون دون أن يولوهما أدنى اهتمام، ولكن (راند) خفض صوته على أي حال وهو يميل مقتربًا منه. «هل راودك كابوس في الليلة الماضية يا (مات)؟ عن رجل يقتل فأرًا؟».

حدق إليه (مات) دون أن يرمش ثم قال بحزم: «أنت أيضًا؟ وأعتقد أن (بيرين) كذلك. لقد كدت أسأله هذا الصباح ولكن... لا شك أن الحلم قد راوده. بحق الدماء والرماد! الآن شخص ما يجعلنا نحلم بأشياء. أتمنى لو لم يكن هناك أي شخص يعرف مكاني يا (راند)».

«لقد كان هناك فئران ميتة في الحانة هذا الصباح». لم يشعر بالخوف من قول هذا كما كان ليشعر باكرًا، لم يعد يشعر بأي شيء. «كانت ظهورهم مكسورة». أحس بصوته يرن في أذنيه. إن كان مريضًا فربما يجب عليه الذهاب إلى (مويرين). كان مندهشًا لأنه حتى فكرة استخدام (القوة الواحدة) عليه لم تزعجه.

أخذ (مات) نفسًا عميقًا وهو يربط عباءته، ثم تلفت حوله كأنما يفتش عن مكان ما ليذهب إليه، قبل أن يقول: «ماذا يحدث لنا يا (راند)؟ ماذا؟».

«لا أعرف، سأطلب من (توم) أن ينصحنا إذا ما كان علينا أن نخبر... أي شخص آخر أم لا».

«لا! ليس هي. ربما هو، ولكن ليس هي».

اندهش (راند) من حدته فقال: «أنت تصدقه إذن؟». لم يكن بحاجة لتوضيح من الذي يتحدث عنه. ولكن عبوس وجه (مات) أنبأه بأنه قد فهم.

قال (مات) ببطء: «لا، إنها المقامرة بالاحتمالات ليس أكثر. إن أخبرناها وكان يكذب إذن فربما لا يحدث شيئًا، ربما. ولكن ربما مجرد كونه

في أحلامنا كافٍ من أجل... لا أعرف». صمت ليزدرد لعابه ثم قال: «إن لم نخبرها فربما تراودنا المزيد من الأحلام. فئران أو لا، فالأحلام أفضل من... هل تذكر المركب؟ أرى أن نظل صامتين».

«لا بأس». تذكر (راند) المركب وتهديدات (مويرين) أيضًا، ولكن بشكل ما بدا هذا منذ زمن بعيد. «لا بأس».

قال (مات) وهو يقف على أصابع قدميه: «(بيرين) لن يقول شيئًا، أليس كذلك؟ يجب أن نعود إليه، إن أخبرها فستكشف أمرنا جميعًا، يمكنك أن تراهن على هذا. هيا بنا». ثم بدأ يشق طريقه بخفة بين الحشد.

وقف (راند) في موضعه وهو يحدق إلى (مات) حتى عاد وجذبه من ذراعه، فرمش بعينيه ثم سار لاحقًا بصديقه.

سأله (مات): «ما خطبك؟ هل تنام مرة أخرى؟».

قال (راند): «أعتقد أنني أُصبت بالبرد». كان رأسه مشدودًا كطبلة وخاويًا مثلها تقريبًا.

قال (مات): «يمكنك أن تتناول بعض حساء الدجاج عند عودتنا إلى الحانة».

ظل يثرثر بلا انقطاع بينما هما يشقان طريقهما عبر الشوارع المزدحمة. بذل (راند) مجهودًا للإصغاء أو حتى قول شيء بين الحين والآخر، ولكنه كان مجهودًا شاقًّا. لم يكن متعبًا، ولم يكن راغبًا في النوم، كان يشعر فقط كأنما هو ينجرف. بعد مرور بعض الوقت وجد نفسه يخبر (مات) بشأن (مين).

قال (مات): «خنجر به ياقوتة؟ يعجبني هذا، ولكني لا أعرف بشأن العين. هل أنت واثق من أنها لم تختلق الأمر؟ يبدو لي أنها كانت لتعرف ما يعنيه كل هذا إن كانت حقًّا عرَّافة».

قال (راند): «لم تقل إنها عرافة، ولكني أصدق أنها ترى أشياء. كانت (مويرين) تتحدث معها عندما انتهينا من الاستحمام، وهي تعرف من تكون (مويرين)».

عقد (مات) حاجبيه وقال: «ظننت أننا لا يجب أن نستخدم هذا الاسم».

تمتم (راند): «لا». فرك رأسه بكلتا يديه، كان من الصعب التركيز على أي شيء.

قال (مات) وهو لا يزال عاقدًا حاجبيه: «أعتقد أنك قد تكون مريضًا حقًّا». ثم جذب (راند) من كم معطفه ليتوقف وهو يقول: «انظر إليهم».

كان هناك ثلاثة رجال يرتدون دروعًا وخوذات فولاذية مخروطية، قد صُقِلت حتى صارت تلمع كالفضة، يشقون طريقهم عبر الشارع ناحية (راند) و(مات). حتى الزرود على أذرعهم كانت تلمع. كانت عباءاتهم الطويلة ناصعة البياض ومطرزة على الصدر الأيسر بشعار شمس ذهبية، ويجرون أذيالها في الشوارع المليئة بالطين والبرك. كانت أيديهم مستقرة على مقابض سيوفهم وهم يتلفتون حولهم كأنهم ينظرون إلى أشياء قد تملصت من تحت جذع شجرة متعفن. ولكن لم يكن أحد يبادلهم النظر. لم يبدُ على أحد حتى أنه يلاحظ وجودهم. وفي الوقت ذاته لم يكن الثلاثة مضطرين لشق طريقهم بين الزحام، كان الحشد ينقسم على جانبي الرجال ذوي العباءات البيضاء، كأنما من قبيل المصادفة، ليتركوهم يسيرون في مساحة فارغة تتحرك معهم.

سأله (مات) بصوت مرتفع: «هل تعتقد أنهم من (أبناء النور)؟». فحدجه أحد المارة بنظره ثم زاد من سرعة خطواته.

أومأ (راند) برأسه، (أبناء النور)، أصحاب العباءات البيضاء، الرجال الذين يكرهون (الآيز سيداي)، الرجال الذين يخبرون الناس كيف يعيشون، ويسببون المتاعب لهؤلاء الذين يرفضون الانصياع. هذا إن كان حرق المزارع

أو ما هو أسوأ يمكن وصفه بلفظ هين كالمتاعب. قال لنفسه؛ *يجب أن أكون خائفًا، أو فضوليًا، أي شيء على أي حال، بدلًا من التحديق إليهم بفتور.*

قال (مات): «إنهم لا يبدون كما توقعتهم، ولكنهم مغترون بأنفسهم، أليس كذلك؟».

قال (راند): «لا تكترث بهم. هيا بنا إلى الحانة، يجب أن نتحدث إلى (بيرين)».

«مثل (إوارد كونجار)، دومًا ما يشمخ بأنفه في السماء مثلهم». فجأة ابتسم (مات) وعيناه تلمعان وقال: «هل تتذكر عندما سقط من على (جسر العربات) واضطر إلى السير إلى بيته والماء يقطر من ثيابه؟ لقد جرح هذا كبرياءه لشهر على الأقل».

«ما علاقة هذا بـ(بيرين)؟».

«هل ترى هذا؟». كان (مات) يشير بإصبعه إلى عربة مستقرة على مقبضيها في زقاق أمام (أبناء النور) مباشرة. وكان هناك وتد واحد يثبت عشرات البراميل المتكدسة في موضعها على العربة. قال وهو يضحك: «راقبني». ثم اندفع ناحية متجر سكاكين على يسارهما.

تتبعه (راند) بعينيه وهو يعرف أن عليه أن يفعل شيئًا، هذه النظرة في عيني (مات) دومًا ما تعني واحدًا من مقالبه. ولكنه بشكل غريب وجد نفسه يتطلع إلى ما سيفعله (مات) أيًا ما كان. شيء ما أخبره أن هذا الشعور خاطئ، بل وخطير، ولكنه ابتسم في ترقب على أي حال.

في دقيقة ظهر (مات) من فوقه متسلقًا من نافذة العلية إلى سقف المتجر القرميدي. كان مقلاعه في يديه وقد بدأ في الدوران بالفعل. عادت عينا (راند) إلى العربة، وفي نفس الوقت تقريبًا كان هناك صوت تشقق خشب حادٌّ، ثم انكسر الوتد الذي يثبِّت البراميل، أثناء مرور أصحاب العباءات

البيضاء من جوار الزقاق. قفز الناس من طريق البراميل التي تدحرجت على مقبضي العربة مع صوت قعقعة خاوٍ، قبل أن تقفز إلى الشارع، ليتناثر الطين والمياه الموحلة في كل الاتجاهات. قفز (أبناء النور) بسرعة لا تقل عن أي شخص آخر، وقد حلت الدهشة محل الشموخ في نظراتهم. سقط بعض المارة فتناثر المزيد من الطين، ولكن الثلاثة تحركوا برشاقة وتجنبوا البراميل بسهولة. ولكن لم يكن باستطاعتهم تجنب الوحل المتطاير الذي لطخ عباءاتهم البيضاء.

أسرع رجل ملتحٍ يرتدي مئزرًا طويلًا خارجًا من الزقاق وهو يلوح بذراعيه ويصرخ في غضبٍ، ولكن نظرة واحدة على الثلاثة الذين يحاولون عبثًا تخليص عباءاتهم من الوحل جعلته يختفي في الزقاق بأسرع من خروجه منه. اختلس (راند) النظر إلى سقف المتجر ولكن (مات) كان قد اختفى. كانت ضربة سهلة بالنسبة لأي فتى من (النهرين). ولكن التأثير كان بالتأكيد هو كل ما يمكن أن يأمل فيه المرء. لم يستطع منع نفسه من الضحك. كان الموقف شائكًا ولكنه رغم هذا كان لا يزال مضحكًا. عندما أعاد نظره إلى الشارع كان أصحاب العباءات البيضاء الثلاثة يحدقون مباشرة إليه.

قال واحد منهم يتقدم الآخرين بقليل: «أنت ترى الأمر مضحكًا، صحيح؟». كان ينظر إليه بعجرفة دون أن يرمش بعينيه، والضوء يشع منهما كأنه يعرف شيئًا مهمًّا، شيئًا لا يعرفه أحد سواه.

بتر (راند) ضحكته، كان هو و(أبناء النور) وحدهم مع الطين والبراميل. الناس الذين كانوا محتشدين حولهم قد أسرعوا لإنهاء أمر مُلِحٍّ في هذا الاتجاه أو ذاك من الشارع.

«هل الخوف من الضوء يعقد لسانك؟». كان الغضب قد جعل وجه ذي العباءة البيضاء النحيل يبدو أكثر انضغاطًا. نظر باستخفاف إلى مقبض السيف البارز من عباءة (راند) وقال: «ربما أنت المسؤول عن

هذا، صحيح؟». على عكس الآخرين كان لديه عقدة ذهبية تحت شعار الشمس على عباءته.

حرك (راند) يده ليغطي السيف، ولكنه بدلًا من هذا ألقى بعباءته إلى الوراء على كتفه. وفي عقله الباطن كان يتساءل بذعر عما يفعله، ولكنها كانت فكرة بعيدة. قال: «الحوادث تقع حتى لـ(أبناء النور)».

رفع الرجل ذو الوجه النحيل حاجبه وقال: «هل أنت بمثل هذه الخطورة أيها الصغير؟». لم يكن أكبر من (راند) بكثير.

قال أحد الاثنين الآخرين محذرًا: «شعار البلشون، يا لورد (بورنهالد)».

نظر الرجل نحيل الوجه إلى مقبض سيف (راند) مرة أخرى، كان البلشون البرونزي واضحًا. فاتسعت عيناه للحظة قبل أن يرفع نظره إلى وجه (راند)، ويقول باستخفاف: «إنه صغير للغاية، أنت لست من هذا المكان، صحيح؟». ثم سأله ببرود: «من أين أتيت؟».

«لقد وصلت للتو إلى (بايرلون)». كان هناك وخز من الإثارة في ذراعي (راند) وساقيه، أحس أن الدماء تتدفق في عروقه، وأنه يكاد أن يشعر بالدفء. «ألا تعرف أي حانة جيدة؟».

قال (بورنهالد) بحدة: «أنت تتهرب من أسئلتي، أي شر بداخلك حتى لا تجيبني؟». اقترب رفيقاه ليقفا على كلا جانبيه، بوجهين صارمين خاليين من التعبيرات. على الرغم من لطخات الطين على عباءاتهم إلا أنه لم يعد هناك شيء مضحك بشأنهم في تلك اللحظة.

أحس (راند) بالوخز يملأه، لقد تحولت الحرارة إلى حمى. أراد أن يضحك، وبدا هذا رائعًا. صوت صغير في رأسه صاح بأن هناك خطبًا ما، ولكن كل ما استطاع أن يفكر فيه هو شعوره بأنه ممتلئ بالطاقة وأنها تكاد أن تنفجر منه. مال إلى الوراء على كاحليه منتظرًا ما سيحدث وهو يبتسم، وبشكل بعيد مبهم كان يتساءل عما سيحدث.

أظلم وجه القائد، وسحب واحد من الآخرين سيفه ليظهر بوصة من الفولاذ، وتحدث بصوت يرتجف من الغضب: «عندما يطرح (أبناء النور) عليك أسئلة أيها الصعلوك رمادي العينين فإننا نتوقع إجابات وإلا...». بتر حديثه عندما وضع (بورنهالد) ذراعه على صدره وهو يلتفت بحدة عبر الشارع.

لقد وصل حرس المدينة، أكثر من عشرة رجال يرتدون خوذات فولاذية وسترات جلدية متينة، ويحملون هراوات كأنهم يعرفون كيف يستخدمونها. وقفوا وهم يراقبون في صمت من على بعد عشر خطوات.

زمجر الرجل الذي استل سيفه جزئيًّا وقال: «لقد حادت هذه البلدة عن طريق (النور)». ثم رفع صوته في وجه الحرس قائلًا: «إن (ظل سيد الظلام) يخيم على (بايرلون)!». وبإشارة من (بورنهالد) أعاد سيفه إلى غمده بقوة.

أولى (بورنهالد) انتباهه مرة أخرى إلى (راند)، وعيناه تلمعان بطريقة تشي بأنه يعرف شيئًا وهو يقول: «(أصدقاء الظلام) لا يهربون منا أيها الصغير، حتى في بلدة يخيم عليها (الظل). سنلتقي مجددًا، كن واثقًا من هذا!».

ثم استدار على عقبيه وخطا مبتعدًا، ورفيقاه من ورائه كأن (راند) لم يعد له وجود، للحظة على الأقل. عندما وصلوا إلى الجزء المزدحم من الشارع، ظهر نفس الفراغ من حولهم بشكل يبدو غير مقصود. تردد الحرس وهم ينظرون إلى (راند)، ثم وضعوا الهراوات على أكتافهم ولحقوا بأصحاب العباءات البيضاء الثلاث. كانوا مضطرين لشق طريقهم وهم يصيحون: «أفسحوا الطريق للحرس!». معظم الناس كانوا يفسحون لهم الطريق على مضض.

كان (راند) لا يزال يتأرجح على كاحليه وهو ينتظر. كان الوخز قويًّا للغاية حتى أنه كاد أن يرتجف، وأحس أنه يحترق.

خرج (مات) من المتجر وحدق إليه، ثم قال أخيرًا: «أنت لست مريضًا، أنت مجنون!».

أخذ (راند) نفسًا عميقًا، وفجأة اختفى كل شيء كفقاعة قد انفجرت. ترنح مع اختفائه بينما يجتاحه إدراك ما قد فعله للتو. لعق شفتيه وهو يبادل (مات) التحديق ثم قال بدون اتزان: «أعتقد أنه من الأفضل أن نعود إلى الحانة الآن».

قال (مات): «أجل أعتقد أنه من الأفضل أن نفعل هذا، بدأ الشارع يمتلئ من جديد، وقد حدق أكثر من واحد من المارة إلى الفتيين قبل أن يتمتم بشيء إلى رفيقه. كان (راند) واثقًا أن الحكاية ستنتشر؛ رجل مجنون حاول أن يفتعل شجارًا مع ثلاثة من (أبناء النور)، إنه شيء يستحق الحديث عنه. *ربما تدفعني الأحلام إلى الجنون.*

ضل الاثنان طريقهما عدة مرات في الشوارع العشوائية ولكن بعد مرور بعض الوقت التقيا بـ(توم مريلين) وهو يصنع موكبًا عظيمًا لا يتكون إلا منه بينما يمر عبر الحشد. قال صانع البهجة إنه قد خرج ليحرك ساقيه ويحصل على بعض الهواء النقي. ولكن كلما نظر أي شخص مدققًا إلى عباءته متعددة الألوان كان يصيح بصوت مدوٍّ: «أنا في حانة (الأيل والأسد)، الليلة فقط».

كان (مات) هو من بدأ بشكل غير مترابط في إخبار (توم) عن الحلم وعن قلقهما حيال إخبار (مويرين) بالأمر، ولكن (راند) تدخل في الحديث، فقد كان هناك اختلافات في الطريقة التي يتذكران بها الأمر، أو ربما كل حلم كان مختلفًا بعض الشيء كما يعتقد، ولكن الجزء الأكبر من الحلم كان متماثلًا.

لم يمضِ وقت طويل على بدئهما في الحديث قبل أن يوليهما (توم) اهتمامه الكامل. عندما ذكر (راند) (بعلزمون) أمسكهما صانع البهجة من كتفيهما وهو يأمرهما بأن يمسكا لسانيهما، قبل أن ينتصب واقفًا على

أطراف أصابعه وهو يتلفت حوله في الحشد، قبل أن يدفعهما بعيدًا عن الزحام إلى زقاق بنهاية مسدودة، كان خاليًا إلا من بعض الصناديق وكلب أصفر ببقع رمادية منكمشًا على نفسه من البرد.

حدق (توم) مرة أخرى إلى الحشد باحثًا عن أي شخص ربما يكون قد توقف لاستراق السمع، قبل أن يولي اهتمامه إلى (راند) و(مات) من جديد. كانت عيناه الزرقاوان تخترقان أعينهم وهو ينظر من آن لآخر إلى مقدمة الزقاق. «لا تقولا هذا الاسم على مسمع من الغرباء». كان صوته خفيضًا ولكنه حازم. «حتى لو كان هناك مجرد احتمال أن يسمعكم فيه شخص غريب. إنه اسم خطير للغاية حتى في الأماكن التي لا يتجول (أبناء النور) في شوارعها».

قال (مات) بسخرية وهو ينظر إلى (راند): «فلتسألني أنا عن (أبناء النور)».

تجاهله (توم) وهو يقول: «إن كان هذا الحلم قد راود واحد منكم فقط...». ثم أخذ يجذب شاربه بعصبية وهو يقول: «أخبراني بكل ما يمكنكما تذكره عن الأمر، كل التفاصيل». لم يتوقف عن النظر إلى مدخل الزقاق بحذر بينما يصغي إليهما.

«... لقد ذكر أسماء الرجال الذين قالوا إنهم قد تعرضوا للاستغلال». قالها (راند) أخيرًا وهو يفكر أنه قد ذكر كل شيء آخر. «(جوير أمالاسان)، و(راولن داركسبين)».

لم يتركه (مات) يُكمل حديثه وهو يضيف: «(ديڤيان)، و(يوريان ستونبو)».

أنهى (راند): «و(لوجاين)».

تمتم (توم): «أسماء خطيرة». وقد بدا أن عينيه تسبران أغوارهما أكثر من ذي قبل. «تقريبًا بنفس خطورة ذلك الاسم الآخر، بطريقة أو بأخرى.

جميعهم موتى الآن باستثناء (لوجاين). بعضهم قد مات منذ زمن، (راولين داركسبين) منذ ألفي سنة تقريبًا. ولكنها تظل أسماء خطيرة، الأفضل ألا تنطقا بهم بصوت عالٍ حتى لو كنتما وحديكما. معظم الناس لا تتعرف على اسم منهم، لكن إذا وصل الأمر إلى مسامع الشخص الخطأ...».

سأله (راند): «ولكن من هم؟».

تمتم (توم) قائلًا: «رجال، رجال قد هزوا أعمدة السماوات، وزلزلوا قاعدة العالم». ثم هز رأسه وقال: «هذا لا يهم، فلتنسوا أمرهم، فقد صاروا ترابًا».

سأله (مات): «هل... تعرضوا للاستغلال كما قال؟ والقتل؟».

«يمكنكم أن تقولوا إن (البرج الأبيض) قد قتلهم، يمكنك أن تقول هذا». جز (توم) على أسنانه للحظة ثم هز رأسه مرة أخرى وقال: «ولكن الاستغلال...؟ لا، لا يمكنني أن أرى هذا. (النور) وحده يعرف أن (عرش أميرلين) تحيك ما يكفي من المؤامرات، ولكن لا يمكنني تصور هذا».

ارتجف (مات) وهو يسأله: «لقد قال أشياء عديدة، أشياء مجنونة. كل هذا الحديث عن (ليوز ثيرين قاتل أهله)، و(أرتور هاوكوينج)، و(عين العالم)، ما الذي يعنيه كل هذا بحق (النور)؟».

قال صانع البهجة ببطء: «أسطورة، ربما، أسطورة كبيرة مثل (بوق ڤالير)، على الأقل في (البلاد الحدودية). هنالك يذهب الشباب للبحث عن (عين العالم)، كما يذهب الشباب من (إليان) للبحث عن (البوق). ربما مجرد أسطورة».

سأله (راند): «ماذا نفعل يا (توم)؟ هل نخبرها؟ أنا لا أريد المزيد من هذه الأحلام، ربما يمكنها أن تفعل شيئًا».

قال (مات) متذمرًا: «ربما لن يعجبنا ما ستفعله».

تفحصهما (توم) بنظره مفكرًا وهو يمسد شاربه بإصبعه، ثم قال أخيرًا: «رأيي هو أن تلزما الصمت، ولا تخبرا أي شخص، مؤقتًا على الأقل. يمكنكما أن تغيرا رأيكما لاحقًا إن اضطررتما لهذا، ولكن بمجرد أن تبوحا بالأمر فلن يكون هنالك مجال للتراجع، وستتورطان بشكل أسوأ مع... معها». فجأة نصب قامته واختفت انحناءة ظهره تقريبًا وهو يقول: «الفتى الآخر! قلتما إن نفس الحلم قد راوده؟ هل لديه ما يكفي من العقل لإبقاء فمه مغلقًا؟».

قال (راند): «أعتقد هذا». وفي الوقت نفسه قال (مات): «كنا عائدين إلى الحانة لتحذيره».

قال (توم): «فلندع (النور) ألا يكون الأوان قد فات!». رفرفت عباءته حول كاحليه، ورقع عباءته تخفق مع الريح، بينما هو يخطو خارجًا من الزقاق، قبل أن يلتفت وراءه ويقول دون أن يتوقف: «ما الأمر؟ هل أقدامكما مُثبَتَّة إلى الأرض؟».

أسرع (راند) و(مات) وراءه، ولكنه لم ينتظرهما للحاق به. هذه المرة لم يتوقف من أجل الناس الذين ينظرون إلى عباءته، أو هؤلاء الذي يحيونه كصانع بهجة. كان يخطو عبر الشوارع المزدحمة كأنها فارغة. بينما (راند) و(مات) يكادان أن يهرولا لمجاراته. في وقت أقل بكثير مما توقعه (راند) كانوا يسرعون الخطى إلى داخل حانة (الأيل والأسد).

بينما هم يدلفون إلى الداخل جاء (بيرين) راكضًا وهو يلقي عباءته على كتفيه. كاد أن يسقط في محاولته ألا يصطدم بهم ثم قال وهو يلهث: «كنت على وشك أن أخرج للبحث عنكما أنتما الاثنين».

أمسك (راند) بذراعه وقال: «هل أخبرت أي شخص عن الحلم؟».

قال (مات): «قُلْ إنك لم تفعل هذا».

قال (توم): «الأمر هام للغاية».

نظر (بيرين) إليهم في حيرة، ثم قال: «لا لم أفعل. لم أخرج من الفراش إلا منذ أقل من ساعة مضت». ثم تهدل كتفاه وقال: «لقد أصبت نفسي بالصداع وأنا أحاول ألا أفكر فيه، ناهيك عن الحديث عنه». ثم قال وهو يومئ برأسه ناحية صانع البهجة: «لِمَ أخبرتماه؟».

قال (راند): «كان علينا أن نتحدث إلى شخص ما وإلا أُصبنا بالجنون».

قال (توم): «سأشرح لاحقًا». ثم ألقى نظرة قلقة على الناس الذي يدخلون حانة (الأيل والأسد) ويخرجون منها.

أجابه (بيرين) ببطء وهو لا يزال يبدو متحيرًا: «لا بأس». وفجأة صفع رأسه وهو يقول: «لقد كدتم أن تجعلوني أنسى لم كنت أبحث عنكما، وهذا لا يعني أني لا أتمنى نسيانه. (ناينيف) بالداخل».

صاح (مات): «بحق الدماء والرماد! كيف وصلت إلى هنا؟ (مويرين)... المركب...».

قال (بيرين) بسخرية: «هل تعتقد أن شيئًا صغيرًا كمركب غارق يمكن أن يوقفها؟ لقد استطاعت العثور على (هايتاور)، لا أعرف كيف استطاع العودة عبر النهر، ولكنه قال إنه كان مختبئًا في غرفة نومه ولا يرغب في الاقتراب من النهر، على أي حال لقد هددته لكي يعثر على قارب كبير بما يكفي من أجلها هي وحصانها، وأن يجدف بها حتى الجانب الآخر بنفسه، لم تمنحه سوى الوقت الكافي لعثوره على واحد فقط من عماله لكي يستخدم زوجين آخرين من المجاديف».

شهق (مات) وقال: «بحق (النور)!».

«ما الذي تفعله هنا؟». أراد (راند) أن يعرف ولكن (مات) و(بيرين) نظرا إليه باستنكار.

قال (بيرين): «تلحق بنا، إنها مع... مع السيدة (أليس) الآن. وهناك برودة في لقائهما تكفي لأن تمطر ثلجًا».

قال (مات) متسائلًا: «ألا يمكننا أن نذهب إلى مكان آخر لبعض الوقت؟ يقول أبي إن الأحمق هو من يضع يده في عش الدبابير ما لم يكن مضطرًّا تمامًا لهذا».

تدخل (راند) قائلًا: «لا يمكنها أن تجبرنا على العودة. ما حدث في (ليلة الشتاء) يجب أن يكون كافيًا لجعلها تقتنع بهذا. إن لم تكن مقتنعة فسيكون علينا أن نجبرها على الاقتناع».

كان حاجبا (مات) يرتفعان مع كل كلمة، وعندما انتهى (راند) من حديثه، أطلق صفيرًا منخفضًا وقال: «هل حاولت من قبل أن تقنع (ناينيف) بشيء ليست مقتنعة به؟ لقد حاولت هذا، وأرى أن نبقى بعيدًا حتى يحل الليل ثم نتسلل إلى الداخل حينها».

قال (توم): «من ملاحظتي لهذه الشابة فلا أتوقع أنها ستتوقف حتى تقول ما ترغب في قوله، وإن لم نسمح لها بهذا سريعًا فإنها قد تستمر في المحاولة حتى تجذب انتباهًا لا يرغب فيه أحد منا».

جعلهم هذا يصمتون فجأة وهم يتبادلون النظرات، ثم أخذوا نفسًا عميقًا قبل أن يدلفوا إلى الداخل كأنما ليواجهوا (الترولوكيين).

الفصل السادس عشر

الحكيمة

تقدمهم (بيرين) وهم يتوغلون في الحانة، وكان اهتمام (راند) منصبًّا على ما سيقوله لـ(ناينيف)، حتى إنه لم يرَ (مين) إلا عندما أمسكت بذراعه وجذبته جانبًا. واصل الآخرون السير لبضع خطوات عبر الردهة قبل أن يدركوا أنه قد توقف، فتوقفوا بدورهم وهم شبه متعجلين لإكمال طريقهم وشبه مترددين في فعل هذا.

قال (توم) بخشونة: «ليس لدينا وقت لهذا يا فتى».

نظرت (مين) إلى صانع البهجة أبيض الشعر بحدة وقالت: «اذهب وتلاعب ببعض الكرات». ثم جذبت (راند) بعيدًا عن البقية.

قال لها (راند): «ليس لديَّ وقت لهذا حقًّا، وبالتأكيد ليس لدي وقت للحديث الأحمق عن الهرب أو ما شابه». حاول أن يخلص ذراعه منها ولكن كلما خلصها جذبتها مرة أخرى.

«وأنا ليس لديَّ وقت لحماقتك أيضًا، هلا بقيت ساكنًا!». نظرت إلى الآخرين نظرة سريعة ثم اقتربت منه وهي تخفض صوتها قائلة: «لقد وصلت امرأة منذ قليل، شابة أقصر مني، بعينين سوداوين وشعر أسود مجدول في ضفيرة تصل إلى خصرها. إنها جزء من الأمر، مع بقيتكم».

للحظة حدق (راند) إليها. (*ناينيف*)؟ *كيف يمكن أن تكون متورطة؟* بحق (*النور*) *كيف يمكن أن أكون أنا متورطًا؟* «هذا... مستحيل».

همست (مين): «أنت تعرفها؟».

«أجل، ولا يمكن أن تكون متورطة في... في أي مما تقولين...».

«الشرارات يا (راند). لقد التقت بالسيدة (أليس) عندما قدمت، وكان هناك شرارات، تمامًا مثلكما. بالأمس لم يكن باستطاعتي أن أرى الشرارات من دون وجود ثلاثة أو أربعة منكم معًا، ولكن اليوم كانت الشرارات أكثر حدة واهتياجًا».

نظرت إلى أصدقاء (راند) الذين ينتظرون في نفاد صبر، فارتجفت قبل أن تعيد نظرها إليه وتقول: «يكاد أن يكون من المدهش أن حريقًا لم يشتعل في الحانة. أنتم جميعًا في خطر اليوم أكثر من الغد، منذ مجيئها».

نظر (راند) إلى أصدقائه، كان (توم) عاقدًا حاجبيه الكثين وهو يميل إلى الأمام وعلى وشك أن يفعل شيئًا لكي يجعله يسرع معهم، ثم قال مخاطبًا (مين): «إنها لن تفعل شيئًا يؤذينا. يجب أن أذهب الآن». نجح في تحرير ذراعه هذه المرة.

تجاهل صياحها وهو ينضم إلى الآخرين ليكملوا طريقهم عبر الممر. نظر (راند) وراءه مرة واحدة فلوحت (مين) بقبضتها ناحيته وهي تضرب الأرض بقدمها.

سأله (مات): «ما الذي قالته لك؟».

قال (راند) بدون تفكير: «(ناينيف) جزء من الأمر». ثم نظر إلى (مات) فوجده قد فغر فاه، قبل أن يظهر الفهم على وجهه ببطء.

قال (توم) بصوت خفيض: «جزء من ماذا؟ هل تعرف هذه الفتاة شيئًا؟».

بينما (راند) لا يزال يحاول التفكير فيما يجب عليه أن يقوله تحدث (مات) قائلًا في غضب: «بالطبع هي جزء من الأمر، جزء من نفس الحظ السيئ الذي نواجهه منذ (ليلة الشتاء). ربما لا يكون لظهور الحكيمة تأثير

كبير عليك، ولكني عن نفسي أفضل لو كان أصحاب العباءات البيضاء هنا بدلًا منها».

قال (راند): «لقد شاهدت وصول (ناينيف) إلى هنا، ورأيتها تتكلم مع السيدة (أليس)، وظننت أن لها علاقة بنا». نظر إليه (توم) من طرف عينه وهو يعبث بشاربه، ولكن بدا على الآخرين أنهما قد قبلا تفسير (راند). لم يكن يحب إخفاء الأسرار عن أصدقائه، ولكن إفشاء سر (مين) قد يكون خطرًا عليها، كما أن إفشاء سرهم قد يكون خطرًا عليهم.

توقف (بيرين) فجأة أمام أحد الأبواب، وبدا مترددًا بشكل يتناقض مع ضخامة حجمه. أخذ نفسًا عميقًا ونظر إلى رفاقه قبل أن يأخذ نفسًا آخر ثم فتح الباب ببطء ودلف إلى الداخل. تبعه البقية واحدًا تلو الآخر، كان (راند) هو آخر الداخلين فأغلق الباب وراءه في تردد شديد.

كانت نفس الغرفة التي تناولوا فيها الطعام في الليلة السابقة، وكانت النيران تطقطق في المدفأة، وصينية فضية مصقولة موضوعة على منتصف الطاولة تحمل إبريقًا وأكوابًا فضية لامعة. كانت (مويرين) و(ناينيف) جالستين على الناحيتين المتقابلتين من الطاولة، دون أن تبعد إحداهما عينيها عن الأخرى. كانت كل الكراسي الأخرى شاغرة، ويدا (مويرين) مستقرتان على الطاولة وساكنتان كوجهها. كانت ضفيرة (ناينيف) منسدلة على كتفها وهي تمسك طرفها بيدها، وتجذبها من آن لآخر كما كانت تفعل عادة عندما تكون عنيدة أكثر من المعتاد مع (مجلس القرية). كان (بيرين) محقًّا، فرغم نيران المدفأة إلا أن الجو بدا باردًا للغاية، وكانت البرودة تشع من المرأتين الجالستين على الطاولة.

كان (لان) متكئًا على رف المدفأة وهو يحدق إلى ألسنة اللهب ويفرك كفيه من أجل الدفء. كانت (إيجوين) مستندة بظهرها إلى الجدار وقد ارتدت عباءتها وجذبت غطاء الرأس. كان (توم) و(مات) و(بيرين) واقفين في تردد بالقرب من الباب.

هز (راند) كتفيه في عدم ارتياح ثم اقترب من الطاولة. ذكَّر نفسه أنه أحيانًا ما يكون على المرء أن يُمسك الذئب من أذنيه، ولكنه تذكر مقولة أخرى أيضًا؛ عندما تمسك الذئب من أذنيه يكون من الصعب عليك أن تتركهما كما يكون من الصعب عليك أن تظل متشبثًا بهما. أحس بعينيّ (مويرين) تنظران إليه، وعينيّ (ناينيف)، فصار وجهه ساخنًا، ولكنه على أي حال جلس في منتصف المسافة بين الاثنتين.

لدقيقة ظلت الغرفة ساكنة كأنما هي لوحة مرسومة، ثم شقت (إيجوين) و(بيرين) وأخيرًا (مات) طريقهم على مضض إلى الطاولة، وجلسوا بالقرب من المنتصف مع (راند). جذبت (إيجوين) غطاء رأسها أكثر إلى الأمام، بما يكفي لإخفاء نصف وجهها، وتحاشوا جميعًا النظر إلى أي شخص.

قال (توم) بسخرية من موضعه بجانب الباب: «حسنًا، لقد أنجزنا هذا القدر على الأقل».

ابتعد (لان) عن المدفأة وملأ أحد الأكواب الفضية بالنبيذ وقال: «بما أن الجميع هنا فربما يمكنكم تناول هذا أخيرًا». قَدَّم الكوب إلى (ناينيف) فنظرت إليه بريبة. قال لها بنفاد صبر: «لا داعي لأن تخافي، لقد رأيتِ صاحب الحانة وهو يحضر النبيذ، ولم تُتَح لأي منا فرصة لوضع أي شيء فيه. إنه آمن تمامًا».

جزَّت الحكيمة على أسنانها في غضب مع كلمة *تخافي*، ولكنها أخذت الكوب وهي تتمتم: «شكرًا لك».

قال لها: «أنا متشوق لمعرفة كيف عثرتِ علينا».

مالت (مويرين) للأمام وقالت: «وأنا أيضًا، ربما أنتِ مستعدة للحديث الآن بعد أن أحضرنا (إيجوين) والفتية إليكِ».

ارتشفت (ناينيف) رشفة قبل أن تجيب على (الآيز سيداي): «لم يكن هناك مكان يمكنكم الذهاب إليه سوى (بايرلون)، ولكني إمعانًا في الحرص

تتبعت أثركم. أنتم بالتأكيد قد غيرتم اتجاهكم مرات عديدة، ولكني أفترض أنكم لن تغامروا بمقابلة أشخاص صالحين».

قال (لان) مندهشًا لأول مرة يمكن أن يتذكرها (راند): «أنتِ... تتبعتِ أثرنا؟ لا شك أنني صرت مهملًا».

«لقد تركت أثرًا ضئيلًا للغاية، ولكن باستطاعتي اقتفاء الأثر بشكل جيد كأي رجل في (النهرين)، ربما باستثناء (تام ألثور)». ثم ترددت قبل أن تضيف: «قبل أن يموت أبي كان يصطحبني معه للصيد، وعلمني ما كان سيعلمه للأبناء الذين لم ينجبهم».

نظرت إلى (لان) بتحدٍّ ولكنه أومأ برأسه في استحسان، ثم قال: «إن كان باستطاعتك اقتفاء أثر قد حاولت إخفاءه فإنه قد أحسن تعليمك. قِلَّة من يمكنهم فعل هذا حتى في (البلاد الحدودية)».

فجأة دفنت (ناينيف) وجهها في كوبها، فاتسعت عينا (راند)، لقد احمر وجهها خجلًا. لم تُظهر (ناينيف) قط أدنى قدر من الارتباك، أن تغضب، أجل، أن تثور غضبًا، كثيرًا، إلا أنها لم تخرج قط عن اتزانها. ولكن وجنتيها كانتا حمراوين في هذه اللحظة بالتأكيد، وكانت تحاول أن تختبئ في النبيذ.

قالت (مويرين) بهدوء: «ربما ستجيبين الآن عن بعض أسئلتي، لقد أجبت عن أسئلتك بصراحة كافية».

قالت (ناينيف): «لم تجيبيني إلا بمجموعة كبيرة من حكايات صانعي البهجة. الحقيقة الوحيدة التي يمكنني أن أراها هي أن واحدة من (الآيز سيداي) قد أخذت معها أربعة من الشباب لسبب لا يعلمه إلا (النور) وحده».

قال (لان) بحدة: «لقد أخبرناك أن هذا ليس معروفًا هنا، يجب عليكِ أن تتعلمي أن تمسكي لسانك».

سألته (نainيف): «لِمَ يجب عليَّ هذا؟ لِمَ يجب عليَّ أن أساعد في إخفائكما أو إخفاء هويتكما. لقد جئت لأخذ (إيجوين) والفتية والعودة بهم إلى (إيموندز فيلد)، لا لمساعدتكما على خطفهم».

تدخل (توم) قائلًا باستنكار: «إذا كنت تريدين أن يروا قريتهم مرة أخرى. أو تريها أنتِ أيضًا. فمن الأفضل أن تكوني أكثر حذرًا». ثم أومأ برأسه ناحية (مويرين) وقال: «هناك أشخاص في (بايرلون) قد يقتلونها بسبب هويتها». ثم أومأ ناحية (لان) وقال: «وهو أيضًا». وبلا مقدمات اقترب ليضع قبضتيه على الطاولة وهو ينظر إلى (ناينيف) وقد بدا شاربه الطويل وحاجبيه الكثين متوعدين فجأة.

اتسعت عيناها وبدأت تميل إلى الوراء بعيدًا عنه، ثم فردت ظهرها في تحدٍّ. لم يبدُ على (توم) أنه قد لاحظ هذا، فقد أكمل حديثه بصوت خفيض مخيف: «سيجتاحون هذه الحانة كنمل قاتل لمجرد شائعة أو همسة. إن كراهيتهم قوية للغاية، رغبتهم في القتل والإمساك بأي شخص كهذين الاثنين. وماذا عن الفتاة؟ والفتية؟ وأنتِ؟ إن جميعكم متورطون معهما، متورطون بما يكفي بالنسبة لأصحاب العباءات البيضاء على أي حال. لن تعجبك الطريقة التي سيطرحون بها الأسئلة، وخصوصًا عندما يكون (البرج الأبيض) متورطًا في الأمر. إن المستجوبين من أصحاب العباءات البيضاء يفترضون أنك مذنبة قبل حتى أن يبدؤا، ولديهم عقاب واحد لمثل هذا النوع من الذنب. إنهم لا يهتمون بمعرفة الحقيقة، فهم يفترضون أنهم يعرفون هذا بالفعل. كل ما يسعون وراءه بحديدهم الساخن وكماشاتهم هو الاعتراف. من الأفضل أن تتذكري أن بعض الأسرار خطيرة للغاية فلا يجب أن تقال بصوت عالٍ، حتى عندما تعتقدين أنك تعرفين من الذي يسمع». ثم فرد قامته وهو يتمتم: «يبدو أنني أقول هذا للناس كثيرًا في الآونة الأخيرة».

قال (لان): «أحسنت قولًا يا صانع البهجة». ثم عادت تلك النظرة المتفحصة إلى عينيه وهو يقول: «أنا مندهش لاكتراثك كثيرًا بالأمر».

هز (توم) كتفيه وقال: «من المعروف أنني وصلت معكم أيضًا. أنا لا أرغب في أن أفكر في مستجوب يحمل حديدة ساخنة ويطلب مني التوبة عن ذنوبي وأن أسير في (النور)».

قالت (ناينيڤ) بحدة: «هذا سبب أدعى لعودتهم معي إلى الديار في الصباح، أو الأفضل بعد ظهيرة هذا اليوم. كلما أسرعنا في الابتعاد عنكم وتوجهنا إلى (إيموندز فيلد) كان هذا أفضل».

قال (راند): «لا نستطيع». وكان مسرورًا لأن أصدقاءه جميعًا تحدثوا في نفس الوقت. وبهذه الطريقة كانت (ناينيڤ) مضطرة إلى توزيع نظرتها الحادة على الجميع، إلا أنها لم تعفِ أحدًا منهم. ولكنه قد تحدث أولًا، فصمتوا جميعًا وهم ينظرون إليه. حتى (مويرين) مالت إلى الوراء في كرسيها وهي تراقبه من فوق أصابعها المتشابكة. بذل مجهودًا كبيرًا لكي يبادل الحكيمة النظر وهو يقول: «إذا عدنا إلى (إيموندز فيلد) فسيعود (الترولوكيون) أيضًا. إنهم... يسعون ورائنا. لا أعرف لماذا، ولكنهم يفعلون هذا. ربما يمكننا معرفة السبب في (تار ڤالون)، ربما يمكننا أن نعرف كيف نوقف الأمر. هذه هي الطريقة الوحيدة».

لوحت (ناينيڤ) بيديها وهي تقول: «أنت تتحدث تمامًا مثل (تام). لقد جعل أحدهم يحمله إلى اجتماع القرية، وحاول أن يقنع الجميع. لقد حاول بالفعل مع (مجلس القرية)، و(النور) وحده يعرف كيف استطاعت... السيدة (أليس)». نطقت الاسم بكثير من الازدراء. «أن تجعله يصدق. عادة ما يكون لديه القليل من العقل، أكثر من معظم الرجال. على أي حال (المجلس) مجموعة من الحمقى معظم الوقت. ولكنهم ليسوا حمقى بما يكفي لهذا، ولا أي شخص آخر. لقد وافقوا على أنه يجب العثور عليكم، عندها أراد (تام) أن يكون الشخص الذي يسعى وراءكم بينما لا يقدر على الوقوف بنفسه، لا شك أن الحماقة تسري في عائلتكم».

تنحنح (مات) ثم تمتم قائلًا: «ماذا عن أبي؟ ماذا قال؟».

«إنه يخشى أن تجرب مقالبك مع الغرباء فتتسبب في قطع رأسك، إنه يبدو خائفًا من هذا أكثر من... السيدة (أليس) هذه، ولكنه أيضًا لم يكن قط أكثر ذكاءً منك».

لم يبدُ (مات) واثقًا كيف يفهم ما قالته، أو كيف يجيب، أو حتى إن كان يجب عليه أن يجيب.

بدأ (بيرين) حديثه بتردد قائلًا: «أتوقع، أعني أفترض أن السيد (لوهان) لم يكن مسرورًا برحيلي أيضًا».

هزت (ناينيف) رأسها في استهجان وقالت: «هل كنت تتوقع أن يكون مسرورًا؟». ثم نظرت إلى (إيجوين) وقالت: «ربما لا يجب أن أندهش لهذه الحماقة الرعناء من ثلاثتكم ولكني ظننت أن الآخرين سيكون لديهم حكمًا أفضل على الأمور».

مالت (إيجوين) للوراء وكأنما تحتمي بـ(بيرين) وقالت بخفوت: «لقد تركت رسالة». كانت تجذب غطاء رأسها كأنما تخشى أن يظهر شعرها المسترسل. «لقد شرحت كل شيء». تجهم وجه (ناينيف).

تنهد (راند)، كانت الحكيمة على وشك أن تجلدهم بلسانها، وبدا أنها ستكون قاسية في هذا. إن اتخذت موقفًا في حرارة الغضب - إن قررت على سبيل المثال أن تعيدهم إلى (إيموندز فيلد) بغض النظر عما يقوله أي شخص - سيكون من المستحيل تقريبًا إثناؤها عن قرارها. فتح فمه ليتكلم.

قالت (ناينيف): «رسالة!». وفي الوقت ذاته قالت (مويرين): «لا يزال هناك حديث بيننا أيتها الحكيمة».

لو كان بإمكان (راند) أن يوقف نفسه لفعل، ولكن الكلمات تدفقت من فمه كأنه قد فتح بوابة سد لا فمه. «كل هذا جيد للغاية، ولكنه لا يغير من الأمر شيئًا، لا يمكننا العودة، يجب علينا مواصلة الطريق». تحدث ببطء أكبر قرب النهاية وخفت صوته فانتهى حديثه في همس، بينما

الحكيمة و(الآيز سيداي) تنظران إليه. كانت نفس النظرة التي يتلقاها إن تدخل في حديث نسوة يتحدثن عن شئون (دائرة النساء)، النظرة التي تقول إنه قد حشر نفسه فيما لا يخصه. مال إلى الوراء وهو يتمنى لو كان في مكان آخر.

قالت (مويرين): «يجب أن تصدقيني أيتها الحكيمة، إنهم بأمان معي أكثر مما سيكونون في (النهرين)».

هزت (نانيف) رأسها باستنكار وقالت: «بأمان؟ أنتِ من جلبهم إلى هنا حيث يوجد أصحاب العباءات البيضاء، وإن كان صانع البهجة يقول الحقيقة فإن أصحاب العباءات البيضاء هؤلاء قد يؤذونهم بسببك. أخبريني كيف يكونون بأمان معك أيتها (الآيز سيداي)».

وافقتها (مويرين) قائلة: «هناك أخطار عديدة لا يمكنني أن أحميهم منها بأكثر من قدرتك على حمايتهم من التعرض لضربات الصواعق إن عادوا إلى الديار، ولكن ليست الصواعق هي ما يجب أن يخشوا منه أو حتى من أصحاب العباءات البيضاء، بل هو (سيد الظلام) وأتباعه، يمكنني أن أحميهم من هذه الأشياء. إن لمس (المصدر الحقيقي)، لمس (السايدار)، يمنحني هذه القدرة على الحماية كما يمنحها لكل (آيز سيداي)». جزت (نانيف) على أسنانها في شك. وجزت (مويرين) على أسنانها أيضًا في غضب، ولكنها أكملت حديثها وصوتها يشي بأنها تحاول ألا تفقد صبرها: «حتى هؤلاء الرجال المساكين الذين يجدون أنفسهم يحملون (القوة الواحدة) لفترة قصيرة ينالون هذه القدرة، رغم أن لمس (السايدين) أحيانًا ما يمنحهم الحماية، وأحيانًا ما يجعلهم الدنس أكثر عرضة للخطر. ولكن باستطاعتي. وباستطاعة أي واحدة من (الآيز سيداي) . أن أبسط حمايتي على هؤلاء القريبين مني. لا يمكن لعاتم أن يؤذيهم طالما هم بالقرب مني كما هم الآن، لا يمكن أن يكون (ترولوك) على مسافة ربع ميل دون أن يعرف (لان) بوجوده ويشعر بشره. هل يمكنكِ أن تمنحيهم نصف هذا إن عادوا معك إلى (إيموندز فيلد)؟».

قالت (ناينيف): «إن حجتك ضعيفة للغاية. لدينا مقولة في (النهرين)؛ سواء هزم الدب الذئب أو هزم الذئب الدب فإن الأرنب يخسر دومًا. فلتأخذي معركتك إلى مكان آخر واتركي (إيموندز فيلد) وأهلها خارج الأمر».

صمتت (مويرين) للحظة ثم قالت: «(إيجوين)، خذي البقية واتركي الحكيمة وحدها معي لبعض الوقت». كان وجهها خاليًا من التعبيرات، وتأهَّبت (ناينيف) في جلستها أمام الطاولة كأنها تستعد لمباراة مصارعة.

قفزت (إيجوين) واقفة على قدميها وكان من الواضح أن رغبتها في الحفاظ على كرامتها تتعارض مع رغبتها في تحاشي مواجهة الحكيمة بسبب شعرها غير المجدول. ولكنها لم تجد صعوبة في حث الجميع على الحركة بعينيها. أرجع (مات) و(بيرين) كرسييهما إلى الوراء في عجالة وهما يتمتمان في تهذيب، بينما يحاولان ألا يركضا في طريقهما إلى الخارج. حتى (لان) بدأ في السير ناحية الباب مع إشارة من (مويرين) جاذبًا (توم) معه.

لحق بهم (راند) فأغلق (الحامي) الباب وراءهم ثم وقف ليحرس الردهة. مع إشارة من عيني (لان) تحرك الجميع عبر الردهة لمسافة قصيرة، فلم يكن متاح لهم حتى أدنى فرصة لاستراق السمع. عندما ابتعدوا بما يكفي من وجهة نظر (لان) اتكأ بظهره إلى الجدار. حتى من دون عباءته متبدلة الألوان كان ساكنًا للغاية حتى إنه من الصعب أن يلاحظه أحد حتى يكون أمامه مباشرة.

تمتم صانع البهجة بشيء عن أشياء أفضل ليفعلها بوقته، ثم غادر وهو يقول بحزم من فوق كتفه إلى الفتيان: «تذكروا ما قلته». لم يبدُ أن أحدًا آخر يرغب في المغادرة.

سألت (إيجوين) في شرود: «ما الذي يعنيه؟». وعيناها معلقتان على الباب الذي يخفي وراءه (مويرين) و(ناينيف). واصلت العبث بشعرها

كأنما هي حائرة ما بين مواصلة إخفاء حقيقة أن شعرها لم يعد مجدولًا ودفع غطاء رأسها إلى الوراء.

قال (مات): «لقد أعطانا نصيحة ما».

نظر إليه (بيرين) بحدة وقال: «لقد نصحنا ألا نفتح أفواهنا حتى نكون واثقين مما سنقوله».

قالت (إيجوين): «تبدو نصيحة جيدة». ولكنها لم تبدُ مهتمة حقًّا.

كان (راند) غارقًا في أفكاره الخاصة، كيف يمكن أن تكون (ناينيف) جزءًا من الأمر، كيف يمكن أن يكون أي منهم متورطًا مع (الترولوكيين) والعواتم وأن يظهر (بعلزمون) في أحلامهم، كان هذا جنونيًّا. تساءل إن كانت (مين) قد أخبرت (مويرين) بشأن (ناينيف). *ما الذي تقولانه بالداخل*؟؟

لم يكن لديه فكرة عن الوقت الذي أمضاه واقفًا هناك عندما انفتح الباب أخيرًا. خطت (ناينيف) خارجة ثم جفلت عندما رأت (لان). تمتم الحارس بشيء جعلها تشيح برأسها في غضب، ثم مر من جوارها دالفًا عبر الباب.

نقلت نظرها إلى (راند) فأدرك للمرة الأولى أن الآخرين قد اختفوا بهدوء. لم يكن راغبًا في مواجهة الحكيمة بمفرده، ولكن لم يعد بإمكانه الهرب بعد أن نظر إلى عينيّ (ناينيف)، عينين خُيِّل إليه أنهما في حيرة تتفحصانه. *ما الذي قالتاه*؟ نصب قامته عندما اقتربت منه.

قالت وهي تشير إلى سيف (تام): «يبدو أنه يناسبك الآن، رغم أنني كنت أفضل ألا يحدث هذا. لقد كبرت يا (راند)».

قال وهو يضحك: «في أسبوع؟». ولكن ضحكته بدت مفتعلة. هزت رأسها كأنه لم يفهمها. سألها: «هل أقنعتك؟ إنها حقًّا الطريقة الوحيدة». صمت وهو يفكر في شرارات (مين) ثم قال: «هل ستأتين معنا؟».

اتسعت عينا (ناينيڤ) وقالت: «آتي معكم! لمَ قد أفعل هذا؟ لقد أتت (ماڤرا مالين) من (ديڤِن رايد) لتعتني بالأمور حتى أعود، ولكنها سترغب في العودة بأسرع ما يمكن. ما زلت آمل في أن أجعلكم تفكرون بعقلانية وأن تعودوا معي إلى الديار».

«لا نستطيع». خُيِّل إليه أنه رأى شيئًا يتحرك عند الباب الذي لا يزال مفتوحًا، ولكنهما كانا وحدهما في الردهة.

«لقد قلت لي هذا، وقالته لي هي أيضًا». ثم عقدت حاجبيها وقالت: «إن لم تكن متورطة حقًّا في الأمر... لا يمكن الثقة في (الآيز سيداي) يا (راند)».

قال ببطء: «يبدو وكأنك تصدقيننا حقًّا. ماذا حدث في اجتماع القرية؟».

نظرت (ناينيڤ) ناحية الباب المفتوح قبل أن تجيب، لم يكن هناك حركة في تلك اللحظة. «لقد كانت فوضى، ولكن لا حاجة لأن تعرف هي أننا لا نقدر على التعامل مع شئوننا بشكل أفضل من هذا. وأنا أصدق شيئًا واحدًا؛ أنتم جميعًا في خطر ما دمتم باقين معها».

قال بإلحاح: «شيء ما قد حدث. لماذا تريدين أن نعود معك إن كنتِ تعتقدين أن هناك أدنى احتمال لأن نكون على حق؟ ولمَ أنتِ تحديدًا؟ إن إرسال الحكيمة لا يفوقه إلا إرسال العمدة نفسه».

ابتسمت وهي تقول: «لقد كبرت حقًّا». وللحظة جعله تعجبها يتململ في موضعه. «يمكنني أن أتذكر وقتًا لم تكن لتسأل فيه عن المكان

الذي اخترت الذهاب إليه أو الشيء الذي اخترت أن أفعله، أينما كان المكان وأيًّا ما كان الشيء. كان هذا الوقت منذ أسبوع واحد فقط».

تنحنح ثم قال في عناد: «هذا ليس منطقيًّا، لمَ أنتِ هنا حقًّا؟».

اختلست النظر إلى الباب المفتوح ثم أمسكت بذراعه وقالت: «دعنا نمشي بينما نتحدث». تركها تقتاده بعيدًا، وعندما صارا بعيدين بما يكفي عن الباب حتى لا يسمعهما أحد أكملت حديثها: «كما قلت لك لقد كان الاجتماع فوضويًّا، لقد اتفق الجميع على أن شخصًا ما يجب أن يذهب وراءكم، ولكن القرية انقسمت إلى مجموعتين، مجموعة ترغب في إنقاذكم، على الرغم من أنه كان هناك جدل كبير حول كيفية فعل هذا، بالأخذ في الاعتبار أنكم كنتم مع... واحدة من أمثالها».

كان مسرورًا لأنها تتذكر أن تنتبه لحديثها. قال لها: «الآخرون صدقوا (تام)؟».

«ليس بالضبط، لكنهم رأوا أنكم لا يجب أن تكونوا بين الغرباء أيضًا، وخصوصًا ليس مع شخص مثلها. ولكن في كلتا الحالتين أراد كل رجل تقريبًا أن يكون جزءًا من المجموعة التي ستذهب وراءكم؛ (تام)، و(بران ألفير) معلقًا موازين مكتب العمدة حول رقبته، و(هارال لوهان) حتى جعلته (ألسبيت) يجلس مرة أخرى، وحتى (سين بوي). فليحميني (النور) من الرجال الذين يفكرون بشعر صدورهم، ولكني لا أعرف إن كان هناك أي نوع آخر». زفرت بحرارة ثم نظرت إليه بنظرة اتهام وهي تقول: «على أي حال كان بإمكاني أن أرى أن يومًا آخر سيمضي، وربما أكثر، قبل أن يصلوا إلى أي قرار، وبشكل ما... بشكل ما كنت واثقة أننا لا نجرؤ على انتظار كل هذا الوقت، لذا جمعت (دائرة النساء) وأخبرتهم بما يجب فعله. لا يمكنني أن أقول إن الأمر قد أعجبهن، ولكنهن قد رأين أنني محقة، ولهذا أنا هنا، لأن رجال (إيموندز فيلد) يتسمون بالعناد والحماقة،

إنهم على الأرجح ما زالوا يتجادلون حول من يجب أن يذهب، على الرغم من أني تركت لهم رسالة بأنني سأعتني بالأمر».

فسرت حكاية (نانيف) سبب وجودها، ولكنها لم تطمئنه. كانت لا تزال مصممة على إعادتهم معها.

سألها: «ما الذي قالته لكِ هناك؟». كان واثقًا أن (مويرين) ستفند كل حجة، ولكن إن كان هناك حجة قد فاتتها فسيفندها هو.

أجابته (نانيف): «لم تقل شيئًا جديدًا. وأرادت أن تعرف المزيد عنكم أيها الفتيان، لترى إن كان باستطاعتها تفسير... جذبكم لهذا النوع من الاهتمام الذي تحظون به... قالت...». صمتت وهي تنظر إليه من طرف عينها. «لقد حاولت أن تُخفي الأمر ولكنها أرادت بشكل أساسي أن تعرف إن كان أي منكم قد وُلِد خارج (النهرين)».

فجأة صار وجهه مشدودًا كجلد الطبلة، ولكنه استطاع أن يضحك ضحكة متحشرجة وهو يقول: «إنها تفكر حقًّا في بعض الأشياء الغريبة، آمل أنك قد أكدتِ لها أننا جميعًا قد وُلِدنا في (إيموندز فيلد)».

أجابته: «بالطبع». لقد صمتت للحظة قبل أن تجيب، لحظة قصيرة للغاية حتى أنها كانت لتفوته لو لم يكن منتبهًا إليها.

حاول أن يفكر في شيء ليقوله ولكنه أحس أن لسانه قطعة من الجلد المدبوغ. *إنها تعرف.* إنها الحكيمة على أي حال، ومن المفترض أن تعرف الحكيمة كل شيء عن الجميع. *إن كانت تعرف فهذا يعني أنها لم تكن هلوسة حمى إذن. أوه، فليساعدني (النور)، أبي!*

سألته (نانيف): «هل أنت على ما يرام؟».

«لقد قال... قال إنني... لست ابنه. عندما كان يهلوس... مع الحمى. قال إنه قد عثر عليّ. لقد خُيِّل إليَّ أن هذا كان مجرد...». أحس أن حلقه يحرقه فاضطر لأن يصمت.

توقفت وأمسكت بوجهه بين كفيها، كانت مضطرة لأن تمد يديها لأعلى لكي تفعل هذا، وقالت: «أوه، (راند). الناس يقولون أشياء غريبة في الحمى، أشياء مشوشة، أشياء ليست حقيقية أو واقعية. اسمعني، لقد هرب (تام ألثور) بحثًا عن المغامرة عندما كان صبيًّا في مثل عمرك، يمكنني أن أتذكر عندما عاد إلى (إيموندز فيلد) رجلًا ناضجًا مع زوجة غريبة عن أرضنا ذات شعر أحمر ورضيع متدثر بلفافة قماشية. أنا أتذكر (كاري ألثور) تحتضن ذلك الطفل بين ذراعيها بقدر من الحب والبهجة كأي امرأة قد رأيتها تحمل رضيعًا. أنت طفلها يا (راند). والآن فلتعتدل وكف عن هذه الحماقة».

قال لها: «بالطبع». *لقد وُلِدْتُ خارج (النهرين)*. «بالطبع». ربما كان (تام) يهلوس، وربما عثر على رضيع بعد معركة. «لِمَ لم تخبريها؟».

«هذا ليس من شأن أي غريب عن أرضنا».

«هل وُلِدَ أي من الآخرين خارج (النهرين)؟». وما إن نطق بالسؤال حتى هز رأسه وقال: «لا، لا تجيبي، هذا ليس من شأني أيضًا». ولكن سيكون من اللطيف معرفة إن كانت (مويرين) لديها اهتمام خاص به، علاوة على كل ما قالته عنهم جميعًا، أليس كذلك؟

وافقته (ناينيف) قائلة: «بلى، ليس من شأنك، وقد لا يعني شيئًا. ربما تبحث بشكل أعمى عن سبب، أي سبب، لتفسير سعي تلك الأشياء وراءكم».

استطاع (راند) أن يبتسم وهو يقول: «إذن فأنتِ تصدقين أنهم يلاحقوننا».

هزت (ناينيف) رأسها وقالت بسخرية: «من المؤكد أنك قد تعلمت كيفية لوي الكلمات منذ أن التقيت بها».

سألها: «ما الذي ستفعلينه؟».

تفحصته بنظرها ثم حدقت إلى عينيه بثبات وقالت: «اليوم سآخذ حمامًا، أما عن البقية فسيكون علينا أن نرى، أليس كذلك؟».

الفصل السابع عشر

المراقبون والصيادون

بعد أن تركته الحكيمة شق (راند) طريقه إلى الحجرة العامة، كان بحاجة إلى سماع ضحك الناس وأن ينسى ما قالته (ناينيڤ) والمتاعب التي قد تسببها على حد سواء.

كانت الحجرة مزدحمة بالفعل، ولكن لم يكن هناك أحد يضحك، رغم أن كل كرسي ومقعد كان مشغولًا، وكان الناس يصطفون على الجدران. كان (توم) يستعرض مرة أخرى واقفًا على طاولة بمحاذاة الجدار البعيد، وحركاته عظيمة بما يكفي لملء الحجرة الواسعة. كان يحكي حكاية (الصيد العظيم للبوق) مرة أخرى، ولم يشتكِ أحد بالطبع. كان هناك الكثير من الحكايات التي يمكن روايتها عن كل واحد من الصيادين، والكثير من الصيادين للحكي عنهم، حتى أنه لم يكن هناك حكايتان متماثلتان على الإطلاق. إن حكي كل شيء في مرة واحدة سيستغرق أسبوعًا أو أكثر. الشيء الوحيد الذي كان يتنافس مع صوت صانع البهجة والقيثارة هو طقطقة النار في المدافئ.

«... امتطى الصيادون أحصنتهم إلى أركان العالم الثمانية، إلى أعمدة السماء الثمانية، حيث تهب رياح الزمن، ويصرع القدر الأقوياء والضعفاء على حد سواء. حينها كان أعظم الصيادين هو (روجوش التالموري)،

(روجوش عين العُقاب)، الذي كان يحظى بالشهرة في بلاط (الملك السامي) والمهابة في منحدرات (شايول غول)...». دومًا ما يكون الصيادون أبطالًا عظام، جميعهم بلا استثناء.

لمح (راند) صديقيه فشق طريقه ناحية الموضع الذي أفسحه (بيرين) من أجله في طرف المقعد الطويل الجالسين عليه. كانت روائح المطبخ تتسلل إلى الحجرة تذكرهم أنهم جوعى، ولكن حتى الناس الذين كان هناك طعام أمامهم لم يولوه سوى القليل من الاهتمام. الخادمات اللاتي كان من المفترض أن يعملن على خدمتهم وقفن في افتنان وهن يمسكن بمآزرهن وينظرن إلى صانع البهجة، ولم يبدُ أن هناك من يُمانع هذا على الإطلاق، كان الإصغاء أفضل من تناول الطعام مهما كان شهيًّا.

«... منذ يوم مولدها وسم (سيد الظلام) (بلايس) بأنها ملكه، ولكنها لم تكن من هذا النوع، لم تكن من (أصدقاء الظلام)، (بلايس الماتوشينية)! كانت قوية كالرماد، رشيقة كغصن الصفصاف، جميلة كالزهرة. (بلايس ذهبية الشعر)، كانت مستعدة لأن تموت قبل أن تستسلم. ولكن فلتصغوا! تردد من أبراج المدينة نفير أبواق نحاسية عالية، يُعلن المبشرون عن وصول بطل إلى بلاطها، تدوي الطبول كالرعد وتغني الصنوج! لقد جاء (روجوش عين العُقاب) ليقدم فروض الولاء...».

استمرت حكاية (مساومة روجوش عين العُقاب) حتى نهايتها، ولكن (توم) توقف فقط ليبلل حلقه بقدح من الجعة قبل أن يبدأ في حكاية (صمود ليان)، التي تبعها هي أيضًا حكاية (سقوط أليث لوريل) و(سيف جايدال كاين) و(رحلة بواد الألبايني الأخيرة). كانت الوقفات بين الحكايات تزداد طولًا مع توغل المساء. وعندما ترك (توم) القيثارة وأمسك بالمزمار عرف الجميع أنها نهاية الحكي لهذه الليلة. انضم رجلان إلى (توم) مع طبلة وسنطور، ولكنهما جلسا بجوار الطاولة بينما بقي هو أعلاها.

بدأ الفتية الثلاثة من (إيموندز فيلد) في التصفيق مع أول نغمة من أغنية (الرياح التي تهز الصفصاف)، ولم يكونوا وحدهم من يصفقون، فقد كانت أغنية مفضلة في (النهرين) ويبدو أنها كذلك في (بايرلون). كانت بعض الأصوات هنا وهناك تدندن بالكلمات، ولم تكن خارج اللحن، فلم يسكتهم أحد.

«لقد رحل حبي وحملته بعيدًا
الرياح التي تهز الصفصاف،
وعصفت بكل الأراضي
الرياح التي تهز الصفصاف.
ولكني سأضمها بالقرب مني
في قلبي وأعز ذاكرتي،
وبقدرتها على سرقة روحي
سيدفئ حبها أوتار قلبي
وسأقف حيث وقفنا ذات يوم
رغم الرياح الباردة التي تهز الصفصاف».

الأغنية الثانية لم تكن حزينة مثلها، في الواقع بدت أغنية (دلو واحد من الماء) مرحة أكثر من المعتاد مقارنة بها، وربما كانت هذه هي نية صانع البهجة. اندفع الناس ليزيحوا الطاولات بعيدًا لإفساح مكان من أجل الرقص. وبدأوا يضربون الأرض بكواحلهم حتى اهتزت الجدران من الضرب والدوران. انتهت الرقصة الأولى بينما الراقصون الضاحكون يفسحون المجال وهم يمسكون بِجُنوبِهم، وأخذ مكانهم أشخاص جدد.

عزف (توم) النغمات الافتتاحية لأغنية (الإوز البري في الجو) ثم توقف قليلًا ليأخذ الناس موضعهم من أجل الرقص.

قال (راند) وهو يعتدل واقفًا على قدميه: «أفكر في أن أرقص قليلًا». فنهض (بيرين) من ورائه. كان (مات) هو آخر من تحرك لذا وجد نفسه مضطرًّا للبقاء وراءهما لحراسة العباءات مع سيف (راند) وفأس (بيرين).

صاح (مات) من ورائهما: «تذكرا أنني أريد دورًا أيضًا».

شكل الراقصون صفين طويلين متقابلين، الرجال في واحد والنساء في الآخر. أولًا كانت الطبلة، ثم انضم السنطور إلى الإيقاع، فثنى جميع الراقصين ركبهم في الوقت المناسب. كانت الفتاة المقابلة لـ(راند) تجدل شعرها الأسود في ضفائر مما جعله يتذكر الديار، ابتسمت له ابتسامة خجلة ثم غمزت له غمزة لم تكن خجلة على الإطلاق. قفز مزمار (توم) إلى اللحن فتحرك (راند) إلى الأمام ليُقابل الفتاة ذات الشعر الأسود، أمالت رأسها للوراء وضحكت بينما هو يديرها حول نفسها ويمررها إلى الرجل التالي في الصف.

كان الجميع في الحجرة يضحكون، وأخذ يفكر وهو يرقص في شريكته التالية في الرقص، واحدة من الخادمات يخفق مئزرها بجموح. الوجه الوحيد غير المبتسم الذي رآه كان لرجل متكوم على نفسه بجوار إحدى المدافئ، وكان له ندبة تقطع وجهه بالكامل، من صدغه إلى جانب فكه المقابل، مما جعل أنفه ينحرف ويميل ناحية جانب فمه. بادله الرجل النظر متجهمًا فأشاح (راند) بنظره بعيدًا في إحراج. ربما لا يقدر الرجل على الابتسام بسبب هذه الندبة.

أمسك بشريكة رقصه التالية وهي تدور فجعلها تدور حول نفسها في دائرة قبل أن يمررها. رقصت معه ثلاث نساء أخريات مع زيادة سرعة الموسيقى، ثم عاد إلى الفتاة الأولى ذات الشعر الأسود في رقصة سريعة

غيرت من ترتيب الصفين تمامًا. كانت لا تزال تضحك وغمزت له غمزة أخرى.

كان الرجل ذو الندبة ينظر إليه متجهمًا، فتعثرت خطواته واحمرت وجنتاه خجلًا، إنه لم يقصد إحراج الرجل، لم يعتقد حقًّا أنه قد أطال النظر. استدار ليستقبل شريكة رقصه التالية ونسي الرجل تمامًا. كانت المرأة التالية التي ترقص بين ذراعيه هي (ناينيف)، تعثر في خطواته وكاد أن يدوس على قدميها، ولكنها كانت ترقص برشاقة كافية لتعويض ارتباكه، وهي تبتسم طيلة الوقت.

ضحكت قائلة وهما يتبادلان شريكيّ الرقص: «كنت أظنك راقصًا أفضل».

لم يكن لديه سوى لحظة واحدة لجمع شتات نفسه قبل أن يتبادل شريكة رقصه مرة أخرى فوجد نفسه يرقص مع (مويرين). إن ظن أنه قد تعثر وهو يرقص مع الحكيمة فإنه لم يكن شيئًا بالمقارنة مع ما أحسه مع (الآيز سيداي). كانت تنساب على الأرض برشاقة وثوبها يدور من حولها، فكاد (راند) أن يسقط مرتين. ابتسمت له ابتسامة مشفقة جعلت الأمر أسوأ بدلًا من أن تساعده. لقد أحس بالارتياح عندما انتقل إلى شريكته التالية، رغم أنها كانت (إيجوين).

استعاد بعض اتزانه، على الأقل لقد رقص معها لسنوات. كان شعرها لا يزال منسدلًا غير مجدول، ولكنها قد عقصته بشريط أحمر. فكر بمرارة أنها على الأرجح لم تستطع أن تقرر إن كانت سترضي (مويرين) أم (ناينيف). انفرجت شفتاها ونظرت إليه كأنما ترغب في أن تقول شيئًا، ولكنها لم تتحدث، ولم يرغب هو في أن يتحدث أولًا، وخصوصًا بعد الطريقة التي قاطعت بها من قبل محاولته في غرفة الطعام الخاصة. حدقا إلى أحدهما الآخر بفتور ورقصا دون أن ينبسا ببنت شفة.

كان مسرورًا بعودته إلى المقعد بعد انتهاء هذه الفقرة الراقصة، ثم بدأت الموسيقى من أجل فقرة راقصة أخرى بينما هو جالس. أسرع (مات) للانضمام إلى الرقص، بينما جلس (بيرين) على المقعد أثناء مغادرته.

بدأ (بيرين) حديثه قبل حتى أن يجلس: «هل رأيتها؟».

سأله (راند): «أيهما؟ الحكيمة أم السيدة (أليس)؟ لقد رقصت مع كلتيهما».

صاح (بيرين): «الآيـ... السيدة (أليس) أيضًا؟ لقد رقصت مع (ناينيف)، لم أكن أعرف أنها ترقص، لم تؤدِ أيًّا من هذه الرقصات في القرية».

قال (راند) مفكرًا: «أتساءل ما قد تقوله (دائرة النساء) إذا رقصت الحكيمة؟ ربما هذا هو السبب».

كانت الموسيقى والتصفيق والغناء صاخبين للغاية، بما لا يسمح بمزيد من الحديث. انضم (راند) و(بيرين) إلى التصفيق بينما الراقصون يصنعون دائرة. لاحظ عدة مرات أن الرجل ذا الندبة يحدق إليه. كان للرجل الحق في أن يكون حساسًا بشأن هذه الندبة، ولكن (راند) لم يستطع التفكير في أي شيء يمكن أن يفعله دون أن يزيد الطين بلة. صب تركيزه على الموسيقى وتجنب النظر إلى الرجل.

استمر الرقص والغناء أثناء الليل، وأخيرًا تذكرت الخادمات واجباتهن. كان (راند) سعيدًا بالتهام بعض اليخنة الساخنة مع الخبز. أكل الجميع حيث يجلسون أو يقفون. اشترك (راند) في ثلاث رقصات أخرى، واستطاع أن يتحكم في خطواته بشكل أفضل عندما وجد نفسه يرقص مع (ناينيف) أو (مويرين) مرة أخرى. هذه المرة أثنت كلتاهما على رقصه مما جعله يتلعثم. رقص مع (إيجوين) أيضًا مرة أخرى، فأخذت تحدق إليه بعينيها السوداوين وقد بدت طيلة الوقت كأنها على وشك الحديث،

ولكنها لم تنبس ببنت شفة. كان صامتًا مثلها تمامًا، ولكنه كان واثقًا أنه لم يعبس في وجهها، بغض النظر عما قاله (مات) عندما عاد إلى المقعد.

قرب منتصف الليل غادرت (مويرين). أسرعت وراءها (إيجوين) بعد نظرة عدائية من (الآيز سيداي) إلى (نايتيف). راقبتهما الحكيمة بتعبير مبهم ثم انضمت عمدًا إلى رقصة أخرى، قبل أن تغادر هي أيضًا مع نظرة كأنما قد ربحت جولة في مواجهة (الآيز سيداي).

سرعان ما وضع (توم) مزماره في حقيبته وهو يجادل بلطف مع هؤلاء الذين يطلبون منه أن يبقى لوقت أطول. جاء (لان) لجمع (راند) والآخرين.

قال (الحامي) وهو يميل مقتربًا منه لكي يتمكنوا من سماعه عبر الضوضاء: «علينا أن نتحرك باكرًا في الصباح، وسنحتاج كل الراحة التي يمكننا أن نحظى بها».

قال (مات): «كان هناك رجل يحدق إليَّ، رجل بندبة على وجهه. هل تعتقد أنه من الممكن أن يكون... واحدًا من الأصدقاء الذين حذرتنا منهم».

قال (راند) وهو يرسم خطًّا بإصبعه من فوق أنفه حتى ركن فمه: «ندبة كهذه؟ كان يحدق إليَّ أيضًا». ثم تلفت في أرجاء الحجرة، كان الناس ينصرفون ومعظم من تبقوا كانوا متحلقين حول (توم). «إنه ليس هنا الآن».

قال (لان): «لقد رأيت الرجل، بحسب السيد (فيتش) فإنه جاسوس لأصحاب العباءات البيضاء، إنه ليس مصدر قلق بالنسبة لنا». ربما لم يكن كذلك ولكن (راند) كان باستطاعته أن يرى أن شيئًا ما يزعج (الحامي).

حدق (راند) إلى (مات)، الذي كان يحمل تعبيرًا جامدًا على وجهه، يعني دومًا أنه يخفي شيئًا. *جاسوس لأصحاب العباءات البيضاء، هل يمكن أن يرغب (بورنهالد) في الانتقام منا إلى هذا الحد؟* قال (راند): «هل سنغادر باكرًا؟ باكرًا للغاية؟». ربما يغادرون قبل أن يسفر الأمر عن شيء.

أجابه (الحامي): «مع أول ضوء في الصباح».

بينما هم يغادرون الحجرة العامة كانت (مات) يغني مقتطفات من أغنية بصوت هامس، و(بيرين) يتوقف من آن لآخر ليجرب حركة رقص جديدة قد تعلَّمها، ثم انضم إليهم (توم) بروح معنوية مرتفعة. كان وجه (لان) خاليًا من التعبيرات وهم يتوجهون ناحية السلم.

سأل (مات): «أين تنام (ناينيف)؟ لقد قال السيد (فيتش) إننا حصلنا على آخر غرفتين».

قال (توم) بفتور: «لقد حصلت على سرير مع السيدة (أليس) والفتاة».

أطلق (بيرين) صفيرًا من بين شفتيه، بينما تمتم (مات): «بحق الدماء والرماد! لن أتمنى أن أكون في موضع (إيجوين) ولو مُنِحت كل ذهب (كايملين)!».

لم تكن المرة الأولى التي يتمنى فيها (راند) أن يفكر (مات) بجدية في شيء ما أكثر من دقيقتين، فوضعهم لم يكن أفضل حالًا في تلك اللحظة. قال: «سأذهب لتناول بعض الحليب». ربما يساعده على النوم. *ربما لن أحلم هذه الليلة.*

نظر إليه (لان) بحدة وقال: «هناك خطب ما هذه الليلة، لا تتجول بعيدًا، وتذكر أننا سنغادر سواء كنت مستيقظًا بما يكفي للجلوس على سرجك أو إذا اضطررنا لتقييدك عليه».

بدأ (الحامي) في صعود درج السلم فتبعه الآخرون وقد تلاشت بهجتهم. وقف (راند) في الردهة وحده، أحس بالوحدة حقًّا بعد أن اعتاد على وجود الكثير من الناس حوله.

أسرع إلى المطبخ حيث كان هناك خادمة لا تزال تغسل الأطباق. صبت له قدحًا من الحليب من وعاء فخاري كبير. بينما هو يخرج من المطبخ وهو يشرب اندفع نحوه شكل أسود باهت عبر طول الردهة وهو يرفع يديه الشاحبتين ليزيح غطاء رأس أسود يخفي وجهه. تعلقت العباءة بلا حراك بينما الشكل يتقدم، أما عن الوجه... كان وجه رجل ولكنه أبيض شاحب، كبزاقة تحت صخرة، ولكنه كان بلا عينين. كان أملس كقشرة بيضة من الشعر الدهني الأسود إلى الوجنتين المنتفختين. اختنق (راند) وهو يبصق الحليب.

«أنت واحد منهم أيها الفتى». قال (العاتم) بهمس متحشرج كمنشار يقطع عظمة.

سقط القدح من يد (راند) وهو يتراجع إلى الوراء. أراد أن يركض، ولكن كل ما استطاع فعله هو أن يجعل قدميه تقطعان خطوة متعثرة تلو الأخرى. لم يستطع أن يُبعد عينيه عن هذا الوجه عديم العينين، فتجمدت نظرته في موضعها وأحس بقبضة باردة تعتصر معدته. أراد أن يصيح طالبًا النجدة، أن يصرخ، ولكن حلقه كان جافًّا كالحجر، وكل نفس شاق كان يؤلمه.

اقترب (العاتم) منه في تؤدة، كانت خطواته مرنة، ناعمة بشكل مميت، كالأفعى، وقد أكد على هذا التشبيه الصفائح السوداء للدرع الذي يرتديه على صدره. كان هناك شفتان رفيعتان شاحبتان تنحنيان في ابتسامة قاسية، جعلها الجلد الشاحب الناعم حيث يجب أن تكون العينين أكثر سخرية. قال بصوت جمَّد الدماء في عروقه: «أين البقية؟ أعرف أنهم هنا. تكلم يا فتى، وسأتركك تعيش».

ارتطم ظهر (راند) بشيء خشبي، جدار أو باب، لم يستطع أن ينظر وراءه ليرى أيهما. بعد أن توقفت قدماه لم يقدر على جعلهما تتحركان مرة أخرى. ارتجف وهو يرى (الميردرال) يزحف مقتربًا منه، فازداد ارتجافه مع كل خطوة بطيئة.

«قلت لك تكلم وإلا...».

جاء من الأعلى صوت خطوات أقدام سريعة من الدرج الذي يعلو الردهة، فبتر (الميردرال) جملته وهو يدور حول نفسه، تعلقت عباءته في الهواء، وللحظة أمال (العاتم) رأسه كأن نظرته بلا عينين يمكنها أن تخترق الجدار الخشبي. ظهر سيف في يده البيضاء الشاحبة كشحوب الموت، ونصله أسود كعباءته. بدا أن ضوء الردهة قد ازداد خفوتًا مع ظهور هذا السيف. صار صوت خطوات الأقدام أكثر ارتفاعًا فالتفت (العاتم) مرة أخرى إلى (راند) كأنما يتحرك بلا عظام. ارتفع النصل الأسود وانفرجت الشفتان النحيفتان في ابتسامة وحشية.

ارتجف (راند) وقد تيقن أنه على وشك الموت. هوى النصل الأسود ناحية رأسه في حركة خاطفة... ثم توقف.

«أنت مِلْكُ (سيد الظلام) العظيم». بدا الصوت الهامس المتحشرج كأنه أظافر تخدش لوحًا من الأردواز. «أنت مِلْكُه».

دار (العاتم) حول نفسه في حركة ضبابية ثم اندفع عبر الردهة مبتعدًا عن (راند). امتدت الظلال في نهاية الردهة لتضمه إليها قبل أن يختفي.

قفز (لان) قاطعًا الدرجات الأخيرة من السلم ليهبط على الأرض وسيفه في يده.

بذل (راند) مجهودًا شاقًّا كي يتمكن من الحديث، ثم شهق وهو يقول: «(عاتم)، لقد كان...». فجأة تذكر سيفه، لم يفكر فيه قط عندما كان (الميردرال) يواجهه، ولكنه استل النصل الذي يحمل علامة البلشون في

تلك اللحظة دون أن يُبالي إن كان الأوان قد فات. «لقد هرب من هذا الاتجاه!».

أومأ (لان) برأسه في شرود وبدا أنه يصغي إلى شيء آخر، قبل أن يقول: «أجل، لقد ذهب، تلاشى في عتمة الظلال. لا يوجد لدينا وقت لملاحقته الآن، سنرحل يا راعي الغنم».

جاء صوت المزيد من الأقدام وهي تهبط عبر درجات السلم؛ (مات) و(بيرين) و(توم)، يحملون البطانيات وأكياس السروج. كان (مات) لا يزال يلف بطانياته، بينما قوسه موضوع بشكل مربك تحت ذراعه.

قال (راند) وهو يغمد سيفه: «نرحل؟». ثم أخذ أشياءه من (توم) وهو يقول: «الآن؟ في الليل؟».

قال (الحامي) في نفاد صبر: «هل ترغب في أن تنتظر عودة (نصف البشري) يا راعي الغنم؟ مجموعة منهم؟ إنه يعرف أين نحن الآن».

قال (توم) مخاطبًا (الحامي): «سوف آتي معكم مرة أخرى، إن لم يكن لديك مانع. يتذكر الكثير من الناس أنني وصلت معكم وأخشى أنه قبل الغد سيكون من السيئ - في هذا المكان - معرفة أنني صديق لكم».

قال (لان) وغمده يهتز من القوة التي أغمد بها سيفه: «يمكنك أن تأتي معنا أو تذهب إلى (شايول غول) يا صانع البهجة».

مر أحد عمال الإسطبل مندفعًا من جوارهم قادمًا من الباب الخلفي، ثم ظهرت (مويرين) بصحبة السيد (فيتش)، ومن ورائهما (إيجوين) - وشالها ملفوف في حزمة بين ذراعيها - و(نايتيف). كانت (إيجوين) تبدو مرعوبة وتكاد أن تبكي، ولكن وجه الحكيمة كان قناعًا من الغضب البارد.

كانت (مويرين) تقول لصاحب الحانة: «يجب أن تأخذ هذا الأمر على محمل الجد، ستواجه متاعب هنا بالتأكيد بحلول الصباح، ربما (أصدقاء الظلام)، وربما ما هو أسوأ. عندما يأتون فلتوضح على الفور أننا قد رحلنا،

لا تُبدِ أي مقاومة، أيًّا من يأتي عليك فقط أن تدعه يعرف أننا قد رحلنا في الليل، ولن يزعجوك أكثر من هذا. إنهم يسعون وراءنا نحن».

أجابها السيد (فيتش) بمرح: «لا تقلقي مطلقًا حيال المتاعب، ولو قليلًا. إذا جاء أي شخص إلى حانتي وحاول أن يثير المتاعب لضيوفي... حسنًا، سأطرده أنا ورجالي على الفور. سأطرده على الفور. ولن يسمعوا أي كلمة عن أين ذهبتهم أو متى، أو حتى إن كنتم هنا من قبل. لا حاجة لي بمثل هذا النوع من الناس، لن يقول أحد هنا أي شيء عنكم، ولا كلمة واحدة!».

«ولكن...».

«يجب عليَّ أن أهتم بأحصنتكم يا سيدة (أليس)، إن كنتم ترغبون في أن تغادروا في حالة جيدة». ثم أفلت كمَّه من قبضتها وهرول ناحية الإسطبل.

تنهدت (مويرين) بانزعاج وقالت: «رجل عنيد حقًّا، إنه لن يُصغي إليَّ».

سألها (مات): «هل تعتقدين أن (الترولوكيين) قد يأتون إلى هنا للبحث عنا؟».

قالت (مويرين) بحدة: «(الترولوكيين)! بالطبع لا! هناك أشياء أخرى يجب الخوف منها، وأهمها كيف عثروا علينا». تجاهلت محاولة (مات) الدفاع عن نفسه وأكملت قائلة: «لن يعتقد (العاتم) أننا سنبقى هنا بعد أن عرفنا أنه قد عثر علينا، ولكن السيد (فيتش) يستخف بـ(أصدقاء الظلام)، إنه يعتقد أنهم بائسون مختبئون في الظلال، ولكن (أصدقاء الظلام) يمكن أن يوجدوا في متاجر أو شوارع كل مدينة، وفي أسمى المجالس أيضًا. قد يُرسلهم (الميردرال) ليرى إن كان بإمكانه معرفة خططنا». استدارت على عقبيها وغادرت، و(لان) من ورائها.

بينما هم يتوجهون إلى باحة الإسطبل اقترب (راند) من (ناينيف). كانت تحمل حقائب سرجها وبطانياتها أيضًا. قال لها: «إذن فسوف تأتين معنا؟». *كانت (مين) محقة.*

سألته بهدوء: «هل كان يوجد شيء هنا بالأسفل؟ قالت إنه كان...». توقفت عن الحديث فجأة وهي تنظر إليه.

أجابها: «(عاتم)». كان مندهشًا لأنه استطاع أن يقولها بمثل هذا الهدوء الشديد. «كان في الردهة معي ثم جاء (لان)».

ضمت (ناينيف) عباءتها على كتفيها لتحمي نفسها من الريح وهم يغادرون الحانة قبل أن تقول: «ربما هناك شيء يسعى وراءكم، ولكني أتيت لكي أعيدكم جميعًا بأمان إلى (إيموندز فيلد)، ولن أغادر حتى أفعل هذا، لن أترككم وحدكم مع شخص مثلها». تحركت الأضواء في الإسطبل، حيث كان العمال يسرجون الخيول.

صاح صاحب الحانة من عند باب الإسطبل حيث كان يقف مع (مويرين): «فلتحرك عظامك يا (موتش)». ثم التفت إليها مرة أخرى وبدا عليه أنه يحاول تهدئتها بدلًا من الإصغاء بجدية لما تقوله، رغم أنه كان يفعل هذا باحترام شديد مع الانحناءات التي تتخلل الأوامر التي يلقيها إلى عمال الإسطبل.

اقتاد العمال الأحصنة إلى الخارج وهم يتذمرون بصوت خافت بشأن الاستعجال والوقت المتأخر. أمسك (راند) بحزمة (إيجوين) ثم ناولها لها عندما استقرت على ظهرت (بيلا). كانت تنظر إليه بعينين واسعتين مليئتين بالخوف. *على الأقل لم تعد تفكر في الأمر على أنه مغامرة.*

أحس بالخجل بمجرد التفكير في الأمر، إنها معرضة للخطر بسببه هو والآخرين، حتى عودتها إلى (إيموندز فيلد) وحدها ستكون أكثر أمانًا من مواصلة الطريق معهم. «(إيجوين)، أنا...».

ماتت الكلمات على شفتيه، لن يسمح لها عنادها بأن تعود ببساطة، ليس بعد أن قالت إنها ستقطع الطريق بأكمله إلى (تار ڤالون). *ماذا عما رأته (مين)؟ إنها جزء من الأمر. بحق (النور)، أي أمر هو؟*

قال لها: «(إيجوين)، أنا آسف. يبدو أنني لم أعد قادرًا على التفكير بشكل صحيح».

مالت لكي تتشبث بيده بقوة. استطاع أن يرى وجهها بوضوح على الضوء القادم من الإسطبل، لم تعد تبدو مذعورة كما كانت من قبل.

ما إن امتطوا جميعًا أحصنتهم حتى أصر السيد (فيتش) على اصطحابهم إلى البوابة، بينما عمال الإسطبل يضيئون الطريق بمصابيحهم. كان صاحب الحانة البدين ينحني لهم في طريقهم وهو يطمئنهم أنه سيحفظ سرهم ويدعوهم للمجيء مرة أخرى. نظر إليهم (موتش) بحنق وهم يغادرون كما نظر إليهم عند مجيئهم.

قال (راند) لنفسه إن هذا الرجل لن يطرد من يأتي للسؤال عنهم، بل سيخبر أول شخص يسأله متى رحلوا وكل شيء آخر يتعلق بهم يمكن أن يفكر فيه. بعد أن قطعوا مسافة قصيرة عبر الشارع نظر وراءه، كان هناك شخص واقف وقد رفع مصباحه عاليًا وهو يحدق إليهم، لم يكن بحاجة لرؤية وجهه لكي يعرف أنه (موتش).

كانت شوارع (بايرلون) مهجورة في تلك الساعة من الليل، ولم يكن هناك سوى القليل من الأضواء الخافتة هنا وهناك قد هربت من النوافذ المغلقة بإحكام، وضوء القمر في ربعه الأخير يتزايد ويتضاءل مع السحب التي تحركها الرياح. من آن لآخر ينبح كلب عندما يمرون من جوار أحد الأزقة، ولكن لم يكن هناك أي صوت آخر يشق سكون الليل باستثناء حوافر أحصنتهم والرياح التي تصفر عبر أسقف البيوت. التزم الركبان بالصمت التام وهم متدثرون بعباءاتهم وأفكارهم.

كان (الحامي) في المقدمة كالمعتاد، ومن ورائه (مويرين) و(إيجوين). ظلَّت (ناينيف) بالقرب من الفتاة، بينما تزاحم البقية في المؤخرة. ترك (لان) الخيول تسير بحركة خفيفة.

كان (راند) ينظر إلى الشوارع من حولهم في حذر، ولاحظ أن صديقيه يفعلان مثله، لقد ذكرته ظلال القمر المتغيرة بالظلال التي كانت في نهاية الردهة، بالطريقة التي استطالت بها لتضم (العاتم). أحيانًا ما تأتي بعض الضوضاء من بعيد، كسقوط برميل، أو نباح كلب آخر، مما يجعل كل رأس يلتفت بحدة. شقوا طريقهم عبر المدينة، وهم يقتربون شيئًا فشيئًا بأحصنتهم ببطء من حصان (لان) الأسود وفرس (مويرين) البيضاء.

عند (بوابة كايملين) ترجل (لان) عن حصانه وطرق بقبضته على باب مبنى حجري مربع صغير ملتصق بالسور. ظهر حارس متعب وهو يفرك وجهه في نعاس. بينما (لان) يتحدث معه اختفى النعاس من وجهه وهو يحدق من وراء (الحامي) إلى الآخرين.

صاح: «أنت ترغب في المغادرة؟ الآن؟ في الليل؟ لا شك أنك مجنون».

قالت (مويرين): «ما لم يكن هناك أمر من الحاكم يمنعنا من المغادرة». كانت قد ترجلت عن فرسها أيضًا، ولكنها بقيت بعيدة عن الباب، بعيدة عن الضوء الذي انسكب إلى الشارع المظلم.

قال الحارس وهو يحدق إليها: «ليس بالضبط يا سيدتي». عقد حاجبيه وهو يحاول أن يميز وجهها. «ولكن البوابات تظل مغلقة من غروب الشمس حتى شروقها. غير مسموح لأحد بالدخول إلا في ضوء النهار، هذه هي الأوامر. على أي حال هناك ذئاب في الخارج، لقد قتلت أكثر من عشر أبقار في الأسبوع الماضي، يمكنها أن تقتل رجلًا بنفس السهولة».

«غير مسموح لأحد بالدخول، ولكن ليس هناك أوامر تتعلق بالمغادرة». قالتها (مويرين) كأن هذا يحسم المسألة. «هل ترى؟ نحن لا نطلب منك عصيان الحاكم».

وضع (لان) شيئًا في يد الحارس وهو يتمتم: «هذا من أجل متاعبك».

قال الحارس ببطء: «أفترض هذا». ثم نظر إلى يده فلمع الذهب، قبل أن يدسه في جيبه على الفور وهو يقول: «أفترض أن أحدًا لم يقل شيئًا بشأن المغادرة. انتظروا دقيقة». أعاد رأسه إلى الداخل. «(أرين)! (دار)! تعاليا إلى هنا وساعداني على فتح البوابة. هناك أشخاص يرغبون في المغادرة. لا تجادلاني، نفذا الأمر فحسب».

جاء اثنان آخران من الحرس من الداخل، ثم توقفا ليحدقا في دهشة ناعسة إلى المجموعة المكونة من ثمانية أفراد، والتي تنتظر المغادرة. تحت إلحاح من الحارس الأول أسرعا ليحركا العجلة الكبيرة التي ترفع المزلاج الثقيل الموضوع على البوابة. ثم نقلا جهديهما إلى تدوير الذراع التي تفتح مصراعي البوابة. أصدرت الذراع صوت نقر سريع، إلا أن البوابة المزيَّتة جيدًا تأرجحت إلى الداخل بصمت. ولكن قبل أن ينفتح حتى ربعها تحدث صوت صارم من الظلام.

«ما هذا؟ أليس هناك أوامر بإغلاق البوابات حتى شروق الشمس؟».

تقدم خمسة من أصحاب العباءات البيضاء إلى الضوء المنبعث من باب مبنى الحرس. كانت أغطية الرأس مرفوعة لتغطي وجوههم، ولكن كل رجل كان يضع يده على مقبض سيفه، وكانت الشموس الذهبية على الجانب الأيسر من صدورهم بمثابة إعلان واضح عن هويتهم. غمغم (مات) هامسًا بشيء، بينما توقف الحارسان عن تدوير الذراع وتبادلا نظرات قلقة.

قال الحارس الأول بصرامة: «هذا ليس من شأنكم». التفتت إليه خمسة أغطية رأس بيضاء فأنهى جملته بنبرة أضعف. «(أبناء النور) ليس لديهم أي سلطة هنا. الحاكم...».

قال الرجل ذو العباءة البيضاء الذي تكلم سابقًا بهدوء: «(أبناء النور) لديهم سلطة في أي مكان يسير فيه الناس في (النور)، ولا تُنْكَر سلطتهم إلا في الأماكن التي يخيم عليها ظل (سيد الظلام)، صحيح؟». ثم التفت بغطاء رأسه من الحارس إلى (لان)، وفجأة نظر إلى (الحامي) نظرة أخرى أكثر حذرًا.

لم يتحرك (الحامي)، بل في الواقع بدا مسترخيًا تمامًا. ولكن لم يكن هناك الكثير من الناس الذين يمكنهم النظر إلى (أبناء النور) بمثل هذه اللامبالاة. لم يكن هناك فارق في الطريقة التي ينظر بها (لان) إليهم والطريقة التي قد ينظر بها إلى ماسح أحذية مثلًا. عندما تحدث ذو العباءة البيضاء مرة أخرى بدا مرتابًا.

«أي نوع من الناس قد يرغبون في مغادرة أسوار البلدة أثناء الليل في أوقات كهذه؟ بينما الذئاب تتربص في الظلام وصنيع (سيد الظلام) قد شوهد يحلق فوق البلدة؟». نظر إلى الطوق الجلدي المجدول الذي يقطع جبهة (لان) ويثبت شعره الطويل إلى الوراء. «أنت شمالي، صحيح؟».

انكمش (راند) على نفسه في سرجه. (دراكار)! لا شك أن الرجل يقصد هذا، ما لم يكن يسمي أي شيء لا يفهمه بصنيع (سيد الظلام). مع وجود (عاتم) في حانة (الأيل والأسد) كان يجب أن يتوقع وجود (دراكار)، ولكن في هذه اللحظة كان بالكاد يفكر في الأمر. خُيِّل إليه أنه قد تعرف على صوت ذي العباءة البيضاء.

أجابه (لان) بهدوء: «نحن مسافرون لا يعنيكم شأننا».

«(أبناء النور) معنيون بالجميع».

هز (لان) رأسه قليلًا وقال: «هل تسعون حقًّا للمزيد من المتاعب مع الحاكم؟ لقد قلص أعدادكم في البلدة، بل وحتى لقد أمر الحرس بتتبعكم، ماذا سيفعل عندما يكتشف أنكم تتحرشون بمواطنين صالحين عند بواباته». ثم التفت إلى الحارسين وقال: «لِمَ توقفتما؟». ترددا ثم بدآ في تحريك الذراع، ثم ترددا مرة أخرى حينما تحدث ذو العباءة البيضاء.

«الحاكم لا يعرف ما يحدث تحت أنفه، هناك شر لا يراه أو يشتم رائحته، ولكن (أبناء النور) يرونه». نظر الحارسان إلى أحدهما الآخر وهما يفتحان ويغلقان يديهما كأنما يندمان على ترك رمحيهما بداخل مبنى الحرس. «(أبناء النور) يشتمون رائحة الشر أيضًا». التفت ذو العباءة البيضاء بعينيه إلى الأشخاص الذين على صهوات أحصنتهم وقال: «نشتم رائحته ونقتلعه من جذوره أينما عثرنا عليه».

حاول (راند) أن ينكمش على نفسه أكثر ولكن الحركة جذبت انتباه الرجل.

«ماذا لدينا هنا؟ شخص لا يرغب في أن يراه أحد؟ ما الذي...؟ آها!». دفع الرجل غطاء رأسه إلى الوراء فنظر (راند) إلى الوجه الذي كان يعرف أنه سيكون موجودًا هناك. أومأ (بورنهالد) برأسه في رضا واضح وقال: «من الواضح أنني قد أنقذتكم من كارثة عظيمة أيها الحرس، إنهم من (أصدقاء الظلام)، وكنتم على وشك أن تساعدوهم على الهرب من (النور). يجب أن يُرْفَع تقرير إلى الحاكم لمعاقبتكم، أو ربما لتقديمكم إلى المستجوبين لاكتشاف نواياكم الحقيقية في هذه الليلة». توقف وهو ينظر إلى خوف الحارس. لم يبدُ أنه قد تأثر به. «أنت لا ترغب في هذا، صحيح؟ بدلًا من هذا سوف آخذ هؤلاء الأشرار إلى معسكرنا حتى يمكن أن نستجوبهم باسم (النور)، بدلًا منك. صحيح؟».

«هل ستأخذونني إلى معسكركم يا ذا العباءة البيضاء؟». جاء صوت (مويرين) فجأة من كل اتجاه في نفس الوقت. تراجعت إلى الوراء نحو الليل

مع اقتراب (أبناء النور) منها، فاكتنفتها الظلال. «هل ستستجوبونني؟». غلفَّها الظلام وهي تقطع خطوة إلى الأمام مما جعلها تبدو أكثر طولًا. «هل ستعترضون طريقي؟».

قطعت خطوة أخرى فشهق (راند)، لقد كانت بالفعل أكثر طولًا، ورأسها يصل إلى رأسه حيث يجلس فوق ظهر الحصان الرمادي. كانت الظلال متشابكة أمام وجهها كسحابات رعدية.

صاح (بورنهالد): «(آيز سيداي)!». ثم استل الخمسة سيوفهم من أغمادها بحركة سريعة. «فلتموتي!». تردد الأربعة الآخرون ولكنه ضربها بسيفه في نفس الحركة التي استل بها سيفه.

صرخ (راند) بينما (مويرين) ترفع عصاها لتتلقى نصل السيف. لا يمكن لهذا الخشب المنحوت بدقة أن يوقف النصل الفولاذي الذي يهوي عليه. التقى السيف بالعصا فتناثرت الشرارات في نافورة، ومع فحيح هادر اندفع (بورنهالد) إلى الوراء ناحية رفاقه أصحاب العباءات البيضاء. تكوم خمستهم على بعضهم بعضًا، وتصاعدت خيوط من الدخان من سيف (بورنهالد) الذي سقط أرضًا بجواره، وقد انثنى النصل بزاوية قائمة، حيث ذاب وكاد أن ينقسم إلى نصفين.

زأر صوت (مويرين) كالإعصار: «أنتم تجرؤون على مهاجمتي!». دارت الظلال من حولها وغلَّفتها كعباءة بغطاء رأس، وبدت كأنها بارتفاع سور البلدة. كانت تحدق بنظرها إلى أسفل كعملاق يحدق إلى حشرات.

صاح (لان): «تحركوا!». وبحركة خاطفة أمسك بزمام فرس (مويرين) وقفز على صهوة حصانه وهو يأمرهم: «الآن». احتك كتفاه بمصرعي البوابة بينما حصانه يندفع بسرعة كبيرة عبر الفتحة الضيقة.

للحظة بقي (راند) متجمدًا في موضعه شاخص البصر. كان رأس (مويرين) وكتفاها أعلى من السور بكثير في تلك اللحظة. انكمش الحراس و(أبناء النور) على حد سواء بعيد عنها وظهورهم إلى مبنى الحرس. لقد

اختفى وجه (الآيز سيداي) في ظلمة الليل ولكن عينيها الكبيرتين كقمرين مكتملين كانتا تشعان بالغضب ونفاد الصبر. ازدرد (راند) لعابه ثم وكز (كلاود) بحذائه في ضلوع صدره فأسرع راكضًا وراء البقية.

جمعهم (لان) حوله على بعد خمسين خطوة من السور، فنظر (راند) وراءه. كانت هيئة (مويرين) التي تكتنفها الظلال تعلو فوق السور المصنوع من جذوع خشبية، بينما رأسها وكتفاها بلون داكن في ظلمة سماء الليل، وتحيط بهم هالة فضية من القمر المخفي. بينما هو يراقب فاغرًا فاه خطت (الآيز سيداي) من فوق السور. بدأت البوابة تنغلق بشكل محموم، وما إن خطت بقدميها على الأرض بالخارج حتى عادت فجأة إلى حجمها الطبيعي.

صاح صوت مرتجف من وراء السور: «لا تغلقوا البوابة!». فكر (راند) أنه صوت (بورنهالد). «يجب أن نطاردهم ونمسك بهم!». ولكن الحارسين لم يبطئا من سرعة إغلاقهما للبوابة، فانغلقت على مصراعيها بصوت مرتفع، وفي اللحظة التالية عاد المزلاج إلى موضعه بعنف ليُحكم غلقها. ربما بعض من أصحاب العباءات البيضاء الآخرون لم يكونوا متلهفين مثل (بورنهالد) لمواجهة واحدة من (الآيز سيداي).

أسرعت (مويرين) إلى (آلديب) ومسحت على أنف الفرس البيضاء قبل أن تضع عصاها تحت حزام السرج العريض. لم يكن (راند) بحاجة إلى النظر هذه المرة ليعرف أنه لم يكن هناك ولو خدش واحد في العصا.

قالت (إيجوين) بصوت لاهث وهي تتململ على ظهر (بيلا): «لقد كنتِ أطول من العمالقة». لم يتحدث أي شخص آخر، ولكن (مات) و(بيرين) أبعدا حصانيهما عن (الآيز سيداي).

قالت (مويرين) بشرود وهي تقفز إلى سرجها: «هل كنت كذلك حقًّا؟».

قالت (إيجوين) باحتجاج: «لقد رأيتك».

«العقل يخدع المرء في الليل، فترى العينان ما هو ليس هناك».

قالت (ناينيڤ) بغضب: «هذا ليس وقت الألاعيب».

فقاطعتها (مويرين) قائلة: «هذا ليس وقت الألاعيب بالفعل، ما ربحناه في حانة (الأيل والأسد) ربما نكون قد خسرناه هنا». ثم نظرت وراءها ناحية البوابة قبل أن تهز رأسها قائلة: «لو أنني استطعت فقط أن أصدق أن (الدراكار) كان على الأرض». ثم أضافت بلهجة تحمل السخط على الذات: «أو لو أن هذا (الميردرال) كان أعمى حقًّا. لو كان لي أن أتمنى لربما تمنيت ما هو مستحيل حقًّا. لا يهم، إنهم لا يعرفون الطريق الذي يجب علينا أن نقطعه. ولكن مع بعض الحظ سنبقى متقدمين عليهم بخطوة. (لان)!».

تحرك (الحامي) شرقًا عبر طريق (كايملين)، فتبعه البقية عن كثب وحوافر أحصنتهم تضرب الأرض الترابية الممهدة في إيقاع منتظم.

لقد حافظوا على وتيرة متوسطة، فيمكن للأحصنة أن تحافظ على السير السريع لساعات بدون أي مساعدة من (الآيز سيداي). قبل أن يمضوا حتى ساعة واحدة في طريقهم صرخ (مات) وهو يشير إلى الوراء عبر الطريق الذي جاءوا منه.

«انظروا هناك!».

جذبوا جميعًا ألجمة أحصنتهم وحدقوا إلى حيث يشير.

كان هناك ألسنة لهب تضيء الليل فوق (بايرلون) كأن شخصًا قد أشعل نارًا بحجم بيت، مما أدى إلى صبغ الجانب السفلي من السحب بلون أحمر، بينما الشرر يتطاير في السماء بفعل الريح.

قالت (مويرين): «لقد حذرته، ولكنه لم يأخذ الأمر على محمل الجد». قفزت (آلديب) جانبًا بينما (الآيز سيداي) تكرر في إحباط: «لم يأخذ الأمر على محمل الجد».

قال (بيرين): «الحانة؟ أهذه هي حانة (الأيل والأسد)؟ كيف يمكن أن تكوني واثقة؟».

سأله (توم): «أي احتمال آخر يمكنك أن تفكر فيه؟ قد يكون بيت الحاكم، ولكنه ليس كذلك. وهو ليس مستودعًا أو موقد مطبخ أحدهم، أو كومة قش لجدتك».

قال (لان): «ربما يشع علينا (النور) بضوئه قليلًا هذه الليلة».

نظرت إليه (إيجوين) بغضب وقالت: «كيف يمكنك أن تقول هذا؟ حانة السيد (فيتش) المسكين تحترق! ربما يكون هناك من تأذَّى».

قالت (مويرين): «إن كانوا قد هاجموا الحانة فربما لم يلاحظوا خروجنا من المدينة أو... العرض الذي قدمته».

أضاف (لان): «ما لم يكن هذا ما يريده (الميردرال) أن نعتقده».

أومأت (مويرين) برأسها في الظلمة وقالت: «ربما، على أي حال يجب علينا أن نمضي قدمًا. لن ينال أي منا الكثير من الراحة هذه الليلة».

صاحت (نانيف): «أنت تقولين هذا ببساطة شديدة يا (مويرين)، ماذا عن الناس في الحانة؟ لقد تعرض الناس للأذى بالتأكيد، وخسر صاحب الحانة مصدر رزقه بسببك! رغم كل حديثك عن السير في (النور) إلا أنك مستعدة للمضي قدمًا دون أن تكلفي نفسك حتى عناء التفكير فيه. إنه في ورطة بسببك!».

قال (لان) بغضب: «بل بسبب هؤلاء الثلاثة، النار، المصابين، المضي قدمًا، كل هذا بسبب هؤلاء الثلاثة. حقيقة أن الثمن يجب أن يُدفع هو دليل على أنه يستحق الدفع. إن (سيد الظلام) يريد فتيانك هؤلاء، وأي شيء يرغب فيه بشدة هكذا يجب أن يُبقى بعيدًا عنه. أم أنك تفضلين أن نترك (العاتم) ينال منهم؟».

قالت (مويرين): «على رسلك يا (لان)، على رسلك. هل تعتقدين أيتها الحكيمة أن بإمكاني مساعدة السيد (فيتش) والناس في الحانة؟ حسنًا أنتِ محقة». حاولت (نانيف) أن تقول شيئًا، ولكن (مويرين) لوحت بيدها وهي تكمل: «يمكنني أن أعود بنفسي وأمنحهم بعض المساعدة، ليس الكثير بالطبع. هذا سيجذب انتباهًا إلى هؤلاء الذين ساعدتهم، انتباهًا لن يشكروني عليه، وخصوصًا مع وجود (أبناء النور) في البلدة، وهذا يعني أن يبقى (لان) وحده لحمايتكم. إنه بارع بالفعل، ولكنه لن يستطيع أن يصمد وحده إن عثر عليكم (ميردرال) وقبضة من (الترولوكيين). بالطبع يمكننا أن نعود جميعًا رغم أنني أشك في قدرتي على إعادتنا جميعًا إلى (بايرلون) دون أن يلاحظنا أحد، وهذا من شأنه أن يكشف أمركم لهؤلاء الذين قد أشعلوا النار أيًّا من كانوا، ناهيكم عن أصحاب العباءات البيضاء. أي خيار ستختارينه أيتها الحكيمة لو كنتِ مكاني؟».

تمتمت (نانيف) بدون تفكير: «كنت لأفعل شيئًا».

أجابتها (مويرين): «وفي كل الاحتمالات نمنح (سيد الظلام) الانتصار. تذكري ما الذي يريده، من الذين يريدهم. نحن نخوض حربًا كأي شخص في (غيلدان)، رغم أن الآلاف يقاتلون هناك ولا يوجد سوى ثمانية منا هنا. سأرسل ذهبًا للسيد (فيتش)، ما يكفي لإعادة بناء حانة (الأيل والأسد)، ذهبًا لا يمكن أن يتعقب أحد أثره إلى (تار ڤالون)، وسأساعد كل من تعرضوا للأذى كذلك. أي شيء عدا هذا لن يساهم إلا في تعريضهم للخطر. الأمر أبعد ما يكون عن البساطة كما ترين. (لان)». أدار (الحامي) حصانه وبدأ يسير عبر الطريق مرة أخرى.

من وقت لآخر كان (راند) ينظر وراءه حتى صار كل ما يقدر على رؤيته هو التوهج في السحاب، ثم اختفى هذا في الظلام بدوره. كان يأمل أن تكون (مين) بخير.

كان الظلام لا يزال دامسًا عندما انحرف (الحامي) عن الطريق الترابي الممهد وترجل عن حصانه. خمَّن (راند) أنه لم يتبقَّ أكثر من ساعتين على الفجر. ربطوا الخيول دون أن ينزعوا عنها السروج، وأقاموا مخيمًا دون أن يشعلوا نارًا.

قال (لان) منبهًا: «ساعة واحدة». بينما الجميع عداه متدثرون في بطانياتهم. سيظل هو مستيقظًا للحراسة أثناء نومهم. «بعد ساعة واحدة سيكون علينا إكمال طريقنا». خيم الصمت على الجميع.

بعد بضع دقائق تحدث (مات) في همس بالكاد سمعه (راند): «أتساءل ما الذي فعله (داف) مع ذلك الغرير». هز (راند) رأسه في صمت فتردد (مات) قبل أن يقول أخيرًا: «لقد خُيِّل إليَّ أننا بأمان يا (راند). لم يكن هناك أدنى إشارة على أي شيء منذ أن عبرنا (نهر تارين)، ثم صرنا بداخل مدينة وأسوارها تحيط بنا. خُيِّل إليَّ أننا بأمان. ثم ذلك الحلم، و(العاتم). هل سنكون بأمان مرة أخرى؟».

قال (راند): «ليس حتى نصل إلى (تار ڤالون)، هذا ما قالته لنا».

سأل (بيرين) بصوت خافت: «هل سنكون بأمان هناك؟». فنظر ثلاثتهم إلى الظل المتكوم الذي يمثل (الآيز سيداي). كان (لان) قد امتزج بالظلام، يمكن أن يكون في أي مكان.

تثاءب (راند) فجأة فجفل الآخران بتوتر مع الصمت، ثم قال: «أعتقد أننا من الأفضل أن ننال قسطًا من النوم. بقاءنا مستيقظين لن يجيب عن أسئلتنا».

قال (بيرين) بصوت خافت: «كان يجب عليها أن تفعل شيئًا».

لم يجبه أحد.

تقلَّب (راند) على جانبه ليتحاشى جذر شجرة، ثم حاول أن ينام على ظهره، قبل أن يتدحرج مبتعدًا عن حجر وجذر آخر. لم يكن هذا الموضع الذي توقفوا فيه مناسبًا للتخييم، ولا يشبه المواقع التي اختارها الحارس في طريقهم شمالًا من (نهر تارين). غرق في النوم وهو يتساءل إن كانت الجذور المنغرسة في ضلوعه ستجعله يحلم. واستيقظ مع لمسة (لان) على كتفه وهو يشعر بالألم في ضلوعه، وأحس بالامتنان لأنه إن كانت قد راودته أي أحلام فإنه لا يتذكرها.

كان الظلام الذي يسبق الفجر يغلفهم، ولكن ما إن لفوا البطانيات وربطوها وراء السروج حتى اقتادهم (لان) نحو الشرق مرة أخرى. مع شروق الشمس أعدوا فطورًا بأعين ناعسة من خبز وجبن وماء، وتناولوا الطعام بينما هم يتحركون بأحصنتهم، ويضمون عباءاتهم على أجسادهم لحمايتها من الرياح. الجميع ما عدا (لان)، لقد تناول طعامه ولكن عينيه لم تكونا ناعستين، ولم يضم عباءته على جسده. كان قد ارتدى مرة أخرى عباءته متغيرة الألوان، وكانت تخفق من حوله بدرجات من الرمادي والأخضر، ولم يكن يبالي بشيء إلا إبعادها عن مقبض سيفه. ظل وجهه خاليًا من التعبيرات ولكن عينيه كانتا تبحثان باستمرار وكأنه يتوقع كمينًا في أي لحظة.

الفصل الثامن عشر

طريق كايملين

لم يكن طريق (كايملين) مختلفًا كثيرًا عن (الطريق الشمالي) الذي يمر عبر (النهرين)، كان أكثر اتساعًا بالطبع ويُظهر تآكلًا ناتجًا عن الكثير من الاستخدام، ولكنه كان لا يزال طريقًا ترابيًّا ممهدًا، تصطف على جانبيه الأشجار التي لم تكن غريبة عن (النهرين)، وخصوصًا أنه لم يكن هناك أشجار مورقة سوى الأشجار دائمة الخضرة.

ولكن الأرض نفسها كانت مختلفة، فبحلول منتصف النهار بدأ الطريق يقطع تلالًا منخفضة. طيلة يومين كان الطريق يقطع التلال عندما تكون عريضة بما يكفي لكي يمر الطريق من خلالها، ولم تكن كبيرة بما يكفي لجعل تسلقها شاقًّا. مع تغير زاوية الشمس كل يوم صار من الواضح أن الطريق رغم كونه يبدو مستقيمًا للرائي إلا أنه ينحرف ببطء ناحية الجنوب أثناء اتجاهه ناحية الشرق. راودت (راند) أحلام اليقظة بشأن خريطة السيد (ألڤير) القديمة. نصف الفتيان في (إيموندز فيلد) كانت تراودهم أحلام اليقظة وهم ينظرون إليها. وحسبما يتذكر فإن الطريق يلتف حول شيء يسمى (تلال أبشر) حتى يصل إلى (الجسر الأبيض).

من وقت لآخر كان (لان) يجعلهم يترجلون عن أحصنتهم على قمة أحد التلال، حيث يمكنه أن يلقي نظرة شاملة على الطريق أمامهم ووراءهم،

والريف المحيط بهم كذلك. كان (الحامي) يتفحص المنظر لبعض الوقت بينما الآخرون يمددون أرجلهم أو يجلسون تحت الأشجار ليتناولوا الطعام.

في اليوم الثالث بعد مغادرتهم (بايرلون) قالت (إيجوين): «كنت أحب الجبن في السابق». كانت جالسة وظهرها إلى جذع شجرة، وهي تنظر بتجهم إلى الغداء الذي كان يشبه وجبة الإفطار كالعادة، وسيكون العشاء مثله أيضًا. «ليس هناك أمل في تناول الشاي، الشاي الساخن الجميل». ضمت عباءتها على جسدها وتنقلت في جلستها حول الشجرة في محاولة عقيمة لتفادي الرياح المتقلبة.

كانت (ناينيف) تقول لـ(مويرين): «إن شاي (فلاتوورت) وجذور (أنديلاي) هما الأفضل للتخلص من الإرهاق. إنهما يصفيان الذهن ويخففان من ألم العضلات المتعبة».

تمتمت (الآيز سيداي) وهي تنظر إلى (ناينيف) بطرف عينها: «أنا واثقة من هذا».

جزت (ناينيف) على أسنانها ولكنها أكملت بنفس النبرة: «إن كان يجب علينا المضي قدمًا بدون نوم...».

قال (لان) بحدة مخاطبًا (إيجوين): «لا شاي! لا نار! لا يمكننا رؤيتهم بعد ولكنهم وراءنا في مكان ما، (عاتم) أو اثنان مع مجموعة من (الترولوكيين)، وهم يعرفون أننا سنقطع هذا الطريق. لا حاجة لإخبارهم بموضعنا بالضبط».

تمتمت (إيجوين) دون أن ترفع رأسها: «لم أكن أطلب، بل كنت أتحسر فقط».

سأل (بيرين): «إن كانوا يعرفون أننا نقطع هذا الطريق فلم لا نتوجه مباشرة إلى (الجسر الأبيض)».

قالت (مويرين) قبل أن تتمكن (ناينيف) من إكمال حديثها: «حتى (لان) لا يمكنه أن يسافر عبر الريف بنفس سرعته على الطريق، وخصوصًا عبر (تلال أبشر)». تنهدت الحكيمة في غيظ. تساءل (راند) ما الذي تفكر فيه (نانيف)، فبعد أن تجاهلت (الآيز سيداي) تمامًا في اليوم الأول، قضت اليومين التاليين تحاول أن تتحدث معها عن الأعشاب. ابتعدت (مويرين) عن الحكيمة وهي تكمل حديثها: «لِمَ تعتقدون أن الطريق يتجنب (تلال أبشر) بالالتفاف حولها؟ وسيكون علينا العودة إلى هذا الطريق في نهاية المطاف. ربما نجدهم أمامنا بدلًا من كونهم يلحقون بنا».

ظهر الشك على وجه (راند) بينما تمتم (مات) بشيء عن «الالتفاف لطريق طويل».

سألهم (لان): «هل رأيتم مزرعة هذا الصباح؟ أو حتى دخان مدفأة؟ لم تروا لأنه لا يوجد سوى البرية من (بايرلون) حتى (الجسر الأبيض)، وعن طريق (الجسر الأبيض) سنعبر (نهر آرينيل)، هذا هو الجسر الوحيد الذي يقطع (نهر آرينيل) جنوب (مارادون) في (سالدايا)».

قال (توم) بسخرية: «ما الذي يمنعهم من أن يكون لديهم شخص ما أو شيء ما عند (الجسر الأبيض) بالفعل».

جاء من الغرب نفير بوق مرتفع، فأدار (لان) رأسه على الفور ليحدق عبر الطريق وراءهم. أحس (راند) بقشعريرة باردة، ولكن جزءًا منه بقي هادئًا بما يكفي للتفكير، عشرة أميال لا أكثر.

قال (الحامي): «لا شيء يمنعهم من هذا يا صانع البهجة، نحن نضع ثقتنا في (النور) والحظ، ولكننا الآن نعرف على وجه اليقين أن هناك (ترولوكيين) وراءنا».

نفضت (مويرين) التراب عن يديها وقالت: «يجب علينا أن نتحرك الآن». ثم امتطت فرسها البيضاء.

أسرع البقية لامتطاء خيولهم وقد زاد من سرعتهم نفير آخر من البوق. هذه المرة أجابته أبواق أخرى، فتصاعدت الأصوات الحادة من الغرب كلحن جنائزي. كان (راند) مستعدًّا لأن يجعل (كلاود) يركض على الفور وقد أمسك البقية بألجمة خيولهم بنفس التحفز. الجميع باستثناء (لان) و(مويرين). تبادل (الحامي) و(الآيز سيداي) نظرة طويلة.

وأخيرًا قال (لان): «لا تجعليهم يتوقفون يا (مويرين سيداي)، سوف أعود بمجرد أن أكون قادرًا على هذا، ستعرفين إذا فشلت». ثم وضع يده على سرج (ماندارب) وقفز على ظهر الحصان الأسود قبل أن يسرع هابطًا التل، متجهًا نحو الغرب، حيث تردد صوت الأبواق مرة أخرى.

قالت (مويرين) بصوت خافت حتى أن (راند) لم يكد يسمعه: «فليصحبك (النور) يا (سيد الأبراج السبعة) الأخير». أخذت نفسًا عميقًا وهي تدير (آلديب) ناحية الشرق قبل أن تقول: «يجب أن نمضي قدمًا». ثم بدأت تتحرك بحركة بطيئة رتيبة، فتبعها البقية في صف واحد.

التفت (راند) وراءه مرة واحدة بحثًا عن (لان)، ولكن (الحامي) كان قد اختفى عن الأنظار بالفعل بين التلال الخفيضة والأشجار الخالية من الأوراق. لقد نادته بـ(سيد الأبراج السبعة) الأخير، تساءل ما الذي يعنيه هذا. لم يكن يعتقد أن أحدًا غيره قد سمع هذا، ولكن (توم) كان يمضغ أطراف شاربه وقد ظهر التفكير العميق على وجهه. يبدو أن صانع البهجة يعرف الكثير من الأشياء.

نادت الأبواق وأجابت بعضها مرة أخرى من ورائهم. تململ (راند) في سرجه، كانت الأصوات أقرب هذه المرة، كان واثقًا من هذا؛ ثمانية أميال، ربما سبعة. نظر (مات) و(إيجوين) إلى الوراء، بينما انكمش (بيرين) كأنما يتوقع أن يضربه شيء على ظهره. اقتربت (ناينيف) من (مويرين) لتتحدث إليها.

سألتها: «ألا يمكننا أن نسرع؟ هذه الأبواق تقترب أكثر».

هزت (الآيز سيداي) رأسها وقالت: «ولِمَ يتركوننا نعرف بوجودهم؟ ربما لكي نسرع إلى الأمام دون أن نفكر فيما قد يُلاقينا».

واصلوا حركتهم بنفس الوتيرة الثابتة، ومن وقت لآخر كانت الأبواق تدوي من ورائهم، وكل مرة كان الصوت يبدو أقرب. حاول (راند) أن يمنع نفسه من التفكير في مدى قربه، ولكن الفكرة كانت تراوده رغمًا عنه مع كل عواء نحاسي. كان يفكر بقلق، خمسة أميال، عندما اندفع (لان) فجأة من خلفهم من وراء التل وهو يسرع بحصانه.

اقترب من (مويرين) وهو يجذب زمام حصانه ويقول: «ثلاث قبضات من (الترولوكيين) على الأقل، كل قبضة يقودها (نصف بشري). ربما خمس قبضات».

قالت (إيجوين) بقلق: «إن كانوا قريبين بما يكفي لرؤيتهم فإن بإمكانهم رؤيتنا. ربما يكونون في عقبيك».

قالت (ناينيف): «لم يره أحد». ثم نصبت قامتها بينما الجميع ينظرون إليها. «تذكروا أنني تعقبت أثره».

قالت (مويرين) آمرة: «صمتًا، (لان) يخبرنا أنه قد يكون هناك خمس قبضات من (الترولوكيين) وراءنا». تلا هذا صمت مذهول قبل أن يتحدث (لان) مرة أخرى.

«والمسافة التي تفصلهم عنا تتضاءل، سيلحقون بنا في غضون ساعة أو أقل».

قالت (الآيز سيداي) كأنما تخاطب نفسها: «إن كان لديهم مثل هذا العدد من قبل فلم لم يستعينوا به في (إيموندز فيلد)؟ وإن لم يكن لديهم فكيف جاءوا إلى هنا في غضون هذا الوقت؟».

قال (لان): «إنهم متفرقون ليدفعونا إلى الأمام، مع فرق من الكشافة أمام المجموعات الرئيسية».

قالت (مويرين) في تساؤل: «يدفعوننا ناحية ماذا؟». وكأنما إجابة على سؤالها تردد صوت بوق على مسافة ناحية الغرب؛ أنين طويل أجابه هذه المرة أبواق أخرى جميعها أمامهم. أوقفت (مويرين) (آلديب) فحذا الآخرون حذوها، بينما (توم) وفتية (إيموندز فيلد) يتلفتون حولهم في خوف. تعالت الأبواق من أمامهم ومن ورائهم، خُيِّل لـ(راند) أنها تحمل نغمة انتصار.

تساءلت (نانيف) في غضب: «ماذا سنفعل الآن؟ إلى أين نذهب؟».

قالت (مويرين) وهي تفكر بصوت عالٍ أكثر من كونها تجيب سؤال الحكيمة: «كل ما تبقى هو الشمال والجنوب. الجنوب إلى (تلال أبشر) القاحلة الجدباء، وإلى (نهر تارين) دون أن نجد طريقة لعبوره ولا قارب لينقلنا. أو إلى الشمال حيث يمكننا أن نصل إلى (نهر آرينيل) قبل حلول الليل، وهناك قد نصادف قاربًا تجاريًّا، هذا إن كان الثلج قد تكسر في (مارادون)».

قال (لان): «هناك مكان لن يذهب إليه (الترولوكيون)». ولكن (مويرين) التفتت إليه بحدة.

قالت وهي تشير إلى (الحامي): «لا!». فقرب رأسه من رأسها لكيلا يسمع أحد حديثهما.

دوى صوت الأبواق فتراقص حصان (راند) في توتر.

قال (توم) متجهمًا وهو يحاول أن يهدئ من روع حصانه: «إنهم يحاولون إخافتنا». كان صوته يشي بالغضب ويشي بأن (الترولوكيين) ينجحون فيما يحاولون فعله. «إنهم يحاولون إخافتنا حتى نصاب بالذعر ونهرب. سينالون منا حينها».

كان رأس (إيجوين) يتلفت مع كل نفير بوق، فتحدق أولًا أمامهم، ثم وراءهم، كأنما تبحث عن أول (الترولوكيين). أراد (راند) أن يفعل الشيء ذاته، ولكنه حاول أن يخفي هذا. تحرك بـ(كلاود) مقتربًا منها.

قالت (مويرين): «سنذهب إلى الشمال».

كان نفير الأبواق حادًّا للغاية وهم ينحرفون عن الطريق ويندفعون عبر التلال المحيطة.

كانت التلال خفيضة، ولكن الطريق كان صاعدًا وهابطًا دون أي أرض منبسطة أسفل الأشجار عارية الأغصان، وبين الشجيرات القصيرة اليابسة. كانت الخيول تصعد جانب التل بمشقة فقط لتهرول هابطة عبر الجانب الآخر. لقد فرض (لان) عليهم وتيرة سريعة صعبة، أسرع مما اعتادوا عليه في الطريق.

كانت الأغصان تصفع وجه (راند) وصدره. كانت أغصان النباتات المتسلقة العجوز تعلق بساقيه وأحيانًا ما تنزع قدمه من الركاب. كان نفير الأبواق الحاد يقترب أكثر وأكثر، وتقلص الوقت الفاصل بين كل نفير وآخر.

رغم أن (لان) كان يدفعهم إلى الأمام بقوة إلا أنهم لم يكونوا قادرين على الابتعاد بالسرعة الكافية. كانوا يتحركون مسافة قدمين لأعلى أو لأسفل مقابل كل قدم إلى الأمام، وكل قدم كان مجهودًا شاقًّا. وكانت الأبواق تقترب أكثر وأكثر. قال لنفسه؛ *إنهم على مسافة ميلين وربما أقل.*

بعد وقت بدأ (لان) يحدق إلى اتجاه ثم آخر، وبدأت قسمات وجهه الصارمة تقترب من القلق كما لم يرها (راند) من قبل. وقف (الحامي) في ركابه ليحدق وراءه عبر الطريق الذي جاؤوا منه. كل ما استطاع (راند) رؤيته هو الأشجار. جلس (لان) مرة أخرى في سرجه ودفع عباءته إلى الوراء بشكل لا إرادي ليكشف عن سيفه، بينما يستأنف بحثه في الغابة.

نظر (راند) إلى عينيّ (مات) في تساؤل، ولكن (مات) اكتفى بالتجهم وهو يومئ إلى ظهر (الحامي) ويهز كتفيه في قلة حيلة.

تحدث (لان) دون أن يلتفت إليهم: «هناك (ترولوكيون) بالقرب منا». صعدوا قمة تل وحدقوا إلى أسفل عبر الجانب الآخر. «بعض الكشافة قد أُرسلوا أمام البقية، على الأرجح. إذا التقينا بهم فابقوا بالقرب مني بأي ثمن، وافعلوا كما أفعل، يجب أن نستمر في الطريق الذي نقطعه».

تمتم (توم): «بحق الدماء والرماد!». بينما أشارت (ناينيف) لـ(إيجوين) أن تبقى بالقرب منها.

كانت الأشجار دائمة الخضرة المتناثرة هنا وهناك توفر الغطاء الحقيقي الوحيد. ولكن (راند) حاول أن ينظر في كل الاتجاهات في نفس الوقت، ومخيلته تحيل جذوع الأشجار الرمادية التي يراها بطرف عينه إلى (ترولوكيين). كانت الأبواق أقرب أيضًا، ومن ورائهم مباشرة، كان واثقًا من هذا، وراءهم وتزداد قربًا.

صعدوا قمة تل آخر.

من أسفلهم عند سفح التل كان (الترولوكيون) يزحفون، وهم يحملون أعمدة خشبية يعلوها حلقات عظيمة من الحبال أو خطاطيف طويلة. الكثير من (الترولوكيين). كان الصف يمتد بعيدًا على كلا الجانبين، حتى يختفي طرفاه عن الأنظار. ولكن في منتصفه ومباشرة أمام (لان) كان يوجد (عاتم) على صهوة حصانه.

بدا (الميردرال) مترددًا مع ظهور البشريين على قمة التل، ولكن في اللحظة التالية استل سيفًا بنصل أسود تذكره (راند) باضطراب، ولوح به فوق رأسه، فاندفع صف (الترولوكيين) إلى الأمام.

قبل حتى أن يتحرك (الميردرال) كان سيف (لان) في يده وهو يصرخ: «ابقوا معي!». ثم اندفع بـ(ماندارب) هابطًا جانب التل ناحية (الترولوكيين) وهو يصيح: «من أجل الأبراج السبعة!».

وكز (راند) حصانه الرمادي بحذائه ليندفع إلى الأمام، بينما مجموعتهم كلها تتدفق وراء (الحامي). اندهش لرؤية سيف (تام) في قبضته، ثم باغتته صيحة (لان) فصاح بدوره: «(مانثيرن)! (مانثيرن)!».

كرر (بيرين) صيحته: «(مانثيرن)! (مانثيرن)!».

ولكن (مات) صاح: «كاراي آن كالدازار! كاراي آن إليساند! آل إليساند!».

تحول رأس (العاتم) من (الترولوكيين) إلى الركبان المندفعين نحوه. تجمد السيف الأسود فوق رأسه وتنقلت فتحة غطاء الرأس تبحث بين الفرسان الهاجمين.

انقض (لان) على (الميردرال) بينما انقض بقية البشريين على صف (الترولوكيين). التقى سيف (الحامي) بالسيف الأسود القادم من أفران (ثاكاندار) بصليل دوى كجرس عظيم وتردد صداه بين التلال. وومض ضوء أزرق ملأ الهواء كلسان برق.

تدفق أشباه البشر الذين يحملون خطوم الحيوانات حول كل واحد من البشريين وهم يلوحون بأعمدة الصيد والخطاطيف. لم يتجنبوا سوى (لان) و(الميردرال)، اللذين كانا يتقاتلان في دائرة فارغة، والحصانان الأسودان يطابقان الخطوة بالخطوة، والسيفان يطابقان الضربة بالضربة. أبرق الهواء وأرعد.

صرخ (كلاود) وضرب بحوافر قائمتيه الخلفيتين الوجوه المكشرة عن أنياب حادة المحيطة به. احتشدت الأجسام الثقيلة كتفًا بكتف من حوله. كان (راند) يكزه بكاحليه بلا رحمة مجبرًا الحصان الرمادي على التقدم

للأمام وهو يلوح بسيفه بالقليل من المهارة التي حاول (لان) أن ينقلها له، كأنما يجز أعشابًا ضارة. (إيجوين)! أخذ يفتش عنها في يأس، بينما هو يكز الحصان الرمادي للتقدم وهو يلوح بسيفه صانعًا طريقًا بين الأجسام المغطاة بالشعر كأنما يقتطع شجيرات صغيرة.

كانت فرس (مويرين) البيضاء تندفع وتهجم مع أقل لمسة من يد (الآيز سيداي) على الزمام. كان وجهها صارمًا كوجه (لان) وهي تلوح بعصاها. غلفت ألسنة اللهب (الترولوكيين) ثم انفجرت بهدير ترك أشكالًا مشوهة ساكنة على الأرض. كانت (ناينيف) و(إيجوين) تحافظان على بقائهما بالقرب من (الآيز سيداي) بإلحاح محموم، وقد كشرتا عن أسنانهما بنفس ضراوة (الترولوكيين) تقريبًا، وكل واحدة منهما تمسك سكينها في يدها. لن يكون هذان النصلان القصيران مفيدين إن اقترب (الترولوكيون). حاول (راند) أن يدير (كلاود) ناحيتهما، ولكن الحصان الرمادي كان جامحًا وراح يصرخ ويركل وهو يكافح للتقدم للأمام كلما جذب (راند) الزمام.

تشكلت مساحة فارغة حول النساء الثلاثة بينما (الترولوكيون) يحاولون الفرار من عصا (مويرين)، ولكن بينما هم يحاولون تفاديها كانت هي تسعى وراءهم. زأرت النيران فعوى (الترولوكيون) في غضب وثورة. من فوق الهدير والعواء جاء صليل سيف (الحامي) على سيف (الميردرال)، فلمع الهواء بلون أزرق من حولهما، ثم لمع مرة أخرى، وأخرى.

انقضت أنشوطة في طرف عمود على رأس (راند)، بضربة غير متقنة من سيفه قطع العمود إلى نصفين ثم ضرب وجه (الترولوك) الذي يشبه الماعز الذي يُمسك به. نشب خطاف في كتفه من الوراء وعَلِق في عباءته مما جذبه إلى الخلف. تشبث بمقدمة سرجه بشكل محموم ليثبت نفسه في موضعه فكاد أن يسقط سيفه. تلوى (كلاود) وهو يصرخ، ظل (راند) متشبثًا بالسرج واللجام بشكل يائس، واستطاع أن يشعر بنفسه وهو ينزلق بوصة تلو الأخرى، والخطاف يجذبه إلى الوراء. دار (كلاود) حول نفسه ولوهلة رأى (راند) (بيرين) وهو يكاد أن يسقط من على سرجه بينما

يكافح لانتزاع فأسه من ثلاثة (ترولوكيين)، لقد أمسكوا به من ذراعه وكلتا ساقيه. اندفع (كلاود) فلم يرَ (راند) سوى (الترولوكيين).

اندفع (ترولوك) وأمسك بساق (راند)، منتزعًا قدمه من الركاب، تخلى عن السرج وهو يلهث لكي يطعنه. على الفور جذبه الخطاف من السرج إلى الجزء الخلفي من (كلاود). ولم يحمِه من السقوط على الأرض سوى تشبثه المستميت باللجام. رفع (كلاود) قائمتيه الأماميتين وهو يصرخ، وفي نفس اللحظة اختفى الجذب. (الترولوك) الممسك بساقه رفع يديه وصرخ. صرخ كل (الترولوكيين) في عواء كأن كل كلاب العالم قد أصيبت بالجنون.

من حول البشريين كان (الترولوكيون) يتلوون على الأرض وهم يجذبون شعرهم ويخمشون وجوههم. كل (الترولوكيين) بلا استثناء. كانوا يعضون الأرض دون أن تقبض أنيابهم على شيء، عواء، عواء، عواء.

ثم رأى (راند) (الميردرال)، لا يزال مستقرًّا على سرج حصانه الذي يتراقص بجنون، ولا يزال يلوح بسيفه ولم يكن لديه رأس.

«لن يموت قبل حلول الليل». كان (توم) مضطرًّا لأن يصيح من بين أنفاسه اللاهثة ليعلو بصوته فوق الصرخات التي لا تنقطع. «ليس تمامًا، هذا ما سمعته على أي حال».

صرخ (لان) في غضب: «تحركوا!». كان (الحامي) قد جمع (مويرين) والمرأتين الأخريين بالفعل واقتادهم نصف المسافة نحو التل التالي. «لا يزال هناك المزيد منهم!». وبالفعل جاء نفير الأبواق مرة أخرى من فوق صرخات (الترولوكيين) على الأرض، من الشرق والغرب والجنوب.

العجيب أن (مات) كان الوحيد الذي سقط من على صهوة حصانه. أسرع (راند) بحصانه ناحيته، ولكن (مات) انتزع الأنشوطة من على عنقه وهو يرتجف، ثم التقط قوسه وقفز إلى سرجه دون مساعدة، وأخذ يفرك حلقه.

كانت الأبواق تعوي ككلاب صيد تتعقب رائحة غزال، كلاب صيد تُحكم خناقها من حولهم. إن كان (لان) قد فرض عليهم وتيرة سريعة من قبل فإنه قد ضاعفها في تلك اللحظة، حتى صارت الخيول تصعد التلال بأسرع من هبوطها من عليها سابقًا، حتى كادوا أن يسقطوا على الجانب الآخر. ولكن رغم هذا كانت الأبواق تقترب، حتى صارت صيحات الملاحقين المتحشرجة مسموعة كلما صمتت الأبواق، إلى أن وصل البشريون في نهاية المطاف إلى قمة أحد التلال، بينما (الترولوكيون) يظهرون على التل السابق من ورائهم. اسودت قمة التل بـ(الترولوكيين) ووجوههم المشوهة ذات الخطوم تعوي، وثلاثة من (الميردرال) يفوقوهم جميعًا في بث الفزع. لم يكن هناك سوى مئة خطوة تفصل بين المجموعتين.

ارتجف قلب (راند) في ضلوعه. *ثلاثة!*

رفع (الميردرال) سيوفهم في نفس الوقت، فتدفق (الترولوكيون) هابطين جانب التل، وصيحات الانتصار المتحشرجة تتصاعد، وأعمدة الصيد تتمايل من فوقهم وهم يركضون.

ترجلت (مويرين) عن صهوة (آلديب)، وبهدوء أخرجت شيئًا من جرابها وفكّت الغلاف المحيط به. لمح (راند) العاج الأسود؛ (الأنجريال). ثبتت (الآيز سيداي) قدميها، بينما تمسك بـ(الأنجريال) في يد والعصا في اليد الأخرى وهي تواجه (الترولوكيين) المندفعين وسيوف (العواتم) السوداء. ثم رفعت عصاها عاليًا قبل أن تهوي بها لتطعن الأرض.

رنت الأرض كوعاء معدني قد ضُرِب بمطرقة. خفت الرنين الأجوف حتى تلاشى، للحظة خيم الصمت، كل شيء كان صامتًا، ماتت الرياح، خمدت صيحات (الترولوكيين)، حتى اندفاعهم إلى الأمام تباطأ حتى توقف. للحظة انتظر كل شيء وببطء عاد الرنين المكتوم متغيرًا إلى دمدمة خفيضة تزداد ارتفاعًا حتى صارت الأرض تئن.

اهتزت الأرض أسفل حوافر (كلاود)، كان هذا صنيعًا من صنائع (الآيز سيداي) التي تُروى في الحكايات، وتمنى (راند) لو كان على بعد مئات الأميال. تحول الاهتزاز إلى زلزلة جعلت الأشجار من حولهم ترتجف. تعثر الحصان الرمادي وكاد أن يسقط، حتى (ماندارب) و(آلديب) ترنحا كأنهما في حالة من السكر، وهؤلاء الذين يمتطون أحصنتهم كان عليهم التشبث بالألجمة والأعراف، التشبث بأي شيء لكيلا يسقطوا من موضعهم.

كانت (الآيز سيداي) لا تزال واقفة كما كانت وهي تمسك بـ(الأنجريال)، وعصاها المنتصبة مغروسة في قمة التل، ولم تتحرك هي أو عصاها ولو بوصة واحدة رغم اهتزاز الأرض وارتجافها من حولها. في تلك اللحظة تموجت الأرض مندفعة من أمام عصاها منقضة على (الترولوكيين) كتموجات في بركة، تموجات تزداد حجمًا مع انقضاضها، فتُسْقِط الشجيرات العتيقة وتقذف بالأوراق الميتة إلى الهواء، تزداد حجمًا حتى تصير أمواجًا من الأرض، تتدفق ناحية (الترولوكيين). كانت الأشجار في الغور ما بين التلين تتأرجح كسياط في أيدي أطفال صغار. على جانب التل البعيد سقط (الترولوكيون) في أكوام وهم يتقلبون مرارًا وتكرارًا بفعل الأرض الثائرة.

ومع ذلك تقدم (الميردرال) إلى الأمام كأن الأرض لا تموج من حولهم، وخيولهم حالكة السواد لم تتعثر ولو خطوة واحدة، وحوافرها تتحرك بانسجام تام. كان (الترولوكيون) يتدحرجون على الأرض في كل مكان حول الخيول السوداء وهم يعوون ويتشبثون بجانب التل الذي يرفعهم لأعلى، ولكن (الميردرال) كانوا يتقدمون ببطء.

رفعت (مويرين) عصاها فسكنت الأرض. ولكنها لم تنتهِ بعد. أشارت ناحية الغور ما بين التلين فانفجرت ألسنة اللهب من الأرض، في نافورة بارتفاع عشرين قدمًا. بسطت ذراعيها على جانبيها فأسرعت النيران يمينًا ويسارًا على مدى البصر لتصنع جدارًا يفصل بين البشريين و(الترولوكيين). جعلت الحرارة (راند) يضع يديه أمام وجهه رغم أنه على قمة التل. خيول (الميردرال) السوداء . أيًّا كانت القوى الغريبة التي تملكها . صرخت لمرأى

النار ورفعت قوائمها الأمامية وهي تتمرد على راكبيها، بينما (الميردرال) يحاولون السيطرة عليها وإجبارها على التقدم عبر ألسنة اللهب.

قال (مات) بضعف: «بحق الدماء والرماد». فأومأ (راند) برأسه في ذهول.

فجأة ترنحت (مويرين) وكادت أن تسقط لولا أن قفز (لان) من فوق حصانه ليمسك بها. قال مخاطبًا الآخرين: «تحركوا». كانت نبرة صوته القاسية تتعارض مع الطريقة الرقيقة التي يرفع بها (الآيز سيداي) إلى سرجها. «هذه النيران لن تظل مشتعلة إلى الأبد. أسرعوا! كل دقيقة لها قيمتها!».

زأر جدار النيران كأنه سيظل مشتعلًا بالفعل إلى الأبد، ولكن (راند) لم يجادل. ركضوا ناحية الشمال بأسرع ما تستطيع أحصنتهم. تعالى نفير الأبواق الحاد في الأفق بخيبة أمل كأنهم يعرفون بالفعل ما قد حدث، ثم خيَّم الصمت.

سرعان ما لحق (لان) و(مويرين) بالبقية، على الرغم من أن (لان) كان يقتاد (آلديب) من زمامها بينما (الآيز سيداي) تترنح وتمسك بمقدمة سرجها بكلتا يديها. قالت عندما رأت القلق البادي على وجوههم: «سأكون بخير قريبًا». بدت متعبة ورغم ذلك واثقة من نفسها، وكانت نظرتها حازمة كأي وقت مضى. «لا أكون في أقوى حالاتي عندما أتعامل مع الأرض والنار. ليس بالأمر الجلل».

صار كلاهما في المقدمة مرة أخرى وهما يتحركان بسرعة. لم يعتقد (راند) أن (مويرين) بإمكانها البقاء على سرجها إذا تحركوا بشكل أسرع. أسرعت (نانيف) بحصانها إلى الأمام لتكون بجوار (الآيز سيداي) وسندتها بيدها. لأول مرة منذ أن شقت المجموعة طريقها عبر التلال تهامست المرأتان ثم مدت الحكيمة يدها بداخل عباءتها وأعطت (مويرين) حزمة صغيرة. فضت (مويرين) الحزمة وابتلعت محتوياتها. قالت (نانيف) شيئًا آخر ثم

تراجعت لتنضم إلى البقية متجاهلة نظراتهم المتسائلة. رغم الظروف التي يمرون بها خُيِّل لـ(راند) أنه قد رأى نظرة بسيطة من الرضا.

لم يُبالِ حقًّا بما تفكر فيه الحكيمة. كان يفرك مقبض سيفه باستمرار، وكلما أحس بما يفعل كان يحدق إلى أسفل في تعجب. *إذن هذا ما تكون عليه المعارك.* لم يستطع أن يتذكر الكثير من الأمر، أو جزءًا معينًا منه. كان كل شيء يدور مجتمعًا في رأسه، كتلة ذائبة من الوجوه المشعرة والخوف. الخوف والحرارة. لقد بدا الجو حارًّا بينما النيران تتأجج، كأنهم في ظهيرة منتصف الصيف. لم يستطع أن يفهم هذا، كانت الرياح الثلجية تحاول أن تجمد قطرات العرق على وجهه وجسده.

نظر إلى صديقيه؛ كان (مات) يمسح العرق من على وجهه بطرف عباءته، بينما كان (بيرين) يحدق إلى شيء ما في الأفق ولا يعجبه ما يراه، وبدا غافلًا عن قطرات العرق التي تلمع على جبهته.

صارت التلال أصغر، وبدأت الأرض في الانبساط، ولكن بدلًا من مواصلة الطريق توقف (لان). تحركت (ناينيف) كأنما لتنضم إلى (مويرين)، ولكن نظرة (الحامي) جعلتها تتراجع. ابتعد هو و(الآيز سيداي) عن البقية، وقربا رأسيهما، وبدا واضحًا من إشارات (مويرين) أنهما يتجادلان. حدقت (ناينيف) و(توم) إليهما بينما الحكيمة تعقد حاجبيها في قلق، وصانع البهجة يتمتم بشيء غير مسموع، وهو يصمت من آن لآخر ليحدق وراءه عبر الطريق الذي جاؤوا منه. ولكن البقية تجنبوا النظر إليهما تمامًا؛ من يعرف ما قد ينتج عن جدال بين (آيز سيداي) و (حامٍ)؟

بعد بضع دقائق تحدثت (إيجوين) إلى (راند) بصوت خافت وهي تنظر بتوتر بطرف عينها إلى الاثنين اللذين ما زالا يتجادلان: «هذه الأشياء التي صرختم بها في وجه (الترولوكيين)». صمتت وكأنها غير واثقة كيف تُكمل حديثها.

سألها (راند): «ماذا عنها؟». أحس بالقليل من الحرج، لقد بدت صيحات الحرب أمرًا يليق بـ(الحماة)، ولكن قوم (النهرين) لا يفعلون مثل هذه الأشياء، بغض النظر عما قالته (مويرين)، ولكن إن سخرت منه بشأن هذا... «لا شك أن (مات) قد كرر هذه الحكاية عشر مرات».

أضاف (توم): «وبشكل سيئ». فتذمر (مات) في احتجاج.

قال (راند): «بغض النظر عن الطريقة التي حكاها بها فإننا جميعًا سمعناها مرات عديدة. بالإضافة إلى أنه كان علينا أن نصرخ بشيء ما، أعني هذا ما يفعله المرء في وقت كهذا. لقد سمعتم (لان)».

أضاف (بيرين) مفكرًا: «ولدينا الحق في هذا. تقول (مويرين) إننا جميعًا من نسل شعب (مانثيرن) هؤلاء. لقد قاتلوا (سيد الظلام)، ونحن نقاتل (سيد الظلام)، هذا يمنحنا الحق».

تنهدت (إيجوين) كأنما لتُظهر رأيها في الأمر وقالت: «لم أكن أتحدث عن هذا. ما الذي... ما الذي كنت تصرخ به يا (مات)؟».

هزَّ (مات) كتفيه في توتر وقال: «لا أتذكر». ثم حدق إليهم بشكل دفاعي وقال: «لا أتذكر حقًّا، الأمر كله ضبابي؛ لا أعرف ماذا كان، ولا كيف راودني، ولا ما يعنيه». ثم ضحك باستنكار وقال: «لا أفترض أنه يعني شيئًا».

قالت (إيجوين) ببطء: «أعتقد أنه يعني شيئًا. عندما صحتَ به خُيِّل إليَّ للحظة واحدة أنني أفهمك، ولكن كل شيء قد تلاشى الآن». تنهدت ثم هزَّت رأسها وقالت: «ربما أنت محق، غريب ما يمكن للمرء أن يتخيله في وقت كهذا، أليس كذلك؟».

قالت (مويرين): «كاراي آن كالدازار». فالتفت الجميع إليها. «كاراي آن إليساند، آل إليساند. من أجل مجد العقاب الأحمر، من أجل مجد زهرة الشمس، زهرة الشمس. صرخة حرب (مانثيرن) العتيقة، صرخة

حرب ملكها الأخير. كانت (إلدرين) تُدعى زهرة الشمس». ثم نظرت إلى (إيجوين) و(مات) وهي تبتسم، رغم أن نظرتها قد استقرت للحظة عليه أكثر منها. «إن دماء نسل (إيمون) لا تزال قوية في (النهرين)، الدماء القديمة لا تزال تغني».

تبادل (مات) و(إيجوين) النظر. بينما البقية جميعًا ينظرون إليهما. كانت عينا (إيجوين) متسعتين، بينما فمها يرتجف في ابتسامة تكبحها كلما بدأت، كما لو أنها لم تكن واثقة من كيفية استيعاب هذا الحديث عن الدماء القديمة. عقد (مات) حاجبيه في تجهم كأنما قد فهم الأمر.

فكر (راند) أنه يعرف ما يفكر فيه (مات)، فقد كان يفكر في نفس الشيء؛ إن كان (مات) من نسل ملوك (مانثيرن) القدامى فربما يسعى (الترولوكيون) وراءه هو وليس ثلاثتهم. جعلته هذه الفكرة يشعر بالخجل، واحمرت وجنتاه عندما ارتسم الإحساس بالذنب على وجه (بيرين)، فعرف أن نفس الفكرة قد راودته.

قال (توم) بعد دقيقة: «لا يمكنني أن أقول إنني قد سمعت مثل هذا من قبل». ثم هز رأسه وقال بفظاظة: «في وقت آخر كنت لأنسج حكاية من الأمر، ولكن الآن... هل تنوين البقاء هنا لبقية اليوم أيتها (الآيز سيداي)».

أجابته (مويرين) وهي تجذب زمام فرسها: «لا».

دوى نفير بوق (الترولوكيين) كأنما ليؤكد على كلمتها. أجابه المزيد من الأبواق من الشرق والغرب. اضطربت الخيول وتحركت جانبًا في توتر.

قال (لان) بهدوء: «لقد اجتازوا النيران». ثم التفت إلى (مويرين) وقال: «أنتِ لستِ قوية بما يكفي لفعل ما تريدينه، ليس بعد، ليس من دون البقية. ولا يمكن لأي (ميردرال) أو (ترولوك) أن يدخل ذلك المكان».

رفعت (مويرين) يدها كأنما لتقاطعه، ثم تنهدت وتركت يدها تسقط بجوارها قبل أن تقول بانزعاج: «لا بأس، أفترض أنك محق، ولكني أتمنى لو أن هناك أي خيار آخر». جذبت عصاها من أسفل حزام سرجها، ثم قالت: «اجتمعوا حولي جميعًا، بأقرب ما تستطيعون. اقتربوا أكثر».

حث (راند) (كلاود) على الاقتراب من فرس (الآيز سيداي). مع إلحاح (مويرين) واصلوا الاحتشاد بالقرب منها في دائرة من حولها، حتى صار رأس كل حصان ممتدًّا فوق *كفل*[1] حصان آخر أو *حاركه*[2]. حينها فقط أحست (الآيز سيداي) بالرضا. عندها وبدون أن تتكلم وقفت في ركابها ولوحت بعصاها فوق رؤوسهم وهي تمدها لتتيقن من أنها تغطي الجميع.

كان (راند) يجفل في كل مرة تمر فيها العصا من فوقه، وكان هناك وخز يجتاح جسده مع كل مرة تمر فيها. كان باستطاعته أن يتابع العصا دون أن يراها، فقط باتباع القشعريرة التي تنتاب بقيتهم بينما تتحرك من فوقهم، لم يكن متفاجئًا لرؤية أن (لان) هو الوحيد الذي لم يتأثر.

فجأة دفعت (مويرين) بعصاها ناحية الغرب، تطايرت الأوراق الميتة في الهواء وخفقت الأغصان كأن هناك شيطانًا ترابيًّا يركض نحو الاتجاه الذي أشارت إليه.

بينما الإعصار الخفي يتلاشى عن الأنظار استقرت جالسة في سرجها وهي تتنهد.

قالت: «سيبدو (للترولوكيين) أن روائحنا وآثارنا كأنما تتبع هذا المسار. سيدرك (الميردرال) الحقيقة بمرور الوقت، ولكن حتى ذلك الحين...».

قال (لان): «حتى ذلك الحين سنكون قد اختفينا نحن أيضًا».

---

(1) الكفل: هي المنطقة التي تقع خلف السرج.

(2) الحارك: أعلى الكتف حيث تنضم الرقبة إلى الجسم.

قالت (إيجوين): «إن عصاكِ قوية للغاية». فرمقتها (نواينيف) بنظرها.

طقطقت (مويرين) بلسانها وقالت: «لقد أخبرتك يا طفلتي أن الأشياء لا تحتوي على القوة. إن (القوة الواحدة) تنبع عن (المصدر الحقيقي)، ولا يمكن إلا لعقل حي أن يستخدمها. هذا ليس (أنجريال) حتى، بل مجرد شيء يساعد على التركيز». وبضعف أعادت العصا أسفل حزام سرجها وقالت: «(لان)؟».

قال (الحامي): «اتبعوني وابقوا صامتين، إن سمعنا (الترولوكيون) فسيفسد هذا كل شيء».

اقتادهم نحو الشمال مرة أخرى، ولكن ليس بنفس السرعة الهائلة التي كانوا يتحركون بها، بل بنفس المشية السريعة التي كانوا يقطعون بها (طريق كايملين). استمرت الأرض في الانبساط ولكن الغابة ظلت بنفس الكثافة.

لم يعد مسارهم مستقيمًا كما كان من قبل، فقد اختار (لان) مسارًا يتعرج من فوق الأرض الصلبة والنتوءات الصخرية، ولم يعد يسمح لهم بشق طريقهم عبر الشجيرات المتشابكة بل يأمرهم بالالتفاف من حولها. من آن لآخر كان يتراجع للوراء ويتفحص باهتمام المسار الذي قطعوه. إن أصدر أحدهم أدنى صوت ولو حتى للسعال فإنه ينال زمجرة حادة منه.

اقتربت (ناينيف) من (الآيز سيداي) لتسير بجوارها، بينما القلق يصارع الامتعاض على وجهها، وخُيِّل لـ(راند) أن هناك لمحة من شيء آخر، كأن الحكيمة ترى هدفًا على مرمى البصر. كانت (مويرين) متهدلة الكتفين، وهي تمسك بلجامها وسرجها بكلتا يديها وتتمايل مع كل خطوة تقطعها (آلديب). كان من الواضح أن وضع هذا الأثر المزيف. رغم أنه قد يبدو عملًا بسيطًا مقارنة بصنع زلزال وجدار من اللهب. قد كلفها جهدًا كبيرًا؛ قوة لم يعد بإمكانها أن تخسرها.

كاد (راند) أن يتمنى لو يدوي نفير الأبواق مجددًا، على الأقل بهذه الطريقة يمكنهم أن يعرفوا مدى ابتعاد (الترولوكيين) عنهم، و(العواتم).

كان ينظر وراءهم باستمرار، لذا لم يكن أول من يرى ما يقع أمامهم. عندما رآه حدق في حيرة. كان هناك كتلة عظيمة غير منتظمة تمتد على كلا الجانبين حتى تختفي عن الأنظار، مرتفعة في أجزاء عديدة منها بارتفاع الأشجار التي نمت من فوقها، مع نتوءات صخرية أكثر طولًا هنا وهناك. كانت أغصان النباتات المتسلقة والزاحفة العارية من الأوراق تغطيها في طبقات كثيفة. *منحدر صخري؟ ستجعل الأغصان التسلق سهلًا، ولكننا لن نتمكن من الصعود بالخيول.*

فجأة بينما هم يقتربون أكثر رأى برجًا. كان من الواضح أنه برج وليس نوعًا من التكوينات الصخرية، تعلوه قمة مدببة غريبة الشكل. قال: «مدينة؟». كان سور مدينة، والنتوءات الصخرية كانت أبراج حراسة على السور. فغر فاه، لا شك أنها أكبر من (بايرلون) بعشر مرات، أكبر بخمسين مرة.

أومأ (مات) برأسه وقال موافقًا: «مدينة بالفعل، ولكن ما الذي تفعله مدينة في قلب غابة كهذه؟».

قال (بيرين): «وبدون أي سكان». عندما نظروا إليه قال مشيرًا إلى السور: «هل سيترك الناس الأغصان تنمو فوق كل شيء هكذا؟ أنتم تعرفون كيف يمكن للنباتات المتسلقة أن تهدم سورًا، انظروا كيف تداعى».

صار ما يراه (راند) واضحًا في ذهنه، كان الأمر كما قال (بيرين)؛ تحت كل مكان خفيض في السور كان هناك تل مغطى بالشجيرات، ركام من السور المتهدم أعلاه. لم يكن هناك اثنان من أبراج الحراسة بنفس الارتفاع.

قالت (إيجوين) في دهشة: «أتساءل أي مدينة كانت، أتساءل ما الذي حدث لها، لا أتذكر أي شيء عنها من خريطة أبي».

قالت (مويرين): «كانت تُدعى (أريدول)، وكانت حليفًا لـ(مانثيرن) في أيام (الحروب الترولوكية)». كانت تحدق إلى الأسوار الضخمة، وبدا أنها ذاهلة عن البقية، حتى (نايْنيف) التي سندتها في سرجها بوضع يدها على ذراعها. «لاحقًا ماتت (أريدول)، وسُمي هذا المكان باسم آخر».

سألها (مات): «أي اسم هو؟».

قال (لان): «من هنا». ثم توقف بـ(ماندارب) أمام ما يبدو أنه كان ذات يوم بوابة واسعة بما يكفي لمرور خمسين رجلًا يسيرون جنبًا إلى جنب. لم يبقَ سوى أبراج المراقبة المتداعية المغطاة بالأغصان. ولم يكن هناك أدنى أثر للبوابة. «سندخل من هنا». صرخت أبواق (الترولوكيين) في الأفق. نظر (لان) إلى الاتجاه الذي جاء منه الصوت، ثم نظر إلى الشمس التي كانت في منتصف الطريق إلى أسفل نحو قمم الأشجار في الغرب. «لقد اكتشفوا أنه أثر مزيف. هيا بنا يجب أن نعثر على مأوى قبل حلول الظلام».

سألها (مات) مرة أخرى: «أي اسم هو؟».

أجابته (مويرين) وهي تسير بحصانها إلى داخل المدينة: «(شادار لوجوث)، إنها تُدعى (شادار لوجوث)».

الفصل التاسع عشر

مُنْتَظَر الظل

تحطمت أحجار الرصف المتكسرة تحت حوافر الخيل بينما (لان) يقتادهم إلى داخل المدينة. كانت المدينة بالكامل متداعية، أو ما استطاع (راند) أن يراه منها، وكانت مهجورة كما قال (بيرين). لم يكن هناك شيء يتحرك، ولا حتى حمامة واحدة، وكانت الأعشاب القديمة الميتة تنبت من شقوق الجدران وأحجار الرصف. كانت المباني التي تساقطت أسقفها أكثر من المباني الكاملة، وتحولت الجدران المتهدمة إلى أكوام من الركام منسكبة في الشوارع. كانت الأبراج متباينة الطول بقمم مسننة كعصي متكسرة. كانت تلال الأنقاض غير المتساوية التي نمت الأشجار على منحدراتها يُمكن أن تكون بقايا قصور أو أحياء سكنية كاملة.

ومع ذلك كان ما تبقى صامدًا دون أن يتداعى كافيًا لإبهار (راند). إن أكبر مبنى في (بايرلون) سيختفي في ظلال أي مبنى هنا تقريبًا. أينما نظر كان يرى قصورًا من الرخام الأبيض تعلوها قباب ضخمة. بدا أن كل مبنى يحتوي على قبة واحدة على الأقل، وبعضها كان يحتوي على أربع أو خمس، وكل واحدة كانت مختلفة الشكل. كان هناك ممرات طويلة تتراص الأعمدة على جانبيها، تمتد إلى مئات الخطوات نحو أبراج بدا أنها تصل إلى السماء. في كل تقاطع توجد نافورة برونزية أو نصب تذكاري مرمري أو تمثال على قاعدة. رغم أن النوافير كانت جافة ومعظم النصب التذكارية قد

تساقطت والعديد من التماثيل قد تحطمت، إلا أن ما تبقى كان عظيمًا للغاية حتى أنه لم يشعر إلا بالافتنان.

وأنا الذي ظننت أن (بايرلون) مدينة! بحق (النور)، لا شك أن (توم) قد ضحك ساخرًا في قرارة نفسه، و(مويرين) و(لان) أيضًا.

كان قد انغمس في التحديق حتى أنه قد تفاجئ عندما توقف (لان) فجأة أمام مبنى حجري أبيض كان ذات يوم ضعف حجم حانة (الأيل والأسد) في (بايرلون). لم يكن هناك شيء يشي بما كان عليه عندما كانت المدينة حية وعظيمة، ربما كان حانة. لم يتبقَّ سوى قشرة مجوفة من الطوابق العليا، كانت شمس ما بعد الظهيرة تطل عبر إطارات النوافذ الخاوية، لقد اختفى الزجاج والخشب منذ زمن بعيد، ولكن الطابق الأرضي بدا صامدًا بما يكفي.

تفحصت (مويرين) . التي كانت لا تزال تضع يديها على مقدمة السرج . المبنى باهتمام، قبل أن تومئ برأسها وتقول: «هذا سيفي بالغرض».

قفز (لان) من على سرجه وساعد (الآيز سيداي) على الهبوط بأن حملها بين ذراعيه قبل أن يقول آمرًا: «أحضروا الخيول إلى الداخل. ابحثوا عن حجرة في المؤخرة لاستخدامها كإسطبل. تحركوا أيها المزارعون، هذه ليست (الساحة الخضراء) في القرية». ثم اختفى بالداخل وهو يحمل (الآيز سيداي).

ترجلت (ناينيف) عن حصانها وأسرعت وراءه وهي تمسك بحقيبة الأعشاب والمراهم، فلحقت بها (إيجوين) على الفور وقد تركت فرسها وراءها كما فعلت (ناينيف).

زفر (توم) فتطاير شاربه، ثم تمتم مبتسمًا في سخرية: «فلتحضروا الخيول إلى الداخل». ترجل عن حصانه بحركة بطيئة متيبسة، ثم طَقْطَقَ ظهره وتنهد بعمق قبل أن يُمسك بلجام (آلديب). رفع حاجبًا وهو ينظر إلى (راند) وصديقيه ثم قال: «حسنًا؟».

أسرعوا بالترجل عن خيولهم، ثم جمعوا بقية الخيول. كان إطار الباب ـ الذي لم يتبقَّ فيه أثر للباب الذي كان موجودًا في الماضي ـ كبيرًا بما يسمح بمرور الخيول إلى الداخل، أو حتى اثنين جنبًا إلى جنب.

بالداخل كان هناك حجرة ضخمة باتساع المبنى بأرضية قذرة من البلاط، وعدد قليل من الجداريات الرثة المعلقة على الجدران، وقد شحب لونها حتى صار بنيًّا باهتًا، وبدت أنها قد تتداعى بلمسة واحدة. لم يكن هناك شيء آخر. كان (لان) قد هيَّأ مجلسًا لـ(مويرين) في الركن القريب، مستخدمًا عباءته وعباءتها. كانت (ناينيف) تتمتم بشيء عن الغبار وقد جلست على ركبتيها بجوار (الآيز سيداي)، وهي تفتش في حقيبتها التي تبقيها (إيجوين) مفتوحة بيديها.

بينما (راند) يقتاد (بيلا) و(كلاود) من وراء (توم) سمع (ناينيف) تقول (للحامي): «ربما لا أحبها هذا صحيح، ولكني أساعد أي شخص يحتاج للمساعدة، سواء كنت أحبه أو لا».

«أنا لم أوجه لكِ أي اتهام أيتها الحكيمة، لم أقل سوى إن عليكِ أن تكوني حريصة في استخدام أعشابك».

نظرت إليه من طرف عينها وقال: «الحقيقة هي أنها بحاجة إلى أعشابي، وكذلك أنت». كان صوتها لاذعًا في البداية، وكان يزداد حدة وهي تتحدث. «الحقيقة هي أن هناك حدودًا لما يمكنها أن تفعله، حتى باستخدام (القوة الواحدة)، وقد فعلت قدر ما تستطيع أن تفعله دون أن تنهار. الحقيقة هي أن سيفك لا يستطيع أن يساعدها الآن يا (سيد الأبراج السبعة)، ولكن أعشابي يمكنها أن تساعدها».

وضعت (مويرين) يدها على ذراع (لان) وقالت: «على رسلك يا (لان)، إنها لا تقصد سوى الخير. الأمر وما فيه هو أنها لا تعرف». فأشاح (الحامي) بوجهه في استهزاء.

توقفت (نايئيف) عن التفتيش في حقيبتها ثم عقدت حاجبيها وهي تنظر إليه، ولكنها تحدثت إلى (مويرين) قائلة: «هناك أشياء كثيرة لا أعرفها، فأي شيء تقصدينه؟».

أجابتها (مويرين): «على سبيل المثال؛ كل ما أحتاجه حقًّا هو القليل من الراحة، وأمر آخر هو أنني أتفق معك، إن مهارتك ومعرفتك ستكونان مفيدتين أكثر مما ظننت. والآن إن كان لديك شيء يساعدني على النوم لساعة ولا يتركني مترنحة...؟».

«شاي خفيف من عشبة ذيل الثعلب والماريسين و...».

لم يسمع (راند) بقية الوصفة وهو يتبع (توم) إلى حجرة وراء الحجرة الأولى، وكانت بنفس الاتساع ولكنها فارغة أكثر. لم يكن ثمة شيء هنا سوى الغبار الكثيف، الذي لم تطأه قدم قبل مجيئهم، لم يكن هناك حتى أثر قد خلفته الطيور أو الحيوانات الصغيرة على الأرضية.

بدأ (راند) في نزع السرج عن (بيلا) و(كلاود)، بينما نزع (توم) السرج عن (آلديب) وحصانه، و(بيرين) عن حصانه و(ماندارب). كلهم ما عدا (مات)، الذي توقف في منتصف الحجرة، وترك لجامي الحصانين اللذين يمسك بهما. كان هناك مدخلان إلى الحجرة خلاف المدخل الذي دخلوا منه.

قال (مات) وهو يسحب رأسه من المدخل الأول: «إنه زقاق». كان باستطاعتهم أن يروا هذا من حيث يقفون. كان المدخل الثاني عبارة عن مستطيل أسود في الجدار الخلفي. دلف (مات) من خلاله ببطء، ثم عاد مسرعًا وهو ينفض خيوط العنكبوت العتيقة عن شعره بقوة ويقول: «لا يوجد شيء هناك». وهو ينظر إلى الزقاق نظرة أخرى.

سأله (بيرين): «هل ستعتني بحصانك؟». كان قد انتهى بالفعل من حصانيه وهو يرفع السرج عن (ماندارب). الغريب أن الحصان ذا العينين

الشرستين لم يتسبب لهم في أي متاعب مطلقًا، رغم أنه كان ينظر إلى (بيرين). «لن يفعل أحد هذا من أجلك».

نظر (مات) إلى الزقاق نظرة أخيرة ثم توجه إلى حصانه وهو يتنهد.

بينما (راند) يضع سرج (بيلا) على الأرض لاحظ أن (مات) ينظر بوجوم، بدا أن عينيه تنظران إلى مكان بعيد بآلاف الأميال، وأنه يتحرك بشكل آلي.

سأله (راند): «هل أنت بخير يا (مات)؟». رفع (مات) السرج من على حصانه ووقف ممسكًا به. «(مات)؟ (مات)!».

جفل (مات) وكاد أن يسقط السرج ثم قال: «ماذا؟ أوه، كنت... كنت فقط أفكر».

صاح (بيرين) من حيث كان ينتزع الشكيمة عن لجام (ماندارب): «تفكر؟ لقد كنت نائمًا».

تجهم (مات) وقال: «كنت أفكر... أفكر فيما حدث هناك. في هذه الكلمات التي...». نظر الجميع إليه وليس (راند) وحده، فتململ في توتر وقال: «حسنًا لقد سمعتم ما قالته (مويرين)، لقد بدا الأمر كأن رجلًا ميتًا يتحدث من خلال فمي. لا يعجبني هذا».

ازداد تجهمه عندما ضحك (بيرين) الذي قال: «لقد قالت إنها صرخة حرب (إيمون)، أليس كذلك؟ ربما أنت (إيمون) وقد عاد إلى الحياة مرة أخرى. لطالما كنت تتحدث عن ملل الحياة في (إيموندز فيلد)، لذا اعتقدت أنك ستحب هذا؛ أن تكون ملكًا أو بطلًا قد وُلِد من جديد».

أخذ (توم) نفسًا عميقًا وقال: «لا تقل هذا!». فحدق الجميع إليه. «هذا حديث خطير، حديث أحمق. الموتى لا يمكنهم أن يولدوا من جديد أو أن يتخذوا جسدًا حيًّا، هذا شيء لا يجب الحديث عنه باستخفاف». أخذ نفسًا آخر لتهدئة نفسه قبل أن يُكمل: «لقد قالت إنها الدماء

القديمة. الدماء وليس رجلًا ميتًا. لقد سمعت أن هذا يمكن أن يحدث أحيانًا. سمعته ولم أفكر حقًّا... إنها جذورك يا فتى، خط يمتد منك إلى أبيك إلى جدك، حتى يعود إلى (مانثيرن)، وربما أبعد من هذا. حسنًا، الآن أنت تعرف أن عائلتك عريقة، يجب عليك أن تجعل الأمر يتوقف عند هذا الحد وتكون مسرورًا. معظم الناس لا يعرفون أكثر من أن لديهم أبًا».

قال (راند) لنفسه بمرارة؛ *البعض لا يمكنهم أن يكونوا واثقين حتى من هذا. ربما الحكيمة محقة. بحق (النور) أتمنى أنها محقة.*

أومأ (مات) برأسه إلى صانع البهجة وقال: «أفترض أنه يجب عليَّ هذا. ولكن... هل تعتقد أن هذا له علاقة بما حدث لنا؟ (الترولوكيون) وما إلى ذلك؟ أعني... أوه أنا لا أعرف ما أعنيه».

قال (توم): «أعتقد أنه يجب عليك نسيان الأمر برمته والتركيز على الخروج من هنا بأمان». ثم أخرج غليونه الطويل من داخل عباءته قبل أن يقول: «وأعتقد أنني سأدخن لبعض الوقت». ثم لوَّح بغليونه ناحيتهم قبل أن يختفي عائدًا إلى الغرفة الأمامية.

قال (راند) مخاطبًا (مات): «نحن جميعًا عالقون في هذا الأمر، وليس واحدًا منا فقط».

هز (مات) رأسه ثم ضحك ضحكة مقتضبة قبل أن يقول: «أنت محق، حسنًا بالحديث عن كوننا عالقين في الأشياء معًا، الآن وقد انتهينا من الأحصنة لمَ لا نذهب ونستكشف القليل من هذه المدينة. مدينة حقيقية بلا زحام يصطدم بمرفقيك ويكزك في ضلوعك. لا أحد لينظر إلينا من طرف أنفه الطويل. لا يزال هناك ساعة أو ربما ساعتين من ضوء النهار».

قال (بيرين): «هل نسيت بشأن (الترولوكيين)؟».

هزَّ (مات) رأسه بازدراء وقال: «لقد قال (لان) إنهم لن يأتوا إلى هنا، هل نسيت؟ يجب أن تصغي إلى ما يقوله الناس».

قال (بيرين): «لم أنسَ، وأنا أُصغي إلى ما يُقال. هذه المدينة - (أريدول)؟ - كانت حليفة لـ(مانثيرن). هل ترى؟ أنا أُصغي».

قال (راند): «لا شك أن (أريدول) كانت أعظم مدينة في (الحروب الترولوكية)، حتى يظل (الترولوكيون) خائفين منها. إنهم لم يخشوا المجيء إلى (النهرين) رغم أن (مويرين) قد قالت إن (مانثيرن) كانت - كيف وصفت الأمر؟ - شوكة في قدم (سيد الظلام)».

رفع (بيرين) يديه وقال: «لا تذكر (راعي الليل) من فضلك».

ضحك (مات) وقال: «ما رأيكما؟ فلنذهب».

قال (بيرين): «يجب علينا أن نستأذن (مويرين)».

لوَّح (مات) بيديه وقال: «نستأذن (مويرين)؟ هل تعتقد أنها ستسمح لنا بالابتعاد عن ناظريها؟ وماذا عن (نانيف)؟ بحق الدماء والرماد يا (بيرين)، على هذا المنوال ستذهب لتستأذن السيدة (لوهان) أيضًا؟».

أومأ (بيرين) برأسه موافقًا على مضض، فالتفت (مات) إلى (راند) وقال مبتسمًا: «ماذا عنك؟ مدينة حقيقية؟ بقصور!». ثم ضحك ضحكة ماكرة وقال: «ولا يوجد أصحاب العباءات البيضاء ليحدقوا إلينا».

حدجه (راند) بنظره، ولكن تردده لم يدم لأكثر من دقيقة واحدة، كانت هذه القصور تشبه حكايات صانعي البهجة. قال له: «لا بأس».

تحركوا بخطوات خفيفة حتى لا يسمع أحد صوتهم في الحجرة الأمامية، ثم غادروا عن طريق الزقاق وتتبعوه مبتعدين عن مقدمة المبنى إلى شارع على الجانب الآخر. تحركوا بسرعة وعندما صاروا على بُعد حي سكني من المبنى الحجري الأبيض راح (مات) يرقص فجأة بمرح.

ضحك وقال: «الحرية! الحرية!». ثم أخذ يبطئ حتى صار يدور في دوائر وهو يحدق إلى كل شيء بينما لا يزال يضحك. امتدت ظلال ما بعد الظهيرة طويلة ومتعرجة، بينما الشمس الآخذة في الغروب جعلت أطلال المدينة تبدو ذهبية. «هل حلمتم من قبل بمكان كهذا».

ضحك (بيرين) أيضًا ولكن (راند) هزَّ كتفيه في عدم ارتياح. لم تكن هذه المدينة تشبه المدينة التي كانت في حلمه الأول، ولكن لا بأس بها... قال: «إن كنا نريد أن نرى كل شيء فمن الأفضل أن نبدأ على الفور، لم يبقَ الكثير من ضوء النهار».

كان (مات) يرغب في أن يرى كل شيء على ما يبدو، فقد جذب صديقيه معه بحماس. صعدوا فوق نوافير مغبرة بأحواض متسعة بما يكفي لأن تحوي كل شخص في (إيموندز فيلد)، وتجولوا إلى داخل وخارج المباني التي اختاروها بشكل عشوائي، ولكنها كانت دومًا أكبر ما يمكنهم العثور عليه. بعضها فهموا طبيعتها، وبعضها لا. أي قصر كان يبدو بوضوح أنه قصر، ولكن ماذا كان المبنى الضخم الذي يحتوي على قبة بيضاء مستديرة واحدة بحجم تل خارجه وحجرة واحدة شاسعة بداخله؟ ومكان محاط بأسوار مفتوح على السماء وكبير بما يكفي لكي يحوي (إيموندز فيلد) بالكامل، ومحاط بصفوف وصفوف من المقاعد الحجرية؟

أحس (مات) بنفاد صبر عندما لم يعثروا على شيء سوى الغبار والركام والقطع القماشية عديمة الألوان التي تمثل جداريات، والتي تتفتت بلمسة واحدة. في إحدى المرات عثروا على كراسي خشبية موضوعة بمحاذاة أحد الجدران وقد تحولت إلى فتات عندما حاول (بيرين) أن يرفع أحدها.

كانت القصور بحجراتها الضخمة الفارغة التي يمكن أن يحتوي بعضها على حانة (واينسبرينج) مع وجود مساحة فارغة كافية على الجانبين وبالأعلى أيضًا، جعلت (راند) يفكر كثيرًا في الأشخاص الذين سكنوها ذات يوم. لقد فكر أن الجميع في (النهرين) يمكنهم أن يقفوا تحت هذه

القبة الدائرية، أما بالنسبة للمكان الذي يحتوي على المقاعد الحجرية... لقد خُيِّل إليه إلى حد ما أنه يرى أشخاصًا في الظلال، يحدقون باستنكار إلى المتسللين الثلاثة الذين يقلقون راحتهم.

وأخيرًا حتى (مات) أحس بالتعب، فرغم عظمة المباني إلا أنه تذكر أنه لم ينل إلا ساعة واحدة من النوم في الليلة السابقة. بدأ ثلاثتهم يتذكرون هذا، فتثاءبوا وهم يجلسون على درجات سلم مبنى طويل أمامه صفوف وصفوف من الأعمدة الحجرية الطويلة، وتجادلوا حيال ما يجب عليهم فعله بعد هذا.

قال (راند): «نعود ونحصل على قسط من النوم». وضع ظهر يده على فمه، وعندما استطاع الحديث مرة أخرى قال: «النوم، هذا هو كل ما أريده».

قال (مات) بعناد: «يمكنك أن تنام في أي وقت. انظر أين نحن؛ أطلال مدينة، كنز».

قال (بيرين) بسخرية: «كنز؟ لا يوجد أي كنز هنا، لا يوجد شيء سوى الغبار».

وضع (راند) يده على جبهته ليظلل عينيه وهو ينظر ناحية الشمس، كانت الكرة الحمراء قد اقتربت كثيرًا من أسطح المباني، ثم قال: «لقد تأخر الوقت يا (مات)، سيحل الظلام سريعًا».

قال (مات) متشبثًا بعناده: «يمكن أن يكون هناك كنز، على أي حال أنا أرغب في أن أصعد أحد الأبراج. انظرا إلى هذا البرج هناك، إنه سليم، أراهن أن بإمكاننا أن نرى لأميال من أعلاه، ما رأيكما؟».

قال صوت رجل من ورائهم: «الأبراج ليست آمنة».

قفز (راند) واقفًا على قدميه، ودار حول نفسه ممسكًا بمقبض سيفه. وتحرك الآخران بنفس سرعته.

كان هناك رجل يقف في الظلال بين الأعمدة على قمة الدرج. قطع نصف خطوة للأمام وهو يرفع يده ليحمي عينيه من ضوء الشمس، ثم خطا إلى الوراء وقال بسلاسة: «اعذروني فأنا قضيت وقتًا طويلًا في الظلام بالداخل وعيناي لم تعتادا بعد على الضوء».

سأله (راند): «من أنت؟». وفكر أن نبرة الرجل تبدو عجيبة، حتى بعد زيارته (بايرلون)، فقد نطق بعض الكلمات بغرابة، حتى أن (راند) استطاع بالكاد أن يفهمها. «ما الذي تفعله هنا؟ كنا نعتقد أن المدينة مهجورة».

«أنا (مورديث)». ثم صمت قليلًا كأنما يتوقع أن يتعرفوا على الاسم. عندما لم يُبدِ أي منهم إشارة على هذا تمتم بشيء غير مسموع، ثم قال: «يمكنني أن أسألكم السؤال ذاته، لم يأتِ أي شخص إلى (أريدول) منذ زمن بعيد، زمن بعيد للغاية. لم أكن أعتقد أنني سأجد ثلاثة فتيان يتجولون في شوارعها».

قال (راند): «نحن في طريقنا إلى (كايملين)، لقد توقفنا لنحتمي أثناء الليل».

قال (مورديث) مكررًا الاسم ببطء: «(كايملين)». ثم هز رأسه وقال: «تقولون إنكم تحتمون أثناء الليل؟ ربما يمكنكم الانضمام إليَّ».

قال (بيرين): «لم تقل لنا بعد ما الذي تفعله هنا».

«أنا صائد كنوز بالطبع».

سأله (مات) بحماس: «هل عثرت على أي كنوز؟».

خُيِّل لـ(راند) أن (مورديث) قد ابتسم، ولكنه لم يستطع أن يكون واثقًا بسبب الظلال. قال الرجل: «لقد عثرت على كنوز أكثر مما كنت أتوقع، أكثر بكثير، أكثر مما يمكنني حمله بعيدًا. لم أتوقع أن أجد ثلاثة فتيان أقوياء أصحاء. إن كنتم ستساعدونني على نقل ما يمكنني حمله إلى حيث توجد خيولي فربما يمكن لكل واحد منكم أن يأخذ نصيبًا مما يتبقى، قدر ما

يمكنكم حمله. أي شيء سأتركه سيختفي، سيأخذه بعض صيادي الكنوز الآخرون، قبل أن أعود من أجله».

صاح (مات): «أخبرتكم أن هناك كنزًا في مكان كهذا بالتأكيد». ثم اندفع صاعدًا السلم وهو يقول: «سوف نساعدك على حمله، فقط خذنا إليه». تحرك هو و(مورديث) متعمقين في الظلال بين الأعمدة.

نظر (راند) إلى (بيرين) وقال: «لا يمكننا تركه وحده». فنظر (بيرين) إلى الشمس الغاربة ثم أومأ برأسه.

صعدا درجات السلم بحذر، و(بيرين) يخرج فأسه من حلقة حزامه. بينما (راند) يحكم قبضته على سيفه. ولكن (مات) و(مورديث) كانا ينتظران بين الأعمدة، (مورديث) عاقدًا ذراعيه على صدره، و(مات) يحدق في نفاد صبر إلى الداخل.

قال (مورديث): «تعالوا، سأريكم الكنز». ثم خطا إلى الداخل يتبعه (مات). لم يكن هناك شيء يُمكن للآخرين فعله سوى المضي قدمًا.

كانت الردهة بالداخل مظلمة، ولكن على الفور انعطف (مورديث) جانبًا وخطا عبر درجات سلم حلزوني ضيقة أخذتهم إلى الأسفل أعمق وأعمق عبر الظلام، حتى صاروا يتحسسون طريقهم في الظلام الدامس. تحسس (راند) الجدار بيده غير واثق إن كانت قدمه ستجد موطئًا في الخطوة التالية. حتى (مات) بدأ يشعر بعدم الارتياح، وظهر هذا على صوته عندما قال: «إن الظلمة حالكة هنا».

أجابه (مورديث): «أجل، أجل». لم يبدُ على الرجل أنه يواجه مشكلة على الإطلاق مع الظلام. «هناك أضواء بالأسفل، تعالوا».

وبالفعل انتهى السلم الحلزوني فجأة ليجدوا أنهم في ممر مضاء بضوء باهت ينبعث من مشاعل متناثرة يتصاعد منها الدخان، موضوعة في حاملات حديدية على الجدران. ألسنة اللهب المتراقصة جعلت (راند)

يرى (مورديث) بشكل جيد لأول مرة، الذي كان يسرع إلى الأمام دون أن يتوقف وهو يشير لهم ليلحقوا به.

خُيِّل لـ(راند) أن هناك شيئًا غريبًا في الرجل، ولكنه لم يستطع أن يحدد ما هو بالضبط. كان (مورديث) رجلًا ناعمًا سمينًا بعض الشيء بجفنين مرتخيين جعلاه يبدو وكأنه يختبئ ويحدق من وراء شيء ما. كان قصيرًا وأصلع الرأس تمامًا، ويمشي وكأنه أطول من أي واحد فيهم. لم تكن ملابسه تشبه أي شيء قد رآه (راند) من قبل أيضًا. كان يرتدي سروالًا أسود ضيقًا، وحذاءً أحمر منثنيًا لأسفل عند كاحليه، وسترة حمراء طويلة مطرزة بكثافة بالذهب، وقميصًا ناصع البياض بكمين عريضين، ويتدلى طرفا كميه إلى ركبتيه تقريبًا. لم يكن هذا النوع من الملابس بالتأكيد هو النوع الذي يرتديه المرء للبحث عن كنز في أطلال مدينة. ولكن لم يكن هذا ما جعله يبدو غريبًا أيضًا.

انتهى الممر بحجرة ذات جدران مكسوة بالبلاط فنسي أي فكرة قد راودته عن غرابة (مورديث). كانت شهقته هي صدى لشهقتي صديقيه، كان الضوء ينبعث هنا أيضًا من بضعة مشاعل تلطخ السقف بدخانها وتمنح كل واحد فيهم أكثر من ظل، ولكن الضوء كان ينعكس ألف مرة على الأحجار الكريمة والذهب المتكوم على الأرض، تلال من العملات المعدنية والمجوهرات، وأقداح وأطباق وصحون مطلية بالذهب، وفؤوس وخناجر مرصعة بالأحجار الكريمة. كلها مكدسة بلا اكتراث في أكوام تصل إلى الخصر.

صرخ (مات) وهو يركض إلى الأمام ويسقط على ركبتيه أمام كومة منها، ثم صاح بأنفاس لاهثة وهو يحفر بأصابعه بين الذهب: «جِوالات، سنحتاج إلى جِوالات لحمل كل هذا».

قال (راند): «لا يمكننا حمل كل هذا». ثم تلفت حوله في يأس. إن كل الذهب الذي يجلبه التجار إلى (إيموندز فيلد) في عام واحد لا يمكنه أن

يمثل جزءًا من ألف من واحدة فقط من تلك التلال. «ليس الآن، لقد أوشك الظلام على الحلول».

جذب (بيرين) أحد الفؤوس، وهو يلقي بلا اكتراث بالسلاسل الذهبية التي علقت به. تلألأت المجوهرات على مقبضه الأسود اللامع، وكان هناك زخرفة ذهبية رقيقة تغطي النصل المزدوج. قال: «في الغد إذن». ثم راح يزن الفأس مبتسمًا قبل أن يقول: «(مويرين) و(لان) سيتفهمان الأمر عندما نريهما هذا».

قال (ورديث): «أنتم لستم وحدكم؟». كان قد تركهم يندفعون أمامه إلى حجرة الكنز، ولكنه في هذه اللحظة لحق بهم وقال: «من معكم أيضًا؟».

أجابه (مات) وقد غاص بيده حتى معصمه في الثروات المتكدسة أمامه: «(مويرين) و(لان)، وهناك أيضًا (نانيف) و(إيجوين) و(توم)، إنه صانع بهجة، نحن ذاهبون إلى (تار ڤالون)».

حبس (راند) أنفاسه، ولكن صمت (ورديث) جعله ينظر إلى الرجل.

كان وجه (ورديث) يتلوى بالغضب والخوف أيضًا، كشفت شفتاه عن أسنانه وهو يقول: «(تار ڤالون)!». ثم لوَّح بقبضتيه ناحيتهم وقال: «(تار ڤالون)! لقد قلتم لي إنكم ذاهبون إلى... إلى... (كايملين) هذه! لقد كذبتم عليَّ».

قال (بيرين) مخاطبًا (ورديث): «إن كنت لا تزال تريد أن نساعدك فسوف نعود في الغد ونساعدك». وبحرص وضع الفأس على كومة المجوهرات والكؤوس المرصعة بالأحجار الكريمة. «إن كنت ترغب في هذا».

قال (ورديث) وهو يلهث: «لا، هذا...». ثم هزَّ رأسه كأنما لا يستطيع أن يحسم أمره. «خذوا ما تريدون ما عدا... ما عدا...».

فجأة أدرك (راند) ما كان يزعجه بشأن الرجل، كانت المشاعل المتناثرة في الممر تعطي كل واحد منهم حلقة من الظلال، تمامًا كما تفعل المشاعل في حجرة الكنز، ولكن... كان مصدومًا للغاية حتى أنه قالها بصوت عالٍ: «أنت لا تملك ظلًّا».

سقط قدح من يد (مات) بدويٍّ مرتفع.

أومأ (مورديث) برأسه، ولأول مرة انفتح جفناه على اتساعهما، وبدا جسده الناعم فجأة شاحبًا وجائعًا. انتصبت قامته فخُيِّل إليهم أنه صار أكثر طولًا وهو يقول: «إذن فقد حُسِمَ الأمر». فجأة لم يعد الأمر يُخيَّل لهم، فقد انتفخ (مورديث) مثل البالون فتشوه جسده وضغط رأسه على السقف، والتصق كتفاه بالجدران فشغلا كل المساحة الفارغة في طرفي الحجرة مما قطع طريق الهروب. انتفخت وجنتاه وكشر عن أسنانه في زمجرة وحشية وهو يمد يديه الكبيرتين بما يكفي لابتلاع رأس رجل.

صرخ (راند) وهو يقفز إلى الوراء فعلقت قدماه في سلسلة ذهبية ليسقط على الأرض، فشعر أنه لا يستطيع أن يتنفس. كان يكافح لالتقاط أنفاسه، ويكافح في الوقت ذاته لاستلال سيفه، مصارعًا مع عباءته التي التفت حول المقبض. ملأت صرخات صديقيه الحجرة وتناثرت الأطباق والأقداح الذهبية على الأرض في رنين صاخب. فجأة ارتجف (راند) لسماع صرخة عذاب شديد.

استطاع أن يتنفس أخيرًا وهو يكاد أن يبكي، وفي الوقت ذاته استطاع أن يستل سيفه من غمده. نهض واقفًا على قدميه في حذر وهو يتساءل أي من صديقيه قد صرخ هذه الصرخة. بادله (بيرين) النظر بعينين متسعتين من الناحية الأخرى للحجرة، رابضًا وقد رفع فأسه كأنه على وشك أن يقطع شجرة. أطل (مات) من جانب كومة مجوهرات وهو يمسك في يده بخنجر قد انتزعه من مكان دفين في الكومة.

تحرك شيء ما في أعمق جزء في الظلال التي تركتها المشاعل فجفل ثلاثتهم. لقد كان (مورديث) الذي ضم ركبتيه إلى صدره وانكمش على نفسه بقدر ما يستطيع في الركن الأبعد.

قال (مات) وهو يلهث: «لقد خدعنا، كانت خدعة من نوع ما».

رفع (مورديث) رأسه وأخذ يعوي، فتناثر الغبار مع ارتجاف الجدران. صرخ: «أنتم جميعًا موتى! جميعكم موتى!». ثم قفز لأعلى وحلَّق عبر الحجرة.

فغر (راند) فاه وكاد السيف أن يسقط من يده، فبينما (مورديث) يحلق في الهواء تمدد جسده ونحف كخيط من الدخان، وعندما صار نحيفًا كإصبع اندفع ناحية شق في الجدار المكسو بالبلاط واختفى بداخله. ظلَّت صرخة أخيرة عالقة في الحجرة بينما هو يختفي، وتلاشت ببطء بعد اختفائه.

«أنتم جميعًا موتى».

قال (بيرين) بضعف: «دعونا نخرج من هنا». وهو يشدد قبضته على فأسه بينما يحاول أن ينظر في كل الاتجاهات في وقت واحد. كانت الحلى الذهبية والأحجار الكريمة متناثرة تحت قدميه دون أن يكترث لها.

قال (مات) باحتجاج: «ولكن الكنز، لا يمكننا أن نتركه ببساطة».

قال (بيرين) وهو لا يزال يتلفت إلى هذا الاتجاه وذاك: «أنا لا أريد أي شيء من كنزه». ثم رفع صوته وصاح في الجدران: «إنه كنزك، هل تسمعني؟ لن نأخذ أي شيء منه!».

حدق (راند) بغضب إلى (مات) وقال: «هل تريده أن يسعى وراءنا؟ أم أنك ستنتظر هنا لتحشو جيوبك حتى يعود ومعه عشرة من أمثاله».

أشار (مات) إلى كل الذهب والمجوهرات، ولكن قبل أن يستطيع أن يقول أي شيء أمسك (راند) بذراعه وجذب (بيرين) الذراع الأخرى، ثم جذباه خارج الحجرة بينما (مات) يقاوم ويصيح بشأن الكنز.

قبل أن يبتعدوا عشر خطوات عبر الممر راح الضوء الخافت بالفعل من ورائهم يزداد خفوتًا، حتى انطفأت المشاعل في حجرة الكنز. توقف (مات) عن الصياح، وترددوا في خطواتهم. انطفأ أول مشعل خارج الحجرة، ثم آخر. وعندما وصلوا إلى درجات السلم الحلزوني لم يكونوا بحاجة إلى جذب (مات) أكثر من هذا، كانوا جميعًا يركضون والظلام يلحق بهم. حتى ظلمة السلم الحالكة لم تجعلهم يترددون أكثر من لحظة واحدة قبل أن يسرعوا لأعلى وهم يصيحون بأعلى صوت لديهم، يصيحون لإخافة أي شيء ربما يكون في انتظارهم، يصيحون لتذكير أنفسهم أنهم ما زالوا على قيد الحياة.

اندفعوا إلى الردهة بالأعلى فانزلقوا وسقطوا على الرخام المغطى بالتراب، ثم اندفعوا للخارج عبر الأعمدة، قبل أن يتعثروا وهم يهبطون درجات السلم فسقطوا متكومين على أرض الشارع وقد ملأتهم الرضوض والكدمات.

خلَّص (راند) نفسه منهما، والتقط سيف (تام) من على الأرض المرصوفة وهو يتلفت حوله في توتر. كان أقل من نصف الشمس لا يزال ظاهرًا فوق الأسقف، كانت الظلال تمتد كأيادٍ مظلمة جعلها الضوء المتبقي أكثر سوادًا، فكادت أن تملأ الشارع. ارتجف جسده، فقد بدت الظلال وكأنها (مورديث) يمد يديه.

قال (مات) وهو يخرج من أسفل الكومة: «على الأقل لقد نجونا من الأمر». ثم راح ينفض الغبار عن نفسه بيدين مرتجفتين وهو يقول: «على الأقل أنا...».

قال (بيرين): «هل نجونا حقًّا؟».

كان (راند) يعرف أنها لم تكن مخيلته هذه المرة، فانتصبت الشعيرات على مؤخرة عنقه، شيء ما يراقبهم من الظلمة بداخل الأعمدة. دار على عقبيه وهو يحدق إلى المباني على طول الطريق، كان باستطاعته أن يشعر بأعين مسلطة عليه من هناك أيضًا. شدد قبضته على مقبض السيف رغم أنه تساءل عن الفائدة من هذا. بدت الأعين المراقبة كأنها في كل مكان. تلفت صديقاه حولهما بحذر، كان يعرف أنهما يستطيعان الشعور بالأمر أيضًا.

قال بصوت مبحوح: «دعونا نبقى في منتصف الشارع». بادلاه النظر، ورأى أنهما خائفان مثله. ازدرد لعابه بقوة وقال: «دعونا نبقى في منتصف الشارع، مبتعدين عن الظلال قدر الإمكان، ونمشي بسرعة».

وافقه (مات) قائلًا بشكل محموم: «نمشي بسرعة كبيرة».

لحق بهم المراقبون، أو أن هناك الكثير من المراقبين، والكثير من الأعين التي تحدق من كل مبنى تقريبًا. لم يكن باستطاعة (راند) أن يرى أي شيء يتحرك مهما أمعن النظر، ولكن كان باستطاعته أن يشعر بالأعين المتلهفة الجائعة. لم يكن يعرف أيهما سيكون الأسوأ؛ آلاف الأعين، أم القليل منها يلحق بهم.

في الأماكن التي لا يزال ضوء الشمس يصل إليها كانوا يبطئون قليلًا وهم يمعنون النظر بقلق إلى الظلمة التي يبدو أنها تقع أمامهم دومًا، لم يكن أحدهم متلهفًا للدخول إلى الظلال، لم يكن أحدهم واثقًا من عدم وجود شيء ينتظرهم. كان ترقب من يراقبهم يصير شيئًا ملموسًا كلما امتدت الظلال عبر الشارع لتعيق طريقهم. لقد ركضوا عبر هذه الأماكن المظلمة وهم يصرخون. خُيِّل لـ(راند) أن باستطاعته سماع خشخشة ضحكات جافة.

وأخيرًا مع حلول الشفق رأوا المبنى الحجري الذي تركوه منذ ما بدا أنه أيام مضت. فجأة رحلت الأعين المراقبة، اختفت في غمضة عين ما بين خطوة وأخرى. بدون كلمة بدأ (راند) يهرول، يتبعه صديقاه. ثم ركضوا

بأقصى سرعتهم ولم يتوقفوا إلا عندما اندفعوا عبر مدخل الباب فانهاروا وهم يلهثون.

كان هناك نار صغيرة مشتعلة في منتصف الأرضية المكسوة بالبلاط، والدخان يتلاشى عبر فتحة في السقف بطريقة ذكرت (راند) على نحو غير سار بـ(مورديث). كان الجميع هناك ما عدا (لان)، متجمعين حول ألسنة اللهب، وقد تباينت ردود أفعالهم بشكل ملحوظ. (إيجوين) التي كانت تدفئ يديها بالنار جفلت عندما اندفع ثلاثتهم إلى الحجرة، وضمت يديها إلى صدرها، وعندما رأت من هم تنفست الصعداء، مما أفسد محاولتها في النظر إليهم بانتقاد. لم يفعل (توم) أكثر من التمتمة بشيء ما دون أن يزيل غليونه، ولكن (راند) سمع كلمة «حمقى» قبل أن يعود صانع البهجة إلى تحريك الجمرات بعصا.

قالت الحكيمة بحدة: «أيها الحمقى المغفلون! كان شعرها منتصبًا من رأسها حتى أخمص قدميها وعيناها تلمعان، وهناك بقعتين من اللون الأحمر الساطع على وجنتيها. «لم هربتم هكذا بحق (النور)؟ هل أنتم بخير؟ أليس لديكم أي عقل على الإطلاق؟ لقد خرج (لان) للبحث عنكم، وستكونون محظوظين أكثر مما تستحقون لو لم يعاقبكم على فعلتكم عندما يعود».

لم يفصح وجه (الآيز سيداي) عن أي انزعاج على الإطلاق، ولكن يديها اللتين كانتا تقبضان على ردائها بشدة قد ارتخيتا عند رؤيتهم. أيًّا كان ما قدمته (ناينيف) لها فقد ساعدها، فقد كانت واقفة على قدميها. قالت بصوت نقي وصافٍ كبركة في (غابة الماء): «ما كان يجب عليكم أن تفعلوا ما فعلتموه. سنتحدث عن الأمر لاحقًا، شيء ما قد حدث بالخارج وإلا ما كنتم لتندفعوا إلى الداخل بهذا الشكل. هيا أخبروني».

قالت (مات) متذمرًا وهو يعتدل واقفًا على قدميه: «لقد قلتِ إن المكان آمن، قلتِ إن (أريدول) كانت حليفًا لـ(مانثيرن)، وإن (الترولوكيين) لن يأتوا إلى المدينة، و...».

خطت (مويرين) إلى الأمام فجأة حتى أن (مات) بتر عبارته وهو لا يزال فاغرًا فاه، بينما (راند) و(بيرين) تجمدا في موضعيهما أثناء محاولتهما للوقوف، نصف جاثين على ركبهم. «(ترولوكيين)؟ هل رأيتم (ترولوكيين) بداخل الأسوار؟».

ازدرد (راند) لعابه بقوة وقال: «ليس (الترولوكيون)». ثم بدأ ثلاثتهم يتحدثون بحماس في الوقت ذاته.

بدأ كل واحد منهم حكايته عند نقطة مختلفة؛ بدأ (مات) حديثه بالعثور على الكنز، وجعل الأمر يبدو وكأنه عثر عليه وحده. بينما بدأ (بيرين) بشرح سبب ذهابهم في المقام الأول دون إخبار أحد. قفز (راند) مباشرة إلى ما اعتقد أنه الشيء المهم، وهو اللقاء بالغريب بين الأعمدة. ولكنهم جميعًا كانوا متحمسين للغاية، حتى أن أيًّا منهم لم يحكِ أي شيء بترتيب حدوثه، كلما فكر أحدهم في شيء راح يحكيه بدون اعتبار لما جاء قبله أو بعده، أو من كان يقول ماذا. المراقبون، جميعهم ثرثروا بشأن المراقبين.

هذا الأمر جعل الحكاية برمتها تبدو غير مترابطة، ولكن خوفهم كان واضحًا. بدأت (مويرين) تلقي نظرات مضطربة على النوافذ الخاوية المطلة على الشارع. بالخارج كانت بقايا الشفق تتلاشى، وبدت النار صغيرة للغاية وخافتة للغاية. انتزع (توم) غليونه من بين أسنانه وأصغى السمع عاقدًا حاجبيه. أظهرت عينا (مويرين) القلق ولكن ليس قدرًا كبيرًا منه. إلى أن...

فجأة أمسكت (الآيز سيداي) براند من مرفقه بإحكام وهي تقول بحدة: «(مورديث)! هل أنت واثق من الاسم؟ هل ثلاثتكم واثقون من أنه (مورديث)؟».

تمتوا في صوت واحد: «أجل». وقد باغتتهم حدة (الآيز سيداي)، سألتهم جميعًا: «هل لمسكم؟ هل أعطاكم أي شيء، أو هل فعلتم أي شيء من أجله؟ يجب أن أعرف».

قال (راند): «لا، ولا واحد منا، لا شيء من هذا».

أومأ (بيرين) برأسه وأضاف: «كل ما فعله هو أن حاول قتلنا، أليس هذا كافيًا؟ لقد انتفخ حتى ملأ نصف الحجرة وهو يصيح أننا جميعًا موتى، ثم اختفى». حرك يديه ليوضح الأمر وقال: «كالدخان». فشهقت (إيجوين).

أشاح (مات) برأسه وقال مشاكسًا: «لقد قلتم إننا بأمان! مع كل هذا الحديث عن عدم مجيء (الترولوكيين) إلى هنا، ما الذي كان من المفترض أن نفكر فيه».

قالت وقد استعادت رباطة جأشها مرة أخرى: «من الواضح أنكم لم تفكروا على الإطلاق، أي شخص يستخدم عقله كان سيحذر من مكان يخشى (الترولوكيون) دخوله».

قالت (ناينيف) بنبرة ثقة: «هذا من صنيع (مات)، إنه دومًا ما يتورط في المتاعب، والآخرون يفقدون القليل من الذكاء الذي ولدوا به عندما يكونون بصحبته».

أومأت (مويرين) برأسها ولكن عينيها بقيتا على (راند) وصديقيه وهي تقول: «في آخر (الحروب الترولوكية) عسكر جيش بداخل هذه الأطلال، من (الترولوكيين) و(أصدقاء الظلام) و(الميردرال) و(سادة الرعب)، الآلاف منهم. عندما لم يخرج أحد منهم أرسل الكشافة إلى داخل الأسوار. عثر الكشافة على أسلحة وقطع من الدروع ودماء متناثرة في كل مكان، ورسائل محفورة على الجدران بلغة (الترولوكيين) تنادي (سيد الظلام) لمساعدتهم في ساعتهم الأخيرة. الرجال الذين جاءوا لاحقًا لم يجدوا أثرًا

للدماء أو الرسائل، لقد مُحِيَت تمامًا. (أنصاف البشر) و(الترولوكيون) ما زالوا يتذكرون، هذا ما يبقيهم خارج هذا المكان».

قال (راند) في استنكار: «وهذا هو المكان الذي اخترتماه لنختبئ فيه، سنكون أكثر أمانًا بالخارج ونحن نحاول أن نفر منهم».

قالت (مويرين) في صبر: «إن لم تهربوا كنتم ستعرفون أنني قد وضعت تعاويذ حماية حول هذا المبنى. لن يعرف (الميردرال) حتى بوجود هذه التعاويذ، فالهدف منها هو ردع نوع مختلف من الشر. ولكن ما يقطن في (شادار لوجوث) لن يجتازها أو حتى يقترب منها. في الصباح سيكون الخروج آمنًا، فهذه الأشياء لا يمكنها أن تتحمل ضوء الشمس، سيكونون مختبئين في أعماق الأرض».

قالت (إيجوين) بنبرة مترددة: «(شادار لوجوث)؟ كنت أظن أن هذه المدينة تدعى (أريدول)».

أجابتها (مويرين): «كانت تدعى (أريدول) ذات يوم، وكانت واحدة من الأمم العشرة، البلاد التي عقدت الميثاق الثاني، البلاد التي وقفت في وجه (سيد الظلام) منذ الأيام الأولى بعد (تحطم العالم). في الأيام التي كان فيها (ثورين ألتورين آل بان) هو ملك (مانثيرن)، وكان ملك (أريدول) هو (بالوين مايل)، (بالوين ذا اليد الحديدية). في غسق من اليأس عندما بدا أن (أبا الأكاذيب) سينتصر بالتأكيد جاء رجل يدعى (مورديث) إلى بلاط (بالوين)».

صاح (راند): «نفس الرجل؟». وقال (مات): «هذا مستحيل!». أخرستهما نظرة من (مويرين)، فخيم الصمت على الحجرة إلا من صوت (الآيز سيداي).

«قبل أن يمضي وقت طويل على وجود (مورديث) في المدينة كان قد صار أذن (بالوين)، وسرعان ما صار في المرتبة الثانية بعد الملك. كان (مورديث) يهمس بالسم في أذن (بالوين)، وبدأت (أريدول) تتغير،

فانغلقت على نفسها وازداد قاطنوها صلابة، حتى قيل إن البعض يفضل أن يشهد مجيء (الترولوكيين) بدلًا من رجال (أريدول). انتصار (النور) هو كل شيء، كانت هذه هي صرخة الحرب التي أعطاها (مورديث) لهم فصرخ رجال (أريدول) بها بينما أفعالهم تهجر (النور).

الحكاية طويلة للغاية فلا يمكن حكايتها بالكامل، وكئيبة للغاية، ولا يُعرف منها إلا شظايا حتى في (تار ڤالون). كيف جاء (كار) - ابن (ثورين) - ليعيد (أريدول) إلى الميثاق الثاني، و(بالوين) جالس على عرشه مجرد قشرة ذابلة، وفي عينيه بريق من جنون، يضحك بينما (مورديث) يبتسم إلى جواره، وكيف أمر بقتل (كار) ومن معه باعتبارهم أصدقاء للظلام. كيف صار الأمير (كار) يُدعى (كار ذا اليد الواحدة). كيف هرب من سراديب (أريدول) وفر وحده إلى (البلاد الحدودية) بينما قتلة (مورديث) الخارقون للطبيعة في عقبيه. كيف التقى (رِيا) هناك التي لم تكن تعرف من هو، فتزوجها مما وضع خيطًا في نسيج النمط أدى إلى موته على يديها، وموتها بيديها أمام قبره، وسقوط (أليث لوريل). كيف جاءت جيوش (مانثيرن) للثأر من أجل (كار)، وكيف وجدوا بوابات (أريدول) مهدومة، دون أن يعثروا على شيء حي بداخل الأسوار، ولكن كان هناك شيء أسوأ من الموت. لم يأتِ عدو إلى (أريدول) سوى (أريدول)، لقد ولد الشك والكراهية شيئًا تغذى على ما صنعه، شيء محبوس في الأساس الذي أقيمت عليه المدينة. لا يزال (ماشادار) ينتظر متعطشًا. لم يعد الناس يتحدثون عن (أريدول)، لقد أسموها (شادار لوجوث)، الموضع الذي يَنْتَظِرُ فيه الظل، أو بشكل أكثر بساطة (مُنتَظَر الظل).

وحده (مورديث) لم يلتهمه (ماشادار)، ولكنه يستخدمه لاصطياد ضحاياه، وهو أيضًا ينتظر داخل هذه الأسوار لقرون طويلة، لقد رآه آخرون، بعضهم قد تأثر بهداياه، فتلوى عقله وتدنست روحه، ويظل الدنس يتزايد ويتناقص حتى يحكم قبضته عليه... أو يقتله. إن أقنع أي شخص بأن يصطحبه إلى داخل الأسوار، إلى حدود سلطة (ماشادار)،

فإنه يصير قادرًا على التهام روح هذا الشخص. سيغادر (مورديث) مرتديًا جسد الشخص الذي فعل به ما هو أسوأ من القتل ليعيث فسادًا في العالم مرة أخرى».

عندما توقفت عن الحديث تمتم (بيرين): «الكنز، لقد أرادنا أن نساعده على حمل الكنز إلى أحصنته». ثم شحب وجهه وقال: «أراهن أنه كان سيخبرنا أنهم في مكان ما خارج المدينة». فارتجف (راند).

سأل (مات): «ولكن نحن بأمان الآن، أليس كذلك؟ إنه لم يمنحنا أي شيء ولم يلمسنا. نحن بأمان مع تعاويذ الحماية التي وضعتِها، أليس كذلك؟».

وافقته (مويرين) قائلة: «نحن بأمان، إنه لا يستطيع أن يعبر حدود الحماية، ولا أي مقيم آخر في هذا المكان. ويجب عليهم أن يختبئوا من أشعة الشمس، لذا سنتمكن من أن نغادر بأمان بمجرد حلول الصباح. الآن عليكم أن تناموا، ستحمينا تعاويذ الحماية حتى يعود (لان)».

نظرت (ناينيف) بقلق إلى الليل بالخارج وقالت: «لقد خرج منذ وقت طويل». كان الظلام دامسًا بعد حلول الليل.

قالت (مويرين) لتطمئنها: «سيكون (لان) بخير». ثم بسطت بطانياتها بجوار النار بينما تقول: «لقد أقسم على قتال (سيد الظلام) من قبل أن يترك المهد، لقد وُضِع سيف في يديه وهو رضيع، كما أنني سأعرف لحظة موته والطريقة التي مات بها، تمامًا كما سيعرف هو عند موتي. استريحي يا (ناينيف)، سيكون كل شيء على ما يرام». ولكن بينما هي تدثر نفسها ببطانياتها صمتت وهي تحدق إلى الشارع كأنما ترغب هي أيضًا أن تعرف ما الذي يؤخر (الحامي).

أحس (راند) بالثقل في ذراعيه وساقيه، وأراد جفناه أن ينغلقان من تلقاء نفسيهما. ولكن النوم لم يأتِ سريعًا، وعندما جاء النوم راوده حلم فأخذ يتمتم ويركل بطانياته. عندما استيقظ فجأة تلفت حِوله للحظة قبل أن يتذكر أين هو.

كان القمر مشرقًا، آخر جزء فضي صغير منه قبل القمر الجديد، وقد هزم الليل ضوءه الضعيف. كان البقية غارقين في النوم، ولكن لم يكونوا جميعًا نائمين بعمق. كانت (إيجوين) وصديقاه يتقلبون ويغمغمون. كان غطيط (توم) . الهادئ لأول مرة . يتخلله من آن لآخر كلمات غير واضحة. لم يكن هناك أدنى أثر لوجود (لان).

فجأة أحس كأن التعاويذ الحامية لا تحميهم على الإطلاق. أي شيء يمكن أن يكون هناك بالخارج في الظلام. قال لنفسه إنه يفكر بحماقة وهو يضيف الحطب إلى جمرات النار الأخيرة. كانت النيران صغيرة للغاية فلم تمنح الكثير من الدفء، ولكنها منحت المزيد من الضوء.

لم يكن لديه أدنى فكرة عما أيقظه من حلمه غير السار. كان طفلًا صغيرًا مرة أخرى يحمل سيف (تام)، وهناك مهد مربوط إلى ظهره، بينما يركض عبر شوارع فارغة. و(مورديث) يلاحقه وهو يصرخ أنه لا يريد إلا يده. كان هناك رجل عجوز يراقبهما ويقهقه بجنون طيلة الوقت.

تدثر ببطانياته واستلقى على ظهره محدقًا إلى السقف. كان يرغب حقًّا في النوم، حتى لو راودته المزيد من الأحلام كالحلم الأخير. ولكنه لم يستطع أن يغمض عينيه.

فجأة ظهر (الحامي) من الظلام ليدلف بصمت إلى الحجرة. استيقظت (مويرين) واعتدلت جالسة كأنه قد قرع جرسًا. فتح (لان) يده فسقطت ثلاثة أجسام صغيرة على البلاط أمامها بصلصلة حديد. ثلاث شارات حمراء بلون الدم على هيئة جماجم ذات قرون.

قال (لان): «هناك (ترولوكيون) بداخل الأسوار، سيكونون هنا في غضون ساعة أو أكثر بقليل، و(الداقول) أسوأهم». ثم بدأ يوقظ الآخرين.

بدأت (مويرين) في طي بطانياتها بهدوء وهي تقول: «كم عددهم؟ هل يعرفون أننا هنا؟». بدت وكأنه لا يوجد أي وجه للاستعجال على الإطلاق.

أجابها (لان): «لا أعتقد أنهم يعرفون، هناك أكثر من مئة منهم، خائفين بما يكفي لقتل أي شيء يتحرك، بما فيه أحدهم الآخر. اضطر (أنصاف البشر) إلى دفعهم إلى الداخل. أربعة منهم فقط للتعامل مع قبضة واحدة. وحتى (الميردرال) يبدو عليهم أنهم لا يريدون شيئًا أكثر من المرور عبر المدينة والخروج منها بأسرع ما يمكن. إنهم لا يبتعدون كثيراً عن الطريق من أجل البحث عنا، وهم يفتقرون كثيراً للتنظيم، ولولا أنهم متجهون مباشرة نحونا لقلت إنه لا حاجة لأن نقلق بشأنهم». ثم بدا عليه التردد.

«هل هناك شيء آخر؟».

قال (لان) ببطء: «شيء واحد، (الميردرال) يجبرون (الترولوكيين) على الدخول إلى المدينة، فمن يُجبر (الميردرال)؟».

كان الجميع ينصتون في صمت حتى هذه اللحظة، ولكن (توم) سب بصوت خافت، بينما سألت (إيجوين) وهي تشهق: «(سيد الظلام)؟».

قالت (ناينيف) بحدة: «لا تكوني حمقاء يا فتاة، (الخالق) قد حبس (سيد الظلام) في (شايول غول)».

وافقتها (مويرين) قائلة: «حتى هذا الوقت على الأقل. لا، (أبو الأكاذيب) ليس هناك بالخارج، ولكننا يجب أن نغادر على أي حال».

عقدت (ناينيف) حاجبيها وقالت: «نترك حماية التعاويذ ونعبر (شادار لوجوث) في الليل؟».

قالت (مويرين): «أو نبقى هنا ونواجه (الترولوكيين). إن ردعهم هنا سيتطلب (القوة الواحدة)، وهذا من شأنه أن يدمر تعاويذ الحماية ويجذب كل شيء تحمينا التعاويذ منه. بالإضافة إلى أن هذا سيكون وكأننا أشعلنا نار إشارة على قمة أحد هذه الأبراج ليراها كل (نصف بشري) في نطاق عشرين ميل. إن المغادرة ليست ما قد أختار فعله، ولكن نحن الأرانب، وكلاب الصيد هي التي تُملي علينا المطاردة».

سألها (مات): «ماذا إن كان هناك المزيد منهم خارج الأسوار؟ ماذا سنفعل حينها؟».

قالت (مويرين): «سنلجأ إلى خطتي الأصلية». نظر إليها (لان) فرفعت يدها وأضافت: «وقد كنت متعبة للغاية بما لا يسمح لي بتنفيذها، ولكني قد استرحت الآن بفضل الحكيمة. سوف نتوجه نحو النهر، هناك ستحمي المياه ظهورنا، وسأتمكن من وضع تعويذة حماية أصغر سلتردع (الترولوكيين) و(أنصاف البشر) حتى نتمكن من صنع أطواف لعبور النهر. أو الأفضل من ذلك قد نتمكن حتى من أن نوقف قاربًا تجاريًّا قادمًا من (سالدايا)».

لاحظ (لان) أن وجوه الفتيان شاحبة فقال: «(الترولوكيون) و(الميردرال) يكرهون المياه العميقة. (الترولوكيون) يشعرون بالذعر منها، لا يستطيع أحدهم السباحة. (الميردرال) لن يخوضوا ماءً أعمق من الخصر، وخصوصًا إن كان ماءً جاريًا. (الترولوكيون) لن يفعلوا حتى هذا، إن كان بإمكانهم العثور على أي طريق آخر يجنبهم هذا».

قال (راند): «إذن ما إن نعبر النهر حتى نكون بأمان».

أومأ (الحامي) برأسه وقال: «سيجد (الميردرال) أن حمل (الترولوكيين) على بناء أطواف بنفس صعوبة حملهم على دخول (شادار لوجوث)، وإن حاولوا حملهم على عبور (نهر آرينيل) بهذه الطريقة فإن نصفهم سيهرب والبقية سيغرقون على الأرجح».

قالت (مويرين): «إلى أحصنتكم. نحن لم نعبر النهر بعد».

الفصل العشرون

الغبار في مهب الرياح

بينما هم يغادرون المبنى الحجري الأبيض على صهوة خيولهم . التي تتململ في توتر . هبَّت الرياح الثلجية وهي تئن فوق الأسقف، وتجعل العباءات تخفق كالرايات، وتدفع الغيوم الرقيقة من أمام القمر الفضي الرفيع. أمرهم (لان) بصوت خافت أن يبقوا بالقرب منه وهو يقتادهم عبر الشارع. تراقصت الخيول وجذبت الألجمة وهي متلهفة للابتعاد.

نظر (راند) بحذر إلى المباني التي يمرون من أمامها، والتي تطل عليهم الآن في الليل بنوافذها الخالية كمحاجر أعين. بدت الظلال وكأنها تتحرك، ومن آن لآخر يأتي صوت قعقعة؛ قطعة من الأنقاض قد أطاحت بها الرياح. على الأقل كانت العيون قد اختفت. أحس بالارتياح للحظة قبل أن يسأل نفسه أين ذهبت؟

كان (توم) ورفاقه من (إيموندز فيلد) محتشدين حوله، مقتربين من بعضهم قدر الإمكان بما يكفي لكي يلمس أحدهم الآخر. كانت (إيجوين) قد أحنت كتفيها كأنها تحاول أن تخفف حمل حوافر (بيلا) على الأرض المرصوفة. لم يرغب (راند) حتى في أن يتنفس، فالصوت قد يجذب الانتباه.

أدرك فجأة أن هناك مسافة تفصلهم عن (الحامي) و(الآيز سيداي). كان الاثنان عبارة عن ظلين غير واضحين يسبقانهم بثلاثين خطوة.

تمتم قائلًا: «نحن نتخلف عنهم». ثم وكز (كلاود) لكي يُسرع. انجرف خيط رفيع من الضباب الرمادي الفضي على ارتفاع خفيض عبر الشارع أمامه.

«توقفوا!». كانت صيحة مختنقة من (مويرين)، حادة وآمرة، ولكنها بنبرة لا يمكن أن يحملها الهواء بعيدًا.

أبطأ الحركة في تردد، كان الخيط الضبابي مستقرًا تمامًا عبر الشارع في تلك اللحظة وهو يتمدد ببطء كأنه ينساب من المباني على جانبي الطريق. صار سميكًا بحجم ذراع رجل، فتمايل (كلاود) وحاول أن يتراجع بعيدًا عنه، بينما (إيجوين) و(توم) والبقية يلحقون به. راحت أحصنتهم تلوح برؤوسها وترفض أن تقترب أكثر من الضباب.

سار (لان) و(مويرين) بحصانيهما ببطء ناحية الضباب، الذي كبر حتى صار بسمك ساق، وتوقفا على الجانب الآخر بعيدًا عنهم. تفحصت (الآيز سيداي) غصن الضباب الذي يفصل بينهم. ارتجف (راند) وهو يشعر فجأة بقشعريرة من الخوف، كان هناك ضوء خافت يصحب الضباب، ويتزايد مع تزايد حجم الذراع الضبابي، ولكنه لم يكن أكثر توهجًا من ضوء القمر إلا بقليل. تململت الخيول في توتر، حتى (آلديب) و(ماندارب).

سألت (ناينيف): «ما هذا؟».

أجابتها (مويرين): «شر (شادار لوجوث)؛ (ماشادار). لا يرى ولا يفكر، ويتحرك عبر المدينة على غير هدي كدودة تحفر في الأرض. إذا لمس أحدًا سيموت». ترك (راند) والبقية خيولهم تتراجع بضع خطوات إلى الوراء ولكن ليس بعيدًا للغاية. بقدر ما كان (راند) يرغب في التحرر من

(الآيز سيداي) إلا أنها كانت تمثل أمانًا كأمان العودة إلى الديار، بالمقارنة مع ما يحيط بهم.

قالت (إيجوين): «إذن كيف ننضم إليكم؟ هل يمكنكم قتله... فتح طريق من أجلنا؟».

ضحكت (مويرين) ضحكة مريرة مقتضبة قبل أن تقول: «(ماشادار) ضخم يا فتاة، بضخامة (شادار لوجوث) نفسها. (البرج الأبيض) كله لا يقدر على قتله. إن أوقعتُ به ضررًا للسماح بمروركم فإن استخدام هذا القدر من (القوة الواحدة) سيجذب (أنصاف البشر) كنفير بوق. وسوف يندفع (ماشادار) للشفاء كلما أوقعت به ضررًا، سيندفع وربما يوقعنا في شباكه».

تبادل (راند) النظر مع (إيجوين)، ثم سألها نفس السؤال مرة أخرى فتنهدت (مويرين) قبل أن تجيب: «لا يعجبني الأمر، ولكن ما باليد حيلة. هذا الشيء لن يكون فوق الأرض في كل مكان، ستكون الشوارع الأخرى خالية. هل ترون هذا النجم؟». ثم مالت في سرجها لتشير إلى نجم أحمر خفيض في السماء الشرقية. «فلتتحركوا باتجاه ذلك النجم وسوف يأخذكم إلى النهر، فلتواصلوا التحرك ناحية النهر مهما حدث. اذهبوا بأسرع ما تقدرون، ولكن أهم شيء هو ألا تصنعوا أي ضوضاء. لا تنسوا أنه لا يزال هناك (ترولوكيون) وأربعة من (أنصاف البشر)».

قالت (إيجوين) باحتجاج: «ولكن كيف سنعثر عليكما مرة أخرى؟».

قالت (مويرين): «أنا سأعثر عليكم، كونوا واثقين أنني قادرة على هذا، والآن فلتنطلقوا، هذا الشيء عديم العقل تمامًا ولكن بإمكانه أن يشعر بالطعام». وبالفعل ارتفع خيط فضي رمادي من الجسد الأكبر وانجرف متحسسًا كمجسات مخلوق ذي المئة ذراع في عمق بركة في (غابة الماء).

عندما أبعد (راند) عينيه عن جذع الضباب المعتم الكثيف كان (الحامي) و(الآيز سيداي) قد اختفيا. لعق شفتيه ثم نظر إلى أعين رفاقه، كانوا متوترين مثله، والأسوأ هو أن كل واحد منهم بدا أنه ينتظر أن يتحرك غيره أولًا. كانوا مُحاطين بالليل والأطلال. إن (العواتم) هنالك في مكان ما، و(الترولوكيون) أيضًا، ربما يكمنون وراء المنعطف التالي. اقتربت المجسات الضبابية منهم أكثر، كانت في منتصف الطريق إليهم ولم تعد تتحسس طريقها، لقد اختارت فريستها المنشودة. فجأة افتقد (مويرين) كثيرًا.

كان الجميع لا يزالون يحدقون ويتساءلون أي طريق يجب عليهم أن يسلكوه. أدار (كلاود) فاندفع الحصان الرمادي في نصف هرولة وهو يقاوم اللجام لكي يسرع أكثر. تبعه الجميع كأن تحركه أولًا قد جعله قائدهم.

مع رحيل (مويرين) لم يعد هناك أحد ليحميهم إذا ظهر (مورديث)، أو (الترولوكيون)، أو... أجبر (راند) نفسه على التوقف عن التفكير. سوف يتبع النجم الأحمر، يمكنه أن يتمسك بهذه الفكرة.

لقد اضطروا ثلاث مرات للتراجع من شارع مسدود في نهايته بتل من الأحجار والقرميد لا يمكن للخيول أن تعبره. كان باستطاعة (راند) أن يسمع صوت أنفاس الآخرين قصيرة وحادة وموشكة على الذعر. جز على أسنانه ليوقف لهاثه. *يجب عليك أن تجعلهم يعتقدون أنك لست خائفًا على الأقل. أنت تُبلي حسنًا! ستقود الجميع إلى بر الأمان.*

انعطفوا عند الناصية التالية، كان هناك جدار من الضباب يغمر أحجار الرصف المتكسرة بضوء ساطع كالقمر المكتمل. اندفعت ناحيتهم تيارات من الضباب بسمك أحصنتهم. لم ينتظر أحدهم، بل داروا على أعقابهم وأسرعوا بأحصنتهم مبتعدين ككتلة واحدة، دون أن يلتفتوا إلى قعقعة الحوافر التي يصدرونها.

خطا اثنان من (الترولوكيين) إلى الشارع أمامهم، على مسافة لا تزيد عن عشرة باعات.

للحظة حدق البشريون و(الترولوكيون) إلى بعضهم بعضًا، وكل فريق منهما مندهش تمامًا لرؤية الآخر. ظهر اثنان آخران من (الترولوكيين)، ثم اثنان آخران، ثم اثنان آخران. ليصطدموا بالاثنين الموجودين في المقدمة ويشتبكوا في كتلة مصدومة لرؤية البشريين، ولكنهم لم يظلوا متجمدين في موضعهم لأكثر من ثانية، فتعالت العواءات المتحشرجة لتردد صداها المباني، ثم اندفع (الترولوكيون) إلى الأمام. تفرق البشريون كطيور السمان.

وصل حصان (راند) الرمادي إلى سرعة العدو الكاملة في ثلاث خطوات. صاح: «من هذا الطريق!». ولكنه سمع نفس الصرخة من خمس حناجر. بنظرة سريعة وراءه أدرك أن رفاقه قد تفرقوا في اتجاهات عديدة و(الترولوكيون) يلاحقونهم جميعًا.

ركض ثلاثة من (الترولوكيون) في عقبيه وهم يلوحون بأعمدة الصيد في الهواء. اقشعر بدنه عندما أدرك أنهم يجارون سرعة (كلاود) خطوة بخطوة. مال على عنق (كلاود) وهو يحث الحصان الرمادي على الإسراع بينما الصيحات المتحشرجة تطارده.

ازداد الشارع ضيقًا أمامه بينما المباني ذات القمم المكسورة تميل للأمام كأنما تترنح في سُكْر. ببطء امتلأت النوافذ الفارغة بتوهج فضي، ضباب كثيف ينتفخ منها إلى الخارج؛ (ماشادار).

غامر (راند) بإلقاء نظرة وراءه، كان (الترولوكيون) ما زالوا يركضون على مسافة أقل من خمسين خطوة وراءه، وكان الضوء المنبعث عن الضباب كافيًا لرؤيتهم بوضوح. كان هناك (عاتم) يمتطي حصانه من ورائهم في تلك اللحظة، وبدا كأنهم يهربون من (نصف البشري) بقدر ما هم يلاحقون (راند). أمام (راند) كان هناك ستة من المجسات الرمادية تتحسس طريقها خارج النافذة، بل اثنا عشر يتحسسون الهواء. رفع (كلاود) رأسه وصرخ،

ولكن (راند) غرس كاحليه في جانبيه بقسوة فاندفع الحصان إلى الأمام بجموح.

تجمدت المجسات في موضعها بينما (راند) يسرع من بينها، ولكنه جثا على ظهر (كلاود) ورفض النظر إليها. كان الطريق من ورائها خاويًا. *إن لمسني أحد المجسات... بحق (النور)!* وكز (كلاود) بكاحليه بقوة أكبر فقفز الحصان إلى الأمام نحو الظلال التي ترحب به. ما إن خفت ضوء (ماشادار) حتى نظر وراءه بينما (كلاود) لا يزال يركض.

كانت مجسات (ماشادار) المتحسسة تغلق نصف الطريق، فأحجم (الترولوكيون) عن التقدم، لكن (العاتم) استل سوطًا من حزام سرجه وفرقع به فوق رؤوس (الترولوكيون) بصوت كدوي الرعد، فومضت شرارات في الهواء. انحنى (الترولوكيون) وهم يسرعون وراء (راند). تردد (نصف البشري) وغطاء رأسه الأسود يتفحص أذرع (ماشادار) الممتدة قبل أن يندفع إلى الأمام هو أيضًا.

تأرجحت مجسات الضباب الكثيفة للحظة قبل أن تضرب مثل الأفاعي. أصاب اثنان منها اثنين من (الترولوكيين) فغمراهما بضوء رمادي، وارتفع الرأسان المخطمان لأعلى ليصرخا فانزلق الضباب عبر الفمين المفتوحين وأكل العواء. ضربت أربعة من المجسات بسمك ساق الهواء حول (العاتم)، فتراقص الحصان الأسود وراكبه (نصف البشري) حتى سقط غطاء الرأس إلى الوراء ليظهر الوجه الشاحب عديم العينين، ثم صرخ (العاتم).

لم يصدر أدنى صوت عن هذه الصرخة كما حدث مع (الترولوكيين)، ولكن شيئًا ما اخترق الضباب، أنين ثاقب يفوق القدرة على السمع، كأنما هو صوت كل الدبابير في العالم، يثقب أذني (راند) بكل ما يمكن أن يوجد من خوف. انتفض (كلاود) كأنه قد سمع الصوت أيضًا وركض أسرع من أي وقت مضى. تشبث به (راند) وهو يلهث وحلقه جاف كالرمال.

بعد مرور بعض الوقت أدرك أنه لم يعد قادرًا على سماع صرخة (العاتم) المحتضر الصامتة، وفجأة بدت قعقعة حوافر حصانه عالية مثل الصياح. جذب لجام (كلاود) بقوة ليتوقف بجوار جدار متهدم في موضع التقاء شارعين. كان هناك نصب تذكاري مبهم يلوح في الظلام أمامه. انهار في سرجه وهو يصغي السمع، ولكن لم يكن هناك أي شيء ليسمعه سوى الدم النابض في أذنيه. كان العرق البارد يغمر وجهه فارتجف بينما عباءته تتطاير في الرياح.

وأخيرًا نصب قامته، كانت النجوم تتلألأ في السماء حيث لا تخفيها الغيوم، ولكنه استطاع تحديد موضع النجم الأحمر الخفيض في الشرق بسهولة. *هل هناك أي شخص آخر على قيد الحياة غيري ليراه*؟ هل هم أحرار أم سقطوا في قبضة (الترولوكيين)؟ *لِمَ لَمْ تلحق بي (إيجوين) بحق (النور)*؟ إن كانوا على قيد الحياة وأحرار فسيتبعون هذا النجم. إن لم يكونوا كذلك... كانت الأطلال شاسعة، يمكنه أن يبحث لأيام دون أن يعثر على أي شخص، هذا إن كان بإمكانه أن يبقى بعيدًا عن متناول (الترولوكيين). و(العواتم)، و(مورديث)، و(ماشادار). قرر على مضض أن يشق طريقه نحو النهر.

أمسك بالزمام، ولكن فجأة سقط حجر عند تقاطع الشارعين على حجر آخر بصوت ارتطام حاد، فتجمد في موضعه دون أن يجرؤ حتى على التنفس. كان مختبئًا في الظلال على بعد خطوة من الناصية، راح يفكر في التراجع بشكل محموم. ما الذي يوجد وراءه؟ ما الذي من شأنه أن يصنع صوتًا يفصح عن موضعه؟ لم يستطع أن يتذكر وكان خائفًا من أن يرفع عينيه عن ناصية المبنى.

كان الظلام كثيفًا عند هذه الناصية، مع ظلام أطول لعمود يبرز منه. عمود صيد! وبينما هذه الفكرة تومض في عقل (راند) كان يغرز كاحليه في ضلوع (كلاود) وهو يستل سيفه من غمده. صحب اندفاعه صرخة صامتة وهو يلوح بسيفه بكل قوته. لم يوقف النصل عن إصابة هدفه إلا

محاولة يائسة. صرخ (مات) وهو يتراجع إلى الوراء وكاد أن يسقط عن حصانه ويُسقِط قوسه.

أخذ (راند) نفسًا عميقًا وخفض سيفه، كانت ذراعه ترتجف. استطاع أن يقول: «هل رأيت أي شخص آخر؟».

ازدرد (مات) لعابه بقوة وهو يستعيد توازنه على سرجه وقال: «أنا... أنا... لم أرَ سوى (الترولوكيين)». ثم وضع يده على حلقه ولعق شفتيه قبل أن يقول: «لم أرَ سوى (الترولوكيين). ماذا عنك؟».

هز (راند) رأسه وقال: «لا شك أنهم يحاولون الوصول إلى النهر، من الأفضل أن نفعل مثلهم».

أومأ (مات) برأسه في صمت وهو ما زال يتحسس حلقه، ثم بدأ كلاهما السير باتجاه النجم الأحمر.

قبل أن يقطعوا مسافة مئة باع تعالى صوت نفير بوق (الترولوكيين) من أعماق المدينة فأجابه بوق آخر من خارج الأسوار.

ارتجف (راند) ولكنه واصل السير بحركة بطيئة وهو يراقب الأماكن المظلمة ويتجنبها كلما استطاع هذا. جذب الزمام كأنما على وشك أن يسرع بحصانه، ففعل (مات) مثله. ولكن لم يدوِ نفير أي من البوقين مرة أخرى، وكان الصمت لا يزال مخيمًا عندما وصلا إلى فتحة في جدار مغطى بالنباتات المتسلقة حيث كان هناك بوابة ذات يوم. لم يتبقَّ سوى الأبراج التي تنتصب بقمم متكسرة أمام السماء السوداء.

تردد (مات) أمام فتحة البوابة، ولكن (راند) قال بصوت خافت: «هل المكان هنا أكثر أمانًا من الخارج؟». لم يبطئ بحصانه الرمادي وبعد دقيقة لحق به (مات) إلى خارج (شادار لوجوث) محاولًا أن ينظر في كل الاتجاهات في وقت واحد. تنهد (راند) ببطء، كان فمه جافًا. *سننجح في الأمر، بحق (النور) سننجح في الأمر!*

اختفت الأسوار وراءهما وقد ابتلعها الليل والغابة. واصل (راند) سعيه نحو النجم الأحمر وهو يصغي السمع لأدنى صوت.

فجأة أسرع (توم) بحصانه من ورائهما ولم يبطئ إلا بما يكفي لكي يصيح: «أسرعا أيها الأحمقان!». بعد لحظة أعلنت صرخات الصيد وتحطم أغصان الأشجار من ورائهم عن وجود (الترولوكيين) في إثرهم.

وكز (راند) (كلاود) بكاحليه فأسرع وراء حصان صانع البهجة. *ماذا سيحدث عندما نصل إلى النهر بدون (مويرين)؟ بحق (النور)، (إيجوين)!*

ربض (بيرين) بحصانه في الظلال يراقب فتحة البوابة على مسافة ليست ببعيدة منه، وهو يمرر إبهامه على نصل فأسه بشرود. لقد بدا طريقًا آمنًا للخروج من المدينة المتداعية، ولكنه بقي هناك لخمس دقائق يتفحصه. كانت خصلات شعره الأشعث تتطاير مع الرياح التي تحاول أن تحمل عباءته معها بعيدًا، ولكنه جذب عباءته حول جسده دون أن ينتبه حقًّا لما يفعله.

كان يعرف أن (مات) ـ وكل شخص آخر تقريبًا في (إيموندز فيلد) ـ يعتبره بطيء التفكير، وكان هذا جزئيًّا بسبب كونه ضخمًا وعادة ما يتحرك بحذر ـ لطالما خشي أن يكسر شيئًا ما عن طريق الخطأ أو أن يؤذي شخصًا ما لأنه كان أضخم بكثير من الأولاد الذين نشأ معهم ـ ولكنه كان يفضل حقًّا أن يفكر في كل الأشياء مليًّا كلما استطاع هذا. التفكير السريع، التفكير المتهور، لطالما أوقع (مات) في المتاعب مرة تلو الأخرى، وعادة ما يتورط هو أو (راند) مع (مات) في متاعبه بسبب تفكيره السريع.

أحس بالاختناق في حلقه فقال لنفسه؛ بحق (النور) لا تفكر في المتاعب. حاول أن ينظم أفكاره مرة أخرى، كان التفكير المتروي هو سبيله للنجاة.

كان هناك ساحة ما أمام البوابة ذات يوم بنافورة ضخمة في منتصفها. لا يزال هناك جزء من النافورة، ومجموعة من التماثيل المتكسرة المقامة في حوض دائري كبير محاط بمساحة فارغة دائرية من حوله. لكي يصل إلى

البوابة سيكون عليه أن يقطع مئة باع تقريبًا دون أن يكون هناك شيء ليحميه من الأعين الباحثة سوى الليل، لم تكن هذه فكرة سارة أيضًا. تذكر كذلك هؤلاء المراقبين غير المرئيين.

فكر في نفير البوق الذي سمعه بداخل المدينة منذ بعض الوقت. كاد أن يستدير عائدًا وقد فكر أن أحدهم ربما يكون قد وقع في قبضتهم، قبل أن يتذكر أنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا وحده، إن كان هناك بالفعل من وقع في الأسر. ليس في مواجهة. ماذا قال (لان)؟ . مئة من (الترولوكيين) وأربعة من (العواتم). قالت (مويرين سيداي) إن عليهم التوجه إلى النهر.

عاد مرة أخرى إلى التفكير في البوابة، لم يمنحه التفكير المتروي الكثير، ولكنه حسم أمره، فانطلق بحصانه من الظلال الكثيفة إلى الظلمة الأقل كثافة، وبينما يفعل هذا ظهر حصان آخر على الجانب الآخر من الساحة قبل أن يتوقف، فتوقف بدوره وهو يتحسس فأسه الذي لم يمنحه إحساسًا كبيرًا بالراحة. إن كان هذا الشكل المظلم هو واحد من (العواتم)...

جاء نداء خافت متردد: «(راند)؟».

تنفس الصعداء ثم ناداها بدوره بنفس الخفوت: «أنا (بيرين) يا (إيجوين)». ورغم هذا بدا صوته عاليًا في الظلمة.

التقى حصاناهما بالقرب من النافورة.

«هل رأيت أي شخص آخر؟». سأل كلاهما في نفس الوقت، وأجاب كلاهما بهز رأسيهما.

تمتمت (إيجوين) وهي تربت على عنق (بيلا): «سيكونون بخير، أليس كذلك؟».

أجابها (بيرين): «(مويرين سيداي) و(لان) سيعتنيان بهم، سيعتنيان بالجميع بمجرد وصولنا إلى النهر». كان يأمل أن هذا ما سيحدث.

أحس بارتياح شديد بمجرد أن خرجا من البوابة، حتى لو كان هناك (ترولوكيون) في الغابة، أو حتى (عواتم). منع نفسه من مواصلة التفكير في الأمر. لم تكن الأغصان العارية كافية لمنعه من الاهتداء بالنجم الأحمر، وقد صارا بعيدين عن متناول (مورديث)، لقد أحس بخوف من هذا الرجل يفوق خوفه من (الترولوكيين) بكثير.

قريبًا سيصلان إلى النهر ويلتقيان بـ(مويرين) التي ستبعدهما عن متناول (الترولوكيين) أيضًا. صدق هذا لأنه كان بحاجة إلى تصديقه. جعلت الرياح الأغصان تحتك ببعضها بعضًا، وجعلت الأوراق والأشواك في الأشجار دائمة الخضرة تُصدر حفيفًا. تعالت صرخة صقر ليلي في الظلام فاقترب هو و(إيجوين) من بعضهما بحصانيهما، كأنما يبحثان عن الدفء. كانا وحدهما تمامًا.

دوى نفير بوق (الترولوكيين) من مكان ما من ورائهما، في نغمات سريعة متقطعة تحث الصيادين على الإسراع، ثم تعالى عواء (نصف بشري) في إثرهما، مدفوعًا للأمام بنفير البوق. صار العواء أكثر حدة عندما اشتموا الرائحة البشرية.

حث (بيرين) حصانه على الإسراع وهو يصيح: «هيا بنا!». فأسرعت (إيجوين) وراءه وكلاهما يكز حصانه غير مكترثين بالصوت الذي يصدر عنهما، وغير مكترثين بالأغصان التي تصفعهما.

بينما هما يسرعان بين الأغصان مهتدين بالغريزة بقدر ما هما مهتديان بضوء القمر الشاحب بدأت (بيلا) في الإبطاء. نظر (بيرين) وراءه؛ كانت (إيجوين) تركل الفرس وتضربها باللجام، ولكن لم يُجدِ هذا نفعًا. كان صوت (الترولوكيين) يشي بأنهم يقتربون أكثر. أبطأ بما يكفي لكيلا يتركها وراءه.

صاح: «أسرعي!». صار بإمكانه رؤية (الترولوكيين)؛ أشكال داكنة ضخمة تشق طريقها بين الأشجار بينما صراخهم وزمجرتهم تجمد الدماء

في العروق. تشبث بمقبض سيفه المعلق في حزامه بقوة حتى أحس بالألم في مفاصل أصابعه. «أسرعي يا (إيجوين)! أسرعي!».

فجأة صرخ حصانه فوجد نفسه يسقط من السرج بينما الحصان يهوي أسفله. لوح بيديه ليهيئ نفسه، ثم غاص برأسه في الماء الثلجي. لقد انطلق بحصانه من فوق الضفة شديدة الانحدار ليسقط في (نهر آرينيل).

صدمة المياه الثلجية جعلته يشهق فابتلع قدرًا ليس باليسير من الماء قبل أن يتمكن من شق طريقه إلى السطح. سمع صوت ارتطام آخر بالماء ففكر أن (إيجوين) قد لحقت به على الفور. أخذ يلهث وينفخ بينما يحاول أن يبقى طافيًا على سطح الماء. لم تكن هذه المحاولة سهلة، فقد ابتل معطفه وعباءته بالفعل، وامتلأ حذاؤه بالماء. تلفت حوله بحثًا عن (إيجوين) ولكنه لم يرَ إلا ضوء القمر المنعكس على سطح المياه السوداء المضطربة بفعل الرياح.

«(إيجوين)؟ (إيجوين)!».

لمع رمح أمام عينيه وجعل الماء يتناثر على وجهه. تناثرت المياه في أماكن عديدة في النهر من حوله. تعالت الأصوات المتحشرجة في جدال على ضفة النهر. وتوقفت رماح (الترولوكيين) عن المجيء، ولكنه كان قد تخلى عن النداء في الوقت الحالي.

كان تيار الماء يدفعه عبر النهر، ولكن الصرخات الخشنة والزمجرات كانت تتبعه على طول الضفة بمحاذاته. خلع عباءته وترك النهر يحملها معه، مما خفف من الحمل الذي يجذبه لأسفل. ثم بدأ يسبح نحو ضفة النهر البعيدة بإصرار. كان يأمل ألا يجد (ترولوكيين) هناك.

كان يسبح بنفس الطريقة التي اعتادها في الديار في برك (غابة الماء)، ضاربًا بكلتا يديه وراكلًا بكلتا قدميه، مبقيًا رأسه فوق الماء. على الأقل حاول أن يُبقي رأسه فوق الماء؛ لم يكن الأمر سهلًا. حتى بدون عباءته بدا وزن معطفه وحذائه بنفس وزنه، وكان الفأس يجذبه من خصره، مُهَدِّدًا

بقلبه إن لم يسحبه لأسفل. فكر في التخلي عن هذا أيضًا، فكر فيه أكثر من مرة، سيكون هذا أسهل بكثير من محاولة خلع حذائه على سبيل المثال. ولكن كلما فكر في الأمر كان يفكر في الخروج على الضفة الأخرى ليجد (الترولوكيين) في انتظاره. لن ينفعه الفأس في مواجهة مجموعة من (الترولوكيين)، أو حتى ربما في مواجهة واحد منهم فقط، ولكنه سيكون أفضل من يديه العاريتين.

بعد مرور بعض الوقت لم يعد واثقًا حتى من قدرته على رفع الفأس إن وجد (الترولوكيين) هناك. أحس بالثقل في ذراعيه وساقيه، وكان يبذل مجهودًا كبيرًا لتحريكهم، ولم يعد وجهه يخرج كثيرًا من الماء مع كل ضربة. سعل بسبب الماء الذي دخل في أنفه. فكر في ضعف أن يومًا في ورشة الحدادة أهون بكثير من هذا. حينها فقط ارتطمت قدمه بشيء وهو يركل الماء، لم يُدرك ما هو حتى ركله بقدمه مرة أخرى، إنه قاع النهر، لقد وصل إلى المياه الضحلة، لقد عبر النهر.

أخذ يلهث من أجل الهواء وهو يعتدل واقفًا على قدميه فتناثر الماء من حول ساقيه مما كاد أن يكشف عن موضعه. أخرج فأسه من حلقته وهو يتعثر على الشاطئ ويرتجف في الرياح. لم يستطع أن يرى أي (ترولوكيين)، لم يستطع أن يرى (إيجوين) أيضًا، لم يرَ إلا أشجارًا قليلة متناثرة على ضفة النهر، وضوء القمر المنعكس على الماء.

عندما التقط أنفاسه بدأ ينادي بأسمائهم مرارًا وتكرارًا. أجابته صيحة خافتة من على الضفة البعيدة، حتى من هذه المسافة استطاع أن يميز أصوات (الترولوكيين) الخشنة، ولكن لم يُجبه أي من أصدقائه.

هبت الرياح فغطى أنينها على صوت (الترولوكيين)، وجعلته يرتجف. لم يكن البرد كافيًا لكي يجمد المياه التي تبلل ملابسه، ولكنه أحس أنه كذلك. أحس كأن هناك نصلًا ثلجيًّا يخترق عظامه. احتضن نفسه ولكن

هذا لم يكن كافيًا ليتوقف عن الارتجاف. وحيدًا راح يتسلق ضفة النهر بتعب لكي يبحث عن مأوى من الرياح.

ربت (راند) على عنق (كلاود) وهو يهدئ من روع الحصان الرمادي بهمساته. لوَّح الحصان برأسه ورقص بخطوات سريعة. كان (الترولوكيون) قد تخلفوا وراءهم. أو هذا ما بدا. ولكن رائحتهم كانت نفاذة في منخري (كلاود). كان (مات) يمتطي حصانه وقد وضع سهمًا في قوسه محترسًا من المفاجآت التي يخبئها الليل، بينما (راند) و(توم) يحدقان بين الأغصان بحثًا عن النجم الأحمر الذي يرشدهم. كان إبقاؤه في مرمى البصر سهلًا بما يكفي، رغم كل هذه الأغصان فوق رؤوسهم، ما داموا يتوجهون مباشرة نحوه. ولكن المزيد من (الترولوكيين) ظهروا أمامهم فأسرعوا إلى الجانب بينما كلا القطيعين يعوي في إثرهم. كان بإمكان (الترولوكيين) أن يواكبوا الخيول، ولكن فقط لمئة خطوة أو ما يقرب من هذا، وفي النهاية ابتعدوا عن المطاردين وعوائهم، إلا أنه مع كل هذه الانعطافات والتحولات فقدوا أثر النجم المرشِد.

قال (مات) وهو يشير إلى يمينه: «ما زلت أعتقد أنه هناك، فنحن كنا نتجه شمالًا في نهاية الأمر وهذا يعني أن الشرق من هذا الاتجاه».

قال (توم) فجأة: «ها هو ذا». كان يشير من بين الأغصان المتشابكة إلى يساره مباشرة إلى النجم الأحمر. غمغم (مات) بشيء غير مسموع. رأى (راند) حركة من طرف عينه بينما (ترولوك) يقفز من وراء شجرة بدون صوت وهو يلوح بعمود الصيد. وكز (راند) الحصان الرمادي بكاحليه فاندفع إلى الأمام بينما (ترولوكان) آخران يهجمان من الظلال وراء الأول. لمست أنشوطة مؤخرة عنق (راند) فأحس بقشعريرة تسري في عموده الفقري.

أصاب سهم أحد الوجوه الحيوانية في عينه، ثم اندفع (مات) من جوار (راند) وحصاناهما يضربان الأرض بين الأشجار. أدرك أنهما يركضان

ناحية النهر ولكنه لم يكن واثقًا من أن هذا سينفعهما. أسرع (الترولوكيون) وراءهما وكادوا أن يقتربوا بما يكفي للإمساك بذيليّ الحصانين المتطايرين مع الهواء. إذا اقتربوا نصف خطوة أخرى فإن أعمدة الصيد ستجذبهما من سرجيهما.

مال إلى الأمام على عنق الحصان الرمادي ليبعد عنقه أكثر عن الأنشوطات. كان وجه (مات) مدفونًا تقريبًا في عرف حصانه. ولكن (راند) تساءل أين (توم)؛ هل قرر صانع البهجة أنه سيكون أفضل حالًا وحده، بما أن (الترولوكيين) الثلاثة قد أحكموا قبضتهم على الفتيين؟

فجأة اندفع حصان (توم) من ظلمة الليل وراء (الترولوكيين). لم يجد (الترولوكيون) وقتًا كافيًا إلا للنظر وراءهم في دهشة قبل أن يلوح صانع البهجة بيديه إلى الوراء ثم إلى الأمام. لمع ضوء القمر على فولاذ. تعثر أحد (الترولوكيين) إلى الأمام وتدحرج مرارًا وتكرارًا قبل أن يستقر متكومًا، بينما (ترولوك) آخر يسقط على ركبتيه وهو يصرخ ويحاول أن يخمش ظهره بكلتا يديه. زمجر الثالث كاشفًا عن أسنانه الحادة، ولكن بينما رفيقاه يسقطان انطلق مبتعدًا عبر الظلمة. لوَّح (توم) بيده مرة أخرى بحركة تشبه ضربة بالسوط فصرخ (الترولوك)، ولكن صرخاته تلاشت في الأفق وهو يركض.

جذب (راند) و(مات) لجاميهما وهما يحدقان إلى صانع البهجة.

قال (توم): «كانت هذه السكاكين هي ثاني أفضل السكاكين لديَّ». ولكنه لم يبذل أي مجهود للترجل واستعادتها. «هذا (الترولوك) سيجلب آخرين، آمل أن النهر ليس بعيدًا، آمل...». بدلًا من أن يقول ما كان يأمل فيه هزَّ رأسه وانطلق مسرعًا، فلحق به (راند) و(مات).

سرعان ما وصلوا إلى ضفة خفيضة حيث كانت الأشجار تنمو على حافة المياه السوداء ليلًا، وسطحها الذي يعكس ضوء القمر مضطرب بفعل الرياح. لم يستطع (راند) أن يرى الضفة الأخرى على الإطلاق، لم

يكن لديه أدنى فكرة عن كيفية عبور النهر على طوف في الظلام، ولكن لم تعجبه فكرة البقاء على هذا الجانب أيضًا. *سأسبح إن اضطررت لهذا.*

في مكان ما بعيدًا عن النهر دوى في الظلام نفير بوق (ترولوكيين) حاد وسريع ومُلِحّ. كان هذا أول نفير للأبواق منذ أن تركوا الأطلال. تساءل (راند) عما إن كان هذا يعني أن بعض الآخرين قد وقعوا في الأسر.

قال (توم): «لا فائدة من البقاء هنا طيلة الليل، علينا أن نختار اتجاهنا، هل نسير بمحاذاة النهر مع اتجاه التيار أم عكسه؟».

قال (مات) باحتجاج: «ولكن (مويرين) والآخرين قد يكونون في أي مكان. أي اتجاه نختاره لن يفعل شيئًا سوى أن يأخذنا بعيدًا عنهم».

طقطق (توم) بلسانه لحصانه ثم قال: «هذا ممكن». قبل أن ينعطف بحصانه ويسير بمحاذاة ضفة النهر مع اتجاه التيار. «هذا ممكن». نظر (راند) إلى (مات) الذي هز كتفيه، ثم انعطفا ولحقا به.

لم يتغير شيء لبعض الوقت، كانت الضفة أكثر ارتفاعًا في بعض الأماكن، وأكثر انخفاضًا في أماكن أخرى. وكانت الأشجار تزداد كثافة، أو تزداد تباعدًا في مساحات صغيرة خاوية من الأشجار. ولكن الليل والنهر والرياح لم يتغيروا، باردين ومظلمين. ولم يكن هناك أثر لل(ترولوكيين)، كان هذا هو الأمر الوحيد الذي لم يرغب (راند) في أن يتغير.

ثم رأى ضوءً أمامه، مجرد نقطة واحدة، ومع اقترابهم استطاع أن يرى أن الضوء كان مرتفعًا عن النهر، كأنه على شجرة. أسرع (توم) في وتيرته وهو يغمغم بشيء غير مسموع.

وأخيرًا استطاعوا تحديد مصدر الضوء، كان مصباحًا معلقًا على أحد صواري قارب تجاري كبير الحجم، مربوطًا حتى ينقضي الليل إلى جانب مساحة صغيرة خالية من الأشجار. كان القارب الذي يبلغ طوله ثمانين قدمًا يتمايل ببطء مع حركة التيار وهو يجذب حبال الإرساء التي تربطه

إلى إحدى الأشجار. كانت الأشرعة والصواري تهمهم وتصر مع الرياح. كان المصباح يضاعف ضوء القمر على سطح القارب ولكن لم يكن هناك أثر لأي شخص.

قال (توم) وهو يترجل عن حصانه: «هذا أفضل من طوف (الآيز سيداي)، أليس كذلك؟». وقف واضعا يديه على خاصرتيه، وحتى في هذه الظلمة كانت عجرفته واضحة. «لا يبدو أن هذه المركبة مهيأة لحمل الخيول، ولكن بالأخذ في الاعتبار الخطر المعرض له ربان هذا القارب الذي سنحذره منه فإنه قد يكون عقلانيًا. عليكم فقط أن تتركوا الحديث لي، وأحضروا البطانيات وحقائب السروج فقط من باب الاحتياط».

ترجل (راند) عن حصانه وبدأ في فك الأشياء الموضوعة وراء السرج وهو يقول: «أنت لا تنوي الرحيل بدون الآخرين، أليس كذلك؟».

لم يجد (توم) فرصة لأن يوضح ما ينوي فعله، فقد اندفع (ترولوكيان) إلى المساحة الخالية من الأشجار وهما يعويان ويلوحان بعموديّ صيد، ومن ورائهم أربعة آخرون. رفعت الخيول قوائمها الأمامية وأخذت تصهل. تعالت صيحات في الأفق تشي بأن المزيد من (الترولوكيين) قادمون.

صاح (توم): «إلى القارب! بسرعة! اتركوا كل شيء! اركضوا!». وما إن قال هذا حتى ركض ناحية القارب وعباءته ذات الرقع ترفرف في الهواء، وحقيبتا أداتيه الموسيقيين على ظهره ترتطمان إحداهما بالأخرى. صرخ: «أنتم يا من على القارب! استيقظوا أيها الحمقى! (ترولوكيون)!».

انتزع (راند) لفافة بطانياته وأكياس سرجه من آخر حزام يربطهم واندفع في عقبيّ صانع البهجة. ألقى بالأعباء التي يحملها في الطريق، ثم قفز إلى القارب. لم يجد وقتًا كافيًا إلا لكي يرى رجلًا متكومًا على سطح القارب وقد بدأ في الاعتدال كأنه لم يستيقظ إلا في هذه اللحظة عندما نزل بقدميه فوق الرجل مباشرة. تأوه الرجل بصوت مرتفع وتعثر (راند) بينما

خطافا عمود صيد يرتطمان بسور القارب من ورائه. تعالت الصيحات في القارب كله وأسرعت الأقدام تركض على سطح القارب.

أمسكت يدان مغطاتان بالشعر بسور القارب بجانب عمود الصيد، ثم ارتفع من فوقه رأس بقرني ماعز. لم يكن (راند) قد استعاد توازنه بعد ولكنه استطاع أن يستل سيفه ويلوح به. صرخ (الترولوك) وهو يسقط إلى الوراء.

ركض الرجال في كل مكان على القارب يصيحون ويقطعون حبال الإرساء بالفؤوس. تأرجح القارب كأنه متحمس للإبحار. كان هناك ثلاثة رجال في مقدمة القارب يصارعون (ترولوك). اندفع أحدهم إلى جانب القارب برمح ولكن (راند) لم يستطع أن يرى ما كان يطعنه.

الرجل الذي داس عليه (راند) اندفع مبتعدًا على يديه وركبتيه، ثم رفع يديه عندما رأى (راند) ينظر إليه وصرخ: «لا تقتلني! خذ ما تريد، خذ القارب، خذ كل شيء، ولكن لا تقتلني!».

فجأة ارتطم شيء ما بظهر (راند) مما جعله يسقط بعنف على سطح القارب. انزلق سيفه بعيدًا عن يده الممدودة إليه. فغر فاه وهو يلهث من أجل الهواء، وحاول أن يصل إلى سيفه. كانت عضلاته المتألمة تستجيب ببطء شديد فأخذ يتلوى كبزاقة. الرجل الذي طلب من (راند) ألا يقتله نظر إلى السيف نظرة خائفة طامعة ثم اختفى في الظلال.

استطاع (راند) في ألم أن ينظر وراءه فعرف أن حظه قد نفد، كان هناك (ترولوك) بوجه كالذئب يقف متوازنًا على سور القارب وهو يحدق إليه ممسكًا بالطرف المتكسر من عمود الصيد الذي أطاح به أرضًا. بذل (راند) مجهودًا كبيرًا لكي يصل إلى سيفه، لكي يتحرك، لكي يبتعد، ولكن ذراعيه وساقيه كانوا يتحركون بحركة متشنجة وأبطأ بكثير مما يريد. كانوا يرتجفون ويتحركون في اتجاهات غريبة. أحس كأن صدره مقيد بأغلال حديدية، وكان هناك نقاط فضية تسبح في عينيه. أخذ يبحث بشكل محموم عن طريقة للهروب. بدا أن الوقت يمر ببطء بينما (الترولوك) يرفع

العمود المسنن كأنما ليطعنه به. بالنسبة لـ(راند) بدا المخلوق كأنما يتحرك في حلم. شاهد ذراعه الغليظة تتراجع إلى الوراء، كان بإمكانه أن يشعر بالفعل بالمقبض المكسور وهو يخترق عموده الفقري، وأن يحس بالألم يمزقه. خُيِّل إليه أن رئتيه ستنفجران. *أنا سأموت! فليساعدني (النور)، أنا سـ...!* بدأ ذراع (الترولوك) في الحركة للأمام مصوبًا العمود المنكسر، فاستطاع (راند) أن يجد نفسًا لصرخة واحدة: «لا!».

فجأة تمايلت السفينة واندفعت ذراع تطويل الشراع من الظلال لترتطم بـ(الترولوك) في صدره مع صوت تكسر عظام لتدفعه من على جانب السفينة.

للحظة ظل (راند) مستلقيًا وهو يلهث محدقًا إلى الذراع وهي تتأرجح جيئة وذهابًا من فوقه. قال لنفسه؛ *لا شك أن هذا استنفد حظي، لا يمكن أن يكون هناك المزيد بعد هذا.*

اعتدل واقفًا على قدميه وهو يرتجف والتقط سيفه ليمسكه بكلتا يديه بالطريقة التي قد أخبره بها (لان)، ولكن لم يتبقَّ شيء ليستخدم السيف في مواجهته، كانت فجوة المياه السوداء ما بين القارب والضفة تزداد اتساعًا بسرعة، وصرخات (الترولوكيين) تتلاشى وراءهم في الليل.

بينما هو يغمد سيفه ويهوي مستندًا على سور القارب خطا رجل ممتلئ الجسد ويرتدي معطفًا يصل إلى ركبتيه على سطح القارب وحدجه بنظره. كان شعره الطويل منسدلًا على كتفيه العريضتين ولحيته التي تترك شفته العليا مكشوفة يحيطان بوجهه الدائري. كان وجهه دائريًّا ولكنه لم يكن رقيقًا. جاءت ذراع الشراع متأرجحة مرة أخرى فأبعد الرجل عينيه عن (راند) جزئيًّا حتى يمسك بها، لقد ارتطمت بيده العريضة بصوت حاد.

صاح: «(جيلب)! بحق الحظ! أين أنت يا (جيلب)؟». كان يتحدث بسرعة كبيرة وكل الكلمات تجري على لسانه في وقت واحد، حتى أن

(راند) استطاع بالكاد أن يفهمه. «لا يمكنك أن تختبئ مني على سفينتي! فلتحضروا (فلوران جيلب) إلى هنا!».

ظهر أحد أفراد طاقم السفينة وهو يحمل مصباحًا زيتيًّا، بينما اثنان آخران يدفعان رجلًا نحيل الوجه إلى دائرة الضوء. تعرَّف (راند) على الرجل الذي عرض عليه أن يأخذ القارب. تحركت عينا الرجل من جانب إلى جانب ولكنه لم ينظر قط إلى عيني الرجل البدين الذي خمن (راند) أنه القبطان. كان هناك كدمة على جبهة (جيلب) حيث أصابه حذاء (راند).

سأله القبطان بهدوء مفاجئ ولكن بنفس سرعة الحديث كالسابق: «ألم يكن من المفترض بك أن تؤمن هذه الذراع يا (جيلب)؟».

بدا (جيلب) مندهشًا بصدق وهو يقول: «ولكني فعلت هذا، لقد ربطتها بإحكام. أعترف أنني أحيانًا ما أكون بطيئًا في إنجاز بعض الأمور يا قبطان (دومون)، ولكني أنجزها».

«تكون بطيئًا، أليس كذلك؟ ولكن لست بطيئًا في النوم. كنت نائمًا بينما كان يجب عليك أن تقف للحراسة. كان من الممكن أن نُقتَل جميعًا بسببك».

قال (جيلب) مشيرًا ناحية (راند): «لا يا قبطان، لا. كان هذا بسببه. كنت واقفًا للحراسة كما يُفتَرض بي عندما تسلل وضربني بهراوة». تحسس الكدمة على رأسه وضيق عينيه في ألم، ثم حدق إلى (راند) وقال: «لقد قاتلته ولكن حينها جاء (الترولوكيون). إنه متحالف معهم يا قبطان، إنه (صديق للظلام)، متحالف مع (الترولوكيين)».

قال القبطان بصوت هادر: «متحالف مع جدتي العجوز! ألم أحذرك في المرة الأخيرة يا (جيلب)؟ سوف ترحل عند (الجسر الأبيض)! اغرب عن وجهي قبل أن أُلقي بك في الماء الآن». اندفع (جيلب) مبتعدًا عن دائرة الضوء، فوقف (دومون) وهو يفتح يديه ويضمهما بينما يحدق إلى

الأفق في شرود. «هؤلاء (الترولوكيون) يلاحقونني حقًّا. لماذا لا يتركونني وشأني؟ لماذا؟».

نظر (راند) إلى ما وراء السور فصُدِم عندما رأى أن ضفة النهر لم تعد ظاهرة. كان هناك رجلان يحركان مجداف التوجيه الطويل الذي يبرز من مؤخرة السفينة، وستة آخرون على كل جانب يجدفون ليدفعوا السفينة كحشرة ماء مبتعدين أكثر عبر النهر.

قال (راند): «لقد تركنا أصدقاءنا وراءنا أيها القبطان. إن عدنا والتقطناهم فأنا واثق أنهم سيكافئونك».

التفت القبطان بوجهه الدائري ناحية (راند)، وعندما ظهر (توم) و(مات) حدق إليهما أيضًا بنظرته الخالية من التعبيرات.

انحنى (توم) وبدأ حديثه قائلًا: «اسمح لي أيها القبطان أن...».

قال القبطان (دومون): «تعالوا إلى الأسفل، حيث يمكنني أن أرى طبيعة الأشياء التي صعدت على سطح سفينتي. تعالوا. وبحق الحظ فليربط أحدكم هذه الذراع اللعينة». بينما طاقم السفينة يسرعون لتأمين الذراع انطلق ناحية مؤخرة القارب، فلحق به (راند) ورفيقاه.

كان لدى القبطان (دومون) مقصورة نظيفة في مؤخرة القارب، يمكن الوصول إليها بنزول سلم صغير، حيث كان كل شيء يعطي انطباعًا بوجوده في مكانه الصحيح، مثل المعاطف والعباءات المعلقة على مشاجب في ظهر الباب. كانت المقصورة تمتد باتساع السفينة، مع سرير عريض مثبت على أحد الجوانب، وطاولة ثقيلة مثبتة على الجانب الآخر. لم يكن هناك سوى كرسي واحد بظهر مرتفع وذراعين متينتين، جلس عليه القبطان وهو يشير إلى البقية لكي يجلسوا على الصناديق العديدة أو المقاعد التي كانت تمثل الأثاث الوحيد في المكان. كاد (مات) أن يجلس على السرير ولكن زفيرًا مرتفعًا جعله يحجم عن هذا.

بعد أن جلسوا جميعًا قال القبطان: «اسمي (بايل دومون)، قبطان (سبراي) ومالكها، ألا وهي هذه السفينة. والآن من أنتم، وإلى أين كنتم ذاهبين هنا في منتصف اللامكان، ولِمَ لا يجب أن أُلقي بكم من السفينة بسبب المتاعب التي جلبتموها إليَّ؟».

كان (راند) لا يزال يجد صعوبة في ملاحقة حديث (دومون) كالسابق. عندما استوعب آخر جملة قالها القبطان رمش بعينيه في دهشة؛ *يُلقينا من السفينة؟*

قال (مات) على الفور: «لم نقصد أن نسبب لك أي متاعب. كنا في طريقنا إلى (كايملين) ومن هناك إلى...».

قاطعه (توم) بسلاسة: «ومن هناك إلى حيث تأخذنا الرياح. هكذا يسافر صانعو البهجة، كالغبار في مهب الرياح. أنا صانع بهجة، وأدعى (توم ميريلين)». ثم ضم عباءته فظهرت الرقع متعددة الألوان في حال إن كان القبطان لم ينتبه إليها. «هذان الفتيان الريفيان يرغبان في أن يصيرا تلميذين عندي، ولكني لست واثقًا بعد من أنني أريدهما». نظر (راند) إلى (مات) الذي ابتسم.

قال القبطان (دومون) بهدوء: «لا بأس بهذا يا رجل، ولكنه لا يخبرني بشيء سوى أقل القليل. بحق الحظ، لم أسمع بأي طريق في هذا المكان يؤدي إلى (كايملين) على الإطلاق».

قال (توم): «سأخبرك بالحكاية». وعلى الفور بدأ في سردها.

بحسب رواية (توم) فإن ثلوج الشتاء قد احتجزته في بلدة مناجم في (جبال الضباب) وراء (بايرلون). عندما كان هناك سمع أساطير عن كنوز يعود تاريخها إلى زمن (الحروب الترولوكية)، في أطلال مدينة ضائعة تُدعى (أريدول). كان قد تصادف وعرف قبل هذا عن موقع (أريدول) من خريطة قد منحها له منذ سنوات عديدة صديق محتضر في (إليان) كان قد أنقذ حياته ذات يوم. مات الرجل وهو يهمس بأن الخريطة ستجعل

(توم) ثريًّا، وهو ما لم يصدقه (توم) حتى سمع بهذه الأساطير. عندما ذابت الثلوج بما يكفي انطلق مع عدد قليل من الرفاق بما فيهم هذين التلميذين المحتملين. وبعد رحلة مليئة بالصعاب عثروا على أطلال المدينة. ولكن اتضح أن الكنز ملك واحد من (سادة الرعب) أنفسهم، و(الترولوكيون) قد أُرسِلوا لإعادته إلى (شايول غول). إن كل الأخطار التي واجهوها بالفعل . (الترولوكيين)، و(الميردرال)، و(الدراكار)، و(موورديث) و(ماشادار) . قد هاجمتهم في نقطة ما أو أخرى من الحكاية، ولكن بالطريقة التي حكاها بها (توم) بدت أن جميعها قد استهدفته بشكل شخصي. وأنه تعامل معها ببراعة شديدة. ولكن بعد كثير من الأعمال البطولية ـ معظمها من (توم) . استطاعوا الهرب، فلاحقهم (الترولوكيون)، إلا أنهم تفرقوا أثناء الليل، وأخيرًا التمس (توم) ورفيقاه الأمان في آخر مكان تبقى لديهم؛ سفينة القبطان (دومون) التي رحَّبت بهم.

ما إن أنهى صانع البهجة حكايته حتى أدرك (راند) أنه كان فاغرًا فاه منذ بعض الوقت، فأغلقه على الفور. عندما نظر إلى (مات) وجد صديقه يحدق بعينين متسعتين إلى صانع البهجة.

نقر القبطان (دومون) بأصابعه على ذراع كرسيه ثم قال: «هذه حكاية لن يصدقها الكثير من الناس، ولكني رأيت (الترولوكيين) بعيني».

قال (توم) ببساطة: «كل كلمة حقيقية، ومن شخص قد عاشها».

«هل معك شيء من ذلك الكنز الذي تحدثت عنه؟».

بسط (توم) كفيه وقال بأسف: «القليل الذي تمكنا من حمله، موجود مع أحصنتنا للأسف، التي هربت عندما ظهر آخر هؤلاء (الترولوكيين). كل ما تبقى معي هو مزماري وقيثارتي وبعض العملات النحاسية والملابس التي أرتديها. ولكن صدقني أنت لن ترغب في الحصول على أي شيء من ذلك الكنز، فإنه مدنس بدنس (سيد الظلام)، من الأفضل تركه للأطلال و(الترولوكيين)».

«إذن فأنتم لا تملكون نقودًا لدفع ثمن السفر على متن السفينة. أنا لن أسمح لأخي بالإبحار معي إن لم يدفع ثمن السفر، وخصوصًا إن أحضر (الترولوكيين) وراءه لكسر سور السفينة وتمزيق أشرعتها. لمَ لا أتخلص منكم وأجعلكم تسبحون عائدين من حيث أتيتم؟».

قال (مات): «أنت لن تعيدنا بهذه البساطة إلى الشاطئ بينما (الترولوكيون) لا يزالون هناك، أليس كذلك؟».

أجابه (دومون) قائلًا: «من تحدث عن إعادتكم إلى الشاطئ؟». ثم تفحصهم بنظره للحظة قبل أن يبسط يديه على الطاولة ويقول: «(بايل دومون) رجل عقلاني، أنا لن ألقيكم من على متن السفينة إن كان هناك طريقة لتفادي هذا. أنا أرى أن أحد تلميذيك معه سيف، أنا بحاجة إلى سيف جيد، وبما أنني شخص كريم فسوف أسمح لكم بالسفر حتى (الجسر الأبيض) مقابل هذا».

فتح (توم) فمه ولكن (راند) تحدث على الفور قائلًا: «لا!». (تام) لم يُعطه السيف ليقايضه بهذه الطريقة. مرر يده على المقبض متحسسًا البلشون البرنزي، كان يشعر أن (تام) لا يزال معه طالما أن السيف معه.

هز (دومون) رأسه وقال: «حسنًا، إن كانت إجابتك لا فليكن، ولكن (بايل دومون) لا يسمح لأحد بالسفر مجانًا على متن سفينته حتى لو كانت أمه».

أفرغ (راند) جيوبه على مضض، لم يكن معه الكثير؛ بضع عملات نحاسية والعملة الفضية التي أعطتها له (مويرين). أعطى كل هذا للقبطان. بعد ثانية تنهد (مات) وحذا حذوه. ظهرت في عينيّ (توم) نظرة حادة، اختفت على الفور وحل محلها ابتسامة، حتى أن (راند) لم يكن واثقًا من أنه قد رأى هذه النظرة.

انتزع القبطان (دومون) العملتين الفضيتين السميكتين ببراعة من يديّ الفتيين، ثم أخرج مجموعة صغيرة من الموازين وكيسًا يصدر رنينًا من

صندوق بإطار نحاسي من وراء كرسيه، بعد وزن العملتين بحرص وضعهما في الكيس، ثم أعاد لكل واحد منهما بعض القطع الأصغر حجمًا من النحاس والفضة، معظمها من النحاس. قال وهو يكتب بشكل أنيق في مُجلَّد حسابات: «هذا سيوصلكم إلى (الجسر الأبيض)».

قال (توم) متذمرًا: «هذا ثمن باهظ مقابل الذهاب إلى (الجسر الأبيض)».

أجابه القبطان بهدوء: «بالإضافة إلى الأضرار التي لحقت بسفينتي». ثم أعاد الموازين والكيس إلى الصندوق وأغلقه في رضا. «بالإضافة إلى جلب (الترولوكيين) إليَّ مما اضطرني للإبحار عبر النهر في الليل، بينما هناك الكثير من المناطق الضحلة التي قد تعترض طريقي».

سأل (راند): «ماذا عن الآخرين؟ هل ستقلهم أيضًا؟ يجب أن يكونوا قد وصلوا إلى النهر بحلول هذا الوقت، أو سيصلون قريبًا بما يكفي، وسيرون المصباح على صاري سفينتك».

رفع القبطان (دومون) حاجبيه في دهشة وقال: «هل تعتقد أننا كنا نقف ساكنين يا رجل؟ بحق الحظ، لقد ابتعدنا ثلاثة أميال أو أربعة عن المكان الذي صعدتم منه على متن السفينة. لقد جعل (الترولوكيون) هؤلاء الرجال يحركون المجاديف بكل ما لديهم من قوة. إنهم يعرفون (الترولوكيين) جيدًا. وقد ساعدنا التيار كذلك. ولكن بغض النظر عن هذا لم أكن لأعود مرة أخرى حتى لو كانت جدتي على ضفة النهر. لن أعود مرة أخرى حتى أصل إلى (الجسر الأبيض)، لقد نلت كفايتي من (الترولوكيين) الذين تعقبوني كالكلاب قبل هذه الليلة بوقت طويل. ولن أعرض نفسي لهذا مرة أخرى ما دمت قادرًا على تفاديه».

مال (توم) إلى الأمام باهتمام وقال: «هل واجهت (الترولوكيين) من قبل؟ مؤخرًا؟».

تردد (دومون) وهو ينظر إلى (توم) بتمعن، ولكنه عندما تحدث لم يبدُ في صوته إلا الاشمئزاز وهو يقول: «لقد قضيت الشتاء في (سالدايا) يا رجل، لم يكن هذا باختياري، ولكن النهر تجمد باكرًا، وتكسر الجليد متأخرًا. يقولون إن بإمكانك أن ترى (البلاء العظيم) من أعلى الأبراج في (مارادون)، ولكني لم أُبالِ بهذا. لقد ذهبت إلى هناك من قبل، ودومًا ما يكون هناك حديث عن (ترولوكيين) يهاجمون مزرعة أو شيء من هذا القبيل. ولكن في الشتاء المنصرم كان هناك مزارع تحترق كل ليلة، وأحيانًا قرى كاملة. لقد وصلوا حتى إلى أسوار المدينة. وكأن هذا لم يكن سيئًا بما يكفي، فالناس يقولون إن هذا يعني أن (سيد الظلام) يتحرك، وإن (آخر الأيام) قد حانت». ارتجف وحك رأسه كأن الفكرة قد جعلته يشعر بالحكة في فروة رأسه. «لا أطيق انتظارًا حتى أعود إلى المكان الذي يعتقد فيه الناس أن (الترولوكيين) مجرد حكايات، وأكاذيب يرويها المسافرون».

كف (راند) عن الإنصات وحدق إلى الجدار المقابل، وهو يفكر بشأن (إيجوين) والآخرين. بدا له أنه ليس من العدل أن يكون آمنًا على متن (سبراي) بينما هم لا يزالون هناك في الليل في مكان ما. لم تعد مقصورة القبطان مريحة كما بدت في البداية.

تفاجأ عندما جذبه (توم) ليقف على قدميه، ثم دفعه هو و(مات) ناحية السلم، بينما ينظر وراءه وهو يعتذر للقبطان (دومون) نيابة عن الفتيين القرويين. صعد (راند) السلم دون أن ينبس ببنت شفة.

ما إن صعدوا إلى سطح السفينة حتى تلفت (توم) حوله بسرعة ليتيقن من أن أحدًا لن يسمع حديثه، قبل أن يقول: «كنت قادرًا على جعلنا نسافر على متن السفينة نظير بضع أغانٍ وحكايات إن لم تتسرعا بإظهار الفضة».

قال (مات): «لا أعرف لقد بدا لي جادًّا بشأن إلقائنا في النهر».

اقترب (راند) من سور السفينة ببطء، ثم اتكأ عليه وهو يحدق إلى النهر الذي يكتنفه الظلام. لم يستطع أن يرى شيئًا سوى الظلام، ولا حتى ضفة النهر. بعد دقيقة وضع (توم) يده على كتفه ولكنه لم يتحرك.

«لا يوجد شيء يمكنك فعله يا فتى، بالإضافة إلى أنهم على الأرجح بأمان الآن مع... مع (مويرين) و(لان). هل يمكنك أن تفكر في أي شخص أفضل من هذين الاثنين لإيصالهم إلى بر الأمان؟».

قال (راند): «لقد حاولت إثناءها عن المجيء».

«لقد فعلت ما كان بوسعك يا فتى. لا يمكن لأحد أن يطلب منك المزيد».

«لقد أخبرتها أنني سأعتني بها، كان يجب أن أبذل جهدًا أكبر». صدر صرير عن المجاديف ودمدمة الأشرعة في الرياح ليصنعا لحنًا حزينًا. همس: «كان يجب عليَّ أن أبذل جهدًا أكبر».

الفصل الواحد والعشرون

أصغِ إلى الرياح

تسلل شروق الشمس عبر (نهر آرينيل) ليشق طريقه إلى غور على مسافة ليست ببعيدة من ضفة النهر، حيث كانت (نايْنيڤ) جالسة وظهرها إلى جذع شجرة بلوط صغيرة، تتنفس بعمق وهي نائمة. كان حصانها نائمًا أيضًا وقد خفض رأسه وبسط قوائمه الأربعة كما تنام الخيول. كان الزمام مربوطًا حول معصمها. ما إن وقع ضوء الشمس على جفني الحصان حتى فتح عينيه ورفع رأسه جاذبًا معه الزمام، فجفلت (نايْنيڤ) واستيقظت.

حدقت للحظات وهي تتساءل أين هي، ثم أخذت تحدق حولها بحدة أكثر عندما تذكرت. ولكن لم يكن هناك سوى الأشجار وحصانها وبساط من أوراق قديمة جافة في قاع الغور. في أعمق النقاط المظلمة كان فطر يد الظلال قد صنع حلقات على جذع شجرة قد هوى على الأرض.

تمتمت وهي تتكئ بظهرها إلى الوراء: «فليحفظك (النور) يا امرأة، إن لم تكوني قادرة على البقاء مستيقظة لليلة واحدة». ثم فكَّت الزمام المربوط بمعصمها ودلَّكته وهي تعتدل واقفة. «كان من المحتمل أن تستيقظي في قدر طهي أحد (الترولوكيين)».

خشخشت الأوراق اليابسة وهي تتسلق صاعدة إلى حافة الغور وتختلس النظر من فوقها. لم يكن هناك أكثر من حفنة من أشجار المران تفصلها عن النهر. جعلها لحاؤها المتصدع وأغصانها العارية من الأوراق تبدو ميتة. من ورائها تتدفق المياه الزرقاء المائلة للخضرة عبر النهر الواسع، الذي كان خاويًا من كل شيء. على الضفة الأخرى تتناثر مجموعات صغيرة من الأشجار دائمة الخضرة والصفصاف والتنوب، وبدا أن هناك أشجارًا أقل بشكل عام مما يوجد على جانبها. إن كانت (مويرين) أو أي من الصغار هناك فإنهم مختبئون جيدًا. بالطبع لن يكونوا بالضرورة قد عبروا النهر أو حاولوا عبوره من حيث يمكنها أن تراهم من موضعها، يمكن أن يكونوا في أي مكان على مسافة عشرة أميال. هذا إن كانوا لا يزالون على قيد الحياة بعد ليلة الأمس.

أحست بالغضب من نفسها لتفكيرها في هذا الاحتمال، ثم انزلقت عائدة إلى الغور. حتى (ليلة الشتاء) أو المعركة التي سبقت (شادار لوجوث) لم يجعلاها مستعدة لليلة الأمس، لهذا الشيء، (ماشادار). كل هذا الركض المحموم على صهوة حصانها، والتساؤل إن كان هناك أي شخص آخر لا يزال على قيد الحياة، التساؤل إن كانت ستواجه (عاتمًا) وجهًا لوجه، أو (ترولوكيين). لقد سمعت عواء (الترولوكيين) وصياحهم في الأفق، والصرخات المرتجفة لأبواق (الترولوكيين) قد جمدت الدماء في عروقها أكثر من برودة الرياح، ولكن عدا اللقاء الأول في الأطلال فإنها لم ترَ (الترولوكيين) إلا مرة واحدة، وكانت هذه المرة خارج المدينة. عشرة منهم أو أكثر بدا وكأن الأرض انشقت عنهم، على مسافة لا تزيد عن ثلاثين باعًا أمامها، ركضوا ناحيتها على الفور، وهم يلوحون بأعمدة صيد ذات خطاطيف. ولكن بينما هي تنعطف بحصانها خيم عليهم الصمت ورفعوا خطومهم ليتشمموا الهواء. راقبتهم وقد تجمَّدت في موضعها بدهشة وهم يديرون ظهورهم ويختفون في ظلام الليل، وكان هذا هو أكثر شيء مخيف على الإطلاق.

قالت لحصانها وهي تقف في الغور: «إنهم يعرفون رائحة من يريدونه، وأنا لست من يريدونه. يبدو أن (الآيز سيداي) محقة، فليبتلعها (راعي الليل)».

حسمت أمرها وبدأت تسير بمحاذاة النهر مع اتجاه التيار وهي تجر الحصان وراءها. كانت تتحرك ببطء وهي تبقي عينيها بحذر على الغابة من حولها. ربما كان (الترولوكيون) لا يرغبون فيها بالأمس، ولكن هذا لا يعني أنهم سيسمحون لها بالذهاب إن وقعت في طريقهم مرة أخرى. رغم الاهتمام الذي كانت توليه للغابة إلا أنها كانت تولي اهتمامًا أكبر للأرض أمامها. إن كان الآخرون قد مروا من هذا الطريق أثناء الليل فربما تجد آثارًا لهم، آثارًا قد تفوتها إن كانت على صهوة حصان. ربما تلتقي بهم جميعًا واقفين على هذا الجانب، ولكن إن لم تعثر على أي منهم فإن النهر سيأخذها إلى (الجسر الأبيض) في نهاية المطاف، وهناك طريق من (الجسر الأبيض) إلى (كايملين)، ويستمر حتى يصل إلى (تار ڤالون) إذا تطلب الأمر.

كاد هذا الاحتمال أن يكون كافيًا لتثبيط همتها. لم تذهب من قبل بعيدًا عن (إيموندز فيلد) أكثر مما ابتعد الفتيان. لقد بدت (تارين فيري) غريبة بالنسبة لها، وكان من الممكن أن تجعلها (بايرلون) تحدق في انبهار لو لم يكن تركيزها منصبًا تمامًا على إيجاد (إيجوين) والبقية. ولكنها لم تسمح لأي من هذا أن يضعف عزيمتها، عاجلًا أو آجلًا ستجد (إيجوين) والفتيان، أو ستجد طريقة لجعل (الآيز سيداي) تدفع ثمن أي ما حدث لهم. لقد أقسمت على أنها ستفعل هذا أو ذاك.

من آن لآخر كانت تجد آثارًا، الكثير منها. ولكن باستخدام أفضل جهودها لم تقدر عادة على تمييز إن كان من صنع هذه الآثار يبحث أم يُلاحِق أم يتعرض للملاحقة. بعض الآثار قد صنعتها أحذية يمكن أن تنتمي لبشر أو (ترولوكيين) على حد سواء. البعض الآخر كان آثار

حوافر، كماعز أو ثيران، هذه آثار (ترولوكيين) بالتأكيد. ولكنها لم تجد شيئًا واضحًا يُمكنها أن تجزم بكونه آثار من تبحث عنهم.

كانت قد قطعت أربعة أميال تقريبًا عندما جلبت لها الرياح نفحة من دخان حطب. لقد أتت من مكان ما على طول النهر مع اتجاه التيار، وقالت لنفسها إنه ليس ببعيد. لم تتردد إلا للحظة قبل أن تربط حصانها إلى شجرة تنوب، بعيدة عن النهر في أجمة كثيفة من الأشجار دائمة الخضرة، ستكون كافية لإخفاء الحصان. يمكن أن يعني الدخان وجود (ترولوكيين)، ولكن الطريقة الوحيدة للتيقن من هذا هي إلقاء نظرة. حاولت ألا تفكر في الشيء الذي قد يصنعه (الترولوكيون) بالنار.

انحنت وهي تتسلل من شجرة إلى أخرى، بينما تسب في عقلها التنورة التي اضطرت لرفعها طيلة الطريق. لم تُصنع التنورات من أجل التسلل. جعلها صوت حصان تُبطئ من حركتها، وعندما نظرت بحذر من وراء جذع شجرة مُران رأت (الحامي) يترجل من على صهوة حصانه الأسود في منطقة صغيرة خالية من الأشجار على ضفة النهر. كانت (الآيز سيداي) جالسة على جذع خشبي أمام نيران صغيرة، حيث كان هناك غلاية ماء توشك على الغليان. كانت فرسها البيضاء من ورائها ترعى في الحشائش القليلة المتناثرة. بقيت (ناينيف) حيث هي.

قال (لان) بوجوم: «لقد رحلوا جميعًا، أربعة من (أنصاف البشر) توجهوا جنوبًا منذ ساعتين قبل الفجر، وهذا أقرب وقت يمكنني تحديده، فإنهم لا يتركون الكثير من الآثار وراءهم، ولكن (الترولوكيين) قد اختفوا. حتى الجثث اختفت، رغم أن (الترولوكيين) غير معروفين بحمل موتاهم معهم، ما لم يكونوا جائعين».

ألقت (مويرين) بحفنة من شيء ما في الماء المغلي ثم أبعدت الغلاية عن النار. «يمكن للمرء دومًا أن يتمنى أنهم قد عادوا إلى (شادار لوجوث) وأنه قد التهمهم. ولكن هذا سيكون أكثر مما يمكن للمرء أن يتمناه».

انجرفت رائحة الشاي الشهية إلى (نايينيف). *بحق (النور)، **لا** تدع معدتي تقرقر.*

«لم يكن هناك أي إشارة واضحة على الفتيان أو أي من الآخرين. كانت الآثار متداخلة للغاية بما لا يسمح بمعرفة أي شيء». ابتسمت (نايينيف) في مخبأها، فإن فشل (الحامي) قد هوَّن عليها فشلها. عقد (الحامي) حاجبيه وهو يكمل قائلًا: «ولكن هذا الأمر الآخر مهم يا (مويرين)». لوَّح بيده رافضًا كوب الشاي الذي قدَّمته له (الآيز سيداي)، وبدأ يتحرك جيئة وذهابًا أمام النار واضعًا يده على مقبض سيفه وألوان عباءته تتغير كلما استدار. «يمكنني أن أقبل وجود (ترولوكيين) في (النهرين)، حتى لو كانوا مئة (ترولوك). ولكن هذا؟ لقد كان هناك قُرابة ألف منهم يطاردوننا بالأمس بلا شك».

«لقد كنا محظوظين للغاية أن جميعهم لم يبقوا لتفتيش (شادار لوجوث). لا شك أن (الميردرال) قد شكوا في اختبائنا هناك، ولكنهم كانوا يخشون أيضًا العودة إلى (شايول غول)، تاركين حتى أدنى فرصة دون التحقق منها. لم يكن (سيد الظلام) سيدًا متسامحًا قط».

«لا تحاولي التهرب من الأمر. أنتِ تعرفين ما أحاول قوله؛ إن كانوا هؤلاء الألف هنا لإرسالهم إلى (النهرين)، فلماذا لم يُرسَلوا إلى هناك؟ هناك إجابة واحدة فقط؛ هؤلاء قد أُرسِلوا فقط بعد أن عبرنا (نهر تارين)، عندما عرفوا أن (ميردرال) واحد ومئة (ترولوك) لم يعودوا كافين. كيف؟ كيف أُرسِلوا؟ إن كان من الممكن جلب ألف (ترولوك) جنوبًا إلى هنا، بعيدًا عن (البلاء العظيم)، وبمثل هذه السرعة، دون أن يراهم أحد ـ ناهيكِ عن إرجاعهم بنفس الطريقة ـ فمن الممكن إرسال عشرة آلاف إلى قلب (سالدايا) أو (آرافيل) أو (شاينار)؛ من الممكن أن يجتاحوا (البلاد الحدودية) في عام واحد».

أجابته (مويرين) ببساطة: «سيجتاحون العالم بأسره في خمسة أعوام إن لم نعثر على هؤلاء الفتيان. السؤال يقلقني أيضًا ولكن ليس لديَّ أي إجابة. (الطرق) مغلقة، ولم يكن هناك أي (آيز سيداي) قوية بما يكفي للارتحال منذ عصر الجنون. وما لم يكن أحد (الملعونين) طليقًا . وندعو (النور) أن هذا لم يحدث . فإنه لا يوجد أحد يمكنه فعل هذا. على أي حال لا أعتقد أن (الملعونين) مجتمعين يمكنهم تحريك ألف (ترولوك). دعنا نتعامل مع المشكلات التي تواجهنا هنا والآن، كل شيء آخر يجب أن ينتظر».

«الفتيان». لم يكن هذا سؤالًا.

«أنا لم أكن خاملة أثناء غيابك، أحدهم قد عبر النهر وهو على قيد الحياة. أما بالنسبة للبقية فهناك أثر خافت يتحرك مع تيار النهر، ولكنه يتلاشى كلما عثرت عليه. لا شك أن الرابطة قد انكسرت قبل أن أبدأ بحثي بساعات».

عقدت (ناينيف) حاجبيها في تساؤل وهي لا تزال رابضة وراء الشجرة.

توقف (لان) عن حركته جيئة وذهابًا وهو يقول: «هل تعتقدين أن (أنصاف البشر) الذين يتحركون جنوبًا قد أمسكوا بهم؟».

قالت (مويرين) وهي تصب لنفسها كوبًا من الشاي: «ربما. ولكني لن أعترف باحتمالية موتهم، لا يمكنني هذا، لا أجرؤ على هذا. أنت تعرف كم من الأشياء مهددة بالخطر. يجب أن أستعيد هؤلاء الفتيان. أتوقع أن (شايول غول) سوف تتعقبهم، وأقبل أني سأواجه معارضة من داخل (البرج الأبيض)، أو حتى من (عرش أميرلين). هناك دومًا من (الآيز سيداي) من ستقبلن فقط حلًا واحدًا. ولكن...». فجأة وضعت كوبها جانبًا واعتدلت واقفة وقد تجهم وجهها قبل أن تتمتم: «إن أفرطت في مراقبة الذئب فإن فأرًا سوف يعضك من كاحلك». ثم نظرت مباشرة إلى الشجرة التي تختبئ وراءها (ناينيف) وقالت: «سيدة (ألميرا)، يمكنك أن تخرجي الآن من مخبئك إذا أردتِ».

أسرعت (نانيف) واقفة على قدميها، وعلى الفور نفضت الأوراق الميتة عن فستانها. أدار (لان) وجهه لينظر إلى الشجرة بمجرد أن تحركت عينا (مويرين)، وكان قد استل سيفه قبل أن تنهي نطقها باسم (نانيف). حينها أعاد سيفه إلى غمده مرة أخرى بقوة أكثر من اللازم. كان وجهه خاليًا من التعبيرات كعادته، ولكن خُيِّل لـ(نانيف) أنها ترى لمسة من الاستياء في ملامحه. أحست بشيء من الرضا، لم يكن (الحامي) يعرف أنها هناك على الأقل.

ولكن لم يستمر هذا الرضا إلا للحظة واحدة. لقد ثبتت عينيها على (مويرين)، وسارت مقتربة منها بحذر. أرادت أن تبقى باردة وهادئة، ولكن صوتها ارتجف بالغضب وهي تقول: «ما الذي ورطت فيه (إيجوين) والفتيان؟ ما هي مؤامرات (الآيز سيداي) القذرة التي تخططين لاستغلالهم فيها؟».

أمسكت (الآيز سيداي) بكوبها وارتشفت الشاي بهدوء، ولكن عندما اقتربت (نانيف) منها مد (لان) ذراعه ليعيق طريقها. عندما حاولت إزاحة ذراعه جانبًا تفاجأت عندما لم تتحرك ذراع (الحامي) أكثر مما يمكن أن تقدر على تحريك غصن شجرة بلوط. لم تكن ضعيفة ولكن عضلاته كانت مثل الفولاذ.

عرضت عليها (مويرين) قائلة: «الشاي؟».

«لا، لا أريد أي شاي. لن أشرب من شايك حتى لو كنت أموت من العطش. لن تستغلي أيًّا من قوم (إيموندز فيلد) في مخططات (الآيز سيداي) القذرة».

«لا يحق لك قول هذا أيتها الحكيمة». بدت (مويرين) مهتمة بالشاي الساخن أكثر من أي شيء تقوله. «أنت نفسك باستطاعتك استخدام (القوة الواحدة) إلى حد ما».

دفعت (نانيف) ذراع (لان) مرة أخرى فلم تتحرك أيضًا، فقررت أن تتجاهله. «لمَ لا تحاولين أن تزعمي أنني (ترولوك)؟».

ابتسمت (مويرين) كأنها تعرف أن (نانيف) تحاول أن تضربها، ثم قالت: «هل تعتقدين أنني يمكنني أن أقف وجهًا لوجه أمام امرأة يمكنها أن تلمس (المصدر الحقيقي) وأن توجه (القوة الواحدة) - حتى لو بين الفينة والأخرى - دون أن أعرف حقيقتها؟ تمامًا كما شعرت بالقدرات الكامنة في (إيجوين). كيف تعتقدين أنني عرفت أنك وراء هذه الشجرة؟ لو لم أكن مشتتة الذهن لعرفت في اللحظة التي اقتربتِ فيها. أنتِ بالتأكيد لستِ (ترولوك)، فحينها كنت سأشعر بشر (سيد الظلام). إذن ما الذي أحسست به يا (نانيف ألميرا)، حكيمة (إيموندز فيلد)، والمستخدمة المجهولة لـ(القوة الواحدة)؟».

نظر (لان) إلى (نانيف) بطريقة لم تعجبها؛ في دهشة وتساؤل، أو هذا ما بدا لها، فلم يتغير شيء في وجهه سوى عينيه. لطالما عرفت أن (إيجوين) استثنائية، ستكون (إيجوين) حكيمة رائعة. قالت لنفسها إنهما يعملان معًا لجعلها تفقد اتزانها. «لن أُنصت للمزيد من هذا، أنتِ...».

قالت (مويرين) بحزم: «عليكِ أن تنصتي، لقد راودتني شكوك في (إيموندز فيلد)، قبل حتى أن نلتقي. لقد أخبرني الناس كم تشعر الحكيمة بالإحباطِ لأنها لم تتنبأ بالشتاء القاسي وتأخر الربيع. أخبروني كم هي جيدة في التنبؤ بالطقس وتوقع المحاصيل. أخبروني كم هي رائعة في العلاج، وكيف أنها في بعض الأحيان تعالج إصابات كافية لأن تؤدي إلى إعاقة المصابين بها، وأنها لا تترك أثرًا إلا ندبة طفيفة، ولا تترك عرجًا أو وخزة. الانتقاد الوحيد الذي سمعته بشأنك كان من القلة الذين يعتقدون أنك أصغر من أن تتحملي هذه المسؤوليات، وهذا لم يفعل شيئًا إلا تعزيز شكوكي. الكثير من البراعة في مثل هذا السن الصغير».

«لقد علمتني السيدة (باران) جيدًا». حاولت أن تنظر إلى (لان) ولكن عينيه جعلتاها تشعر بعدم الارتياح، لذا اكتفت بالتحديق إلى النهر وراء (الآيز سيداي). *كيف تجرؤ القرية على الثرثرة أمام واحدة من الغرباء!* سألتها: «من قال إنني أصغر من اللازم؟».

ابتسمت (مويرين) متجاهلة هذه المحاولة لتغيير الموضوع وهي تقول: «على عكس معظم النساء اللاتي يزعمن أنهن يصغين إلى الرياح فإنك تقدرين على الإصغاء بالفعل أحيانًا. هذا لا علاقة له بالرياح بالطبع، بل له علاقة بالهواء والماء، إنه شيء لا تحتاجين لتعلمه، لقد وُلدتِ به، تمامًا كما وُلِدت به (إيجوين). ولكنك قد تعلمت التعامل معه، وهو ما لا يزال عليها تعلمه. لقد عرفت هذا بعد دقيقتين من الوقوف أمامك وجهًا لوجه. هل تذكرين كيف سألتك فجأة إن كنتِ الحكيمة؟ لمَ سألتك في رأيك؟ لم يكن هناك شيء ليميزك عن أي شابة جميلة أخرى تستعد للعيد. حتى عندما كنت أبحث عن حكيمة صغيرة كنت أتوقع واحدة في ضعف عمرك».

كانت (ناينيف) تتذكر ذلك اللقاء جيدًا؛ هذه المرأة الواثقة من نفسها أكثر من أي امرأة في (دائرة النساء)، ترتدي ثيابًا أكثر جمالًا من أي شيء قد رأته من قبل، وتخاطبها كأنها طفلة، وحينها رمشت (مويرين) بعينيها فجأة كأنها تفاجأت وسألتها بدون مقدمات...

لعقت شفتيها اللتين جفتا فجأة. كانتا تحدقان إحداهما إلى الأخرى، ووجه (الحامي) جامد كالحجر، وكان وجه (الآيز سيداي) متعاطفًا ولكنه حازم. هزت (ناينيف) رأسها وقالت: «لا! لا، هذا مستحيل. كنت سأعرف. أنت تحاولين فقط خداعي وهذا لن ينجح».

قالت (مويرين) وهي تحاول تهدئتها: «أنتِ لا تعرفين بالطبع. لمَ يجب حتى أن تشكي في الأمر؟ طيلة حياتك كنت تسمعين عن الإصغاء للرياح. على أي حال كنت ستعترفين لجميع قاطني (إيموندز فيلد) بأنك

من (أصدقاء الظلام) قبل أن تعترفي لنفسك. حتى في أعمق ثنايا عقلك. أن لكِ علاقة بـ(القوة الواحدة) أو (الآيز سيداي) اللاتي تكرهينهن».
ثم ارتسم الاستمتاع على وجهها وهي تقول: «يمكنني أن أخبرك كيف بدأ الأمر».

قالت: «لا أريد سماع المزيد من أكاذيبك».

ولكن (الآيز سيداي) أكملت قائلة: «ربما كان هذا منذ ثمانية أعوام أو عشرة. يختلف العمر ولكنه دومًا ما يكون الأمر في سن صغير. كان هناك شيء ترغبين فيه أكثر من أي شيء آخر في العالم، شيء تحتاجينه، ثم حصلت عليه، غصن تدلى فجأة حيث يمكنك أن تخرجي نفسك من البركة بدلًا من الغرق، صديق أو حيوان أليف تعافى بعد أن ظن الجميع أنه يحتضر.

لم تشعري بشيء استثنائي في ذلك الوقت، ربما بعد أسبوع أو عشرة أيام ظهر رد فعلك الأول على لمس (المصدر الحقيقي)، ربما حمى أو قشعريرة انتابتك فجأة وجعلتك طريحة الفراش، ثم اختفت بعد بضع ساعات فقط. تتنوع ردود الأفعال ولكن أيًّا منها لا يستمر لأكثر من بضع ساعات. يختلط الصداع والخدر والبهجة معًا، فتأخذين قرارات حمقاء أو تتصرفين بطيش. تنتابك نوبة من الدوار عندما تتعثرين أو تترنحين كلما حاولتِ الحركة، أو عندما لا تقدرين على أن تنطقي جملة دون أن يشوه لسانك نصف الكلمات، وهناك أعراض أخرى. هل تتذكرين؟».

هوت (ناينيف) جالسة على الأرض، فلم تعد ساقاها تقويان على حملها. لقد تذكرت ولكنها هزت رأسها على أي حال. لا شك أنها مصادفة، أو أن (مويرين) قد سألت في (إيموندز فيلد) أسئلة أكثر مما كانت تظن. لقد سألت (الآيز سيداي) الكثير من الأسئلة، لا شك أن هذا ما حدث. مد (لان) لها يده، ولكنها لم ترها حتى.

عندما ظلت (نانيف) صامتة قالت (مويرين): «سأخبرك بما هو أكثر، لقد استخدمتِ (القوة الواحدة) لشفاء (بيرين) أو (إيجوين) في وقت ما، فنشأ نوع من التجاذب، بإمكانك أن تشعري بوجود شخص قد شفيتِه. في (بايرلون) جئتِ مباشرة إلى حانة (الأيل والأسد)، رغم أنها لم تكن أقرب حانة لأي بوابة من البوابات التي قد تكوني دخلتِ منها، لم يكن هناك أحد في الحانة من (إيموندز فيلد) عند وصولك إلا (بيرين) و(إيجوين). هل كان (بيرين) أم (إيجوين)؟ أم كلاهما؟».

تمتمت (نانيف) قائلة: «(إيجوين)». لطالما اعتبرت معرفتها أحيانًا بمن الذي يقترب منها دون أن تراه أمرًا مسلمًا به. لم تدرك حتى هذه اللحظة أنه دومًا ما يكون شخصًا قد نجح علاجها له بما يشبه المعجزة. ولطالما عرفت متى ستنجح أدويتها بشكل يفوق التوقعات. لطالما أحست بنوع من اليقين عندما كانت تقول إن المحاصيل ستكون جيدة بشكل استثنائي، أو أن المطر سيأتي باكرًا أو متأخرًا. كانت تعتقد أن هذا ما يجب أن يكون عليه الأمر، لا يمكن لكل الحكيمات أن يصغين إلى الرياح، ولكن أفضلهن يمكنهن هذا. هذا ما كانت السيدة (باران) تقوله دومًا، تمامًا كما قالت إن (نانيف) ستكون واحدة من أفضلهن.

أبقت رأسها مطرقة وهي تتحدث كأنما تخاطب الأرض: «كان لديها الحمى كاسرة العظام، وكنت حينها لا أزال تلميذة السيدة (باران)، وقد أرسلتني لأراقب (إيجوين). كنت صغيرة ولم أكن أعرف أن الحكيمة قادرة تمامًا على الاعتناء بالأمر. إن مراقبة شخص مصاب بالحمى كاسرة العظام لهو أمر فظيع. كانت الطفلة تتصبب عرقًا وتتأوه وتتلوى، حتى أنني توقعت أن أسمع صوت عظامها وهي تنكسر. كانت السيدة (باران) قد أخبرتني أن الحمى ستنحسر في غضون يوم آخر أو يومين على الأكثر، ولكني ظننت أنها تخبرني بهذا لتهون عليَّ الأمر، ظننت أن (إيجوين) تحتضر. لقد اعتدت على الاعتناء بها من وقت لآخر عندما كانت طفلة صغيرة. عندما تكون أمها مشغولة. وبدأتُ في البكاء لأني سأُراقبها وهي تحتضر.

عندما عادت السيدة (باران) في غضون ساعة كانت الحمى قد انحسرت. لقد كانت متفاجئة، ولكنها أولت إليَّ اهتمامًا أكثر من (إيجوين)، لطالما اعتقدتُ أنها قد ظنتْ أنني أعطيتُ الطفلة شيئًا، وأنني كنت خائفة فلم أعترف بهذا. لطالما اعتقدت أنها كانت تحاول طمأنتي وأن تحرص على أن أعرف أنني لم أؤذِ (إيجوين). بعد أسبوع سقطت على الأرض في حجرة جلوسها وأنا أرتجف وقد ارتفعت درجة حرارتي. لقد دثَّرتني في الفراش ولكن بحلول وقت العشاء كان الأمر قد انتهى».

عندما انتهت من حديثها وضعت رأسها بين يديها. قالت لنفسها إن (الآيز سيداي) قد اختارت مثالًا جيدًا، فليحرقها (النور)! استخدام (القوة الواحدة) كواحدة من (الآيز سيداي). (آيز سيداي) قذرة صديقة للظلام!

قالت (مويرين): «لقد كنتِ محظوظة للغاية». فاعتدلت (ناينيف) في جلستها. تراجع (لان) إلى الوراء كأن ما تتحدثان عنه ليس من شأنه، وشغل نفسه بسرج (ماندارب) دون حتى أن يُلقي نظرة واحدة عليهما.

«محظوظة!».

«لقد استطعتِ أن تسيطري على (القوة الواحدة) بطريقة بدائية، رغم أن لمسك للمصدر الحقيقي كان يأتي في أوقات عشوائية. لو لم تفعلي هذا لقتلك الأمر في نهاية المطاف، كما سيقتل (إيجوين) أيضًا على الأرجح إن استطعتِ منعها من الذهاب إلى (تار ڤالون)».

قالت (ناينيف): «بما أنني تعلمت السيطرة على الأمر...». ثم ازدردت لعابها بقوة، كان الأمر أشبه بالاعتراف مرة أخرى بأن باستطاعتها أن تفعل ما قالته (الآيز سيداي). «بما أنني تعلمت السيطرة على الأمر فيمكنها هذا أيضًا، لا حاجة لأن تذهب إلى (تار ڤالون) وأن تتورط في مؤامراتك».

هزت (مويرين) رأسها ببطء وقالت: «(الآيز سيداي) يبحثن عن الفتيات اللاتي يمكنهن لمس (المصدر الحقيقي) من دون إرشاد، تمامًا كما يبحثن بحرص عن الرجال الذين يمكنهم فعل هذا. ليس رغبة في زيادة أعدادنا ـ أو على الأقل ليس هذا هو السبب الوحيد ـ وليس خوفًا من أن تسيء هؤلاء النساء استخدام (القوة الواحدة). إن السيطرة البدائية على (القوة الواحدة) التي قد يكتسبنها ـ إن أشرق (النور) عليهن ـ نادرًا ما تكون كافية لإحداث أي ضرر كبير، خاصة وأن اللمس الفعلي (للمصدر الحقيقي) هو أمر يفوق قدرتهن على السيطرة دون تدريب، ولا يأتي إلا في أوقات عشوائية. وهن بالطبع لا يعانين من الجنون الذي يدفع الرجال إلى الشر أو الأشياء الملتوية، نحن نرغب في أن ننقذ حياتهن، حياة هؤلاء اللاتي لا يستطعن السيطرة على الأمر مطلقًا».

قالت (ناينيف) بعناد: «ما عانيته من حمى وقشعريرة لا يمكن أن يقتل أحدًا، ليس في غضون ثلاث ساعات أو أربع. لقد عانيت أشياء أخرى أيضًا، ولا يمكنها بدورها أن تقتل أي شخص، ولقد توقفت بعد بضعة أشهر. فما الضير من هذا؟».

قالت (مويرين) بصبر: «لم تكن هذه الأشياء سوى ردود أفعال فقط، في كل مرة يقترب رد الفعل أكثر من اللمس الفعلي (للمصدر الحقيقي)، حتى يحدث الأمران معًا تقريبًا. بعد هذا لا يكون هناك المزيد من ردود الأفعال التي يمكن رؤيتها، ولكن الأمر وكأن هناك عدًّا تنازليًّا؛ عامًا، عامين. أنا أعرف امرأة استمرت لخمسة أعوام. من كل أربعة يولدون بالقدرة التي تملكينها أنتِ و(إيجوين) يموت ثلاثة إن لم نعثر عليهم وندربهم. إنها ليست ميتة فظيعة كما يموت الرجال، ولكنها ليست ميتة جميلة أيضًا، إن كان يمكن تسمية أي ميتة بهذا، تشنجات وصرخات. يستغرق الأمر أيامًا، وما إن يبدأ فلا يمكن لأحد أن يفعل شيئًا لإيقافه، ولا حتى كل (الآيز سيداي) في (تار ڤالون) معًا».

«أنتِ تكذبين، كل هذه الأسئلة التي سألتِها في (إيموندز فيلد)، لقد عرفتِ بشأن علاج حمى (إيجوين)، وعما انتابني من حمى وقشعريرة. لقد عرفتِ كل شيء. لقد اختلقتِ هذا الأمر برمته».

قالت (مويرين) برفق: «أنتِ تعرفين أنني لم أفعل هذا».

هزت (ناينيف) رأسها على مضض، كان هذا أكثر شيء تفعله على مضض في حياتها كلها. كانت محاولة أخيرة عنيدة لإنكار ما هو واضح، ولم يكن هناك أي فائدة من إنكار هذا، مهما كان بغيضًا. لقد ماتت تلميذة السيدة (باران) الأولى بنفس الطريقة التي وصفتها (الآيز سيداي) عندما كانت (ناينيف) لا تزال تلعب بالدمى، وكان هناك أيضًا امرأة شابة في (ديڤِن رايد) منذ بضع سنوات فقط. كانت تلميذة لحكيمة أيضًا، وكان بإمكانها الإصغاء إلى الرياح.

أكملت (مويرين) حديثها قائلة: «أعتقد أن لديك قدرات عظيمة كامنة، مع التدريب قد تصبحين حتى أقوى من (إيجوين)، وأنا أعتقد أن بإمكانها أن تصير واحدة من أقوى (الآيز سيداي) اللاتي رأينهن منذ قرون».

ابتعدت (ناينيف) عن (الآيز سيداي) كأنما تبتعد عن أفعى وقالت: «لا، لا أريد أن يكون لي أدنى علاقة بـ...». *بماذا؟ بنفسي*؟ ثم أطرقت برأسها مرة أخرى وقالت بصوت متردد: «هل يمكنك ألا تخبري أي شخص بهذا، أرجوكِ؟». كادت الكلمة أن تعلق في حلقها، كانت تفضل أن يظهر (ترولوك) أمامها على أن تقول أرجوكِ لهذه المرأة. ولكن (مويرين) لم تفعل شيئًا إلا أن أومأت برأسها في موافقة، فعاد إليها بعض من روحها المعنوية. «لا شيء من هذا يفسر ما تريدينه من (راند) و(مات) و(بيرين)».

أجابتها (مويرين): «(سيد الظلام) يريدهم، وإن كان (سيد الظلام) يريد شيئًا فأنا أعارضه. هل يمكن أن يكون هناك سبب أفضل أو أبسط من هذا؟». أنهت شايها وهي تراقب (ناينيف) من فوق حافة كوبها.

«يجب أن نتحرك يا (لان)، جنوبًا كما أعتقد. أخشى أن الحكيمة لن ترافقنا».

جزت (ناينيف) على أسنانها عندما سمعت الطريقة التي قالت بها (الآيز سيداي) كلمة «الحكيمة». بدت كأنما تشير إلى أنها تدير ظهرها إلى أشياء عظيمة من أجل شيء تافه. *إنها لا ترغب في أن أذهب معهما. إنها تحاول أن تستفزني لكي أعود إلى الديار وأتركهم وحدهم معها.* «لا، بل سأذهب معكما. لا يمكنكما أن تمنعاني من هذا».

قال (لان) وهو ينضم إليهما: «لا أحد يحاول منعك من الأمر». أفرغ غلاية الشاي فوق النار وقلَّب الرماد بغصن يابس. ثم قال مخاطبًا (مويرين): «جزء من النمط؟».

أجابته وهي تفكر: «ربما. كان يجب أن أتحدث إلى (مين) مرة أخرى».

«إن مجيئك معنا مرحب به كما ترين يا (ناينيف)». كان هناك تردد في الطريقة التي نطق بها (لان) اسمها، كأنما كاد أن يقول (سيداي) بعد اسمها.

أحست (ناينيف) بالغضب وقد اعتبرت الأمر سخرية منها، وغضبت أيضًا للطريقة التي يتحدثان بها عن أشياء أمامها - أشياء لا تعرف أي شيء عنها - دون تفسير هذه الأشياء لها من باب اللباقة، ولكنها لن تمنحهما الإحساس بالرضا بسؤالهما عنها.

واصل (الحامي) الاستعداد للمغادرة، وكانت حركاته المقتصدة دقيقة وسريعة، حتى أنه قد انتهى من الأمر بسرعة وقد عقد أكياس السرج والبطانيات وراء سرجي (ماندارب) و(آلديب).

بعد أن انتهى من آخر ربطة في السرج قال لـ(ناينيف): «سأُحضر حصانك».

سار بمحاذاة ضفة النهر فسمحت لنفسها بابتسامة صغيرة. بعد أن راقبتهما دون أن يكتشفها كان عازمًا أن يجد حصانها دون مساعدة. سيعرف أنها قد تركت القليل من الآثار بينما كانت تتسلل. سيكون من دواعي سرورها أن يعود خالي الوفاض.

قالت لـ(مويرين): «لماذا الجنوب؟ لقد سمعتك تقولين إن أحد الفتيان قد عبر النهر، كيف عرفتِ هذا؟».

«لقد أعطيت كل واحد من الفتيان عملة فضية صنعت رابطة بيننا، لذا ما دام أنهم على قيد الحياة وبحوزتهم هذه العملات فسأكون قادرة على العثور عليهم». التفتت عينا (ناينيف) إلى الاتجاه الذي سلكه (الحامي) فهزَّت (مويرين) رأسها وقالت: «ليس هكذا، إنها تسمح لي فقط باكتشاف إن كانوا لا يزالون على قيد الحياة، والعثور عليهم في حال أن افترقنا. ألا ترين أن هذا تصرفًا حكيمًا في ظل هذه الظروف؟».

قالت (ناينيف) بعناد: «لا يعجبني أي شيء يربطك بأي شخص من (إيموندز فيلد)، ولكن إن كان سيساعدنا في العثور عليهم...».

«سيساعدنا. كنت سألتقط الشاب الذي عبر النهر أولًا إن كان هذا بمقدوري». للحظة شاب الإحباط صوت (الآيز سيداي). «إنه على بعد بضعة أميال منا فقط، ولكن لا يمكنني تحمل إضاعة هذا الوقت، يجب أن يشق طريقه نحو (الجسر الأبيض) بأمان الآن وقد رحل (الترولوكيون). الاثنان اللذان يتحركان مع النهر قد يكونان بحاجة إليَّ أكثر منه، لقد فقدا عملتيهما، و(الميردرال) يحاولون إما ملاحقتهما وإما اعتراض طريقنا جميعًا عند (الجسر الأبيض)». ثم تنهدت وقالت: «يجب أن أعتني بالحاجة الأكبر أولًا».

قالت (ناينيف): «هل يمكن أن يكون (الميردرال) قد... قتلوهما؟».

هزَّت (مويرين) رأسها قليلًا نافية هذا الاقتراح، كأنه أمر تافه لا يجب وضعه في الاعتبار. جزَّت (ناينيف) على أسنانها ثم قالت: «أين (إيجوين) إذن؟ أنت لم تذكريها حتى».

اعترفت (مويرين) قائلة: «لا أعرف، ولكني آمل أنها بأمان».

«لا تعرفين؟ تأملين؟ كل هذا الحديث عن إنقاذ حياتها بأخذها إلى (تار فالون) وأنتِ لا تعرفين إن كانت حية أم ميتة!».

«يمكنني أن أبحث عنها وأمنح (الميردرال) المزيد من الوقت قبل أن أصل لمساعدة الشابين اللذين اتجها جنوبًا. إن (سيد الظلام) يريدهما هما وليس هي. إنهم لن يبالوا بـ(إيجوين) ما دام أنهم لم يمسكوا بطريدتهم الأساسية بعد».

تذكرت (ناينيف) مواجهتها مع (الترولوكيين)، ولكنها رفضت الاعتراف بالمنطق فيما تقوله (مويرين). «إذن فأفضل ما لديكِ لتقترحيه هو أنها قد تكون على قيد الحياة إن كانت محظوظة. على قيد الحياة، ربما وحدها، وخائفة، أو حتى مصابة. على بعد أيام من أقرب قرية أو مساعدة عدانا، وأنت تنوين تركها».

«يمكن ببساطة أن تكون آمنة مع الفتى الذي عبر النهر، أو في طريقها إلى (الجسر الأبيض) مع الاثنين الآخرين. على أي حال لم يعد هناك (ترولوكيون) هنا لتهديدها، وهي قوية وذكية وقادرة تمامًا على شق طريقها وحدها إلى (الجسر الأبيض) إن تطلب الأمر. هل تفضلين أن تبقي هنا على فرضية أنها قد تكون بحاجة للمساعدة، أم تريدين أن تحاولي مساعدة هذين اللذين نعرف أنهما بحاجة للمساعدة؟ هل تفضلين أن أبحث عنها وأترك الفتيان، و(الميردرال) الذين يبحثون عنهم بالتأكيد، يذهبون؟ بقدر ما آمل أن تكون (إيجوين) بسلام يا (ناينيف) فإنني أقاتل (سيد الظلام)، وهذا هو ما يحدد مساري».

لم يتزعزع هدوء (مويرين) وهي تذكر هذه البدائل الفظيعة، فأرادت (ناينيف) أن تصرخ في وجهها. أغمضت عينيها لتكبح دموعها وأدارت وجهها بعيدًا عن (الآيز سيداي) لكيلا ترى هذا. بحق (*النور*)، *من المفترض بالحكيمة أن تعتني بجميع قومها، لِمَ يجب عليَّ أن أختار هكذا*؟

قالت (مويرين): «ها قد جاء (لان)». ثم رفعت عباءتها ووضعتها حول كتفيها.

بالنسبة لـ(ناينيف) لم يكن خروج (الحامي) بحصانها من بين الأشجار إلا ضربة صغيرة، رغم هذا ضمت شفتيها عندما ناولها الزمام. كان من الممكن أن ترتفع روحها المعنوية قليلًا لو كان هناك أدنى أثر من الشماتة على وجهه، بدلًا من هذا الهدوء الجامد الذي لا يُطاق. اتسعت عيناه عندما رأى وجهها فأدارت ظهرها له لتمسح دموعها من على وجنتيها. *كيف يجرؤ على السخرية من بكائي!*

سألتها (مويرين) بهدوء: «هل ستأتين معنا أيتها الحكيمة؟».

ألقت نظرة أخيرة بطيئة على الغابة، متسائلة إن كانت (إيجوين) هناك، قبل أن تمتطي حصانها بأسى. كان (لان) و(مويرين) بالفعل على سرجيهما وقد أدارا حصانيهما ناحية الجنوب.

تبعتهما بظهر متيبس وقد رفضت أن تسمح لنفسها بالنظر إلى الوراء، وبدلًا من هذا أبقت عينيها على (مويرين). قالت لنفسها إن (الآيز سيداي) واثقة للغاية من قوتها وخططها، ولكن إن لم يعثروا على (إيجوين) والفتيان، جميعهم على قيد الحياة ودون أن يمسسهم أذى، فإن كل قوتها لن تحميها، ولن تحميها (القوة الواحدة). *يمكنني أن أستخدمها يا امرأة! لقد أخبرتني بهذا بنفسك. يمكنني أن أستخدمها ضدك!*

الفصل الثاني والعشرون

اختيار المسار

في أيكة صغيرة من الأشجار تحت كومة من أغصان الأَرْز التي قُطِعت كيفما اتفق في الظلام نام (بيرين) إلى ما بعد شروق الشمس بوقت طويل. كانت أشواك الأَرْز التي تخزه من بين ملابسه التي لا تزال رطبة هي ما أقلقت أخيرًا نومه المجهد. في عمق حلمه عن (إيموندز فيلد) وعن العمل في ورشة السيد (لوهان) فتح عينيه وحدق بلا استيعاب إلى الأغصان ذات الرائحة الحلوة المتشابكة على وجهه، وضوء الشمس يتسلل من خلالها.

سقطت معظم الأغصان وهو يعتدل جالسًا في دهشة، ولكن بعضها تعلَّق بشكل عشوائي بكتفيه ورأسه، مما جعله يبدو وكأنه شجرة هو أيضًا. تلاشت (إيموندز فيلد) بينما الذاكرة تندفع عائدة إليه. كانت الذكريات واضحة للغاية حتى أن الليلة السابقة بدت للحظة حقيقية أكثر من أي شيء حوله في تلك اللحظة.

أخذ يلهث وهو ينتزع فأسه بشكل محموم من بين كومة الأغصان. أمسكه بكلتا يديه وهو يختلس النظر حوله بحذر حابسًا أنفاسه. لم يتحرك أي شيء. كان الصباح باردًا وساكنًا. إن كان هناك (ترولوكيون) على الضفة الشرقية لـ(نهر آرينيل) فإنهم لا يتحركون، أو على الأقل ليس بالقرب

منه. أخذ نفسًا عميقًا ليتمالك نفسه، ثم خفض فأسه إلى ركبتيه وانتظر للحظة حتى يهدأ خفقان قلبه.

كانت أجمة الأشجار دائمة الخضرة الصغيرة المحيطة به هي أول مأوى قد عثر عليه في الليلة الماضية، كانت على قلة أشجارها كافية لتوفير القليل من الحماية في وجه الأعين المراقبة إذا اعتدل واقفًا. انتزع الأغصان من رأسه وكتفيه ثم دفع بقية الغطاء الشائك جانبًا قبل أن يزحف على يديه وركبتيه إلى حافة الأيكة. استلقى هناك يتفحص ضفة النهر وهو يحك الأماكن التي وخزته فيها الأشواك.

كانت رياح الليلة السابقة قد هدأت، حتى صارت نسيمًا صامتًا بالكاد يُمَوّج سطح الماء. كان النهر يتدفق هادئًا وخاويًا وواسعًا. بالتأكيد كان واسعًا وعميقًا أكثر من قدرة (العواتم) على عبوره. بدت الضفة البعيدة ككتلة صلبة من الأشجار على امتداد بصره مع اتجاه التيار وعكسه. لم يكن هناك شيء يتحرك على مرمى بصره بالتأكيد.

لم يكن واثقًا من شعوره حيال الأمر. يمكنه مواصلة طريقه في ظل عدم وجود (العواتم) و(الترولوكيين) بسهولة شديدة، حتى على الجانب الآخر من النهر، ولكن قائمة طويلة من المخاوف كانت لتختفي مع ظهور (الآيز سيداي) أو (الحامي) أو الأفضل أي من أصدقائه. إن كانت الأمنيات أجنحة فيمكن للأغنام أن تطير، هذا ما كانت السيدة (لوهان) تقوله دومًا.

لم يرَ أدنى أثر لحصانه منذ أن سقط من فوق الضفة، كان يأمل أنه قد سبح خارج النهر بأمان، ولكنه كان معتادًا على المشي أكثر من ركوب الخيل على أي حال، وكان حذاؤه متينًا ونعله قوي. لم يكن لديه ما يأكله، ولكن مقلاعه كان لا يزال ملفوفًا حول خصره، وباستخدامه أو باستخدام الفخ الصغير في جيبه فإنه سيقدر على صيد أرنب في وقت قصير. كان كل شيء يُستخدم لإعداد النار قد ضاع مع أكياس سرجه،

ولكن مع قليل من العمل يمكنه أن يصنع حطبًا سريع الاشتعال وقوس نار من أشجار الأَرْز.

ارتجف عندما هب النسيم على مخبئه. كانت عباءته في مكان ما في النهر، وكان معطفه وكل شيء يرتديه لا يزال رطبًا وباردًا بسبب مياه النهر. لقد كان متعبًا للغاية ليلة الأمس، حتى أن لم يُبالِ بالبرودة والرطوبة، ولكنه الآن كان مستيقظًا تمامًا ويشعر بكل قشعريرة باردة. في الوقت ذاته قرر ألا يُعلِّق ملابسه على الأغصان لكي تجف، لم يكن النهار باردًا تمامًا، ولكنه أبعد ما يكون عن الدفء.

تنهد وهو يفكر أن الوقت هو المشكلة. وقت قليل على تجفيف ملابسه، وقت قليل لصيد أرنب وصنع نار ليشويه عليها. قرقرت معدته فحاول أن ينسى بشأن تناول الطعام تمامًا، هناك أشياء أكثر أهمية يمكن أن يستغل وقته فيها. شيء واحد في المرة، والأكثر أهمية أولًا. كانت هذه هي طريقته.

تتبعت عيناه تدفق تيار (آرينيل) القوي. كان سباحًا أقوى من (إيجوين). لو كانت قد عبرت النهر... لا، لا يوجد لو. سيكون المكان الذي عبرت منه النهر أمامه مع اتجاه التيار. أخذ ينقر على الأرض بأصابعه وهو يزن الأمر ويدرسه.

حسم أمره فلم يُضع وقتًا في حمل فأسه والسير بمحاذاة النهر مع اتجاه التيار.

كان هذا الجانب من (آرينيل) يفتقد إلى الغابة الكثيفة الموجودة على الضفة الغربية. كان هناك مجموعات من الأشجار متناثرة على ما بدا أنه سيكون أرضًا عشبية إذا جاء الربيع يومًا. كان بعضها كبيرًا بما يكفي لتسميتها أجمة، مع مساحات واسعة من الأشجار دائمة الخضرة بين أشجار المران وجار الماء والكافور الخالية من الأوراق. مع حركته مع اتجاه

التيار بدأت مجموعات الأشجار تصير أقل عددًا وكثافة. كانت تمثل غطاءً سيئًا ولكنها كانت الغطاء الوحيد الموجود.

كان يندفع من أجمة إلى أخرى وهو منحنٍ، ملقيًا نفسه لأسفل ليتفحص ضفتي النهر؛ القريبة والبعيدة. لقد قال (الحامي) إن النهر سيكون عائقًا بالنسبة لـ(العواتم) و(الترولوكيين)، ولكن هل سيكون عائقًا حقًّا؟ قد تكون رؤيته كافية للتغلب على إحجامهم عن عبور المياه العميقة، لذا كان يراقب بحذر من وراء الأشجار، قبل أن يركض من موضع اختبائه إلى الموضع التالي، بسرعة وانخفاض.

قطع عدة أميال بهذه الطريقة في اندفاعات متقطعة. وفجأة في منتصف الطريق إلى المخبأ التالي؛ أجمة من أشجار الصفصاف، توقف في موضعه شاهقًا وهو يحدق إلى الأرض؛ كان هناك بقع من الأرض عارية من الحشائش مما كشف عن التراب البني الذي يغطيها، وفي منتصف واحدة من هذه البقع تحت أنفه بالضبط ظهرت آثار حوافر واضحة. ارتسمت ابتسامة على وجهه ببطء؛ بعض (الترولوكيين) لديهم حوافر، ولكنه يشك أن أيًّا منهم يرتدي حدوات حصان، وخصوصًا حدوات حصان بعوارض متقاطعة يضيفها السيد (لوهان) لتعزيز قوتها.

بدأ يبحث عن المزيد من الآثار وقد نسي احتمالية أن يكون هناك أعين تراقبه على الجانب الآخر من النهر. لم تنطبع الآثار بشكل جيد على الأعشاب الميتة المتشابكة التي تغطي الأرض، ولكن عينيه الحادتين استطاعتا العثور عليها على أي حال. اقتاده الأثر الضئيل مباشرة بعيدًا عن النهر إلى أجمة كثيفة من أشجار الكاسندرا والأَرْز، تصنع سورًا حاميًا في وجه الرياح والأعين المتطفلة. كانت أغصان شجرة شوكران وحيدة تعلو في منتصف الأجمة.

كان لا يزال مبتسمًا وهو يشق طريقه بين الأغصان المتشابكة، غير عابئٍ بكم الضوضاء التي يصدرها. فجأة خطا إلى منطقة صغيرة خاوية من الأشجار أسفل شجرة الشوكران، فتوقف في موضعه. من وراء نيران صغيرة كانت (إيجوين) جاثمة بوجه متجهم وهي تمسك غصنًا سميكًا في يدها كأنها هراوة، وقد أولت ظهرها إلى جانب (بيلا).

قال بلهجة تحمل بعض الخجل: «أعتقد أنه كان يجب عليَّ أن أنادي».

ألقت هراوتها جانبًا وركضت لتحتضنه بذراعيها قبل أن تقول: «ظننت أنك قد غرقت. أنت لا تزال مبتلًّا. تعالَ، اجلس بجوار النار ودفِّئ نفسك. لقد فقدت حصانك، أليس كذلك؟».

تركها تدفعه بالقرب من النار، ثم راح يفرك كفيه فوق ألسنة اللهب وقد أحس بالامتنان للدفء. أخرجت حزمة ورقية ملطخة بالزيت من أكياس سرجها وأعطته بعض الخبز والجبن. كانت الحزمة محكمة الغلق حتى أن الطعام كان جافًّا، حتى بعد سقوطه في الماء. *لقد كنت قلقًا عليها، بينما هي تُبلي بشكل أفضل منك.*

قالت (إيجوين) وهي تربت على الفرس الشعثاء: «لقد ساعدتني (بيلا) على عبور النهر. لقد توجهت مبتعدة عن الترلوكيين وسحبتني معها. لم أرَ أي شخص آخر يا (بيرين)».

سمع السؤال الذي لم تطرحه فنظر بأسف إلى الحزمة التي كانت تعيد ربطها وهو يلعق آخر الفتات من أصابعه، قبل أن يقول: «لم أرَ أحد سواكِ منذ الليلة الماضية. ولكن على الجانب الآخر لم أرَ أي (عواتم) أو (ترولوكيين) أيضًا».

قالت (إيجوين): «يجب أن يكون (راند) بخير». ثم أضافت على الفور: «جميعهم سيكونون بخير، إنهم على الأرجح يبحثون عنا الآن، قد يعثرون علينا في أي لحظة الآن. إن (مويرين) من (الآيز سيداي) على كل حال».

قال: «أنا أُذَكَّر بهذا دومًا، بحق (النور)، أتمنى لو أنسى».

قالت (إيجوين) بشكل لاذع: «لم أسمعك تشتكي عندما منعَتْ (الترولوكيين) من الإمساك بنا».

هزَّ كتفيه وقد أحس بعدم الارتياح مع نظرتها الثابتة، ثم قال: «أتمنى فقط لو أن بإمكاننا الاستغناء عنها، ولكني أفترض أننا لن نستطيع هذا، لقد كنت أفكر في الأمر». رفعت حاجبيها، ولكنه كان معتادًا على الاندهاش كلما زعم أن لديه فكرة. حتى عندما تكون أفكاره جيدة كأفكارهم فإنهم دومًا ما يتذكرون تفكيره المتأني فيها. «يمكننا أن ننتظر (لان) و(مويرين) حتى يعثرا علينا».

قالت على الفور: «بالطبع، لقد قالت (مويرين سيداي) إنها ستعثر علينا إن تفرقنا».

تركها تكمل جملتها ثم قال: «أو يمكن أن يعثر علينا (الترولوكيون) أولًا، يمكن أن تكون (مويرين) ميتة أيضًا، يمكن أن يكون جميعهم ميتين. لا يا (إيجوين)، أعتذر، ولكن هذا وارد. آمل أنهم جميعًا بأمان، آمل أن يأتوا إلى هذه النار في أي لحظة، ولكن الأمل يكون كالقشة عندما تغرقين، لن يكون كافيًا لأن ينجيك وحده».

أطبقت (إيجوين) فكيها وحدقت إليه، ثم قالت أخيرًا: «ما رأيك في الذهاب بمحاذاة النهر مع اتجاه التيار، حتى نصل إلى (الجسر الأبيض)؟ إن لم تجدنا (مويرين سيداي) هنا فسيكون ذلك هو المكان التالي الذي تبحث فيه عنا».

قال ببطء: «أفترض أن (الجسر الأبيض) هو المكان الذي يجب أن نذهب إليه، ولكن (العواتم) يعرفون هذا أيضًا على الأرجح، سيكون هذا هو المكان الذي سيبحثون فيه عنا، وهذه المرة ليس معنا (آيز سيداي) أو (حامي) للدفاع عنا».

«أفترض أنك ستقترح الهرب إلى مكان آخر، كما كان يريد (مات)؟ الاختباء في مكان لن يجدنا فيها (العواتم) و(الترولوكيون)؟ أو (مويرين سيداي) أيضًا؟».

قال بهدوء: «لا تظني أنني لم أفكر في الأمر، ولكن في كل مرة أعتقد فيها أننا أحرار يعثر علينا (العواتم) و(الترولوكيون) مرة أخرى. لا أعرف إن كان هناك أي مكان يمكننا أن نختبئ فيه منهم. لا يعجبني هذا كثيرًا ولكننا بحاجة إلى (مويرين)».

«أنا لا أفهم إذن يا (بيرين)، إلى أين يجب أن نذهب؟».

نظر إليها في دهشة، إنها تنتظر إجابته، تنتظر منه أن يخبرها بما يجب فعله. لم يخطر بباله قط أنها قد تنتظر منه أن يتولى زمام الأمور. لم تحب (إيجوين) قط أن تفعل ما قد خطط له شخص آخر، ولم تسمح لأحد قط بأن يخبرها ما يجب أن تفعله، ربما باستثناء الحكيمة. ولقد خُيِّل إليه أحيانًا أنها ترفض هذا أيضًا.

مسح بيده على الأرض الترابية أمامه قبل أن يتنحنح ويقول: «إن كنا نحن هنا، و(الجسر الأبيض) هنا». ثم رسم نقطتين على الأرض بإصبعه. «إذن فيجب أن تكون (كايملين) في مكان ما هنا». رسم نقطة ثالثة على الجانب.

صمت وهو ينظر إلى النقاط الثلاثة على التراب. كانت خطته بالكامل مستندة إلى ما يتذكره من خريطة والدها القديمة. قال السيد (ألڤير) إنها لم تكن دقيقة تمامًا، وعلى أي حال لم يكن يغرق في أحلام اليقظة أمامها كما كان (راند) و(مات) يفعلان. ولكن (إيجوين) لم تقل شيئًا. عندما نظر إليها كانت لا تزال تراقبه وقد وضعت يديها في حجرها.

قالت في دهشة: «(كايملين)؟».

رسم خطًّا في التراب بين نقطتين وهو يقول: «(كايملين) بعيدة عن النهر، وعلى الجانب الآخر مباشرة، لن يتوقع أحد هذا، سننتظرهم في (كايملين)». ثم نفض الغبار عن يديه وانتظر. كان يرى أنها خطة جيدة، ولكنه كان واثقًا من أنها ستعترض عليها. كان يتوقع أنها سترغب في تولي زمام الأمور. لطالما تنمرت عليه حتى يفعل ما تريده. ولم يكن يمانع هذا.

لدهشته أومأت برأسها وقالت: «سيكون هناك قرى بلا شك، يمكننا أن نسألهم عن الاتجاهات».

قال (بيرين): «ما يقلقني هو ما يجب أن نفعله إن لم تعثر (الآيز سيداي) علينا هناك. من كان يظن أنني سأقلق حيال شيء كهذا بحق (النور)؟ ماذا لو لم تأتِ إلى (كايملين)؟ ربما تعتقد أننا ميتان، ربما ستأخذ (راند) و(مات) مباشرة إلى (تار ڤالون)».

قالت (إيجوين) بحزم: «لقد قالت (مويرين سيداي) إن باستطاعتها العثور علينا، إن كان باستطاعتها العثور علينا هنا فإن باستطاعتها العثور علينا في (كايملين)، وسوف تفعل هذا».

أومأ (بيرين) برأسه ببطء ثم قال: «كما ترين، ولكن إن لم تظهر في (كايملين) في غضون بضعة أيام فسنذهب إلى (تار ڤالون) ونعرض قضيتنا على (عرش أميرلين)». أخذ نفسًا عميقًا. قبل أسبوعين مضيا لم يكن قد رأى (آيز سيداي) حتى، والآن يتحدث عن (عرش أميرلين). بحق (النور)! «يوجد طريق يؤدي إلى هناك من (كايملين) بحسب ما قاله (لان)». نظر إلى الحزمة الورقية الملطخة بالزيت الموضوعة بجوار (إيجوين) ثم تنحنح قبل أن يقول: «هل يتصادف أن معك المزيد من الخبز والجبن؟».

قالت: «قد نضطر إلى الحفاظ على هذا لفترة طويلة، ما لم يكن لديك حظ أفضل مع الأفخاخ من حظ ليلة الأمس. على الأقل كان صنع النار سهلًا». ثم ضحكت بهدوء كأنما قد ألقت نكتة، قبل أن تعيد الحزمة إلى أكياس سرجها.

يبدو أن هناك حدودًا لمقدار ما هي مستعدة لقبوله من قيادته. قرقرت معدته فقال وهو يعتدل واقفًا: «في هذه الحالة فربما من الأفضل أن نبدأ الآن».

قالت باحتجاج: «ولكنك لا تزال مبتلًّا».

قال بحزم: «سأجف أثناء السير». ثم بدأ يركل التراب فوق النار. إن كان هو القائد فقد حان الوقت لبدء القيادة. كانت الرياح التي تهب من النهر تزداد قوة.

الفصل الثالث والعشرون

قرين الذئاب

كان (بيرين) يعرف من البداية أن الرحلة إلى (كايملين) لن تكون مريحة على الإطلاق، بدءًا من إصرار (إيجوين) على أن يتناوبا امتطاء (بيلا). قالت إنهما لا يعرفان مدى بعد المسافة، ولكنها أبعد بكثير من أن تمتطي الفرس وحدها. كانت تحدق إليه بفم مطبق دون أن ترمش بعينيها.

قال لها: «أنا أضخم من أن أمتطي (بيلا)، كما أنني معتاد على المشي وأُفضّله».

قالت (إيجوين) بحدة: «وهل أنا غير معتادة على المشي؟».

«ليس هذا ما...».

«هل من المفترض أن أعاني وحدي من آلام امتطاء السرج؟ وعندما تمشي حتى لا تقوى قدماك على حملك ستنتظر مني أن أعتني بك».

قال لها: «كما تشائين». ثم أخذ نفسًا عميقًا عندما بدا أنها على وشك أن تُكمل حديثها وقال: «على أي حال سيكون دورك أنت أولًا في امتطاء الفرس». اكتسى وجهها بمزيد من العناد ولكنه رفض أن يسمح لها أن تقول كلمة أخرى قائلًا: « إن لم تصعدي إلى السرج بنفسك فسوف أضعك عليه».

نظرت إليه بدهشة ثم ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيها وهي تقول: «في هذه الحالة...». بدت كأنها على وشك الضحك ولكنها صعدت إلى السرج.

تمتم لنفسه وهو يستدير مبتعدًا عن النهر. إن القادة في الحكايات لم يضطروا لتحمل مثل هذه الأشياء.

أصرت (إيجوين) بالفعل على أن يأخذ دوره، وكلما حاول تجنب هذا كانت تتنمر عليه حتى يمتطي السرج. لم تكن الحدادة مناسبة للأجسام النحيفة، ولم تكن (بيلا) ضخمة كعادة الخيول. في كل مرة كان يضع قدمه في الركاب كانت الفرس الشعثاء تنظر إليه بنظرة كان واثقًا أنها تحمل عتابًا. ربما تكون أشياء صغيرة ولكنها كانت مزعجة. سرعان ما صار يجفل كلما قالت (إيجوين): «حان دورك يا (بيرين)».

نادرًا ما يجفل القادة في الحكايات، ولم يتعرضوا للتنمر قط. ولكنه قال لنفسه إنهم أيضًا لم يضطروا للتعامل مع (إيجوين).

لم يكن هناك سوى مؤن قليلة من الخبز والجبن من البداية، التي نفدت مع نهاية اليوم الأول. نصب (بيرين) الأفخاخ على ما يبدو أنها مسارات أرانب . لقد بدت قديمة ولكن الأمر يستحق المخاطرة . بينما بدأت (إيجوين) تعد النار. عندما نفد صبره قرر أن يجرب مقلاعه قبل أن يختفي الضوء تمامًا. لم يرَ أي أثر لأي شيء حي على الإطلاق، ولكن... لدهشته أصاب أرنبًا هزيلًا، تقريبًا على الفور. لقد اندهش عندما رآه يندفع من تحت شجيرة تحت قدميه تمامًا، وكاد أن يهرب منه ولكنه أصابه على مسافة أربعين خطوة، في نفس الوقت الذي كان يحاول فيه أن ينعطف وراء شجرة.

عندما عاد إلى المخيم مع الأرنب كانت (إيجوين) قد وضعت كومة من الأغصان المكسورة لإشعال النار، ولكنها كانت جاثية على ركبتيها أمام

الكومة وقد أغلقت عينيها. «ما الذي تفعلينه؟ لا يمكنك أن تشعلي النار بالتمني».

جفلت (إيجوين) مع كلماته الأولى، ثم التفتت لتحدق إليه وقد وضعت يدها على صدرها، قبل أن تقول: «أنت... لقد أفزعتني».

قال وهو يرفع الأرنب: «لقد كنت محظوظًا، فلتحضري مقداحك وزنادك، سنأكل جيدًا هذه الليلة على الأقل».

قالت ببطء: «ليس معي مقداحًا، لقد كان في جيبي وضاع مني في النهر».

«كيف إذن...؟».

«لقد كان الأمر سهلًا للغاية هناك على ضفة النهر، بنفس الطريقة التي علمتني إياها (مويرين سيداي). فقط مددت يدي و...». أشارت بيدها كأنما على وشك الإمساك بشيء ما، ثم تركت يدها تسقط إلى جوارها وهي تتنهد قائلة: «لا يمكنني العثور عليها الآن».

لعق (بيرين) شفتيه بتوتر وقال: «قوة... (القوة الواحدة)؟». أومأت برأسها فحدق إليها وقال: «هل أنتِ مجنونة؟ أعني... (القوة الواحدة)! لا يمكنكِ أن تتلاعبي بشيء كهذا بمثل هذه البساطة».

«لقد كان الأمر سهلًا للغاية يا (بيرين). يمكنني فعله، يمكنني تسخير (القوة الواحدة)».

أخذ نفسًا عميقًا وقال: «سأصنع قوس نار يا (إيجوين)، عديني ألا تجربي... هذا... هذا... الشيء مرة أخرى».

قالت: «لا». اكتسى وجهها بعناد جعله يتنهد. «هل يمكنك أن تتخلى عن فأسك هذا يا (بيرين آيبارا)؟ هل يمكنك أن تمشي وإحدى يديك مقيدة وراء ظهرك؟ أنا لن أفعل هذا!».

قال في تعب: «سأصنع قوس النار. على الأقل لا تحاولي فعل هذا الأمر مرة أخرى هذه الليلة؟ من فضلك؟».

أذعنت له على مضض، وحتى بعد شوي الأرنب على سفود فوق النار راوده إحساس أنها تشعر أنها كان بإمكانها أن تفعل الأمر بشكل أفضل. لم تتخلَّ عن المحاولة أيضًا كل ليلة، رغم أن أفضل ما استطاعت فعله هو خيط من الدخان اختفى تقريبًا على الفور. كانت عيناها تتحديانه أن يقول أي كلمة، ولكنه أبقى فمه مغلقًا بشكل حكيم.

بعد هذه الوجبة الساخنة الوحيدة اقتاتا على الدرنات البرية وعدد من البراعم الصغيرة. لم يكن عددها كبيرًا ـ في ظل عدم وجود أدنى أثر للربيع ـ ولم يكن أي منها لذيذًا أيضًا. لم يشتكِ أي منهما، ولكن لم تمر أي وجبة دون أن يتنهد أحدهما بحسرة وكان كلاهما يشتاق إلى مذاق قطعة من الجبن أو حتى رائحة الخبز. إن العثور على فطر ـ فطر تيجان الملكة في أفضل الأحوال ـ بعد ظهيرة يوم ما، في جزء ظليل من الغابة، كان كافيًا ليمثل لهما وجبة عظيمة. كانا يلتهمان الفطر في نهم، ويضحكان، ويحكيان حكايات عن الأوقات التي قضياها في (إيموندز فيلد)، حكايات تبدأ دومًا بـ «هل تذكر عندما...»، أو «هل تذكرين عندما...». ولكن الفطر لم يستمر لوقت طويل، وكذلك الضحك. لم يكن هناك الكثير من المرح في الجوع.

أي من يكون عليه الدور في المشي منهما كان يحمل مقلاعًا مستعدًّا لإطلاق حجر عند رؤية أرنب أو سنجاب، ولكن المرة الوحيدة التي أطلق فيها أحدهما حجرًا كانت في إحباط. الأفخاخ التي ينصبانها بحرص كل ليلة لا تحمل شيئًا عند الفجر. ولم يجرؤا على البقاء نهارًا في مكان واحد لنصب الأفخاخ. لم يكن أي منهما يعرف كم تبعد (كايملين)، ولن يشعر أي منهما بالأمان ـ إن كان من الممكن أن يشعرا به ـ حتى يصلا إلى هناك. بدأ (بيرين) يتساءل إن كانت معدته من الممكن أن تنكمش بما يكفي لحفر ثقب في منتصف جسده.

لقد رأى أنهما قضيا وقتًا ممتعًا، ولكن بينما يبتعدان أكثر وأكثر عن (نهر آرينيل) دون أن يريا قرية أو حتى مزرعة ـ حيث يمكنهما أن يسألا عن الاتجاهات ـ بدأ شكه في خطته يتزايد. حافظت (إيجوين) على مظهر الثقة الخارجي كما كانت عندما انطلقا في رحلتهما، ولكنه كان واثقًا أنها عاجلًا أو آجلًا ستقول إنه كان من الأفضل أن يخاطرا بمواجهة (الترولوكيين) بدلًا من أن يهيما على وجهيهما ضائعين لبقية حياتهما. لم تقل هذا ولكنه كان يتوقعه باستمرار.

بعد مسيرة يومين من النهر، تغيرت الأرض إلى تلال بغابات كثيفة يُحكم آخر الشتاء قبضته عليها كأي مكان آخر، وبعد يومٍ آخر صارت الأرض منبسطة مرة أخرى، وتخللت الغابات الكثيفة مساحات خالية من الأشجار، عادة باتساع ميل أو أكثر. كان الثلج لا يزال كامنًا في الأغوار المخفية، والهواء مثير للقشعريرة في الصباح، والرياح باردة دومًا. لم يريا في أي مكان طريقًا أو حقلًا محروثًا أو دخان مدخنة في الأفق، أو أدنى أثر على مساكن بشرية، أو على الأقل لم يريا مساكن لا يزال يقطن بها البشر.

في إحدى المرات رأيا بقايا سور حجري طويل يحيط بقمة تل، وكان هناك أجزاء من بيوت حجرية غير مسقوفة بداخل الدائرة المتهدمة. كانت الغابة قد ابتلعتها منذ وقت طويل، فقد نمت الأشجار من خلال كل شيء، وغطت شباك العناكب القديمة الكتل الحجرية الضخمة. في مرة أخرى وصلا إلى برج حجري قد انكسرت قمته واكتسى بلون بني بفعل الطحالب القديمة، يميل مستندًا إلى شجرة بلوط ضخمة كانت جذورها السميكة تسقطه ببطء. ولكنهما لم يعثرا على أي مكان يوجد فيه أدنى أثر لذكرى الناس الذين عاشوا فيه. جعلتهما ذكرى (شادار لوجوث) يبقيان بعيدًا عن الأطلال ويسرعان الخطى حتى يتعمقا مرة أخرى في أماكن يبدو أنه لم تخطُ بها قدم إنسان.

عانى (بيرين) من الأحلام المخيفة في نومه. كان (بعلزمون) في أحلامه يطارده عبر متاهات، يحاول صيده، ولكن (بيرين) لم يلتقِ به حسبما يتذكر وجهًا لوجه. وكانت رحلتهما كافية لإصابتهما ببعض الأحلام السيئة. اشتكت (إيجوين) من كوابيس عن (شادار لوجوث)، وخصوصًا في الليلتين اللتين تلتا عثورهما على الحصن المتهدم والبرج المهجور. أبقى (بيرين) أحلامه لنفسه، حتى عندما يستيقظ متعرقًا ومرتجفًا في الظلام. كانت تتطلع إليه ليقودهما بأمان إلى (كايملين)، لا أن تشاركه مخاوف لا يمكنهما فعل أي شيء حيالها.

كان يمشي عند رأس (بيلا) متسائلًا إن كانا سيجدان أي شيء ليأكلاه هذا المساء عندما اشتم الرائحة لأول مرة، في اللحظة التالية نفخت الفرس منخاريها ولوحت برأسها، فأمسك بشكيمتها قبل أن تتمكن من الصهيل.

قالت (إيجوين) بحماس: «إنه دخان». ثم مالت إلى الأمام في سرجها وأخذت نفسًا عميقًا قبل أن تقول: «نيران طهي، أحدهم يشوي طعامًا، أرنب».

قال (بيرين) بحذر: «ربما». فتلاشت ابتسامتها المتلهفة. بدلًا من مقلاعه أمسك بفأسه ذي النصل الحاد الذي يشبه نصف قمر. فتح يديه وقبضهما في تردد على المقبض السميك. إنه سلاح، ولكن تدريباته السرية وراء ورشة الحدادة أو حتى توجيهات (لان) لم يؤهلاه لاستخدامه كسلاح. حتى المعركة التي سبقت (شادار لوجوث) كانت مبهمة للغاية في عقله على أن تمنحه أي ثقة. أيضًا لم يستطع قط أن يحقق هذا الخواء الذي تحدث عنه (راند) و(الحامي).

كان ضوء الشمس يتسلل من بين الأشجار من ورائهما، والغابة كتلة ساكنة من الظلال المتشابكة. كانت رائحة دخان الحطب تنجرف من حولهما معبقة برائحة اللحم المطهو. قال لنفسه إنه قد يكون أرنب،

فقرقرت معدته، ولكنه ذَكَّر نفسه أنه قد يكون شيئًا آخر. نظر إلى (إيجوين) فوجدها تراقبه، إن هناك مسئوليات تترتب على كونك القائد.

قال بصوت خافت: «انتظري هنا». فعقدت حاجبيها وفتحت فمها ولكنه قاطعها قائلًا: «وكوني هادئة، نحن لا نعرف مَنْ هناك بعد». أومأت برأسها على مضض. تساءل (بيرين) لماذا لم ينجح الأمر عندما كان يحاول إقناعها بأخذ دوره في ركوب الفرس. أخذ نفسًا عميقًا ثم توجه ناحية مصدر الدخان.

إنه لم يقضِ وقتًا طويلًا في الغابات المحيطة بـ(إيموندز فيلد) مثل (راند) أو (مات)، ولكنه مع هذا قد اصطاد الأرانب مرات عديدة. تسلل من شجرة إلى أخرى دون حتى أن يكسر غصنًا. لم يمضِ وقت طويل حتى كان يختلس النظر من وراء جذع شجرة بلوط طويلة بأفرع أفعوانية تمتد وتنحني لتلمس الأرض قبل أن ترتفع لأعلى مرة أخرى. من وراء الشجرة كان يوجد نيران مخيم ورجل نحيف قد سفعت وجهه الشمس، ينحني متكئًا على أحد الأفرع، على مسافة ليست ببعيدة عن ألسنة اللهب.

على الأقل لم يكن (ترولوكًا)، ولكنه كان أغرب شخص قد رآه (بيرين) في حياته. بدءًا من ملابسه التي بدت كلها مصنوعة من جلود حيوانات، والفرو لا يزال عليها، حتى حذاؤه والقبعة الدائرية الغريبة ذات القمة المسطحة الموضوعة على رأسه. كانت عباءته مزيجًا جنونيًّا من جلود الأرانب والسناجب، وبدا أن سرواله مصنوع من جلد ماعز طويل الفرو من اللونين الأبيض والبني. كان شعره البني الأشيب معقوصًا وراء عنقه بحبل ويتدلى حتى خصره. كان هناك لحية كثيفة تغطي نصف صدره. كان هناك سكين طويل معلق في حزامه يكاد أن يكون سيفًا، وقوس وجعبة أسهم مسنودان إلى أحد الأفرع بالقرب من يده.

كان الرجل متكئًا إلى الوراء مغلقًا عينيه وقد بدا عليه أنه نائم، ولكن (بيرين) لم يتحرك من مخبئه. كان هناك ستة أعواد خشبية مائلة على النار، وفي كل عود أرنب مشوي حتى صار بنيًّا، وتتساقط منه العصارة التي تجعل النار تصدر فحيحًا. رائحتهم القريبة للغاية جعلت لعابه يسيل.

فتح الرجل إحدى عينيه وهو ينظر إلى مخبأ (بيرين) قائلًا: «هل سال لعابك بما يكفي؟ يمكنك أنت وصديقتك أن تجلسا وتتناولا بعض الطعام. لم أركما تأكلان الكثير في اليومين الماضيين».

تردد (بيرين) ثم اعتدل واقفًا ببطء وهو لا يزال يمسك فأسه بإحكام قائلًا: «هل كنت تراقبنا طيلة يومين؟».

ضحك الرجل بصوت عميق من حلقه قبل أن يقول: «أجل كنت أراقبكما؛ أنت وتلك الفتاة الجميلة، إنها تتسلط عليك كديك منفوش، أليس كذلك؟ كنت أسمعك في أغلب الأحيان. الحصان هو الشيء الوحيد الذي لم يكن يطأ الأرض بصوت عالٍ بما يكفي لسماعه من على بعد خمسة أميال. هل ستطلب منها المجيء أم أنك تنوي أكل الأرانب كلها وحدك؟».

أحس (بيرين) بالغضب، كان يعرف أنه لم يُصدر الكثير من الضوضاء. لا يمكنك الاقتراب بما يكفي من الأرانب في (غابة الماء) لكي تصيبها بالمقلاع إذا صنعت ضوضاء. ولكن رائحة الأرانب جعلته يتذكر أن (إيجوين) جائعة أيضًا، ناهيك بانتظارها لمعرفة إذا ما كانت النار التي اشتما رائحتها نار (ترولوك) أم لا.

أدخل مقبض فأسه عبر حلقة الحزام ثم رفع صوته قائلًا: «(إيجوين)! لا بأس! إنها رائحة أرانب بالفعل!». ثم مد يده وهو يضيف بلهجة طبيعية أكثر: «اسمي (بيرين)، (بيرين آيبارا)».

نظر الرجل إلى اليد مفكرًا قبل أن يُمسك بها بشكل غريب كأنه غير معتاد على المصافحة، ثم قال وهو ينظر إليه: «أُدعى (إلياس)، (إلياس ماتشيرا)».

شهق (بيرين) وكاد أن يُفلت يد (إلياس)، كانت عينا الرجل صفراوين، كذهب لامع مصقول. شيء ما لمس ذكرى في أعماق عقل (بيرين)، ثم تلاشى. كل ما استطاع أن يفكر فيه في هذه اللحظة هو أن كل أعين (الترولوكيين) التي رآها تكاد تكون سوداء بالكامل.

ظهرت (إيجوين) وهي تجذب (بيلا) في حذر، ثم ربطت لجام الفرس إلى أحد أفرع شجرة البلوط، وأصدرت بعض الأصوات المهذبة عندما قدمها (بيرين) لـ(إلياس)، ولكن عينيها واصلتا الانجذاب ناحية الأرانب. لم يبدُ عليها أنها قد لاحظت عيني الرجل. عندما أشار إليهما (إلياس) أن يتناولا الطعام انقضت عليه بنهم. لم يتردد (بيرين) إلا للحظة قبل أن ينضم إليها.

انتظر (إلياس) بصمت بينما هما يأكلان. كان (بيرين) يتضور جوعًا حتى أنه مزق قطعًا من اللحم الساخن للغاية مما اضطره لأن يتقاذفها بين يديه قبل أن يكون قادرًا على وضعها في فمه. حتى (إيجوين) لم تُظهر الكثير من أناقتها المعتادة بينما العصارة الدهنية تسيل على ذقنها. تحول النهار إلى شفق قبل أن يبدأ أي منهما في الإبطاء، بينما ظلمة الليلة غير المقمرة تحيط بالنار، وعندها تحدث (إلياس).

«ما الذي تفعلانه هنا؟ لا يوجد أي بيت على مسافة خمسين ميل في أي اتجاه».

قالت (إيجوين): «نحن ذاهبان إلى (كايملين)، ربما يمكنك...». رفعت حاجبيها في دهشة عندما أمال (إلياس) رأسه إلى الوراء وانفجر في الضحك. حدق (بيرين) إليه وهو يرفع ساق أرنب إلى فمه.

«(كايملين)؟». كان (إلياس) يلهث من الضحك وعندما استطاع الحديث مرة أخرى قال: «المسار الذي تتبعانه، الخط الذي سلكتماه في

اليومين الماضيين، سيجعلكما تمران من على مسافة مئة ميل أو أكثر شمال (كايملين)».

قالت (إيجوين) بشكل دفاعي: «كنا سنسأل عن الاتجاهات، ولكننا لم نعثر على أي قرى أو مزارع بعد».

قال (إلياس) ضاحكًا: «ولن تعثرا على أي منها، بهذا الطريق الذي تسافران عبره يمكنكما أن تصلا إلى (فقار العالم) دون أن تريا إنسانًا آخر. بالطبع إذا استطعتما تسلق (الفقار). يمكن فعل هذا في بعض الأماكن. يمكنكما أن تجدا أناسًا في (فلاة آيل)، ولكنكما لن تحبا ذلك المكان، ستشويان نهارًا وتتجمدان ليلًا، وتموتان من العطش في أي لحظة. لا يمكن أن يعثر على الماء في (الفلاة) إلا رجل من (آيل)، وهم لا يحبون الغرباء كثيرًا. لا، لا يحبونهم كثيرًا من وجهة نظري». ثم انفجر في نوبة أخرى من الضحك أكثر حدة، حتى أنه أخذ يتدحرج بالفعل على الأرض، ثم استطاع أن يقول: «لا يحبونهم كثيرًا على الإطلاق».

تململ (بيرين) في توتر؛ *هل نتناول الطعام مع رجل مجنون؟*

عقدت (إيجوين) حاجبيها ولكنها انتظرت حتى تلاشى مرح (إلياس) قليلًا ثم قالت: «ربما يمكنك أن تدلنا على الطريق. يبدو أنك تعرف عن الاتجاهات أكثر بكثير مما نعرف».

توقف (إلياس) عن الضحك، ثم رفع رأسه وهو يضع عليها قبعته المصنوعة من الفراء التي كانت قد سقطت وهو يتدحرج على الأرض، قبل أن يحدق إليها من تحت حاجبين معقودين ويقول بصوت فاتر: «أنا لا أحب الناس كثيرًا، المدن مليئة بالناس، أنا لا أذهب عادة بالقرب من القرى أو حتى المزارع، القرويون والمزارعون لا يحبون أصدقائي. لم أكن حتى لأساعدكما لولا أني رأيتكما تائهين وعاجزين وبريئين كجروين رضيعين».

قالت بإلحاح: «ولكن على الأقل يمكنك أن تخبرنا أي طريق نسلكه. إذا أرشدتنا إلى أقرب قرية حتى لو كانت على بُعد خمسين ميل فإنهم بالتأكيد سيدلوننا على الطريق إلى (كايملين)».

قال (إلياس): «ابقيا ساكنين، أصدقائي قادمون».

فجأة صهلت (بيلا) في خوف وبدأت تجذب لجامها لتحرر نفسها. اعتدل (بيرين) واقفًا بعض الشيء بينما أشكال تظهر حولهم في الغابة المظلمة. أخذت (بيلا) ترفع قائمتيها الأماميتين وتتلوى وتصرخ.

قال (إلياس): «فلتُهَدِّئا الفرس، إنهم لن يؤذوها أو يؤذوكما إذا بقيتم ساكنين».

خطت أربعة ذئاب شعثاء إلى ضوء النار، يصل طول الواحد منهم إلى ارتفاع الخصر، بفكين قادرين على كسر ساق رجل. اقتربوا من النار واستلقوا بينهم كأنه لا يوجد أحد منهم. في الظلمة بين الأشجار انعكس ضوء النار على أعين المزيد من الذئاب في كل الاتجاهات.

قال (بيرين) لنفسه؛ *أعين صفراء كعيني (إلياس)*. كان هذا ما يحاول تذكره. بحذر راقب الذئاب التي بينهم وهو يمد يده إلى فأسه.

قال (إلياس): «من الأفضل ألا تفعل هذا، إن كنت تفكر في إيذائهم فإنهم سيتوقفون عن كونهم ودودين».

رأى (بيرين) أن الذئاب الأربعة يحدقون إليه. كان لديه إحساس أن كل الذئاب ـ هؤلاء الموجودين بين الأشجار أيضًا ـ يحدقون إليه، فجعله هذا يشعر بالقشعريرة في جسده. أبعد يده عن الفأس بحذر، فخُيِّل إليه أنه يشعر بالتوتر يخف بين الذئاب. ببطء جلس مرة أخرى ويداه ترتجفان فأمسك بركبتيه ليمنعهما من الارتجاف. كان جسد (إيجوين) متيبسًا للغاية، وكادت أن ترتجف. أحد الذئاب ـ أقرب إلى اللون الأسود مع بقعة رمادية أفتح لونًا على وجهه ـ استلقى بالقرب منها حتى كاد أن يلمسها.

توقفت (بيلا) عن الصراخ ورفع قائمتيها، وبدلًا من هذا بقيت واقفة وهي ترتجف وتتململ في محاولة لإبقاء كل الذئاب في مرمى بصرها، وهي تركل الأرض من آن لآخر لتُري الذئاب أن باستطاعتها بيع حياتها غاليًا وأنها عازمة على هذا. بدا أن الذئاب يتجاهلونها كما يتجاهلون البقية، وقد تدلت ألسنتهم من أفواههم، وهم ينتظرون بلا اكتراث.

قال (إلياس): «هذا أفضل».

سألته (إيجوين) بضعف وبأمل أيضًا: «هل هم مروضون؟ هل هم... حيوانات أليفة؟».

قال (إلياس) بسخرية: «لا يمكن ترويض الذئاب يا فتاة، تمامًا كما لا يمكن ترويض البشر. إنهم أصدقائي، نصطحب بعضنا بعضًا، نصطاد معًا، ونتبادل الأحاديث بشكل ما. تمامًا كأي أصدقاء، أليس هذا صحيحًا يا (دابل)؟». أدار ذئب - بفراء مكون من عدة درجات من الرمادي الداكن والفاتح - رأسه لينظر إليه.

سأله (بيرين) متعجبًا: «هل تتحدث معهم؟».

أجابه (إلياس) ببطء: «إنه ليس حديثًا بالضبط؛ الكلمات لا تهم، وهي أيضًا ليست صحيحة تمامًا. اسمها ليس (دابل)، إنه شيء يعني الطريقة التي تنعكس بها الظلال على صفحة بركة غابة في فجر منتصف الشتاء بينما النسيم يُمَوِّج سطح الماء، ولسعة الجليد عندما يلمس الماء اللسان، ولمحة من الجليد في الهواء قبل حلول المساء. وهذا أيضًا ليس المعنى بالضبط، لا يمكنك قوله بالكلمات، إنه أشبه بإحساس، هذه هي الطريقة التي تتحدث بها الذئاب. الآخرون هم (بيرن) و(هوبر) و(ويند)». كان (بيرن) له ندبة قديمة على كتفه قد تفسر اسمه[1]، ولكن لم يكن هناك شيء في الذئبين الآخرين يُعطي إشارة عما قد يعنيه اسميهما.

---

(1) بيرن تعني هنا الندبة الناتجة عن أثر الاحتراق بالنار.

على الرغم من فظاظة الرجل إلا أن (بيرين) خُيِّل إليه أن (إلياس) كان سعيدًا بالحصول على فرصة للحديث مع إنسان آخر. على الأقل بدا متحمسًا بما يكفي لهذا. نظر (بيرين) إلى أنياب الذئاب التي تلمع في ضوء النار وقال لنفسه إن جعله يواصل الحديث قد يكون فكرة جيدة. «كيف... كيف تعلمت الحديث مع الذئاب يا (إلياس)؟».

أجابه (إلياس): «هم من اكتشفوا هذا وليس أنا، ليس في البداية. هكذا يجري الأمر كما فهمت؛ تعثر الذئاب عليك، وليس أنت من يعثر عليهم. اعتقد بعض الناس أن (سيد الظلام) قد لمسني، لأن الذئاب بدأت تظهر أينما ذهبت. أفترض أنني قد اعتقدت هذا أيضًا في بعض الأحيان. بدأ معظم الأناس الصالحين يتجنبونني، وهؤلاء الذين سعوا ورائي لم يكونوا من النوع الذي أريد أن أعرفه بطريقة أو بأخرى. ثم لاحظت أن هناك أوقاتًا يبدو فيها أن الذئاب تعرف ما أفكر فيه وأنها تستجيب إلى ما يوجد في عقلي. كانت تلك هي البداية الحقيقية. كانوا يشعرون بالفضول تجاهي، يمكن للذئاب أن يشعروا بالناس عادة، ولكن ليس هكذا. كانوا مسرورين للعثور عليَّ، قالوا إنه قد مضى وقت طويل منذ أن خرجوا للصيد برفقة بشر. وعندما قالوا وقتًا طويلًا راودني إحساس أشبه برياح باردة تعوي منذ القدم، منذ (اليوم الأول)».

قالت (إيجوين): «لم أسمع من قبل عن بشر يخرجون للصيد مع ذئاب». لم يكن صوتها ثابتًا تمامًا، ولكن حقيقة أن الذئاب كانت مكتفية بالاستلقاء في المكان بدت أنها تمنحها بعض الشجاعة.

لم يبدُ على (إلياس) أنه قد سمعها وهو يقول: «الذئاب تتذكر الأشياء بشكل مختلف عن البشر». كانت عيناه الغريبتان تحملان نظرة شاردة، كأنه ينجرف بنفسه مع تدفق الذكريات. «كل ذئب يتذكر تاريخ كل الذئاب، أو على الأقل الخطوط العريضة. لا يمكن وصف الأمر بالكلمات جيدًا كما قلت. إنهم يتذكرون ملاحقة فريسة جنبًا إلى جنب مع بشر،

ولكن هذا كان منذ زمن بعيد للغاية، حتى أنه يبدو أشبه بظل لظل، بدلًا من كونه ذكرى».

قالت (إيجوين): «هذا مثير للاهتمام». نظر إليها (إلياس) بحدة فبللت شفتيها وقالت: «لا، أنا أعني هذا حقًّا. هل يمكنك... هل يمكنك تعليمنا كيف نتحدث إليهم؟».

تنهد (إلياس) وقال: «هذا أمر لا يمكن تعليمه. البعض يمكنه فعل هذا، والبعض الآخر لا يمكنه». ثم أشار إلى (بيرين) وقال: «يقولون إن بإمكانه هذا».

نظر (بيرين) إلى إصبع (إلياس) كما لو كان سكينًا. *إنه رجل مجنون حقًّا.* حدقت الذئاب إليه مرة أخرى فتململ في توتر.

قال (إلياس): «تقولان إنكما في طريقكما إلى (كايملين)، ولكن هذا لا يفسر ما تفعلانه هنا؛ على بعد أيام من أي مكان». ألقى بعباءته المصنوعة من رقع الفراء إلى الخلف ثم استلقى على جانبه متكئًا على مرفقه وانتظر في ترقب.

نظر (بيرين) إلى (إيجوين)؛ كانا باكرًا قد لفقا قصة ليروياها عندما يعثران على بشر لتفسير إلى أين هما ذاهبان دون أن يقعا في أي مشكلة، دون أن يدعا أي شخص يعرف من أين هما حقًّا، أو إلى أين هما ذاهبان حقًّا في نهاية المطاف. من يعرف أي كلمة طائشة قد تصل إلى أذن (عاتم). لقد عملا على هذه القصة كل يوم، يعدلانها معًا، ويصقلان عيوبها. وكانا قد قررا أن تكون (إيجوين) هي من يرويها، إنها أفضل منه في الحديث، وقالت إن باستطاعتها دومًا أن تعرف عندما يكذب بمجرد النظر إلى وجهه.

بدأت (إيجوين) الحديث على الفور وبسلاسة. إنهما من الشمال، من (سالدايا)، من مزارع بخارج قرية صغيرة، لم يبتعد أي منهما أكثر من عشرين ميلًا عن الديار طيلة حياتهما قبل هذه المرة، ولكنهما قد سمعا قصص صانعي البهجة وحكايات التجار، وأرادا أن يريا بعض العالم؛

(كايملين) و(إليان) و(بحر العواصف)، وربما حتى الجزر الأسطورية التي يسكنها (قوم البحر).

أصغى (بيرين) إليها في رضا، لم يكن بإمكان (توم ميريلين) حتى أن يحبك حكاية أفضل باستخدام القليل الذي عرفوه عن العالم خارج (النهرين)، أو حتى حكاية أكثر ملاءمة لاحتياجاتهما.

عندما انتهت من حكايتها قال (إلياس): «من (سالدايا)، أليس كذلك؟».

أومأ (بيرين) برأسه وقال: «هذا صحيح، كنا نفكر في رؤية (مارادون) أولًا، أرغب حقًّا في رؤية الملك. ولكن العاصمة ستكون أول مكان يبحث فيه والدانا عنا».

كان هو من وضع هذا الجزء من الحكاية، ليوضح أنه لم يسبق لهما الذهاب إلى (مارادون). بهذه الطريقة لن يتوقع منهما أحد أن يعرفا أي شيء عن المدينة، تحسبًا لمقابلة شخص قد ذهب إلى هناك بالفعل. كانت الحكاية برمتها بعيدة كل البعد عن (إيموندز فيلد) وأحداث (ليلة الشتاء). أي شخص سيسمع الحكاية لن يكون لديه سبب للتفكير في (تار ڤالون) أو (الآيز سيداي).

أومأ (إلياس) برأسه وقال: «يا لها من حكاية، أجل يا لها من حكاية. هناك بعض الأشياء الخاطئة فيها، ولكن الشيء الجوهري هو أن (دابل) تقول إن الأمر برمته كومة من الأكاذيب، كل كلمة منه».

صاحت (إيجوين): «أكاذيب! لمَ قد نكذب؟».

لم تتحرك الذئاب الأربعة ولكنها لم تعد تبدو مكتفية بالاستلقاء، بل بدت رابضة وأعينها الصفراء تحدق إليهما دون أن ترمش.

لم يقل (بيرين) أي شيء، ولكن يده اقتربت من الفأس المعلق على خصره. اعتدلت الذئاب الأربعة واقفة في حركة واحدة سريعة فتجمدت يده. لم تُصدر الذئاب أدنى صوت ولكن الفراء السميك على أعناقها قد انتصب. عوى أحد الذئاب الموجودين بين الأشجار عواءً صاخبًا عبر الليل، فأجابه آخرون؛ خمسة، عشرة، عشرون، حتى امتلأت الظلمة بهم. فجأة صاروا صامتين. تصبب العرق البارد على وجه (بيرين).

قالت (إيجوين): «إن كنت تعتقد...». ثم صمتت لتزدرد لعابها، ورغم برودة الجو كان هناك عرق على وجهها أيضًا. «إن كنت تعتقد أننا نكذب فعلى الأرجح ستفضل أن نقيم مخيمنا هذه الليلة بعيدًا عن مخيمك».

«في الأحوال العادية كنت لأفضل هذا يا فتاة، ولكني الآن أريد أن أعرف بشأن (الترولوكيين) و(أنصاف البشر)». بذل (بيرين) مجهودًا كبيرًا ليُبقي ملامحه ساكنة، وكان يأمل أن تكون محاولته أفضل من (إيجوين). تابع (إلياس) حديثه بنبرة ودية: «تقول (دابل) إنها قد اشتمت رائحة (أنصاف البشر) و(الترولوكيين) في عقليكما عندما كنتما تحكيان هذه القصة الحمقاء، جميعهم اشتموا هذه الرائحة. لقد اختلطتم مع (الترولوكيين) بطريقة ما، ومع (عديمي الأعين). الذئاب تكره (الترولوكيين) و(أنصاف البشر) أكثر من حرائق الغابات، أكثر من أي شيء، وكذلك أنا.

(بيرن) يرغب في أن يتخلص منكما، إن (الترولوكيين) هم من منحوه هذه الندبة عندما كان صغيرًا. يقول إن الطرائد نادرة وإنكما أسمن من أي غزال قد رآه منذ شهور، وإننا يجب أن نتخلص منكما. ولكن (بيرن) دومًا ما يكون نافد الصبر. لمَ لا تُخبراني بالأمر؟ آمل أنكما لستما من (أصدقاء الظلام)، وأنا لا أقتل الناس بعد أن أُطعمهم. فقط تذكرا أنهم سيعرفون إن كذبتما، وحتى (دابل) تكاد بالفعل أن تشعر بنفس استياء (بيرن)». كانت عيناه الصفراوان كأعين الذئاب تحدق إليهما كأعينهم. قال (بيرين) لنفسه إنهما عينا ذئب.

أدرك أن (إيجوين) تنظر إليه منتظرة أن يقرر ما يجب أن يفعلاه. *بحق (النور)، أنا القائد مرة أخرى.* لقد قررا من البداية أنهما لا يستطيعان المغامرة بإخبار أي شخص بالقصة الحقيقية، ولكنه لم يرَ أي فرصة حقيقية لهم للهرب حتى لو تمكن من استلال فأسه قبل...

زمجرت (دابل) بعمق من حلقها فكرر الصوت الذئاب الثلاثة الآخرون حول النار، ثم الذئاب الكامنون في الظلام. امتلأ هواء الليل بتلك الزمجرة المتوعدة. قال (بيرين) على الفور: «حسنًا، حسنًا!». انقطعت الزمجرة بشكل حاد ومفاجئ. أرخت (إيجوين) قبضتيها وأومأت برأسها. بدأ (بيرين) حديثه قائلًا: «لقد بدأ كل شيء منذ أيام قليلة قبل (ليلة الشتاء)، عندما رأى صديقنا (مات) رجلًا في عباءة سوداء...».

لم تتغير تعابير وجه (إلياس) أو الطريقة التي يستلقي بها على جانبه، ولكن كان هناك شيء في الطريقة التي يميل بها رأسه يشي بأنه يُصغي باهتمام. جلست الذئاب الأربعة بينما (بيرين) يكمل حديثه، وكان لديه إحساس أنهم أيضًا يستمعون. كانت الحكاية طويلة وقد حكى كل شيء تقريبًا؛ ولكنه لم يحكِ عن الأحلام التي راودته هو والآخرين في (بايرلون). كان ينتظر إشارة من الذئاب على أنهم قد أدركوا إغفاله لهذا، ولكنهم اكتفوا بمراقبته. بدت (دابل) ودودًا، وبدا (بيرن) غاضبًا. كان صوته قد صار أجش بحلول الوقت الذي انتهى فيه من حكايته.

«... وإن لم تعثر علينا في (كايملين) فإننا سنذهب إلى (تار ڤالون)، ليس لدينا أي خيار سوى الحصول على المساعدة من (الآيز سيداي)».

قال (إلياس) مفكرًا: «(ترولوكيون) وأنصاف بشر هنا في أقصى الجنوب، هذا شيء يستحق التأمل». ثم مال إلى الوراء وألقى بقربة ماء جلدية إلى (بيرين) دون أن ينظر إليه حقًّا. بدا غارقًا في التفكير. انتظر حتى شرب (بيرين) فأغلق القربة بالسدادة قبل أن يتحدث مرة أخرى: «أنا لا أحمل أي ضغينة تجاه (الآيز سيداي)، (الآجاه الحمراوات). هؤلاء اللاتي يتعقبن

الرجال الذين يعبثون بـ(القوة الواحدة) ـ قد أردن ترقيقي ذات مرة. قلت لهن في وجوههن إنهن (آجاه سوداوات)، يخدمن (سيد الظلام)، قلت لهن هذا ولم يعجبهن على الإطلاق. إلا أنهن لم يستطعن الإمساك بي بمجرد أن وصلت إلى الغابة، ولكنهن حاولن، أجل فعلن هذا. بوضع هذا في الاعتبار أشك أن أي واحدة من (الآيز سيداي) ستتسامح معي بعد ما حدث. لقد اضطررت لقتل اثنين من (الحماة)؛ إن قتل (الحماة) أمر سيئ ولا يعجبني».

قال (بيرين) بتوتر: «هذا الحديث مع الذئاب، هل... هل له علاقة بـ(القوة الواحدة)؟».

قال (إلياس) بحدة: «بالطبع لا، لم يكن هذا الترقيق ليجدي نفعًا معي، ولكن رغبتهن في المحاولة أصابتني بالجنون. هذا أمر قديم يا فتى، أقدم من (الآيز سيداي)، أقدم من أي شخص يستخدم (القوة الواحدة)، قديم قدم البشرية، قديم قدم الذئاب. هذا لا يعجب (الآيز سيداي) أيضًا، عودة الأشياء القديمة من جديد، أنا لست الوحيد، هناك أشياء أخرى، قوم آخرون، يجعلون (الآيز سيداي) متوترات، يجعلونهن يتمتمن بشأن ضعف حواجز عتيقة. يقلن إن الأشياء تتفكك، إنهن يخشين من أن يُطلق سراح (سيد الظلام)، هذا هو ما يخشينه. قد تعتقدان أنني الملام، بسبب الطريقة التي كان بعضهن ينظرن لي بها، (الآجاه الحمراوات) على أي حال، ولكن بعض الأخريات أيضًا. (عرش أميرلين)... آااه! غالبًا ما أنأى بنفسي عنهن وعن أصدقاء (الآيز سيداي) أيضًا، ستفعلان هذا أيضًا إن كنتما ذكيين».

قال (بيرين): «أنا لا أرغب في أي شيء أكثر من البقاء بعيدًا عن (الآيز سيداي)».

نظرت إليه (إيجوين) بحدة فتمنى ألا تنفجر قائلة بأنها ترغب في أن تصير واحدة من (الآيز سيداي). ولكنها لم تقل شيئًا رغم أنها كانت تجز على أسنانها.

أكمل (بيرين) حديثه: «ليس الأمر وكأن لدينا خيارًا، (الترولوكيون) يلاحقوننا، و(العواتم)، و(الدراكار)، كل شيء ما عدا (أصدقاء الظلام). لا يمكننا الاختباء، ولا يمكننا أن نقاتل وحدنا، إذن من سيساعدنا؟ من قوي بما يكفي عدا (الآيز سيداي)؟».

صمت (إلياس) لبعض الوقت وهو ينظر إلى الذئاب، وفي الغالب إلى (دابل) أو (بيرن). تململ (بيرين) في توتر وحاول ألا ينظر. عندما ينظر إليهم ينتابه إحساس كأنه يكاد أن يسمع ما يقوله (إلياس) والذئاب لبعضهم بعضًا، حتى لو لم يكن شيئًا له علاقة بـ(القوة الواحدة) فإنه لم يرغب في أن يكون له علاقة به. *لا شك أن الأمر مزحة مجنونة، لا يمكنني الحديث إلى الذئاب.* أحد الذئاب . (هوبر) كما اعتقد. نظر إليه وبدا أنه يبتسم، تساءل كيف استطاع تذكر اسمه.

أخيرًا قال (إلياس): «يمكنكما البقاء معي، البقاء معنا». رفعت (إيجوين) حاجبيها وفغر (بيرين) فاه. قال (إلياس) في تحدٍّ: «حسنًا، ما الذي يمكن أن يكون أكثر أمانًا؟ سينتهز (الترولوكيون) أي فرصة لقتل ذئب وحيد، ولكنهم سينحرفون عن مسارهم لأميال لتفادي قطيع من الذئاب، ولن يكون عليكما أن تقلقا بشأن (الآيز سيداي) أيضًا، إنهن لا يأتين عادة إلى هذه الغابة».

قال (بيرين): «لا أعرف». كان يتحاشى النظر إلى الذئبين اللذين كانا على جانبيه، أحدهما (دابل)، التي أحس بعينيها تنظران إليه. «مبدئيًّا الأمر لا يتعلق بـ(الترولوكيين) وحدهم».

ضحك (إلياس) ضحكة جافة، ثم قال: «لقد رأيت قطيعًا من الذئاب يفترس واحدًا من (عديمي الأعين) أيضًا. لقد خسروا نصف القطيع، ولكنهم لم يكونوا ليستسلموا بعد أن اشتموا رائحته. (الترولوكيون) و(الميردرال) جميعهم واحد بالنسبة للذئاب، إنه أنت من يريدونه حقًّا يا فتى. لقد سمعوا عن بشر آخرين يمكنهم الحديث إلى الذئاب، ولكنك أول من يرونه عداي. سيقبلون صديقتك أيضًا، وستكونان أكثر أمانًا هنا من أي مدينة، هناك (أصدقاء ظلام) في المدن».

قال (بيرين) على الفور: «اسمعني، أتمنى لو تتوقف عن قول هذا، لا أستطيع... أن أفعل هذا... ما تفعله، ما تقوله».

«كما تشاء يا فتى، فلتخدع نفسك إن كنت ترغب في هذا. ألا ترغب في أن تكون آمنًا؟».

«أنا لا أخدع نفسي، لا يوجد شيء لأخدع نفسي حياله، كل ما نريده...».

قالت (إيجوين) بحزم: «سنذهب إلى (كايملين) ومن ثم إلى (تار ڤالون)».

أغلق (بيرين) فمه وبادلها نفس النظرة الغاضبة التي تنظر بها إليه. كان يعرف أنها تتبع قيادته عندما تريد هذا، ولا تفعل عندما لا تريد، ولكن يمكنها على الأقل أن تتركه يجيب لنفسه. قال: «ماذا عنك يا (بيرين)؟». ثم أجاب نفسه قائلًا: «أنا؟ حسنًا، دعيني أفكر. أجل، نعم، أعتقد أنني سأذهب إلى هناك». ثم التفت إليها بابتسامة شاحبة وقال: «حسنًا يا (إيجوين)، هذا يجعلنا متفقين، أعتقد أنني سأذهب معك، من الجيد أن نتناقش في الأمر قبل حسم القرار، أليس كذلك؟». احمر وجهها خجلًا ولكنها لم تُرخِ فكيها المنقبضين.

تمتم (إلياس): «قالت (دابل) إن هذا ما ستقررانه. قالت إن الفتاة مرتبطة بقوة بالعالم البشري، بينما أنت...». أومأ برأسه إلى (بيرين). «تقف في منتصف الطريق. أفترض في هذه الظروف أنه من الأفضل أن

نذهب معكما إلى الجنوب، وإلا فإنكما على الأرجح ستموتان من الجوع، أو تضلان الطريق، أو...».

فجأة اعتدل (بيرن) واقفًا فأدار (إلياس) رأسه لينظر إلى الذئب الضخم، بعد لحظة اعتدلت (دابل) واقفة بدورها، ثم اقتربت من (إلياس) حتى تُبادل (بيرن) التحديق. تجمد المشهد لدقائق طويلة، ثم استدار (بيرن) على عقبيه واختفى في ظلمة الليل. هزت (دابل) جسمها ثم عادت إلى موضعها جالسة بهدوء كأن شيئًا لم يحدث.

نظر (إلياس) إلى عيني (بيرين) المتسائلتين وقال مفسرًا: «(دابل) تقود هذا القطيع، يُمكن لبعض الذكور أن يتفوقوا عليها إذا تحدوها، ولكنها أذكى من أي واحد منهم، وجميعهم يعرفون هذا، لقد أنقذت القطيع أكثر من مرة، ولكن (بيرن) يعتقد أن القطيع يضيع وقته مع ثلاثتكم، إن كراهية (الترولوكيين) هي كل ما يشغله، وإن كان هناك (ترولوكيون) هنا في أقصى الجنوب فإنه يرغب في أن ينطلق ليقتلهم».

بدا على (إيجوين) أنها قد أحست بالارتياح وهي تقول: «نحن نتفهم تمامًا. يمكننا حقًّا أن نجد طريقنا وحدنا... مع بعض الإرشادات بالطبع، إن كنت ستمنحنا إياها».

لوَّح (إلياس) بيده وقال: «قلت إن (دابل) تقود هذا القطيع، أليس كذلك؟ في الصباح سأذهب جنوبًا معكما، وكذلك هم». لم يبدُ على (إيجوين) أن هذه أفضل أخبار يمكن أن تسمعها.

جلس (بيرين) غارقًا في صمته. كان باستطاعته أن يشعر بالفعل بـ(بيرن) وهو يغادر، ولم يكن الذكر ذو الندبة وحيدًا، بل معه أكثر من عشرة آخرين، جميعهم ذكور يافعون قد تقاطروا وراءه. أراد أن يصدق أن الأمر وما فيه هو أن (إلياس) يتلاعب بمخيلته، ولكنه لم يستطع أن يصدق هذا. قبل أن يتلاشى رحيل الذئاب تمامًا من عقله أحس بفكرة عرف أنها نابعة من (بيرن)، حادة وواضحة كما لو كانت فكرته الخاصة؛ الكراهية، الكراهية ومذاق الدماء.

الفصل الرابع والعشرون

الرحلة عبر آرينيل

كانت قطرات الماء تتساقط في الأفق فيتناثر الرذاذ بصوت أجوف ويتردد صداه مرارًا وتكرارًا مبتعدًا عن مصدره. كان هناك جسور حجرية ومنحدرات بلا أسوار في كل مكان، تنبثق جميعها من أبراج حجرية عريضة ذات قمم مسطحة، وجميعها مصقولة وملساء، وبها خطوط من اللونين الأحمر والذهبي. كانت المتاهة تمتد لأعلى طابقًا فوق طابق، ولأسفل عبر الظلمة، دون بداية أو نهاية واضحة. كل جسر كان يؤدي إلى برج، وكل منحدر إلى برج آخر، أو جسور أخرى. كان كل شيء متشابهًا في أي اتجاه ينظر (راند) إليه، بأبعد ما يمكن لعينه أن ترى في هذه الظلمة، أعلاه أو أسفله. لم يكن هناك ما يكفي من الضوء لكي يرى بوضوح، وكاد أن يكون مسرورًا لهذا. بعض هذه المنحدرات كانت تؤدي إلى منصات من المفترض أن تكون أعلى تلك التي أسفلها مباشرة. لم يستطع أن يرى قاعدة أي منها. مضى قدمًا باحثًا عن الحرية وهو يعرف أن الأمر مجرد وهم، كل شيء كان وهمًا.

كان يعرف هذا الوهم، لقد تتبعه مرات عديدة لذا فهو يعرفه. مهما كانت المسافة التي يقطعها لأعلى أو لأسفل أو في أي اتجاه فلم يكن هناك سوى الأحجار اللامعة، كانت أحجارًا ولكن الهواء كان مشبعًا

برائحة رطوبة الأرض العميقة المحفورة حديثًا، ورائحة تحلل نفاذة مثيرة للغثيان. رائحة مقبرة قد فُتِحَت في وقت غير مناسب. حاول ألا يتنفس ولكن الرائحة ملأت أنفه، وعلقت بجلده كالزيت.

لمح من طرف عينه حركة خاطفة فتجمد في موضعه، نصف رابض أمام السور المصقول الذي يحيط بواحدة من قمم الأبراج. لم يكن مكانًا مناسبًا للاختباء، يمكن لمن يُراقبه أن يراه من ألف مكان. ملأ الظل الهواء، ولكن لم يكن هناك أي ظلال أعمق يُمكن أن يختبئ فيها. لم يكن الضوء منبعثًا من مصابيح أو قناديل أو مشاعل، كان موجودًا ببساطة، كأنه ينساب من الهواء. كان كافيًا لكي يرى بطريقة ما، وكافيًا لأن يُرى، ولكن السكون لم يمنحه إلا القليل من الحماية.

جاءت الحركة مرة أخرى، وهذه المرة كانت واضحة. رجل يصعد منحدرًا بعيدًا غير مكترث بعدم وجود أسوار وإمكانية سقوطه إلى الخواء من أسفله. كانت عباءة الرجل تتموج مع حركته المتعجلة الواثقة، ثم التفت برأسه باحثًا وباحثًا. كانت المسافة بعيدة للغاية بالنسبة لـ(راند) لكي يرى أكثر من مجرد شكل في الظلمة، ولكنه لم يكن بحاجة للاقتراب أكثر لكي يعرف أن العباءة حمراء بدماء طازجة، وأن العينين الباحثتين متقدتان مثل تنورين مشتعلين.

حاول أن يتتبع المتاهة بعينيه لكي يرى عدد التقاطعات التي يجب على (بعلزمون) أن يقطعها قبل أن يصل إليه، ثم استسلم بعدما أدرك أن الأمر عديم الجدوى. المسافات خادعة هنا، درس آخر قد تعلمه؛ ما يبدو بعيدًا قد يمكن الوصول إليه بالانعطاف عند الناصية التالية، وما يبدو قريبًا قد يكون من المستحيل الوصول إليه تمامًا. الأمر الوحيد الذي يجب عليه فعله .كما كان يفعل منذ البداية. هو أن يمضي قدمًا، يمضي قدمًا ولا يفكر، كان يعرف أن التفكير أمر خطير.

ولكن بينما هو يستدير مبتعدًا عن هيئة (بعلزمون) البعيدة لم يستطع منع نفسه من التفكير في (مات)؛ *هل هو في مكان ما في هذه المتاهة؟ أم هل هناك متاهتان، واثنان من (بعلزمون)*؟ انجرف عقله بعيدًا عن هذه الفكرة، كان من المخيف الاستغراق فيها. *هل الأمر مثل (بايرلون)؟ لماذا إذن لا يستطيع العثور عليَّ*؟ كان هذا أفضل قليلًا؛ بعض من الطمأنينة. *طمأنينة؟ بحق الدماء والرماد، أي طمأنينة في الأمر؟*

كان هناك فكرتان خافتتان أو ثلاث، إلا أنه لم يستطع أن يتذكرهم بوضوح، ولكنه كان يركض منذ وقت طويل للغاية. منذ متى؟ . بينما (بعلزمون) يطارده دون جدوى. هل كان هذا مثل (بايرلون) أم أنه مجرد كابوس، مجرد حلم كأحلام البشر الآخرين؟

حينها للحظة. لوقت يكفي لاستنشاق نفس واحد. عرف لماذا كان التفكير خطيرًا، وما الشيء الذي كان التفكير فيه خطيرًا. وكذي قبل. ككل مرة يسمح فيها لنفسه أن يفكر فيما يحيط به على أنه حلم. تلألأ الهواء وغامت الرؤية في عينيه؛ لقد تحول إلى هلام يتشبث به. فقط للحظة واحدة.

كانت الحرارة الشديدة تخز جلده، وحلقه قد جف منذ وقت طويل، بينما هو يهرول عبر المتاهة ذات السياج الشائك. كم مضى من الوقت؟ تبخر عرقه قبل أن يجد فرصة لأن يتصبب على وجهه، وأحس بعينيه تحرقانه. فوق رأسه. وعلى مسافة ليست ببعيدة. كانت السحب الداكنة ذات الخطوط السوداء تغلي بعنف، ولكن لم تكن هناك نسمة هواء واحدة تتحرك في المتاهة. خُيِّل إليه لوهلة أن الأمر كان مختلفًا، ولكن الفكرة تبخرت مع الحرارة. إنه هنا منذ وقت طويل. كان من الخطير أن يفكر، كان يعرف هذا.

كانت الأرض مرصوفة بأحجار ملساء شاحبة ومستديرة، نصف مدفونة في الغبار الجاف الذي يثور ويتطاير مع أقل خطوة منه. كان الغبار يدغدغ

أنفه مُنذرًا بعطسة قد تُفصح عن موضعه، وعندما حاول أن يتنفس من فمه كان الغبار يسد حلقه حتى يختنق.

هذا مكان خطير، كان يعرف هذا أيضًا. أمامه استطاع أن يرى ثلاث فتحات في السور الشائك المرتفع، ثم ينحني الطريق خارج مجال رؤيته، من الممكن أن يكون (بعلزمون) قادمًا في هذه اللحظة من أي من هذه المنعطفات. لقد واجهه مرتين أو ثلاث مرات بالفعل، رغم أنه لم يستطع أن يتذكر أكثر من أن هذا قد حدث، وأنه قد هرب... بطريقة ما. من الخطير أن يفكر كثيرًا.

توقف وهو يلهث من الحرارة ليتفحص سور المتاهة؛ شجيرات شائكة متشابكة بنية ويابسة، بأشواك سوداء قاسية كخطافات طويلة. كان السور مرتفعًا للغاية فلا يمكن الرؤية من فوقه، وكثيفًا للغاية فلا يمكن الرؤية من خلاله. لمس السور بحذر ثم شهق، فعلى الرغم من حرصه إلا أن شوكة وكزت إصبعه وأحرقته كإبرة ساخنة. تراجع متعثرًا إلى الوراء وكاحلاه يرتطمان بالأحجار وهو يهز يده فتتناثر منها قطرات كثيفة من الدماء. بدأ إحساسه بالاحتراق يهدأ، ولكن يده كلها كانت تنبض.

فجأة نسي الألم، كان كاحله قد قلب أحد الأحجار الملساء وركله بعيدًا عن الأرض الجافة. حدق إلى الأرض فوجد تجويفي عينين فارغين يحدقان إليه؛ جمجمة، جمجمة بشرية. نظر على طول الممر إلى كل الأحجار الشاحبة الملساء، جميعها متشابهة تمامًا. حرك قدميه على الفور ولكنه لم يستطع الحركة دون السير عليها، ولم يستطع أن يبقى ساكنًا دون أن يقف عليها. فكرة شاردة أخذت هيئة مبهمة، أن هذه الأشياء قد لا تكون ما تبدو عليه. ولكنه دفع الفكرة جانبًا بلا هوادة. إن التفكير خطير هنا.

تمالك نفسه بشكل هش، إن البقاء في مكان واحد خطير أيضًا. كانت هذه واحدة من الأشياء التي يعرفها بشكل خافت، ولكن على وجه اليقين. لقد تباطأ تدفق الدم من إصبعه حتى صارت مجرد قطرات بطيئة،

وكان النبض قد اختفى تقريبًا. امتص طرف إصبعه وهو يحدق عبر الممر في الاتجاه الذي كان يواجهه. لم يكن ثمة اختلاف هنا بين هذا الطريق أو ذاك.

في تلك اللحظة تذكر أنه قد سمع ذات يوم أن بإمكانك الخروج من أي متاهة عن طريق الانعطاف باستمرار في نفس الاتجاه. عند أول فتحة في السور الشائك انعطف يمينًا، ثم يمينًا مرة أخرى في الفتحة التالية، فوجد نفسه وجهًا لوجه مع (بعلزمون).

اكتسى وجه (بعلزمون) بالدهشة وسكنت عباءته الحمراء عندما توقف في موضعه. تأججت ألسنة اللهب في عينيه، ولكن (راند) بالكاد أحس بهما في حرارة المتاهة.

«إلى متى تعتقد أن بإمكانك الإفلات مني يا فتى؟ إلى متى تعتقد أن بإمكانك الهرب من مصيرك؟ أنت لي!».

تعثر (راند) إلى الوراء وهو يتساءل عن سبب تحسسه لحزامه كأنه يبحث عن سيف. تمتم قائلًا: «فليساعدني (النور)، فليساعدني (النور)». لم يستطع أن يتذكر ما يعنيه هذا.

«(النور) لن يساعدك يا فتى، و(عين العالم) لن تخدمك. أنت كلبي، وإن لم تكن طوع أمري فسوف أخنقك بجثة (الأفعوان العظيم)!».

مد (بعلزمون) يده، وفجأة عرف (راند) طريقة للهرب، ذكرى ضبابية نصف مكتملة تصرخ بالخطر، ولكنه لا يقارن بخطر أن يلمسك (سيد الظلام).

صرخ (راند): «حلم! هذا حلم!».

بدأت عينا (بعلزمون) تتسعان في دهشة أو غضب أو كليهما، ثم تلألأ الهواء وصارت ملامحه ضبابية قبل أن تتلاشى.

استدار (راند) على عقبيه في موضعه وهو يحدق، فبادله التحديق صورته في ألف نسخة، عشرة آلاف. من فوقه كانت ظلمة، ومن أسفله ظلمة. ولكن في كل مكان من حوله توجد مرايا، مرايا موضوعة في كل زاوية، مرايا بقدر ما يمكنه أن يرى. جميعها تُظهر صورته وهو رابض ويتلفت محدقًا بعينين متسعتين خائفتين.

انجرف شيء ضبابي أحمر عبر المرايا، دار حول نفسه محاولًا أن يلمحه، ولكن في كل المرايا كان ينجرف وراء صورته، ثم يختفي. ثم عاد مرة أخرى ولكنه لم يكن شيئًا ضبابيًّا؛ كان (بعلزمون) يخطو عبر المرايا، عشرة آلاف (بعلزمون)، يفتشون ويعبرون المرايا الفضية، ثم يعبرونها مرة أخرى.

وجد نفسه يحدق إلى انعكاس وجهه؛ كان شاحبًا ويرتجف في البرودة الحادة. كانت صورة (بعلزمون) تتعاظم وراء صورته وهو يحدق إليه، لا يراه ولكنه رغم هذا يحدق إليه. في كل مرآة كانت ألسنة اللهب تتأجج في وجه (بعلزمون) من ورائه، تلتف وتلتهم وتندمج. أراد أن يصرخ ولكن حلقه كان متجمدًا. كان هناك وجه واحد في تلك المرايا اللانهائية؛ وجهه، وجه (بعلزمون)، وجه واحد.

انتفض (راند) وفتح عينيه، كان هناك ظلمة لا يتخللها إلا ضوء شاحب، لم يحرك شيئًا سوى عينيه وهو لا يكاد يتنفس. كان هناك بطانية صوفية خشنة تغطيه حتى كتفيه، ورأسه موضوع على ذراعيه. كان باستطاعته أن يشعر بالألواح الخشبية الناعمة تحت يديه؛ ألواح سطح السفينة. كانت الأشرعة تُصدر صريرًا في الليل. تنفس الصعداء؛ إنه على متن السفينة (سبراي). لقد انتهى الأمر... لليلة أخرى على الأقل.

بدون تفكير وضع إصبعه في فمه، ثم انحبست أنفاسه مع مذاق الدم. ببطء قرَّب يده من وجهه، حيث استطاع أن يرى في ضوء القمر الشاحب قطرة الدم تتشكل على طرف إصبعه، دم من وخزة شوكة.

تحركت (سبراي) ببطء عبر (نهر آرينيل). كانت الرياح قوية ولكنها كانت تأتي من اتجاهات جعلت الأشرعة عديمة النفع. رغم أن القبطان (دومون) كان يأمر بالتحرك بسرعة إلا أن السفينة واصلت حركتها البطيئة. في المساء جاء رجل إلى مقدمة السفينة ليضع دليلًا مغطى بالشحم في ضوء المصباح، قبل أن يصيح مخبرًا قائد الدفة بالعُمق، بينما التيار يحملهم عبر النهر في مواجهة الرياح، والمجاديف تجذبهم للأمام. لم يكن هناك صخور للخوف منها في (نهر آرينيل)، ولكن المناطق الضحلة كانت كثيرة حيث يمكن للقارب أن يصطدم بقوة بالأرض فيعلق في الوحل حتى تأتي المساعدة، هذا إن جاءت المساعدة قبل فوات الأوان. في النهار كانت المجاديف تعمل من شروق الشمس حتى غروبها، ولكن الرياح كانت تصارعهم كأنما ترغب في أن تعيد القارب من حيث جاء.

لم يستقروا على الشاطئ في النهار أو في الليل. كان (بايل دومون) يقود قاربه وطاقمه بصرامة على حد سواء، متذمرًا من الرياح القادمة من الاتجاه المعاكس وهو يسب وتيرة الحركة البطيئة. كان يتفقد الطاقم بحثًا عن أي كسالى عند المجاديف ليسلخهم بلسانه، ومع كل إهمال كان صوته الصارم الخفيض يرسم صورة (ترولوكيين) طولهم عشرة أقدام بينهم على سطح السفينة يمزقون حلوقهم. لمدة يومين كان هذا كافيًا لجعل كل رجل يقفز إلى العمل، ثم بدأت صدمة هجوم (الترولوكيين) تتلاشى، وبدأ الرجال يتمتمون بشأن ساعة لتمديد أرجلهم على الشاطئ وعن مخاطر الإسراع عبر النهر في الظلام.

أبقى أفراد الطاقم تذمرهم خفيضًا وهم ينظرون من أطراف أعينهم للتيقن من أن القبطان (دومون) ليس قريبًا بما يكفي لسماع حديثهم، ولكن بدا أنه يسمع كل شيء يُقال على قاربه. في كل مرة يبدأ التذمر كان يستل بصمت السيف الطويل الشبيه بالمنجل والفأس المعقوف بوحشية، اللذين عُثر عليهما على سطح السفينة بعد الهجوم. كان يعلقهما على الصاري لساعة من الزمن، وهؤلاء الذين قد أُصيبوا كانوا يتحسسون ضماداتهم،

فتهدأ التمتمات ليوم أو قرابة هذا، على الأقل حتى يبدأ شخص أو آخر من أفراد الطاقم في التفكير مرة أخرى في أنهم بالتأكيد قد ابتعدوا عن (الترولوكيين) مسافة كبيرة بحلول هذا الوقت، فتبدأ الدورة مرة أخرى.

لاحظ (راند) أن (توم ميريلين) يبقى بعيدًا عن الطاقم عندما يبدؤون في التجهم وتبادل الهمسات، رغم أنه عادة ما يضربهم على ظهورهم ويحكي لهم النكات ويتبادل معهم المزاح بطريقة تضع ابتسامة حتى على وجه أكثر الرجال جدية في العمل. كان (توم) يُراقب تلك التمتمات المتكتمة بعين حذرة، بينما يبدو مستغرقًا في إشعال غليونه الطويل أو ضبط أوتار قيثارته، أو أي شيء عدا الاهتمام بالطاقم على الإطلاق. لم يفهم (راند) السبب، لم يبدُ على أفراد الطاقم أنهم يلومون الثلاثة الذين قفزوا على متن السفينة بينما يُطاردهم (الترولوكيون)، بل يلومون (فلوران جيلب).

طيلة اليوم الأول، أو اليومين، كان من الممكن دومًا رؤية هيئة (جيلب) النحيلة وهو يخاطب أي فرد من الطاقم يتمكن من أن يحاصره، مخبرًا إياه بنسخته من قصة صعود (راند) والآخرين إلى متن السفينة. كان أسلوب (جيلب) يتحول من الصراخ إلى الانتحاب، ثم الصراخ مرة أخرى. ودومًا ما تتلوى شفتاه عندما يشير إلى (توم) أو (مات)، وعلى وجه الخصوص إلى (راند)، محاولًا أن يُلقي باللوم عليهم.

قال (جيلب) متوسلًا بصوت خافت وهو ينظر بطرف عينه خوفًا من مجيء القبطان: «إنهم غرباء، ما الذي نعرفه عنهم؟ لقد جاء (الترولوكيون) معهم، هذا ما نعرفه. إنهم متحالفون معهم».

«بحق الحظ يا (جيلب)، اخفض صوتك». قالها رجل بشعر مجدول ووشم نجمة زرقاء صغيرة على وجنته. لم ينظر إلى (جيلب) بينما هو يغزل حبلًا على سطح القارب مستخدمًا أصابع قدميه الحافيتين. كل البحارة كانوا حفاة رغم برودة الجو، فيمكن للأحذية أن تنزلق على أي سطح مبلل. «ستقول إن أمك من (أصدقاء الظلام) إن كان هذا سيمنحك

فرصة للتهرب من المسؤولية. ابتعد عني!». ثم بصق على قدم (جيلب) قبل أن يولي اهتمامه للحبل مرة أخرى.

كان جميع أفراد الطاقم يتذكرون نوبة الحراسة التي لم يلتزم بها (جيلب)، وكان رد الرجل ذي الجديلة هو أكثر رد مهذب يحصل عليه، لم يرغب أحد حتى في أن يعمل معه. انحدر الحال بـ(جيلب) إلى المهام الفردية، وجميعها مهام قذرة، مثل تنظيف أوعية المطبخ الدهنية، أو الزحف على بطنه إلى جوف السفينة بحثًا عن التسريب بين طين لزج قد تراكم عبر سنوات. سرعان ما توقف عن الحديث إلى أي شخص، وقد تهدل كتفاه بشكل يوحي بإحساسه بالظلم، واتخذ موقفًا بأن لاذ بصمت مجروح، وكلما ازداد عدد من ينظرون إليه بالغ في موقفه، ولكنه لم يجنِ أي شيء من هذا أكثر من نظرة ساخرة. ولكن عندما تقع عينا (جيلب) على (راند) أو (مات) أو (توم)، فإن الرغبة في القتل تلمع على وجهه ذي الأنف الطويل.

عندما أخبر (راند) (مات) بأن (جيلب) قد يسبب لهم المتاعب عاجلًا أو آجلًا تلفت (مات) حوله في القارب وهو يقول: «هل يمكننا أن نثق في أي واحد منهم؟ أي واحد على الإطلاق؟». ثم انصرف لكي يعثر على مكان حيث يمكنه أن يكون وحيدًا، أو وحيدًا قدر الإمكان على متن قارب أقل من ثلاثين خطوة من قمته المرتفعة إلى العمود في مؤخرته، حيث توضع المجاديف. كان (مات) قد قضى الكثير من الوقت بمفرده منذ تلك الليلة في (شادار لوجوث)، غارقًا في التفكير كما بدا لـ(راند).

قال (توم): «المتاعب لن تأتي من (جيلب) يا فتى، هذا إن أتت، ليس الآن على الأقل. لن يدعمه أي من أفراد الطاقم، وليس لديه الجرأة على أن يحاول فعل أي شيء آخر وحده. ولكن الآخرين...؟ يبدو على (دومون) أنه يعتقد أن (الترولوكيين) يطاردونه بشكل شخصي، ولكن البقية قد بدؤوا في التفكير في أن الخطر قد انتهى. ربما يقررون أنهم قد نالوا كفايتهم، ويبدوا أنهم موشكون على هذا». حرك عباءته المغطاة بالرقع

فأحس (راند) أنه يتفحص سكاكينه الخفية؛ ثاني أفضل مجموعة لديه. «إن تمردوا يا فتى فلن يتركوا وراءهم ركابًا ليحكوا الحكاية. إن سلطة الملكة قد لا يكون لديها الكثير من النفوذ بعيدًا إلى هذا الحد عن (كايملين)، ولكن حتى عمدة أي قرية سيفعل شيئًا حيال الأمر». بعدها بدأ (راند) أيضًا يحاول ألا يبدو ملحوظًا عندما يراقب أفراد الطاقم.

أدى (توم) دوره في صرف انتباه الطاقم عن أفكار التمرد، كان يحكي حكايات بأكثر ما لديه من براعة في كل صباح وكل مساء، وبين هذا وذاك كان يعزف أي أغنية يطلبونها منه. للتأكيد على فكرة أن (راند) و(مات) يرغبان في أن يكونا صانعي بهجة تحت التدريب، كان يجلس معهما كل يوم من أجل الدروس، وكانت هذه تسلية للطاقم أيضًا. لم يكن يسمح لأي منهما بلمس قيثارته بالطبع، وكانت دروسهما مع المزمار تثير نظرات ممتعضة، في البداية على الأقل، وضحكات من أفراد الطاقم حتى وهم يغطون آذانهم.

لقد علَّم الصبيين بعض الحكايات السهلة، والقليل من الألعاب البهلوانية البسيطة، وبالطبع التلاعب بالكرات. اشتكى (مات) مما يطلبه (توم) منهما، ولكن (توم) نفخ شاربه وحدق إليه بحدة.

«أنا لا أعرف كيف أتظاهر بالتعليم يا فتى، إما أن أُعَلِّم شيئًا أو لا أُعَلِّمه، ولكن حتى قروي ساذج يجب أن يكون قادرًا على أن يفعل شيئًا بسيطًا كالوقوف على يديه، هيا قف على يديك».

أفراد الطاقم الذين لم يكونوا يعملون كانوا يتجمعون دومًا ويجلسون في دائرة حول ثلاثتهم، بعضهم حتى قد حاول تجريب الدروس التي يُعَلِّمها (توم)، وضحكوا من تخبطهم. كان (جيلب) يقف وحيدًا ويُراقب الأمر برمته في وجوم وهو يكرههم جميعًا.

كان (راند) يقضي وقتًا طويلًا كل يوم متكئًا على السور محدقًا إلى الشاطئ. لم يكن الأمر أنه يتوقع حقًّا أن يرى (إيجوين) أو أيًّا من الآخرين يظهرون فجأة على ضفة النهر، ولكن القارب كان يُبحر ببطء شديد حتى أنه أحيانًا ما كان يأمل في الأمر، يمكنهم أن يلحقوا بهم دون أن يسرعوا بالخيول بشدة، هذا إن كانوا قد هربوا، إن كانوا لا يزالون على قيد الحياة.

كانوا يقطعون النهر دون أدنى أثر للحياة، ولم يكن هناك قارب آخر سوى (سبراي)، ولكن هذا لا يعني أنه لم يكن هناك شيء لرؤيته والتفكير فيه. في منتصف اليوم الأول كان (نهر آرينيل) يتدفق بين منحدرات صخرية عالية تمتد لمسافة نصف ميل على الجانبين، وعلى طول هذه المسافة كانت الأحجار قد نُحتت على هيئة أشخاص، رجال ونساء بارتفاع مئة قدم، مع تيجان تُعلن بأنهم ملوك وملكات. لم يكن هناك اثنان متشابهان في هذا الموكب الملكي، وسنوات طويلة تفصل الأول عن الأخير، كانت التماثيل في الشمال قد تآكلت بفعل الرياح والأمطار، فصارت ملساء وعديمة الملامح تقريبًا، ولكن الوجوه والتفاصيل كانت تزداد وضوحًا بينما هم يبحرون نحو الجنوب. كانت أمواج النهر تتلاطم حول أقدام التماثيل التي تحولت بفعل المياه إلى نتوءات ملساء، ولكنها لم تختفِ تمامًا. تساءل (راند) منذ متى وهم يقفون هناك. كم سيمضي قبل أن يؤدي النهر إلى تآكل كل هذه الصخور؟ لم يرفع أي من أفراد الطاقم نظره عن عمله. لقد رأوا هذه المنحوتات القديمة مرات عديدة من قبل.

في مرة أخرى عندما صار الشاطئ الشرقي من جديد أرضًا عشبية لا يتخللها إلا بعض أجمات الأشجار لمع شيء في الأفق في ضوء الشمس، تساءل (راند) بصوت مرتفع: «ما هذا؟ يبدو وكأنه معدن».

كان القبطان (دومون) يسير بالقرب منه فتوقف وضيَّق عينيه وهو ينظر ناحية اللمعان ثم قال: «إنه معدن بالفعل». كانت كلماته لا تزال تتدفق معًا، ولكن (راند) صار يفهمها دون الحاجة لحل أحجيتها. «برج من

المعدن. لقد رأيته عن قرب وأعرفه. تجار النهر يستخدمونه كعلامة، نحن على بعد عشرة أيام من (الجسر الأبيض)، بالوتيرة التي نتحرك بها».

قال (راند): «برج معدني؟». فاعتدل (مات) الذي كان جالسًا معقود الساقين متكئًا بظهره إلى برميل واقفًا، قاطعًا تفكيره ليصغي السمع.

أومأ القبطان برأسه وقال: «أجل، يبدو من منظره وملمسه أنه فولاذ لامع، بلا أدنى بقعة من الصدأ. يبلغ ارتفاعه مئتي قدم، وعرضه كبيت كبير، بلا أدنى علامة عليه، ولم يعثر أحد على فتحة فيه».

قال (مات): «أُراهن أن هناك كنزًا بالداخل». ثم اعتدل واقفًا وحدق ناحية البرج البعيد بينما النهر يحمل (سبراي) بعيدًا عنه. «لا شك أن شيئًا كهذا قد صُنِع لحماية شيء ثمين».

تمتم القبطان قائلًا: «ربما يا فتى، ولكن هناك أشياء في العالم أكثر غرابة من هذا. في (تريمالكينج) . إحدى جزر (قوم البحر) . هناك يد حجرية بارتفاع خمسين قدم بارزة من تل، تقبض على كرة بلورية بحجم هذه السفينة، إن كان هناك كنز في أي مكان فسيكون أسفل ذلك التل. ولكن سكان الجزيرة لا يرغبون في الحفر هناك، و(قوم البحر) لا يُبالون إلا بالإبحار بسفنهم والبحث عن (كورامور)، وهو المختار في معتقدهم».

قال (مات): «أنا مستعد لأن أحفر هناك. كم تبعد... (تريمالكينج) هذه؟». أخفت أجمة من الأشجار البرج اللامع عن أنظارهم، ولكنه كان يحدق كأن باستطاعته أن يرى.

هز القبطان (دومون) رأسه وقال: «لا يا فتى، ليس الكنز هو ما يجعلك تجوب العالم. إذا عثرت على حفنة من الذهب أو مجوهرات مَلِكٍ ما ميت فهذا لا بأس به، ولكن الغرابة التي ستراها هي ما ستجذبك إلى الأفق التالي. في (تانتشيكو) . وهو ميناء في (محيط آريث) . جزء من (قصر البانارك) قد بُني في (عصر الأساطير)، أو هذا ما قيل. ثمة جدار هناك، به إفريز مرسوم عليه حيوانات لم يرها إنسان من قبل».

قال (راند): «أي طفل يمكنه أن يرسم حيوانًا لم يره أحد من قبل».

فضحك القبطان وقال: «أجل يا فتى، أي طفل يمكنه هذا، ولكن هل يمكن لطفل أن يصنع عظام هذه الحيوانات؟ في (تانتشيكو) لديهم هذا، وجميعها مربوطة معًا كما كانت الحيوانات. إنها موضوعة في جزء من (قصر البانارك)، حيث يمكن لأي شخص أن يدخل ويراها. لقد ترك (تحطم العالم) آلاف العجائب وراءه، وقد كان هناك ست إمبراطوريات أو أكثر منذ ذلك الوقت، وبعضها ينافس إمبراطورية (أرتور هاوكوينج)، وكل واحدة قد تركت أشياء لرؤيتها أو العثور عليها؛ عصيان ضوء، أشرطة قماشية كشفرات حادة، أحجار قلب، شبكة بلورية تغطي جزيرة وتهمهم عندما يبزغ القمر، جبل مجوف على هيئة وعاء، وفي منتصفه مرتفع فضي مُدبَّب يبلغ طوله مئة باع، وكل من يقترب منه مسافة ميل يموت. أطلال صدئة، وشظايا محطمة، وأشياء عُثر عليها في قاع البحر، وأشياء لا تعرف حتى أقدم الكتب معناها، لقد جمعت بعضها بنفسي. أشياء لم تحلم بها قط، في أماكن أكثر مما يمكنك أن ترى في عشرة أعمار. هذه هي الغرابة التي ستجذبك».

قال (راند) ببطء: «لقد اعتدنا الحفر واستخراج العظام في (تلال الرمال)، عظام غريبة، ذات مرة كان هناك جزء من سمكة . أعتقد أنها كانت سمكة . كبير بحجم هذا القارب. يقول البعض إن الحفر في التلال يجلب الحظ السيئ».

نظر إليه القبطان بدهاء وقال: «أنت تفكر في الديار بالفعل يا فتى وقد خرجت لتوك إلى العالم؟ سيضع العالم خطافه في فمك، ستبدأ في مطاردة غروب الشمس، انتظر وسترى... وإن عدت يومًا ما فلن تكون قريتك كبيرة بما يكفي لاستيعابك».

جفل قائلًا: «لا!». كم مضى منذ أن فكر في الديار، في (إيموندز فيلد)؟ وماذا عن (تام)؟ لا شك أنها أيام، لقد بدت كشهور. «سأعود

إلى الديار يومًا ما، عندما أستطيع هذا، وسأربي الأغنام مثل... مثل أبي، وإن لم أغادر مرة أخرى فسيكون هذا قريبًا للغاية، أليس هذا صحيحًا يا (مات)؟ سنعود إلى الديار في أقرب وقت ممكن، وسننسى حتى أن كل هذا موجود».

بذل (مات) جهدًا واضحًا ليُبعد عينيه عن التحديق وراءه إلى البرج المتلاشي ثم قال: «ماذا؟ أوه نعم، بالتأكيد، سنعود إلى الديار بالطبع». وبينما هو يستدير للابتعاد سمعه (راند) يقول بصوت هامس: «أُراهن أنه فقط لا يُريد أن يسعى شخص آخر وراء الكنز». لم يبدُ عليه أنه يدرك أنه تحدث بصوت مسموع.

بعد أربعة أيام من رحلتهم عبر النهر كان (راند) جالسًا على قمة الصاري على الطرف غير الحاد عاقدًا ذراعيه حول الدعامات. كانت سفينة (سبراي) تتمايل برفق وهي تتحرك عبر النهر، ولكن على ارتفاع خمسين قدمًا فوق الماء، هذا التمايل الرفيق جعل الصاري يتأرجح بشدة جيئة وذهابًا. أمال رأسه إلى الوراء وضحك عبر الرياح التي تهب في وجهه.

كانت المجاديف بارزة من القارب فبدا كأنه عنكبوت باثنتي عشرة قدمًا يزحف عبر (نهر آرينيل). لقد كان بمثل هذا الارتفاع من قبل فوق الأشجار عندما كان في (النهرين)، ولكن هذه المرة لم يكن هناك أغصان لتحجب الرؤية، كل شيء على سطح القارب بدا غريبًا عند رؤيته من الأعلى؛ البحارة الذين يحركون المجاديف، الرجال الجاثون على ركبهم لتنظيف السطح بأحجار ناعمة، الرجال الذين يفعلون أشياء بالحبال وأغطية الفتحات، جميعهم جاثون ويبدو حجمهم صغيرًا للغاية، حتى أنه قضى ساعة لا يفعل شيئًا سوى التحديق إليهم والضحك.

كان لا يزال يضحك كلما نظر لأسفل إليهم، ولكنه حينها حدق إلى ضفتي النهر وهما تتدفقان إلى جواره. هكذا بدا الأمر؛ كأنه كان ساكنًا.

باستثناء التأرجح جيئة وذهابًا بالطبع. والضفتان تزحفان ببطء؛ الأشجار والتلال تتحرك على جانبيه. كان ساكنًا والعالم كله يتحرك بجواره.

بحركة مفاجئة فك ساقيه من الدعامات التي تدعم الصاري وثبَّت ذراعيه وساقيه على كلا الجانبين متوازنًا في مواجهة التأرجح. أبقى توازنه هكذا لثلاث تأرجحات كاملة، ثم فجأة اختل توازنه. دار ذراعاه وساقاه وتعثر للأمام فتشبث بحبل الشراع الأمامي، انفرجت ساقاه على كلا جانبي الصاري، ولم يعد هناك شيء يُثبت جسده المتزعزع إلا يديه الممسكتين بحبل الشراع وهو يضحك. أخذ أنفاسًا عميقة من الرياح الباردة المنعشة وهو يضحك مبتهجًا بالأمر.

جاء صوت (توم) الأجش وهو يقول: «إن كنت تحاول كسر عنقك الأحمق يا فتى فلا تفعل هذا بالسقوط فوقي».

نظر (راند) لأسفل، كان (توم) متشبثًا بحبال سلم الصاري أسفله مباشرة، محدقًا لأعلى بوجوم، ولا يفصل بينهما إلا أقدام قليلة. كان (توم) قد ترك عباءته بالأسفل مثل (راند). قال بابتهاج: «متى صعدت إلى هنا يا (توم)؟».

«عندما لم تكن تُصغي إلى الناس الذين كانوا يصرخون فيك، بحق (النور) يا فتى، لقد جعلت الجميع يظنون أنك قد أُصبت بالجنون».

نظر لأسفل فاندهش لرؤية كل هذه الوجوه التي تحدق لأعلى ناحيته، وحده (مات) الذي كان جالسًا معقود الساقين في مقدمة السفينة وظهره إلى الصاري لم يكن ينظر إليه. حتى الرجال عند المجاديف كانت أنظارهم مرفوعة إليه مما جعل ضرباتهم غير منتظمة، ولم يكن هناك أحد يوبخهم على هذا. أمال (راند) رأسه لينظر أسفل ذراعه إلى مؤخرة السفينة، كان القبطان (دومون) واقفًا بجانب مجداف التوجيه، واضعًا يديه على خاصرتيه وهو يحدق إليه على قمة الصاري. التفت مرة أخرى إلى (توم) مبتسمًا وهو يقول: «أنت تريدني أن أهبط إذن؟».

أومأ (توم) برأسه بقوة وقال: «سأكون ممتنًا لهذا كثيرًا».

قال له: «حسنًا». وهو يحرك قبضته على حبل الشراع الأمامي، ويقفز إلى الأمام من على قمة الصاري. سمع (توم) يتر سبة بينما هو يتوقف عن السقوط فجأة ويتدلى من حبل الشراع الذي أمسكه بكلتا يديه. حدجه صانع البهجة بنظره وقد امتدت يده للأمام للإمساك به. ابتسم مرة أخرى وهو يقول لتوم: «سأهبط الآن».

تأرجح بساقيه لأعلى وعقد إحدى ركبتيه فوق الحبل الغليظ الذي يمتد من الصاري إلى مقدمة السفينة ثم أحاط به بانحناءة مرفقه وأفلت قبضتيه. انزلق لأسفل ببطء ثم بسرعة متزايدة. قبل أن يصل إلى مقدمة السفينة تخلى عن الحبل ليسقط على قدميه على سطح السفينة أمام (مات) وتحرك خطوة للأمام ليستعيد توازنه، قبل أن يلتفت ليواجه القارب وقد فرد ذراعيه كما يفعل (توم) بعد أي حركة بهلوانية.

تعالى صوت تصفيقات متناثرة من الطاقم، ولكنه كان ينظر في دهشة إلى (مات) وإلى ما يحمله ويخفيه عن الجميع بجسده؛ خنجر معقوف بغمد ذهبي مزخرف برموز غريبة، كان هناك خيط من الذهب الخالص ملفوف حول المقبض ومُطَعَّم بياقوتة بحجم ظفر إبهام (راند)، وكان الكُلاب عبارة عن أفعوانين بحراشف ذهبية يكشفان عن أنيابهما.

واصل (مات) غمد الخنجر واستلاله للحظة، وبينما هو يلعب بالخنجر رفع رأسه ببطء، وبدا أن عينيه شاردتان. فجأة ركز نظره على (راند) فجفل وخبَّأ الخنجر تحت معطفه.

جلس (راند) القرفصاء على كاحليه وقد عقد ذراعيه على ركبتيه. «من أين حصلت على هذا الشيء؟». لم يقل (مات) شيئًا وهو ينظر بسرعة ليرى إن كان هناك أي شخص قريب. الغريب أنهما كانا وحدهما. «أنت لم تأخذه من (شادار لوجوث)، أليس كذلك؟».

حدق (مات) إليه وقال: «إنه خطؤكما أنت و(بيرين)، أنتما الاثنان جذبتماني بعيدًا عن الكنز وقد كنت أمسك به في يدي. (مورديث) لم يُعطه لي، أنا أخذته، لذا فإن تحذيرات (مويرين) عن هداياه لا تدخل في الاعتبار. لا تُخبر أي شخص يا (راند)، قد يحاولون سرقته».

قال (راند): «لن أخبر أي شخص، أعتقد أن القبطان (دومون) رجل نزيه، ولكني لا أثق في بقيتهم، وخصوصًا (جيلب)».

قال (مات) بإلحاح: «لا تخبر أي شخص، لا (دومون) ولا (توم) ولا أي شخص. نحن الوحيدان المتبقيان من (إيموندز فيلد) يا (راند)، لا يمكننا أن نثق في أي شخص آخر».

«إنهما على قيد الحياة يا (مات)، (إيجوين) و(بيرين)، أنا أعرف أنهما على قيد الحياة». بدا الخجل على وجه (مات)، فأكمل (راند): «ولكني سأكتم سرك، الأمر بيننا نحن الاثنين فقط. على الأقل ليس علينا أن نقلق الآن بشأن المال، يمكننا بيعه مقابل ما يكفي لأن نسافر إلى (تار ڤالون) كالملوك».

بعد دقيقة قال (مات): «بالطبع، هذا إن اضطررنا لبيعه، فقط لا تخبر أي شخص حتى أقول هذا».

«قلت إنني لن أفعل. اسمعني، هل راودتك المزيد من الأحلام منذ أن صعدنا إلى متن القارب؟ مثلما حدث في (بايرلون)؟ هذه هي الفرصة الأولى التي أحصل عليها لأن أسألك عن هذا دون أن يكون هناك ستة أشخاص يصغون إلينا».

أدار (مات) رأسه بعيدًا ثم قال بنظرة جانبية: «ربما».

«ما الذي تعنيه بربما؟ إما راودتك أو لم تراودك».

«حسنًا حسنًا، لقد راودتني، أنا لا أرغب في الحديث عن الأمر، أنا لا أرغب حتى في التفكير فيه، هذا لا يُجدي نفعًا».قبل أن يجد أي منهما فرصة لقول المزيد جاء (توم) بخطوات مسرعة عبر سطح السفينة وعباءته على ذراعه، وشعره الأبيض يتطاير مع الرياح، وبدا شاربه منفوشًا. قال:

«لقد تمكنت من إقناع القبطان بأنك لست مجنونًا وأن هذا كان جزءًا من تدريباتك». ثم أمسك بحبل الشراع الأمامي وهزه قائلًا: «إن حيلتك الحمقاء هذه بالانزلاق عبر الحبل كانت مفيدة، ولكنك محظوظ لأنك لم تكسر عنقك الأحمق».

نظر (راند) إلى الحبل وتتبعه بنظره حتى قمة الصاري، وبينما يفعل هذا فغر فاه؛ هل انزلق عبر هذا؟ وكان جالسًا على قمة الـ...

فجأة استطاع أن يرى نفسه بالأعلى هناك، فاردًا ذراعيه وساقيه على اتساعهما. هوى جالسًا وبالكاد منع نفسه من أن يسقط مستلقيًا على ظهره.

كان (توم) ينظر إليه مفكرًا قبل أن يقول: «لم أكن أعرف أن لديك القدرة على التعامل مع المرتفعات يا فتى، قد نتمكن من الاستعراض في (إليان) أو (إيبو دار) أو حتى (تير). الناس في الجنوب يحبون من يمشون على الأحبال المشدودة، والفنانين الذين يتوازنون على أحبال مطاطية».

«نحن ذاهبون إلى...». في اللحظة الأخيرة تذكر (راند) أن يتلفت حوله بحثًا عن أي شخص قريب بما يكفي لاستراق السمع، كان العديد من أفراد الطاقم يراقبونهم، محدجًا بنظره كالعادة، ولكن لم يكن أي منهم قادر على سماع ما يقولونه. أنهى جملته قائلًا: «إلى (تار ڤالون)». هز (مات) كتفيه كأن الأمر سيان بالنسبة له؛ أيًّا كانت الوجهة التي سيذهبون إليها.

قال (توم) وهو يجلس بجوارهما: «هذا في الوقت الحالي يا فتى، ولكن غدًا... من يعرف؟ هذه طبيعة حياة صانعي البهجة». ثم أخرج حفنة من الكرات الملونة من كمه الواسع وقال: «بما أنني أنزلتك من الهواء فسنعمل على التقاطع الثلاثي».

شرد نظر (راند) إلى قمة الصاري، ثم ارتجف، *ما الذي يحدث لي؟ ماذا بحق (النور)؟* عليه أن يكتشف هذا، عليه أن يذهب إلى (تار ڤالون) قبل أن يُصاب بالجنون حقًّا.

الفصل الخامس والعشرون

الجوالون

كانت (بيلا) تسير بهدوء تحت أشعة الشمس الشاحبة، كأنما الذئاب الثلاثة الذين يهرولون على مسافة ليست ببعيدة هم مجرد كلاب قروية، ولكن الطريقة التي تنظر بها إليهم من وقت إلى آخر كانت تشي بأنها تشعر عكس هذا. كانت (إيجوين) التي تمتطي ظهر الفرس ينتابها نفس الشعور. كانت تراقب الذئاب باستمرار من طرف عينها وأحيانًا ما تميل في سرجها لتتلفت حولها. كان (بيرين) واثقًا من أنها تبحث عن بقية القطيع، رغم أنها أنكرت هذا في غضب عندما أشار إليه، وأنكرت خوفها من الذئاب التي تسير بمحاذاتهم، ونفت قلقها من بقية القطيع أو ما يسعون إليه. كانت تنكر هذا بينما تواصل النظر بعينين محبطتين وهي تبلل شفتيها في توتر.

كان بقية القطيع على مسافة بعيدة، وكان بإمكانه أن يخبرها بهذا، ولكن ما الفائدة حتى لو صدقته؟ وخصوصًا إن صدقته. لم يكن يرغب في فتح سلة الثعابين هذه حتى يضطر لهذا، لم يرغب في أن يفكر في كيفية معرفته بالأمر. كان الرجل المكسو بالفراء يسير بخطوات واسعة أمامهم، وأحيانًا ما يبدو وكأنه ذئب هو أيضًا، ولم ينظر وراءه عندما ظهر (دابل) و(هوبر) و(ويند)، ولكنه كان يعرف هذا أيضًا.

لقد استيقظ (بيرين) و(إيجوين) في فجر هذا اليوم ليجدا (إلياس) يطهو المزيد من الأرانب ويراقبهما من فوق لحيته الكثة دون أن يبدو على وجهه الكثير من التعابير. لم يكن باستطاعتهما رؤية أي ذئب عدا (دابل) و(هوبر) و(ويند). لم تتبدد الظلال الداكنة الكامنة أسفل شجرة البلوط الكبيرة في ضوء الصباح الباكر الشاحب، وكانت الأشجار العارية من ورائها تبدو كعظام أصابع قد نُزِع عنها اللحم.

عندما سألت (إيجوين) (إلياس) أين ذهب بقية القطيع أجابها قائلًا: «إنهم موجودون في الأرجاء، قريبين بما يكفي للمساعدة، إن دعت الحاجة إلى هذا، بعيدين بما يكفي لتجنب أي متاعب بشرية قد نقع فيها. عندما يكون هناك اثنان من البشر معًا فسيكون هناك متاعب، عاجلًا أو آجلًا. إن احتجناهم فسيأتون».

شيء ما دغدغ عقل (بيرين) الباطن وهو يقضم لحم الأرنب المشوي. إحساس مبهم باتجاه ما. *بالطبع هذا هو المكان الذي هم*... فجأة فقدت العصارة الساخنة في فمه طعمها تمامًا. التقط شيئًا من الدرنات التي طهاها (إلياس) في الفحم. كان مذاقها يُشبه اللفت نوعًا ما. ولكنه كان قد فقد شهيته.

عندما بدأوا في السير أصرَّت (إيجوين) على أن يتناوبوا جميعًا امتطاء الفرس، ولكن (بيرين) لم يكلف نفسه عناء مجادلتها.

قال لها: «فليكن دورك أنت أولًا».

أومأت برأسها وقالت: «وبعد هذا دورك يا (إلياس)».

قال (إلياس): «إن ساقي جيدتان بما يكفي بالنسبة لي». ثم نظر إلى (بيلا) فأشاحت الفرس بوجهها كأنه أحد الذئاب. «علاوة على هذا لا أعتقد أنها ترغب في أن أمتطيها».

أجابته (إيجوين) بحزم قائلة: «هذا هراء، لا جدوى من العناد في هذا الأمر. الشيء العقلاني هو أن يمتطي الجميع لبعض الوقت. حسبما قلت فإن أمامنا طريقًا طويلًا لنقطعه».

«قلت لا يا فتاة».

أخذت نفسًا عميقًا فتساءل (بيرين) إن كانت ستنجح في التنمر على (إلياس)، كما تفعل معه عادة. ثم أدرك أنها تقف بفم مفتوح دون أن تنطق بكلمة. لم يكن (إلياس) يفعل شيئًا سوى النظر إليها بعينيه الصفراوين كعيني ذئب. خطت (إيجوين) خطوة للوراء مبتعدة عن الرجل النحيل ولعقت شفتيها قبل أن تخطو إلى الوراء مرة أخرى. قبل أن يستدير (إلياس) مبتعدًا كانت قد تراجعت حتى وصلت إلى (بيلا) فأسرعت لتمتطي ظهر الفرس. بينما الرجل يستدير ليقودهما جنوبًا خُيِّل لـ(بيرين) أن ابتسامته تشبه ابتسامة ذئب أيضًا.

لثلاثة أيام ارتحلوا بهذه الطريقة؛ سيرًا وامتطاءً، جنوبًا وشرقًا طيلة النهار، ولا يتوقفون إلا عندما يُظلم الشفق. بدا أن (إلياس) يزدري استعجال رجال المدن، ولكنه لم يكن يؤمن بإضاعة الوقت عندما يكون هناك مكان يجب الذهاب إليه.

نادرًا ما يرون الذئاب الثلاثة، كانوا يأتون كل ليلة إلى النار لبعض الوقت، وأحيانًا ما يُظهرون أنفسهم في النهار لفترة وجيزة. يظهرون بالقرب منهم بينما هم لا يتوقعون هذا، ويتلاشون بالطريقة ذاتها. كان (بيرين) يعرف بطريقة ما أنهم هناك، ويعرف مكانهم. كان يعرف عندما يستطلعون الطريق أمامهم، وعندما يتراجعون لتفحص أثرهم. كان يعرف عندما يتركون أراضي صيد القطيع المعتادة، وعندما تُعيد (دابل) القطيع لانتظارها. أحيانًا ما يتلاشى الثلاثة المتبقون من عقله، ولكنه كان يُدرك عودتهم قبل أن يقتربوا بما يكفي لرؤيتهم بوقت طويل. حتى عندما تضاءلت الأشجار لتتحول إلى أجمات متناثرة يفصل بينها مساحات واسعة من

العشب الميت بفعل الشتاء كانوا يصيرون كالأشباح إن لم يرغبوا في أن يراهم أحد، ولكن كان باستطاعته أن يشير بإصبعه ناحيتهم مباشرة في أي وقت. لم يكن يعرف كيف يعرف هذا، وحاول أن يقنع نفسه أن مخيلته تخدعه، ولكن هذا لم يُجدِ نفعًا، إنه يعرف كما يعرف (إلياس).

حاول ألا يفكر بشأن الذئاب ولكنهم كانوا يتسللون إلى أفكاره طيلة الوقت. لم يحلم بـ(بعلزمون) منذ أن التقى بإلياس والذئاب. كانت أحلامه . أو قدر ما يتذكره منها عند استيقاظه. عن أشياء يومية معتادة، تمامًا كما كان يحلم في الديار... قبل (بايرلون)... قبل (ليلة الشتاء). أحلام عادية مع إضافة واحدة؛ في كل حلم يتذكره كان هناك نقطة يعتدل فيها من على كير الحدادة في ورشة السيد (لوهان) ليمسح العرق من على وجهه، أو يتحول عن الرقص مع فتيات القرية في (الساحة الخضراء)، أو يرفع رأسه عن كتاب أمام المدفأة. وسواء كان في الخارج أو تحت سقف البيْت يكون هناك ذئب بالقرب منه، ودومًا ما يكون الذئب موليًا ظهره له، ودومًا ما كان يعرف. يبدو هذا بديهيًّا في الأحلام حتى على مائدة عشاء (ألسبيت لوهان). أن عيني الذئب الصفراوين تراقبان ما قد يأتي وتحرسانه مما قد يأتي. لا تبدو أحلامه غريبة إلا عندما يستيقظ.

استمرت رحلتهم لثلاثة أيام بينما (دابل) و(هوبر) و(ويند) يحضرون لهم الأرانب والسناجب، وإلياس يشير إلى النباتات الصالحة للأكل، التي لم يتعرف (بيرين) إلا على القليل منها. ذات مرة اندفع أرنب من بين حوافر (بيلا)، وقبل أن يضع (بيرين) حجرًا في مقلاعه كان (إلياس) قد أصابه بسكينه من على بعد عشرين خطوة. في مرة أخرى أوقع (إلياس) بقوسه طائر تَدْرُج سمين يحلق في الهواء. صارا يتناولان طعامًا أفضل بكثير مما كانا يتناولانه عندما كانا يعتمدان على نفسيهما. ولكن (بيرين) لم يكن يمانع العودة إلى الحصص الغذائية القليلة إن كان هذا يعني صحبة مختلفة. لم يكن واثقًا من شعور (إيجوين)، ولكنه كان مستعدًّا للجوع إن كان هذا يعني المضي قُدُمًا دون ذئاب. كانوا فيما بعد ظهيرة اليوم الثالث.

كان هناك أجمة من الأشجار أمامهم، أكبر من معظم الأجمات التي التقوا بها، عرضها أربعة أميال تقريبًا. كانت الشمس منخفضة في السماء جهة الغرب، وتُلقي بالظلال المائلة إلى يمينهم، وكانت الرياح تزداد قوة. أحس (بيرين) بالذئاب تتخلى عن التمركز وراءهم وتتحرك إلى الأمام، ولكن ليس في عجالة. لم يشتموا أو يروا شيئًا خطيرًا. كانت (إيجوين) تأخذ دورها في امتطاء (بيلا)، وكان الوقت قد حان للبحث عن مكان للتخييم أثناء الليل، وهذه الأجمة الكبيرة ستفي جيدًا بالغرض.

بينما هم يقتربون من الأشجار اندفع ثلاثة من كلاب الدرواس من مخبئها، ثلاثة كلاب عريضة الخطم، طويلة كالذئاب، بل وأثقل منها، وتكشف عن أسنانها في زمجرة عالية. توقفوا في موضعهم بمجرد أن صاروا في العراء، ولكن لم يكن يفصلهم عن الأشخاص الثلاثة أكثر من ثلاثين قدمًا، وعيونهم الداكنة مشتعلة بالرغبة في القتل.

(بيلا) . التي كانت مشدودة الأعصاب بالفعل بسبب الذئاب . صهلت وكادت أن تُسقط (إيجوين) من على صهوتها، ولكن في لحظة كان مقلاع (بيرين) يدور حول رأسه. لا حاجة لاستخدام الفأس مع الكلاب، إن حجرًا في الضلوع سيجعل أشرس كلب يركض هاربًا.

لوَّح (إلياس) بيده ناحيته دون أن يُبعد عينيه عن الكلاب المتحفزة وهو يقول: «لا! لا تفعل هذا!».

نظر إليه (بيرين) في حيرة، ولكنه ترك مقلاعه يُبطئ من دورانه حتى استقر إلى جواره أخيرًا. تمكنت (إيجوين) من السيطرة على (بيلا)، بينما هي والفرس تنظران إلى الكلاب بحذر.

كان الشعر منتصبًا على ظهور الكلاب، وآذانهم مائلة إلى الوراء، وزمجراتهم تهدر كالزلازل. فجأة رفع (إلياس) إصبعه عاليًا وهو يصفر صفيرًا حادًّا طويلًا، راح يعلو بلا انقطاع. انقطعت الزمجرات فجأة والكلاب

تخطو للوراء وهي تئن وتدير ظهورها كأنما ترغب في الهرب ولكن شيئًا ما يُمسك بها. ظلت أعينها معلقة بإصبع (إلياس).

ببطء خفض (إلياس) يده بينما حدة صفيره تنخفض معها. راح الكلاب ينخفضون هم أيضًا حتى استلقوا على بطونهم على الأرض وألسنتهم متدلية من أفواههم وهم يؤرجحون ذيولهم.

قال (إلياس) وهو يسير ناحية الكلاب: «هل رأيت، لا حاجة لاستخدام الأسلحة». راحت كلاب الدرواس تلعق يديه وهو يحك رؤوسها العريضة ويداعب آذانها. «إنهم يبدون أكثر شراسة من حقيقتهم، لم يقصدوا إلا إخافتنا، ولم يكونوا ليحاولوا عضنا ما لم نحاول الولوج بين الأشجار. على أي حال لا داعي للقلق بشأن هذا الآن، يمكننا الوصول إلى الأجمة التالية قبل حلول الظلام التام».

عندما نظر (بيرين) إلى (إيجوين) كان فمها مفتوحًا، أدرك أن فمه أيضًا مفتوح فأغلقه على الفور بصوت اصطكاك مسموع.

تفحص (إلياس) أجمة الأشجار وهو لا يزال يربت على الكلاب ثم قال: «ثمة (تواثان) هنا». حدقا إليه في عدم فهم فقال: «(الجوالون)».

صاح (بيرين): «(الجوالون)؟ لطالما أردت أن أرى (الجوالين)، أحيانًا ما يخيمون على الجانب الآخر من النهر قُبالة (تارين فيري)، ولكنهم لا يأتون إلى (النهرين) حسبما أعرف. لا أعرف لم لا يأتون».

قالت (إيجوين) بسخرية: «ربما لأن قوم (تارين فيري) لصوص بارعون مثل (الجوالين)، لا شك أنه سينتهي بهم المطاف بسرقة بعضهم بعضًا بلا هوادة. إن كان هناك جوالون بالقرب منا يا سيد (إلياس) أليس من الأفضل أن نمضي قُدُمًا؟ لا أريد أن يسرقوا (بيلا) و... حسنًا، لا نملك أي شيء آخر، ولكن الجميع يعرف أن (الجوالين) سيسرقون أي شيء».

سألها (إلياس) بسخرية: «بما في ذلك الرضع؟ يخطفون الأطفال وما إلى ذلك؟». احمر وجهها خجلًا. هذه الحكايات عن سرقتهم للأطفال كانت تُروى أحيانًا، ولكن غالبًا ما يرويها (سين بوي) أو واحد من آل (كوبلِن) أو آل (كونجار)، ولكن الحكايات الأخرى يعرفها الجميع. «(الجوالون) يثيرون اشمئزازي أحيانًا، ولكنهم لا يسرقون أكثر من أي أناس آخرين، بل أقل من بعض ممن أعرفهم».

قال (بيرين): «سيحل الظلام قريبًا يا (إلياس)، لم لا نخيم في مكان ما؟ لم لا نخيم معهم إن كانوا سيقبلون وجودنا؟». كان لدى السيدة (لوهان) إناء قد أصلحه (الجوالون) تزعم أنه أفضل من الجديد، لم يكن السيد (لوهان) سعيدًا بثناء زوجته على عمل (الجوالين)، ولكن (بيرين) أراد أن يرى كيفية فعل هذا. رغم هذا كان هناك إحجام بادٍ على (إلياس) لم يفهمه. «هل هناك سبب يمنعنا من هذا؟».

هز (إلياس) رأسه ولكن الإحجام كان لا يزال باديًا على وجهه ثم قال: «ربما يمكننا فعل هذا ولكن لا تُلقيا بالًا لما يقولونه؛ الكثير من الحماقة. في معظم الأوقات يفعل (الجوالون) الأشياء كيفما اتفق، ولكن هناك أوقات يولون فيها اهتمامًا كبيرًا للشكليات. لذا افعلا كما افعل، واحتفظا بأسراركما لنفسيكما، لا حاجة لأن نخبر كل الناس بكل شيء».

سارت الكلاب بجوارهم وهي تهز ذيولها بينما (إلياس) يتقدم الطريق ناحية الأشجار. أحس (بيرين) بالذئاب وهم يتحركون ببطء، وعرف أنهم لن يدلفوا إلى الأشجار. لم يكونوا خائفين من الكلاب. كانوا يحتقرون الكلاب التي تخلت عن حريتها لتنام بجانب النيران. ولكنهم كانوا يتجنبون البشر.

كان (إلياس) يمشي بثقة كأنه يعرف الطريق عن ظهر قلب، وبالقرب من منتصف الأجمة ظهرت عربات (الجوالين) متناثرة بين أشجار البلوط والمران.

كجميع قاطني (إيموندز فيلد) كان (بيرين) قد سمع الكثير عن (الجوالين)، رغم أنه لم يرَ أيًّا منهم من قبل، فكان المخيم كما توقعه تمامًا. كانت عرباتهم بيوت صغيرة على عجلات، صناديق خشبية طويلة مصقولة ومطلية بألوان زاهية، حمراء وزرقاء وصفراء وخضراء، ودرجات أخرى من الألوان لم يكن يعرف اسمها. كان (الجوالون) منهمكين في الأعمال اليومية المعتادة بشكل مخيب للآمال، الطبخ والحياكة والاعتناء بالأطفال وإصلاح السروج. ولكن ملابسهم كانت ملونة أكثر حتى من العربات، ويبدو كأنها قد اختيرت بشكل عشوائي؛ أحيانًا معطف وسروال قصير، أو فستان وشال، مجتمعين كيفما اتفق بشكل يؤلم عينيه. لقد بدوا كفراشات في حقل من الأزهار البرية.

كان هناك أربعة رجال أو خمسة، في أماكن مختلفة في المخيم، يعزفون على الآلات الوترية والمزامير، وعدد قليل يرقصون كطيور طنان بألوان قوس قزح. كان الأطفال والكلاب يركضون بين نيران الطهي. كانت الكلاب من الدرواس كتلك التي واجهتهم، ولكن الأطفال كانوا يجذبون آذانها وذيولها ويمتطون ظهورها، وكانت الكلاب الضخمة تقبل هذا في سكينة. الكلاب الثلاثة الذين كانوا مع (إلياس) راحوا ينظرون إليه بألسنة متدلية كأنه صديقهم المفضل. هز (بيرين) رأسه، لا يزال حجمهم ضخمًا بما يكفي للوصول إلى حلق أي رجل دون أن يرفعوا قوائمهم الأمامية عن الأرض إلا قليلًا.

فجأة توقفت الموسيقى، فأدرك أن جميع (الجوالين) يحدقون إليه هو ورفاقه، حتى الأطفال والكلاب وقفوا ساكنين وهم يراقبون بحذر كأنهم على وشك الهرب.

للحظة لم يكن هناك أدنى صوت على الإطلاق، ثم تقدم رجل قصير نحيف رمادي الشعر إلى الأمام وانحنى بشدة أمام (إلياس). كان يرتدي معطفًا أحمر بياقة عالية، وسروالًا فضفاضًا بلون أخضر زاهٍ مدسوس في حذاء يصل إلى ركبتيه. «مرحبًا بكم في مخيمنا، هل تعرفون الأغنية؟».

انحنى (إلياس) بنفس الطريقة وهو يضع يديه على صدره ثم قال: «إن ترحيبكم يُدفئ روحي يا (مهدي)، كما تُدفئ نيرانكم جسدي، ولكني لا أعرف الأغنية».

قال الرجل رمادي الشعر بنبرة رتيبة: «إذن فلا يزال علينا البحث، كما كان الأمر دومًا، وكما سيكون، فلطالما كنا نبحث ونعثر قدر ما نتذكر». ثم أشار بيده ناحية النيران مبتسمًا وقد اتسم صوته بخفة مرحة وهو يقول: «تكاد الوجبة أن تكون جاهزة، انضموا إلينا من فضلكم».

وكأن هذه كانت إشارة منه، فقد تعالت الموسيقى مرة أخرى، وتعالت ضحكات الأطفال وهم يركضون مع الكلاب. عاد جميع من بالمخيم إلى ما كانوا يفعلونه، كأن الوافدين الجدد أصدقاء قدامى.

ولكن الرجل رمادي الشعر تردد وهو ينظر إلى (إلياس) قائلًا: «هل سيبقى... أصدقاؤك الآخرون بعيدًا؟ إنهم يخيفون كلابي المسكينة كثيرًا».

هز (إلياس) رأسه بشيء من الاستياء وهو يقول: «سيبقون بعيدًا يا (راين)، من المفترض بك معرفة هذا».

بسط الرجل رمادي الشعر يديه كأنما ليقول إنه لا يوجد شيء يقينيٌّ مطلقًا، ثم استدار ليصطحبهم إلى المخيم، فترجلت (إيجوين) عن فرسها واقتربت من (إلياس) قبل أن تقول: «هل أنتما صديقان؟».

ظهر جوَّال مبتسم ليأخذ (بيلا) فأعطته (إيجوين) اللجام على مضض بعد ابتسامة ساخرة من (إلياس).

أجابها الرجل المكسو بالفراء باقتضاب: «إننا نعرف أحدنا الآخر».

قال (بيرين): «اسمه (مهدي)؟».

تمتم (إلياس) بشيء غير مسموع ثم قال: «اسمه (راين)، (مهدي) هو لقبه، الباحث. إنه قائد هذه الفرقة، يمكنك مناداته بالباحث إن كانت الكلمة الأخرى تبدو غريبة، لن يُمانع هذا».

سألته (إيجوين): «ماذا يقصد بالأغنية؟».

قال (إلياس): «إنها سبب تجوالهم، أو هذا ما يقولونه. إنهم يسعون وراء أغنية، هذا هو ما يبحث (المهدي) عنه، إنهم يقولون إنهم قد فقدوها أثناء (تحطم العالم)، وإنهم إن تمكنوا من العثور عليها فسيعود فردوس (عصر الأساطير)». ثم جال بنظره في المخيم قبل أن يقول ساخرًا: «إنهم حتى لا يعرفون ما هي الأغنية، ولكنهم يزعمون أنهم سيعرفونها عندما يعثرون عليها، لا يعرفون أيضًا كيف من المفترض أن تعيد الفردوس، ولكنهم يبحثون منذ قرابة ثلاثة آلاف عام، منذ (تحطم العالم). أعتقد أن بحثهم سيستمر حتى تتوقف (عجلة الزمن) عن الدوران».

وصلوا إلى نيران (راين)، في منتصف المخيم. كانت عربة الباحث صفراء ومزينة باللون الأحمر، وعجلاتها العالية ذات الإطار الأحمر كانت أقطارها تتنوع بين اللونين الأحمر والأصفر. خرجت من العربة امرأة ممتلئة شعرها رمادي كشعر (راين)، ولكن وجهها كان خاليًا من التجاعيد، ووقفت على درجات السلم في مؤخرة العربة لتعدل من شالها ذي الأهداب الزرقاء الموضوع على كتفيها، كانت كنزتها صفراء وتنورتها حمراء، وكلتاهما زاهية اللون. هذا المزيج جعل (بيرين) يرمش بعينيه وجعل (إيجوين) تُصدر صوتًا مختنقًا.

عندما رأت المرأة الأشخاص الذين يتبعون (راين) هبطت بابتسامة مرحبة. كانت (إيلا) زوجة (راين)، وكانت أطول من زوجها، وسرعان ما جعلت (بيرين) ينسى بشأن ألوان ملابسها، كان لديها طابع أمومي ذكَّره بالسيدة (ألڤير)، وجعله يشعر على الفور كأنه في بيته مع ابتسامتها الأولى.

رحَّبت (إيلا) بـ(إلياس) باعتباره واحدًا من المعارف القدامى، ولكن مع تحفظ بدا أنه يُحزن (راين). أومأ لها (إلياس) برأسه وهو يبتسم ابتسامة جافة. عرَّفها (بيرين) و(إيجوين) بنفسيهما، فصافحت يديهما بكلتا يديها، بدفء أكثر بكثير مما أظهرته لـ(إلياس)، حتى إنها احتضنت (إيجوين).

أمسكت بذقن (إيجوين) وهي تبتسم قائلة: «يا لكِ من طفلة جميلة، ولا شك أنك ترتجفين من البرد، فلتجلسي بالقرب من النار يا (إيجوين)، فلتجلسوا جميعًا، العشاء جاهز تقريبًا».

وُضعت جذوع أشجار بالقرب من النار للجلوس عليها، حتى هذا رفضه (إلياس) معتبرًا إياه اعترافًا بالهزيمة أمام الحضارة، فاستلقى على الأرض. كان هناك حاملان ثلاثيان يُثبتان غلايتين صغيرتين فوق ألسنة اللهب، وكان هناك فرن مستقر على حافة الفحم، بينما (إيلا) تعتني بكل هذا.

بينما (بيرين) والآخرون يجلسون في موضعهم اقترب من النار شاب نحيف يرتدي ملابس خضراء مخططة، عانق (راين) وقبَّل (إيلا) ثم نظر ببرود إلى (إلياس) ورفيقيه. كان في مثل عمر (بيرين) تقريبًا، ويتحرك كأنه على وشك أن يبدأ في الرقص مع خطوته التالية.

قالت (إيلا) وهي تبتسم بحنان: «هل قررت أن تتناول الطعام مع جديك العجوزين على سبيل التغيير يا (آرام)؟». ثم انتقلت ابتسامتها إلى (إيجوين) بينما تميل لتقلب غلاية معلقة فوق نيران الطهي. «أتساءل لماذا؟».

جلس (آرام) القرفصاء بسهولة وقد شبك ذراعيه على ركبتيه، على الناحية الأخرى من النار قُبالة (إيجوين). قال لها بصوت خفيض وواثق: «أنا (آرام)». بدا عليه أنه لم يعد يدرك وجود أي شخص آخر سواها. «كنت أنتظر أول زهرة للربيع، وها أنا ذا أجدها عند نيران جدي».

انتظر (بيرين) رد (إيجوين) الساخر، ثم رأى أنها تبادل (آرام) التحديق. فنظر إلى الجوَّال الشاب مرة أخرى. اعترف أن (آرام) لديه قدر كبير من الوسامة، وبعد لحظة عرف (بيرين) بمن يذكره هذا الشاب؛ (ويل ألسين)، الذي كانت جميع فتيات القرية يحدقن إليه ويهمسن وراء ظهره كلما جاء

من (ديفِن رايد) إلى (إيموندز فيلد). كان (ويل) يتودد إلى كل فتاة يراها واستطاع أن يقنع كل واحدة منهن أنه فقط يتصرف بلباقة مع الأخريات.

قال (بيرين) بصوت عالٍ جعل (إيجوين) تجفل: «إن كلابكم هذه تبدو كبيرة مثل الدببة، أنا مندهش لأنكم تتركون الأطفال يلعبون معها».

تلاشت ابتسامة (آرام)، ولكنه عندما نظر إلى (بيرين) عادت ابتسامته مرة أخرى وأكثر ثقة من ذي قبل. «إنهم لن يؤذوك، إنهم يستعرضون لإخافة أي خطر وتنبيهنا، إنهم متدربون على (طريقة الورقة)».

قالت (إيجوين): «(طريقة الورقة)؟ ما هذا؟».

أشار (آرام) بيده إلى الأشجار قائلًا وعيناه مثبتتان على (إيجوين) باهتمام: «إن ورقة الشجرة تعيش وقتها المحدد، ولا تصارع في وجه الرياح التي تحملها بعيدًا، الورقة لا تؤذي أحدًا، وفي النهاية تسقط لتغذية أوراق جديدة، هكذا يجب أن يحيا كل الرجال، والنساء». بادلته (إيجوين) التحديق وقد اكتست وجنتاها بحمرة خجل خافتة.

قال (بيرين): «ولكن ما الذي يعنيه هذا؟».

نظر إليه (آرام) بانزعاج ولكن (راين) هو من أجابه قائلًا: «إنه يعني أنه لا ينبغي أن يؤذي إنسان أي إنسان آخر لأي سبب من الأسباب». ثم انتقلت عينا الباحث إلى (إلياس) وهو يقول: «لا يوجد أي مبرر لاستخدام العنف، أي مبرر على الإطلاق».

قال (بيرين) بإلحاح: «ماذا إن هاجمك شخص ما؟ ماذا لو ضربك شخص ما، أو حاول أن يسرقك، أو أن يقتلك؟».

تنهد (راين) في صبر كأن (بيرين) لا يرى ما هو واضح بالنسبة له قبل أن يقول: «إذا حاول شخص ما ضربي فسأسأله لمَ يرغب في فعل شيء كهذا، إن كان لا يزال راغبًا في ضربي فسأهرب، كما سأهرب إن أراد

سرقتي أو قتلي. أن أتركه يأخذ ما يريده حتى لو كانت حياتي لهو أفضل من أن ألجأ للعنف، وسآمل أنه لن يتعرض لأذى كبير».

قال (بيرين): «ولكنك قلت إنك لن تؤذيه».

قال (راين): «لن أؤذيه، ولكن العنف يؤذي من يلجأ إليه بقدر ما يؤذي من يتعرض إليه». ظهر الشك على وجه (بيرين) فقال (راين): «يمكنك أن تقطع شجرة بفأسك، سيوقع الفأس العنف بالشجرة ويهرب سليمًا، هل هكذا ترى الأمر؟ الخشب لين بالمقارنة مع الفولاذ، ولكن الفولاذ الحاد سيثلم بينما هو يقطع الشجرة، وعصارتها ستصيبه بالصدأ والثقوب. الفأس العظيم قد أوقع العنف بالشجرة العاجزة، وتعرض للأذى نتيجة لهذا، هكذا هو الحال مع البشر، ولكن الروح هي ما يتعرض للأذى».

«ولكن...».

زمجر (إلياس) مقاطعًا (بيرين): «يكفي هذا. من السيئ بما يكفي يا (راين) أن تحاول إقناع قرويين صغيرين بمثل هذا الهراء، لقد أوقعك هذا في المتاعب في كل مكان تذهب إليه تقريبًا. ولكني لم أحضرهما إلى هنا لكي تقنعهما بأفكارك. اتركهما وشأنهما».

قالت (إيلا) وهي تطحن الأعشاب بين كفيها وتتركها تتساقط في الغلاية: «ويتركهما لك؟». كان صوتها هادئًا ولكنها كانت تفرك الأعشاب بشدة. «هل ستعلمهما طريقتك؛ القتل أو الموت؟ هل ستؤدي بهما إلى المصير الذي تسعى إليه بنفسك، أن تموت وحيدًا دون أن يكون هناك أحد بجوارك سوى الغربان و... أصدقائك، ليتنازعوا على جثتك؟».

قال (راين) برفق كأنه قد سمع هذا مئات المرات: «على رسلك يا (إيلا)، لقد رحَّبنا به في مخيمنا يا زوجتي».

هدأت (إيلا)، ولكن (بيرين) لاحظ أنها لم تعتذر، بدلًا من هذا نظرت إلى (إلياس) وهزَّت رأسها في حزن، ثم نفضت يديها وبدأت تخرج الملاعق والأواني الفخارية من صندوق أحمر بجانب العربة.

عاد (راين) في حديثه إلى (إلياس) قائلًا: «كم مرة يجب عليَّ أن أخبرك أننا لا نحاول إقناع أحد بأفكارنا يا صديقي العزيز؟ عندما يشعر القرويون بالفضول تجاه طرقنا فإننا نجيب عن أسئلتهم. غالبًا ما يكون الصغار هم من يسألون، هذا حقيقي، وأحيانًا ما يأتي أحدهم معنا عندما نرتحل، ولكن هذا يكون بمحض إرادته».

قال (إلياس) بسخرية: «حاول أن تقول هذا لأم قروية قد هرب ابنها أو ابنتها مع (الجوالين)، لهذا لا تسمح لكم بعض البلدات الأكبر حجمًا بأن تخيموا بالقرب منها. تتحمل القرى وجودكم بسبب إصلاحكم للأشياء، ولكن المدن لا تحتاج إليكم، وهم لا يرغبون في أن تقنعوا صغارهم بالهرب».

قال (راين) بصبر بدا أنه لا ينفد: «أنا لا أعرف ما تسمح به المدن». لم يبدُ عليه أنه من الممكن أن يغضب على الإطلاق. «هناك دومًا أشخاص عنيفون في المدن، على أي حال لا أعتقد أن الأغنية يُمكن العثور عليها في المدن».

قال (بيرين) ببطء: «أنا لا أقصد الإساءة إليك أيها الباحث، ولكن... حسنًا، أنا لا أبحث عن العنف، لا أعتقد أنني قد صارعت أي شخص منذ سنوات، باستثناء مباريات العيد، ولكن إن ضربني شخص ما فسأرد له الضرب، إن لم أفعل هذا فسأشجعه على التفكير في أنه يمكنه أن يضربني متى يشاء. يعتقد بعض الناس أن بإمكانهم استغلال الآخرين، وإن لم تجعلهم يعرفون أنه ليس باستطاعتهم هذا فسيتنمرون على أي شخص أضعف منهم».

قال (آرام) بحزن عميق: «بعض الناس لا يمكنهم التغلب على غرائزهم البدائية». قالها وهو ينظر إلى (بيرين) نظرة تشي بأنه لم يكن يتحدث عن المتنمرين الذين تحدث (بيرين) عنهم.

قال (بيرين): «أُراهن أنك تضطر للهرب كثيرًا». فتجهم وجه الجَوَّال الشاب بطريقة لا علاقة لها بـ(طريقة الورقة).

قالت (إيجوين) وهي تنظر إلى (بيرين): «أعتقد أنه من المثير للاهتمام أن تلتقي بشخص لا يعتقد أن عضلاته بإمكانها حل أي مشكلة».

عادت لـ(آرام) روحه المعنوية فاعتدل واقفًا وهو يمد يده إليها مبتسمًا قبل أن يقول: «دعيني أُريكِ مخيمنا، هناك من يرقصون».

بادلته الابتسام وهي تقول: «بكل سرور».

اعتدلت (إيلا) وهي تُخرِج أرغفة خبز من الفرن الحديدي الصغير قائلة: «ولكن العشاء جاهز يا (آرام)».

قال (آرام) وهو ينظر وراءه بينما هو يقتاد (إيجوين) من يدها بعيدًا عن العربة: «سأتناول الطعام مع أمي. كلانا سنتناول الطعام مع أمي». ثم ظهر شبح ابتسامة انتصار على وجهه وهو ينظر إلى (بيرين). ضحكت (إيجوين) وهما يركضان.

اعتدل (بيرين) واقفًا على قدميه ثم توقف في موضعه. ليس الأمر وكأنها من الممكن أن تتعرض لأي ضرر، ليس إن كان المخيم يتبع (طريقة الورقة) هذه كما قال (راين). نظر إلى (راين) و(إيلا)، اللذين كانا يحدقان في كآبة إلى حفيدهما، وقال: «أعتذر، أنا ضيف ولم يكن من المفترض بي...».

قالت (إيلا) بنبرة لطيفة: «لا تكن أحمق، هذا ليس خطأك، بل خطأه. اجلس وتناول الطعام».

أضاف (راين) بحزن: «إن (آرام) شاب مضطرب، إنه فتى طيب، ولكني أحيانًا ما أعتقد أنه يجد (طريقة الورقة) صعبة عليه. أخشى أن البعض يجدونها كذلك. اجلس بجانب النيران من فضلك».

جلس (بيرين) ببطء وهو لا يزال يشعر بالحرج، ثم سأل: «ما الذي يحدث للشخص الذي لا يستطيع اتباع الطريقة؟ أعني من (الجوالين)».

تبادل (راين) مع (إيلا) نظرة قلقة قبل أن يقول: «يتركوننا ويرحلون، يذهب الضائعون للعيش في القرى».

حدقت (إيلا) ناحية الاتجاه الذي اختفى فيه حفيدها ثم قالت: «لا يمكن للضائعين أن يكونوا سعداء». ثم تنهدت ولكن وجهها صار هادئًا مرة أخرى وهي توزع الأطباق والملاعق.

حدق (بيرين) إلى الأرض وهو يتمنى لو لم يسأل، ولم يكن هناك المزيد من الحديث، بينما كانت (إيلا) تملأ أطباقهم بحساء الخضار الدسم، وتوزع عليهم شرائح سميكة من خبزها المقرمش، ولم يكن هناك أي حديث بينما هم يأكلون. كان الحساء لذيذًا فأنهى (بيرين) ثلاثة أطباق قبل أن يتوقف. ولكنه ابتسم عندما لاحظ أن (إلياس) قد أفرغ أربعة أطباق.

بعد الوجبة ملأ (راين) غليونه فأخرج (إلياس) غليونه بدوره وملأه من كيس تبغ (راين). عندما انتهيا من إشعال التبغ ودَكِّه وإعادة إشعاله مرة أخرى عادا إلى الصمت، بينما جلبت السيدة (إيلا) أدوات الحياكة. كانت الشمس مجرد وهج أحمر فوق قمم الأشجار ناحية الغرب. كان المعسكر قد استقر استعدادًا لليل ولكن الصخب لم يتباطأ بل تغير فقط. تبدل العازفون الذين كانوا يعزفون حينما دلفوا المخيم بعازفين آخرين، وكان عدد الراقصين أكبر من ذي قبل وهم يرقصون في ضوء النيران، وظلالهم تتقافز على العربات. في مكان ما في المخيم تعالى صوت جوقة من الرجال. استلقى (بيرين) أمام النيران وسرعان ما أحس بالنعاس.

بعد مرور بعض الوقت قال (راين): «هل زرت أيًّا من (التواثان) يا (إلياس) منذ أن كنت معنا الربيع الماضي؟».

فتح (بيرين) عينيه ثم أغلقهما مرة أخرى.

أجابه (إلياس) والغليون لا يزال في فمه: «لا، فأنا لا أحب أن أكون بصحبة عدد كبير من الناس في وقت واحد».

ضحك (راين) وقال: «وخصوصًا الناس الذين يعيشون بطريقة تختلف تمامًا عن طريقتك، أليس كذلك؟ لا يا صديقي العزيز، لا تقلق؛ لقد تخليت منذ سنوات عن أمل أنك قد تتبع طريقتنا يومًا ما. ولكني سمعت حكاية منذ أن التقينا آخر مرة، وإن لم تكن سمعتها بعد فقد تثير اهتمامك. لقد أثارت اهتمامي وقد سمعتها مرارًا وتكرارًا، في كل مرة نلتقي فيها مع (جوالين) آخرين».

«كلي آذان مصغية».

«لقد بدأت في الربيع قبل الماضي، مع فرقة من (الجوالين) الذين كانوا يعبرون (الفلاة) عبر المسار الشمالي».

فتح (بيرين) عينيه على الفور وقال: «(الفلاة)؟ (فلاة آييل)؟ هل كانوا يعبرون (فلاة آييل)؟».

قال (إلياس): «بعض الناس يمكنهم دخول (الفلاة) دون أن يتعرضوا للمضايقات؛ صانعوا البهجة، الباعة الجائلون، إن كانوا أمناء، (التواثان) يعبرون (الفلاة) طيلة الوقت. لقد اعتاد التجار من (كايرين) على عبور (الفلاة) قبل قَطْعِ (الشجرة) و(حرب آييل)».

قال (راين) بحزن: «إن رجال (آييل) يتجنبوننا، رغم أن العديد منا قد حاولوا الحديث معهم، إنهم يراقبوننا من مسافة بعيدة، ولكنهم لا يقتربون منا، أو يسمحوا لنا بالاقتراب منهم. أحيانًا ما أخشى أنهم قد يعرفون الأغنية، ولكني أعتقد أن هذا غير محتمل، إن الرجال لا يغنون في (آييل)،

أليس هذا غريبًا؟ منذ الوقت الذي يُصبح فيه الفتى في (آيِيل) رجلًا فإنه لا يغني أي شيء سوى أناشيد الحرب، أو الترانيم الجنائزية للقتلى. لقد سمعتهم يغنون أمام جثث موتاهم وهؤلاء الذين قد قُتِلوا. كانت هذه الأغنية كفيلة بجعل الأحجار تبكي». كانت (إيلا) تُنصت إليه أثناء حياكتها فأومأت برأسها بالموافقة.

أعاد (بيرين) التفكير في الأمر على الفور، كان يعتقد أن (الجوالين) يجب أن يكونوا خائفين طيلة الوقت مع كل هذا الحديث عن الهرب. ولكن أي شخص خائف لن يفكر حتى في عبور (فلاة آيِيل)، لن يفكر أي شخص عاقل في عبور (الفلاة) حسبما سمع.

قال (إلياس): «إن كانت هذه حكاية ما عن أغنية...».

ولكن (راين) هز رأسه وقال: «لا يا صديقي العزيز، ليست عن أغنية، ولكني لست واثقًا مما هي عنه». ثم أولى اهتمامه إلى (بيرين) وقال: «إن شباب (آيِيل) عادة ما يسافرون إلى (البلاء العظيم). بعض الشباب الصغار يذهبون بمفردهم معتقدين لسبب ما أنهم قد تلقوا نداءً لقتل (سيد الظلام). معظمهم يذهبون في مجموعات صغيرة لصيد (الترولوكيين)». هز (راين) رأسه في حزن وعندما أكمل حديثه كان صوته مثقلًا بالحزن: «منذ عامين كان هناك فرقة من (الجوالين) يعبرون (الفلاة) على مسافة مئة ميل تقريبًا جنوب (البلاء العظيم) عندما عثروا على واحدة من هذه المجموعات».

أضافت (إيلا) بحزن كحزن زوجها: «شابات أكبر بقليل من سن الفتيات».

صدر عن (بيرين) صوت دهشة، فنظر (إلياس) إليه وهو يبتسم بسخرية قائلًا: «إن فتيات (آيِيل) لا يعتنين بالبيوت أو يطبخن إن لم يردن هذا يا فتى. هؤلاء اللائي يردن أن يصرن محاربات بدلًا من هذا ينضممن إلى

أحد مجتمعات المحاربين؛ (فار داريس ماي)، (عذراوات الرمح)، ويقاتلن جنبًا إلى جنب مع الرجال».

هز (بيرين) رأسه فضحك (إلياس) للتعبير المرتسم على وجهه.

عاد (راين) لإكمال حكايته بينما اختلط النفور بالحيرة في صوته: «ماتت جميع النسوة الشابات باستثناء واحدة، وكانت تحتضر. لقد زحفت ناحية العربات وكان من الواضح أنها تعرف أنهم (تواثان). لقد تغلبت كراهيتها على ألمها، وكان لديها رسالة مهمة يجب أن تمررها إلى أي شخص، حتى إن كان واحدًا منا، قبل أن تموت. ذهب الرجال ليروا إن كان باستطاعتهم مساعدة أي من الأخريات. لقد ترك دمها أثرًا يمكن أن يتتبعوه. ولكن جميعهن كن موتى، وكذلك كان هناك ثلاثة أضعاف عددهم من (الترولوكيين)».

اعتدل (إلياس) في جلسته، وكاد الغليون أن يسقط من بين أسنانه وهو يقول: «على مسافة مئة ميل في (الفلاة)؟ هذا مستحيل، (دجيقيك كيشار)، (أرض الموت). لن يقطعوا مسافة مئة ميل عبر (الفلاة) حتى لو كان يدفعهم كل (ميردرال) في (البلاء العظيم)».

قال (بيرين): «أنت تعرف الكثير عن (الترولوكيين) يا (إلياس)».

قال (إلياس) بفظاظة مخاطبًا (راين): «فلتكمل حكايتك».

«كان من الواضح أن محاربات (آييل) عائدات من (البلاء العظيم) بحسب الغنائم التي يحملنها. لقد تعقبهن (الترولوكيون)، ولكن الآثار كانت تشي بأن عددًا قليلًا منهم قد تبقى على قيد الحياة بعد قتل المحاربات. أما بالنسبة للفتاة فإنها لم تسمح لأي شخص بلمسها، حتى ولو للاعتناء بجروحها. ولكنها أمسكت بـ(باحث) الفرقة من معطفه وكان هذا ما قالته كلمة بكلمة؛ (حارق الورقة) يُريد أن يعمي (عين العالم) أيها الضائع، إنه يريد أن يذبح (الأفعوان العظيم)، حذِّر قومك أيها الضائع من مجيء (عامي الأبصار)، أخبرهم أن يكونوا مستعدين من أجل هذا

الذي سيأتي مع الفجر. أخبرهم... ثم ماتت». ثم أضاف (راين) مخاطبًا (بيرين): «(حارق الورقة) و(عامي الأبصار) هما لقبان يُطلقهما رجال (آييل) على (سيد الظلام)، ولكني لم أفهم أي كلمة أخرى مما قالته. ولكنها كانت تعتقد أنه مهم بما يكفي للاقتراب من هؤلاء الذين تكرههم بشكل واضح، لتمررها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، ولكن تمررها إلى من؟ أعتقد أنها لم تكن تعني تمريرها لنا نحن (الجوالين). رجال (آييل)؟ لا أعتقد أنهم سيسمحون لنا بإخبارهم بهذا حتى لو حاولنا». ثم تنهد بحزن وقال: «لقد وصفتنا بالضائعين، لم أكن أعرف من قبل أنهم يكرهوننا بهذا القدر». وضعت (إيلا) أدوات الحياكة في حجرها ولمست رأسه برفق.

قال (إلياس) وهو يفكر في الأمر: «شيء قد عرفوا به في (البلاء العظيم)، ولكن لا شيء من هذا منطقي، ذبح (الأفعوان العظيم)؟ قتل الزمن ذاته؟ وإعماء (عين العالم)؟ هذا يُشبه قولك بأنك ستجعل صخرة تتضور جوعًا. ربما كانت تهذي يا (راين)، كانت مصابة وتحتضر ولم يعد بإمكانها تمييز ما هو حقيقي. ربما لم تكن تعرف حتى من هم هؤلاء (التواثان)».

«كانت تعرف ما تقوله، وإلى من تقوله، شيء كان بالنسبة لها أكثر أهمية من حياتها، ولا يمكننا حتى أن نفهمه. عندما رأيتك تدخل مخيمنا ظننت أننا ربما سنعرف الإجابة أخيرًا، بما أنك كنت...». أشار إليه (إلياس) بيده على الفور فغير (راين) ما كان على وشك قوله: «بما أنك صديقنا وتعرف الكثير من الأشياء الغريبة».

قال (إلياس) بنبرة تضع نهاية للحديث: «لا أعرف شيئًا عن هذا». لم يكسر الصمت المحيط بهم إلا الموسيقى والضحكات القادمة من أجزاء أخرى من المخيم الذي اكتنفه الليل.

كان (بيرين) مستلقيًا وقد اتكأ بكتفيه إلى أحد جذوع الأشجار المحيطة بالنيران وهو يحاول أن يفسر رسالة المرأة. لكنها لم تكن منطقية بالنسبة

له، أكثر مما كانت بالنسبة لـ(راين) أو (إلياس). (عين العالم)، لقد كان هذا في أحلامه، أكثر من مرة، ولكنه لم يرغب في التفكير بشأن هذه الأحلام. أما بالنسبة لـ(إلياس) فقد كان هناك سؤال يرغب في معرفة إجابته؛ ما الذي كان (راين) على وشك أن يقوله عن الرجل الملتحي؟ ولم قاطعه (إلياس)؟ لم يحالفه الحظ في تفسير هذا أيضًا. حاول أن يتخيل شكل فتيات (آييل)، اللائي ذهبن إلى (البلاء العظيم)، حيث لم يذهب إلى هناك سوى (الحماة) كما سمع دومًا، ليقاتلن (الترولوكيين). وحينها سمع صوت (إيجوين) عائدة وهي تغني لنفسها.

اعتدل واقفًا على قدميه وذهب ليلتقي بها عند حافة ضوء النار. توقفت في موضعها وهي تنظر إليه ورأسها مائل جانبًا. لم يستطع قراءة تعابير وجهها في الظلام.

قال لها: «لقد غبتِ وقتًا طويلًا، هل استمتعت بوقتك؟».

أجابته قائلة: «لقد تناولنا الطعام مع والدته، ثم رقصنا... وضحكنا. لقد بدا لي أن دهرًا قد مضى منذ أن رقصت آخر مرة».

«إنه يذكرني بـ(ويل ألسين)، لطالما كنتِ عاقلة بما يكفي لكيلا تسمحي لـ(ويل) بأن يضعك في جيبه».

قالت بصوت حاد: «إن (آرام) فتى لطيف، ومن الممتع أن يكون المرء بصحبته، إنه يجعلني أضحك».

تنهد (بيرين) وقال: «أنا آسف. أنا مسرور لأنك استمتعتِ بالرقص».

فجأة أحاطته بذراعيها وراحت تبكي على قميصه. أخذ يربت على رأسها. فكر أن (راند) كان ليعرف ما يجب فعله، لطالما كان (راند) يجيد التعامل مع الفتيات، ليس مثله؛ لا يعرف ما يفعله أو يقوله. «قلت لكِ أنا آسف يا (إيجوين). أنا حقًّا مسرور لأنك استمتعتِ بالرقص. حقًّا».

تمتمت ووجهها في صدره: «قل لي إنهم على قيد الحياة».

«ماذا؟».

دفعت نفسها بعيدًا عنه وأمسكت بذراعيه وهي تنظر إليه في الظلمة قائلة: «(راند) و(مات) والآخرون، قل لي إنهم على قيد الحياة».

أخذ نفسًا عميقًا وتلفت حوله في تردد ثم قال أخيرًا: «إنهم على قيد الحياة».

مسحت وجنتيها بأصابعها على الفور وقالت: «جيد، هذا ما أردت سماعه. ليلة سعيدة يا (بيرين)، ونومًا هنيئًا». ثم وقفت على أطراف أصابعها وطبعت قبلة على خده وأسرعت مبتعدة عنه قبل أن يجد فرصة لكي يتكلم.

التفت لينظر إليها، كانت (إيلا) قد نهضت لاستقبالها، ثم دلفت المرأتان إلى العربة وهما تتحدثان بصوت خافت. قال لنفسه؛ *ربما كان (راند) ليفهم الأمر، ولكني لا أفهمه.*

في مكان بعيد عبر الليل عوت الذئاب مع ظهور الهلال الفضي الرفيع للقمر الجديد بالقرب من الأفق، فارتجف جسده. في الغد سيكون لديه ما يكفي من الوقت للقلق بشأن الذئاب مرة أخرى، ولكنه كان مخطئًا، كانوا ينتظرونه لتحيته في أحلامه.

الفصل السادس والعشرون

الجسر الأبيض

كانت النغمة الأخيرة غير المستقرة لما يمكن التعرف عليه بالكاد على أنه أغنية (الرياح التي تهز الصفصاف) تتلاشى بعيدًا بشكل رحيم، بينما (مات) يضع جانبًا مزمار (توم) المرصع بالذهب والفضة، فأبعد (راند) يديه عن أذنيه. كان هناك بحار يلف حبل على سطح السفينة بالقرب منهم، تنهد بارتياح بصوت مسموع. للحظة لم يكن هناك صوت سوى المياه التي ترتطم بالسفينة وصوت صرير المجاديف المتناغم، والشراع الذي يخفق مع الريح. كانت الرياح تهب بقوة على مقدمة السفينة، فجُذِبت الأشرعة عديمة الجدوى.

وأخيرًا قال (توم ميريلين): «أعتقد أنه يجب عليَّ أن أشكرك لأنك علمتني مدى صحة القول المأثور؛ إن الخنزير لن يتعلم أبدًا العزف على المزمار». انفجر البحار في الضحك فرفع (مات) المزمار كأنما ليلقيه ناحيته. ببراعة انتزع (توم) الآلة الموسيقية من قبضة (مات) ووضعها في حقيبتها المصنوعة من الجلد السميك وقال: «كنت أعتقد أنكم جميعًا يا رعاة البقر تقضون وقتكم مع القطعان وأنتم تعزفون الناي أو المزمار، هذا سيعلمني ألا أثق في شيء لم أره بعيني».

قال (مات) متذمرًا: «(راند) هو راعي الغنم، وهو من يعزف الناي وليس أنا».

«أجل، إن لديه القليل من القابلية للتعلم. ربما ستبلي بشكل أفضل في التلاعب بالكرات يا فتى، على الأقل تُظهر بعض الموهبة في هذا».

قال (راند): «أنا لا أعرف لم تبذل جهدًا كبيرًا يا (توم)». ثم اختلس النظر إلى البحار وقال: «فنحن لا نرغب في أن نصير صانعي بهجة حقًّا في نهاية المطاف. إنه فقط شيء نتخفى وراءه حتى نعثر على (مويرين) والآخرين».

جذب (توم) طرف شاربه وبدا أنه يتفحص السطح البني الناعم لحقيبة المزمار الجلدية الموضوعة على ركبتيه قبل أن يقول: «ماذا لو لم نعثر عليهم يا فتى؟ لا يوجد شيء حتى يجزم بأنهم لا يزالون على قيد الحياة».

قال (راند) بحزم: «إنهم على قيد الحياة». ثم التفت إلى (مات) لكي يدعمه، ولكن حاجبيّ (مات) كانا معقودين على أنفه وفمه مطبق وعيناه مثبتتان على سطح القارب. قال له (راند): «فلتتحدث، لا يمكنك أن تكون غاضبًا إلى هذا الحد بسبب عدم قدرتك على عزف المزمار، لا يمكنني فعل هذا أيضًا، ليس بشكل جيد. أنت لم ترغب في عزف المزمار من قبل».

نظر إليه (مات) وهو لا يزال عاقدًا حاجبيه ثم قال بصوت خافت: «ماذا لو كانوا موتى، يجب علينا أن نقبل الحقائق، أليس كذلك؟».

في تلك اللحظة نادى المراقب الموجود على مقدمة السفينة قائلًا: «(الجسر الأبيض)! (الجسر الأبيض) أمامنا!».

بينما البحارة يسرعون للاستعداد من أجل الإرساء ظل (راند) محدقًا إلى صديقه لدقيقة، غير قادر على تصديق أن (مات) استطاع أن يقول شيئًا كهذا بمثل هذه البساطة. نظر (مات) إليه بينما يُطرق برأسه بين كتفيه.

كان هناك الكثير مما يرغب (راند) في أن يقوله، ولكنه لم يكن قادرًا على التعبير عنه كله بالكلمات. يجب عليهم أن يصدقوا أن الآخرين على قيد الحياة. يجب عليهم هذا. *لماذا*؟ كان هناك صوت مُلِحٌ في أعماق عقله. لكي يتحول الأمر كله إلى واحدة من حكايات (توم)؟ الأبطال يعثرون على الكنز ويهزمون الشرير ويعيشون في سعادة وهناء؟ بعض الحكايات لا تنتهي بهذه الطريقة، بل أحيانًا ما يموت الأبطال. *هل أنت بطل يا (راند الثور)؟ هل أنت بطل يا راعي الغنم؟*

فجأة احمر وجه (مات) خجلًا وأبعد عينيه بعيدًا. تحرر (راند) من أفكاره فقفز واقفًا على قدميه ليتحرك بين الهرج والمرج مقتربًا من سور السفينة. لحق به (مات) ببطء دون حتى أن يبذل جهدًا لتفادي البحارة الذين يركضون في طريقه.

كان الرجال يندفعون في أرجاء السفينة بأقدام حافية تضرب على السطح، يجذبون الأحبال فيربطون بعضها ويفكون البعض الآخر. بعضهم كان يحمل أكياسًا جلدية كبيرة مليئة بالصوف، بينما البعض الآخر يجهزون أحبالًا غليظة بسُمْكِ معصم (راند) تقريبًا. رغم عجلتهم إلا أنهم كانوا يتحركون بثقة من فعل هذا آلاف المرات من قبل. ولكن القبطان (دومون) كان يُسرع جيئة وذهابًا على سطح السفينة وهو يصيح بالأوامر والسُّباب لهؤلاء الذين لم يتحركوا بالسرعة الكافية من وجهة نظره.

كان تركيز (راند) منصبًّا على ما يقع أمامهم، حيث ظهر بوضوح بينما هم يمرون عبر منعطف بسيط في (نهر آرينيل). لقد سمع عنه في الأغاني والقصص وحكايات الباعة الجائلين، ولكنه الآن سيرى الأسطورة بنفسه.

كان (الجسر الأبيض) يتقوس عاليًا فوق النهر الواسع، بارتفاع يفوق ضعف ارتفاع صاري (سبراي)، ومن أوله لآخره كان يلمع بلون أبيض صافٍ في ضوء الشمس، متشبعًا بالضوء حتى بدا أنه يتوهج. كان هناك أعمدة صخرية رفيعة من المادة ذاتها تغوص في التيارات القوية وتبدو

واهية للغاية على أن تدعم ثقل الجسر واتساعه. بدا الجسر قطعة واحدة، كأنه منحوت من حجر واحد أو تشكل بيد عملاق. رغم كونه عريضًا وعاليًا إلا أنه كان يقفز فوق النهر بسلاسة وخفة تكاد أن تجعل العين تنسى حجمه. بدت البلدة الممتدة عند سفحه على الضفة الشرقية ضئيلة بالمقارنة معه، رغم أن بلدة (الجسر الأبيض) كانت أكبر بكثير من (إيموندز فيلد)، ببيوت من الصخور والقرميد بارتفاع البيوت في (تارين فيري)، وأرصفة موانئ خشبية كأصابع رفيعة تبرز من البلدة إلى النهر. كان هناك قوارب صغيرة تنتشر بكثافة في (نهر آرينيل)، وصيادون يجذبون شباكهم. وفوق كل هذا يعلو (الجسر الأبيض) ويلمع.

قال (راند) دون أن يخاطب شخصًا بعينه: «إنه يبدو أشبه بالزجاج».

توقف القبطان (دومون) وراءه ووضع إبهاميه في حزامه العريض وقال: «لا يا فتى، أيًّا ما كان الشيء الذي صُنع منه فإنه ليس زجاجًا، مهما هطلت الأمطار بقوة فإنه لا يصير زلقًا، وأفضل إزميل وأقوى ذراع لا يمكنهما أن يصنعا خدشًا فيه».

قال (توم): «إنه من بقايا (عصر الأساطير)، لطالما ظننت أنه كذلك بالتأكيد».

لم يبدُ على القبطان الاقتناع وهو يقول: «ربما، ولكنه لا يزال مفيدًا. من الممكن أن يكون شخص آخر قد بناه، لا يجب أن يكون من صنيع (الآيز سيداي) بحق الحظ. لا يجب أن يكون قديمًا بمثل هذا القِدَمِ. فلتبذلوا المزيد من الجهد أيها الحمقى الملاعين!». ثم أسرع متحركًا عبر سطح السفينة.

صار (راند) يحدق بانبهار أكبر. من (عصر الأساطير)، ربما من صنيع (الآيز سيداي) إذن. لهذا أحس القبطان (دومون) بما أحس به، هذا سبب كل حديثه عن عجائب العالم وغرائبه. أن تسمع عن صنيع (الآيز سيداي) لهو شيء، وأن تراه وتلمسه لهو شيء آخر. أنت تعرف هذا، أليس كذلك؟ للحظة خُيِّل لـ(راند) أن هناك ظلًّا يتموج في البناء الأبيض

الناصع. أشاح بنظره بعيدًا ناحية الأرصفة التي تقترب، ولكن الجسر كان لا يزال ظاهرًا في طرف عينه.

قال وهو يُجبر نفسه على الضحك: «لقد نجحنا يا (توم)، ولم يحدث تمرد».

زفر صانع البهجة وهو ينفخ شاربه، ولكن اثنين من البحارة كانا يجهزان حبلًا غليظًا بالقرب من (راند) نظرا إليه نظرة حادة ثم عادا بسرعة إلى عملهما. بتر ضحكته وحاول ألا ينظر لهذين الاثنين حتى يصلوا إلى (الجسر الأبيض).

التفت (سبراي) بسلاسة من جانب رصيف الميناء الأول، حيث كانت الأخشاب السميكة مثبتة على أعمدة ثقيلة مغطاة بالقطران، وتوقفت مع تراجع المجاديف التي جعلت الماء يدور ويزبد حول شفرات السفينة. أثناء جذب المجاديف ألقى البحارة بالأحبال الغليظة إلى رجال على الرصيف، الذين ربطوها ببراعة، بينما أفراد الطاقم الآخرون يلقون أكياس الصوف إلى الجانب لحماية هيكل السفينة من دعامات الرصيف.

قبل أن يستقر القارب تمامًا على الرصيف ظهرت عربات في نهاية الرصيف، طويلة وتلمع بلون أسود، وكل عربة لها اسم مرسوم على الباب بأحرف كبيرة ذهبية أو قرمزية. أسرع راكبو العربات صاعدين اللوح الخشبي بمجرد إسقاطه في موضعه، رجال بوجوه ناعمة في معاطف مخملية وعباءات مبطنة بالحرير ونعال قماشية، وكل واحد منهم يتبعه خادم يرتدي ملابس بسيطة يحمل صندوق نقود مدعم بالحديد.

اقتربوا من القبطان (دومون) بابتسامات مصطنعة اختفت عندما صرخ فجأة في وجوههم: «أنت!». كان يشير بإصبعه الغليظ إلى ما ورائهم فتوقف (فلوران جيلب) في موضعه في نهاية القارب. كانت الكدمة التي نشأت على جبهة (جيلب) بفعل حذاء (راند) قد تلاشت، ولكنه كان لا يزال يتحسس موضعها بأصابعه من آن لآخر كأنما ليذكر نفسه. «لقد

كانت هذه هي آخر مرة تنام فيها في نوبة الحراسة على متن سفينتي! أو أي سفينة أخرى طالما كان هذا في مقدرتي. والآن اختر طريقًا، الرصيف أو النهر، ولكن غادر سفينتي على الفور!».

تهدل كتفا (جيلب) ولمعت عيناه بكراهية (راند) وصديقيه، (راند) على وجه الخصوص، نظرة سامة. تلفت الرجل النحيف في أرجاء سطح السفينة بحثًا عن الدعم، ولكن لم يكن هناك سوى أمل ضئيل في هذه النظرة. واحدًا تلو الآخر راح كل واحد من أفراد الطاقم يعتدل عما يفعله ويبادله التحديق ببرود. انكمش (جيلب) بشكل ملحوظ، ثم عادت نظرته السامة بأكثر قوة من ذي قبل. تمتم بسبة وهو يندفع إلى الأسفل إلى غرف الطاقم. أرسل (دومون) اثنين من الرجال وراءه ليحرصا على ألا يخرب شيئًا، قبل أن يزفر مستهزئًا ويتجاهله تمامًا. عندما عاد القبطان بانتباهه للتجار عادوا إلى الابتسام والانحناء كأنه لم يقاطعهم.

مع كلمة من (توم) بدأ (مات) و(راند) في جمع أشيائهما. لم يكن مع أي منهما الكثير من الأشياء باستثناء الملابس التي يرتديانها. كان مع (راند) لفافة بطانياته وأكياس سرجه وسيف والده. أمسك بالسيف للحظة فاجتاحه الحنين إلى الديار بقوة حتى أحس بعينيه تحرقانه، تساءل إن كان سيرى (تام) مرة أخرى، أو الديار؟ *ستقضي بقية حياتك هاربًا، هاربًا وخائفًا من أحلامك.* ارتجف وهو يتنهد ثم وضع حزام السيف حول خصره فوق معطفه.

عاد (جيلب) إلى سطح السفينة يتبعه الرجلان كظله. كان ينظر مباشرة أمامه ولكن (راند) كان لا يزال قادرًا على الإحساس بموجات الكراهية وهي تنبعث منه. سار (جيلب) بساقين متيبستين وظهر متصلب ووجه متجهم هابطًا اللوح الخشبي قبل أن يشق طريقه بفظاظة عبر الحشد الصغير على رصيف الميناء. في غضون دقيقة كان قد اختفى عن الأنظار وراء عربات التجار.

لم يكن هناك عدد كبير من الناس على الرصيف، وكان هؤلاء يبدون بوضوح مزيجًا من العمال، والصيادين الذين يُصلحون شباكهم، وعدد قليل من سكان البلدة الذين خرجوا لرؤية أول قارب يأتي عبر النهر من (سالدايا). لم تكن أي من الفتيات (إيجوين)، ولم يكن هناك أحد يُشبه (مويرين) أو (لان) أو أي شخص آخر كان (راند) يأمل في رؤيته.

قال: «ربما لم يأتوا إلى رصيف الميناء».

قال (توم) باقتضاب: «ربما». ثم وضع حقيبتي أداتيه الموسيقيتين بحرص على ظهره وقال: «عليكما أنتما الاثنان أن تحذرا من (جيلب)، سيحاول إثارة المتاعب إن استطاع هذا، نريد أن نعبر بلدة (الجسر الأبيض) بهدوء، حتى لا يتذكر أحد أننا كنا هنا بعد خمس دقائق من رحيلنا».

خفقت عباءاتهم مع الريح بينما هم يهبطون عبر اللوح الخشبي. كان (مات) يعلق قوسه على صدره. رغم كل الأيام التي قضوها على متن القارب إلا أنهم لا يزالون يتلقون بعض النظرات من طاقم السفينة، وكانت أقواسهم على مقربة منهم.

ترك القبطان (دومون) التجار ليعترض طريق (توم) على اللوح الخشبي.

«هل ستغادرني الآن يا صانع البهجة؟ ألا يمكنني إقناعك بمواصلة الطريق معي؟ أنا سأذهب إلى (إليان) حيث الناس هناك يقدرون صانعي البهجة، لا يوجد مكان في العالم أفضل من هذا لتعرض فنك، سأوصلك إلى هناك في الوقت المناسب من أجل (عيد سيفان) حيث المسابقات وما إلى ذلك، هناك مئة مارك ذهبي من أجل أفضل رواية لحكاية (الصيد العظيم للبوق)».

«جائزة عظيمة أيها القبطان». أجابه (توم) وهو ينحني انحناءة متقنة ملوحًا بعباءته مما جعل رقعها تخفق. «ومسابقات عظيمة ستجذب بحق صناع البهجة من جميع أنحاء العالم». ثم أضاف بفتور: «ولكن يؤسفني أنني لا أستطيع تحمل أجرتك بالمعدل الذي تتقاضاه».

«حسنًا، بالنسبة لهذا...». أخرج القبطان كيسًا جلديًّا من جيب معطفه وألقى به إلى (توم)، فأصدر رنينًا معدنيًّا عندما أمسك به. «هذه هي الأجرة التي دفعتموها، وأكثر قليلًا. الأضرار لم تكن بالسوء الذي تخيلته، كما أنكم عوضتم هذا وأكثر بحكاياتك وعزفك على القيثارة. ربما يمكنني أن أدفع لك مثل هذا المبلغ مرة أخرى إذا بقيتم على متن السفينة حتى (بحر العواصف)، وسأُنزلكم على شاطئ (إليان). يمكن لأي صانع بهجة بارع أن يجني ثروة هناك، حتى من دون المسابقات».

تردد (توم) وهو يزن الكيس في راحة يده، ولكن (راند) تحدث قائلًا: «سنلتقي بأصدقاء هنا أيها القبطان، وسنذهب إلى (كايملين) معًا. سيكون علينا أن نرى (إليان) في وقت آخر».

التوى فم (توم) في سخرية ثم نفخ شاربه الطويل ووضع الكيس في جيبه قبل أن يقول: «ربما نأتي معك لو لم نجد الأشخاص الذين من المفترض أن نلتقي بهم هنا أيها القبطان».

قال (دومون) بمرارة: «أجل، فلتفكروا في الأمر. من المؤسف أنني لا أستطيع الاحتفاظ بـ(جيلب) على متن السفينة لامتصاص غضب الآخرين، ولكني أفعل ما أقول إني سأفعله. أفترض أنني يجب أن أجعلهم يبحرون على مهلهم الآن، حتى لو أن هذا يعني أن أصل إلى (إليان) في ثلاث أضعاف المدة المعتادة. حسنًا ربما كان هؤلاء (الترولوكيون) يلاحقونكم أنتم الثلاثة بالفعل».

رمش (راند) بعينيه إلا أنه بقي صامتًا، ولكن (مات) لم يكن حذرًا مثله، فقال متسائلًا: «لِمَ تعتقد أنهم لم يكونوا يلاحقوننا؟ لقد كانوا يسعون وراء نفس الكنز الذي نبحث عنه».

قال القبطان: «ربما». ولكنه بدا غير مقتنع. مشَّط لحيته بأصابعه الغليظة ثم أشار ناحية الجيب الذي وضع فيه (توم) الكيس وقال: «ضعف هذا إن عدتم لتشتيت عقول الرجال عن العمل المضني الذي أجعلهم يعملونه.

فكروا في الأمر، سأُبحر مع أول ضوء من صباح الغد». ثم استدار على عقبيه ليخطو عائدًا إلى التجار وقد فتح ذراعيه على اتساعهما، بينما يعتذر لهم عن إبقائهم منتظرين.

كان (توم) لا يزال مترددًا، ولكن (راند) دفعه ليهبط اللوح دون أن يعطيه فرصة للجدال، فاستسلم صانع البهجة له. سرت غمغمة بين الناس الواقفين على الرصيف عندما رأوا عباءة (توم) المغطاة بالرقع، وناداه البعض ليستعلموا عن المكان الذي سيستعرض فيه. فكر (راند) باستياء كيف يمكن ألا يلاحظهم أحد هكذا. بحلول غروب الشمس سيسمع كل رجل في (الجسر الأبيض) بوجود صانع بهجة في البلدة. حثَّ (راند) (توم) على الإسراع، فلم يحاول (توم) الذي يكتنفه صمت عابس حتى أن يُبطئ بما يكفي لأن يختال أمام هذا الاهتمام.

نظر سائقو العربات إلى (توم) باهتمام من مقاعدهم العالية، ولكن وقار مهنتهم منعهم من الصياح. لم يكن لدى (راند) أدنى فكرة عن أين يذهبون بالضبط، فانعطف عند الشارع الذي يمر بمحاذاة النهر أسفل الجسر.

قال: «يجب علينا أن نعثر على (مويرين) والآخرين، وبسرعة. كان يجب علينا أن نفكر في تغيير عباءة (توم)».

فجأة استجمع (توم) شتات نفسه وتوقف في موضعه قبل أن يقول: «سيتمكن صاحب حانة من إخبارنا إن كانوا هنا أو إن كانوا قد مروا من هنا. صاحب الحانة المناسبة. إن أصحاب الحانات لديهم كل الأخبار والشائعات، إن لم يكونوا هنا...». ثم نقل بصره بين (راند) و(مات) قبل أن يقول: «يجب علينا أن نتحدث نحن الثلاثة». حامت عباءته حول كاحليه وهو ينطلق إلى داخل البلدة بعيدًا عن النهر، فكان على (راند) و(مات) أن يسرعا الخطى للحاق به.

كان (الجسر الأبيض) العريض الذي منح البلدة اسمها يطغى على البلدة عن قرب، كما كان من بعيد. ولكن بمجرد أن خطا (راند) إلى شوارع البلدة أدرك أنها كبيرة مثل (بايرلون) من جميع النواحي، ولكنها ليست مزدحمة بالناس مثلها. كان هناك عدد قليل من العربات التي تتحرك في الشوارع، تجرها الخيول أو الثيران أو الحمير أو الرجال، ولكنها كانت عربات صغيرة. أما العربات الكبيرة التي تنتمي في الأغلب إلى التجار فقد كانت محتشدة على الرصيف.

كانت المتاجر من كل لون تصطف على جوانب الشوارع، والعديد من التجار يعملون أمام متاجرهم تحت اللافتات المتأرجحة في الريح. مروا من جوار رجل يُصلح أوانيَ، وخياط يتفحص طيات ثوب بالقرب من الضوء أمام أحد الزبائن، وإسكافي يجلس عند باب دكانه ينقر بمطرقة على كعب حذاء، وباعة جائلين ينادون بخدماتهم لشحذ السكاكين والمقصات أو يحاولون إثارة اهتمام المارة ببضاعتهم الهزيلة من فاكهة أو خضروات، ولكن لم يكن أيٌّ منهم ينال الكثير من الاهتمام. كان هناك متاجر تبيع طعامًا من منتجات مزرية تُشبه ما رآه (راند) في (بايرلون)، حتى تجار السمك لم يعرضوا إلا أكوامًا قليلة من أسماء صغيرة رغم كل تلك القوارب في النهر. لم تكن الأوقات عصيبة حقًّا بعد، ولكن بإمكان الجميع رؤية ما يلوح في الأفق إن لم يتغير الطقس قريبًا. وهؤلاء الذين لم يبدُ عليهم التجهم العابس كانوا يحدقون إلى شيء غير مرئي، شيء غير سار.

كان هناك ميدان كبير عند نهاية الجسر الذي يهبط في منتصف المدينة، مرصوف بأحجار قد تآكلت تحت وطأة أجيال من الأقدام وعجلات العربات. كان يُحيط بالميدان حانات ومتاجر وبيوت طويلة من القرميد الأحمر مع لافتات في الواجهات تحمل نفس الأسماء التي رآها (راند) على العربات في رصيف الميناء. دلف (توم) إلى واحدة من تلك الحانات التي يبدو أنه اختارها بشكل عشوائي، كانت اللافتة الموضوعة فوق الباب، التي تتأرجح مع الريح، تحمل على جانبها رجلًا يخطو خطوة واسعة وهو

يحمل حزمة على ظهره، وعلى الجانب الآخر وسادة، وكان اسمها (استراحة المسافرين).

كانت الحجرة العامة فارغة إلا من صاحب الحانة البدين الذي كان يصب الجعة من برميل، ورجلين في ملابس عمال خشنة يحدقان بوجوم إلى قدحيهما الموضوعين على الطاولة في مؤخرة الحجرة. وحده صاحب الحانة نظر إليهم عندما دخلوا. كان هناك جدار بارتفاع الكتف يقسم الحجرة إلى قسمين، من المقدمة إلى المؤخرة، مع طاولات ومدفأة مشتعلة في كل جانب. تساءل (راند) بشكل عابر لِمَ يتسم كل أصحاب الحانات بالبدانة والصلع.

فرك (توم) يديه بحيوية وتحدث مع صاحب الحانة عن البرد الذي طال، قبل أن يطلب النبيذ الساخن المتبَّل، ثم أضاف قائلًا بصوت خافت: «هل يوجد مكان يمكن أن أتبادل فيه الحديث مع صديقيَّ دون أن يُزعجنا أحد؟».

أومأ صاحب الحانة برأسه ناحية الجدار الخفيض وقال: «الجانب الآخر من هذا الجدار هو أفضل ما يمكنني أن أقدمه لكم، ما لم تكونوا راغبين في استئجار غرفة. لقد بنيته من أجل البحارة الذين يأتون من النهر، يبدو أن نصف الطواقم يحملون ضغائن تجاه النصف الآخر، وأنا لا أرغب في أن تتحطم حانتي بسبب مشاجراتهم، لذا أُبقيهم منفصلين». كان ينظر إلى عباءة (توم) طيلة الوقت، ثم أمال رأسه جانبًا وقال بنظرة ماكرة في عينيه: «هل ستبقى هنا؟ لم يأتِ صانع بهجة إلى هنا منذ وقت طويل. الناس سيدفعون الكثير مقابل شيء يشغل بالهم عما يجري، ويمكنني حتى أن أمنحكم تخفيضًا على غرفتكم ووجباتكم».

فكَّر (راند) في سخرية مريرة؛ *لن يلاحظنا أحد!*

قال (توم) وهو ينحني بسلاسة: «أنت كريم للغاية، ربما أقبل عرضك، ولكننا الآن نحتاج إلى القليل من الخصوصية».

«سأُحضر لكم النبيذ. يمكن لأي صانع بهجة أن يجني الكثير من المال هنا».

كانت جميع الطاولات على الجانب الآخر شاغرة، ولكن (توم) اختار واحدة في المنتصف ثم قال مفسرًا: «لكيلا يسترق أحد السمع إلينا دون أن نلاحظه. هل سمعتم ما قاله هذا الرجل؟ سيمنحنا تخفيضًا، هذا بالطبع لأن مجرد بقائي هنا سيُضاعف عدد زبائنه. أي صاحب حانة نزيه سيمنح صانع بهجة غرفة ووجبة وأشياء أخرى».

لم تكن الطاولة الشاغرة نظيفة تمامًا، ولم تُكنس الأرضية منذ أيام، إن لم تكن أسابيع. تلفت (راند) حوله في امتعاض، لم يكن السيد (ألڤير) ليترك حانته تتسخ إلى هذا الحد، حتى لو كان مضطرًا للخروج من فراش المرض للاعتناء بالأمر. «نحن لا نسعى إلا وراء المعلومات، لا تنسَ هذا».

سأل (مات): «لماذا هنا؟ لقد مررنا أمام عدة حانات تبدو أكثر نظافة».

قال (توم): «إن الطريق إلى (كايملين) يبدأ مباشرة من عند الجسر، أي شخص يمر من بلدة (الجسر الأبيض) سيمر مباشرة عبر هذا الميدان، ما لم يكن قادمًا عن طريق النهر، ونحن نعرف أن أصدقاءنا لم يفعلوا هذا. إن لم يكن هناك خبر عنهم هنا فلا يوجد في أي مكان. دعوني أتحدث، يجب أن يجري الأمر بحرص».

حينها ظهر صاحب الحانة مع ثلاثة أقداح قصديرية أكل عليها الدهر وشرب، يُمسكها من مقابضها بيد واحدة. نفض الرجل البدين الطاولة بمنشفة ثم وضع الأقداح الثلاثة وأخذ المال من (توم)، قبل أن يقول: «إن بقيتم فلن تضطروا لدفع ثمن مشاريبكم، النبيذ جيد هنا».

ارتسمت ابتسامة طفيفة على شفتي (توم) وهو يقول: «سأفكر في الأمر يا صاحب الحانة، ما الأخبار هنا؟ لقد كنا بعيدين ولا نعرف آخر الأخبار».

«أخبار هامة، صدقني أخبار هامة».

وضع صاحب الحانة المنشفة على كتفه ثم جذب كرسيًّا ليجلس عليه. عقد ذراعيه على الطاولة وتنهد بعمق قائلًا إنه من الرائع أن يُريح قدميه. كان اسمه (بارتيم)، وراح يثرثر عن قدميه بالتفصيل؛ عن التورمات والالتهابات وكم من الوقت يمضيه واقفًا وما الذي ينقعهما فيه. حتى ذكر (توم) الأخبار مرة أخرى فتململ في جلسته ولم يصمت إلا قليلًا.

كانت الأخبار هامة كما قال؛ (لوجاين) (التنين الكاذب) قد وقع في الأسر بعد معركة كبيرة بالقرب من (لوجارد) عندما كان يحاول أن يحرك جيشه من (غيلدان) إلى (تير). «النبوءات، هل تفهمون؟». أومأ (توم) برأسه فأكمل (بارتيم) حديثه. كانت الطرق في الجنوب مكتظة بالناس، هؤلاء المحظوظين مع ما يمكنهم حمله على ظهورهم، الآلاف يهربون في كل الاتجاهات.

ضحك (بارتيم) بسخرية وقال: «لم يدعم أحد (لوجاين) بالطبع. أوه لا، لن تجدوا الكثيرين ممن يعترفون بهذا، ليس الآن، إنهم مجرد لاجئين يحاولون أن يجدوا مكانًا آمنًا أثناء الاضطرابات».

كان للـ(آيز سيداي) دور في الإمساك بـ(لوجاين) بالطبع. بصق (بارتيم) على الأرضية عندما قال هذا، ثم بصق مرة أخرى عندما قال إنهن يأخذن (التنين الكاذب) شمالًا إلى (تار ڤالون). قال (بارتيم) إنه رجل صالح ومحترم، وإنه يتمنى لو أن كل (الآيز سيداي) عدن إلى (البلاء العظيم) من حيث أتين وأخذن (تار ڤالون) معهن. لو كان الأمر بيده لما اقترب من أي (آيز سيداي) مسافة أقل من ألف ميل. إنهن بالطبع يتوقفن عند كل قرية وبلدة في طريقهن إلى الشمال لعرض (لوجاين) على الناس، أو هذا ما سمعه. ليظهرن للناس أن (التنين الكاذب) قد وقع في الأسر وأن العالم آمن مرة أخرى. كان يود أن يرى الأمر حتى لو كان هذا يعني أن يقترب من (الآيز سيداي). كان يشعر ببعض الميل إلى الذهاب إلى (كايملين).

«سيأخذنه إلى هناك لعرضه على الملكة (مورجيز)». لمس صاحب الحانة جبهته باحترام ثم قال: «لم أرَ الملكة قط. من المفترض أن يرى المرء ملكته، ألا تعتقدون هذا؟».

باستطاعة (لوجاين) فعل «أشياء»، ثم جفلت عيناه وتحرك لسانه بسرعة على شفتيه بطريقة تجعل ما يقصده واضحًا. لقد رأى (التنين الكاذب) السابق منذ عامين، عندما كان يُعرض على الناس في الريف، ولكنه كان مجرد رجل خُيِّل إليه أن باستطاعته أن يجعل نفسه ملكًا، لم يكن هناك حاجة للـ(آيز سيداي) في تلك المرة، لقد قيده الجنود بالسلاسل إلى عربة، كان مجرد رجل متجهم يتذمر في منتصف العربة، يُغطي رأسه بذراعيه كلما قذفه الناس بالحجارة أو وكزوه بالعصي. كان هذا يحدث كثيرًا ولم يفعل الجنود شيئًا لمنعه، طالما أنهم لم يقتلوا الرجل. فعلى أي حال كان من الأفضل السماح للناس بأن يروا أنه ليس شيئًا استثنائيًا. لم يكن باستطاعته فعل «أشياء». ولكن (لوجاين) هذا سيكون شيئًا يستحق أن يراه المرء، شيء يمكن لـ(بارتيم) أن يحكي لأحفاده عنه. فقط لو أن بإمكانه ترك الحانة والرحيل.

كان (راند) يُصغي باهتمام حقيقي، ولم يكن بحاجة للتظاهر بالاهتمام. عندما جلب (بادان فاين) إلى (إيموندز فيلد) أخبارًا عن (التنين الكاذب)؛ رجل بإمكانه حقًّا أن يستخدم (القوة الواحدة)، كانت حينها أهم أخبار تصل إلى (النهرين) منذ أعوام. ما حدث منذ ذلك الحين جعل عقله يُنحِّي الفكرة جانبًا، ولكنه كان لا يزال شيئًا سيتحدث الناس عنه لأعوام، وسيخبرون أحفادهم عنه أيضًا. (بارتيم) على الأرجح سيخبر أحفاده أنه قد رأى (لوجاين)، سواء رآه بالفعل أم لا. لا أحد سيفكر أن ما حدث لبعض القرويين من (النهرين) يستحق الحديث عنه، ربما باستثناء قاطني (النهرين) أنفسهم.

قال (توم): «هذا شيء يمكن صنع حكاية منه، حكاية ستروى لآلاف الأعوام، أتمنى لو كنت هناك». بدا أنه ببساطة يقول الحقيقة، وفكر (راند) أنه يقول الحقيقة بالفعل. «ربما أحاول أن أراه على أي حال. أنت لم تقل

لي ما هو المسار الذي يقطعونه. ربما هناك مسافرون آخرون في الأنحاء؟ ربما يكونون قد سمعوا عن مسارهم».

لوَّح (بارتيم) بيده القذرة وقال: «شمالًا، هذا هو ما يعرفه أي شخص هنا، إن كنت راغبًا في رؤيتهم فلتذهب إلى (كايملين)، هذا هو كل ما أعرفه. وإن كان هناك شيء يمكنك أن تعرفه في (الجسر الأبيض) فأنا أعرفه».

قال (توم) بسلاسة: «لا شك في هذا، أعتقد أن الكثير من الغرباء الذين يمرون بالبلدة يتوقفون هنا. لقد جذبت لافتتك انتباهي، من مهبط (الجسر الأبيض)».

«ليس فقط المسافرون القادمون من الغرب، دعني أخبرك بهذا، منذ يومين كان أحدهم هنا، رجل (إلياني)، معه إعلان مكتوب، مزود بالأختام والأشرطة، قرأه بالخارج في الميدان. قال إنه سيأخذه إلى (جبال الضباب)، أو ربما حتى إلى (محيط آريث)، إن كانت الطرق مفتوحة. قال إنهم قد أرسلوا رجالًا لقراءته في كل بقاع العالم». هزَّ صاحب الحانة رأسه ثم قال: «(جبال الضباب)، لقد سمعت أنها مغطاة بالضباب طيلة العام، وأن هناك أشياء في الضباب ستنزع لحمك عن عظمك قبل حتى أن تتمكن من الركض». ضحك (مات) في سخرية فنظر إليه (بارتيم) نظرة حادة.

مال (توم) للأمام باهتمام وقال: «ماذا يقول هذا الإعلان؟».

صاح (بارتيم): «صيد البوق بالطبع، ألم أقل هذا؟ (الإليانيون) ينادون كل من أقسموا بحياتهم على صيد البوق لكي يجتمعوا في (إليان)، هل يمكنك أن تتخيل هذا؟ أن تُقسم بحياتك من أجل أسطورة؟ أفترض أنهم سيجدون بعض الحمقى، هناك دومًا حمقى في كل مكان. لقد زعم هذا الرجل أن نهاية العالم موشكة، المعركة الأخيرة مع (سيد الظلام)». ضحك ولكنها كانت ضحكة جوفاء، كأنما يقنع نفسه أنه شيء يستحق الضحك عليه. «أظن أنهم يعتقدون أنه يجب العثور على (بوق ڤالير) قبل

هذه المعركة. ما رأيكم في هذا؟». عض على مفاصل أصابعه في شرود لدقيقة قبل أن يقول: «بالطبع لا يمكنني أن أجادل معهم بعد هذا الشتاء. الشتاء وهذا الرجل (لوجاين) وهذان الاثنان من قبله كذلك، لِمَ كان هناك كل هؤلاء الرجال الذين يزعمون أنهم (التنين) في السنوات القليلة الماضية؟ وهذا الشتاء، لا شك أنه يعني شيئًا، ما رأيكم؟».

لم يبدُ أن (توم) قد سمعه، وبصوت هادئ بدأ صانع البهجة يترنم لنفسه.

«في القتال الوحيد الأخير

في مواجهة حلول ليل طويل

ستقف الجبال للحراسة

وسينهض الموتى للحماية

فلن يكون القبر عائقًا لندائي».

«هذه هي». ابتسم (بارتيم) ابتسامة عريضة كأن باستطاعته أن يرى الحشود وهي تُعطيه المال بينما هم يستمعون إلى (توم). «هذه هي، (الصيد العظيم للبوق). عليك أن تقول هذه، وستجد الناس متدلين من العوارض الخشبية هنا. لقد سمع الجميع عن الإعلان».

كان (توم) لا يزال شاردًا فقال (راند): «نحن نبحث عن بعض الأصدقاء الذين مروا من هذا الطريق، من الغرب. هل مر العديد من الغرباء من هنا في الأسبوع الماضي، أو الأسبوعين الماضيين؟».

قال (بارتيم) ببطء: «البعض، هناك دومًا بعض الغرباء الذين يأتون من الشرق والغرب على حد سواء». نظر إلى كل واحد منهم على حدة ثم قال بحذر مفاجئ: «كيف يبدون أصدقاؤكم هؤلاء؟».

فتح (راند) فمه ولكن (توم) أفاق فجأة من شروده ونظر إليه نظرة حادة جعلته يغلق فمه. تنهد صانع البهجة في حنق ثم التفت إلى صاحب الحانة وقال على مضض: «رجلان وثلاثة نساء، ربما يكونوا معًا وربما لا». ثم

رسم صورة كل واحد منهم في بضع كلمات كافية لأي شخص قد رآهم أن يتعرف عليهم، دون أن يُفصح بأي شكل عن هويتهم.

فرك (بارتيم) رأسه مبعثرًا شعره الخفيف ثم اعتدل واقفًا ببطء وقال: «فلتنسَ بشأن الاستعراض هنا يا صانع البهجة، في الواقع سأكون ممتنًّا إن شربتم نبيذكم وغادرتم، فلتغادروا (الجسر الأبيض) إن كنتم أذكياء».

سأله (توم): «هل كان هناك شخص آخر يسأل عنهم؟». قبل أن يحتسي قليلًا من شرابه كأن الإجابة هي أقل الأشياء أهمية في العالم، ثم رفع حاجبًا ناحية صاحب الحانة وهو يقول: «من يكون؟».

فرك (بارتيم) شعره بيده مرة أخرى وتململ بقدميه كأنه على وشك الابتعاد ثم أومأ برأسه لنفسه وقال: «منذ أسبوع تقريبًا قدر ما أتذكر، جاء رجل غريب الأطوار من على الجسر، ظن الجميع أنه مجنون، كان يتحدث إلى نفسه باستمرار ولا يتوقف عن الحركة حتى وهو واقف في موضعه، لقد سأل عن نفس الأشخاص... عن بعضهم. كان يسأل كأن الأمر مهم ثم يتصرف كأنه لا يُبالي بالإجابة. في أوقات يقول إن عليه الانتظار هنا من أجلهم، وأوقات أخرى يقول إن عليه المضي قدمًا وإنه في عجلة من أمره. في دقيقة ينتحب ويتوسل، وفي الدقيقة التالية يُصدر أوامر كأنه ملك. لقد كاد أن يجعل الناس تنهال عليه بالضرب مرة أو اثنتين، سواء كان مجنونًا أو لا. لقد كاد الحرس أن يأخذوه إلى الحجز من أجل سلامته. لقد انطلق إلى (كايملين) في اليوم ذاته وهو يكلم نفسه ويبكي. مجنون كما قلت».

نظر (راند) إلى (توم) و(مات) في تساؤل فهز كلاهما رأسه، إن كان هذا الرجل غريب الأطوار يبحث عنهم فإنه لم يكن شخصًا يعرفونه.

سأله (راند): «هل أنت واثق أنه يبحث عن نفس الأشخاص؟».

«بعضهم، الرجل المقاتل والمرأة التي ترتدي الثياب الحريرية. ولكنه لم يكن مهتمًّا بهما، بل بثلاثة فتيان من الريف». انتقلت عيناه على الفور بين (راند) و(مات) ثم عادتا إلى (راند) بسرعة كبيرة، حتى أن (راند) لم يكن

واثقًا إن كان قد رأى ما رآه حقًّا أم أنه تخيله. «كان يبدو في أمسِّ الحاجة للعثور عليهم، ولكنه مجنون كما قلت».

ارتجف (راند) وهو يفكر من يمكن أن يكون هذا الرجل المجنون ولمَ يبحث عنهم. هل هو من (أصدقاء الظلام)؟ هل يمكن أن يستخدم (بعلزمون) رجلًا مجنونًا؟

«كان مجنونًا ولكن الشخص الآخر...». جفلت عينا (بارتيم) في توتر ومرر لسانه على شفتيه كأنه لا يستطيع أن يجد ما يكفي من اللعاب لتبليلهما. «في اليوم التالي... جاء الرجل الآخر للمرة الأولى». ثم لاذ بالصمت.

قال (توم) ليحثه على مواصلة الحديث: «الرجل الآخر؟».

تلفت (بارتيم) حوله رغم أن جانبهم من الحجرة المنقسمة كان لا يزال فارغًا إلا منهم، حتى أنه وقف على أطراف أصابعه لينظر من فوق الجدار الخفيض. عندما تحدث أخيرًا كان في همس متعجل.

«كان متشحًا بالسواد تمامًا، ويُبقي غطاء عباءته على رأسه حتى لا تستطيع رؤية وجهه، ولكن بإمكانك أن تشعر به ينظر إليك. كان الإحساس أشبه بكتلة حادة من الثلج منغرسة في عمودك الفقري. لقد... تحدث إليَّ». جفل وصمت ليعض شفته قبل أن يُكمل قائلًا: «كان صوته أشبه بأفعى تزحف بين أوراق جافة، جعل معدتي تنقبض. وكل مرة يعود فيها كان يسأل نفس الأسئلة، نفس الأسئلة التي سألها الرجل المجنون. لم يكن أحد يراه وهو يأتي، كان يظهر فجأة، ليلًا أو نهارًا، فيجعلك تتجمد حيث تقف، صار الناس يتلفتون حولهم طيلة الوقت، وأسوأ ما في الأمر هو أن حرس البوابات يزعمون أنه لم يعبر من أي من بواباتهم، جيئة أو ذهابًا».

بذل (راند) مجهودًا كبيرًا ليُبقي وجهه خاليًا من التعبيرات، وجزَّ على أسنانه حتى آلمته. تجهم (مات) وأبقى (توم) عينيه على نبيذه، الكلمة التي لم يرغب أحد منهم في قولها كانت معلقة في الهواء بينهم؛ (ميردرال).

قال (توم) بعد دقيقة: «أعتقد أنني سأتذكر شخصًا كهذا إن التقيت به».

أومأ (بارتيم) برأسه بشكل محموم وهو يقول: «ستتذكره بالفعل، بحق (النور) ستتذكره. كان... إنه يبحث عن نفس المجموعة التي يبحث عنها الرجل المجنون. الفارق أنه قال إن هناك فتاة معهم». ثم نظر بطرف عينه إلى (توم) وقال: «وصانع بهجة أبيض الشعر».

رفع (توم) حاجبيه فيما بدا لـ(راند) أنها دهشة غير مصطنعة وقال: «صانع بهجة أبيض الشعر؟ حسنًا أنا واثق أنني لست صانع البهجة الوحيد في العالم الكبير في العمر. أؤكد لك أنني لا أعرف هذا الرجل، ولا يمكن أن يكون لديه أي سبب للبحث عني».

قال (بارتيم) بوجوم: «ربما يكون هذا صحيحًا. لم يقل هذا بشكل صريح ولكن لدي انطباع أنه سيكون مستاءً للغاية من أي شخص يحاول أن يساعد هؤلاء الأشخاص أو يحاول إخفاءهم عنه. على أي حال سأقول لك ما قلته له؛ أنا لم أرَ أي واحد منهم، ولم أسمع أحدًا يتحدث عنهم، وهذه هي الحقيقة، ولا أي واحد منهم». أنهى حديثه بحدة، وفجأة وضع نقود (توم) على الطاولة وقال: «فلتنهوا نبيذكم وترحلوا، حسنًا؟ حسنًا؟». ثم ابتعد بأسرع ما يمكن وهو يتلفت حوله.

عندما اختفى صاحب الحانة قال (مات) هامسًا: «(عاتم)، كان يجب أن نعرف أنهم سيبحثون عنا هنا».

قال (توم): «وسوف يعود». ثم مال على الطاولة وخفض صوته قائلًا: «رأيي هو أن نتسلل عائدين إلى القارب وأن نقبل عرض القبطان (دومون). سيتركز البحث على الطريق المؤدي إلى (كايملين)، بينما

سنكون نحن في طريقنا إلى (إليان)، على بعد ألف ميل من حيث يتوقع (الميردرال) أن يجدونا».

قال (راند) بحزم: «لا، سننتظر (مويرين) والبقية في (الجسر الأبيض) أو سنذهب إلى (كايملين)، هذا أو ذاك. لقد حسمنا أمرنا يا (توم)».

«هذا جنون يا فتى، لقد تغيرت الأمور. فلتنصت إليَّ، مهما كان ما يقوله صاحب الحانة هذا فعندما يحدق (الميردرال) إليه سيخبره بكل شيء عنا، حتى المشروب الذي تناولناه وقدر الغبار الذي كان على أحذيتنا». ارتجف (راند) وهو يتذكر تحديق (العاتم) بلا عينين. «أما بالنسبة لـ(كايملين)... هل تعتقد أن (أنصاف البشر) لا يعرفون أنك ترغب في الذهاب إلى (تار ڤالون)؟ هذا هو الوقت المناسب لأن تكون على متن قارب متجه إلى الجنوب».

«لا يا (توم)». أجبر (راند) نفسه على قول هذا وهو يفكر في كونه على بعد ألف ميل من حيث يبحث عنه (العواتم)، ولكنه أخذ نفسًا عميقًا واستطاع أن يجعل صوته حازمًا وهو يقول: «لا».

«فكر يا فتى، (إليان)! لا يوجد مدينة أعظم على وجه الأرض. و(الصيد العظيم للبوق)! لم يكن هناك صيد للبوق منذ قرابة أربعمئة عام، دورة جديدة من الحكايات تنتظر من يصوغها. فلتفكر في الأمر، أنت لم تحلم من قبل بأي شيء كهذا. بحلول الوقت الذي يكتشف فيه (الميردرال) مكانك ستكون عجوزًا وأشيب ومتعبًا من الاعتناء بأحفادك، ولن يبالوا بك إن عثروا عليك بالفعل».

اكتسى وجه (راند) بالعناد وهو يقول: «كم مرة يجب عليَّ فيها أن أقول لا؟ سيعثرون علينا أينما ذهبنا، سيكون هناك (عواتم) بانتظارنا في (إليان) أيضًا، وكيف سنهرب من الأحلام؟ أنا أريد أن أعرف ما الذي يحدث لي يا (توم)، ولماذا. أنا سأذهب إلى (تار ڤالون)، بصحبة (مويرين)

إن استطعت، وبدونها إن اضطررت لهذا. سأذهب وحدي إن اضطررت لهذا. أريد أن أعرف».

«ولكن (إليان) يا فتى! وطريق آمن للخروج عبر النهر بينما هم يبحثون عنكم في الاتجاه الآخر. الحلم لا يمكنه أن يؤذيك بحق الدماء والرماد».

بقي (راند) صامتًا. *الحلم لا يمكنه أن يؤذيك؟ هل أشواك الأحلام تجعل المرء ينزف دمًا حقيقيًا؟* تمنى لو أنه قد أخبر (توم) بهذا الحلم أيضًا. *هل تجرؤ على إخبار أي شخص؟* (بعلزمون) *في أحلامك، ولكن ما الفارق بين الحلم واليقظة الآن؟ هل تجرؤ على أن تخبر أحدًا بأن* (سيد الظلام) *يلمسك؟*

بدا (توم) متفهمًا فلانت ملامحه وهو يقول: «حتى هذه الأحلام يا فتى تظل مجرد أحلام، أليس كذلك؟ قل له شيئًا يا (مات) بحق (النور). أنا أعرف أنك لا ترغب في الذهاب إلى (تار ڤالون) على الأقل».

احتقن وجه (مات) بالدماء في مزيج من الخجل والغضب وتحاشى النظر إلى (راند)، وبدلًا من هذا نظر إلى (توم) متجهمًا وهو يقول: «لم تثير كل هذه الجلبة والعناء؟ هل ترغب في العودة إلى القارب؟ فلتعد إلى القارب. سنعتني بنفسينا».

ارتجف كتفا صانع البهجة النحيلين في ضحكة صامتة، ولكن صوته كان غاضبًا وهو يقول بصرامة: «أنتما تعتقدان أنكما تعرفان ما يكفي للهرب من (الميردرال) بمفردكما، أليس كذلك؟ أنتما مستعدان للذهاب إلى (تار ڤالون) وحدكما وتسليم نفسيكما لـ(عرش أميرلين)؟ هل يمكنكما التفريق بين (آجاه) وأخرى؟ بحق (النور) يا فتى، إن كنت تعتقد أن بإمكانك حتى الوصول إلى (تار ڤالون) وحدك فلتقل لي هذا لكي أذهب».

قال (مات) مزمجرًا: «فلتذهب». ثم مد يده أسفل عباءته فأدرك (راند) في صدمة أنه يُمسك بمقبض الخنجر الذي جلبه من (شادار لوجوث)، بل وربما مستعد حتى لاستخدامه.

تعالت ضحكة صاخبة من الجانب الآخر من الجدار الخفيض الذي يقسم الحجرة وتحدث صوت عالٍ بازدراء.

«(ترولوكيون)؟ فلترتدِ عباءة صانع بهجة يا رجل! أنت ثمل! (ترولوكيون)! خرافات (البلاد الحدودية)!».

أخمدت الكلمات الغضب كقدر من ماء بارد، حتى (مات) التفت إلى الجدار بعينين متسعتين.

اعتدل (راند) واقفًا بما يكفي لكي يرى ما وراء الجدار ثم انخفض مرة أخرى وهو يشعر بقبضة باردة تعتصر معدته. كان (فلوران جيلب) جالسًا على الجانب الآخر من الجدار، على الطاولة الموجودة في المؤخرة مع الرجلين اللذين كانا هناك عندما دلفوا إلى الحانة. كانا يضحكان عليه ولكنهما ينصتان إليه. كان (بارتيم) ينظف طاولة بحاجة ماسة للتنظيف دون أن ينظر إلى (جيلب) والرجلين، ولكنه كان يُنصت بدوره، وهو يمسح نفس البقعة مرارًا وتكرارًا بمنشفته، وهو يميل ناحيتهم حتى بدا كأنه موشك على السقوط.

همس (راند) وهو يهوي على كرسيه جالسًا: «(جيلب)». فتوتر الآخران، وعلى الفور تفحص (توم) جانبهم من الحجرة.

جاء صوت الرجل الثاني من على الجانب الآخر للجدار: «لا، لا، لقد كان هناك (ترولوكيون) في الماضي، ولكنهم قتلوهم جميعًا في (الحروب الترولوكية)».

قال الرجل الأول مرة أخرى: «خرافات (البلاد الحدودية)!».

قال (جيلب) محتجًا بصوت عالٍ: «الأمر حقيقي، صدقاني. لقد ذهبت من قبل إلى (البلاد الحدودية)، ورأيت (ترولوكيين)، وهؤلاء كانوا (ترولوكيين)، أنا واثق من هذا مثلما أنا واثق من جلوسي هنا. هؤلاء الثلاثة زعموا أن (الترولوكيين) يلاحقونهم، ولكني لم أقتنع بهذا. ولهذا لم

أبقَ على متن (سبراي). لقد كانت تراودني شكوك حيال (بايل دومون) منذ بعض الوقت، ولكن هؤلاء الثلاثة من (أصدقاء الظلام) بالتأكيد. أنا أقول لكما...». طغت الضحكات والنكات الفظة على بقية ما قاله (جيلب).

تساءل (راند) كم من الوقت سيمضي قبل أن يسمع صاحب الحانة وصف «هؤلاء الثلاثة»؟ ما لم يكن قد سمعه بالفعل. هذا إن لم يقفز ذهنه إلى الغرباء الثلاثة الذين قد رآهم بالفعل. الباب الوحيد الذي يؤدي إلى خارج نصف الحجرة العامة الخاصة بهم سيجعلهم يمرون مباشرة من جوار طاولة (جيلب).

تمتم (مات) قائلًا: «ربما القارب ليس فكرة سيئة تمامًا».

فهز (توم) رأسه وقال على الفور بصوت خافت: «ليس بعد ما سمعناه». ثم أخرج كيس النقود الذي أعطاه له القبطان (دومون) وبدأ في عجالة يقسم المال إلى ثلاثة كومات. «هذه القصة ستنتشر في أرجاء البلدة في غضون ساعة، سواء صدقها أحد أم لا، ويمكن أن يسمعها (نصف البشري) في أي وقت. (دومون) لن يبحر قبل صباح الغد. في أفضل الأحوال سيطارده (الترولوكيون) على طول الطريق حتى (إليان). حسنًا إنه يتوقع هذا لسبب ما، ولكن هذا لن ينفعنا. لا يوجد شيء لنفعله سوى الهرب، وبسرعة».

على الفور وضع (مات) العملات المعدنية التي دفعها (توم) أمامه في جيبه، بينما التقط (راند) كومته ببطء أكثر. لم تكن العملة التي أعطتها له (مويرين) بينهم، لقد منحهم (دومون) وزنًا مساويًا من الفضة، ولكن لسبب ما لم يستطع (راند) فهمه كان يتمنى لو كان معه عملة (الآيز سيداي) بدلًا من هذا. وضع المال في جيبه ثم نظر إلى صانع البهجة في تساؤل.

قال (توم) مفسرًا: «هذا في حال أن افترقنا، لن يحدث هذا على الأرجح، ولكن إن حدث... حسنًا، ستكونان أنتما الاثنان على ما يرام بالاعتماد على نفسيكما، أنتما فتيان صالحان، فقط ابتعدا عن (الآيز سيداي) للحفاظ على حياتكما».

قال (راند): «اعتقدت أنك ستبقى معنا».

«سأبقى معكما يا فتى، سأبقى. ولكنهم يقتربون كثيرًا الآن، و(النور) وحده يعرف ما قد يحدث. حسنًا لا يهم. من غير المحتمل أن يحدث هذا». ثم صمت (توم) ونظر إلى (مات) قبل أن يقول بفتور: «آمل أنك لم تعد تمانع بقائي معكما».

هز (مات) كتفيه ثم بادل كلًّا منهما النظر قبل أن يهز كتفيه مرة أخرى ويقول: «إني متوتر فقط، ويبدو لي أنني لا أستطيع التخلص من هذا التوتر، في كل وقت نتوقف فيه لنلتقط أنفاسنا نجدهم هناك يتعقبوننا. أشعر كأن شخصًا ما يحدق إلى مؤخرة رأسي طيلة الوقت، ماذا سنفعل؟».

تعالت الضحكات من على الجانب الآخر، ليُقاطعها (جيلب) مرة أخرى وهو يحاول بصوت عالٍ أن يُقنع الرجلين بأنه يقول الحقيقة. تساءل (راند) كم تبقى من الوقت. عاجلًا أو آجلًا سيستنتج (بارتيم) أنهم هم الثلاثة الذين يتحدث عنهم (جيلب).

اعتدل (توم) واقفًا من على كرسيه ولكنه أبقى رأسه منخفضًا. لا يمكن لأحد ينظر ناحية الجدار من على الجانب الآخر أن يراه. أشار لهما أن يتبعاه وهو يهمس: «لا تصدرا صوتًا».

كانت النافذتان على جانبي المدفأة في جانبهما من الجدار تطلان على زقاق، تفحص (توم) إحدى النافذتين بحذر قبل أن يفتحها بما يكفي لأن يمروا من خلالها. لم تُصدر النافذة صوتًا يُمكن سماعه من على بعد ثلاثة أقدام ما بين الضحك والجدال على الجانب الآخر من الجدار الخفيض.

ما إن صاروا في الزقاق حتى توجه (مات) ناحية الشارع على الفور، ولكن (توم) أمسك بذراعه وقال: «ليس بهذه السرعة، ليس قبل أن نعرف ما يجب أن نفعله».

أغلق (توم) النافذة قدر ما يستطيع من الخارج ثم التفت ليتفحص الزقاق. نظر (راند) إلى حيث ينظر (توم)، لم يكن هناك شيء سوى ستة من براميل الأمطار بجوار الحانة، والمبنى التالي كان دكان خياطة، وعدا هذا كان الزقاق فارغًا وأرضه الترابية الصلبة كانت جافة ومغبرة.

سأله (مات) مرة أخرى: «لم تفعل هذا؟ ستكون في أمان أكثر إذا تركتنا، لم تصر على البقاء معنا؟».

حدق إليه (توم) مطولًا قبل أن يقول بحزن وهو يخلع عباءته: «كان لديَّ ابن أخ يدعى (أوين)». صنع كومة باستخدام لفافة بطانياته بينما هو يتحدث، ثم بحرص وضع أعلاها حقيبتي آلتيه الموسيقيتين. «الابن الوحيد لأخي، قريبي الوحيد الذي لا يزال على قيد الحياة. لقد تورَّط في مشكلة مع (الآيز سيداي)، ولكني كنت مشغولًا بـ... أشياء أخرى. لا أعرف ما كان بمقدوري فعله، ولكني عندما حاولت أخيرًا كان الأوان قد فات، مات (أوين) بعدها ببضع سنوات. يمكنك أن تقول إن (الآيز سيداي) قد قتلته». ثم انتصب واقفًا دون أن ينظر إليهما، كان صوته لا يزال هادئًا ولكن (راند) لمح الدموع في عينيه بينما هو يدير رأسه بعيدًا: «إن كان بمقدوري إبعادكما عن (تار ڤالون) فربما يمكنني حينها التوقف عن التفكير في (أوين). انتظراني هنا». أسرع ناحية مدخل الزقاق وهو ما زال يتحاشى النظر إليهما، ثم أبطأ عندما وصل إليه، بعد أن تلفت حوله في نظرة سريعة سار ببساطة إلى الشارع واختفى عن الأنظار.

نهض (مات) ليتبعه ثم جلس مرة أخرى وقال وهو يلمس الحقيبتين الجلديتين: «لن يتركهما. هل تصدق هذه الحكاية؟».

جلس (راند) في صبر بجانب براميل الأمطار وقال: «ما خطبك يا (مات)؟ أنت لست على طبيعتك، لم أسمعك تضحك منذ أيام».

قال (مات) بحدة: «لا يعجبني أن أكون مُطارَدًا كالأرنب». ثم تنهد واستند برأسه إلى جدار الحانة القرميدي، رغم هذا بدا متوترًا وعيناه تتحركان بحذر. «أنا آسف، إنه الهرب وكل هؤلاء الغرباء و... وكل شيء. إنه يجعلني قَلِقًا طيلة الوقت. كلما نظرت إلى شخص ما لا أستطيع منع نفسي من التساؤل إن كان سيذهب ليُخبر (العواتم) عنا، أو يغشنا، أو يسرقنا، أو... بحق (النور) يا (راند) ألا يجعلك هذا متوترًا؟».

ضحك (راند) ضحكة مقتضبة وقال: «أنا مرعوب للغاية بشكل لا يُعطيني فرصة للتوتر».

«ما الذي فعلته (الآيز سيداي) بابن أخيه في رأيك؟».

قال (راند) بعدم ارتياح: «لا أعرف». هناك نوع واحد من المشكلات التي يمكن أن يتورط فيها رجل مع (الآيز سيداي). «ليس مثلنا على ما أعتقد».

«لا، ليس مثلنا».

جلسا متكئين إلى الجدار لبعض الوقت دون أن يتحدثا، لم يكن (راند) واثقًا كم من الوقت قد مضى وهما ينتظران، بضع دقائق على الأرجح، ولكنها بدت كساعة، في انتظار عودة (توم)، في انتظار أن يفتح (بارتيم) و(جيلب) النافذة ويصرخا فيهما أنهما من (أصدقاء الظلام). ثم دلف رجل من مدخل الزقاق، رجل طويل يرتدي عباءة قد جذب غطاءها على رأسه ليخبئ وجهه، عباءة تبدو سوداء كالليل في مواجهة الضوء القادم من الشارع.

اعتدل (راند) واقفًا على الفور ويده تُمسك بمقبض سيف (تام) بقوة شديدة حتى أن مفاصل أصابعه قد آلمته. جف فمه ولم تساعده محاولاته

العديدة للبلع. نهض (مات) على قدميه، ولكنه ظل منحنيًا ويده أسفل عباءته.

اقترب الرجل منهما بينما حلق (راند) يزداد اختناقًا مع كل خطوة، فجأة توقف الرجل وأزاح غطاء رأسه. أحس (راند) أن الأرض تميد به، لقد كان (توم).

ابتسم صانع البهجة وقال: «حسنًا، إن كنتما لم تتعرفا عليَّ فأعتقد أنه تنكر جيد بما يكفي من أجل البوابات».

تجاوزهما (توم) وبدأ ينقل الأشياء من عباءته المغطاة بالرقع إلى عباءته الجديدة بخفة شديدة حتى أن (راند) لم يستطع أن يميز أي شيء منها. رأى (راند) حينها أن العباءة ذات لون بني داكن. أخذ نفسًا عميقًا متقطعًا، كان حلقه لا يزال مختنقًا. بنية وليست سوداء. كانت يد (مات) لا تزال تحت عباءته وهو يحدق إلى ظهر (توم) كما لو كان يفكر في استخدام الخنجر المخفي.

نظر (توم) إليهما ثم حدجهما بنظرة حادة وقال: «هذا ليس الوقت المناسب للفزع». وبمهارة طوى عباءته القديمة لتصير حزمة حول حقيبتي آلتيه وقد قلبها ليُخفي الرقع. «سنخرج من هنا واحدًا تلو الآخر، بمسافة قريبة فقط بما يكفي لأن يُبقي كل واحد منا نظره على الآخر. لا نريد لأحد أن يُلاحظ أننا نحن الثلاثة معًا». ثم أضاف وهو يشير إلى (راند): «ألا يمكنك أن تحني كتفيك، إن طولك لافت للأنظار». علَّق الحزمة على ظهره ثم اعتدل واقفًا وهو يضع غطاء الرأس مرة أخرى. لم يكن يُشبه صانع البهجة أبيض الشعر على الإطلاق، بل مجرد مسافر آخر، رجل فقير للغاية فلا يمكنه تحمل ثمن حصان، ناهيك عن عربة. «هيا بنا، لقد أضعنا الكثير من الوقت بالفعل».

وافقه (راند) بشدة، ولكنه رغم هذا تردد قبل أن يخطو خارج الزقاق إلى الميدان. لم يلتفت إليهم أحد من الأشخاص القليلين المتناثرين، ولكنه كان متحفزًا، مُنتظرًا أن يصيح أحد بأنهم من (أصدقاء الظلام) ليحول الأشخاص العاديين إلى حشد غاضب متعطش للقتل. مرر عينيه على المساحة الواسعة، على الأشخاص الذين يتحركون للقيام بأعمالهم اليومية، وعندما أعاد عينيه كان هناك (ميردرال) في منتصف الميدان.

لم يستطع حتى أن يُخمن من أين أتى (العاتم)، ولكنه كان يخطو نحو ثلاثتهم ببطء مميت، كوحش مفترس يرى فريسته أمام عينيه. ابتعد الناس عن الشكل المتشح بالسواد متحاشين النظر إليه، بدأ الميدان يصير خاويًا، بعد أن قرر الناس أنهم بحاجة للذهاب إلى مكان آخر.

غطاء الرأس الأسود جعل (راند) يتجمد حيث يقف. حاول أن يستدعي الخواء ولكن الأمر كان أشبه بمحاولة الإمساك بالدخان. كانت نظرة (العاتم) الخفية كسكين تطعن عظامه وتحيل نخاعه إلى ثلج.

تمتم توم: «لا تنظر إلى وجهه». كان صوته مرتجفًا ومبحوحًا، وبدا كأنه يُجبر نفسه على التلفظ بالكلمات. «بحق (النور) لا تنظر إلى وجهه!».

بصعوبة أبعد (راند) عينيه، كاد أن يتأوه وأحس أنه ينتزع عَلَقَة ملتصقة بوجهه. ولكن حتى وهو يحدق إلى أحجار الميدان كان باستطاعته أن يرى (الميردرال) وهو يقترب، كقط يلعب بالفئران، مستمتعًا بمحاولاتهم اليائسة للهرب، حتى يُطبق فكيه عليهم أخيرًا. قطع (العاتم) نصف المسافة فتمتم (راند) قائلًا: «هل سنكتفي بالوقوف هنا؟ يجب علينا أن نهرب... نبتعد عن هنا». ولكنه لم يستطع تحريك قدميه.

وأخيرًا أخرج (مات) الخنجر ذا الياقوتة بيد مرتجفة، وقد كشف عن أسنانه في زمجرة خائفة.

قال (توم): «هل تعتقد...». ثم توقف ليزدرد لعابه بصوت مبحوح. «هل تعتقد أن بإمكانك أن تسبقه في الجري يا فتى؟». ثم بدأ يتحدث إلى

نفسه بصوت خافت والكلمة الوحيدة التي استطاع (راند) تمييزها كانت «(أوين)». فجأة قال (توم) متزمرًا: «لم يكن يجدر بي أن أتورط معكما أيها الفتيان، لم يكن يجدر بي هذا». ثم انتزع حزمة عباءة صانع البهجة من على ظهره ودفع بها إلى ذراعي (راند) قائلًا: «فلتعتنِ بهذه. عندما أقول اركضا فلتركضا ولا تتوقفا حتى تصلا إلى (كايملين). حانة (مباركة الملكة)، فلتتذكرا هذا في حالة... تذكرا فحسب».

قال (راند): «أنا لا أفهم». كان (الميردرال) على مسافة أقل من عشرين خطوة في تلك اللحظة، فأحس أن قدميه بثقل الرصاص.

قال (توم) بحدة: «فقط تذكرا هذا! حانة (مباركة الملكة). والآن اركضا!».

ثم دفع كتفيهما بيديه لكي يركضا، فتعثر (راند) وهو يترنح في عَدْوِه و(مات) بجواره.

«اركضا!». ثم اندفع (توم) مسرعًا بدوره بصرخة طويلة، ولكنه لم يكن يلحق بهما، بل يركض ناحية (الميردرال). تحركت يداه كأنما يقدم أفضل استعراضاته فظهرت الخناجر. توقف (راند) ولكن (مات) جذبه ليتحرك.

كان (العاتم) متفاجئًا مثلهما، فتحولت خطواته المتمهلة إلى خطوات مسرعة بعض الشيء. امتدت يده ناحية مقبض السيف الأسود المعلق في خصره، ولكن صانع البهجة قطع المسافة بسرعة بساقيه الطويلتين. ارتطم (توم) بـ(الميردرال) قبل أن يستل سيفه الأسود بالكامل فسقط كلاهما متكومين على الأرض. هرب العدد القليل المتبقي من الناس من الميدان.

«اركضا!». لمع الهواء في الميدان بضوء أزرق يعمي الأبصار، فصرخ (توم)، ولكن حتى في منتصف صراخه استطاع أن يقول: «اركضا!».

أطاعه (راند) وصرخات صانع البهجة تلاحقه.

كان يركض بأسرع ما يستطيع وهو يضم حزمة (توم) إلى صدره. انتشر الذعر من الميدان إلى البلدة، بينما (راند) و(مات) يهربان على قمة موجة من الخوف. تخلى أصحاب المتاجر عن بضائعهم مع مرور الفتيين. بدأت النوافذ تُغلق في المحال، وظهرت الوجوه الخائفة في نوافذ البيوت ثم اختفت. الأشخاص الذين لم يكونوا قريبين بما يكفي لرؤية ما يحدث ركضوا بجموح عبر الشوارع دون أن يعيروا اهتمامًا لما يوجد أمامهم. لقد ارتطموا أحدهم بالآخر، وهؤلاء الذين سقطوا أرضًا اندفعوا واقفين على أقدامهم على الفور أو تعرضوا للدهس. كانت بلدة (الجسر الأبيض) تغلي كخلية نمل قد ركلها أحدهم.

فجأة تذكر (راند) ما قاله (توم) عن طوله بينما هو و(مات) يركضان ناحية البوابة، ودون أن يُبطئ انحنى قليلًا قدر ما يستطيع دون أن يبدو منحنيًا. ولكن البوابة نفسها. خشب سميك بدعامات من حديد أسود. كانت مفتوحة. كان حارسا البوابة اللذان يرتدي كل واحد منهما قبعة فولاذية وزردًا متآكلًا فوق معطف أحمر يبدو رخيصًا بياقة بيضاء ينقران بأصابعهما على مِطْرَديهما وهما ينظران بتوتر إلى البلدة. نظر أحدهما ناحية (راند) و(مات) ولكنهما لم يكونا الوحيدين اللذين يركضان للخروج من البوابة. كان هناك تيار متدفق في حالة من الغليان، رجال يلهثون وهم يمسكون بزوجاتهم، نسوة باكيات يحملن رُضَّعهن الباكين، ويجرن أطفالهن الباكين. وحرفيون شاحبو الوجوه ما زالوا يرتدون مآزرهم ويمسكون بأدواتهم بدون تفكير.

فكَّر (راند) في ذهول بينما هو يركض أنه لن يكون هناك أحد قادر على معرفة الاتجاه الذي سلكاه. (توم)، *أوه بحق (النور)*، (توم).

تعثر (مات) بجواره ولكنه استعاد توازنه وهما يركضان، حتى سبقا آخر الهاربين، ركضا حتى اختفت البلدة و(الجسر الأبيض) عن النظر من ورائهما.

وأخيرًا سقط (راند) على ركبتيه في الغبار وهو يلهث ليعب الهواء عبًّا عبر حلقه الجاف. كان الطريق من ورائهما يمتد فارغًا حتى يختفي عن الأنظار بين الأشجار العارية من الأوراق.

ساعده (مات) على الوقوف وهو يقول لاهثًا: «هيا بنا، هيا بنا». كان العرق والغبار قد اختلطا في وجهه وكان يبدو أنه على وشك الانهيار. «يجب علينا المضي قدمًا».

قال (راند): «(توم)». ثم ضم ذراعيه على حزمة عباءة (توم)، وبداخلها كتلتان صلبتان تمثلان حقيبتيّ الآلتين الموسيقيتين. «(توم)».

«لقد مات، لقد رأيتَ، وسمعتَ. بحق (النور) يا (راند) لقد مات».

«أنت تعتقد أن (إيجوين) و(مويرين) والبقية قد ماتوا أيضًا، إن كانوا قد ماتوا فلم لا يزال (الميردرال) يتعقبوننا؟ فلتجب على هذا».

سقط (مات) على ركبتيه في الغبار بجواره وقال: «حسنًا، ربما هم على قيد الحياة، ولكن (توم)... لقد رأيتَ! بحق الدماء والرماد يا (راند)، إن الشيء ذاته يُمكن أن يحدث لنا».

أومأ (راند) برأسه ببطء، كان الطريق من ورائهما لا يزال خاليًا. كان لا يزال يتوقع بشكل ما - أو يأمل على الأقل - أن يظهر (توم) وهو يركض على الطريق نافخًا شاربه ليشتكي من المتاعب التي وقع فيها بسببهما. حانة (مباركة الملكة) في (كايملين). بذل مجهودًا كبيرًا ليقف على قدميه قبل أن يعلق حزمة (توم) على ظهره بجانب لفافة بطانياته. حدق (مات) إليه مُضيقًا عينيه في حذر.

قال (راند): «دعنا نذهب». ثم بدأ يسير عبر الطريق المتجه إلى (كايملين). سمع (مات) يغمغم، وبعد لحظات لحق بـ(راند).

سارا على طول الطريق الترابي برأسين مطرقين دون أن يتكلما. كانت الرياح تثير دوامات من الغبار في طريقهما. من وقت لآخر كان (راند) ينظر وراءه ولكن الطريق كان دومًا خاليًا.

الفصل السابع والعشرون

مأوى من العاصفة

كان (بيرين) يشعر بالانزعاج طيلة الأيام التي قضاها مع (التواثان) المسافرين جنوبًا وشرقًا في تمهل. لم يرَ (الجوالون) حاجة للتعجل، لم يتعجلوا في تجوالهم قط. لم تكن العربات الملونة تتوقف من الصباح حتى تصير الشمس فوق الأفق، وأحيانًا ما يتوقفون باكرًا في منتصف ما بعد الظهيرة إن مروا ببقعة ملائمة، كانت الكلاب تسير بتمهل بجانب العربات، وأحيانًا ما يفعل الأطفال هذا أيضًا. لم يجدوا صعوبة في مواكبة العربات، أي اقتراح بالذهاب أبعد من هذا أو بشكل أسرع كان يُقابل بالضحك وأحيانًا بقولهم؛ «أها، ولكن هل ستجعل الخيول المسكينة تعمل بمشقة؟».

كان مندهشًا لأن (إلياس) لم يُشاركه مشاعره. لم يكن (إلياس) يركب العربات فكان يفضل المشي، وأحيانًا ما كان يمشي بخطوات واسعة في مقدمة القافلة، ولكنه لم يقترح قط الرحيل أو الإلحاح على الإسراع.

كان الرجل الملتحي الغريب بملابسه الجلدية الغريبة مختلفًا تمامًا بين (التواثان) اللطفاء، حتى أنه كان يبدو متناقضًا مع المشهد كلما مشى بين العربات. حتى إن رآه أحد من على الجانب الآخر للمخيم فلم يكن ليخلط بينه وبين (الجوالين)، ولم يكن هذا بسبب ملابسه فقط. كان (إلياس) يتحرك كذئب برشاقة كسولة، ويعزز من هذا ملابسه الجلدية

وقبعته المصنوعة من الفراء، وهو يشع بخطر طبيعي كما تشع النار بالحرارة، وكان هذا يتناقض مع (الجوالين) بشكل صارخ. كان (الجوالون) صغارًا وكبارًا يتحركون بمرح، ولم يكن هناك أدنى خطر في لطفهم، بل الابتهاج فقط. كان أطفالهم المندفعون في أرجاء المكان ممتلئين بحماس خالص بالطبع، ولكن المسنين والجدات بين (التواثان) كانوا يخطون بخفة كأن مشيتهم رقصة حيوية بما فيها من اعتزاز بالنفس. كان جميع (الجوالين) يبدون وكأنهم على وشك الرقص، حتى وهم واقفون، حتى في الأوقات النادرة التي لا يكون فيها موسيقى في المخيم. كانت الآلات الوترية والمزامير والسناطير والقوانين والطبول تُعزف بانسجام في إيقاع متناغم حول العربات في كل ساعة تقريبًا في المخيم أو أثناء الحركة. أغانٍ مبهجة، أغانٍ مرحة، أغانٍ ضاحكة، أغانٍ حزينة، إن كان هناك شخص مستيقظ في المخيم فغالبًا ما سيكون هناك موسيقى.

كان (إلياس) يتلقى إيماءات ودية وابتسامات عند كل عربة يمر من جوارها، وكلمة مرحة عند أي نار يتوقف عندها. لا شك أن (الجوالين) يقابلون الغرباء بوجوه مُرَحِّبة مبتسمة. ولكن (بيرين) قد تعلم أن هناك حذرًا لأيل نصف مروض مختبئًا تحت هذا السطح، شيئًا مختفيًا عميقًا وراء الابتسامات التي يوجهونها له هو و(إيجوين)، شيئًا جعله يتساءل إن كانا حقًّا بأمان، شيئًا لم يتلاشَ إلا قليلًا مع مرور الأيام. مع (إلياس) يكون هذا الحذر شديدًا، كحرارة منتصف الصيف تتلألأ في الهواء، ولم يتلاشَ قط. عندما لا ينظر إليهم كانوا يراقبونه بشكل فج كأنهم غير واثقين مما سيفعله، عندما يسير عبر المخيم فإن الأقدام المستعدة للرقص تبدو مستعدة للهرب أيضًا.

لم يكن (إلياس) بالتأكيد مرتاحًا لـ(طريقة الورقة) الخاصة بهم، أكثر من ارتياحهم له. كان فمه دومًا ملتويًا عندما يكون بالقرب من (التواثان)، لم يكن تعاليًا، وبالتأكيد لم يكن ازدراءً، ولكنه بدا كأنما يفضل أن يكون في أي مكان آخر عدا هذا المكان، أي مكان آخر تقريبًا. ومع ذلك كلما

تحدث (بيرين) بشأن الرحيل كان (إلياس) يخبره أن عليهم أن يستريحوا لبضعة أيام أخرى فقط.

في المرة الثالثة أو الرابعة التي يسأله فيها قال (إلياس): «لقد قضيتما أيامًا صعبة قبل أن تلتقيا بي، وما زال بانتظاركما أيام أصعب، بينما (الترولوكيون) و(العواتم) يطاردونكما، وبينما تصادقان (الآيز سيداي)». ثم ابتسم بفم مليء بفطيرة التفاح المجفف التي أعدتها (إيلا). لا يزال (بيرين) يجد نظرته بعينيه الصفراوين مثيرة للقلق حتى وهو يبتسم، بل وربما تكون مقلقة أكثر عندما يبتسم، فنادرًا ما تلمس الابتسامة عيني هذا الصياد. استلقى (إلياس) بجوار نيران (راين) رافضًا كالعادة الجلوس على جذوع الأشجار المعدة لهذا الغرض. «لا تكن بمثل هذه العجلة لوضع نفسك في أيدي (الآيز سيداي)».

«ماذا إن عثر علينا (العواتم)؟ ما الذي يمنعهم من هذا إن اكتفينا بالجلوس هنا والانتظار؟ لا يمكن لثلاثة من الذئاب ردعهم، و(الجوالون) لن يقدموا أي مساعدة، إنهم لن يدافعوا حتى عن أنفسهم، سيذبحهم (الترولوكيون) وسيكون هذا ذنبنا. على أي حال يجب أن نغادرهم عاجلًا أو آجلًا، ومن الأفضل أن يكون هذا عاجلًا».

«شيء ما يخبرني أن أنتظر. بضعة أيام فحسب».

«شيء ما!».

«استرخِ يا فتى. خذ الحياة كما هي، فلتجرِ عندما تضطر لهذا، ولتقاتل عندما يتحتم عليك هذا، ولتسترح عندما تستطيع هذا».

«ما الذي قصدته بشيء ما؟».

«فلتتناول شيئًا من هذه الفطيرة. (إيلا) لا تحبني ولكنها بالتأكيد تطعمني جيدًا عندما أزورها، لطالما كان الطعام شهيًا في مخيمات (الجوالين)».

سأله (بيرين): «أي شيء ما هذا؟ إن كنت تعرف شيئًا ما ولم تخبر به بقيتنا...».

عقد (إلياس) حاجبيه وهو ينظر إلى قطعة الفطيرة في يده ثم وضعها جانبًا ونفض يديه قبل أن يقول أخيرًا: «شيء ما». ثم هز كتفيه كأنما لا يفهم الأمر تمامًا بنفسه. «شيء ما يخبرني أنه من المهم أن أنتظر، بضعة أيام أخرى. لا يراودني مثل هذا الشعور في أحيان كثيرة، ولكني تعلمت أن أثق فيه عندما يراودني. لقد أنقذ حياتي في الماضي. الأمر مختلف بطريقة ما هذه المرة، ولكنه مهم، وهذا واضح. إن كنت ترغب في الإسراع في المضي قدمًا إذن فلتسرع، أنا لن أفعل هذا».

كان هذا هو كل ما يقوله مهما ألح عليه (بيرين) بالسؤال. كان يجلس مسترخيًا، أو يتحدث مع (راين)، أو يتناول الطعام، أو يغفو واضعًا قبعته على عينيه، رافضًا مناقشة الرحيل. شيء ما يخبره بأن ينتظر، شيء ما يخبره بأن الأمر مهم، سيعرف عندما يحين وقت الرحيل. تناول قطعة من الفطيرة يا فتى، لا تشغل بالك بالأمر، فلتجرب بعضًا من هذا الحساء، فلتسترخِ.

لم يستطع (بيرين) أن يجعل نفسه يسترخي، كان يتجول في الليل بين العربات متعددة الألوان وهو يشعر بالقلق، وما زاد من قلقه هو أنه لم يبدُ أن هناك أحدًا غيره يجد سببًا للقلق على الإطلاق. كان (التواثان) يغنون ويرقصون ويطبخون ويأكلون حول النيران في مخيمهم، الفاكهة والمكسرات والتوت والخضروات، فهم لا يأكلون اللحوم، ويؤدون الأعمال اليومية المعتادة، كأنما لا يوجد شيء في العالم ليقلقوا بشأنه على الإطلاق. كان الأطفال يركضون في كل مكان ويلعبون الغميضة بين العربات ويتسلقون الأشجار المحيطة بالمخيم ويضحكون ويتدحرجون على الأرض مع الكلاب. لا أحد يشعر بأدنى قلق قط.

بينما يراقبهم كان يشعر برغبة عارمة في الرحيل. *علينا أن نذهب قبل أن نجلب الصيادين عليهم. لقد رحبوا بنا بينهم ونحن نكافئ طيبتهم بتعريضهم*

للخطر. على الأقل لديهم سببًا لأن يكونوا خالين البال، لا شيء يتعقبهم، أما نحن...

كان من الصعب تبادل الحديث مع (إيجوين)، فهي إما تتحدث مع (إيلا)، وقد قربت كل واحدة رأسها من الأخرى بطريقة تشي بأن الرجال غير مرحب بهم، وإما ترقص مع (آرام) وهي تدور وتدور مع نغمات الآلات الوترية والمزامير والطبول، مع الألحان التي جمعها (التواثان) من جميع أنحاء العالم، أو مع الأغاني الحادة المتقطعة (للجوالين) أنفسهم، التي تكون حادة سواء كانت سريعة أو بطيئة. كانوا يعرفون العديد من الأغاني، وقد تعرف على بعضها أنها من موطنه، رغم أنها عادة ما تكون بأسماء مختلفة عما كانوا يطلقون عليها في (النهرين). (ثلاث فتيات في المروج) على سبيل المثال يسميها (الجوالون) (رقص الفتيات الجميلات)، ويقولون إن (رياح الشمال) تُدعى (هطول المطر) في بعض البلاد و(خلوة بيراين) في بلاد أخرى. وعندما سألهم بدون تفكير عن (الجوال أخذ آنيتي) انفجروا في الضحك، كانوا يعرفونها ولكن باسم (رمي الريش).

كان باستطاعته أن يتفهم رغبته في الرقص على أنغام (الجوالين)، عندما كان في (إيموندز فيلد) لم يكن أحد يعتبره أكثر من راقص مقبول، ولكن هذه الأغاني تحرك قدميه، وخُيِّل إليه أنه لم يرقص لوقت طويل كهذا طيلة حياته، أو بمثل هذا الحماس، أو بمثل هذه البراعة. كانت الأغاني تجعل الدماء تنبض في عروقه مع إيقاع الطبول كالمسحور.

في الليلة الثانية رأى (بيرين) لأول مرة نساء يرقصن على بعض الأغاني بطيئة الإيقاع. لم تكن النيران قوية، والليل يخيم على العربات، والأصابع تنقر في إيقاع بطيء على الطبول. في البداية كانت طبلة واحدة، ثم اثنتان، حتى صارت كل طبلة في المخيم على نفس الإيقاع البطيء المتواصل. كان الصمت يسود المكان إلا من الطبول، بينما فتاة ترتدي فستانًا أحمر تتمايل في الضوء وهي تفك شالها فتدلت خيوط الخرز من شعرها، ثم ركلت حذاءها. بدأ مزمار في عزف نغمة حزينة بطيئة برقة، فرقصت

الفتاة، بسطت ذراعيها على اتساعهما وشالها من ورائها بينما خاصرتاها تتمايلان وقدماها العاريتان تتحركان مع إيقاع الطبول. كانت عينا الفتاة السوداوان مثبتتين على (بيرين)، وكانت ابتسامتها بطيئة كرقصها. دارت حول نفسها في دوائر صغيرة وهي تنظر إليه من فوق كتفها.

ازدرد لعابه بقوة، ولم تكن حرارة وجهه بفعل النار. انضمت فتاة ثانية إلى الأولى وأهداب شاليهما تهتز في الوقت ذاته مع الطبول والدوران البطيء لخصريهما. ابتسمتا له فتنحنح بصوت أجش. كان يخشى من التلفت حوله، وكان وجهه أحمر كالبنجر، وأي شخص لا يُراقب الراقصتين كان على الأرجح يسخر منه، كان واثقًا من هذا.

انزلق من على جذع الشجرة الذي يجلس عليه متظاهرًا باللامبالاة كأنه يسترخي، ولكنه بحرص أشاح بوجهه بعيدًا عن النار، بعيدًا عن الراقصتين. لم يكن هناك شيء كهذا في (إيموندز فيلد)، إن الرقص مع الفتيات في الساحة الخضراء في أيام العيد لا يُمكن حتى مقارنته بهذا. ولأول مرة تمنى أن تهب الرياح بقوة لتبرد جسده.

صارت الفتيات يرقصن في مجال رؤيته مرة أخرى، ولكن هذه المرة كن ثلاث فتيات. غمزت له إحداهن غمزة ماكرة، فزاغت عيناه بشكل محموم. قال لنفسه؛ *ما الذي يجب أن أفعله الآن بحق (النور)؟ ما الذي كان (راند) ليفعله؟ إنه يعرف كيف يتعامل مع الفتيات.*

ضحكت الفتاة برقة، وطقطق الخرز بينما شعرهن الطويل يتحرك من جانب إلى الآخر على أكتافهن، فخُيِّل إليه أن وجهه سيحترق. ثم انضمت امرأة أكبر سنًّا بعض الشيء إلى الفتيات، لتريهن كيف يكون الرقص الحقيقي. تأوه ثم استسلم تمامًا وأغلق عينيه. حتى من وراء جفنيه كانت ضحكاتهن تثيره وتدغدغ مشاعره. حتى من وراء جفنيه كان باستطاعته أن يراهن. تصبب العرق على جبينه فتمنى مرة أخرى أن تهب الرياح.

حسبما قال (راين) فإن الفتيات لا يرقصن هذه الرقصة كثيراً، ونادرًا ما ترقصها النسوة. وحسبما قال (إلياس) فإنهن قد رقصن هذه الرقصة كل ليلة بعدها بفضل احمرار وجهه.

قال له (إلياس) بلهجة رصينة وجادة: «يجب عليَّ أن أشكرك، إن الأمر مختلف معكم يا معشر الشباب، ولكن في سني يتطلب الأمر ما هو أكثر من النيران لتدفئة عظامي». تجهم (بيرين)، فقد كان هناك في مشية (إلياس) وهو يسير مبتعدًا عنه شيء يشي بأنه يضحك بداخله، حتى لو لم يضحك صراحة.

سرعان ما أدرك (بيرين) أنه من الأفضل أن ينظر بعيدًا عن النسوة والفتيات الراقصات، رغم أن الابتسامات والغمزات كانت لا تزال تجعله يتمنى لو أن باستطاعته المشاهدة. مرة واحدة سيكون لا بأس بها ربما، ولكن خمس أو ست، بينما الجميع ينظرون... لم يستطع قط أن يمنع وجهه من الاحمرار خجلًا.

ثم بدأت (إيجوين) في تعلم الرقصة، اثنتان من الفتيات اللاتي كن يرقصن في تلك الليلة الأولى علماها، وهما تصفقان بالإيقاع بينما هي تكرر الخطوات الراقصة بعد أن استعارت شالًا ليتمايل من ورائها. فكر (بيرين) أن يقول شيئًا ولكنه قرر أن من الحكمة ألا يفتح فمه. عندما أضافت الفتاتان حركة الخاصرتين بدأت (إيجوين) في الضحك، ثم قهقهت الفتيات الثلاثة وهن يعانقن بعضهن. ولكن (إيجوين) ثابرت على التعلم بعينين لامعتين ووجنتين متوردتين.

كان (آرام) يُراقب رقصها بعينين ملتهبتين جائعتين، كان الشاب (التواثاني) الوسيم قد أعطاها خيطًا من الخرز الأزرق، وكانت ترتديه طيلة الوقت. حلَّ التجهم القلق محل الابتسامة على وجه (إيلا) عندما لاحظت اهتمام حفيدها بـ(إيجوين). قرر (بيرين) أن يُبقي عينيه على السيد الشاب (آرام).

ما إن استطاع أن ينفرد بـ(إيجوين) بجانب عربة مطلية بالأخضر والأصفر حتى قال لها: «تستمتعين بوقتك، أليس كذلك؟».

لمست الخرز الأزرق المحيط بعنقها ثم ابتسمت وقالت: «ولِمَ لا؟ لا يجب علينا جميعًا أن نحرص على البقاء بائسين مثلما تفعل. ألا نستحق فرصة صغيرة للاستمتاع بوقتنا؟».

كان (آرام) يقف على مسافة ليست ببعيدة منهما . لم يبتعد مُطلقًا عن (إيجوين) . وقد عقد ذراعيه على صدره وعلى وجهه ابتسامة صغيرة تجمع بين العجرفة والتحدي. خفض (بيرين) صوته وقال: «كنت أظن أنك ترغبين في الذهاب إلى (تار ڤالون). لن تتعلمي كيف تصيرين (آيز سيداي) هنا».

حدجته (إيجوين) بنظرها ثم قالت بلطف مبالغ فيه: «وأنا كنت أظن أنك لا تريدني أن أصير (آيز سيداي)».

«بحق الدماء والرماد هل تعتقدين أننا بأمان هنا؟ هل تعتقدين أن هؤلاء الناس بأمان معنا هنا؟ من الممكن أن يعثر علينا (عاتم) في أي وقت».

ارتجفت يدها الموضوعة على الخرز ثم خفضتها وهي تأخذ نفسًا عميقًا قبل أن تقول: «أيًّا كان ما سيحدث فإنه سيحدث سواء رحلنا اليوم أو الأسبوع المقبل، هذا ما أؤمن به الآن. فلتستمتع بوقتك يا (بيرين)، قد تكون هذه آخر فرصة ننالها».

داعبت وجنته بحزن بأصابعها، ثم مد (آرام) يده إليها فاندفعت ناحيته قد عادت بالفعل إلى الضحك. وبينما هما يركضان إلى حيث تغني الآلات الوترية نظر (آرام) وراءه إلى (بيرين) بابتسامة منتصرة كأنه يقول إنها ليست لك ولكنها ستكون لي.

فكر (بيرين) أنهما واقعان بقوة تحت تأثير سحر (الجوالين). إن (إلياس) محق، ليس عليهم إقناعك بـ(طريقة الورقة)، فهي تنساب إليك وتتغلغل بداخلك.

نظرت إليه (إيلا) وهو منكمش على نفسه في الرياح فجلبت عباءة صوفية سميكة من عربتها، عباءة ذات لون أخضر داكن، كان ممتنًا لرؤيتها بعد كل هذه الألوان الحمراء والصفراء، بينما هو يضعها على كتفيه ومندهش من أن العباءة كبيرة بما يكفي لكي تناسبه قالت (إيلا) ببساطة: «من الممكن أن تناسبك بشكل أفضل». ثم نظرت إلى الفأس في حزامه، وعندما رفعت بصرها إليه كانت عيناها حزينتين رغم ابتسامتها وهي تقول: «من الممكن أن تناسبك بشكل أفضل بكثير».

جميع (الجوالين) يفعلون هذا، ابتسامتهم لا تختفي أبدًا، ولا يترددون في دعوته إلى الانضمام إليهم لتناول شراب أو الاستماع إلى الموسيقى، ولكن أعينهم دومًا ما تختلس النظر إلى الفأس، وكان باستطاعته أن يشعر بما يفكرون فيه. أداة للعنف، لا يوجد مبرر مطلقًا لاستخدام العنف مع إنسان آخر. (طريقة الورقة).

أحيانًا ما يرغب في أن يصيح بهم، هناك (ترولوكيون) في العالم، و(عواتم)، هناك هؤلاء الذين قد يقطعون كل ورقة. (سيد الظلام) موجود، و(طريقة الورقة) ستحترق في عيني (بعلزمون). في عناد لم يتخلَّ عن حمله للفأس، وقد اعتاد على إبقاء عباءته وراء ظهره، حتى عندما تكون الرياح شديدة، لكيلا يختفي نصله الذي يُشبه نصف قمر مُطلقًا. من آن لآخر كان (إلياس) ينظر بتساؤل إلى السلاح المعلق بثقل على جانبه قبل أن يبتسم له، وقد بدا أن هاتين العينين الصفراوين تقرآن عقله. كاد هذا أن يجعله يغطي فأسه، ولكنه لم يفعل.

إن كان مخيم (التواثان) مصدر انزعاج دائم، فعلى الأقل كانت أحلامه طبيعية هنا. أحيانًا ما كان يستيقظ وهو يتصبب عرقًا من حلم يقتحم فيه (الترولوكيون) و(العواتم) المخيم، ويحرقون العربات ذات الألوان المتعددة بإلقاء المشاعل عليها، بينما الناس يتساقطون في برك من الدماء، رجالًا ونساءً وأطفالًا، يركضون ويصرخون، قبل أن يموتوا دون أن يبذلوا أدنى جهد للدفاع عن أنفسهم في وجه السيوف القاطعة التي تُشبه المناجل. ليلة

تلو الأخرى كان يقوم فزعًا من نومه في الظلام وهو يلهث ويمد يده إلى فأسه قبل أن يُدرك أن العربات لم تشتعل وأنه لا يوجد وحوش ذات خطوم مخضبة بالدماء تزمجر فوق جثث ممزقة وملتوية تملأ الأرض. ولكن هذه كانت كوابيس عادية، والغريب أنها مريحة بطريقة ما، إن كان هناك مكان في أحلامه كي يكون فيه (سيد الظلام) فإنه سيكون في هذه الأحلام، ولكنه لم يكن هناك. لم يكن هناك (بعلزمون)، مجرد كوابيس عادية.

ولكنه عندما يستيقظ يكون مدركًا لوجود الذئاب. كانوا يبقون على مسافة بعيدة من المخيم والقافلة أثناء حركتها، ولكنه كان يعرف دومًا أين هم. كان باستطاعته أن يشعر باحتقارهم للكلاب التي تحرس (التواثان)، وحوش صاخبة تناست الغرض الحقيقي من أنيابها، ونسيت طعم الدماء الدافئة. ربما يخيفون البشر، ولكنهم سيولون الأدبار زحفًا على بطونهم إن جاء القطيع. في كل يوم كان إدراكه يزداد حدة ووضوحًا.

كان صبر (دابل) ينفد أكثر مع كل غروب، إن رغبة (إلياس) في أخذ البشريين جنوبًا تجعله أمرًا يستحق فعله، ولكن إن كان يجب أن يُنجَز فيجب إنجازه على الفور، يجب أن ينتهي هذا السفر البطيء. من المفترض بالذئاب أن ترتحل، ولم تحب البقاء بعيدًا عن القطيع لوقت طويل. كان (ويند) نافد الصبر أيضًا، كان الصيد سيئًا للغاية هنا، وكان يمقت العيش على فئران الحقول، فهي شيء مناسب لكي تتعقبهم الجراء من أجل تعلم الصيد، أو من أجل الذئاب العجائز، الذين لم يعودوا قادرين على الإيقاع بأيل أو ثور بري. أحيانًا ما يفكر (ويند) أن (بيرن) محق في ترك متاعب البشر للبشر، ولكنه كان يحذر من مثل هذه الأفكار عندما تكون (دابل) بالقرب منه، ويحذر أكثر عندما يكون (هوبر) بالقرب منه. كان (هوبر) مقاتلًا أشيب مليئًا بالندوب، وقد اكتسى وجهه بقناع جامد لا يفصح عن مشاعره مع حكمة السنوات، ودهاء كافٍ لتعويضه عن أي شيء قد سرقته السنوات. لم يكن يُبالي مطلقًا بشأن البشر، ولكن (دابل) كانت تتمنى أن ينتهي هذا الأمر، و(هوبر) سينتظر كما تنتظر وسيركض

كما تركض. ذئب أو إنسان، ثور أو دب، أيًّا كان ما يتحدى (دابل) فإنه سيجد فكي (هوبر) في انتظاره لإرساله إلى نوم طويل. كان هذا هو الغرض الوحيد من حياة (هوبر)، وهذا ما أبقى (ويند) حذرًا، وبدا أن (دابل) تتجاهل أفكار كليهما.

كل هذا كان واضحًا في عقل (بيرين)، كان يأمل بشكل محموم أن يذهب إلى (كايملين)، أن يلتقي بـ(مويرين) ويذهب إلى (تار ڤالون). حتى لو لم يكن هناك إجابات فعلى الأقل سينتهي هذا الأمر. كان (إلياس) ينظر إليه، وكان واثقًا أن الرجل ذا العينين الصفراوين يعرف. *أتمنى أن ينتهي هذا الأمر.*

بدأ الحلم بشكل سار أكثر من معظم أحلامه مؤخرًا. كان جالسًا على الطاولة في مطبخ (ألسبيت لوهان) يشحذ فأسه بحجر، لم تكن السيدة (لوهان) تسمح بأعمال الحدادة أو شيء يتعلق بها في بيتها. حتى أن السيد (لوهان) كان يضطر لأخذ سكاكينها إلى الخارج لشحذها، ولكنها كانت تولي اهتمامها إلى ما تطبخه ولم تقل شيئًا عن فأسه. لم تقل شيئًا حتى عندما جاء ذئب من مكان في البيت ليجلس بين (بيرين) والباب المؤدي إلى الفناء. واصل (بيرين) شحذ فأسه، سيحين وقت استخدامه قريبًا.

فجأة اعتدل الذئب واقفًا وهو يزمجر عميقًا من حلقه، وانتصب الفراء السميك على عنقه. خطا (بعلزمون) من الفناء إلى المطبخ، بينما السيدة (لوهان) تواصل طبخها.

اعتدل (بيرين) واقفًا على قدميه على الفور وقد رفع فأسه، ولكن (بعلزمون) تجاهل السلاح وصوب اهتمامه على الذئب بدلًا من هذا. تراقصت ألسنة اللهب في الموضع الذي من المفترض أن تكون فيه عيناه وقال: «هل هذا ما لديك لحمايتك؟ حسنًا لقد واجهت هذا من قبل، واجهته مرات عديدة».

ثني إصبعه فعوى الذئب بينما النيران تندلع من عينيه وأذنيه وفمه، ومن جلده. ملأت رائحة اللحم والشعر المحترقين المطبخ. رفعت (ألسبيت لوهان) غطاء أحد القدور وقلَّبت محتوياته بملعقة خشبية.

ألقى (بيرين) الفأس جانبًا وقفز للأمام محاولًا أن يُطفئ ألسنة اللهب بيديه، ولكن الذئب تفتت إلى رماد أسود بين راحتيه. حدق إلى الكومة المتفحمة عديمة الملامح على أرضية البيت التي كانت السيدة (لوهان) قد كنستها بعناية بينما هو يتراجع إلى الوراء. تمنى لو أنه يقدر على مسح السخام الدهني من على يديه، ولكن فكرة تنظيف يديه بملابسه أصابته بالغثيان. انتزع الفأس وأمسك بمقبضه بقوة حتى آلمته مفاصل أصابعه.

صاح: «اتركني وشأني!». نقرت السيدة (لوهان) بالملعقة على حافة القدر ثم وضعت الغطاء وهي تدندن لنفسها.

قال (بعلزمون): «لا يمكنك أن تهرب مني، لا يمكنك أن تختبئ مني. إن كنت المنشود فأنت ملكي». حرارة النيران المنبعثة من وجهه أجبرت (بيرين) على التراجع عبر المطبخ حتى التصق ظهره بالجدار. فتحت السيدة (لوهان) الفرن لتتفحص خبزها. «(عين العالم) ستلتهمك. سأضع عليك علامة بأنك ملكي». ثم لوح بقبضته المضمومة كأنه يُلقي شيئًا، وعندما فتح أصابعه انقض غراب على وجه (بيرين).

صرخ (بيرين) بينما المنقار الأسود يخترق عينه اليُسرى...

... ثم اعتدل جالسًا ممسكًا بوجهه، بينما العربات النائمة (للجوالين) تحيط به. خفض يديه ببطء، لم يكن هناك ألم أو دماء، ولكن كان باستطاعته أن يتذكره، أن يتذكر ألم الطعنة.

ارتجف، وفجأة أدرك أن (إلياس) جالس القرفصاء بجواره قبيل الفجر وإحدى يديه ممدودة للأمام كأنما يهزه لكي يستيقظ. من وراء الأشجار حيث تستقر العربات عوت الذئاب؛ صرخة واحدة حادة من ثلاث حناجر. شاركهم مشاعرهم؛ النيران، الألم، النيران، الكراهية. الكراهية! القتل!

قال (إلياس) بهدوء: «أجل، لقد حان الوقت. انهض يا فتى، لقد حان وقت رحيلنا».

نهض (بيرين) من بطانياته على الفور، وبينما هو يحزم لفة بطانياته خرج (راين) من عربته وهو يفرك عينيه في نعاس. نظر (الباحث) إلى السماء ثم تجمد في موضعه وهو يهبط على الدرج ويده لا تزال مرفوعة إلى وجهه. كان جامدًا باستثناء عينيه اللتين تتحركان لتفحصا السماء باهتمام، رغم أن (بيرين) لم يستطع أن يفهم ما الذي ينظر إليه. كان هناك بضع غيوم جهة الشرق وجانبها السفلي مصطبغ بلون وردي بفعل الشمس التي لم تشرق بعد، ولكن لم يكن هناك أي شيء آخر يمكن رؤيته. بدا أن (راين) يُصغي السمع أيضًا، ويتشمم الهواء، ولكن لم يكن هناك أي صوت باستثناء الرياح بين الأشجار، ولم يكن هناك رائحة سوى بقايا الدخان الخافتة من نيران الليلة الماضية.

عاد (إلياس) مع متاعه القليل، فأكمل (راين) طريقه ناحيتهما قائلًا: «يجب أن نغير اتجاه سفرنا يا صديقي العزيز». ثم نظر (الباحث) في توتر إلى السماء مرة أخرى وهو يقول: «سنذهب من اتجاه آخر هذ اليوم، هل ستأتي معنا؟». هز (إلياس) رأسه فأومأ (راين) كأنه كان يعرف هذا من البداية وقال: «حسنًا فلتعتنِ بنفسك يا صديقي العزيز، هناك شيء حيال اليوم...». ثم رفع بصره مرة أخرى، ولكنه خفضه على الفور قبل أن يعلو فوق قمم العربات ويقول: «أعتقد أن العربات ستتوجه شرقًا، ربما على طول الطريق حتى نصل إلى (فقار العالم)، ربما سنجد (ملاذًا) ونبقى هناك لبعض الوقت».

وافقه (إلياس) قائلًا: «المتاعب لا تحل بـ(الملاذ) مُطلقًا، ولكن (الأوجير) لا يرحبون كثيرًا بالغرباء».

قال (راين) مبتسمًا: «الجميع يرحبون بـ(الجوالين)، كما أن (الأوجير) أيضًا لديهم أوعية وأشياء لإصلاحها، هيا دعونا نتناول الإفطار ونتحدث في الأمر».

قال (إلياس): «لا وقت لهذا، يجب أن نتحرك اليوم أيضًا، وبأسرع وقت ممكن. يبدو أنه يوم الترحال».

حاول (راين) أن يُقنعه بأن يبقى على الأقل حتى يتناول الطعام، وعندما ظهرت (إيلا) من العربة بصحبة (إيجوين) احتجت هي أيضًا رغم أنها لم تكن بنفس حرارة زوجها. لقد قالت كل الكلمات المناسبة ولكن كياستها كانت جامدة، وكان من الواضح أنها ستكون مسرورة برحيل (إلياس)، وربما (إيجوين) أيضًا.

لم تلاحظ (إيجوين) النظرات الجانبية الآسفة التي رمقتها بها (إيلا). سألت ما الذي يحدث فاستعد (بيرين) لأن تقول إنها تريد البقاء مع (التواثان)، ولكن عندما شرح لها (إلياس) الأمر أومأت برأسها وأسرعت إلى العربة لجمع أغراضها.

وأخيرًا لوح (راين) بيديه وقال: «حسنًا، لم يحدث من قبل أن تركت زائرًا يُغادر المخيم بدون وليمة وداع، ولكن...». ثم رفع عينيه إلى السماء في توجس وقال: «حسنًا، أعتقد أننا أيضًا نحتاج إلى التحرك مبكرًا. ربما سنتناول الطعام أثناء الترحال، ولكن على الأقل فلتدع الجميع يودعونكم».

حاول (إلياس) أن يحتج، ولكن (راين) كان قد اندفع من عربة إلى أخرى وهو يطرق على أبواب العربات التي لم يكن بها أحد مستيقظ. بحلول الوقت الذي اقترب فيه أحد (الجوالين) وهو يجذب (بيلا) وراءه، كان المخيم كله في أفضل وأزهى حالاته، ككتلة من الألوان جعلت عربة (راين) و(إيلا) ذات اللونين الأحمر والأصفر تكاد أن تبدو باهتة. كانت الكلاب الكبيرة تتجول بين الحشد وألسنتها متدلية من أفواهها تبحث عن شخص ما ليحك آذانها، بينما يتحمل (بيرين) والآخران عبء المصافحة

تلو الأخرى والعناق تلو الآخر. الفتيات اللائي كن يرقصن كل ليلة لم يكتفين بالمصافحة، وعناقهن جعل (بيرين) يتمنى فجأة ألا يُغادر، حتى تذكر عدد الذين يراقبون الأمر، وحينها صار وجهه أحمر كلون عربة (الباحث) تقريبًا.

جذب (آرام) (إيجوين) جانبًا بعض الشيء. لم يكن باستطاعة (بيرين) سماع ما يقوله لها وسط ضوضاء الوداع، ولكنها كانت تهز رأسها باستمرار، ببطء أولًا، ثم بحزم أكثر بينما هو يومئ في توسل. تبدل وجهه من التوسل إلى الجدال، ولكنها واصلت هز رأسها في عناد حتى أنقذتها (إيلا) بأن وجهت بضع كلمات حادة لحفيدها. شق (آرام) طريقه عبر الحشد متجهمًا تاركًا بقية الوداع. راقبته (إيلا) في تردد وهو يبتعد وكانت على وشك أن تناديه لكي يعود. أحس (بيرين) أنها تشعر بالارتياح أيضًا، الارتياح لأنه لن يذهب معهم... مع (إيجوين).

بعد أن انتهى من مصافحة كل شخص في المخيم مرة واحدة على الأقل، وعانق كل فتاة مرتين على الأقل، تراجع الحشد ليفسح المجال حول (راين) و(إيلا) والزوار الثلاثة.

قال (راين) بنبرة مترنمة وهو ينحني بشكل رسمي ويداه على صدره: «لقد جئتم في سلام، فلترحلوا الآن في سلام. ودومًا ما سترحب نيراننا بكم في سلام، (طريقة الورقة) هي السلام».

أجابه (إلياس): «السلام عليكم دومًا، وعلى كل (الجوالين)». ثم تردد قبل أن يضيف: «سأجد الأغنية، أو سيجدها شخص آخر غيري، ولكن الأغنية سَتُغَنَّى، هذا العام أو في عام قادم. كما كان ذات يوم، فكذلك سيكون دومًا، عالم بلا نهاية».

رمش (راين) بعينيه في دهشة، وكذلك بدت (إيلا) مذهولة تمامًا، بينما تمتم (التواثان) ليجيبوه: «عالم بلا نهاية، عالم وزمن بلا نهاية». فأسرع (راين) وزوجته لترديد نفس الكلمات كالجميع.

إذن فقد حان وقت الرحيل حقًّا، بعض كلمات الوداع الأخيرة، بعض النصائح الأخيرة لأن يعتنوا بأنفسهم، بعض الابتسامات والغمزات الأخيرة، وبعدها كانوا يشقون طريقهم إلى خارج المخيم. اصطحبهم (راين) إلى حافة الأشجار بينما اثنان من الكلاب يتواثبان بجواره.

«يجب أن تعتنوا بأنفسكم حقًّا يا صديقي العزيز. هذا اليوم... أخشى أن هناك شرًّا طليقًا في العالم، ومهما تظاهرت فأنت لست شريرًا إلى هذه الدرجة لكيلا يلتهمك».

قال (إلياس): «السلام عليكم».

فقال (راين) بحزن: «وعليكم أيضًا».

بعد رحيل (راين) تجهم (إلياس) عندما رأى الاثنين الآخرين ينظران إليه فقال متذمرًا: «أنا لا أؤمن بأغنيتهم الحمقاء، ولكن لا داعي لجعلهم يشعرون بالحزن بإفساد مراسمهم، أليس كذلك؟ لقد قلت لكم إنهم أحيانًا ما يتمسكون كثيرًا بالرسميات».

قالت (إيجوين) بلطف: «بالطبع، لا حاجة لهذا على الإطلاق». فأشاح (إلياس) بوجهه وهو يتمتم لنفسه.

جاءت (دابل) و(ويند) و(هوبر) لتحية (إلياس)، ليس بتواثب مرح كما تفعل الكلاب، ولكنه كان لقاءً وقورًا بين أنداد. أحس (بيرين) بما كانوا يتبادلونه؛ عينين *ناريتين، ألم،* (*ناب القلب*)، *موت،* (*ناب القلب*). كان (بيرين) يعرف ما يقصدونه باسم (ناب القلب)، إنهم يشيرون إلى (سيد الظلام)، إنهم يتحدثون عن حلمه، حلمهم.

ارتجف بينما الذئاب يسرعون أمامهم لاستطلاع الطريق. كان دور (إيجوين) في امتطاء (بيلا) فسار بجوارها. كان (إلياس) أمامهما كالعادة بخطى ثابتة تطوي الأرض طيًّا.

لم يرغب (بيرين) في أن يفكر في حلمه، كان يعتقد أن الذئاب تجعلهم بأمان. لم يكتمل الأمر بعد، فلتقبله، بكامل قلبك، بكامل عقلك، ما زلت تقاوم، لن يكتمل الأمر إلا عندما تقبله.

أجبر الذئاب على الخروج من عقله، ثم رمش في دهشة، لم يكن يعلم أنه قادر على فعل هذا. عقد العزم على ألا يجعلهم يعودون مرة أخرى. حتى في أحلامه؟ لم يكن واثقًا إذا ما كانت الفكرة فكرته أم فكرتهم.

كانت (إيجوين) لا تزال ترتدي خيط الخرز الأزرق الذي قد أعطاه لها (آرام)، وغصن صغير به أوراق صغيرة حمراء زاهية في شعرها، هدية أخرى من (التواثاني) الشاب. كان (بيرين) واثقًا من أن (آرام) قد حاول إقناعها بالبقاء مع (الجوالين)، وكان مسرورًا لأنها لم تقتنع، ولكنه تمنى لو لم تكن تلمس الخرز بأصابعها في ولع.

وأخيرًا قال: «فيمَ كنتِ تتحدثين كل هذا الوقت مع (إيلا)؟ الوقت الذي لم تكوني ترقصين فيه مع ذلك الفتى ذي الساقين الطويلتين، كنتِ تتحدثين فيه معها كأنه سر ما».

أجابته (إيجوين) في شرود: «كانت تعطيني نصائح كي أصير امرأة». بدأ في الضحك فنظرت إليه نظرة خطيرة لم يرها من تحت غطاء رأسها.

«نصائح! لا يعطينا أحد نصائح لكي نصير رجالًا، نحن رجال وحسب».

قالت (إيجوين): «هذا على الأرجح هو سبب أدائكم للأمر بشكل سيئ». ومن أمامهما ضحك (إلياس) بصوت مرتفع.

الفصل الثامن والعشرون

آثار أقدام في الهواء

حدَّقت (نايْنيڤ) في عجب إلى ما يقع أمامها على طول النهر، (الجسر الأبيض) يلمع في الشمس بوهج ناصع البياض. قالت لنفسها؛ أسطورة أخرى. بينما هي تنظر إلى (الحامي) و(الآيز سيداي)، وهما يسيران أمامها مباشرة على صهوة حصانيهما. *أسطورة أخرى، لم يبدُ عليهما حتى أنهما قد لاحظاها*. عقدت العزم على ألا تحدق بينما يمكنهما أن يرياها، *سيضحكان إذا رأياني فاغرة الفم كقروية ساذجة*. تحرك الثلاثة بأحصنتهم في صمت ناحية (الجسر الأبيض) الأسطوري.

منذ ذلك الصباح بعد (شادار لوجوث)، عندما عثرت على (مويرين) و(لان) على ضفة (نهر آرينيل) كان هناك القليل من المحادثات الحقيقية بينها وبين (الآيز سيداي). كان هناك حديث بالطبع، ولكن لا شيء جوهري في نظر (نايْنيڤ)، محاولات (مويرين) لإقناعها بالذهاب إلى (تار ڤالون) على سبيل المثال. (تار ڤالون)، ستذهب إلى هناك إن اقتضت الحاجة، وستخضع لتدريبهن، ولكن ليس للأسباب التي تظنها (الآيز سيداي). إن تسببت (مويرين) في أذى لـ(إيجوين) والفتيان...

أحيانًا تجد (ناينيف) نفسها تفكر رغمًا عنها فيما يمكن أن تفعله حكيمة بـ(القوة الواحدة)، أو ما يمكن أن تفعله هي، ولكن كلما أدركت ما يدور في رأسها يحرقها وميض من الغضب. إن هذه القوة شيء قذر، ولن يكون لها أدنى علاقة بها، ما لم تكن مضطرة لهذا.

هذه المرأة اللعينة لا تريد أن تتحدث معها إلا عن أخذها إلى (تار ڤالون) من أجل التدريب. لن تخبرها (مويرين) بأي شيء! لم يكن الأمر وكأنها ترغب في معرفة الكثير.

تذكرت أنها قد سألتها: «كيف تنوين العثور عليهما؟».

أجابتها (مويرين) دون أن تكلف نفسها عناء الالتفات إليها: «كما أخبرتك من قبل؛ سأعرف عندما أقترب من الاثنين اللذين فقدا عملتيهما». لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تسألها (ناينيف) هذا السؤال، ولكن صوت (الآيز سيداي) كان لا يزال بركة ساكنة ترفض أن تتموج مهما ألقت فيها (ناينيف) من أحجار، كان هذا يجعل دم الحكيمة يغلي في كل مرة يحدث فيها. أكملت (مويرين) كأنها لا تستطيع الشعور بعيني (ناينيف) على ظهرها، كانت (ناينيف) تعرف أنها ولا شك قادرة على الإحساس بهذا، فقد كانت تحدق بقوة شديدة. «كلما طال الأمر صرت بحاجة للاقتراب أكثر، ولكني سأعرف. أما بالنسبة لهذا الذي لا يزال يحمل العملة فباستطاعتي تتبعه عبر نصف العالم إذا لزم الأمر طالما أنها بحوزته».

«وعندها؟ ما الذي تخططين لفعله عندما تعثرين عليهم أيتها (الآيز سيداي)؟». لم تصدق ولو لدقيقة واحدة أن (الآيز سيداي) ستكون مهتمة للغاية بالعثور عليهم ما لم يكن لديها مخططات ما.

«(تار ڤالون) أيتها الحكيمة».

« (تار ڤالون)، (تار ڤالون)، هذا هو كل ما تقولينه، وأنا بدأت أشعر بالـ...».

«جزء من التدريب الذي ستتلقينه في (تار ڤالون) أيتها الحكيمة سيعلمك أن تتحكمي في غضبك، لا يمكنك أن تفعلي شيئًا بـ(القوة الواحدة) بينما مشاعرك تتحكم في عقلك». فتحت (ناينيڤ) فمها ولكن (الآيز سيداي) قالت على الفور: «يجب أن أتحدث معك للحظة يا (لان)».

قرب الاثنان رأسيهما من بعضهما، وظلت (ناينيڤ) وحدها بوهج متجهم كانت تكرهه كلما أدركت أنه على وجهها. كان يرتسم مرارًا على وجهها كلما حولت (الآيز سيداي) أسئلتها ببراعة إلى موضوع آخر، متهربة بسهولة باستخدام ألاعيبها اللفظية، أو تتجاهل صيحاتها حتى ينتهي بها الأمر إلى الصمت. كان تجهمها يجعلها تشعر أنها فتاة قد أمسكت بها واحدة من (دائرة النساء) وهي تتصرف بحماقة. لم تكن (ناينيڤ) معتادة على هذا الشعور، وكانت الابتسامة الهادئة على وجه (مويرين) تزيد الأمر سوءًا.

تمنَّت لو أن هناك طريقة للتخلص من المرأة، سيكون (لان) أفضل حالًا بمفرده، قالت لنفسها على الفور إن واحدًا من (الحماة) سيكون قادرًا بلا شك على التعامل مع كل ما هو مطلوب، ثم احمر وجهها خجلًا فجأة، لم يكن هناك سبب آخر، ولكن كل سبب منهما يعني الآخر.

ورغم هذا كان (لان) يجعلها غاضبة أكثر من (مويرين)، لم تستطع أن تفهم كيف يقدر على إثارة غيظها بمثل هذه السهولة. نادرًا ما يقول أي شيء، وأحيانًا لا يقول عشر كلمات في يوم كامل، ولم يكن يُشارك في أي من... مناقشاتها مع (مويرين). كثيرًا ما يبتعد عن المرأتين ليستطلع الطريق، ولكن حتى عندما يكون موجودًا فإنه يتنحى جانبًا بعض الشيء ويراقبهما كما يراقب مبارزة. تمنت (ناينيڤ) أن يتوقف عن هذا، إن كانت مبارزة فإنها لم تحرز ولو نقطة واحدة، ولم يبدُ على (مويرين) أنها تدرك حتى أنها في قتال. كانت (ناينيڤ) لتكون أفضل حالًا من دون هاتين العينين الزرقاوين البارزتين، ومن دون حتى المراقب الصامت.

هكذا كان الحال في معظم رحلتهم. في هدوء باستثناء الأوقات التي تنفجر فيها غضبًا، وأحيانًا عندما تصيح يبدو كأن صوتها يتحطم في الصمت كالزجاج. الأرض نفسها بدت هادئة، كأن العالم قد توقف ليلتقط أنفاسه، كانت الرياح تئن بين الأشجار، ولكن كل شيء آخر كان ساكنًا. بدت الرياح بعيدة أيضًا، حتى عندما تجعل عباءتها تخفق على ظهرها.

في البداية كان السكون مريحًا بعد كل ما حدث، لقد بدا الأمر كأنها لم تحظَ بلحظة من السكون منذ ما قبل (ليلة الشتاء)، ولكن بحلول نهاية اليوم الأول وهي وحدها مع (الآيز سيداي) و(الحامي) كانت تنظر وراءها وتتململ في سرجها كأنما تشعر بحكة في منتصف ظهرها ولا تستطيع الوصول إليها. لقد بدا الصمت كأنه زجاج على وشك أن يتحطم، وكأنما تنتظر أن يتشقق من أطرافه.

بدا أن الأمر ثقيل أيضًا على (مويرين) و(لان)، رغم هدوئهما الظاهري، وسرعان ما أدركا أنهما يزدادان توترًا ساعة بعد ساعة تحت هذا الهدوء السطحي، كزنبرك قد أداره أحدهم بقوة حتى كاد أن ينكسر. بدت (مويرين) وكأنها تُصغي إلى أشياء ليست موجودة، وما تسمعه يجعلها تتجهم قليلًا. كان (لان) يُراقب الغابة والنهر كأن الأشجار اليابسة والنهر الواسع البطيء يحملون أمارات على فخاخ وكمائن منصوبة من أمامهم.

كان جزءًا منها مسرورًا لأنها لم تكن الوحيدة التي ينتابها هذا الشعور من التوجس حيال العالم، ولكن إن كان يؤثر عليهما فإنه حقيقي. وكان جزءًا منها يرغب في أن يكون الأمر في مخيلتها فقط. شيء منه كان يدغدغ ثنايا عقلها، كما يحدث عندما تُنصت إلى الرياح، ولكنها الآن تعرف أن هذا له علاقة بـ(القوة الواحدة)، وأنها لا تستطيع حمل نفسها على قبول هذه التموجات في حافة تفكيرها.

عندما سألت (لان) أجابها بهدوء: «إنه لا شيء». لم ينظر إليها بينما يتحدث ولم تتوقف عيناه عن تفحص المكان. ثم أضاف بشكل يتناقض مع ما قاله: «يجب أن تعودي إلى (النهرين) عندما نصل إلى (الجسر الأبيض) و(طريق كايملين). الوضع خطير للغاية هنا ولكن لا شيء سيحاول منعك من العودة». كان هذا أطول شيء ينطق به طيلة هذا اليوم.

قالت (مويرين) في توبيخ: «إنها جزء من (النمط) يا (لان)». كانت عيناها هي أيضًا تنظران إلى مكان آخر. «إنه (سيد الظلام) يا (ناينيف)، لقد ابتعدت عنا العاصفة... لبعض الوقت على الأقل». رفعت يدها كأنما تتحسس الهواء ثم مسحتها في ثوبها بلا وعي كأنها قد لمست شيئًا قذرًا. «ولكنه لا يزال يُراقب». تنهدت قبل أن تضيف: «ونظرته تزداد قوة، ليس إلينا ولكن إلى العالم. كم سيمضي من الوقت قبل أن يكون قويًّا بما يكفي لكي...».

انكمشت (ناينيف) على نفسها وقد أحست فجأة أنها تكاد تشعر بشخص يحدق إلى ظهرها. كانت تتمنى لو لم تمنحها (الآيز سيداي) هذا التفسير.

استطلع (لان) الطريق من أمامهم ولكن قبل أن يختار المسار كانت (مويرين) قد اختارته بالفعل وبثقة شديدة كأنها تتبع مسارًا غير مرئي، آثار أقدام في الهواء، رائحة ذكريات. فقط كان (لان) يتفحص المسار الذي تختاره ليرى إن كان آمنًا. كان لدى (ناينيف) إحساس أن (مويرين) ستصر على المسار على أي حال حتى إن رأى (لان) أنه ليس آمنًا، وكانت واثقة أنه سيتبعها، مع اتجاه تدفق النهر مباشرة إلى...

جفلت (ناينيف) وهي تفيق من أفكارها، كانوا عند بداية (الجسر الأبيض)، بينما القوس الأبيض الشاحب يلمع في ضوء الشمس، شبكة عنكبوت بيضاء تبدو رقيقة للغاية فلا يمكن الوقوف عليها، تعبر من فوق

(نهر آرينيل). إن ثقل رجل سيجعله يتحطم ناهيك بوزن حصان، سينهار بالتأكيد تحت وطأة ثقله في أي لحظة.

واصل (لان) و(مويرين) التقدم بحصانيهما إلى الأمام بلا اكتراث صاعدين (الجسر الأبيض) اللامع، فتردد رنين الحوافر، ليس كمعدن على زجاج، ولكن كمعدن على معدن. كان سطح الجسر يبدو كالزجاج الناعم بلا شك، زجاج رطب. ولكنه كان ثابتًا وراسخًا تحت حوافر الحصانين.

أجبرت (ناينيف) نفسها على اتباعهما، ولكن منذ الخطوة الأولى كانت تنتظر بشكل ما أن يتحطم الهيكل كله من أسفلهم. فكرت أنه إن كان هناك قماش دانتيل مصنوع من الزجاج فسيبدو هكذا.

عندما وصلوا إلى نهاية الجسر تقريبًا اشتمت رائحة احتراق قطرانية تملأ الهواء. وبعدها بدقيقة رأت الأمر.

في جميع أنحاء الميدان الموجود في نهاية الجسر كان هناك أكوام من الحطب المتفحم لا يزال يتصاعد منها خيوط من الدخان، تحل محل بضعة مبانٍ. كان هناك رجال في أزياء موحدة حمراء لا تناسبهم ودروع ملطخة يجوبون الشوارع، ولكنهم كانوا يتحركون بسرعة كبيرة كأنما يخشون من العثور على أي شيء، ويتلفتون حولهم أثناء مرورهم. سكان البلدة ـ أو القليل منهم الذين كانوا خارج بيوتهم ـ كانوا يركضون تقريبًا منكمشين على أنفسهم كأنما هناك شيء ما يُطاردهم.

بدا (لان) مكتئبًا أكثر من المعتاد، وكان الناس يتحركون بعيدًا عن ثلاثتهم، حتى الجنود أيضًا. تشمم (الحامي) الهواء ثم امتعض وجهه وهو يتذمر بصوت خافت. لم تتعجب (ناينيف) من هذا، حيث كانت رائحة الاحتراق قوية للغاية.

تمتمت (مويرين) قائلة: «(عجلة الزمن) تنسج بمشيئتها، ولا يمكن لعين أن ترى (النمط) حتى يُنسَج».

في اللحظة التالية ترجلت عن (آلديب) وبدأت تتحدث إلى سكان البلدة. لم تكن تطرح عليهم الأسئلة، بل تمنحهم تعاطفها، وقد بدت صادقة في هذا مما أثار دهشة (ناينيف). الأناس الذين تحاشوا (لان) وبدوا مستعدين للهرب من أي غريب توقفوا للحديث مع (مويرين). بدوا مندهشين مما يفعلونه ولكنهم تجاوبوا بطريقة ما تحت نظرات (مويرين) الصافية وصوتها اللطيف، بدا أن عيني (الآيز سيداي) تشاركان الناس آلامهم، وتتعاطفان مع ارتباكهم فانحلت الألسنة.

ورغم هذا أصر معظمهم على الكذب، نفى البعض وجود أي مشكلة على الإطلاق، لا شيء على الإطلاق. أشارت (مويرين) إلى المباني المحترقة في أرجاء الميدان، أصروا أن كل شيء على ما يرام بينما هم يحدقون إلى وراء ما لا يرغبون في رؤيته.

تحدث رجل بدين بهدوء أجوف، ولكن وجنتيه كانتا ترتعشان مع كل صوت من ورائه. بابتسامة كان الحفاظ عليها صعبًا زعم أن مصباحًا سقط أرضًا فأشعل حريقًا انتشر مع الرياح قبل أن يتمكن أحد من فعل شيء. أدركت (ناينيف) بنظرة واحدة أنه لا يوجد مبنى محترق يجاور مبنى محترقًا آخر.

كان هناك العديد من القصص المختلفة بعدد الناس تقريبًا. العديد من النساء خفضن صوتهن بشكل تآمري. حقيقة الأمر هي أنه هناك رجل في مكان ما في البلدة يعبث بـ(القوة الواحدة)، وهن يرين أنه قد حان أوان تدخل (الآيز سيداي) في الأمر، بل فات الأوان، بغض النظر عما يقوله الرجال عن (تار ڤالون). فلندع (الآجاه الحمراوات) يضعن حلًّا للمشكلة.

زعم أحد الرجال أنه كان هجومًا من قطاع الطرق، وزعم آخر أنها أعمال شغب من صنع (أصدقاء الظلام). قال في وجوم وتكتم: «هؤلاء

الذين يذهبون لرؤية (التنين الكاذب)، إنهم في كل مكان، إنهم (أصدقاء الظلام) صدقوني».

ورغم هذا كان هناك آخرون يتحدثون عن نوع آخر من المتاعب. كان حديثهم مبهمًا ولم يحددوا نوع المتاعب بالضبط. وأنها قد أتت عبر النهر على متن قارب.

تمتم الرجل نحيل الوجه وهو يفرك يديه في توتر: «لقد لقناهم درسًا. لكي يتركوا هذه الأشياء في (البلاد الحدودية) حيث تنتمي. لقد ذهبنا إلى أرصفة الميناء و...». بتر حديثه فجأة وأطبق فمه، وبدون كلمة أخرى أسرع مبتعدًا وهو ينظر وراءه ناحيتهم كأنهم قد يطاردونه.

يبدو أن القارب قد هرب، كان هذا واضحًا من أحبال الرسو المقطوعة، وفر عبر النهر في يوم الأمس فقط بينما الحشود الغاضبة تتدفق إلى الأرصفة. تساءلت (ناينيف) إن كانت (إيجوين) والفتيان على متن القارب. قالت إحدى النساء إن صانع بهجة قد كان على متنه. إن كان هذا (توم ميريلين)...

أخبرت (مويرين) برأيها بأن (إيجوين) والفتيان، أو بعضهم، ربما هربوا على متن القارب. أنصتت (الآيز سيداي) لها بصبر وهو تومئ برأسها حتى انتهت من حديثها.

قالت (مويرين): «ربما». ولكنها لم تبدُ واثقة من هذا.

كان هناك حانة في الميدان، حجرتها العامة مقسومة بجدار يصل إلى ارتفاع الكتف. خطت (مويرين) إلى داخل الحانة ثم توقفت وهي تتحسس الهواء بيدها. ابتسمت لأي كان ما أحست به ولكنها لم تقل شيئًا عنه حينها.

تناولوا وجبتهم في صمت، لم يكن الصمت مخيمًا على طاولتهم فقط، بل على الحجرة العامة بالكامل. الأشخاص القليلون الذين يتناولون الطعام كان اهتمامهم منصبًّا على أطباقهم وأفكارهم الخاصة. كان صاحب الحانة ينفض التراب عن الطاولات بطرف مئزره وهو يتمتم لنفسه بلا انقطاع، ولكن دومًا بصوت خفيض للغاية، بحيث لا يمكن سماعه. فكَّرت (ناينيف) أن النوم هنا لن يكون مريحًا، فحتى الهواء كان مثقلًا بالخوف.

بينما هم يدفعون أطباقهم بعيدًا، وقد مسحوها تمامًا بآخر فتات من الخبز، ظهر واحد من الجنود بالزي الأحمر الموحد عند باب الحانة، لقد بدا متأنقًا بالنسبة لـ(ناينيف) في خوذته المدببة ودرعه المصقول على صدره. وما إن دلف من الباب حتى وقف بطريقة مدروسة واضعًا يده على مقبض سيفه ونظرة صارمة على وجهه واستخدم إصبعه لتخفيف ياقته المغلقة بإحكام. جعلها هذا تفكر في (سين بوي) وهو يحاول أن يتصرف بالطريقة التي ينبغي أن يتصرف بها عضو في مجلس القرية.

نظر إليه (لان) نظرة واحدة ثم قال بسخرية: «ميليشيا، عديم النفع».

تفحص الجندي الحجرة ثم ترك عينيه تستقران عليهم، تردد ثم أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يخطو ناحيتهم بخطوات ثقيلة ويسألهم في عجالة من يكونون، وما الغرض من زيارتهم بلدة (الجسر الأبيض)، وإلى متى ينوون البقاء.

قال (لان): «سنغادر بمجرد أن أنتهي من جعتي». ثم ارتشف رشفة بطيئة قبل أن ينظر إلى الجندي ويقول: «فليشرق (النور) على الملكة الطيبة (مورجيز)».

فتح الجندي ذو الزي الأحمر فمه ثم نظر مليًّا إلى عيني (لان) قبل أن يتراجع إلى الوراء. تمالك نفسه على الفور وهو ينظر إلى (مويرين) و(ناينيف) التي ظنت للحظة أنه سيفعل شيئًا أحمق لكيلا يبدو جبانًا أمام امرأتين. بناءً على خبرتها فإن الرجال عادة ما يكونون حمقى بهذه الطريقة،

ولكن الكثير قد حدث في (الجسر الأبيض)، مما جعل عقول الرجال تمتلئ بالريبة. نظر رجل الميليشيا مرة أخرى إلى (لان) وأعاد التفكير في الأمر. كان وجه (الحامي) الصارم خاليًا من التعبيرات، ولكن كان هناك هاتان العينان الزرقاوان الباردتان، باردتان للغاية.

اكتفى رجل الميليشيا بإيماءة سريعة من رأسه وقال: «فلتحرصوا على الانتهاء سريعًا، هناك العديد من الغرباء في البلدة هذه الأيام يزعمون أنهم يعملون باسم الملكة». ثم استدار على عقبيه وخطا خارجًا بخطوات ثقيلة وهو يتدرب على نظرته الصارمة في طريقه إلى الخارج. لم يبدُ أن أحدًا من الرجال المحليين في الحانة قد لاحظ وجوده.

سألت (ناينيف) (الحامي): «إلى أين نحن ذاهبون؟». أجبرها الجو العام السائد في الحجرة على خفض صوتها ولكنها حرصت على أن يكون صارمًا أيضًا. «هل سنسعى وراء القارب؟».

نظر (لان) إلى (مويرين) التي هزَّت رأسها قليلًا وقالت: «أولًا يجب أن أعثر على الشخص الذي يمكنني أن أكون واثقة من العثور عليه، وفي الوقت الحالي هو في مكان ما إلى الشمال. لا أعتقد أن الاثنين الآخرين قد ذهبا مع القارب على أي حال». ظهرت ابتسامة رضا شاحبة على شفتيها وقالت: «لقد كانا في هذه الحجرة، ربما منذ يوم مضى، ليس أكثر من يومين. خائفين ولكنهما غادرا على قيد الحياة. هذا الأثر لم يكن ليستمر بدون شعور قوي».

مالت (ناينيف) إلى الأمام وسألتها باهتمام: «أي اثنين؟ هل تعرفين؟». هزت (الآيز سيداي) رأسها بحركة طفيفة فمالت (ناينيف) إلى الوراء وقالت: «إن كانا يسبقاننا بيوم أو يومين فلمَ لا نسعى وراءهما أولًا؟».

قالت (مويرين) بهذا الصوت الهادئ الذي يثير غيظها: «أنا أعرف أنهما كانا هنا، ولكني لا أعرف إن كانا ذهبا شرقًا أم شمالًا أم جنوبًا. أنا واثقة من أنهما ذكيان بما يكفي للذهاب شرقًا ناحية (كايملين)، ولكني

لا أستطيع الجزم بهذا بدون العملتين، لن أعرف أين هما حتى أكون على مسافة نصف ميل منهما تقريبًا. في يومين يمكن أن يقطعا عشرين ميلًا أو أربعين ميلًا في أي اتجاه، إن كان الخوف يحثهما على الإسراع، وهما بالتأكيد كانا خائفين عندما تركا هذا المكان».

«ولكن...».

«مهما كان خوفهما أيتها الحكيمة، وأيًّا كان الاتجاه الذي هربا ناحيته، فإنهما في النهاية سيتذكران (كايملين) وهناك سأعثر عليهما. ولكني سأساعد الفتى الذي يمكنني العثور عليه الآن أولًا».

فتحت (ناينيڤ) فمها مرة أخرى ولكن (لان) قاطعها بصوت هادئ: «لقد كان لديهما سبب للخوف». ثم تلفت حوله قبل أن يخفض صوته ويقول: «كان هناك (نصف بشري) في هذه البلدة». ثم امتعض وجهه كما حدث في الميدان وقال: «لا يزال بإمكاني اشتمام رائحته في كل مكان».

تنهدت (مويرين) وقالت: «سأتمسك بالأمل ما دام موجودًا. أرفض أن أصدق أن (سيد الظلام) يمكنه أن ينتصر بهذه السهولة، سأعثر على ثلاثتهم وهم على قيد الحياة وبخير حال. يجب أن أؤمن بهذا».

قالت (ناينيڤ): «أنا أرغب في العثور على الفتيان أيضًا، ولكن ماذا عن (إيجوين)؟ أنتِ ترفضين حتى ذكرها وتتجاهلينني كلما سألتك، كنت أظن أنك ترغبين في أخذها إلى...». ثم اختلست النظر إلى الطاولات الأخرى قبل أن تخفض صوتها وهي تقول: «إلى (تار ڤالون)».

تفحصت (الآيز سيداي) سطح الطاولة للحظة قبل أن ترفع عينيها إلى (ناينيڤ)، وعندما فعلت هذا جفلت (ناينيڤ) من وميض الغضب الذي بدا وكأنه يجعل عيني (مويرين) تتوهجان، ثم تيبس ظهرها وتزايد غضبها هي أيضًا، ولكن قبل أن تتمكن من قول كلمة تحدثت (الآيز سيداي) ببرود.

«أنا آمل في العثور على (إيجوين) على قيد الحياة وبخير حال أيضًا، أنا لا أتخلى بسهولة عن الفتيات اللاتي يتمتعن بمثل هذه القدرات ما إن أعثر عليهن، ولكن الأمر سيكون كما تنسجه (عجلة الزمن)».

أحست (ناينيف) بقبضة باردة تعتصر معدتها. *هل أنا واحدة من الفتيات اللاتي لن تتخلين عنهن، سنرى هذا أيتها (الآيز سيداي). فليحرقك (النور)، سنرى هذا!*

أنهوا وجبتهم في صمت، وكان ثلاثتهم صامتين وهم يخرجون على صهوة أحصنتهم من البوابة المؤدية إلى (طريق كايملين). تفحصت (مويرين) بعينيها الأفق جهة الشمال الشرقي، ومن ورائهم كانت بلدة (الجسر الأبيض) الملطخة بالدخان تنكمش.

الفصل التاسع والعشرون

أعين متوحشة

حثهما (إلياس) على الإسراع عبر الأرض المستوية المغطاة بالحشائش البنية، كأنما يحاول تعويض الوقت الذي قضوه مع (الجوالين)، متجهًا نحو الجنوب بوتيرة سريعة، حتى أن (بيلا) أحست بالامتنان للتوقف عند إظلام الشفق. ورغم رغبته في الإسراع إلا أنه كان يتخذ احتياطات لم يكن يتخذها من قبل. في المساء لم يكونوا يشعلون نارًا إلا عندما يكون هناك حطب يابس بالفعل على الأرض. لم يكن يسمح لهما بكسر ولو غصن صغير من شجرة منتصبة. كان يشعل نيرانًا صغيرة، ومخفية دومًا في حفرة يحفرها بعناية، وبمجرد إعداد وجبة الطعام كان يدفن الفحم ويغطيه بالتراب. قبل أن ينطلقوا مرة أخرى في ضوء الفجر الشاحب كان يتفحَّص موضع تخييمهم بدقة ليتيقن من أنه لا يوجد أدنى أثر على أن شخصًا قد كان هنا من قبل. بل إنه حتى كان يعدل الأحجار المقلوبة ويُقَوِّم الحشائش المنثنية. كان يفعل كل شيء بسرعة كبيرة فلا يستغرق الأمر منه سوى بضع دقائق، ولكنهم لا يغادرون حتى يشعر بالرضا.

لم يعتقد (بيرين) أن هذه الاحتياطات قد تُجدي نفعًا في مواجهة أحلامه، ولكنه عندما بدأ يفكر فيما يمكن أن تُجدي نفعًا في مواجهته تمنى لو أن الأمر كان مقتصرًا على أحلامه. في البداية سألته (إيجوين) بقلق إن كان (الترولوكيون) قد عادوا، ولكن (إلياس) اكتفى بهز رأسه وهو يحثهما على الإسراع. لم يقل (بيرين) شيئًا، كان يعرف أنه لا يوجد (ترولوكيون) بالقرب منهم، فالذئاب لا تشتم إلا رائحة الحشائش والأشجار والحيوانات الصغيرة. لم يكن الخوف من (الترولوكيين) هو ما يحرك (إلياس)، ولكنه شيء آخر، وحتى (إلياس) ليس واثقًا من ماهيته. لم تكن الذئاب تعرف شيئًا عنه، ولكنهم كانوا يشعرون بحذر (إلياس) وتعجله، فبدأوا يستطلعون كأن الخطر يركض في أعقابهم، أو يكمن لهم عند المرتفع التالي.

صارت الأرض عبارة عن قمم طويلة متموجة، ليست مرتفعة بما يكفي لتسميتها تلال، ولكنها كانت تعلو لتعترض طريقهم، وكانت مغطاة بالحشائش القاسية الذابلة بفعل الشتاء . ويتخللها الأعشاب الضارة . التي تتمايل بفعل الرياح الشرقية التي لا يوجد شيء ليعترض طريقها على مسافة مئة ميل. صارت أجمات الأشجار أكثر ندرة، وكانت الشمس تشرق على مضض وبدون دفء.

كان (إلياس) يتتبع معالم الأرض ليمشي بين التلال الخفيضة ومتفاديًا صعود المرتفعات قدر الإمكان. نادرًا ما يتكلم، ولكن عندما يفعل هذا...

«هل تعرفان كم من الوقت يستغرق هذا؛ الالتفاف حول كل تل صغير لعين كهذا؟ بحق الدماء والرماد! لن أقدر على التخلص من مسئوليتكما قبل حلول الصيف. لا، لا يمكننا أن نذهب في خط مباشر! كم من مرة عليَّ أن أخبركما بهذا؟ هل لديكما أدنى فكرة كيف يمكن لرجل أن يقف على قمة مُدبَّبة في أرض كهذه؟ بحق (النور)، سنتحرك جيئة وذهابًا دون أن نحرز تقدمًا كبيرًا ونحن نتلوى كالثعابين، يمكنني أن أتحرك بشكل أسرع بينما قدماي مقيدتان. حسنًا، هل ستحدقان إلى وجهي أم ستمشيان؟».

تبادل (بيرين) النظر مع (إيجوين)، التي أخرجت لسانها بعد أن أولاهما (إلياس) ظهره. لم يقل أي منهما شيئًا. في المرة الوحيدة التي احتجت فيها (إيجوين) بأن (إلياس) هو مِن يرغب في الالتفاف حول التلال، وأنه لا يجب عليه لومهما، أعطاها محاضرة حول كيفية انتقال الصوت، وألقى محاضرته بزمجرة يمكن سماعها من على بعد ميل وهو ينظر إليهما من فوق كتفه دون حتى أن يُبطئ من حركته.

سواء كان (إلياس) يتحدث أو لا فإن عينيه كانتا تتفحصان كل شيء من حولهم، أحيانًا ما كان يحدق كأنما باستطاعته أن يرى شيئًا باستثناء نفس العشب الجاف تحت أقدامهم. إن كان باستطاعته أن يرى شيئًا فإن (بيرين) لم يكن باستطاعته رؤيته، وكذلك الذئاب. ازدادت جبهة (إلياس) تجعدًا، ولكنه لم يفسر لهما سبب حاجتهم إلى الإسراع، أو ما الذي يخشى من كونه يطاردهم.

أحيانًا ما يعترض طريقهم مرتفع أطول من المعتاد يمتد لأميال وأميال إلى الشرق والغرب، حتى أن (إلياس) كان يضطر لأن يوافقهما على أن الالتفاف من حوله سيبعدهم كثيرًا عن مسارهم. ولكنه لم يكن ليسمح لهما بأن يعبرا من فوقه ببساطة، بل يتركهما عند سفح المنحدر ويتسلل إلى قمته زاحفًا على بطنه، ليختلس النظر من فوقه بحذر، كأن الذئاب لم تستطلع هذا المكان قبل عشر دقائق. أثناء الانتظار عند سفح المنحدر تمر الدقائق كالساعات، وكان عدم المعرفة يضغط على أعصابهما. عضت (إيجوين) على شفتها وبدأت تنقر في شرود على الخرز الذي أعطاها إياه (آرام) بين أصابعها. انتظر (بيرين) في صبر، كانت معدته مضطربة، ولكنه استطاع أن يُبقي وجهه هادئًا، واستطاع أن يُبقي الاضطراب مختبئًا بداخله.

ستحذرنا الذئاب إن كان هناك خطر. سيكون من الرائع إن ابتعدوا، إن اختفوا تمامًا، ولكن الآن... الآن سيمنحوننا تحذيرًا. ما الذي يبحث عنه؟ ماذا؟

بعد بحث طويل، بينما عيناه فقط تعلوان فوق المرتفع، يشير إليهما (إلياس) بأن يتبعاه، وفي كل مرة يكون الطريق أمامهم واضحًا، حتى المرة التالية التي يجدون فيها مرتفعًا لا يستطيعون فيها الالتفاف من حوله. في المرة الثالثة التي يواجهون فيها مرتفعًا من هذا النوع أحس (بيرين) بمعدته تنقبض والأبخرة الحامضة ترتفع إلى حلقه، وكان يُدرك أنه إن اضطر للانتظار ولو لخمس دقائق فإنه سيتقيَّأ. ازدرد لعابه وقال: «أنا... أنا سآتي معك».

كل ما قاله (إلياس) هو: «أبقِ رأسك منخفضًا».

بمجرد أن قال هذا قفزت (إيجوين) من على صهوة (بيلا).

دفع الرجل المغطى بالفراء قبعته الدائرية إلى الأمام ونظر إليها من أسفل حافتها وهو يقول بسخرية جافة: «هل تتوقعين أنك ستقدرين على جعل هذه الفرس تزحف؟».

تحرك فمها ولكن لم يصدر عنها أدنى صوت. في النهاية هزت كتفيها فاستدار (إلياس) على عقبيه دون أن يقول كلمة أخرى، وبدأ في تسلق المنحدر السهل، فأسرع (بيرين) من ورائه.

عندما أوشكا على الوصول إلى القمة أشار إليه (إلياس) بيده أن ينخفض قبل أن ينبطح على بطنه ويزحف إلى الأمام المسافة القليلة المتبقية، فانبطح (بيرين) على بطنه على الفور.

عندما وصل (إلياس) إلى القمة نزع قبعته قبل أن يرفع رأسه ببطء شديد. اختلس (بيرين) النظر من فوق كتلة من الأعشاب الشائكة، فلم يرَ سوى نفس السهم المتموج ممتدًّا من أمامه. كان المنحدر المؤدي لأسفل عاريًا من الأشجار، ولكن كان هناك مجموعة من الأشجار على بعد مئة خطوة، ربما على مسافة نصف ميل جنوب المرتفع. كانت الذئاب قد عبرت الأشجار بالفعل، ولم تشتم أدنى أثر للـ(ترولوكيين) أو (الميردرال).

كانت الأرض هي نفسها شرقًا وغربًا قدر ما يستطيع (بيرين) أن يرى، أرضًا عشبية متموجة، وأجمات من الأشجار على مسافات متباعدة. لم يكن هناك شيء يتحرك. كانت الذئاب على مسافة أكثر من ميل أمامهم، خارج مرمى البصر، وبالكاد كان باستطاعته أن يشعر بهم من هذه المسافة. لم يروا أي شيء أثناء قطعهم هذا المسافة. ما الذي يبحث عنه؟ لا يوجد أي شيء هناك.

قال: «نحن نضيع وقتنا». ثم بدأ يعتدل واقفًا، ولكن سربًا من الغربان اندفع من الأشجار أسفلهم، خمسين طائرًا أسود، مئة منهم يندفعون نحو السماء. تجمد وهو رابض بينما هم يحومون فوق قمم الأشجار. *أعين (سيد الظلام)، هل رأوني؟* تصبب وجهه عرقًا.

كأنما فكرة واحدة قد لمعت فجأة في مئة عقل صغير اندفعت الغربان جميعها بحدة في نفس الاتجاه نحو الجنوب. اختفى السرب وراء المرتفع التالي وقد بدأوا في الهبوط بالفعل. اندفع المزيد من الغربان من أجمة أشجار أخرى ناحية الشرق. حامت الكتلة السوداء مرتين في الهواء قبل أن تندفع نحو الجنوب.

انخفض إلى الأرض ببطء وهو يرتجف، حاول أن يتكلم ولكن فمه كان جافًّا، بعد دقيقة استطاع أن يُبلل فمه ببعض اللعاب فقال: «هل هذا ما كنت تخشاه؟ لم لم تقل شيئًا؟ لم لم ترهم الذئاب؟».

قال (إلياس) مدمدمًا: «الذئاب لا تنظر لأعلى ناحية الأشجار كثيرًا، ولا لم أكن أبحث عن هذا، لقد قلت لك إنني لا أعرف ما الذي...». ارتفعت سحابة سوداء من فوق أجمة أخرى بعيدًا جهة الغرب قبل أن تحلق ناحية الجنوب. كانت بعيدة للغاية حيث لم يقدرا على تمييز الطيور بشكل فردي. «حمدًا (للنور) أنها ليست عملية صيد كبيرة، حتى بعد...». التفت ليحدق وراءه نحو الطريق الذي أتوا منه.

ازدرد (بيرين) لعابه، حتى بعد الحلم، هذا ما قصده (إلياس). قال: «ليست كبيرة؟ في الديار لم نكن لنرى مثل هذا العدد من الغربان في عام كامل».

هز (إلياس) رأسه وقال: «عندما كنت في (البلاد الحدودية) رأيت أسرابًا من آلاف الغربان. لم يحدث هذا كثيرًا، فهناك مكافأة لصيد الغربان في (البلاد الحدودية)، ولكنه يحدث رغم هذا». كان لا يزال ينظر ناحية الشمال. «صه الآن».

أحس (بيرين) حينها بالمجهود الكبير الذي يبذله للوصول إلى الذئاب البعيدة، أراد (إلياس) من (دابل) ورفاقها أن يتوقفوا عن الاستطلاع أمامهم وأن يسرعوا للتحقق من الطريق من ورائهم. وجهه الهزيل بالفعل قد ازداد نحافة تحت وطأة الجهد المبذول. كانت الذئاب بعيدة للغاية حتى أن (بيرين) لم يشعر بها. *أسرعوا، راقبوا السماء، أسرعوا.*

استطاع (بيرين) بشكل خافت أن يشعر بالجواب قادمًا بعيدًا من الجنوب. ومضت صورة في عقله؛ ذئاب تجري، خطوم مرفوعة في الرياح الناتجة عن سرعتها، تركض كأن حرائق الغابات تندفع من ورائها، ومضت واختفت في لحظة.

تراجع (إلياس) وأخذ نفسًا عميقًا ثم عقد حاجبيه وهو ينظر من فوق المرتفع، قبل أن ينظر مرة أخرى ناحية الشمال وهو يتمتم بكلمات غير مسموعة.

سأله (بيرين): «هل تعتقد أن هناك المزيد من الغربان وراءنا؟».

أجابه (إلياس) بشكل مبهم: «ربما، إنهم يفعلون هذا أحيانًا. أنا أعرف مكانًا، هذا إن استطعنا الوصول إليه قبل حلول الظلام. يجب علينا أن نواصل الحركة حتى يحل الظلام تمامًا على أي حال، حتى لو لم نصل إلى هناك، ولكننا لا نستطيع التحرك بالسرعة التي أُريدها. لا يمكننا أن نقترب كثيرًا من الغربان التي أمامنا، ولكن إن كانوا وراءنا أيضًا».

قال (بيرين): «لماذا الظلام؟ أي مكان هذا؟ مكان آمن من الغربان؟».

قال (إلياس): «آمن من الغربان ولكن العديد من الناس يعرفون... الغربان تبيت أثناء الليل، لا داعي للقلق بشأن عثورها علينا في الظلام. فلنأمل أن تكون الغربان هي كل ما علينا القلق بشأنه حينها». ألقى نظرة أخرى من فوق قمة المرتفع، قبل أن يعتدل واقفًا ويشير إلى (إيجوين) لكي تحضر (بيلا) إلى الأعلى. «ولكن الظلام لا يزال بعيدًا ويجب علينا أن نتحرك». ثم بدأ في هبوط المنحدر الآخر في هرولة متعثرة، كل خطوة بالكاد تمنعه من السقوط. «تحرك، بحق (النور)!».

أسرع (بيرين) من ورائه في مزيج من الركض والانزلاق.

صعدت (إيجوين) المرتفع من ورائهما وهي تكز (بيلا) لكي تسرع. ارتسمت ابتسامة ارتياح على وجهها عندما رأتهما فصاحت وهي تحث الفرس الشعثاء على اللحاق بهما: «ما الذي يجري؟ عندما اختفيتما هكذا ظننت... ماذا حدث؟».

حافظ (بيرين) على أنفاسه من أجل الجري حتى لحقت بهما فأخبرها بشأن الغربان والمكان الآمن الذي تحدث عنه (إلياس)، ولكنها كانت حكاية غير مترابطة. بعد أن صاحت باختناق: «غربان!» ظلت تقاطعه بأسئلة لا يملك لها إجابة في كثير من الأحيان. في ظل هذه الأسئلة لم يستطع أن يُنهي حكايته حتى وصلوا إلى المرتفع التالي.

في المعتاد . إن كان من الممكن تسمية أي شيء في هذه الرحلة بأنه معتاد . كانوا سيلتفون حول هذا المرتفع بدلًا من صعوده، ولكن (إلياس) أصر على الاستطلاع على أي حال.

كان تعليقه اللاذع هو: «هل تريد أن تتجول ببساطة حتى تجد نفسك بينهم يا فتى؟».

حدقت (إيجوين) إلى قمة المرتفع وهي تلعق شفتيها كأنما ترغب في الذهاب مع (إلياس) هذه المرة وترغب في البقاء في موضعها في الوقت ذاته. كان (إلياس) هو الشخص الوحيد الذي لم يُظهر أدنى تردد.

تساءل (بيرين) إن كان من الممكن أن تعود الغربان أدراجها، لن يكون من الرائع أن يصلوا إلى قمة المرتفع في نفس الوقت مع سرب من الغربان.

عندما وصل إلى القمة رفع رأسه ببطء حتى تمكن من أن يرى، ثم تنفس الصعداء عندما وجد أن كل ما يراه هو أجمة من الأشجار على مسافة قريبة جهة الغرب. لم يستطع أن يرى غربانًا في أي مكان. فجأة اندفع ثعلب من بين الأشجار وهو يركض بقوة، فتدفقت الغربان من الأغصان في أعقابه. حجبت ضربات الأجنحة صوت أنين الثعلب اليائس. تدفقت الدوامة السوداء وأحاطت به. حاول الثعلب أن يُطبق فكيه على أحد الغربان ولكنها كانت تنقض عليه وتندفع مبتعدة دون أن يمسها أذى، ومناقيرها السوداء تلمع بشكل رطب. استدار الثعلب عائدًا نحو الأشجار ساعيًا نحو الأمان في وكره. كان يركض بشكل مترنح خافضًا رأسه، وفروه داكن ودامٍ، بينما الغربان تخفق بأجنحتها من حوله، المزيد والمزيد منها في وقت واحد، وازدادت كثافة الكتلة المرفرفة حتى أخفت الثعلب تمامًا. كما هبطت الغربان فجأة ارتفعت نحو السماء ودارت نصف دائرة قبل أن تختفي فوق المرتفع التالي جهة الجنوب. كل ما تبقى من الثعلب هو كتلة مشوهة من الفراء الممزق.

ازدرد (بيرين) لعابه بقوة؛ *بحق (النور)! يمكنهم أن يفعلوا هذا بنا، مئة غراب يمكنهم...*

قال (إلياس) مزمجرًا: «تحرَّك». ثم قفز واقفًا وهو يشير إلى (إيجوين) كي تصعد، ودون انتظار بدأ يهرول ناحية الأشجار وهو يصيح من فوق كتفه: «تحرَّكا بحق (النور)! تحرَّكا!».

حثت (إيجوين) (بيلا) على الهرولة من فوق المرتفع ولحقت بهما قبل أن يصلا إلى سفح المنحدر. لم يكن هناك وقت للتفسيرات، ولكن نظرها وقع على الثعلب على الفور، فامتقع وجهها حتى صار أبيض كالثلج.

وصل (إلياس) إلى الأشجار فالتفت هناك عند حافة الأجمة وهو يلوح لهما بشكل محموم أن يُسرعا. حاول (بيرين) أن يعدو بشكل أسرع فتعثر وراح يلوح بيديه وبالكاد استطاع أن يمنع نفسه من السقوط على وجهه. بحق الدماء والرماد! أنا أركض بأسرع ما أستطيع!

خفق غراب وحيد بجناحيه وهو يخرج من الأجمة، ثم مال ناحيتهم صارخًا قبل أن يستدير ناحية الجنوب. كان (بيرين) يعرف أن الأوان قد فات بالفعل، ولكنه استل مقلاعه من عند خصره، وبينما هو يحاول أن يضع حجرًا في المقلاع توقف الغراب فجأة في منتصف الهواء ثم بدأ يهوي ناحية الأرض. فغر فاه ولكنه عندها رأى المقلاع المتدلي من يد (إيجوين)، التي ابتسمت له في توتر.

صاح (إلياس): «لا تقفا هناك لعد أصابع أقدامكما».

جفل (بيرين) وأسرع ناحية الأشجار، ثم قفز جانبًا ليتجنب أن تدهسه (إيجوين) و(بيلا). بعيدًا إلى الغرب وخارج مرمى البصر تقريبًا تعالى في الهواء ما بدا وكأنه ضباب أسود. أحس (بيرين) أن الذئاب يمرون من هذا الاتجاه متجهين نحو الشمال. أحس أنهم قد لاحظوا وجود الغربان إلى يمينهم ويسارهم، دون أن يبطئوا من حركتهم. اندفع الضباب الأسود ناحية الشمال كأنما يلاحق الذئاب، ثم فجأة توقف في موضعه قبل أن يندفع ناحية الجنوب.

تساءلت (إيجوين): «هل تعتقد أن الغربان قد رأتنا؟ لقد كنا بالفعل بين الأشجار، أليس كذلك؟ لا يمكنها أن ترانا من هذه المسافة، أليس كذلك؟ ليس من على مسافة بعيدة كهذه».

قال (إلياس) في سخرية مريرة: «لقد استطعنا أن نراها من هذه المسافة». تململ (بيرين) في توتر، وشهقت (إيجوين) في خوف. قال (إلياس) مزمجرًا: «إن رأتنا الغربان لانقضت علينا كما انقضت على ذلك الثعلب. عليكما أن تفكرا إن أردتما البقاء على قيد الحياة. سيقتلكما الخوف إن لم تتحكما فيه». ثم حدجهما بنظرته الثاقبة للحظة قبل أن يومئ برأسه أخيرًا ويقول: «لقد رحلتْ، الآن يجب أن نرحل نحن أيضًا. فلتبقيا هذين المقلاعين في متناول اليد، قد نحتاج إليهما مرة أخرى».

بينما هم يخرجون من الأجمة حثهما (إلياس) على السير غرب المسار الذي كانوا يتبعونه. اختنقت أنفاس (بيرين) في حلقه، بدا الأمر وكأنهم يطاردون الغربان الأخيرة التي رأوها. واصل (إلياس) السير حثيثًا، ولم يكن هناك ما يمكنهما فعله سوى اتباعه، ف(إلياس) يعرف مكانًا آمنًا على أي حال، هذا ما قاله.

ركضوا ناحية المرتفع التالي، وانتظروا حتى تحركت الغربان ثم ركضوا مرة أخرى، ثم انتظروا، ثم ركضوا. كانت وتيرة التقدم الثابتة التي يحافظون عليها متعبة بما فيه الكفاية، ولكن الجميع باستثناء (إلياس) بدأوا يشعرون بالإنهاك بفعل هذه الوتيرة المتقطعة. كان صدر (بيرين) يعلو ويهبط وهو يعب الهواء عبًّا عندما يجد بضع دقائق للاستلقاء على قمة تل تاركًا مهمة البحث ل(إلياس). كانت (بيلا) تقف وقد خفضت رأسها ونفخت منخاريها كلما توقفوا. كانت سياط الخوف تحثهم على الإسراع، ولم يكن (بيرين) واثقًا إذا ما كان بإمكانه التحكم في خوفه، تمنى فقط أن تخبرهم الذئاب بما وراءهم، إن كان شيء هناك، أيًّا ما كان.

أمامهم كان هناك المزيد من الغربان، أكثر مما كان (بيرين) يرغب في رؤيته، كانت الطيور السوداء تعلو في السماء، عن يمينهم ويسارهم، متجهة نحو الجنوب. أكثر من عشر مرات يصلون إلى مخبأ آمن بين الأشجار، أو ملجأ ضئيل أسفل أحد المنحدرات، قبل اندفاع الغربان نحو السماء بلحظات. ذات مرة بينما الشمس تبدأ في الانحدار من ذروة منتصف

الظهيرة وقفوا في العراء متجمدين كالتماثيل على مسافة نصف ميل من أقرب مخبأ، بينما مئات من أعين (سيد الظلام) المغطاة بالريش تندفع على مسافة ميل منهم إلى الشرق. تصبب العرق على وجه (بيرين) رغم الرياح، حتى تضاءل آخر شكل أسود ليصير نقطة قبل أن يختفي. لم يقدر على إحصاء عدد الطيور القاصية التي أسقطاها بمقلاعيهما.

لقد رأى أدلة أكثر من كافية لتبرير خوفه ملقاة على الطريق الذي قطعته الغربان. كان يحدق في ذهول وغثيان إلى أرنب قد تمزق إربًا، كان الرأس عديم العينين منتصبًا والأشلاء الأخرى . الأرجل والأحشاء . متناثرة من حوله في شبه دائرة. كانت الطيور بدورها قد طُعنت بالمناقير حتى صارت كتلة من الريش عديم الشكل. وكان هناك ثعلبان آخران.

تذكر شيئًا قد قاله (لان)؛ جميع مخلوقات (سيد الظلام) تستمتع بالقتل، إن الموت هو قوة (سيد الظلام)، وإن عثرت عليهم الغربان؟ أعين متوحشة تلمع كخرز أسود، مناقير طاعنة تحوم من حولهم، مناقير حادة كالإبر تستنزف دماءهم، المئات منها. *أم هل يمكنهم نداء المزيد من بني جلدتهم؟ ربما جميعهم مشتركون في عملية الصيد؟* تكونت في عقله صورة مثيرة للغثيان؛ كومة من الغربان بحجم تل، تغلي كالديدان، تتصارع على بضعة أشلاء دامية.

فجأة انجرفت الصورة بفعل صور أخرى، كل واحدة تظهر واضحة للحظة ثم تتلاشى وتحل محلها صورة أخرى. لقد عثرت الذئاب على الغربان ناحية الشمال. طيور صارخة تنقض وتحوم وتنقض مرة أخرى، والمناقير تستنزف الدماء مع كل هجمة. ذئاب مزمجرة تراوغ وتنقض وتدور في الهواء وتعض بأنيابها. مرارًا وتكرارًا يشعر (بيرين) بمذاق الريش، والمذاق الكريه للغربان التي تخفق بأجنحتها وهي تُمزَّق حية. أحس بألم الجراح الدامية في جميع أنحاء جسده، وأدرك في يأس أن كل مجهوداته لم تكن كافية، ولكنه لم يستسلم. فجأة اندفعت الغربان مبتعدة وحامت في الهواء مع صرخة غضب أخيرة في وجه الذئاب. لا تموت الذئاب بسهولة

كالثعالب، والغربان لديها مهمة لا تحتمل التأخير. خفقت الأجنحة السوداء ثم ابتعدت بينما بعض الريش الأسود يتساقط في الهواء ليستقر على جثث موتاهم. لعق (ويند) جرحًا في قائمته الأمامية اليسرى. كان هناك خطب ما في إحدى عيني (هوبر). تجاهلت (دابل) جراحها وهي تجمعهم من حولها قبل أن يهرولوا في ألم في الاتجاه الذي هربت فيه الغربان. *نحن قادمون، والخطر يسبق خطانا.*

هرول (بيرين) متعثرًا وهو يتبادل النظر مع (إلياس)، كانت عينا الرجل الصفراوان خاليتين من التعبيرات، ولكنه كان يعرف، لم يقل شيئًا، بل اكتفى بمراقبة (بيرين) وهو ينتظر، بينما يحافظ طيلة الوقت على عدوه السلس.

إنه ينتظرني، ينتظر أن أعترف بأنني أشعر بالذئاب.

قال (بيرين) على مضض وهو يلهث: «الغربان من ورائنا».

قالت (إيجوين) بأنفاس لاهثة: «إنه محق، بإمكانك أن تتحدث معهم».

أحس (بيرين) أن قدميه كتلتان من الحديد، ولكنه حاول أن يجعلهما تتحركان بشكل أسرع. تمنى لو أن باستطاعته أن يسبق أعينهم، أن يسبق الغربان، أن يسبق الذئاب، ولكن فوق كلِ شيء، أن يسبق عيني (إيجوين) التي باتت تعرفه على حقيقته. *من أنت حقًا؟ مدنس بحق (النور)! ملعون!*

أحس أن حلقه يحرقه كما لم يحرقه من قبل وهو يستنشق الدخان والحرارة في ورشة السيد (لوهان). تعثر فتشبث بركاب (إيجوين) حتى ترجلت عن فرسها وأجبرته على امتطاء السرج رغم احتجاجه بأن بإمكانه المواصلة. ولكن لم يمضِ وقت طويل قبل أن تُمسك بالركاب وهي تركض، وتُمسك بتنورتها باليد الأخرى. ولكن بعد هذا بوقت قصير ترجل عن الفرس وركبتاه لا تزالان ترتعشان. اضطر أن يحملها ليضعها في السرج بدلًا منه، ولكنها كانت منهكة بما لا يسمح لها بمقاومته.

لم يُبطئ (إلياس) من حركته وهو يحثهما على الإسراع، بينما يبقيهما على مسافة قريبة من الغربان المتجهة إلى الجنوب، حتى أن (بيرين) فكَّر أن كل ما يتطلبه الأمر هو أن ينظر طائر واحد وراءه. «أسرعا بحق (النور)! هل تعتقدان أنكما ستكونان أفضل حالًا من ذلك الثعلب إن أمسكوا بنا؟ ذلك الثعلب الذي تكومت أحشاؤه على رأسه؟». أمالت (إيجوين) رأسها بعيدًا عن السرج وتقيَّأت بصوت عالٍ. «كنت أعلم أنك ستتذكرين. أسرعا قليلًا، هذا كل شيء، فقط أسرعا قليلًا. بحق (النور)، كنت أظن أن شباب الريف لديهم قدرة أكثر على التحمل، أنكم تعملون طيلة النهار وترقصون طيلة الليل، يبدو لي أنكم تنامون طيلة النهار وتنامون طيلة الليل. فلتحركا أقدامكما اللعينة!».

كانوا يهبطون من المرتفع بمجرد اختفاء الغربان وراء المرتفع التالي، ثم صاروا يهبطون بينما آخر الغربان ترفرف فوق قمة المرتفع. *كل ما يتطلبه الأمر هو أن ينظر طائر واحد وراءه.* كانت الغربان تفتش في الشرق والغرب، بينما هم يسرعون عبر المساحات المفتوحة فيما بينها. *كل ما يتطلبه الأمر هو طائر واحد.*

كانت الغربان التي من ورائهم تقترب بسرعة، بينما (دابل) والذئاب الآخرون يشقون طريقهم من حولها دون أن يتوقفوا للعق جراحهم، ولكنهم تعلموا الدرس بأن يراقبوا السماء. *ما مدى قُرب الغربان؟ كم لديهم من وقت؟* لم يكن لدى الذئاب نفس المفهوم البشري عن الوقت، لا حاجة لتقسيم الوقت إلى ساعات، كانت المواسم كافية بالنسبة لهم، وكذلك الضوء والظلام، لا حاجة لأكثر من هذا. وأخيرًا ارتسمت في ذهن (بيرين) صورة عن الشمس وهي في أفق السماء بينما الغربان تنقض عليهم من ورائهم. نظر من فوق كتفه إلى الشمس الغاربة ثم لعق شفتيه بلسان جاف، ستلحق بهم الغربان في غضون ساعة أو ربما أقل، ساعة واحدة بينما تبقى قرابة ساعتين حتى الغروب، ساعتان على الأقل قبل حلول الظلام الدامس.

قال لنفسه بينما يترنح في جريه؛ *سنموت مع غروب الشمس، سُنذبَح كالثعلب*. وضع أصابعه على فأسه ثم نقلها إلى مقلاعه، سيكون أكثر نفعًا، ولكن ليس بما يكفي، ليس في مواجهة مئة غراب، مئة هدف متحرك بسرعة، مئة منقار حاد.

قالت (إيجوين) بتعب: «حان دورك لامتطاء الفرس يا (بيرين)».

صاح وهو يلهث: «بعد قليل، ما زال بإمكاني الركض لبضعة أميال أخرى». أومأت برأسها وظلت على السرج. *إنها متعبة، هل أُخبرها؟ أم أتركها تعتقد أنه لا يزال لدينا فرصة للهرب؟ ساعة من الأمل، حتى وإن كان أملًا يائسًا، أم أنها ساعة من اليأس؟*

نظر إليه (إلياس) مرة أخرى دون أن يقول شيئًا. لا شك أنه يعرف ولكنه لم يتحدث. نظر (بيرين) إلى (إيجوين) مرة أخرى ورمش بعينيه ليُبعد دموعًا ساخنة. لمس فأسه وتساءل إن كان لديه الشجاعة الكافية. في اللحظات الأخيرة عندما تنقض الغربان عليهم، عندما يتلاشى كل أمل، هل سيكون لديه الشجاعة الكافية لأن يجنبها مِيتة الثعلب؟ *فلتمدني بالقوة أيها (النور)!*

فجأة بدا أن الغربان التي أمامهم تختفي، لا يزال باستطاعة (بيرين) أن يميز السحب السوداء الضبابية ناحية الشرق والغرب، ولكن أمامهم مباشرة... لا شيء. *أين ذهبت؟ بحق (النور) إن كنا قد سبقناها...*

فجأة اجتاحت جسده قشعريرة باردة، كأنه قد قفز في مياه (واينسبرينج) في منتصف الشتاء، تموجت في جسده وبدت أنها تحمل معها بعض تعبه، القليل من الألم في ساقيه والاحتراق في رئتيه، وتركت وراءها... شيئًا ما. لم يكن باستطاعته أن يحدد كنهه، ولكنه فقط أحس بالاختلاف. تعثر وهو يتوقف في موضعه، ثم نظر وراءه في خوف.

راقبه (إلياس)، كان يُراقب كليهما ببريق في عينيه. إنه يعرف ما الأمر، كان (بيرين) واثقًا من هذا، ولكنه كان يكتفي بمراقبتهما.

جذبت (إيجوين) لجام (بيلا) وتلفتت حولها في حيرة بمزيج من التساؤل والخوف. قالت هامسة: «هذا... غريب، أشعر كأنني قد فقدت شيئًا ما». حتى الفرس رفعت رأسها بشكل غير متوقع ونفخت منخاريها كأنما تشتم رائحة خافتة لقش قد جُزَّ لتوه.

سأل (بيرين): «ماذا... ماذا كان هذا؟».

ضحك (إلياس) فجأة ثم مال للأمام ليريح يديه على ركبتيه وكتفاه يرتعشان. «الأمان، هذا ما في الأمر. لقد نجونا أيها الأحمقان. لن يعبر غراب هذا الخط... ليس غرابًا يحمل عيني (سيد الظلام) على أي حال. (الترولوكيون) لن يعبروا بمحض إرادتهم، و(الميردرال) سيحتاجون لشيء وحشي لحملهم على إجبار (الترولوكيين). لن تعبره أي واحدة من (الآيز سيداي) أيضًا، (القوة الواحدة) لن تعمل هنا، لن يتمكنَّ من لمس (المصدر الحقيقي)، لن يتمكنَّ حتى من الإحساس به، كأنه قد تلاشى، مما يجعلهن يشعرن بحكة بداخلهن، يجعلهن يرتجفن كسكير قد شرب لسبعة أيام. إنه الأمان».

في البداية لم يبدُ لناظري (بيرين) أن الأرض مختلفة عن التلال المتموجة والمرتفعات التي قطعوها طيلة اليوم، ثم لاحظ البراعم الخضراء بين الحشائش، لم تكن كثيرة، وكانت تكافح لشق طريقها، ولكنها أكثر مما رآه في أي مكان آخر. كان هناك عدد أقل من الأعشاب الضارة بين الحشائش أيضًا. لم يستطع أن يتخيل ما يكون، ولكن كان هناك... شيء ما حيال هذا المكان، وشيء مما قاله (إلياس) قد داعب ذاكرته.

سألت (إيجوين): «ما هذا؟ أشعر... ما هذا المكان؟ لا أعتقد أنني أحبه».

قال (إلياس) بصوت هادر: «إنه (ملاذ)، ألا تنصتين إلى الحكايات مطلقًا؟ بالطبع لم يتواجد (أوجير) هنا منذ ثلاثة آلاف سنة، منذ (تحطم العالم)، ولكن (الملاذ) هو ما يصنع (الأوجير)، وليس (الأوجير) هم من يصنعون (الملاذ)».

قال (بيرين) متلعثمًا: «مجرد أسطورة». في الحكايات يكون (الملاذ) دومًا ملجأً آمنًا للاختباء، سواء كان من (الآيز سيداي) أو من مخلوقات (أبي الأكاذيب).

انتصب (إلياس) في وقفته. لم يبدُ منتعشًا تمامًا، ولكن لم يبدُ عليه أدنى أثر أنه قد قضى معظم اليوم وهو يركض. «هيا بنا، من الأفضل أن نتعمق داخل هذه الأسطورة، الغربان لا يمكنها اللحاق بنا، ولكن ما زال بإمكانها أن ترانا، إذا بقينا بهذا القرب من الحافة، وسيكون هناك ما يكفي منهم لمراقبة حدود (الملاذ) بالكامل. فلندعهم يواصلون الصيد فيما وراءه».

أراد (بيرين) أن يبقى في موضعه بعد أن توقف، كانت ساقاه ترتجفان وتطلبان منه أن يستلقي لمدة أسبوع، أيًّا ما كان الانتعاش الذي أحس به فإنه كان لحظيًّا، لقد عاد إليه كل التعب والأوجاع. أجبر نفسه على أن يخطو خطوة، ثم أخرى، لم يكن الأمر يزداد سهولة، ولكنه ثابر عليه. ضربت (إيجوين) باللجام لتحث (بيلا) على الحركة مرة أخرى. بدأ (إلياس) يهرول بلا مجهود، ولم يُبطئ من حركته إلا عندما يصير من الواضح أن الآخرين لا يقدران على مواكبته. كان يتحرك بمشية سريعة.

قال (بيرين) وهو يلهث: «لِمَ... لا نبقى هنا؟». كان يتنفس من فمه وهو يجبر نفسه على التلفظ بالكلمات من بين أنفاسه العميقة الشاقة. «إن كان... (ملاذًا) حقًّا، فسنكون بأمان، لا (ترولوكيين)، ولا (آيز سيداي). لماذا إذن... لا نبقى هنا... حتى ينتهي الأمر برمته؟». *ربما لن تأتي الذئاب إلى هنا أيضًا.*

نظر (إلياس) إليه من فوق كتفه وقد رفع حاجبيه وهو يتساءل: «كم سيمضي من الوقت قبل أن ينتهي الأمر؟ وماذا ستأكلان؟ الحشائش مثل الحصان؟ كما أن هناك آخرين يعرفون بشأن هذا المكان، ولا شيء يمنع البشر من المجيء، حتى أسوأهم. وهناك مكان واحد يمكن العثور على الماء

فيه». ثم عقد حاجبيه في توتر وقطع دورة كاملة ليتفحص المكان، وعندما انتهى هز رأسه وهو يتمتم لنفسه. أحس به (بيرين) وهو يُنادي الذئاب؛ أسرعوا، أسرعوا. «نحن نغامر بالاختيار ما بين شرين، والغربان شر أكيد. هيا بنا، لم يتبقَّ سوى ميل آخر أو ميلين».

كان (بيرين) ليزفر لو كان باستطاعته التقاط أنفاسه.

بدأت صخور ضخمة تظهر بشكل متناثر عبر التلال الخفيضة، كتل غير منتظمة من الأحجار الرمادية المغطاة بالطحالب، نصف مدفونة في الأرض، وبعضها بحجم بيت. كانت نباتات العليق تكسوها كشباك العنكبوت، والشجيرات القصيرة تخبئ معظمها. هنا وهناك بين نباتات العليق البنية الجافة يظهر برعم أخضر وحيد، مُعلنًا أن هذا مكانه الخاص. أيًّا كان ما يجرح الأرض خارج حدودها يؤذيها أيضًا، ولكن هنا لم يكن الجرح بنفس العمق.

في نهاية المطاف وصلوا إلى مرتفع آخر قطعوه بمشقة، وعند سفح هذا المرتفع وجدوا بركة من الماء. يمكن لأي منهم أن يقطعها في خطوتين واسعتين، ولكنها كانت صافية ونقية بما يكفي لأن يروا قاعها الرملي كأنها لوح من الزجاج. حتى (إلياس) أسرع بلهفة هابطًا المنحدر.

عندما وصل (بيرين) إلى البركة ألقى بنفسه أرضًا وغمس رأسه في الماء. بعد لحظة أخرج رأسه وهو يسعل فتناثر من فمه الماء البارد الذي تسرب من أعماق الأرض. هز رأسه فتناثر مطر من الرذاذ من شعره الطويل، فابتسمت (إيجوين) ثم راحت تنثر الماء ناحيته. نظر إليها (بيرين) بجدية، فتجهمت وفتحت فمها، ولكنه غمس وجهه مرة أخرى في الماء. *لا يوجد وقت للأسئلة، ليس الآن، لا وقت للتفسيرات، على الإطلاق.* غير أن صوتًا خافتًا كان يستفزه؛ *ولكنك كنت لتفعلها، أليس كذلك؟*

في النهاية ناداهم (إلياس) من مكان بعيد عن البركة: «هل هناك من يرغب في تناول الطعام، أحتاج لبعض المساعدة».

كانت (إيجوين) تعمل بمرح وهي تضحك وتمزح بينما يعدون وجبتهم الهزيلة، لم يكن هناك شيء قد تبقى سوى الجبن واللحم المجفف، ولم يكن هناك أدنى فرصة للصيد، على الأقل لا يزال لديهم بعض الشاي. أدى (بيرين) دوره ولكن في صمت. كان يشعر بعيني (إيجوين) تنظران إليه، ويرى القلق المتزايد في وجهها، ولكنه كان يتفادى النظر إلى عينيها قدر الإمكان. تلاشت ضحكتها وصارت نكاتها على مسافات متباعدة، كل واحدة أكثر توترًا من سابقتها. كان (إلياس) يراقبهما دون أن يقول شيئًا. خيم عليهم جو كئيب وتناولوا وجبتهم في صمت. ازدادت الشمس احمرارًا جهة الغرب، وامتدت ظلالهم لتصير طويلة ونحيفة.

لا يزال هناك ساعة قبل حلول الظلام، لولا (الملاذ) لكانوا جميعًا موتى الآن. هل كنت لتنقذها؟ هل كنت لتقطعها كما قطعت العديد من الشجيرات؟ ولكن الشجيرات لا تنزف، أليس كذلك؟ أو تصرخ وتنظر في عينيك وتسألك لماذا؟

انكمش (بيرين) على نفسه أكثر، كان يشعر بشيء يسخر منه في أعماق عقله، شيء وحشي، ليس (سيد الظلام)، كاد أن يتمنى لو كان هو، ليس (سيد الظلام)، بل (بيرين) نفسه.

لأول مرة يكسر (إلياس) قانونه بشأن إشعال النار، لم يكن هناك أشجار، ولكنه قطع الأغصان اليابسة من الشجيرات وأعد نارًا أمام صخرة ضخمة بارزة من جانب التل. بسبب طبقات السخام التي تُلطخ الحجر فكر (بيرين) أن هذا المكان بالتأكيد قد استخدمه جيل بعد جيل من المسافرين.

الجزء العلوي من الصخرة البارز من الأرض كان مستديرًا بشكل ما مع وجود كسر حاد على أحد جوانبه، حيث كانت الطحالب القديمة البنية تُغطي السطح المتكسر. كانت التشققات والتجاويف المتآكلة في الجزء

المستدير تبدو غريبة بالنسبة لـ(بيرين)، ولكنه كان مستغرقًا في اكتئابه، حتى أنه لم يفكر فيها. إلا أن (إيجوين) تفحَّصتها وهي تتناول الطعام.

وأخيرًا قالت: «هذه تبدو كعين». فرمش (بيرين) بعينيه، كانت تبدو بالفعل كعين تحت كل هذا السخام.

قال (إلياس): «إنها كذلك بالفعل». ثم جلس وظهره إلى النار والصخرة متفحصًا الأرض المحيطة بهم بينما هو يمضغ شريحة من اللحم الجاف، قاسية كجلد مدبوغ. «عين (أرتور هاوكوينج)، عين (الملك السامي) نفسه، هذا ما آل إليه سلطانه ومجده في النهاية». قالها في شرود، كان شارد الذهن حتى وهو يمضغ طعامه، بينما عيناه وانتباهه منصبون على التلال.

صاحت (إيجوين): «(أرتور هاوكوينج)! أنت تمزح معي، هذه ليست عينًا على الإطلاق، لِمَ قد ينحت شخص ما عين (أرتور هاوكوينج) على صخرة هنا؟».

نظر (إلياس) إليها من فوق كتفه وتمتم قائلًا: «ما الذي يعلمونه لكم أيها الأطفال القرويون؟». ثم ابتسم في سخرية وهو يعيد بصره ليُراقب ما أمامه، ولكنه أكمل حديثه قائلًا: «(أرتور بايندراج تانريال)، (أرتور هاوكوينج)، (الملك السامي) الذي وحد كل الأراضي، من (البلاء العظيم) وحتى (بحر العواصف)، من (محيط آريث) وحتى (فلاة (آييل)، بل وبعض الأراضي فيما وراء (الفلاة)، بل إنه حتى قد أرسل جيوشًا إلى الجانب الآخر من (محيط آريث). تقول الحكايات إنه قد حكم العالم بأسره، ولكن ما حكمه بالفعل كان كافيًا بالنسبة لأي رجل لم تُنسج حوله حكاية، وقد جلب السلام والعدل لهذه الأراضي».

قالت (إيجوين): «الجميع يقفون على قدم المساواة أمام القانون، ولا يجب على رجل أن يرفع يده في وجه رجل آخر».

ضحك (إلياس) ضحكة جافة وقال: «إذن فقد سمعتِ الحكايات على الأقل، لقد جلب (أرتور هاوكوينج) السلام والعدل، ولكنه فعل هذا بالحديد والنار، كان بإمكان أي طفل أن يمتطي حصانه وحيدًا حاملًا كيسًا من الذهب من (محيط آريث) إلى (فقار العالم) دون أن يواجه لحظة من الخوف، ولكن عدل (الملك السامي) كان قاسيًا كهذه الصخرة بالنسبة لأي شخص يتحدى سلطته، حتى إن كان هذا لمكانة اكتسبها أو لاعتقاد الناس أنه يمثل تحديًا. لقد تمتع عامة الناس بالسلام والعدل والشبع، ولكنه فرض حصارًا لمدة عشرين سنة على (تار ڤالون)، ووضع مكافأة مقدارها ألف كراون ذهبي على رأس كل واحدة من (الآيز سيداي)».

قالت (إيجوين): «كنت أظنك لا تحب (الآيز سيداي)».

ابتسم (إلياس) بسخرية وقال: «لا يهم ما أحبه يا فتاة، (أرتور هاوكوينج) كان أحمق مغرورًا. كان بإمكان شافية من (الآيز سيداي) أن تنقذه عندما مَرِضَ. أو تسمم كما يقول البعض. ولكن كل (آيز سيداي) لا تزال على قيد الحياة كانت محتجزة وراء (الأسوار اللامعة)، بينما يحاولن استخدام كل ما لديهن من (القوة الواحدة) لردع جيش يضيء ظلام الليل بنيران مخيماته. لم يكن ليسمح لأي واحدة منهن أن تقترب منه على أي حال. كان يكره (الآيز سيداي) بقدر كرهه لـ(سيد الظلام)».

كانت (إيجوين) تجز على أسنانها، ولكن عندما تحدثت كان كل ما قالته هو: «ما علاقة كل هذا بكون هذه عين (أرتور هاوكوينج) من عدمه؟».

«الأمر كالتالي يا فتاة؛ مع وجود السلام في كل مكان، باستثناء ما يحدث وراء المحيط، ومع تهليل الناس له أينما ذهب. لقد أحبوه حقًّا، فرغم كونه رجلًا قاسيًا، إلا أنه لم يكن كذلك مع العامة. مع كل هذا قرر أن الوقت قد حان لأن يبني لنفسه عاصمة، مدينة جديدة لا ترتبط في عقول الناس بأي قضية قديمة أو فصيل أو عداوة. قرر أن يبنيها هنا، في

منتصف هذه الأرض التي تحدها البحار و(الفلاة) و(البلاء العظيم). هنا حيث لن تأتي أي واحدة من (الآيز سيداي) بمحض إرادتها، أو لن يمكنها استخدام (القوة الواحدة) إن أتت. عاصمة يُمكن أن يحصل منها العالم بأسره يومًا ما على السلام والعدل. عندما سمع عامة الناس بهذا الإعلان جمعوا من بعضهم أموالًا كافية لبناء نصب تذكاري له. كان معظمهم ينظرون إليه باعتبار أنه لا يعلو عليه أحد سوى (الخالق) نفسه، ولا يعلوه كثيرًا. استغرق النحت والبناء خمس سنوات، تمثال لـ(هاوكوينج) نفسه، أكبر من أي رجل بمئة مرة. لقد نصبوه هنا، وكان من المفترض أن تُبنى المدينة من حوله».

قالت (إيجوين) ساخرة: «لم يكن هناك أي مدينة هنا، كان ليتبقى منها شيء ما إن كانت هنا، أي شيء».

أومأ (إلياس) برأسه وهو لا يزال يراقب الأرض ثم قال: «بالفعل لم يكن هناك مدينة، لقد مات (أرتور هاوكوينج) في نفس اليوم الذي اكتمل فيه التمثال، وقد تصارع أبناؤه وبقية أقاربه على من سيجلس على عرش (هاوكوينج). وقف التمثال وحيدًا بين هذه التلال، مات الأبناء وأبناء الأخوة وأبناء العم، واختفى آخر فرد من عائلة (هاوكوينج) من على وجه الأرض. ربما باستثناء هؤلاء الذين ذهبوا إلى ما وراء (محيط آريث). كان هناك هؤلاء من سيمحون حتى ذكراه لو استطاعوا هذا، لقد أحرقوا كتبًا فقط لأنها تذكر اسمه، في النهاية لم يتبقَّ منه شيء سوى الحكايات، ومعظمها خاطئة. هذا ما آل إليه مجده.

بالطبع لم يتوقف الصراع بمجرد موت (هاوكوينج) وأقاربه، لا يزال هناك عرش يجب الظفر به، وقد رغب فيه كل رجل وامرأة من النبلاء يمكنهم حشد المقاتلين. كانت هذه هي بداية (حرب المئة عام)، لقد استمرت فعليًّا لمئة وثلاثة وعشرين سنة، ومعظم تاريخ هذه الفترة قد ضاع في دخان المدن المحترقة، لقد حصل العديدون على جزء من الأرض، ولكن لم يحصل

أحدهم على الأرض بالكامل، وفي وقت ما أثناء هذه السنوات هُدِم التمثال. ربما لم يعد بإمكانهم مقارنة نفسهم به أكثر من ذلك».

قالت (إيجوين) وهي تهز رأسها: «في البداية بدوت وكأنك تحتقره، والآن تبدو معجبًا به».

التفت إليها (إلياس) بعينين جامدتين لا تطرفان وقال: «فلتتناولا بعض الشاي إن كنتما ترغبان في هذا، أُريد أن أُطفئ النار قبل حلول الظلام».

صار باستطاعة (بيرين) أن يميز العين بوضوح رغم خفوت الضوء، كانت أكبر من رأس أي رجل، والظلال الواقعة عليها جعلتها تبدو كعين غراب، صارمة وسوداء ووحشية. تمنى لو أن ينام في أي مكان آخر.

الفصل الثلاثون

أبناء الظل

جلست (إيجوين) بجانب النار وهي تحدق إلى بقايا التمثال، ولكن (بيرين) ذهب للبركة وحده. كان النهار ينتهي ورياح الليل تتصاعد بالفعل جهة الشرق، مما جعل سطح الماء يضطرب. انتزع فأسه من حلقة حزامه وقلبه بين يديه، كان المقبض المصنوع من خشب شجر المران بطول ذراعه وملمسه ناعم وبارد. أحس أنه يكرهه، وأنه يخجل من مدى شعوره بالفخر الشديد بالفأس عندما كان في (إيموندز فيلد)، قبل أن يعرف ما قد يكون على استعداد لأن يفعله به.

قال (إلياس) من ورائه: «هل تكرهها إلى هذا الحد؟».

جفل وقفز واقفًا وكاد أن يشهر فأسه قبل أن يرى صاحب الصوت. قال: «هل يمكنك... هل يمكنك أن تقرأ عقلي أيضًا؟ كالذئاب؟»‏.

أمال (إلياس) رأسه جانبًا وهو ينظر إليه في تساؤل قبل أن يقول: «يُمكن لرجل أعمى أن يقرأ وجهك يا فتى. حسنًا، فلنتحدث، هل تكره الفتاة؟ هل تحتقرها؟ هذا هو الأمر، كنت مستعدًّا لقتلها لأنك تحتقرها، فهي دومًا ما تكون عبئًا عليك وتعيق طريقك بتصرفاتها الأنثوية».

قال باحتجاج: «(إيجوين) لم تكن عبئًا على أحد قط في حياتها، إنها دومًا ما تؤدي دورها، أنا لا أحتقرها، بل أحبها». ثم حدق إلى (إلياس) كأنه يتحداه أن يضحك قبل أن يقول: «لا أعني هذا الحب، إنها ليست كأخت لي، ولكن هي و(راند)... بحق الدماء والرماد! إن أمسكت الغربان بنا... إن... لا أعرف».

«بل تعرف، إن كان بإمكانها أن تختار طريقة للموت، فأيهما ستختار من وجهة نظرك؟ ضربة واحدة حاسمة من فأسك، أم الطريقة التي ماتت بها الحيوانات التي رأيناها اليوم؟ أنا أعرف أيهما سأختار».

«أنا لا أملك حق الاختيار بالنيابة عنها، أنت لن تخبرها، أليس كذلك؟ بشأن...». اعتصرت قبضته مقبض الفأس وانتفضت العضلات في ذراعيه، عضلات مفتولة بالنسبة لعمره، ناتجة عن ساعات طويلة من التلويح بالمطرقة في ورشة السيد (لوهان). خُيِّل إليه للحظة أن المقبض الخشبي السميك سينكسر. قال مزمجرًا: «أنا أكره هذا الشيء اللعين، لا أعرف ما الذي أفعله به، أتجول به في الأرجاء كأحمق ما، لم يكن بإمكاني فعلها، عندما كان الأمر مجرد تظاهر كان بإمكاني التباهي واللعب كما لو أنني...». ثم تنهد وخفت صوته وهو يقول: «الأمر مختلف الآن، لا أرغب في استخدامه مرة أخرى مطلقًا».

«سوف تستخدمه».

رفع (بيرين) الفأس ليُلقي به في البركة ولكن (إلياس) أمسك بمعصمه وقال: «سوف تستخدمه يا فتى، وطالما أنك تكره استخدامه فسوف تستخدمه بحكمة أكثر مما يفعل معظم الرجال. انتظر، وإن جاء يوم لم تعد تكرهه فيه فسيكون الوقت قد حان لأن ترميه أبعد ما تستطيع وتركض في الاتجاه المقابل».

وزن (بيرين) الفأس في يديه وهو لا يزال يميل لرميه في البركة. *من السهل عليه أن يُخبرني بأن أنتظر، ماذا لو انتظرت ثم لم يعد باستطاعتي التخلص منه؟*

فتح فمه ليسأل (إلياس) ولكن الكلمات لم تخرج منه. جاءت رسالة من الذئاب، مُلِحَّة للغاية حتى أن عينيه صارتا تلمعان. للحظة نسي ما كان علي وشك أن يقوله، نسي أنه كان سيقول شيئًا، نسي حتى كيف يتحدث وكيف يتنفس. شرد وجه (إلياس) أيضًا وبدا أن عينيه تنظران إلى الداخل وإلى مكان بعيد. ثم اختفى كل شيء بنفس سرعة حدوثه، لم يستمر سوى لجزء من الثانية، ولكن هذا كان كافيًا.

استجمع (بيرين) شتات نفسه وملأ رئتيه بالهواء. لم يُضع (إلياس) لحظة واحدة، فبمجرد أن تلاشت الغشاوة من على عينيه أسرع ناحية النار دون أدنى تردد، فركض (بيرين) وراءه دون أن يقول كلمة واحدة.

قال (إلياس) مخاطبًا (إيجوين) بصوت أجش: «أطفئي النار!». كان يشير إليها بإلحاح، بدا أنه يحاول أن يصيح بصوت هامس: «أخمديها على الفور!».

اعتدلت واقفة وهي تنظر إليه في حيرة، ثم اقتربت من النار ولكن ببطء، فمن الواضح أنها لم تفهم ما الذي يحدث.

اندفع (إلياس) بقوة ليتجاوزها وانتزع غلاية الشاي ثم أطلق سبَّة عندما أحرقت يده. كان يُلقي الغلاية الساخنة من يد لأخرى وهو يحاول أن يفتحها فوق النار في الوقت ذاته. جاء (بيرين) من ورائه وبدأ يركل التراب على الجمرات التي أصدرت فحيحًا بينما آخر ما تبقى من الشاي يُخمد النار، فتعالى صوت الفحيح وخيوط من البخار. لم يتوقف حتى دفن آخر بقايا من النار.

ألقى (إلياس) بالغلاية إلى (بيرين) الذي تركها تسقط أرضًا على الفور بصرخة مكتومة، راح (بيرين) ينفخ في يديه وهو ينظر إلى (إلياس) عاقدًا حاجبيه، ولكن الرجل المغطى بالفراء كان مشغولًا بتفحص المخيم في نظرة سريعة فلم يولِه أدنى اهتمام.

قال (إلياس): «من المستحيل إخفاء أثر أن شخصًا ما كان هنا، سيكون علينا أن نُسرع مبتعدين ونكتفي بالأمل. ربما لن يكلفوا نفسهم هذا العناء. بحق الدماء والرماد، كنت أعتقد أنها الغربان فحسب».

على الفور ألقى (بيرين) بالسرج على ظهر (بيلا)، ثم علَّق الفأس على خصره بينما يميل ليُحكم ربط السرج.

سألته (إيجوين) بصوت مرتجف: «ما الأمر؟ (ترولوكيون)؟ (عاتم)؟».

قال (إلياس) مخاطبًا (بيرين): «اذهبا شرقًا أو غربًا، وابحثا عن مكان للاختباء، وسأنضم إليكما في أقرب وقت ممكن. إن رأوا ذئبًا...». ثم اندفع مبتعدًا، منحنيًا كأنه على وشك أن يركض على أربع، قبل أن يختفي في ظلال المساء الممتدة.

في عجالة جمعت (إيجوين) أمتعتها ولكنها كانت تلح على (بيرين) في طلب تفسير. كان صوتها مُلحًّا ويزداد خوفًا مع مرور الوقت، ولكن (بيرين) ظل صامتًا. كان خائفًا هو أيضًا، ولكن الخوف جعلهما يتحركان بشكل أسرع. انتظر حتى انطلقا نحو الشمس الغاربة، وهو يهرول أمام (بيلا) ممسكًا بالفأس على صدره بكلتا يديه، حتى يُخبرها بما يعرفه في جمل متقطعة دون أن ينظر إليها، بينما يبحث عن مكان ليختبئا فيه وينتظرا (إلياس).

«هناك العديد من الرجال قادمون على ظهور خيل من وراء الذئاب، ولكنهم لم يروا الذئاب بعد. إنهم متجهون ناحية البركة، على الأرجح ليس لهم أدنى علاقة بنا، الأمر وما فيه هو أن هذه هي المياه الوحيدة على مسافة أميال، ولكن (دابل) تقول...». نظر وراءه، كانت شمس المساء ترسم ظلالًا غريبة على وجهها، ظلالًا تُخفي تعبيرات وجهها. *ما الذي تفكر فيه؟ هل تنظر إليك كأنها لم تعد تعرف من أنت؟ هل تعرف من أنت؟* «تقول (دابل) إن رائحتهم غريبة، إنها... تُشبه بشكل ما رائحة كلب مسعور». كانت البركة قد اختفت عن أنظارهما، ما زال باستطاعته تمييز

الصخور ـ بقايا تمثال (أرتور هاوكوينج) ـ في الشفق الآخذ في الإظلام، ولكن دون أن يقدر على تمييز الحجر الذي كانت عنده النار. «سنبقى بعيدًا عنهم، ونجد مكانًا لننتظر فيه (إلياس)».

سألته: «لم يجب علينا القلق بشأنهم؟ من المفترض أن نكون آمنين هنا، من المفترض أن يكون هذا مكانًا آمنًا. يجب أن يكون هناك مكان ما آمن بحق (النور)».

بدأ (بيرين) يفتش بجدية أكبر عن موضع للاختباء، لا يمكن أن يكونا قد ابتعدا كثيرًا عن البركة، ولكن الشفق كان يزداد ظلامًا، سرعان ما سيحل الظلام الدامس بما لا يسمح لهما بالانتقال. كان الضوء الشاحب لا يزال يُغرق قمم التلال، ولكن في الأغوار ما بين التلال كان بالكاد هناك ضوء كافٍ للرؤية، فبدت القمم مضيئة بالمقارنة معها. كان هناك شكل مظلم إلى يسارهما يبدو واضحًا في مواجهة السماء، حجر مسطح كبير يبرز من جانب أحد التلال، ليُغرق السفح من أسفله في الظلمة.

قال: «من هذا الطريق».

هرول ناحية التل وهو ينظر وراءه باحثًا عن أدنى أثر للرجال القادمين، لم يكن هناك أدنى أثر بعد. اضطر للوقوف أكثر من مرة لينتظر (إيجوين) و(بيلا) كي يلحقا به في خطوات متعثرة. كانت (إيجوين) مائلة فوق عنق (بيلا) بينما الفرس تخطو بحذر على الأرض غير المستوية، فكر (بيرين) أن كلتيهما متعبتان بلا شك أكثر مما يعتقد. *لا شك أن هناك مكانًا أفضل للاختباء، ولكن لا أعتقد أن باستطاعتنا البحث عن مكان آخر.*

عند سفح التل تفحص الصخرة المسطحة الضخمة التي تبدو حدودها الخارجية واضحة في مواجهة السماء، والتي تبرز من جانب التل بالقرب من قمته. كان هناك شيء مألوف بشكل غريب حيال الطريقة التي تبدو فيها الصخرة الضخمة وكأنها تشكل درجات غير منتظمة، ثلاث صاعدة وواحدة هابطة. تسلق المسافة القصيرة على جانب التل وتحسس الحجر

وهو يسير بمحاذاته. رغم قرون من التآكل بفعل عوامل التعرية إلا أنه ما زال باستطاعته أن يشعر بأربعة أعمدة متصلة، ألقى نظرة على الجزء العلوي من الحجر الذي يُشبه الدرج، والذي يعلو فوق رأسه كمنحدر ضخم، إنها أصابع. *نحن نحتمي تحت يد (أرتور هاوكوينج). ربما لا يزال بعض من عدالته متبقيًا هنا.*

أشار إلى (إيجوين) كي تنضم إليه، ولكنها لم تتحرك من موضعها، فهبط إلى سفح التل وأخبرها بما عثر عليه.

نظرت (إيجوين) إلى أعلى التل وهي تمد رأسها إلى الأمام، قبل أن تسأله: «كيف يمكنك أن ترى أي شيء؟».

فتح (بيرين) فمه ثم أغلقه ولعق شفتيه بينما يتلفت حوله. ولأول مرة يُدرك حقيقة ما يراه، كانت الشمس قد غربت تمامًا، والسُّحب تُخفي القمر، ولكن السماء لا تزال تبدو كأنما مغطاة بشفق بنفسجي داكن بالنسبة له. وأخيرًا قال لها: «لقد تحسست الصخرة، لا شك أنها كذلك، لن يكونوا قادرين على تمييزنا في ظلالها، حتى وإن اقتربوا إلى هذا القدر». أمسك بشكيمة (بيلا) ليقودها ناحية المخبأ تحت اليد، بينما باستطاعته أن يشعر بعيني (إيجوين) تحدقان إلى ظهره.

بينما يُساعدها على النزول من على السرج شق سكون الليل صيحات من عند البركة. وضعت يدها على ذراع (بيرين) فسمع السؤال الذي لم تنطق به.

قال بتردد: «لقد رأى الرجال (ويند)». كان من الصعب تمييز معنى أفكار الذئاب، شيء ما بشأن النار. «إن معهم مشاعل». اقتادها إلى أسفل الأصابع وجلس بجوارها. «إنهم يقسمون أنفسهم إلى فرق للتفتيش. إن عددهم كبير، والذئاب جميعها مصابة». ثم حاول أن يجعل صوته أكثر تفاؤلًا وهو يقول: «ولكن يجب أن تكون (دابل) والآخرون قادرين على البقاء بعيدًا عنهم رغم إصابتهم، وهم لا يتوقعون وجودنا. الناس لا يرون

ما لا يتوقعون. سرعان ما سيستسلمون ويقيمون مخيمًا». إن (إلياس) مع الذئاب، ولن يتركهم ما دام هناك من يُلاحقهم. *هناك العديد من الركبان المثابرين على اصطيادهم، لم كل هذه المثابرة؟*

رأى (إيجوين) تومئ برأسها، ولكنها لم تُدرك هذا في الظلام. «سنكون على ما يرام يا (بيرين)».

قال لنفسه متعجبًا؛ *إنها تحاول طمأنتي بحق (النور)*.

استمرت الصيحات بلا انقطاع، بينما مجموعات صغيرة من المشاعل تتحرك في الأفق، وتومض كنقاط من الضوء في الظلام.

قالت (إيجوين) بصوت خافت: «هل سترقص معي في (يوم الشمس) يا (بيرين)؟ إن عدنا للديار بحلول ذلك الوقت؟».

ارتجف كتفاه دون أن يصدر أدنى صوت، ولم يعرف إن كان يضحك أم يبكي. «سأرقص معك، أعدك بهذا». ورغم إرادته اعتصر مقبض الفأس بيديه ليتذكر أنه لا يزال يحمله. صار صوته هامسًا وهو يقول مرة أخرى في أمل: «أعدك بهذا».

كانت مجموعات من الرجال الذين يحملون المشاعل تتحرك بين التلال، كل مجموعة من عشرة أو اثني عشر. لم يكن باستطاعة (بيرين) تمييز عدد المجموعات الموجودة، أحيانًا ما يكون هناك ثلاثة أو أربعة في مرمى البصر في وقت واحد، يتحركون جيئة وذهابًا. واصلوا تبادل الصياح، وأحيانًا ما تكون هناك صرخات في الليل، صرخات أحصنة، وصرخات رجال.

لقد رأى كل هذا من أكثر من منظور، كان رابضًا على جانب التل مع (إيجوين) يراقب المشاعل وهي تتحرك في الظلام كيرعات، بينما عقله يركض في الليل مع (دابل) و(ويند) و(هوبر). كانت الغربان قد ألحقت ضررًا كبيرًا بالذئاب بما لا يسمح لهم بالركض بعيدًا أو سريعًا، لذا كانوا عازمين على دفع الرجال للخروج من الظلام، وجعلهم يحتمون بنيرانهم.

دومًا ما يبحث الرجال عن الأمان بجانب النار في نهاية المطاف، عندما تجوب الذئاب الليل. كان بعض الركبان من الرجال يجذبون مجموعة من الخيل بلا ركبان، التي صهلت ورفعت قوائمها بأعين جامحة عندما اندفعت الأشكال الرمادية فيما بينها، ثم صرخت وجذبت الحبال من أيدي الرجال الممسكين بها، وتفرقت في كل الاتجاهات بأسرع ما تستطيع. الخيول التي تحمل رجالًا على ظهورها صرخت أيضًا عندما برقت الأشكال الرمادية من الظلمة قبل أن تنشب أنيابها في قوائم الخيول. صرخ الركبان أيضًا قبل أن تُمزق الأنياب حلوقهم. كان (إلياس) هناك أيضًا، ولكن الإحساس به كان خافتًا، يتربص في الظلمة بسكينه الطويل، كذئب يمشي على قدمين ولديه ناب فولاذي حاد واحد. تحولت الصيحات إلى لعنات، ولكن الباحثين رفضوا الاستسلام.

فجأة أدرك (بيرين) أن الرجال الذين يحملون المشاعل يتبعون نمطًا معينًا؛ في كل مرة تظهر بعض فرق البحث في مجال رؤيته تكون واحدة منهم بالقرب من جانب التل حيث يختبئ هو و(إيجوين). لقد أمرهما (إلياس) بالاختباء، ولكن... *ماذا لو ركضنا؟ ربما يمكننا الاختباء في الظلمة إذا واصلنا الحركة، ربما، لا شك أن الظلام كان دامسًا بما يكفي لهذا.*

التفت إلى (إيجوين)، ولكن بينما يلتفت كان أوان أخذ القرار قد فات. عدد من المشاعل، أكثر من عشرة منها، ظهرت عند سفح التل، متمايلة مع هرولة الخيول. لمعت رؤوس الرماح في ضوء المشاعل. تجمد في موضعه وهو يحبس أنفاسه ويُحكم قبضته على مقبض الفأس.

تجاوز الركبان التل، ولكن أحد الرجال صاح فتأرجحت المشاعل إلى الوراء. أخذ يفكر في يأس بحثًا عن طريقة للهرب، ولكن بمجرد أن يتحركا سيراهما الرجال، إن لم يكونوا قد رأوهما بالفعل، وما إن يلاحظوهما فلن يكون هناك أدنى فرصة، حتى مع مساعدة الظلمة لهما.

اقترب الركبان من سفح التل، وكل واحد منهم يحمل مشعلًا في يده ورمحًا طويلًا في اليد الأخرى، ويوجه حصانه بوكز من ركبتيه. على ضوء المشاعل استطاع (بيرين) أن يرى عباءات (أبناء النور) البيضاء. كانوا يحملون مشاعلهم عاليًا ويميلون إلى الأمام في سروجهم محدقين إلى الظلمة الكثيفة تحت أصابع (أرتور هاوكوينج).

قال أحدهم: «هناك شيء ما بالأعلى». كان صوته عاليًا للغاية وكأنه يخاف مما يكمن خارج دائرة ضوء مشعله. «لقد قلت لكم إنه من الممكن أن يختبئ شخص ما هناك، أليس هذا حصانًا؟».

وضعت (إيجوين) يدها على ذراع (بيرين)، وعيناها متسعتان في الظلمة. كان سؤالها الصامت واضحًا رُغم الظلال التي تُخفي ملامحها. ما العمل؟ (إلياس) والذئاب لا يزالون يصطادون في الليل. كانت الأحصنة بالأسفل تحرك أقدامها في عصبية. *إن ركضنا الآن فسيلاحقوننا*.

خطا واحد من أصحاب العباءات البيضاء بحصانه إلى الأمام وصاح ناحية أعلى التل: «إن كنتم تفهمون الكلام البشري فلتنزلوا وتستسلموا، لن ينالكم أذى إن مشيتم في (النور)، إن لم تستسلموا فستقتلون جميعًا، لديكم دقيقة واحدة». خُفِضت الرماح ورؤوسها المعدنية الطويلة تلمع في ضوء المشاعل.

همست (إيجوين): «لا يمكننا أن نسبقهم عدوًا يا (بيرين). سيقتلوننا إن لم نستسلم. (بيرين)؟».

كان (إلياس) والذئاب لا يزالون أحرارًا. تعالت صرخة بعيدة أخرى من صاحب العباءة البيضاء الذي يلاحق (دابل) بضراوة. *إذا ركضنا*... كانت (إيجوين) تنظر إليه، تنتظر أن يخبرها بما يجب عليهما فعله. *إذا ركضنا*... هز رأسه في تعب واعتدل واقفًا كرجل ذاهل عن العالم، وبخطوات متعثرة هبط التل مقتربًا من (أبناء النور). سمع (إيجوين) تتنهد وتلحق به وهي تجر قدميها على مضض. لِمَ أصحاب العباءات البيضاء مثابرين هكذا كأنهم

يكرهون الذئاب من أعماق قلوبهم؟ لِمَ تفوح منهم رائحة غريبة؟ خُيِّل إليه أنه باستطاعته أن يشم هذه الرائحة الغريبة بنفسه، عندما تهب الرياح من ناحية الركبان.

صاح قائدهم: «ألقِ هذا الفأس».

اقترب منه (بيرين) بخطوات متعثرة وهو يزر أنفه محاولًا التخلص من الرائحة التي يُخيَّل إليه أنه يشمها.

أشهر القائد رمحه ناحية صدر (بيرين) وهو يقول: «ألقهِ أيها الأحمق!».

للحظة حدق إلى رأس الرمح، كان الفولاذ حادًّا بما يكفي لأن يخترق جسده تمامًا، وفجأة صاح: «لا!». ولكنه لم يكن يصيح في وجه القائد.

جاء (هوبر) عبر ظلمة الليل، وكان (بيرين) متوحدًا مع الذئب. (هوبر)، الجرو الذي شاهد العقبان تحلق، وأراد بشغف أن يطير في السماء كالعقبان. الجرو الذي نط ووثب وقفز حتى صار باستطاعته أن يقفز أعلى من أي ذئب آخر، والذي لم يفقد قط شغفه وهو جرو بأن يحلق في السماء. جاء (هوبر) عبر ظلمة الليل ووثب من الأرض ليحلق كالعقبان. لم يجد أصحاب العباءات البيضاء فرصة لأن يسبوا قبل أن يُطبق (هوبر) فكيه على حلق الرجل الذي يصوب رمحه إلى (بيرين). قوة اندفاع الذئب الضخم جعلته يسقط هو والرجل على الجانب الآخر من الحصان. أحس (بيرين) بتهشم الحلق ومذاق الدم.

هبط (هوبر) على الأرض بخفة وقد انتزع فكيه بالفعل من الرجل الذي قتله. كان فراؤه مُلبدًّا بدمائه ودماء الآخرين، وهناك جرح عميق يقطع وجهه عبر التجويف الفارغ الذي كانت توجد فيه عينه اليسرى. التقت عينه السليمة بعيني (بيرين) للحظة واحدة فقط. *اركض يا أخي!* دار حول نفسه ليثب مرة أخرى، ليحلق مرة أخيرة، فانغرس فيه رمح ليُثَبِّته إلى الأرض. اخترق رمح فولاذي آخر ضلوعه لينغرس في الأرض تحته. ركل بقوائمه وحاول أن يُطبق فكيه على الرماح التي تُعيقه وتمنعه من التحليق.

اجتاح الألم (بيرين)، فصرخ صرخة غير بشرية، تحمل فيها شيئًا من عواء الذئاب. قفز إلى الأمام بدون تفكير وهو لا يزال يصرخ، لقد تلاشى كل تفكيره. كان الركبان متزاحمين كثيرًا بما لا يسمح لهم باستخدام رماحهم، وكان الفأس كريشة في يديه، ناب ذئب ضخم فولاذي. اصطدم شيء ما برأسه، وبينما هو يسقط أرضًا لم يكن يعرف من الذي مات؛ (هوبر) أم هو نفسه.

«... حَلِّق مثل العقبان».

فتح (بيرين) عينيه وهو يتمتم بذهن مشوش، كان رأسه يؤلمه ولم يستطع أن يتذكر السبب. رمش بعينيه وهو ينظر إلى الضوء ثم تلفت حوله. كانت (إيجوين) جاثية على ركبتيها وهي تراقبه حيث يرقد. كانا في خيمة مربعة بحجم غرفة متوسطة الحجم في بيت ريفي، والأرضية مغطاة بالقماش. في كل ركن مصباح زيتي موضوع على حامل طويل يشع بضوء ساطع.

تنفست الصعداء وقالت: «حمدًا (للنور) يا (بيرين)، كنت أخشى أنهم قد قتلوك».

بدلًا من أن يجيبها حدق إلى الرجل الأشيب الجالس على الكرسي الوحيد في الخيمة. بادله الرجل التحديق بعينين سوداوين ووجه بدا كوجه جد طيب، بدا متناقضًا في عقله مع السترة البيضاء الذهبية التي يرتديها الرجل، والدروع المصقولة المثبتة فوق معطفه الداخلي ناصع البياض. لقد بدا كوجه عطوف، شامخ ووقور، وكان هناك شيء حياله يناسب البساطة الراقية لأثاث الخيمة؛ طاولة، وسرير قابل للطي، ومنضدة اغتسال بحوض أبيض بسيط وإبريق، وصندوق خشبي واحد مزخرف بأنماط هندسية بسيطة. كان الخشب مصقولًا فيلمع بشكل خافت، وكان المعدن برَّاقًا ولكن ليس شديد السطوع، ولم يكن هناك شيء مبهرج. كل شيء في الخيمة كان يبدو مصنوعًا باحترافية، ولكن لا يمكن أن يرى هذه الاحترافية سوى شخص قد عمل في الصناعات اليدوية، مثل السيد (لوهان) أو السيد (آيداير) صانع الأثاث.

عقد الرجل حاجبيه وهو يحرك كومتين صغيرتين من الأشياء على الطاولة بإصبع خشن. تعرف (بيرين) في واحدة من الكومتين على محتويات جيوبه وسكين حزامه. سقطت العملة الفضية التي أعطتها له (مويرين) من الكومة فأعادها الرجل إلى موضعها وهو غارق في أفكاره. ضم شفتيه وهو يترك الكومتين ويحمل فأس (بيرين) من على الطاولة ليزنه بيده. ثم عاد انتباهه مرة أخرى إلى (بيرين) و(إيجوين).

حاول (بيرين) أن يعتدل فأحس بألم حاد في ذراعيه وساقيه مما جعله يرتمي في موضعه. أدرك للمرة الأولى أنه مقيد اليدين والقدمين. نظر مرة أخرى إلى (إيجوين) فهزت كتفيها في أسى والتفت حتى يرى ظهرها؛ كان هناك مجموعة من الأحبال الرفيعة تقيد معصميها وكاحليها، وتصنع حزوزًا في جلدها. كان هناك حبل طويل يمتد ما بين أربطة الكاحلين والمعصمين، ولكنه قصير بما يكفي لأن يجبرها على الانحناء إن هي وقفت على قدميها.

حدق (بيرين) إليها، كان تقييدهما صادمًا بما يكفي بالنسبة له، ولكنها أحبال تكفي لتقييد حصانين. *أي شيء يعتقدون أن نكونه؟*

راقبهما الرجل الأشيب بفضول وتفكير عميق، مثل السيد (ألقير) وهو يفكر في حل مشكلة، ثم أمسك بالفأس كأنما قد نسيه.

أُزيح باب الخيمة القماشي ثم خطا إلى داخل الخيمة رجل طويل. كان وجهه طويلًا ونحيفًا بعينين غائرتين للغاية كأنما تحدقان من داخل فوهتي كهف. لم يكن هناك أي دهون في جسمه على الإطلاق، فكان جلده مشدودًا على العضلات والعظام من تحته.

استطاع (بيرين) أن يلمح الليل بالخارج، ونيران المخيم، واثنين من الحراس من أصحاب العباءات البيضاء عند مدخل الخيمة، ثم عاد باب الخيمة إلى موضعه. ما إن خطا الوافد الجديد إلى داخل الخيمة حتى وقف في موضعه منتصبًا كعمود من الحديد، محدقًا أمامه مباشرة إلى جدار الخيمة البعيد.

كان درعه المصنوع من الألواح المعدنية والزرد يلمع كالفضة بالمقارنة مع عباءته ومعطفه الداخلي ناصعيّ البياض.

«سيدي القائد». كان صوته صارمًا كوقفته، ومزعجًا، ولكنه بشكل ما خالٍ من المشاعر.

أشار له الرجل الأشيب ببساطة وهو يقول: «فلتسترخِ أيها الابن (بيار). هل حسبت خسائرنا في هذه... المواجهة؟».

باعد الرجل الطويل فيما بين قدميه، ولكن عدا هذا لم يرَ (بيرين) أي استرخاء في وقفته. «تسعة رجال موتى يا سيدي القائد، وثلاثة وعشرون جريحًا، سبعة منهم بجروح خطيرة. ولكن جميعهم قادرون على امتطاء الخيول. اضطررنا لقتل ثلاثين حصانًا، حيث كانت جراحهم تمنعهم من الحركة!». أكد على هذا بصوته الخالي من المشاعر كأن ما حدث للخيول كان أسوأ من موت الرجال وإصابتهم. «العديد من الخيول الاحتياطية قد تفرقت، ربما يمكننا العثور على بعضها مع حلول ضوء الصباح يا سيدي القائد، ولكن مع وجود الذئاب التي تطاردهم فقد يستغرق الأمر أيامًا لجمعهم كلهم. الرجال الذين كان من المفترض أن يراقبوهم قد كُلِّفوا بالحراسة الليلية حتى نصل إلى (كايملين)».

قال الرجل الأشيب بهدوء: «ليس لدينا أيام لنضيعها أيها الابن (بيار)، سنتحرك مع الفجر، ولا شيء يمكنه أن يغير من هذا، يجب أن نكون في (كايملين) في الوقت المناسب، صحيح؟».

«كما تأمر يا سيدي القائد».

نظر الرجل الأشيب إلى (بيرين) و(إيجوين) ثم أبعد نظره عنهما وقال: «وماذا لدينا مقابل هذه الخسائر، باستثناء هذين الصغيرين؟».

أخذ (بيار) نفسًا عميقًا وتردد قبل أن يقول: «لقد أمرت بسلخ الذئب الذي كان معهما يا سيدي القائد، سيصنع فراؤه سجادة رائعة من أجل خيمة سيدي القائد».

(هوبر)! دون حتى أن يُدرك (بيرين) ما يفعله أخذ يزمجر ويقاوم قيوده، انغرست الحبال في جلده فصار رسغاه زلقين بفعل الدماء، ولكن القيود لم ترتخِ.

لأول مرة ينظر (بيار) إلى السجينين، فحاولت (إيجوين) التراجع مبتعدة عنه. كان وجهه خاليًا من المشاعر كصوته، ولكن كان هناك ضوء قاسٍ مشتعل في عينيه الغائرتين، كألسنة اللهب التي كانت تحترق في عينيّ (بعلزمون). إن (بيار) يكرههما كأنهما عدوان له منذ سنوات بعيدة بدلًا من كونهما شخصين لم يرهما قبل الليلة.

بادله (بيرين) التحديق في تحدٍّ وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة مع فكرة تمزيق حلق الرجل بأنيابه.

فجأة تلاشت ابتسامته وأفاق من فكرته. *أنيابي؟ أنا رجل ولست ذئبًا! بحق (النور)، يجب أن يكون هناك نهاية لهذا!* ولكنه ظل يبادل (بيار) التحديق، كراهية بكراهية.

«أنا لا أُبالي بالسجاد المصنوع من فراء الذئاب أيها الابن (بيار)». كان التوبيخ في صوت السيد القائد لينًا، ولكن قامة (بيار) انتصبت مرة أخرى على الفور وعيناه تنظران إلى جدار الخيمة. «كان من المفترض أن تقدم تقريرًا بما حققناه هذه الليلة، صحيح؟ إن كنا قد حققنا أي شيء».

«بشكل تقديري يمكنني أن أقول إن القطيع الذي هاجمنا بلغ خمسين وحشًا أو أكثر يا سيدي القائد، لقد قتلنا منهم عشرين على الأقل، وربما ثلاثين. لم أفترض أن الأمر يستحق المخاطرة بفقدان الكثير من الخيول لجلب الجثث الليلة. في الصباح سآمر بإحضارها وحرقها، تلك التي لم تُجر بعيدًا أثناء الظلام منها. بجانب هذين الاثنين كان هناك على الأقل عشرة

رجال آخرون، أعتقد أننا قد تخلصنا من أربعة منهم أو خمسة، ولكن من غير المرجح أن نعثر على أي جثث بسبب ميل (أصدقاء الظلام) إلى نقل موتاهم بعيدًا لإخفاء خسائرهم. يبدو لي أنه كان كمينًا مدبرًا، ولكن هذا يثير تساؤلًا حيال...».

أحس (بيرين) باختناق في حلقه بينما الرجل النحيل يُكمل حديثه. (إلياس)؟ بحذر وتردد بدأ يتحسس بحثًا عن (إلياس) والذئاب... ولكنه لم يشعر بأي شيء، كأنه لم يكن قادرًا من قبل على الشعور بعقل ذئب. *إما أنهم موتى أو أنهم قد تخلوا عنك.* أراد أن يضحك ضحكة مريرة، على الأقل قد نال أخيرًا ما كان يتمناه، لكن الثمن كان باهظًا.

ضحك الرجل الأشيب حينها ضحكة ساخرة جعلت وجنتي (بيار) تتوردان قبل أن يقول: «إذن ففي تقديرك المدروس أيها الابن (بيار) أننا تعرضنا للهجوم في كمين مدبر مسبقًا من قِبَل ما يزيد عن خمسين ذئبًا وأكثر من عشرة من (أصدقاء الظلام)؟ صحيح؟ ربما عندما ترى المزيد من القتال...».

«ولكن يا سيدي القائد (بورنهالد)...».

«أعتقد أنهم كانوا ستة ذئاب أو ثمانية أيها الابن (بيار)، وربما لا يوجد بشر آخرون عدا هذين الاثنين. إن لديك حماسًا حقيقيًّا ولكنك تفتقر إلى الخبرة خارج المدن. إن الأمر يكون مختلفًا عندما تكون الشوارع والبيوت بعيدة للغاية. إن الذئاب قادرة على أن تبدو أكثر عددًا من حقيقتها في الليل، والرجال أيضًا. ستة أو ثمانية على الأكثر من وجهة نظري». ازداد احتقان وجه (بيار) بالدماء. «أعتقد أيضًا أنهم كانوا هنا لنفس سبب وجودنا، إنها الوسيلة السهلة الوحيدة للحصول على المياه على مسيرة يوم على الأقل في أي اتجاه. إنه تفسير أكثر بساطة بكثير من وجود جواسيس أو خونة بين صفوف (أبناء النور)، والتفسير الأبسط يكون عادة هو الأصح. ستتعلم مع الخبرة».

امتقع وجه (بيار) بينما الرجل الأشبه بجد عجوز يتحدث، وعلى النقيض من هذا فإن البقعتين الحمراوين على وجنتيه الغائرتين قد تحولتا إلى لون أحمر داكن. ألقى ببصره ناحية السجينين للحظة.

قال (بيرين) لنفسه؛ *إنه يكرهنا أكثر الآن بعد سماع هذا، ولكن لَم يكرهنا في المقام الأول؟*

قال القائد وهو يُمسك بفأس (بيرين): «ما رأيك في هذا؟».

نظر (بيار) في تساؤل إلى قائده وانتظر إيماءة منه قبل أن يكسر وقفته الصارمة ليُمسك بالسلاح. وزن الفأس بيده ثم بدت عليه الدهشة قبل أن يلوح به بإحكام فوق رأسه وبالكاد لم يُصب سقف الخيمة. كان يتعامل معه ببراعة كأنه وُلِد بفأس في يديه. برقت نظرة إعجاب في عينيه وهو يخفض الفأس ثم صار وجهه خاليًا من المشاعر مرة أخرى.

«متوازن بشكل ممتاز يا سيدي، مصنوع ببساطة ولكن على يد صانع أسلحة ماهر للغاية، وربما يكون أحد السادة في هذا المجال».

ثم نظر بكراهية إلى الأسيرين وقال: «ليس سلاح واحد من القرويين يا سيدي، ولا سلاح مُزارِع».

قال الرجل الأشيب: «لا». ثم التفت إلى (بيرين) و(إيجوين) بابتسامة متعبة وموبخة بعض الشيء كأنما هو جد طيب يعرف أن حفيديه قد تسببا في بعض المتاعب. قال لهما: «اسمي (جيوفرام بورنهالد). أنت (بيرين) حسبما فهمت، ولكن أنتِ أيتها الشابة، ما اسمك؟».

حدجه (بيرين) بنظره، ولكن (إيجوين) هزت رأسها وقالت: «لا تكن سخيفًا يا (بيرين). اسمي (إيجوين)».

تمتم (بورنهالد): «(بيرين) و(إيجوين)، فقط بهذه البساطة. ولكني أفترض إن كنتما حقًّا من (أصدقاء الظلام) فإنكما سترغبان في إخفاء هويتيكما قدر الإمكان».

اعتدل (بيرين) على ركبتيه، لم يكن قادرًا على النهوض أكثر من هذا بسبب الطريقة التي قيدوه بها، وقال محتجًّا في غضب: «نحن لسنا من (أصدقاء الظلام)».

لم يكن قد انتهى من نطق هذه الكلمات عندما اقترب منه (بيار)، لقد تحرك الرجل كالأفعى، رأى مقبض فأسه يتأرجح نحوه فحاول أن ينحني ولكن المقبض السميك أصابه فوق أذنه. لم يحمِ جمجمته من الانقسام إلى نصفين إلا حقيقة أنه أبعد رأسه عن الضربة، ورغم هذا أحس بالضوء يومض في عينيه وبأنفاسه تختنق بينما يرتطم بالأرض. شعر بطنين في رأسه والدم يسيل على وجنته.

قالت (إيجوين): «ليس من حقك...». ثم صرخت بينما مقبض الفأس يهوي ناحيتها. ألقت بنفسها جانبًا فشقت الضربة الهواء من فوقها بينما هي تسقط أرضًا.

قال (بيار): «فلتبقيا لسانيكما متحضرين عندما تتحدثان إلى (مختار من النور) وإلا ستفقدان لسانيكما». أسوأ ما في الأمر هو أن صوته كان لا يزال خاليًا من المشاعر، إن قطع لسانيهما لن يمنحه أي بهجة أو ندم، إنه مجرد شيء سيفعله.

قال (بورنهالد) وهو ينظر إلى الأسيرين مرة أخرى: «على رسلك أيها الابن (بيار)، لا أعتقد أنهما يعرفان الكثير عن (المختارين) أو السادة القادة لـ(أبناء النور)، أليس كذلك؟ لا، لا أعتقد هذا. على الأقل حاولا ألا تجادلا أو تصيحا من أجل الابن (بيار)، حسنًا؟ لا أريد منكما سوى أن تمشيا في (النور)، واستسلامكما للغضب لن يفيد أحدًا».

نظر (بيرين) إلى الرجل نحيل الوجه الذي يقف أمامهما. *من أجل الابن (بيار)*؟ لقد لاحظ أن السيد القائد لم يأمر (بيار) أن يتركهما وشأنهما. حدق (بيار) إلى عينيه وابتسم، ابتسامة بالكاد ظهرت على شفتيه، ولكن الجلد صار مشدودًا أكثر على وجهه، حتى بدا كجمجمة، فارتجف (بيرين).

قال (بورنهالد) باهتمام: «لقد سمعت حكايات عن بشر يعيشون مع الذئاب، ولكني لم أرَ الأمر بنفسي من قبل. من المفترض أن هؤلاء البشر يتحدثون مع الذئاب ومع مخلوقات أخرى من مخلوقات (سيد الظلام). إنه فعل قذر ويجعلني أخشى أن (المعركة الأخيرة) قد اقتربت بالفعل».

«الذئاب ليست...». بتر (بيرين) جملته عندما رأى (بيار) يحرك قدمه للوراء استعدادًا لركله، ثم أخذ نفسًا عميقًا وأكمل حديثه بنبرة أكثر اعتدالًا، فخفض (بيار) حذاءه وقد بدا عليه خيبة الأمل. «الذئاب ليست من مخلوقات (سيد الظلام)، إنهم يكرهون (سيد الظلام)، أو على الأقل يكرهون (الترولوكيين) و(العواتم)». اندهش لرؤية الرجل نحيل الوجه يومئ برأسه كأنما لنفسه.

رفع (بورنهالد) حاجبًا وقال: «من أخبرك بهذا؟».

قالت (إيجوين): «واحد من (الحماة)». ثم انكمشت بعيدًا عن عيني (بيار) المحدجتين. «قال إن الذئاب تكره (الترولوكيين) وإن (الترولوكيين) يخافون من الذئاب». كان (بيرين) مسرورًا لأنها لم تذكر (إلياس).

تنهد الرجل الأشيب وقال: «واحد من (الحماة)، واحد من مخلوقات ساحرات (تار ڤالون). أي شيء عدا هذا يمكن أن يقوله، بينما هو نفسه من (أصدقاء الظلام)، وخادم لـ(أصدقاء الظلام)؟ ألا تعرفين أن (الترولوكيين) لديهم خطوم الذئاب وأنيابها وفراؤها؟».

رمش (بيرين) بعينيه محاولًا أن يُصفي ذهنه، لا يزال يشعر أن دماغه كهلام مؤلم، ولكنه أحس أن هناك خطأً ما. لم يستطع أن ينظم أفكاره لتفسير الأمر.

تمتمت (إيجوين) قائلة: «ليس جميعهم». ألقى (بيرين) نظرة حذرة ناحية (بيار)، ولكن الرجل النحيل كان ينظر إليها. «بعضهم لديهم قرون كالكباش أو الماعز، أو مناقير كالصقور، أو... أو... أشياء كثيرة مختلفة».

هز (بورنهالد) رأسه في حزن وقال: «لقد منحتكما فرصة كاملة ولكنكما تورطان نفسيكما أكثر مع كل كلمة». ثم رفع إصبعًا وقال: «أنتما تعيشان مع الذئاب، مخلوقات (سيد الظلام)». رفع إصبعًا ثانيًا. «أنتما تعترفان أنكما على معرفة بواحد من (الحماة)، مخلوق آخر من مخلوقات (سيد الظلام). أشك أنه كان سيخبركما بحقيقته إن كان مجرد عابر سبيل». ثم إصبعًا ثالثًا. «أنت أيها الفتى معك مارك فضي من (تار ڤالون) في جيبك. معظم الناس خارج (تار ڤالون) يتخلصون من هذه الأشياء بأسرع ما يستطيعون، ما لم يكونوا يخدمون ساحرات (تار ڤالون)». إصبعًا رابعًا. «أنت تحمل سلاح رجل مقاتل بينما ترتدي ثياب مزارع. أنت متسلل إذن». ثم رفع إبهامه وقال: «أنتما تعرفان بشأن (الترولوكيين) و(الميردرال). الجميع هنا في أقصى الجنوب يعتقدون أنهم ليسوا سوى مجرد حكايات باستثناء عدد قليل من الباحثين الذين قد ارتحلوا إلى (البلاد الحدودية). إن كان هناك من يعتقد غير هذا فأخبراني أين؟ لقد ارتحلت كثيرًا إلى (البلاد الحدودية) وأعرفهم جيدًا، صحيح؟ حسنًا إذن». ثم نظر إلى يده المفرودة قبل أن يهوي بها بقوة على الطاولة، إن التعبير المرتسم على وجهه يقول إن الجد يرى أن حفيديه قد تسببا في متاعب خطيرة حقًّا. «لم لا تخبراني بحقيقة الأمر وكيف انتهى بكما المطاف بصحبة الذئاب أثناء الليل؟».

فتحت (إيجوين) فمها للتحدث، ولكن (بيرين) أدرك من العناد المرتسم على وجهها أنها على وشك أن تحكي واحدة من الحكايات التي قد اختلقاها، هذا لن يُجدي نفعًا، ليس الآن، وليس هنا. أحس برأسه يؤلمه وتمنى لو أن لديه وقتًا كافيًا للتفكير في الأمر، ولكن لم يكن هناك وقت. من يعرف أي بلاد قد زارها (بورنهالد) وأي أراضٍ وأي مدن يعرفها جيدًا؟ إن أدرك أنهما يكذبان فلن يكون هناك مجال للتراجع إلى قول الحقيقة. سيكون (بورنهالد) مقتنعًا بأنهما من (أصدقاء الظلام) حينها.

قال على الفور: «نحن من (النهرين)».

حدقت إليه (إيجوين) بشكل فج قبل أن تتمالك نفسها، ولكنه استمر في قول الحقيقة، أو نسخة منها؛ هما الاثنان قد غادرا (النهرين) لرؤية (كايملين)، وفي طريقهما إلى هناك سمعا عن أطلال مدينة عظيمة، ولكن عندما عثرا على (شادار لوجوث) وجدا (الترولوكيين) هناك. استطاعا هما الاثنان أن يهربا عبر (نهر آرينيل)، ولكن بحلول ذلك الوقت كانا قد ضلا طريقهما. ثم التقيا برجل عرض عليهما أن يرشدهما إلى (كايملين)، لم يخبرهما باسمه وقال إن هذا ليس من شأنهما، وبالكاد بدا ودودًا ولكنهما كانا بحاجة إلى من يرشدهما. لم يرَ أي منهما الذئاب إلا عندما ظهر (أبناء النور)، كل ما كانا يحاولان فعله هو الاختباء حتى لا تأكلهما الذئاب أو يقتلهما الرجال الذين على صهوة الخيول.

ثم أنهى حديثه قائلًا: «... لو كنا نعرف أنكم (أبناء النور) للجأنا إليكم طلبًا للنجدة».

تنهد (بيار) في عدم تصديق ولكن (بيرين) لم يُبالِ بهذا كثيرًا، إن اقتنع السيد القائد بما قاله فلن يقدر (بيار) على إيذائهما. كان من الواضح أن (بيار) سيتوقف عن التنفس إن أمره السيد القائد (بورنهالد) بهذا.

بعد لحظة قال الرجل الأشيب: «لا يوجد أي (حامٍ) في هذه الحكاية».

لقد فشلت حكاية (بيرين) الملفقة، كان يعرف أنه بحاجة إلى المزيد من الوقت للتفكير. ولكن (إيجوين) تدخلت على الفور قائلة: «لقد التقينا به في (بايرلون)، كانت المدينة مكتظة بالرجال الذين جاؤوا من المناجم بعد الشتاء. لقد جلسنا على نفس الطاولة معه، ولم نتحدث معه إلا فترة تناول الوجبة».

استطاع (بيرين) أن يتنفس مرة أخرى. *شكرًا لكِ يا (إيجوين)*.

«فلتعد إليهما متعلقاتهما أيها الابن (بيار). ليس الأسلحة بالطبع». عندما نظر إليه (بيار) في دهشة أضاف قائلًا: «أم أنك أحد هؤلاء الذين اعتادوا نهب غير المستنيرين أيها الابن (بيار)؟ إنه عمل سيئ، صحيح؟

لا يمكن لمن يمشي في (النور) أن يكون لصًّا». بدا على (بيار) أنه يصارع عدم تصديقه للأمر.

قالت (إيجوين) في دهشة: «إذن فستدعنا نذهب؟». فرفع (بيرين) رأسه لينظر إلى السيد القائد.

قال (بورنهالد) بحزن: «بالطبع لا يا طفلتي. ربما تكونان صادقين بشأن كونكما من (النهرين)، بما أنكما تعرفان بشأن (بايرلون) والمناجم، ولكن (شادار لوجوث)...؟ هذا اسم لا يعرفه إلا عدد قليل للغاية، ومعظمهم من (أصدقاء الظلام)، وأي شخص لديه ما يكفي من المعرفة لأن يعرف هذا الاسم فإنه يعرف ما يكفي لكيلا يذهب إلى هناك. أقترح أن تفكرا في حكاية أفضل أثناء رحلتنا إلى (أمادور)، سيكون لديكما ما يكفي من الوقت بما أننا سنضطر للتوقف في (كايملين). من الأفضل أن تكون الحقيقة يا طفلتي، هناك حرية في الحقيقة وفي (النور)».

نسي (بيار) بعضًا من ـتبجيله للرجل الأشيب فأدار ظهره للأسيرين وكان هناك غضب شديد في كلماته. «لا يمكنك هذا! هذا غير مسموح به!». رفع (بورنهالد) حاجبًا في تساؤل فتمالك (بيار) نفسه على الفور، وازدرد لعابه قبل أن يقول: «فلتغفر لي يا سيدي القائد لقد تماديت في الأمر، وأطلب عفوك بكل تواضع، وسأُخضع نفسي للكفارة. ولكن كما أشار سيدي القائد بنفسه فإننا يجب أن نصل إلى (كايملين) في الوقت المناسب، ومع خسارتنا لمعظم خيولنا فإننا سنواجه ضغطًا كبيرًا بما يكفي دون أن نحمل أسرى معنا».

سأله (بورنهالد) بهدوء: «وما الذي تقترحه؟».

«عقوبة (أصدقاء الظلام) هي الموت». الصوت الخالي من المشاعر جعل الأمر برمته يبدو منفرًا للغاية، كأنما يقترح دهس حشرة. «لا يوجد أي مهادنة مع (الظل)، لا يوجد أي رحمة لـ(أصدقاء الظلام)».

«الحماس أمر يستحق الثناء أيها الابن (بيار)، ولكن كما أقول عادة لابني (داين) إن الحماسة المفرطة يمكن أن تكون خطأً فادحًا. تذكر أن التعاليم تقول أيضًا؛ لا يوجد رجل ضال لا يمكن إعادته (للنور). هذان الاثنان لا يزالان صغيرين، لا يمكن أن يكونا قد تعمقا في (الظل) بعد، لا يزال من الممكن أن نهديهما إلى (النور)، إن سمحا فقط بأن يُزاح (الظل) من على أعينهما. يجب أن نمنحهما هذه الفرصة».

للحظة كاد (بيرين) أن يشعر بعاطفة تجاه الجد الذي حال بينهما وبين (بيار)، ثم التفت (بورنهالد) بابتسامته الودود إلى (إيجوين) وقال: «إذا رفضتِ العودة (للنور) بحلول الوقت الذي نصل فيه إلى (أمادور) فسوف أكون مجبرًا على تسليمك إلى المستجوبين، وحماس (بيار) بالمقارنة معهم هو مجرد شمعة بجانب الشمس». بدا الرجل الأشيب كرجل نادم على ما هو مضطر لفعله، ولكنه ليس لديه أي نية لفعل أي شيء سوى الواجب كما يراه. «فلتتوبي وتتبرئي من (سيد الظلام)، عودي إلى (النور) واعترفي بخطاياكِ وأخبرينا بما تعرفينه عن هذا الأمر الدنيء مع الذئاب وسيُعفى عنكِ وستمشين بحرية في (النور)». ثم حدج (بيرين) بنظره وتنهد بحزن، فأحس (بيرين) ببرودة ثلجية تزحف على عموده الفقري. «أما أنت يا (بيرين) من (النهرين) فأنت قد قتلت اثنين من (أبناء النور)». ثم لمس الفأس الذي ما زال (بيار) يحمله قبل أن يقول: «أخشى أن هناك مشنقة في انتظارك في (أمادور)».

الفصل الواحد والثلاثون

اعزف من أجل عشائك

ضيق (راند) عينيه وهو ينظر إلى الأثر الترابي الذي ارتفع أمامه على بعد ثلاثة منحنيات من الطريق أو أربعة. كان (مات) قد توجه بالفعل ناحية السياج البري المحاذي للطريق، إن أوراق الأشجار دائمة الخضرة والأغصان الكثيفة المتشابكة ستخفيهما جيدًا كأي جدار حجري إن استطاعا أن يجدا طريقة للوصول إلى الجانب الآخر. كان الجانب الآخر من الطريق به أشجار يابسة متناثرة بارتفاع رجل، ومن ورائها حقل مفتوح لمسافة نصف ميل حتى الغابة. ربما كان جزءًا من مزرعة قد هُجِرت منذ زمن بعيد، ولكنها لا توفر مكانًا للاختباء السريع. حاول أن يستنتج سرعة الأثر الترابي وسرعة الرياح.

هبة مفاجئة من الرياح جعلت تراب الطريق يثور من حوله ليحجب كل شيء، فرمش بعينيه وعدل من وضع الوشاح الداكن على أنفه وفمه. لم يعد الوشاح نظيفًا للغاية، مما جعله يشعر بحكة في وجهه، ولكنه يحميه من استنشاق الغبار مع كل نفس. كان قد أعطاه له مزارع؛ رجل كئيب الوجه قد حفر القلق أخاديد على وجنتيه.

كان قد قال بعبوس قلق: «لا أعرف ما الذي تهربان منه، ولا أرغب في معرفته، هل تفهمان؟ عائلتي». فجأة أخرج المزارع من جيب معطفه وشاحين طويلين من الصوف وأعطاهما لهما. «هذا ليس بالكثير، ولكن إليكما هذين، إنهما ملك ابنيَّ ولكن لديهما أوشحة أخرى. أنتما لا تعرفانني، هل تفهمان؟ إنها أوقات عصيبة».

أحس (راند) بالامتنان من أجل الوشاح، إن قائمة مبادرات اللطف التي صاغها في عقله في الأيام التي تلت هروبهما من (الجسر الأبيض) كانت قصيرة، ولم يعتقد أنها قد تصير أطول.

(مات) الذي كان وجهه مخفيًا وراء الوشاح الملتف على رأسه باستثناء عينيه كان يبحث بشكل محموم على طول السياج الطويل جاذبًا الأغصان المورقة. لمس (راند) علامة البلشون على مقبض سيفه المعلق في حزامه ثم ترك يده تهوي بجواره. لقد حدث هذا مرة بالفعل؛ قطع فتحة في سياج كاد أن يكشف عن موضعهما. كان الأثر الترابي يتحرك ناحيتهما دون أن يتفرق، إنها ليست الرياح، على الأقل لم تكن تمطر، فالمطر يخمد الغبار، ولكن مهما هطل بغزارة فإنه لا يحول الطريق الترابي إلى طين، ولكن عندما تمطر لا يكون هناك غبار. كان الغبار هو التحذير الوحيد الذي يتلقونه قبل أن يقترب أي من هو قادم بما يكفي لسماعه، أحيانًا يكون هذا متأخرًا للغاية.

قال (مات) بصوت خفيض: «هنا». وبدا أنه يخطو مباشرة عبر السياج. أسرع (راند) إلى هذه البقعة، أحدهم قد قطع فتحة هنا ذات مرة. كانت الأغصان قد نبتت جزئيًّا من فوقها، ومن على بُعد ثلاثة أقدام كان السياج يبدو سليمًا. ولكن من القرب لم يكن هناك سوى حاجز رفيع من الأغصان. بينما هو يعبر من خلال السياج سمع صوت خيول تقترب، لم تكن الرياح.

ربض وراء الفتحة التي تخفيه بالكاد وقد أمسك بمقبض سيفه بينما الركبان تمر من جواره. خمسة... ستة... سبعة منهم. كانوا يرتدون ملابس تقليدية ولكن السيوف والحراب تشي بأنهم ليسوا قرويين، بعضهم يرتدون سترات جلدية بها أجزاء معدنية، واثنان منهم يرتدون خوذتين فولاذيتين مستديرتين. ربما هم حراس تجار ينتظرون من يستأجرهم، ربما.

نظر أحدهم ببساطة تجاه السياج بينما هم يمرون من جوار الفتحة فاستل (راند) بوصة من سيفه. زمجر (مات) بصمت كغرير محاصر وهو يضيق عينيه من فوق وشاحه. كانت يده أسفل معطفه، دومًا ما يُمسك بالخنجر الذي جلبه من (شادار لوجوث) عندما يكون هناك خطر. لم يعد (راند) واثقًا إن كان هذا لحماية نفسه أم لحماية الخنجر ذي الياقوتة. مؤخرًا بدا أن (مات) ينسى أحيانًا أن معه قوسًا.

مر الركبان بهرولة بطيئة، ذاهبين إلى مكان ما لغرض ما، ولكن بلا استعجال. تخلل الغبار السياج.

انتظر (راند) حتى تلاشى صوت حوافر الخيول قبل أن يبرز برأسه بحذر عبر الفتحة. كان الأثر الترابي قد ابتعد عبر الطريق نحو الاتجاه الذي جاءا منه. كانت السماء صافية باتجاه الشرق. خرج عائدًا إلى الطريق وهو يراقب الأثر الترابي متحركًا نحو الغرب.

قال في مزيج من التقرير والتساؤل: «إنهم لا يسعون وراءنا».

خرج (مات) من ورائه وهو ينظر في كلا الاتجاهين بحذر قبل أن يقول: «ربما، ربما».

لم يكن (راند) واثقًا مما يقصده (مات) ولكنه أومأ برأسه، ربما. لم تكن رحلتهما عبر (طريق كايملين) قد بدأت هكذا.

لفترة طويلة بعد مغادرة (الجسر الأبيض) كان (راند) يجد نفسه فجأة يلتفت لينظر إلى الطريق من ورائهما، أحيانًا ما يرى شخصًا يجعله يحبس

أنفاسه، رجلًا طويلًا نحيلًا يسرع عبر الطريق، أو رجلًا هزيلًا أبيض الشعر يجلس بجانب السائق في عربة، ولكنه دومًا ما يكون بائعًا جائلًا أو مزارعًا يشق طريقه إلى السوق، ولم يكن أحدهم قط هو (توم ميريلين). تلاشى الأمل مع مرور الأيام.

دومًا ما يكون هناك مارة في الطريق، عربات أو أشخاص يمتطون الخيول، أو يمشون على أقدامهم، يأتون فرادى أو في جماعات، قافلة من عربات التجار، أو عشرة من الركبان معًا. لم يتسببوا قط في اختناق الطريق، وعادة لا يكون هناك شيء في الأفق سوى الأشجار الخالية من الأوراق بمحاذاة الطريق الترابي الممهد، ولكن بالتأكيد كان عدد المسافرين أكثر مما قد رآه (راند) في (النهرين).

معظمهم يسافرون في نفس اتجاههما؛ شرقًا نحو (كايملين). أحيانًا ما يقلهما مزارع في عربته لمسافة قصيرة؛ ميل، أو خمسة، ولكن معظم الوقت كانا يمشيان. كانا يتجنبان الرجال الذين يمتطون الخيول، وعندما يريان ولو راكب واحد في الأفق كانا يبتعدان عن الطريق ويختبئان حتى يمر. لم يكن أي منهم يرتدي عباءة سوداء، ولم يعتقد (راند) حقًّا أن أي (عاتم) قد يمنحهما أي فرصة لرؤيته وهو يقترب، ولكن لم يكن هناك داعٍ للمخاطرة. في البداية كانا فقط يخشيان (أنصاف البشر).

أول قرية بعد (الجسر الأبيض) كانت تبدو كثيرًا مثل (إيموندز فيلد)، حتى أن خطوات (راند) تعثرت عندما رآها؛ أسقف محدبة مغطاة بالقش، والزوجات الصالحات في مآزرهن يثرثرن من فوق الأسيجة التي تفصل بين بيوتهن، وأطفالهن يلعبون في ساحة خضراء واسعة. كان شعر النساء منسدلًا على أكتافهن بدون جدائل، وبعض الأشياء الصغيرة الأخرى كانت مختلفة، ولكن الصورة العامة كانت تشبه الديار. كانت الأبقار ترعى في الساحة الخضراء، والإوز يتهادى في الشوارع. الأطفال يتعثرون ويضحكون في التراب حيث اختفت الحشائش تمامًا. لم يلتفتوا حتى عندما مر (راند) و(مات) من جوارهم، كان هذا شيئًا آخر مختلفًا، لم يكن مرور

الغرباء أمرًا غير معتاد هنا، لذا لم يجذبا الكثير من الاهتمام. لم تفعل كلاب القرية شيئًا سوى أن رفعت رؤوسها لتتشمم الهواء أثناء مروره هو و(مات) دون أن تُبالي بالأمر بدورها.

كان الوقت قد شارف على المساء أثناء مرورهما عبر القرية، فأحسا بوخز من الحنين إلى الديار عندما ظهرت الأضواء في النوافذ. كان هناك صوتًا يهمس في عقله؛ *مهما بدت شبيهة بالديار إلا أن هذه ليست الديار حقًا، حتى لو دلفت إلى واحد من هذه البيوت فلن تجد (تام) هناك، حتى لو وجدته فهل تستطيع أن تنظر إلى عينيه؟ أنت تعرف الآن، أليس كذلك؟ باستثناء الأشياء الصغيرة، مثل من أين أتيت، ومن أنت. لم تكن هلاوس حمى.* تهدل كتفاه في وجه ضحكة ساخرة داخل عقله، قال الصوت باستهزاء؛ *ربما عليك أن تتوقف هنا، فلم يعد هناك فارق بين مكان وآخر بينما أنت لا تنتمي إلى أي مكان، وقد وضع عليك* (سيد الظلام) *علامته.*

جذبه (مات) من كمه ولكنه أفلت نفسه منه وهو يحدق إلى البيوت، لم يرغب في أن يتوقف، ولكنه كان يرغب في أن ينظر ويتذكر. *المكان يُشبه الديار كثيرًا، ولكنك لن تراها مرة أخرى، أليس كذلك؟*

جذبه (مات) مرة أخرى، كان وجهه مشدودًا والجلد المحيط بفمه وعينيه أبيض. تمتم (مات): «هيا بنا». ثم نظر إلى القرية كأنه يتوقع أن يوجد شيء مختبئ هناك. «هيا بنا، لا يمكننا أن نتوقف بعد».

دار (راند) حول نفسه دورة كاملة لينظر إلى القرية كلها ثم تنهد، إنهما ليسا بعيدين للغاية عن (الجسر الأبيض)، إن كان (الميردرال) قادرًا على أن يتجاوز أسوار (الجسر الأبيض) دون أن يراه أحد فلن يواجه أدنى صعوبة على الإطلاق في تفتيش هذه القرية الصغيرة. سمح لـ(مات) أن يجذبه إلى الأراضي الريفية وراء القرية حتى صارت البيوت ذات الأسقف المصنوعة من القش وراءه.

حل الليل قبل أن يعثرا على بقعة في ضوء القمر تحت بعض الشجيرات التي لا تزال تحمل أوراقها اليابسة، ملأ كل منهما بطنه بالماء البارد من جدول ضحل ليس ببعيد عنهما، ثم تكوما على الأرض وتدثرا في عباءتيهما بدون نار. يُمكن أن يرى أحدهم النار، من الأفضل أن يتحملا البرد.

كان (راند) يستيقظ كثيرًا وقد أصابته ذكرياته بالاضطراب، وفي كل مرة يكون قادرًا على سماع (مات) يتقلب ويغمغم في نومه. لم يكن يحلم، كان باستطاعته أن يتذكر هذا، ولكنه لم ينم جيدًا. *لن ترى الديار مرة أخرى.*

لم تكن هذه هي الليلة الوحيدة التي يقضيانها بلا أي شيء يحميهما من الرياح سوى عباءتيهما، وأحيانًا المطر والبرد والبلل. لم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي تكون فيها وجبتهما من الماء البارد ولا شيء سواه. كان ما يحملانه من العملات المعدنية معًا كافيًا لبضع وجبات في حانة، ولكن فراشًا لقضاء الليل سيكون باهظًا، إن تكلفة الأشياء كبيرة خارج (النهرين)، وتكلفتها على هذا الجانب من (نهر آرينيل) أكثر من (بايرلون). من الأفضل أن يوفرا ما لديهما من مال من أجل الحالات الطارئة.

في مساء أحد الأيام ذكر (راند) الخنجر الذي يحمل ياقوتة في مقبضه، بينما هما يجران أقدامهما عبر الطريق بمعدتين فارغتين للغاية فلا تقدران على القرقرة، والشمس خفيضة وضعيفة ولا يوجد شيء على مرمى البصر مع حلول الليل سوى المزيد من الشجيرات. كانت السحب الداكنة تتراكم فوق رأسيهما أثناء الليل استعدادًا للإمطار. كان يأمل أن يكونا محظوظين وألا يكون أكثر من مجرد رذاذ بارد.

قطع بضع خطوات قبل أن يُدرك أن (مات) قد توقف فتوقف بدوره وهو يلوي أصابع قدميه في حذائه. على الأقل يشعر بالدفء في قدميه. أرخى الأحزمة من على كتفيه، فلم تكن لفة بطانياته ثقيلة، وكذلك حزمة عباءة (توم)، ولكن حتى بضعة أرطال قليلة تبدو ثقيلة بعد أميال من السير بمعدة خاوية. قال: «ما الخطب يا (مات)؟».

سأله (مات) في غضب: «لم أنت متلهف هكذا لبيعه؟ أنا من عثر عليه، ألا تعتقد أنني قد أرغب في الاحتفاظ به؟ لبعض الوقت على الأقل. إن كنت ترغب في بيع شيء فلتبع هذا السيف اللعين».

مرر (راند) يده على المقبض الذي يحمل علامة البلشون وقال: «لقد أعطاني أبي هذا السيف، لقد كان سيفه، أنا لن أطلب منك بيع شيء قد أعطاه لك أبوك. بحق الدماء والرماد يا (مات)، هل يعجبك البقاء جائعًا؟ على أي حال حتى لو عثرنا على شخص لكي يشتريه فبكم سنبيع هذا السيف؟ هذه الياقوتة ستجلب لنا ما يكفي من المال لكي نذهب إلى (كايملين) في عربة، وربما حتى إلى (تار ڤالون)، وسنأكل كل وجبة في حانة، وسننام كل ليلة في فراش. ربما تعجبك فكرة المشي حتى الجانب الآخر من العالم، والنوم على الأرض؟». ثم حدق إلى صديقه فبادله صديقه التحديق.

وقفا هكذا في منتصف الطريق حتى هز (مات) كتفيه في حرج وأطرق بعينيه قائلًا: «من سأبيعه له يا (راند)؟ أي مزارع سيدفع لنا الثمن دجاجًا، ونحن لا يمكننا أن نشتري عربة بالدجاج، وحتى إن عرضته في أي قرية من القرى التي مررنا بها فإنهم على الأرجح سيعتقدون أننا قد سرقناه. و(النور) وحده يعرف ما الذي يُمكن أن يحدث حينها».

بعد دقيقة أومأ (راند) برأسه بتردد وقال: «أنت محق، أنا أعرف هذا. أعتذر، لم أقصد أن أحتد عليك. الأمر وما فيه هو أنني جائع وقدماي تؤلمانني».

«وأنا أيضًا». واصلا السير عبر الطريق مرة أخرى بتعب أكثر من ذي قبل. هبت الرياح لتثير الغبار في وجهيهما فسعل (مات) وقال: «وأنا أيضًا».

كانت المزارع توفر لهما بعض الوجبات وبضع ليالٍ بعيدًا عن البرد، إن كومة من القش تكاد أن تكون دافئة مثل غرفة بها مدفأة، على الأقل

مقارنة بالنوم تحت الشجيرات، وكومة قش حتى بدون غطاء قماشي من فوقهما تحميهما من كل شيء باستثناء المطر الغزير، إن دفنت نفسك فيها عميقًا بما يكفي. أحيانًا ما يحاول (مات) سرقة بعض البيض، وذات مرة حاول أن يحلب بقرة تُرِكَت دون أن يُراقبها أحد معتمدين على حبل طويل يربطها إلى شجرة في أحد الحقول. ولكن معظم المزارع بها كلاب، وكلاب المزارع تكون يقظة، وكان (راند) يرى أن الجري لمسافة ميلين بينما الكلاب في أعقابهما لهو ثمن باهظ مقابل بيضتين أو ثلاث، وخصوصًا عندما تستغرق الكلاب ساعات لكي تتركهما وشأنهما وتبتعد بما يسمح لهما بالنزول من شجرة قد اتخذاها ملجأً لهما. كانت هذه الساعات هي ما يندم عليه.

لم يكن (راند) يحب فعل هذا، بل كان يفضل اللجوء إلى أي بيت ريفي في وضح النهار. من آن لآخر يُطلق الناس الكلاب في أعقابهما على أي حال، قبل حتى أن يتفوها بكلمة، فالشائعات والأوقات العصيبة جعلت من يعيشون في عزلة يشعرون بالقلق تجاه الغرباء، ولكن عادة ما يكون قضاء ساعة أو ما يقرب من هذا في قطع الحطب أو حمل الماء كافيًا لأن ينالا وجبة وفراشًا، حتى إن كان هذا الفراش هو كومة من القش في الحظيرة. ولكن ساعة أو ساعتين وهما يؤديان هذه الأعمال الشاقة يعني أن يظلا في نفس الموضع لساعة أو ساعتين في وضح النهار، حيث يمكن (للميردرال) أن يلحق بهما في هذا الوقت. أحيانًا ما يتساءل عن عدد الأميال التي يمكن (للميردرال) أن يقطعها في ساعة. كان يشعر بالأسف على كل دقيقة، ولكنه صراحة لم يكن يشعر بالأسف عندما يلتهم حساءً ساخنًا قد أعدته زوجة صالحة. وعندما لا يكون لديهما طعام فإن معرفة أنهما سيقضيان كل دقيقة ممكنة في التحرك باتجاه (كايملين) لم تكن تهون على معدتيهما الخاويتين. لم يكن باستطاعة (راند) أن يقرر إن كان من الأسوأ أن يضيعا الوقت أم أن يمضيا قُدُمًا جائعين. ولكن قلق (مات) كان يتجاوز معدته الخاوية أو المضي قُدُمًا.

ذات ظهيرة بينما هما ينظفان إسطبل مزرعة صغيرة سأله (مات): «ما الذي نعرفه عنهم على أي حال؟».

قال (راند): «بحق (النور) يا (مات)، ما الذي يعرفونه هم عنا؟». ثم عطس. كانا يعملان وهما عاريان الجذع، بينما يغطيهما العرق والقش بكثافة، وغبار القش معلق في الهواء. «ما أعرفه هو أنهم سيمنحوننا بعض لحم الضأن المشوي وفراشًا حقيقيًّا لننام عليه».

غرس (مات) شوكته في القش والسماد ونظر نظرة جانبية عابسة إلى المزارِع القادم من مؤخرة الحظيرة بدلو في يده وكرسي حلب في اليد الأخرى. رجل عجوز منحني الظهر متغضن الوجه أشيب الشعر. أبطأ المزارع عندما رأى (مات) ينظر إليه ثم أشاح بنظره بعيدًا وهرول إلى خارج الحظيرة مما جعل اللبن ينسكب من فوق حافة الدلو أثناء إسراعه.

قال (مات): «صدقني، إنه يضمر شيئًا ما، هل رأيت كيف تحاشى النظر إلى عيني؟ لماذا هما ودودان للغاية مع اثنين من عابري السبيل لم يرياهما من قبل؟ فلتفسر لي هذا».

«قالت زوجته إننا نذكرها بأحفادهما، هلا كففت عن القلق؟ لقد تجاوزنا ما يجب علينا القلق بشأنه. آمل هذا».

قال (مات): «إنه يضمر شيئًا ما». عندما انتهيا اغتسلا في الحوض الصغير أمام الحظيرة وظلَّاهما يستطيلان مع غروب الشمس. جفف (راند) جسمه بقميصه بينما هما يسيران إلى داخل البيت الريفي. التقى بهما المزارع عند الباب وهو يتوكأ على عصا بطريقة عفوية أكثر من اللازم، ومن ورائه زوجته تُمسك بمئزرها وهي تختلس النظر من فوق كتفه وتعض على شفتها. تنهد (راند)، لم يعد يعتقد أنه هو و(مات) يذكرانهما بأحفادهما.

قال الرجل العجوز: «أبناؤنا قادمون لزيارتنا، أربعتهم، لقد نسيت هذا، أربعتهم قادمون. فتية ضخام وأقوياء، سيصلون في أي لحظة. أخشى أننا لم نعد نملك الفراش الذي وعدناكما به».

من ورائه دفعت إليهما زوجته بحزمة صغيرة ملفوفة في منديل وقالت: «هاك، إنه خبز وجبن ومخلل ولحم ضأن، ما يكفي لوجبتين، ربما. هاك». كان وجهها المتغضن يرجوهما أن يأخذا الحزمة ويرحلا.

أخذ (راند) الحزمة وقال: «شكرًا لكِ، أنا أتفهم. هيا بنا يا (مات)».

لحق به (مات) متذمرًا وهو يرتدي قميصه. فكر (راند) أنه من الأفضل أن يقطعا قدر ما يستطيعان من الأميال قبل أن يتوقفا لتناول الطعام. المزارع العجوز لديه كلب.

فكَّر أن هذا لم يكن أسوأ ما حدث لهما. منذ ثلاثة أيام بينما هما لا يزالان يعملان أُطلِقت الكلاب في أعقابهما. الكلاب والمزارع وابناه وهما يلوحان بهراوتين ويلاحقونهما عبر (طريق كايملين) لمسافة نصف ميل قبل أن يستسلموا. بالكاد كان لديهما وقت لالتقاط متعلقاتهما والهرب. كان المزارع يحمل قوسًا به سهم عريض الرأس.

صاح من ورائهما: «لا تعودا إلى هنا مطلقًا، هل تسمعانني! أنا لا أعرف ما الذي تخططان له ولكن لا تدعاني أرى وجهيكما الماكرين مرة أخرى».

استدار (مات) للعودة وهو يستل سهمًا من جعبته، ولكن (راند) جذبه وهو يقول: «هل أنت مجنون؟». نظر إليه (مات) بوجوم، ولكنه على الأقل واصل الجري.

أحيانًا ما يفكر (راند) إن كان من المجدي أن يتوقفا في المزارع، كلما مضيا في طريقهما قُدُمًا ازداد (مات) ارتيابًا في الغرباء، وصار أقل قدرة على إخفاء هذا، أو لم يعد يُبالي بإخفائه. صارت الوجبات أقل حجمًا مقابل نفس العمل، وأحيانًا لا يُسمَح لهما حتى بالنوم في الحظيرة. ولكن خطر على بال (راند) حلًّا لكل مشكلاتهما، أو هكذا بدا له، وقد خطر له الأمر في مزرعة (جرينويل).

كان لدى السيد (جرينويل) وزوجته تسعة أبناء، والابنة الكبرى كانت أصغر من (راند) و(مات) بعام على الأقل. كان السيد (جرينويل) رجلًا قويًّا، وبوجود أبنائه لم يكن على الأرجح بحاجة إلى المزيد من المساعدة، ولكنه نظر إليهما مليًّا متأملًا ملابس سفرهما المتسخة وحذائيهما المغبرين، ثم أخبرهما أنه باستطاعته دومًا أن يجد عملًا للمزيد من الأيادي. قالت السيدة (جرينويل) إنهما إن كانا سيتناولان الطعام على مائدتها فإنهما لن يفعلا هذا بمثل هذه الملابس المتسخة. كانت تستعد من أجل غسل الملابس، وبعض ملابس زوجها القديمة ستناسبهما جيدًا من أجل العمل. ابتسمت وهي تقول هذا، وللحظة بدا لـ(راند) أنها تشبه السيدة (ألڤير)، رغم أن شعرها كان أصفر، وهو لم يرَ شعرًا بهذا اللون من قبل. حتى (مات) بدا أنه قد تخلص من بعض توتره عندما لمسته ابتسامتها. أما الابنة الكبرى فقد كانت شيئًا مختلفًا.

كانت (إيلس) الجميلة ذات الشعر الأسود والعينين الواسعتين تبتسم لهما بدون خجل بعيدًا عن أنظار والديها. بينما هما يعملان على حمل البراميل وجوالات الحبوب إلى الحظيرة كانت تظل جالسة على باب الاسطبل تدندن لنفسها وتمضغ طرف جديلة طويلة وهي تراقبهما. كانت تراقب (راند) على وجه الخصوص. حاول أن يتجاهلها ولكن بعد بضع دقائق ارتدى القميص الذي أعاره إياه السيد (جرينويل)، كان ضيقًا عند الكتفين وقصيرًا للغاية، ولكنه أفضل من لا شيء. ضحكت (إيلس) بصوتٍ عالٍ عندما ارتدى القميص. بدأ يفكر أنهما إن تعرضا للطرد هذه المرة فلن يكون بسبب (مات).

قال لنفسه؛ *كان (بيرين) ليعرف كيف يتعامل مع الأمر.* كان سيعلق بعض التعليقات المرتجلة وسرعان ما ستضحك على نكاته بدلًا من التسكع حوله بعيدًا عن أنظار أبيها. ولكنه لم يستطع أن يفكر في أي تعليق مرتجل أو أي نكتة. كلما نظر ناحيتها ابتسمت له بطريقة ستجعل أباها يطلق الكلاب عليهما إن رآها. ذات مرة أخبرته أنها تحب الرجال

طوال القامة وأن كل الأولاد في المزارع المحيطة بهم قصار القامة. ضحك (مات) ضحكة ساخرة فتمنى (راند) لو أن باستطاعته التفكير في نكتة، ثم حاول التركيز على شوكة القش.

ولكن الأبناء الصغار على الأقل كانوا مبهجين من وجهة نظر (راند)، ودومًا ما يخف حذر (مات) عندما يكون هناك أطفال من حولهما. بعد العشاء جلسوا جميعًا أمام المدفأة بينما السيد (جرينويل) في كرسيه المفضل وهو يملأ غليونه بالطباق، والسيدة (جرينويل) منشغلة بصندوق الحياكة والقمصان التي قد غسلتها من أجله هو و(مات). أخرج (مات) كرات (توم) الملونة وبدأ في التلاعب بها. لا يفعل هذا مطلقًا ما لم يكن هناك أطفال. ضحك الأطفال عندما تظاهر أنه قد أسقط الكرات قبل أن يُمسك بها في اللحظة الأخيرة، ثم صفقوا عندما أدى بعض الحركات المعقدة حتى أنه كاد أن يُسقط الكرات حقًّا. لقد استمتعوا بالأمر كثيرًا حتى أن السيد (جرينويل) وزوجته صفقوا بحرارة كأطفالهما. عندما انتهى (مات) انحنى في حركات استعراضية كما كان (توم) ليفعل، ثم أخرج (راند) مزمار (توم) من حقيبته.

لم يكن باستطاعته أن يعزف على الآلة دون أن يشعر بوخزة من الحزن، إن لمس زخرفتها الذهبية والفضية كان أشبه بلمس ذكرى (توم). لم يكن يعزف على القيثارة إلا ليتيقن من أنها سليمة وجافة. لطالما قال (توم) إن عزف القيثارة شيء لا تقدر عليه أيدي الفتيان المزارعين الفظة. ولكن كلما سمح لهم مزارع بالبقاء كان (راند) يعزف لحنًا واحدًا على المزمار بعد العشاء. كان مجرد شيء إضافي صغير يدفع به للمزارعين، وربما طريقة لإبقاء ذكرى (توم) حية.

مع المزاج الضاحك الذي هيَّأه (مات) بتلاعبه بالكرات عزف أغنية (ثلاث فتيات في المروج)، صفق السيد والسيدة (جرينويل) مع اللحن ورقص الأطفال الصغار من حوله، حتى أصغرهم الذي كان بالكاد قادرًا على المشي راح يضرب بقدميه مع اللحن. كان (راند) يعرف أنه لن ينال

أي جائزة في (بِل تاين)، ولكن بعد أن علمه (توم) لن يكون محرجًا من أن يشارك.

كانت (إيلس) تجلس معقودة الساقين أمام المدفأة، وعندما خفض مزماره بعد انتهاء العزف مالت للأمام وهي تتنهد طويلًا وتبتسم لهِ قبل أن تقول: «أنت تعزف بشكل جميل للغاية. لم أسمع من قبل شيئًا بمثل هذا الجمال».

فجأة توقفت السيدة (جرينويل) عن الحياكة ورفعت حاجبًا وهي تنظر إلى ابنتها، ثم نظرت إلى (راند) نظرة تقييمية طويلة.

كان قد أمسك بالحقيبة الجلدية ليضع المزمار فيها، ولكن مع نظرتها أسقط الحقيبة وكاد أن يُسقط المزمار أيضًا. إن كانت تتهمه بالعبث مع ابنتها... في يأس أعاد المزمار إلى شفتيه ثم عزف أغنية أخرى، ثم أخرى، ثم أخرى. ظلت السيدة (جرينويل) تراقبه. عزف (الرياح التي تهز الصفصاف)، و(العودة إلى الديار من أخدود تاروين)، و(ديك السيدة آينورا)، و(الدب الأسود العجوز). عزف كل أغنية خطرت على باله، ولكنها لم ترفع عينيها من عليه. لم تقل أي شيء أيضًا ولكنها ظلت تراقبه وتقيمه.

كان الوقت قد تأخر عندما نهض السيد (جرينويل) أخيرًا ضاحكًا وهو يفرك يديه قبل أن يقول: «حسنًا، من النادر أن نحظى بمرح كهذا، ولكننا قد تجاوزنا وقت النوم بكثير. أنتما أيها الفتيان المسافران فلتقضيا وقتكما كما تشاءان، ولكن الصباح يأتي سريعًا في المزارع. أقول لكما أيها الفتيان لقد دفعت الكثير من المال في حانات من أجل ترفيه لم يكن أفضل مما نلته هذه الليلة، إن لم يكن أسوأ».

حملت السيدة (جرينويل) طفلها الأصغر الذي قد نام منذ وقت طويل أمام المدفأة، ثم قالت: «أعتقد أنه من الأفضل أن ينالا مكافأة يا عزيزي،

الحظيرة ليست مكانًا مناسبًا للنوم، يمكنهما أن يناما في غرفة (إيلس) هذه الليلة، وستنام هي معي».

عبست (إيلس). كانت حريصة على أن تُبقي رأسها منخفضًا ولكن (راند) رأى عبوسها، وخُيِّل إليه أن أمها قد رأته أيضًا.

أومأ السيد (جرينويل) وقال: «أجل، أجل، أفضل بكثير من الحظيرة. إن كنتما لا تمانعان النوم أنتما الاثنان في فراش واحد». احمر وجه (راند) خجلًا، كانت السيدة (جرينويل) لا تزال تنظر إليه. «أنا أود أن أسمع المزيد من هذا المزمار، وتلاعبك بالكرات أيضًا، يعجبني هذا. أتعرفان، هناك مهمة صغيرة يمكنكما مساعدتي فيها في الغد و...».

تدخلت السيدة (جرينويل) قائلة: «سيحتاجان للتحرك باكرًا يا عزيزي، (آرين) هي القرية التالية في وجهتهما، وإن كانا يرغبان في تجربة حظهما في الحانة هناك فسيكون عليهما السير طيلة النهار للوصول إلى هناك قبل حلول الظلام».

قال (راند): «أجل يا سيدتي، سنفعل هذا، وشكرًا لكِ».

منحته ابتسامة متكلفة كأنما تعرف جيدًا أنه يشكرها على أكثر من نصيحتها، أو أكثر حتى من وجبة عشاء وسرير دافئ.

طيلة اليوم التالي راح (مات) يستفزه ساخرًا بذكر (إيلس) بينما هما يمشيان عبر الطريق. حاول (راند) أن يغير الموضوع، وما ذكره (جرينويل) بشأن الاستعراض في الحانات كان أسهل شيء يخطر على باله. في الصباح كان يذكر الأمر لكي يمنع (مات) من الحديث، بينما (إيلس) عابسة وهو يغادر، والسيدة (جرينويل) تراقبه بعينين حادتين ونظرة تشي بأنها سعيدة لرحيله. ولكن بحلول الوقت الذي وصلا فيه إلى القرية التالية صار الأمر مختلفًا تمامًا.

مع حلول الغسق كانا قد دلفا إلى الحانة الوحيدة في (آرين)، وتحدث (راند) مع صاحب الحانة. لقد عزف أغنية (القارب عبر النهر) التي طلبها منه صاحب الحانة البدين، و(عزيزتي سارة)، وجزء من (الطريق إلى دون أرين). وتلاعب (مات) بالكرات قليلًا. وكانت النتيجة هي نومهما في فراش هذه الليلة وتناول البطاطا المشوية ولحم البقر الساخن. كانت أصغر غرفة في الحانة بلا شك، تحت الجزء البارز من السقف في مؤخرة الحانة. وجاءت الوجبة في منتصف ليلة طويلة من العزف والتلاعب بالكرات، ولكنه كان لا يزال فراشًا تحت سقف. والأفضل من هذا بالنسبة لـ(راند) هو أن كل ساعة من النهار كانا يقضيانها في السفر، كما لم يبدُ على رواد الحانات أنهم يبالون إن نظر إليهم (مات) بارتياب، بل إن بعضهم كانوا ينظرون بشك إلى أحدهم الآخر. الأوقات العصيبة جعلت الارتياب في الغرباء أمرًا معتادًا، وهناك دومًا غرباء في أي حانة.

نام (راند) نومًا هنيئًا لم ينعم بمثله منذ أن غادرا (الجسر الأبيض)، رغم مشاركته الفراش مع (مات) الذي يغمغم أثناء نومه. في الصباح حاول صاحب الحانة أن يقنعهما بالبقاء ليوم آخر أو يومين، وعندما لم يقدر على إقناعهما نادى مزارعًا غائم العينين كان قد أفرط في الشراب في الليلة السابقة بما لم يسمح له أن يقود عربته إلى البيت. بعد ساعة كانا على بعد خمسة أميال شرقًا ممددين على ظهريهما على القش في مؤخرة عربة (إيزيل فورني).

صارت هذه هي طريقتهما في الترحال، مع قليل من الحظ، ربما توصيلة أو اثنتين، يمكنهما دومًا أن يصلا إلى القرية التالية قبل حلول الظلام. إن كان هناك أكثر من حانة في القرية فإن أصحاب الحانات يتنافسون في دفع الثمن الأكبر بمجرد سماع عزف (راند) على المزمار ورؤية تلاعب (مات) بالكرات. لم يكن ما يقدمانه مجتمعين يضاهي ما قد يقدمه صانع بهجة، ولكن ما يقدمانه كان أكثر مما رأته معظم القرى في سنوات. وجود حانتين أو ثلاث في بلدة يعني غرفة أفضل مع فراشين وكميات أكبر من

لحم أكثر جودة، وأحيانًا عددًا قليلًا من العملات النحاسية في جيبيهما أثناء مغادرتهما. في الصباح يكون هناك دومًا شخص مستعد لأن يقلهما، مزارع آخر قد قضى الليلة في الحانة بسبب تأخر الوقت وإفراطه في الشرب، أو تاجر يرغب في أن يحظى بالترفيه الذي يقدمانه ولا يمانع أن يقلهما في إحدى عرباته. بدأ (راند) يعتقد أن مشكلاتهما قد انتهت حتى يصلا إلى (كايملين). ثم وصلا إلى قرية (الملوك الأربعة).

الفصل الثاني والثلاثون

الملوك الأربعة في الظل

كانت القرية أكبر من معظم القرى ولكنها لا تزال بلدة وضيعة على أن تحمل اسمًا مثل (الملوك الأربعة). كالعادة كان (طريق كايملين) يمر مباشرة من وسط البلدة، ولكن كان هناك طريق سفر آخر يأتي من الجنوب. معظم القرى كانت أسواقًا وأماكن لتجمع المزارعين في المنطقة، ولكن كان هناك عدد قليل من المزارعين يمكن رؤيته هنا. كانت (الملوك الأربعة) تعد محطة لتوقف قوافل عربات التجار في طريقهما إلى (كايملين) وإلى بلدات التعدين في جبال الضباب وراء (بايرلون)، وكذلك القرى فيما بينهم. الطريق الجنوبي يحمل تجارة (لوجارد) مع المناجم في الغرب. كان التجار (اللوجاردين) الذين يذهبون إلى (كايملين) لديهم طريق مباشر بشكل أكبر. كانت الأراضي الريفية المحيطة بها القليل من المزارع، وبالكاد تكفي لإطعام نفسها وإطعام البلدة، وكل شيء في القرية متمركز حول التجار وعرباتهم، والرجال الذين يقودون العربات، والعمال الذين يُحَمِّلون البضائع.

كان هناك مساحات من الأراضي الترابية العارية متناثرة في أرجاء (الملوك الأربعة)، مليئة بعربات متراصة جنبًا إلى جنب ومهجورة باستثناء عدد قليل من الحراس الضجرين. تصطف الإسطبلات وساحات الخيول

في الشوارع، وكلها واسعة بما يسمح بمرور العربات، وبها أخاديد عميقة بفعل مرور العديد من العجلات. لم يكن هناك ساحة خضراء بالقرية، والأطفال يلعبون في الأخاديد، يتفادون العربات ويسبون السائقين. نساء القرية المغطاة رؤوسهن بالأوشحة يبقين أعينهن خفيضة ويمشين بسرعة، وأحيانًا ما تلاحقهن تعليقات راكبي العربات، التي تجعل وجه (راند) يحمر خجلًا، وجعل بعضها (مات) يجفل. لم تكن هناك امرأة تقف للثرثرة مع جارتها من فوق السياج. البيوت الخشبية الكئيبة متقاربة ولا يفصل بينها إلا أزقة ضيقة، والطلاء الأبيض. حيث اكترث أحد بطلاء الألواح الخشبية المتآكلة. كان باهتًا، كأن أحدًا لم يهتم بتجديده منذ سنوات. النوافذ الثقيلة للبيوت لم تُفتح منذ زمن بعيد حتى أن المفصلات كانت عبارة عن كتل صلبة من الصدأ. كانت الضوضاء تخيم على كل شيء، قعقعة من الحدادين، صراخ من سائقي العربات، ضحك صاخب من حانات البلدة.

قفز (راند) من مؤخرة عربة تاجر عندما صاروا بمحاذاة حانة مطلية بألوان زاهية، ألوانها الصفراء والخضراء بين البيوت الكئيبة جذبت نظره من مسافة بعيدة. واصلت قافلة العربات حركتها دون أن ينتبه أي من السائقين إلى رحيله هو و(مات)، ومع حلول الغسق كان اهتمامهم منصبًّا على فك الأحصنة والوصول إلى الحانات. تعثرت قدم (راند) في أخدود ثم قفز على الفور ليتجنب عربة ثقيلة تقعقع وهي قادمة من الاتجاه الآخر. صاح السائق وسبه بينما العربة تمر من جواره، تخطته امرأة قروية وأسرعت في طريقها دون حتى أن تنظر إليه.

قال: «لا يعجبني هذا المكان». خُيِّل إليه أن باستطاعته أن يسمع موسيقى تختلط بالضجيج، ولكنه لم يستطع أن يحدد الاتجاه الذي تأتي منه. ربما من الحانة، ولكنه لم يكن واثقًا. «لا يعجبني هذا، ربما من الأفضل أن نمضي قُدُمًا هذه المرة».

نظر إليه (مات) مستنكرًا، ثم نظر إلى السماء، كانت السحب السوداء تتكاثف بالأعلى. «وننام تحت سياج هذه الليلة؟ في مثل هذا الجو؟ لقد صرت معتادًا على النوم في الفراش من جديد». ثم أمال رأسه ليصغي السمع قبل أن يزفر ويقول: «ربما لا يوجد عازفون في مكان من هذه الأماكن، أراهن أنه ليس لديهم من يقدر على التلاعب بالكرات على أي حال». ثم علَّق قوسه على كتفيه وبدأ يسير ناحية الباب الأصفر الزاهي وهو يدرس كل شيء مضيقًا عينيه. لحق به (راند) مترددًا.

كان هناك عازفون بالداخل، وكاد صوت السنطور والطبول أن يغرق في صوت الضحكات الصاخبة والصيحات الثملة. لم يكلف (راند) نفسه عناء البحث عن صاحب الحانة. في الحانتين التاليتين كان هناك عازفون أيضًا، ونفس النشاز الذي يصم الآذان. كان الطاولات ممتلئة برجال يرتدون ملابس خشنة، ويتعثرون على الأرضية وهم يلوحون بالأقداح، ويحاولون مداعبة النادلات اللاتي يتحاشين هذا بابتسامات مصطنعة صبورة. كان المبنى يهتز مع الضجيج وتفوح منه رائحة نتنة؛ مزيج من رائحة النبيذ القديم الكريهة والأجسام التي لم تغتسل. لم يكن هناك أدنى أثر للتجار في ملابسهم المصنوعة من الحرير والمخمل والدانتيل، حيث كان هناك غرف طعام خاصة في الطابق الثاني تحمي آذانهم وأنوفهم. ما إن وضع هو و(مات) رأسيهما عبر الباب حتى غادرا على الفور، لقد بدأ يعتقد أنهما لن يكون لديهما خيار سوى المضي قُدُمًا.

الحانة الرابعة ـ حانة (الحوذي الراقص) ـ كانت صامتة.

كانت مبهرجة الألوان مثل الحانات الأخرى، صفراء بخطوط من لون أحمر زاهٍ ولون أخضر فاقع. ولكن الطلاء هنا كان متصدعًا ومتقشرًا. خطا (راند) و(مات) إلى الداخل.

لم يكن هناك سوى ستة رجال يجلسون على الطاولات التي تملأ الحجرة العامة، منحنين فوق أقداحهم، وكل واحد منهم جالسًا بمفرده في كآبة مستغرقًا في أفكاره. من الواضح أن العمل في الحانة ليس مزدهرًا، ولكنه كان في حال أفضل من قبل. كان عدد النادلات يماثل عدد رواد الحانة، وكن يشغلن أنفسهن في أرجاء الحجرة. كان هناك أشياء كثيرة يتوجب عليهن فعلها . الغبار متكوم في طبقات على الأرضية وخيوط العنكبوت تملأ زوايا السقف . ولكن معظمهن لم يكن يفعلن شيئًا مفيدًا حقًّا، بل فقط يتحركن لكيلا يراهم أحد واقفات بدون عمل.

كان هناك رجل نحيل بشعر طويل غير ممشط، التفت لينظر إليهما متجهمًا عندما دلفا عبر الباب. تردد أول دوي رعد بطيء عبر قرية (الملوك الأربعة). «ما الذي تريدانه؟». كان يفرك يديه في مئزر قذر يتدلى حتى كاحليه. تساءل (راند) إن كانت الأوساخ تُزال أكثر من المئزر أم من يدي الرجل. كان أول صاحب حانة نحيف يراه (راند). «حسنًا؟ فلتتحدثا، أو تطلبا شرابًا، أو تخرجا من هنا! هل أبدو لكما شيئًا للفُرجة؟».

احتقن وجه (راند) خجلًا، ثم بدأ في ذكر العرض المغري بالطريقة التي أتقنها في الحانات السابقة: «أنا أعزف المزمار، وصديقي يتلاعب بالكرات، ولن ترى اثنين أفضل منا على الإطلاق. مقابل غرفة جيدة ووجبة جيدة سنملأ حجرتك العامة هذه». تذكر الحجرات العامة التي قد رآها بالفعل هذا المساء، وخصوصًا الرجال الذين تقيأوا أمامه مباشرة في الحانة الأخيرة. كان عليه أن يخطو بخفة لكي يُبقي حذاءه نظيفًا. تردد ولكنه تمالك نفسه وقال: «سنملأ حانتك برجال سيعوضونك هذه التكلفة البسيطة عشرين ضعفًا، بالطعام والشراب الذي سيشترونه. لماذا...».

قاطعه صاحب الحانة بفظاظة: «لدي رجل يعزف على السنطور».

قالت واحدة من النادلات: «إن لديك سكيرًا يا (سامِل هايك)». كانت تمر من جواره وهي تحمل صينية وقدحين، ثم توقفت لتمنح (راند) و(مات) ابتسامة واسعة من وجهها الممتلئ. «في معظم الأوقات لا يستطيع أن يرى جيدًا بما يكفي لأن يعثر على الحجرة العامة». ثم أكملت بهمس عالٍ: «لم أرَه منذ يومين».

دون أن يبعد عينيه عن (راند) و(مات) صفعها (هايك) ببساطة بظهر يده على وجهها. تأوهت في دهشة وسقطت بثقل على الأرض القذرة وانكسر واحد من القدحين ليصنع النبيذ المسكوب قنوات في طبقات الأوساخ. «سيُخصم منكِ ثمن النبيذ والقدح المكسور. فلتذهبي لتحضري مشروبات جديدة، وأسرعي، الرجال لا يدفعون نظير الانتظار بينما تتكاسلين عن العمل». كانت نبرته قاسية كضربته. لم يرفع أحد من الزبائن عينيه عن نبيذه، وأشاحت النادلات الأخريات بأعينهن.

دلكت المرأة الممتلئة خدها وحدقت بكراهية شديدة إلى (هايك)، ولكنها وضعت القدح الفارغ وشظايا القدح المكسور على الصينية وابتعدت بدون كلمة.

نظر (هايك) إلى (راند) و(مات) مفكرًا، ثم تعلق بصره بالسيف الذي يحمل علامة البلشون قبل أن يُبعد عينيه، وأخيرًا قال: «ما رأيكما، يمكنكما أن تحصلا على مرتبتين في مخزن فارغ في الخلف، الغرف باهظة للغاية فلا أستطيع التبرع بها. ستأكلان عندما يذهب الجميع، بالتأكيد سيتبقى شيء منهم».

تمنى (راند) لو أن هناك حانة في (الملوك الأربعة) لم يجرباها بعد. لقد واجه منذ مغادرة (الجسر الأبيض) البرود واللامبالاة والعداء الصريح، ولكن لا شيء أصابه بعدم الارتياح مثل هذا الرجل وهذه القرية. قال لنفسه إنه فقط الغبار والقذارة والضوضاء، ولكن هواجسه لم تتلاشَ. كان (مات) يراقب (هايك) كأنه يتوقع وجود فخ ما، ولكنه لم يبدِ أي إشارة

على رغبته في التخلي عن (الحوذي الراقص) لكي ينام تحت سياج. هز الرعد النوافذ فتنهد (راند).

«المرتبتان ستفيان بالغرض إن كانتا نظيفتين، وإن كان هناك ما يكفي من البطانيات النظيفة. ولكننا سنأكل بعد حلول الظلام بساعتين، وليس بعد هذا، وأفضل ما لديك من طعام. والآن سنريك ما يمكننا فعله». ثم مد يده إلى حقيبة المزمار، ولكن (هايك) هز رأسه.

«لا يهم، هؤلاء الناس سيرضون بأي نوع من الصراخ طالما يبدو وكأنه موسيقى». ثم انتقلت عيناه إلى سيف (راند) مرة أخرى، فابتسم ابتسامة شاحبة وقال: «كُلا متى تشاءان، ولكن إن لم تجلبا حشدًا من الناس إلى الحانة فستعودان إلى الشارع». ثم أومأ برأسه من فوق كتفه إلى رجلين صارمين مفتولي العضلات يجلسان بجانب الجدار دون أن يتناولا الشراب. عندما أومأ (هايك) ناحيتهما انتقلت أعينهما إلى (راند) و(مات) بوجهين خاليين من التعبيرات.

وضع (راند) يده على مقبض سيفه وهو يأمل ألا يظهر اضطرابه على وجهه ثم قال بنبرة محايدة: «طالما سنحصل على ما اتفقنا عليه».

رمش (هايك) بعينيه وقد بدا للحظة متوترًا بدوره، وفجأة أومأ برأسه وقال: «ما قلته لكما، أليس كذلك؟ حسنًا فلتبدآ، لن تجذبا أحدًا بمجرد الوقوف هنا». ثم راح يطارد النادلات عابسًا وصارخًا في وجوههن كأن هناك خمسين زبونًا لا يجدون من يخدمهم.

كان هناك منصة صغيرة مرتفعة بعض الشيء في الطرف الآخر البعيد من الغرفة، بالقرب من الباب الخلفي. رفع (راند) مقعدًا ليضعه فوق المنصة، ثم وضع عباءته ولفة بطانياته وحزمة عباءة (توم) وراء المقعد، ووضع سيفه من فوقه.

تساءل إن كان من الحكمة أن يستمر في حمل سيفه بشكل علني. كان حمل السيوف أمرًا معتادًا ولكن علامة البلشون تجذب الانتباه وتثير التساؤل. ليس من الجميع، ولكن أي انتباه على الإطلاق يجعله يشعر بعدم الارتياح، ربما يترك أثرًا واضحًا ليتعقبه (الميردرال)، إن كانوا يحتاجون لمثل هذا النوع من الأثر. ولكن لم يبدُ أنهم بحاجة إليه. على أي حال كان مترددًا حيال التوقف عن حمله، لقد أعطاه (تام) له، أبوه، وطالما يحمل السيف فسيظل هناك شيء يربط بينه وبين (تام)، خيط يمنحه الحق في الاستمرار في أن يدعو (تام) بأبيه. قال لنفسه؛ *لقد فات الأوان الآن.* لم يكن واثقًا مما يعنيه، ولكنه كان واثقًا من أنه حقيقي؛ *لقد فات الأوان.*

مع النغمات الأولى من أغنية (ديك الشمال) رفع الزبائن الستة الموجودون في الحجرة العامة رؤوسهم من على نبيذهم. حتى الحارسان اقتربا إلى الأمام قليلًا. صفقوا جميعًا عندما انتهى من عزفه بما فيهم الرجلان مفتولا العضلات، ثم صفقوا مرة أخرى عندما جعل (مات) عددًا كبيرًا من الكرات الملونة يدور بين يديه. بالخارج دمدمت السماء مرة أخرى. كان المطر محجمًا ولكن ضغطه كان واضحًا، كلما طال انتظاره هطل بشكل أقوى.

انتشر الخبر، وبحلول الوقت الذي خيم فيه الظلام الدامس بالخارج كانت الحانة مكتظة بالرجال الذين يضحكون ويتحدثون بصوتٍ عالٍ، حتى أن (راند) كان بالكاد قادرًا على سماع ما يعزفه. وحده الرعد كان يعلو فوق صوت الضوضاء في الحجرة العامة. لمع البرق في النوافذ، وفي لحظات الهدوء العابرة كان يقدر على سماع صوت ارتطام المطر بالسقف بشكل خافت. الرجال الذين دلفوا إلى الحانة في هذا الوقت كانوا يتركون أثرًا من قطرات الماء على الأرضية.

كلما توقف عن العزف صاحت الأصوات بأسماء الألحان عبر الضجيج. لم يتعرف على العديد من هذه الأسماء، رغم أنه عندما يطلب من شخص أن يدندن جزءًا من اللحن يكتشف في كثير من الأوقات أنه يعرف

الأغنية، كما كان الحال في أماكن أخرى من قبل. أغنية (جايم المبتهج) معروفة هنا باسم (نزوة ريا)، وكانت معروفة باسم (ألوان الشمس) في أماكن توقفا فيها سابقًا. بعض الأسماء تبقى كما هي وبعضها يتغير على مسافة عشرة أميال، وكان عليه أن يتعلم أغنيات جديدة أيضًا. (البائع الجائل السكير) كانت أغنية جديدة ولكنها أحيانًا ما تُسمى (الجَوَّال في المطبخ). أغنية (ملكان خرجا للصيد) كانت (خيلان يركضان) بالإضافة إلى أسماء أخرى عديدة. عزف الألحان التي يعرفها فدق الرجال على الطاولات من أجل المزيد.

آخرون طلبوا من (مات) التلاعب بالكرات مرة أخرى. أحيانًا ما يندلع شجار بين هؤلاء الذين يريدون الموسيقى وهؤلاء الذين يريدون التلاعب بالكرات. ذات مرة لمع سكين فصرخت امرأة وتراجع رجل للوراء بعيدًا عن الطاولة والدماء تسيل على وجهه، ولكن الحارسين (جاك) و(ستروم) تدخلا على الفور وبحيادية تامة ألقيا بجميع المتورطين في الأمر إلى الشارع بكدمات في رؤوسهم. كانت هذه هي طريقتهما في التعامل مع أي مشكلة. استمر الحديث والضحك كأن شيئًا لم يحدث، بل إن أحدًا لم يلتفت حوله سوى هؤلاء الذين دفعهم الحارسان جانبًا في طريقهما إلى الباب.

أيضًا كان الزبائن يمدون أيديهم بحرية عندما تكون واحدة من النادلات غير منتبهة، وأكثر من مرة يضطر (جاك) أو (ستروم) لأن يتدخل لإنقاذ إحدى النساء على الرغم من أنهما لا يتحركان بسرعة في هذا الأمر. كانت طريقة (هايك) في التعامل مع الأمر هي أن يصرخ في وجه النادلة وأن يعنفها، ودومًا ما يعتبر أن الخطأ خطؤها، وتشي العينان الدامعتان والاعتذارات المتلعثمة بأنها مستعدة لقبول رأيه. تجفل النادلات كلما تجهم (هايك)، حتى لو لم يكن ينظر إليهن. تساءل (راند) عن سبب تحمل أي منهن لهذا الوضع.

ابتسم (هايك) عندما نظر إلى (راند) و(مات)، بعد قليل أدرك (راند) أن (هايك) لا يبتسم إليهما، بل كانت الابتسامات ترتسم على شفتيه عندما تنظر عيناه وراءهما، إلى حيث يوجد السيف ذو علامة البلشون. ذات مرة بينما (راند) يضع المزمار المصنوع من الذهب والفضة بجانب مقعده نال المزمار ابتسامة أيضًا.

في المرة التالية التي تبادل فيها المكان مع (مات) في مقدمة المنصة مال ليهمس في أذنه، رغم أنه كان مضطرًا للحديث بصوتٍ عالٍ إلا أنه شك في أن يقدر أحد آخر على أن يسمعه. «(هايك) سيحاول أن يسرقنا».

أومأ (مات) برأسه كأنه كان يتوقع هذا وقال: «سيكون علينا أن نوصد الباب هذه الليلة».

«نوصد الباب؟ باستطاعة (جاك) و(ستروم) أن يكسرا أي باب بقبضاتهما، دعنا نخرج من هنا».

«فلننتظر حتى نتناول الطعام على الأقل فأنا جائع، ولا يمكنهم أن يفعلوا أي شيء هنا». تعالى الصياح في نفاد صبر في الحجرة العامة المكتظة لكي يكملا العرض، بينما (هايك) يحدق إليهما. أضاف (مات): «على أي حال هل ترغب في النوم بالخارج هذه الليلة؟». أغرق لسان برق أقوى من المعتاد كل شيء آخر، وللحظة كان الضوء القادم عبر النوافذ أقوى من ضوء المصابيح.

قال (راند): «أنا فقط أُريد أن أخرج من هنا دون أن يُكسر رأسي». ولكن (مات) كان قد جلس بالفعل ليستريح على المقعد. تنهد (راند) ثم بدأ يعزف (الطريق إلى دون أرين). يبدو أن العديد منهم يحبون هذه الأغنية فرغم أنه قد عزفها أربع مرات بالفعل إلا أنهم ما زالوا يصرخون في طلبها.

المشكلة هي أن (مات) كان محقًّا، فقد كان يشعر بالجوع بدوره، ولم يستطع أن يرى كيف يمكن أن يتسبب (هايك) في أي متاعب لهما بينما الحجرة العامة مكتظة بالناس وتزداد اكتظاظًا، فمقابل كل رجل يغادر أو يُلقي به (جاك) و(ستروم) خارجًا كان اثنان غيره يأتيان من الشارع. كانوا يصرخون من أجل التلاعب بالكرات أو من أجل لحن معين، إلا أنهم في الغالب كانوا مهتمين بالشراب ومداعبة النادلات، ولكن رجلًا واحدًا كان مختلفًا.

كان يبدو متناقضًا بشكل صارخ مع الحشد الموجود في حانة (الحوذي الراقص). من الواضح أن التجار لا يرتادون هذه الحانة المتهالكة، ولم يكن هناك أي غرف طعام خاصة حسبما يرى. كان رواد الحانة جميعًا يرتدون ملابس خشنة وجلودهم قاسية بفعل العمل الشاق في الشمس والرياح. هذا الرجل كان ممتلئ الجسد، ناعم البشرة، بيدين رقيقتين، ومعطف مخملي ويتدلى على كتفيه عباءة خضراء داكنة من المخمل مطرزة بالحرير الأزرق. ويبدو على كل هذه الملابس أنها باهظة الثمن. لم يكن يرتدي حذاءً طويلًا بل نعلًا من المخمل الناعم لم يبدُ مناسبًا لشوارع (الملوك الأربعة) المليئة بالأخاديد، ولا أي شوارع أخرى على الإطلاق.

لقد جاء بعد حلول الظلام وهو ينفض المطر من على عباءته قبل أن يتلفت حوله ويرتسم على شفتيه شيء من النفور. تفحص الحجرة مرة أخرى وقد استعد بالفعل للمغادرة، ثم جفل لرؤية شيء لم يستطع (راند) أن يراه وجلس على طاولة قد أخلاها (جاك) و(ستروم) للتو. توقفت نادلة عند طاولته ثم جلبت له قدحًا من النبيذ، دفعه جانبًا ولم يلمسه مرة أخرى. بدت أنها في عجلة للابتعاد عن طاولته في المرتين، رغم أنه لم يحاول أن يلمسها أو حتى ينظر إليها. أيًّا ما كان الشيء الذي جعلها تشعر بعدم الارتياح حياله فقد شعره به الآخرون الذين اقتربوا منه أيضًا. رغم مظهره الرقيق إلا أنه كلما قرر سائق عربة خشن اليدين أن يشاركه طاولته كانت نظرة واحدة منه هي كل ما يتطلبه الأمر ليسرع الرجل بحثًا عن مكان

آخر. كان يجلس كأنما لا يوجد أحد في الغرفة العامة سواه، وسوى (راند) و(مات). كان يراقبهما من فوق أصابع يديه المشبوكتين اللتين تلمعان بخاتم في كل إصبع. كان يراقبهما بابتسامة رضا كأنما يعرفهما.

تمتم (راند) لـ(مات) بينما يتبادلان المكان مرة أخرى فأومأ (مات) برأسه وتمتم قائلًا: «لقد رأيته، من يكون؟ يراودني شعور أنني أعرفه».

خطرت نفس الفكرة لـ(راند)، مدغدغة الجزء العميق من ذاكرته، ولكنه لم يستطع أن يتذكر الأمر. كان واثقًا من أنه لم يرَ هذا الوجه من قبل.

بعدما استعرضا لمدة ساعتين حسب تقدير (راند) أعاد المزمار إلى حقيبته وجمع هو و(مات) متعلقاتهما. بينما هما ينزلان من المنصة الخفيضة جاء (هايك) مندفعًا والغضب يلوي قسمات وجهه النحيف.

قبل أن ينطق بشيء قال له (راند): «لقد حان وقت الطعام، ونحن لا نرغب في أن تُسرق حاجياتنا. هلا أخبرت الطاهي؟». تردد (هايك) وهو لا يزال غاضبًا محاولًا دون جدوى أن يُبعد عينيه عما يحمله (راند) بين ذراعيه. ببساطة عدَّل (راند) من وضع الحِزَم التي يحملها لكي يتمكن من وضع يده على سيفه وقال: «أو يمكنك أن تحاول إلقاءنا خارجًا». كان يضغط على الكلمات بشكل متعمد، قبل أن يضيف: «ما زال هناك وقت طويل في الليل لكي نعزف فيه، يجب علينا أن نحافظ على قوتنا إن أردت أن نستعرض جيدًا بما يكفي لكي نُبقي هذا الحشد الذي يُنفق المال. إلى متى تعتقد أن هذه الحجرة ستبقى مكتظة إن انهرنا من فرط الجوع؟».

تنقلت عينا (هايك) عبر الحجرة المكتظة بالناس الذين يضعون الأموال في جيبه، ثم دار على عقبيه ومد رأسه عبر الباب المؤدي إلى مؤخرة الحانة وصاح: «فلتقدموا لهما الطعام!». قبل أن يلتفت مرة أخرى إلى (راند) و(مات) وهو يقول: «لا تقضيا الليل كله في تناول الطعام. أتوقع أن تستعرضا حتى يرحل آخر رجل».

كان بعض الزبائن يصرخون من أجل الموسيقى والتلاعب بالكرات، فأسرع (هايك) لتهدئتهم. كان الرجل ذو العباءة المخملية واحدًا من هؤلاء المتلهفين. أشار (راند) إلى (مات) لكي يلحق به.

كان هناك باب متين يفصل المطبخ عن مقدمة الحانة، باستثناء الأوقات التي يُفتح فيها ليسمح للنادلات بالمرور، وكان صوت طرقات المطر على السقف أعلى في المطبخ من الصيحات القادمة من الحجرة العامة. كانت حجرة كبيرة، ساخنة وممتلئة بالبخار المتصاعد من المواقد والأفران، مع طاولة ضخمة مغطاة بطعام شبه ناضج، وأطباق جاهزة لتقديمها إلى الزبائن. بعض النادلات يجلسن مجتمعات على مقعد بالقرب من الباب الخلفي وهن يفركن أقدامهن ويثرثرن في نفس الوقت، بينما الطاهية البدينة ترد عليهن وتلوح بملعقة كبيرة لتؤكد على وجهة نظرها. جميعهن نظرن إلى (راند) و(مات) بمجرد دخولهما، ولكن هذا لم يُبطئ من حديثهن أو يمنعهن من فرك أقدامهن.

قال (راند) بصوت هامس: «يجب أن نخرج من هنا بينما لدينا فرصة لهذا». ولكن (مات) هز رأسه وعيناه مثبتتان على الطبقين اللذين ملأتهما الطاهية باللحم البقري والبطاطا والبازلاء. بالكاد نظرت إليهما وهي تواصل الحديث مع النسوة الأخريات، بينما تدفع بعض الأشياء جانبًا على الطاولة بمرفقيها قبل أن تضع الطبقين عليها وتضيف شوكتين.

قال (مات): «بعد أن نأكل سيكون لدينا وقت كافٍ». ثم جلس على المقعد وبدأ في استخدام شوكته كأنها مجرفة.

تنهد (راند) ولكنه لحق بـ(مات) على الفور، لم يكن قد تناول شيئًا منذ الليلة السابقة سوى قطعة من الخبز اليابس، أحس أن معدته خاوية كحقيبة شحاذ، وروائح الطهي التي تملأ المطبخ ضاعفت من جوعه. سرعان ما ملأ فمه بالطعام رغم أن (مات) كان يطلب من الطاهية إعادة ملأ طبقه قبل أن ينتهي هو من نصف طبقه.

لم يقصد أن يسترق السمع إلى حديث النسوة، ولكن بعض الكلمات وصلت إلى مسمعه وجذبت انتباهه.

«يبدو هذا جنونيًّا بالنسبة لي».

«جنونيًّا أو لا، هذا ما سمعته. لقد ذهب إلى نصف الحانات في البلدة قبل أن يأتي إلى هنا. يدلف إلى الحانة ويتلفت حوله ثم يخرج دون أن يقول كلمة واحدة، حتى في الحانة الملكية، كأن السماء لا تمطر على الإطلاق».

«ربما ظن أن الحانة هنا هي الأكثر راحة». جعلهن هذا ينفجرن في الضحك.

«بل سمعت حتى إنه لم يصل إلى (الملوك الأربعة) إلا بعد حلول الظلام، وأن خيوله كانت تلهث كأنه قد دفعها للركض بأقصى سرعة».

«من أين أتى حتى لا يصل إلا بعد حلول الظلام؟ لا أحد يسافر إلى أي مكان ويخطط لهذا الأمر بشكل سيئ إلا مجنونًا أو أحمق».

«حسنًا ربما يكون أحمق، ولكنه أحمق ثري. لقد سمعت أن لديه عربة أخرى من أجل خدمه ومتاعه. إنه يملك الكثير من المال، تذكرن كلامي هذا. هل رأيتن عباءته؟ لا أمانع أن أمتلك هذه العباءة».

«إنه ممتلئ الجسم بعض الشيء بالنسبة لذوقي الخاص، ولكني دومًا أقول إن الرجل لا يعيبه وزنه إن كان معه ما يكفي من الذهب». انفجرن في الضحك مرة أخرى، بينما أمالت الطاهية رأسها للوراء وراحت تقهقه بصوتٍ عالٍ.

أسقط (راند) شوكته في طبقه، كان هناك فكرة لم تعجبه تتشكل في رأسه. قال: «سأعود بعد دقيقة». بالكاد أومأ (مات) برأسه وهو يحشو فمه بقطعة من البطاطا.

أمسك (راند) بحزام سيفه مع عباءته وهو يعتدل واقفًا ثم وضعه حول خصره في طريقه إلى الباب الخلفي. لم يعره أحد أدنى اهتمام.

كان المطر ينهمر بغزارة، فألقى بعباءته على كتفيه وجذب الغطاء على رأسه وهو يضم عباءته إلى جسده، بينما يهرول عبر باحة الإسطبل. كان الماء يحجب كل شيء عن عينيه إلا عندما يومض البرق، ولكنه عثر على ما كان يبحث عنه. كانت الخيول قد أُخذت إلى الإسطبل، ولكن العربتين المطليتين باللون الأسود كانتا تلمعان ببلل في الخارج. دوى الرعد وومض لسان من البرق فوق الحانة. في وميض الضوء الخاطف استطاع أن يميز اسمًا مكتوبًا بخط ذهبي على العربة؛ (هُوال جود).

ظل واقفًا يحدق إلى الاسم الذي لم يعد يراه، غير عابئ بالمطر. لقد تذكر المكان الذي شاهد فيه آخر مرة عربات مطلية باللون الأسود تحمل أسماء أصحابها على الباب، ورجالًا بدناء ناعمي البشرة في معاطف مخملية مطرزة بالحرير ونعال مخملية؛ (الجسر الأبيض). إن تاجرًا من (الجسر الأبيض) سيكون لديه سبب منطقي لأن يكون في طريقه إلى (كايملين). *سبب منطقي يجعله يذهب إلى نصف حانات البلدة قبل أن يختار الحانة التي أنت فيها؟ سبب يجعله ينظر إليك كأنه قد عثر على ما كان يبحث عنه؟*

ارتجف (راند) وقد صار مدركًا فجأة للمطر الذي يتساقط على ظهره. كانت عباءته منسوجة بإحكام، ولكن لم يكن الغرض منها قط أن تواجه مثل هذا النوع من المطر الغزير. أسرع عائدًا إلى الحانة مما جعل الماء يتناثر من البرك العميقة. عندما حاول المرور من الباب وجد (جاك) يعيق الطريق.

«حسنًا، حسنًا، حسنًا. وحدك هنا في الظلام. الظلام خطير يا فتى».

جعل المطر شعر (راند) ينسدل على جبهته. كانت باحة الإسطبل خالية إلا منهما. تساءل إن كان (هايك) قد قرر أنه يريد السيف والمزمار بأي ثمن، حتى أنه قد تخلى عن إبقاء الحشد في الحجرة العامة.

نفض الماء من عينيه بيده ووضع الأخرى على سيفه. رغم البلل إلا أنه كان قادرًا على الإمساك بالمقبض الجلدي بإحكام. «هل قرر (هايك) أن كل هؤلاء الرجال سيبقون فقط من أجل جعته بدلًا من الذهاب إلى حيث يوجد الترفيه أيضًا؟ إن كان قد قرر هذا فسنعتبر الوجبة ثمنًا عادلًا مقابل ما قدمناه حتى الآن وسنمضي في طريقنا».

بينما الرجل الضخم يقف جافًّا في مدخل الباب نظر إلى المطر وقال ساخرًا: «في مثل هذا الجو؟». ثم نزلت عيناه إلى يد (راند) الممسكة بالسيف وقال: «أتعرف، لقد تراهنا أنا و(ستروم)، إنه يرى أنك قد سرقت هذا من جدتك العجوز، وأنا أرى أن جدتك أبرحتك ضربًا في حظيرة الخنازير ثم علقتك بالخارج حتى تجف». ابتسم ابتسامة عريضة كشفت عن أسنانه الصفراء العوجاء، فجعلته الابتسامة يبدو أكثر خبثًا. «الليل لا يزال طويلًا يا فتى».

اندفع (راند) ليتخطاه فسمح له (جاك) بالمرور بضحكة كريهة.

بالداخل انتزع عباءته وألقى بجسده على المقعد أمام الطاولة التي تركها منذ دقائق قليلة فقط. كان (مات) قد انتهى من طبقه الثاني وبدأ في طبقه الثالث، وكان يأكل ببطء حينها ولكن بنهم، كأنه يخطط لإنهاء كل فتات منه حتى وإن قتله هذا. اتخذ (جاك) موضعه بالقرب من الباب المؤدي إلى باحة الإسطبل، متكئًا على الجدار وهو يراقبهما. حتى الطاهية بدا عليها وكأنها لا تشعر بالرغبة في التحدث أثناء وجوده.

قال (راند) بصوت هامس: «إنه من (الجسر الأبيض)». لم يكن بحاجة لأن يخبره بمن يعنيه. أدار (مات) رأسه تجاهه وقطعة من اللحم البقري في شوكته معلقة في منتصف الطريق إلى فمه. كان (راند) يُدرك أن (جاك) يراقبهما، لذا راح يقلب الطعام في طبقه. لن يكون قادرًا على ابتلاع شيء منه، حتى وإن كان يتضور جوعًا، ولكنه حاول أن يتظاهر بأنه يهتم

بالبازلاء بينما هو يخبر (مات) بشأن العربتين وما قالته المرأة في حالة أن (مات) لم يكن يُنصت.

من الواضح أنه لم يكن يُنصت، فقد رمش (مات) بعينيه في دهشة بينما يصفر من بين أسنانه، ثم عقد حاجبيه وهو ينظر إلى اللحم في شوكته، قبل أن يزفر وهو يلقي بالشوكة إلى طبقه. تمنى (راند) لو أن يبذل (مات) أقل مجهود لأن يكون حذرًا.

بعدما انتهى من حديثه قال (مات): «يسعى وراءنا». ثم قطب جبينه وهو يتساءل: «أهو واحد من (أصدقاء الظلام)؟».

قال (راند): «ربما، لا أعرف». ثم نظر إلى (جاك) فتمطى الرجل الضخم بشكل متعمد وهو يهز كتفين بحجم كتفي أي حداد. «هل تعتقد أن باستطاعتنا أن نتجاوزه؟».

«ليس بدون أن يصنع من الجلبة ما يكفي لجلب (هايك) والرجل الآخر. كنت أعرف أننا لم يكن علينا التوقف هنا».

فغر (راند) فاه، ولكن قبل أن يتمكن من قول أي شيء دلف (هايك) عبر الباب المؤدي إلى الحجرة العامة، و(ستروم) بجسده الضخم من ورائه. خطا (جاك) ليقف أمام الباب الخلفي بينما (هايك) يصرخ: «هل ستتناولان الطعام طيلة الليل؟ أنا لا أطعمكما لكي تستلقيا هنا».

نظر (راند) إلى صديقه فحرك (مات) شفتيه قائلًا بلا صوت: «لاحقًا». ثم جمعا أشياءهما بينما (هايك) و(ستروم) و(جاك) يراقبونهما.

في الحجرة العامة تعالت الصيحات من أجل التلاعب بالكرات وتعالت أسماء ألحان فوق الصخب بمجرد ظهور (راند) و(مات). الرجل ذو العباءة المخملية ـ (هُوال جود) ـ لا يزال يبدو عليه أنه يتجاهل كل من حوله، ولكنه رغم هذا كان جالسًا على حافة كرسيه مترقبًا، وما إن رآهما حتى انحنى إلى الوراء وقد عادت ابتسامة الرضا إلى شفتيه.

أخذ (راند) الدور الأول على المنصة وراح يعزف (جلب الماء من البئر) بينما نصف عقله فقط يركز في الأمر. لم يبدُ على أحد أنه قد لاحظ النغمات القليلة الخاطئة. حاول أن يفكر كيف سيهربان من المكان، وحاول أن يتجاهل النظر إلى (جود) أيضًا. إن كان يسعى وراءهما حقًّا فلا فائدة من جعله يعرف أنهما يعرفان هذا. أما بالنسبة للهرب...

لم يكن يدرك من قبل أن الحانة تُمثل فخًّا محكمًا. لم يكن (هايك) و(جاك) و(ستروم) بحاجة لإبقاء أعينهم عليهما؛ سيتكفل الحشد بإعلامهم إن غادر هو و(مات) المنصة. طالما أن الحجرة العامة ممتلئة بالناس فلا يقدر (هايك) على إرسال (جاك) و(ستروم) في إثرهما، وطالما الحجرة العامة ممتلئة بالناس فلا يمكنهما الهرب دون أن يعرف (هايك) بهذا، وكان (جود) يراقب كل حركاتهما أيضًا. كان الأمر طريفًا للغاية حتى أنه كان ليضحك لو لم يكن على وشك أن يتقيأ. سيكون عليهما فقط أن يبقيا حذرين وأن ينتظرا فرصتهما.

عندما تبادلا المكان تنهد (راند) بينه وبين نفسه. حدق (مات) إلى (هايك) و(ستروم) و(جاك) دون أن يُبالي بملاحظتهم لهذا أو تساؤلهم عن السبب. عندما لا يكون ممسكًا بالكرات فعليًّا تستقر يده تحت معطفه. همس (راند) له بحدة ولكنه لم يعره أدنى انتباه، إن رأى (هايك) الياقوتة فقد لا ينتظر حتى يصيرا بمفرديهما، إن رآها الرجال في الحجرة العامة فقد ينضم نصفهم إلى (هايك).

الأسوأ من هذا هو أن (مات) كان يحدق إلى تاجر (الجسر الأبيض) . (صديق الظلام)؟ . أكثر مما يحدق إلى أي شخص آخر، وقد لاحظ (جود) هذا. لم يكن هناك مفر من أن يلاحظه، ولم يؤثر هذا في رباطة جأشه مقدار ذرة، بل إن ابتسامته اتسعت. وأومأ برأسه إلى (مات) كأنه أحد معارفه القدامى، ثم نظر إلى (راند) ورفع حاجبًا في تساؤل. لم يرغب (راند) في أن يعرف ما هو السؤال، وحاول أن يتفادى النظر إلى الرجل ولكن الأوان قد فات على هذا. *فات الأوان، مرة أخرى فات الأوان.*

شيء واحد بدا أنه يزعزع ثقة الرجل ذي العباءة المخملية في نفسه؛ سيف (راند). لم يكن قد نزع السيف من على خصره. ترنح رجلان أو ثلاثة وهم يقتربون منه ليسألوه إن كان يعتقد أن عزفه سيئ للغاية حتى أنه يحتاج إلى حماية، ولكن أيًّا منهم لم يلاحظ البلشون على السيف. لقد لاحظه (جود) فضم قبضتيه الشاحبتين وعقد حاجبيه ناظرًا إلى السيف لوقت طويل قبل أن تعود الابتسامة إليه، ولكنه عندما عادت لم تكن واثقة كذي قبل. قال (راند) لنفسه؛ *هذا شيء جيد على الأقل، إن كان يعتقد أن باستطاعتي أن أرقى إلى مستوى علامة البلشون فربما يتركنا وشأننا، ثم سيكون كل ما يجب علينا القلق بشأنه هو (هايك) وحارسيه المتنمرين.* بالكاد كانت فكرة مريحة، وسيف أو لا سيف فقد واصل (جود) المراقبة والابتسام.

بدت هذه الليلة بالنسبة لـ(راند) وكأنها قد استمرت لأعوام، كل هذه الأعين التي تنظر إليه؛ (هايك) و(جاك) و(ستروم) كنسور تراقب خروفًا قد علق في مستنقع، و(جود) كأنما ينتظر شيئًا أسوأ. بدأ يفكر أن جميع من في الحجرة يراقبونه بدافع خفي. أبخرة النبيذ اللاذعة والرائحة الكريهة للأجساد القذرة المتعرقة جعلت رأسه يدور، وضجيج الأصوات يدق على رأسه حتى صارت عيناه غائمتين، وحتى صوت مزماره كان يؤلم أذنيه، وبدا كأن الرعد يدوي داخل جمجمته. كان التعب يُثقل جسده كالحديد.

في نهاية المطاف الحاجة إلى الاستيقاظ مع الفجر اضطرت الرجال إلى الرحيل عبر الظلمة. المزارع مسؤول عن نفسه فقط، ولكن التجار مشهورون بعدم القلق حيال الإفراط في شرب الخمر بينما هم يدفعون أجور السائقين. في الساعات التي تسبق الفجر بدأت الحجرة العامة تخلو ببطء بينما هؤلاء الذين لديهم غرف في الطابق العلوي يبتعدون مترنحين بحثًا عن أسِرَّتِهم.

كان (جود) هو الزبون الأخير، وعندما مد (راند) يده ليُمسك بحقيبة المزمار الجلدية وهو يتثاءب، اعتدل (جود) واقفًا وهو يعلق عباءته على ذراعه. النادلات كن ينظفن المكان وهن يتذمرن فيما بينهن بشأن فوضى

النبيذ المسكوب والأواني الفخارية المكسورة. أغلق (هايك) الباب الأمامي بمفتاح كبير، ثم اختلى (جود) به لدقيقة قبل أن يُنادي (هايك) على إحدى النساء لكي تُريه غرفته. نظر الرجل ذو العباءة المخملية إلى (مات) و(راند) وابتسم ابتسامة العالم ببواطن الأمور قبل أن يصعد الدرج ويختفي في الطابق العلوي.

نظر (هايك) إلى (راند) و(مات) بينما (جاك) و(ستروم) يقفان من ورائه.

انتهى (راند) في عجالة من تعليق أشيائه على كتفيه وهو يُمسك بها جميعًا من وراء ظهره بيده اليسرى بطريقة غير مريحة لكي يكون قادرًا على الإمساك بسيفه. لم يمد يده ناحيته ولكنه أراد أن يكون مستعدًّا. قاوم رغبته في التثاؤب، فلم يرغب في أن يعرفوا كم هو متعب.

وضع (مات) قوسه ومتعلقاته الأخرى الصغيرة على كتفيه كيفما اتفق، ولكنه وضع يده تحت معطفه بينما يراقب (هايك) وحارسيه يقتربون.

كان (هايك) يحمل مصباحًا زيتيًّا، ولدهشة (راند) انحنى لهما انحناءة قصيرة قبل أن يشير إلى باب جانبي وهو يقول: «إن فراشيكما من هذا الاتجاه». ولكن ابتسامة طفيفة على شفتيه أفسدت تصنعه.

أومأ (مات) بذقنه ناحية (جاك) و(ستروم) وهو يقول: «هل تحتاج إلى هذين الاثنين لكي ترينا فراشينا؟».

قال (هايك) وهو يمسح بيده على مئزره المتسخ: «أنا رجل صاحب أملاك، وصاحب الأملاك عليه أن يكون حذرًا». اهتزت النوافذ إثر دوي رعد فنظر إلى السقف نظرة ذات مغزى قبل أن يبتسم ابتسامة صفراء وهو يقول: «هل ترغبان في الذهاب إلى فراشيكما أم لا؟».

تساءل (راند) ما الذي قد يحدث إذا قالا إنهما يرغبان في الرحيل. *فقط لو أنك تعرف عن استخدام السيف حقًا أكثر من الحركات القليلة التي*

علّمك (لان) *إياها*... قال وهو يحاول أن يجعل صوته حازمًا: «فلتمشِ أمامنا، لا أحب أن يكون هناك شخص وراءنا».

ضحك (ستروم) مستهزئًا، ولكن (هايك) أومأ برأسه بهدوء واستدار ليمشي ناحية الباب الجانبي، بينما الرجلان الضخمان يتبختران من ورائه. أخذ (راند) نفسًا عميقًا وهو ينظر في أمل ناحية الباب المؤدي إلى المطبخ. إن كان (هايك) قد أغلق الباب الخلفي بالفعل فإن الجري الآن سيؤدي فقط إلى بدء ما كان يأمل في تجنبه. سار وراء صاحب الحانة في اكتئاب.

وقف مترددًا عند الباب الجانبي فاصطدم (مات) بظهره، لقد صار من الواضح سبب حمل (هايك) للمصباح؛ كان الباب يؤدي إلى ردهة حالكة الظلام. لم يمنحه الشجاعة للمواصلة سوى المصباح الذي يحمله (هايك) ويجعل (جاك) و(ستروم) يبدوان كهيئتين مظلمتين. إن استدارا على أعقابهما فسيشعرون بهما، وماذا سيفعلون حينها؟ أصدرت الأرض صريرًا تحت حذائه.

انتهت الردهة بباب خشن غير مطلي، لم يرَ أي أبواب أخرى أثناء سيره عبر الردهة. دلف (هايك) وحارساه عبر الباب فأسرع للحاق بهم قبل أن يجدوا فرصة لنصب فخ، ولكن (هايك) لم يفعل شيئًا سوى أن رفع المصباح عاليًا وهو يشير إلى الحجرة.

«ها هي ذا».

مخزن قديم كما أسماه، وبناء على مظهره لم يستخدمه أحد منذ وقت طويل. كانت البراميل المتداعية والصناديق المكسورة تغطي نصف الأرض، وكانت قطرات الماء تتساقط بشكل منتظم من أكثر من موضع في السقف، وكان هناك لوح مكسور في النافذة القذرة يسمح للمطر بأن يتدفق بحرية. كان هناك أشياء عديدة لا يمكن تحديد كنهها تملأ الأرفف بينما الغبار الكثيف يغطي كل شيء تقريبًا. تفاجأ لرؤية المرتبتين بالفعل كما وعدهما.

السيف يجعله قلقًا، لن يحاول أن يفعل شيئًا حتى نغرق في نوم عميق. لم يكن لدى (راند) أي نية في النوم تحت سقف (هايك)، كان ينوي الخروج عبر النافذة بمجرد أن يغادر صاحب الحانة. قال: «ستفي بالغرض». كان يُبقي عينيه على (هايك) متحفزًا لأي إشارة منه إلى الرجلين المبتسمين الواقفين على جانبيه. بذل مجهودًا لكيلا يبلل شفتيه وهو يقول: «فلتترك المصباح».

زفر (هايك) ولكنه وضع المصباح على أحد الأرفف. تردد وهو ينظر إليهما وكان (راند) واثقًا من أنه على وشك أن يأمر (جاك) و(ستروم) بالانقضاض عليهما، ولكن عينيه انتقلتا إلى سيف (راند) عاقدًا حاجبيه في تفكير، قبل أن يومئ برأسه إلى الرجلين الضخمين. ظهرت الدهشة للحظة خاطفة على وجهيهما العريضين ولكنهما لحقا به إلى خارج الغرفة دون أن ينظرا وراءهما نظرة واحدة.

انتظر (راند) حتى اختفى صرير خطوات أقدامهم، ثم راح يعد حتى خمسين قبل أن يمد رأسه إلى الردهة. لم يظهر في الظلام الدامس إلا مربع من الضوء بدا بعيدًا كالقمر؛ الباب المؤدي إلى الحجرة العامة. عاد رأسه إلى الداخل، هناك شيء ضخم يتحرك في الظلمة بالقرب من الباب البعيد، (جاك) أو (ستروم)، أحدهما يقف للحراسة. تفحص سريع للباب أخبره بكل ما يحتاج إلى معرفته، والقليل منه كان مفيدًا. الألواح الخشبية سميكة ومتينة، ولكن لم يكن هناك قفل أو مزلاج لإغلاقه من الداخل. على الأقل كان الباب ينفتح إلى داخل الحجرة.

قال (مات): «ظننت أنهم سينقضون علينا، ما الذي ينتظرونه؟». كان قد استل الخنجر وأمسك به بقوة حتى ابيضت مفاصل أصابعه، ولمع ضوء المصباح على نصله، بينما ترك قوسه وجعبته بلا اكتراث على الأرض كأنه قد نسيهما.

قال (راند) وهو يفتش البراميل والصناديق: «ينتظرون أن ننام، فلتساعدني على العثور على شيء لسد الباب».

«لماذا؟ أنت لا تنوي النوم هنا حقًّا، أليس كذلك؟ دعنا نخرج من النافذة ونرحل، أفضل أن أكون مبتلًّا على أن أكون ميتًا».

«أحدهم يقف في نهاية الردهة، إن صنعنا أي ضوضاء فسينقضون علينا قبل أن نرمش بأعيننا، أعتقد أن (هايك) سيفضل أن يواجهنا ونحن مستيقظين على أن يغامر بالسماح لنا بالفرار».

تمتم (مات) متذمرًا وهو يساعده في البحث، ولكن لم يكن هناك شيء نافع في النفايات التي تغطي الأرضية. كانت البراميل فارغة والصناديق متكسرة وتكديسها كلها أمام الباب لن يمنع أحدًا من فتحه، ثم جذب انتباه (راند) شيء مألوف موضوع على أحد الأرفف؛ وتدان معدنيان مغطيان بالصدأ والتراب. أنزلهما بابتسامة عريضة.

على الفور دفعهما أسفل الباب، وعندما اهتزت الحانة مع دوي الرعد التالي دفعهما بركلتين سريعتين من كاحله. تلاشى دوي الرعد فحبس أنفاسه وهو يُصغي السمع. كل ما استطاع أن يسمعه هو قطرات الأمطار وهي تضرب السقف. لم يكن هناك أدنى صرير من ألواح الأرضية الخشبية يشي بأقدام راكضة.

قال: «إلى النافذة».

بدا من الوسخ المتراكم في طبقات حول النافذة أن أحدًا لم يفتحها منذ أعوام. بذلا مجهودًا كبيرًا وهما يدفعانها معًا بكل قوتهما. ارتجفت ركبتا (راند) قبل أن تستجيب النافذة لهما. كانت تئن في اعتراض مع كل بوصة. عندما صارت الفتحة واسعة بما يسمح لهما بالمرور من خلالها ربض وتوقف عن الحركة.

قال (مات) متذمرًا: «بحق الدماء والرماد! لا عجب أن (هايك) لم يكن قلقًا بشأن هربنا من النافذة».

قضبان حديدية في إطار حديدي لمعت ببلل في ضوء المصباح. حاول (راند) أن يدفعها ولكنها كانت صلبة كجلمود من الصخر.

قال (مات): «لقد رأيت شيئًا ما». ثم أسرع ليفتش في النفايات على الأرفف قبل أن يعود وهو يحمل عتلة صدئة. دفعها بقوة تحت الإطار المعدني فجفل (راند).

«انتبه للضوضاء يا (مات)».

تجهم (مات) وغمغم متذمرًا بصوت غير مسموع ولكنه انتظر. وضع (راند) كلتا يديه على العتلة وحاول أن يقف بشكل راسخ في بركة الماء المتزايدة تحت النافذة. دوى الرعد فجذب كلاهما العتلة، ومع صرير المسامير الشاكية الذي جعل الشعر يقف على عنق (راند) تحرك الإطار، ربع بوصة على الأكثر. كانا يتحركان بشكل متزامن مع دوي الرعد وفرقعة البرق، فيرفعان العتلة مرة تلو الأخرى. لا شيء، ربع بوصة، لا شيء، مقدار شعرة، لا شيء، لا شيء.

فجأة انزلقت قدما (راند) في الماء فسقط على الأرض، وارتطمت العتلة بالقضبان الحديدية بدوي كالناقوس. ظل مستلقيًا في بركة الماء حابسًا أنفاسه وهو يُصغي السمع؛ كان الصمت مخيمًا إلا من قطرات المطر.

فرك (مات) مفاصل أصابعه المتورمة ثم نظر إليه وقال: «بهذا المعدل لن نخرج أبدًا». كان الإطار الحديدي قد دُفِع بعيدًا عن النافذة بما يكفي لتمرير إصبعين على الأكثر من تحته. بينما عشرات من المسامير الغليظة تقطع الفتحة الضيقة.

قال (راند) وهو يعتدل واقفًا: «علينا فقط أن نواصل المحاولة». ولكن ما إن وضع العتلة تحت إطار النافذة حتى أصدر الباب صريرًا بينما شخص ما يحاول أن يفتحه. أبقى الوتدان الباب مغلقًا. تبادل نظرة قلقة مع (مات) الذي استل خنجره مرة أخرى، ثم أصدر الباب صريرًا آخر.

أخذ (راند) نفسًا عميقًا وحاول أن يجعل صوته حازمًا وهو يقول: «فلتنصرف يا (هايك)، نحن نحاول أن ننام».

«أخشى أنكما تظنان أنني شخص آخر». كان الصوت ناعمًا للغاية، ويحمل نبرة من الزهو أفصحت عن صاحبها؛ (هُوال جود). «السيد (هايك) و... تابعاه، لن يزعجونا، إنهم غارقون في نوم عميق، وفي الصباح سيكونون قادرين فقط على التساؤل عن المكان الذي اختفيتما فيه. فلتدعاني أدخل يا صديقيَّ الصغيرين، يجب أن نتحدث».

قال (مات): «ليس لدينا أي شيء لنتحدث بشأنه معك، فلتنصرف وتتركنا ننام».

ضحك (جود) ضحكة كريهة وقال: «بالطبع لدينا أشياء لنتحدث بشأنها، أنتما تعرفان هذا جيدًا مثلي، لقد رأيته في أعينكما. أنا أعرف حقيقتكما، ربما أفضل مما تعرفانها. يمكنني أن أشعر بها تنبعث منكما في موجات. لقد قطعتما نصف الطريق لكي تصيرا ملك سيدي، فلتتوقفا عن الهرب ولتقبلا الأمر. سيكون الأمر أسهل بكثير بالنسبة لكما. إن عثر عليكما ساحرات (تار ڤالون) فستتمنيان أن تذبحا حلقيكما قبل أن ينتهين منكما، ولكنكما لن تكونا قادرين على هذا. لا أحد يمكنه أن يحميكما منهن إلا سيدي وحده».

ازدرد (راند) لعابه بقوة ثم قال: «لا نعرف ما الذي تتحدث عنه، فلتتركنا وشأننا». أصدرت ألواح الأرضية بالبهو صريرًا، لم يكون (جود) وحده، كم عدد الرجال الذين تمكن من إحضارهم في عربتين؟

«فلتكفا عن الحماقة يا صديقيَّ الصغيرين، أنتما تعرفان، تعرفان جيدًا. لقد وضع (سيد الظلام العظيم) علامته عليكما، لقد كُتِبَ أنه عندما ينهض فسيكون (سادة الرعب) الجدد هنالك لتمجيده، لا شك أنكما اثنان منهم، وإلا لما أُرسلت للعثور عليكما. فكرا في الأمر؛ حياة أبدية وقوة تفوق الأحلام». كان صوته يحمل تعطشًا لهذه القوة.

نظر (راند) وراءه إلى النافذة بينما البرق يشق السماء، فكاد أن يشهق. لقد أظهر وميض الضوء رجالًا بالخارج، رجالًا يتجاهلون المطر الذي ينهمر عليهم بينما يقفون لمراقبة النافذة.

صاح (جود): «لقد سئمت هذا، ستخضعان لسيدي . لسيدكما . أو ستجبران على الخضوع. لن يكون الأمر سارًّا بالنسبة لكما. إن (سيد الظلام العظيم) يحكم الموت، فيمكنه منح الحياة في الموت أو الموت في الحياة كما يشاء. افتحا هذا الباب، لقد انتهى هربكما سواء شئتما أم أبيتما. أقول افتحا الباب!».

لا شك أنه قد قال شيئًا آخر، فقد ارتطم جسد ثقيل بالباب فجأة. اهتز الباب وانزلق الوتدان لجزء من البوصة مع صرير احتكاك الصدأ بالخشب. اهتز الباب مرة تلو الأخرى بينما الأجساد تلقي بنفسها عليه، أحيانًا ما يصمد الوتدان في موضعهما، وأحيانًا ما يتزحزحان جزءًا صغيرًا، وجزء فجزء يتزحزح الباب إلى الداخل بلا هوادة.

صاح (جود) من البهو: «فلتخضعا وإلا فستقضيان الأبدية تتمنيان لو أنكما خضعتما!».

قال (مات): «إن لم يكن لدينا خيار...». لعق شفتيه مع نظرة (راند) الحادة. كانت عيناه زائغتين كغرير واقع في فخ، ووجهه شاحب، ويلهث بينما يتكلم. «يمكننا أن نوافق ثم نهرب لاحقًا. بحق الدماء والرماد يا (راند) لا يوجد أي مجال للهرب من هنا!».

بدت الكلمات وكأنها تصل إلى (راند) عبر صوف يغطي أذنيه. *لا يوجد مجال للهرب.* دمدم الرعد من فوقه وغرق في وميض من البرق. *يجب أن أجد مجالًا للهرب.* ناداهما (جود)، يأمرهما، يناشدهما. انزلق الباب بوصة أخرى إلى الداخل. *مجال للهرب!*

أغرق البرق الحجرة ليعمي الأبصار، وامتلأ الهواء بالدمدمة ورائحة الاحتراق. أحس (راند) بنفسه يندفع إلى الوراء ويرتطم بالجدار. سقط

متكومًا على الأرض وأذناه تطنان، وقد انتصبت كل شعرة في جسده. اعتدل واقفًا على قدميه مترنحًا وهو يشعر بالدوار. ارتجفت ركبتاه فاتكأ بيده إلى الجدار لكي يحافظ على توازنه ثم تلفت حوله في دهشة.

كان المصباح ملقى على جانبه على حافة واحدة من الأرفف القليلة التي لا تزال مثبتة إلى الجدران، لا يزال مشتعلًا ويُلقي بالضوء. كل البراميل والصناديق كانت قد تبعثرت وبعضها محترق ومتفحم. اختفت النافذة والقضبان وجزء كبير من الجدار أيضًا تاركين فجوة متشظية. كان السقف متدليًا وخيوط من الدخان تصارع المطر حول حواف الفجوة. كان الباب متدليًا من مفاصله، ومحشورًا في إطاره بزاوية مائلة نحو الردهة.

عدل من موضع المصباح وهو لا يزال يشعر بالدوار وعدم التصديق. لقد بدا وكأن أهم شيء في العالم هو أن يحرص على ألا ينكسر.

فجأة تساقطت كومة من الصناديق وانتصب (مات) واقفًا من وسطها، وقف على قدميه وهو يرمش ويتحسس نفسه كأنما يطمئن أن أطرافه كلها متصلة بجسده. ثم نظر ناحية (راند) وقال: «(راند)؟ أهذا أنت؟ أنت على قيد الحياة. لقد خُيل إليَّ أننا...». بتر جملته وهو يعض شفته بينما جسده يرتجف، لقد احتاج (راند) لدقيقة حتى يُدرك أنه يضحك وأنه على حافة الهيستيريا.

«ما الذي حدث يا (مات)؟ (مات)؟ (مات)! ما الذي حدث؟».

ارتجف جسد (مات) مرة أخيرة ثم سكن تمامًا قبل أن يقول: «البرق يا (راند). لقد كنت أنظر ناحية النافذة عندما ضرب القضبان الحديدية، البرق. لا يمكنني أن أرى فائدة...». ضيق عينيه وهو ينظر ناحية الباب المائل، ثم صار صوته حادًّا وهو يقول: «أين (جود)؟».

لم يكن هناك شيء يتحرك في الممر المظلم وراء الباب، ولم يكن هناك أدنى أثر أو صوت يدل على (جود) أو رفاقه، ولكن أي شيء قد يكون كامنًا في الظلام. وجد (راند) نفسه يأمل أنهم قد ماتوا، ولكنه لم يكن ليمد

رأسه إلى الردهة ليتيقن من موتهم حتى ولو عُرض عليه كراون ذهبي. أيضًا لم يكن هناك شيء يتحرك بالخارج في الليل وراء الموضع الذي كان فيه الجدار. ولكن العديد من الناس كانوا قد استيقظوا، فقد جاءت صيحات مرتبكة من الطابق العلوي للحانة، وصوت أقدام راكضة تضرب الأرضية.

قال (راند): «دعنا نهرب بينما لدينا الفرصة».

على الفور جمع متعلقاتهما من بين الأنقاض ثم أمسك بذراع (مات) وجذبه عبر الفجوة إلى الليل. تشبث (راند) بذراعه بينما يتعثر بجواره وهو يميل رأسه للأمام محاولًا أن يرى.

بينما أول الأمطار تضرب وجه (راند) لمع لسان برق فوق الحانة، فانتفض وهو يتوقف في موضعه. كان رجال (جود) لا يزالون هناك، مستلقين على الأرض وأقدامهم ناحية الفجوة، ينهمر المطر عليهم بينما أعينهم مفتوحة تحدق إلى السماء.

سأله (مات): «ما الأمر؟ بحق الدماء والرماد! بالكاد يمكنني أن أرى يدي».

قال (راند): «لا شيء». إنه الحظ، حظ من (النور)... أهو كذلك؟ ارتجف وهو يقتاد (مات) متحاشيًا الجثث. «إنه فقط البرق».

لم يكن هناك ضوء باستثناء البرق، فراح يتعثر في الأخاديد بينما هما يركضان بخطوات مترنحة مبتعدين عن الحانة. كان (مات) متعلقًا به تقريبًا، فكان كل تعثر يكاد يسقطهما أرضًا، ولكنهما راحا يهرولان وهما يلهثان.

نظر إلى الوراء مرة واحدة قبل أن يتكاثف المطر ويحجب حانة (الحوذي الراقص) عن الأنظار. أظهر البرق هيئة رجل في مؤخرة الحانة، رجل يلوح بقبضته ناحيتهما، أو ناحية السماء. لم يعرف إن كان (جود) أم (هايك)، ولكن أيًّا منهما سيكون سيئًا كالآخر. جاء المطر كالطوفان ليعزلهما في جدار من الماء. أسرع عبر الليل مصغيًا السمع بين هدير العاصفة بحثًا عن صوت شخص يطارده.

الفصل الثالث والثلاثون

الظلام ينتظر

تحت السماء المكفهرة تأرجحت عربة ذات عجلات عالية نحو الشرق عبر (طريق كايملين). جذب (راند) نفسه من القش في مؤخرة العربة لينظر من على جانبها. كان الجو قد تحسن عما كان عليه قبل ساعة مضت. أحس كأن ذراعيه سيستطيلان بدلًا من جذبه لأعلى، ولدقيقة أراد رأسه أن يواصل الطفو مبتعدًا، ولكنه كان أفضل حالًا من ذي قبل. شبك مرفقيه فوق الألواح الخشبية الخفيضة وراقب الأرض وهي تتدحرج إلى الوراء. كان السحاب الثقيل لا يزال يُخفي الشمس، ولكنها كانت عالية في السماء. بينما العربة تهتز متوجهة إلى قرية أخرى بيوتها المغطاة بالكروم مبنية من قرميد أحمر. صارت البلدات قريبة من بعضها منذ أن غادرا (الملوك الأربعة).

بعض الناس كانوا يلوحون أو ينادون لتحية (هيوم كينش) المزارع الذي يستقلان عربته. كان السيد (كينش) رجلًا قليل الكلام ذا وجه قد سفعته الشمس. فكان يرد التحية بكلمات قليلة في كل مرة من وراء الغليون الذي يضعه بين أسنانه. كانت أسنانه المطبَقة تجعل ما يقوله غير مفهوم، ولكن صوته كان ودودًا، وبدا أن هذا مرضيًا بالنسبة لهم، فكانوا يعودون

إلى ما يفعلونه دون أن ينظروا نظرة أخرى إلى العربة. لم يبدُ أن أحدًا يعير اهتمامًا إلى الاثنين الراكبين مع المزارع.

ظهرت حانة القرية أمام ناظري (راند)، كانت مطلية باللون الأبيض مع سقف رمادي من الأردواز. كان الناس يدخلون ويخرجون في صخب وهم يومئون برؤوسهم ويلوحون لتحية أحدهم الآخر. بعضهم توقف لكي يتحدث، كانوا يعرفون بعضهم بعضًا. بدا من ملابسهم أن معظمهم قرويون، أحذيتهم وسراويلهم ومعاطفهم لا تختلف كثيرًا عما يرتديه، باستثناء ولعهم المفرط بالخطوط الملونة، كانت النساء يرتدين قبعات ذات مقدمات طويلة تخفي وجوههن، ومآزر بيضاء مخططة. ربما جميعهم قرويون ومزارعون محليون. *هل يصنع هذا فارقًا؟*

استلقى مرة أخرى على القش وهو يراقب القرية تتضاءل بين قدميه. كان يتراص على جانبي الطريق حقول مسورة وأسيجة مشذبة وبيوت ريفية صغيرة يتصاعد الدخان من مداخنها القرميدية. الأشجار الوحيدة القريبة من الطريق هي تلك الأشجار القصيرة الجيدة من أجل حطب المدفأة، والمعتنى بها جيدًا كحدائق المزارع. ولكن كل الأغصان كانت عارية من الأوراق كالغابة البرية جهة الغرب.

كان هناك صف من العربات الكبيرة قادم من الجهة المعاكسة في منتصف الطريق مما دفع بالعربة الصغيرة إلى حافة الطريق. نقل السيد (كينش) غليونه من جانب فمه إلى الجانب الآخر ثم بصق من بين أسنانه. أبقى العربة متحركة وعينه على العجلة الجانبية ليتيقن من عدم اشتباكها بالسياج. جز على أسنانه وهو ينظر إلى قافلة التجار.

لم يفرقع أي من سائقي العربات بسوطه الطويل في الهواء فوق المجموعة المكونة من ثمانية أحصنة التي تجر عربته، ولم ينظر أي من الحراس صارمي الوجوه الجالسين على صهوة أحصنتهم بمحاذاة العربات الكبيرة إلى العربة

الصغيرة. راقب (راند) مرورهم وقلبه يخفق في صدره. ظلت يده تحت عباءته ممسكة بمقبض سيفه حتى مرت آخر عربة.

ومع ابتعاد هذه العربة الأخيرة ناحية القرية التي غادروها للتو التفت (مات) من المقعد المجاور للمزارع ومال للوراء حتى عثر على عيني (راند). الوشاح الذي يؤدي دوره لحمايته من الغبار عند الحاجة كان يُظلل عينيه؛ مطويًّا عدة طيات ومعقودًا على جبهته. ورغم هذا فقد احتاج إلى تضييق عينيه لكي يرى جيدًا في ضوء النهار الرمادي. «هل رأيت أي شيء هناك؟ ما هذه العربات؟».

هز (راند) رأسه فأومأ (مات)؛ لم يرَ شيئًا أيضًا.

نظر السيد (كينش) لهما من طرف عينه ثم نقل غليونه مرة أخرى وضرب باللجام. كان هذا كل شيء ولكنه قد لاحظ الأمر. أسرع الحصان من خطواته بعض الشيء.

سأله (راند): «هل عيناك لا تزالان تؤلمانك؟».

لمس (مات) الوشاح المحيط برأسه ثم قال: «لا، ليس كثيرًا، ما لم أنظر إلى الشمس مباشرة على أي حال. ماذا عنك؟ هل تشعر بأي تحسن؟».

«قليلًا». أدرك أنه كان أفضل حالًا بالفعل. كان من المدهش أن يتغلب على المرض بهذه السرعة. لقد كان الأمر هبة من (النور). *لا شك أنه (النور). يجب أن يكون الأمر كذلك.*

فجأة مر مجموعة من الركبان بجوار العربة متجهين غربًا كعربات التجار. الياقات البيضاء الطويلة متدلية على دروعهم المصنوعة من الزرد والألواح المعدنية، وكانت معاطفهم الداخلية وعباءاتهم حمراء اللون، كحراس البوابات في (الجسر الأبيض)، ولكنها محاكة بشكل أفضل وتناسبهم أكثر. كانت خوذاتهم المخروطية تلمع كالفضة، ويمتطون خيولهم بظهور منتصبة. كانت الأشرطة الحمراء الرفيعة ترفرف تحت أسنة رماحهم، وكل رمح مرفوع بنفس الزاوية.

نظر بعضهم إلى العربة أثناء مرورهم في صفين، وكل وجه مغطى بقناع من قضبان فولاذية. كان (راند) مسرورًا لأن عباءته تخفي سيفه. أومأ بعضهم برؤوسهم إلى السيد (كينش)، ليس وكأنهم يعرفونه ولكن في تحية تقليدية. بادلهم السيد (كينش) الإيماءة بنفس الطريقة، ولكن على الرغم من تعبيرات وجهه التي لم تتغير كان هناك لمحة من التقدير في إيماءته.

كانت خيولهم تمشي على مهل، ولكن مع سرعة العربة مروا في وقت قصير. كان جزء من عقل (راند) يحسب عددهم؛ عشرة... عشرين... ثلاثين... اثنين وثلاثين. رفع رأسه ليُشاهد الصفين يبتعدان عبر (طريق كايملين).

قال (مات) في مزيج من التساؤل والريبة: «من هؤلاء؟».

قال السيد (كينش) من وراء غليونه مبقيًا عينيه على الطريق أمامه: «(حرس الملكة)، لن يذهبوا أبعد من قرية (برينز سبرينج)، ما لم يتلقوا أمرًا بخلاف هذا. ليس مثل الأيام الخوالي». أخذ نفسًا من غليونه ثم قال: «أفترض أن هذه الأيام هناك أجزاء من المملكة لا ترى (حرس الملكة) طيلة عام أو أكثر، ليس مثل الأيام الخوالي».

سأله (راند): «ما الذي يفعلونه؟».

ألقى المزارع عليه نظرة ثم قال: «يحافظون على سلام المملكة ويطبقون قوانين الملكة». أومأ برأسه لنفسه كأنه يستحسن هذا ثم أضاف: «يبحثون عن المجرمين ويقدمونهم إلى المحاكمة». زفر نفسًا طويلًا من الدخان ثم قال: «لا شك أنكما من مكان بعيد للغاية بما أنكما لم تتعرفا على (حرس الملكة). من أين أنتما؟».

قال (مات): «من مكان بعيد». وفي اللحظة ذاتها قال (راند): «من (النهرين)». ولكن ما إن نطق بهذا حتى تمنى لو كان باستطاعته أن يتراجع عنه. لا يزال غير قادر على التفكير بذهن صافٍ. بينما يحاول الاختباء ينطق باسم سيسمعه أي (عاتم) كالجرس.

نظر السيد (كينش) إلى (مات) من طرف عينه وهو ينفخ غليونه في صمت لبعض الوقت، وأخيرًا قال: «هذا مكان بعيد بالفعل، يكاد أن يكون على حدود المملكة. ولكن لا شك أن الأمور أسوأ مما كنت أتصور إن كان هناك أماكن في المملكة لا يتعرف فيها الناس حتى على (حرس الملكة). ليس مثل الأيام الخوالي على الإطلاق».

تساءل (راند) عما سيقوله السيد (ألڤير) إن أخبره شخص ما أن (النهرين) جزء من مملكة ملكة ما. ملكة (أندور) حسبما يفترض. ربما العمدة يعرف، لطالما كان يعرف العديد من الأشياء التي تفاجئ (راند). ربما هناك آخرون يعرفون هذا أيضًا، ولكنه لم يسمع أحدًا يذكر هذا الأمر. النهران هي النهران فقط. كل قرية تعالج مشكلاتها الخاصة، وإن كان هناك مشكلة تتعلق بأكثر من قرية فإن العُمَد . وربما مجالس القرى . يتولون حل المشكلة فيما بينهم.

جذب السيد (كينش) اللجام مُبطئًا من حركة العربة حتى توقفت. «هذا أبعد مكان يمكنني أن أوصلكما إليه». كان هناك درب ضيق مهيأ لسير العربات يؤدي إلى الشمال، والعديد من البيوت الريفية تقع على مرمى البصر في هذا الاتجاه عبر الحقول الواسعة المحروثة ولكنها لا تزال خالية من المحاصيل. «في غضون يومين ستصلان إلى (كايملين)، على الأقل لو كانت ساقا صديقك تقويان على حمله».

قفز (مات) من العربة وأخذ قوسه وأشياءه الأخرى ثم ساعد (راند) على النزول من مؤخرة العربة. كانت حزم (راند) ثقيلة عليه وارتجفت ساقاه من تحته، ولكنه تجاهل يد صديقه الممدودة ناحيته وحاول أن يمشي بضع خطوات معتمدًا على نفسه. لا يزال يشعر بعدم الاتزان، ولكن ساقيه كانتا قادرتين على حمله، بل بدتا وكأنهما تزدادان قوة مع استخدامه لهما.

لم ينطلق المزارع بعربته على الفور، بل تفحصهما لدقيقة وهو يدخن غليونه قبل أن يقول: «يمكنكما أن تستريحا ليوم أو يومين في بيتي إن

أردتما. أفترض أنه لن يفوتكما شيء خلال هذا الوقت. أيًّا ما كان المرض الذي تتعافى منه أيها الشاب... حسنًا أنا وزوجتي قد مررنا بالفعل بكل مرض يمكنك أن تفكر فيه قبل مولدك، واعتنينا بصغارنا أثناء إصابتهم بها أيضًا. أفترض أنك تجاوزت مرحلة الإعياء على أي حال».

ضَيَّق (مات) عينيه وعقد (راند) حاجبيه رغمًا عنه. *ليس الجميع جزءًا من الأمر، لا يمكن أن يكون الجميع جزءًا منه.*

قال (راند): «شكرًا لك، ولكني بخير، حقًّا. كم تبعد القرية التالية؟».

«(كاريسفورد)؟ يمكنكما أن تصلا إليها سيرًا قبل حلول الظلام». أزال السيد (كينش) الغليون من بين أسنانه وضم شفتيه مفكرًا قبل أن يُكمل: «في البداية افترضت أنكما متدربان هاربان، ولكني الآن أعتقد أنكما هاربان من شيء أكثر جدية، لا أعرف ما هو ولا أُبالي، ولكني قادر على الحكم على الأمور بشكل جيد بما يكفي لمعرفة أنكما لستما من (أصدقاء الظلام)، وعلى الأرجح لن تسرقا أو تؤذيا أحدًا، على عكس معظم الموجودين على الطريق هذه الأيام. لقد تورطت في بعض المتاعب مرة أو مرتين حينما كنت في مثل عمركما، إن كنتما بحاجة للاختباء لبضعة أيام فإن مزرعتي على بعد خمسة أميال من هذا الاتجاه». أومأ برأسه ناحية الدرب الممهد. «ولا أحد يأتي إلى هناك مطلقًا. أيًّا كان ما يطاردكما فإنه لن يبحث عنكما هناك على الأرجح». تنحنح كأنه يشعر بالحرج لتحدثه بكلمات كثيرة دفعة واحدة.

سأله (مات): «كيف يمكنك أن تعرف ما يبدو عليه (أصدقاء الظلام)؟». ثم تراجع للوراء بعيدًا عن العربة وهو يمد يده تحت معطفه. «ما الذي تعرفه عن (أصدقاء الظلام)؟».

عبس وجه السيد (كينش) وهو يقول: «فلتفعلا ما يحلو لكما». ثم ضرب بلجامه فأسرع الحصان جارًّا العربة عبر الدرب الممهد، ولم ينظر وراءه قط.

نظر (مات) إلى (راند) وقد تلاشى التجهم من على وجهه. «المعذرة يا (راند)، أنت بحاجة إلى مكان للراحة. ربما لو لحقنا به...». ثم هز كتفيه وقال: «لا يمكنني أن أتخلص من إحساسي بأن الكل يلاحقنا، أتمنى لو أن أعرف سبب ملاحقتهم لنا بحق (النور)، أتمنى لو ينتهي هذا الأمر، أتمنى...». بتر جملته في بؤس.

قال (راند): «لا يزال هناك بعض الأناس الطيبين». بدأ (مات) السير ناحية الدرب الذي قطعته العربة جازًّا على أسنانه كأن هذا هو آخر شيء يرغب في فعله. ولكن (راند) أوقفه وقال: «ليس هناك متسع من الوقت للتوقف من أجل الراحة يا (مات)، كما أنني لا أعتقد أن هناك أي مكان يصلح للاختباء».

أومأ (مات) برأسه وكان ارتياحه واضحًا. حاول أن يحمل بعضًا من أعباء (راند)؛ حقائب السرج، وعباءة (توم) الملفوفة حول حقيبة القيثارة، ولكن (راند) تشبث بها. إنه يشعر أن قدميه أقوى بالفعل. راح يفكر بينما هما يبدآن السير عبر الطريق؛ *ما الذي يطاردنا؟ لا، لا يطاردنا، بل ينتظرنا.*

واصل المطر هطوله طيلة الليلة التي هربا فيها مترنحين من حانة (الحوذي الراقص) وهو يضربهما بقوة كالرعد الذي يهدر من السماء التي يشقها البرق. بعد دقائق صارت ملابسهما منقوعة بالماء، وفي غضون ساعة أحس (راند) أن جلده منقوع أيضًا. ولكنهما تركا (الملوك الأربعة) وراءهما. كان (مات) شبه أعمى في الظلام محدقًا بألم إلى الومضات الحادة التي تجعل الأشجار تبرز بشكل صارخ للحظة. كان (راند) يقتاده من يده ورغم هذا كان (مات) يخطو كل خطوة في تردد. اكتسى وجه (راند) بالقلق؛ إن لم يستعد (مات) بصره فسيضطران للتحرك ببطء شديد، ولن يهربا أبدًا.

بدا أن (مات) يشعر بأفكاره، ورغم غطاء رأسه إلا أن المطر جعل شعر (مات) يلتصق بوجهه. قال: «أنت لن تتخلى عني يا (راند)، أليس كذلك؟ إن لم أستطع مجاراتك؟». كان صوته يرتجف.

قال (راند) وهو يشدد قبضته على يد صديقه: «لن أتخلى عنك، لن أتخلى عنك مهما حدث». فلتساعدنا أيها (النور)! دوى الرعد من فوقهما فتعثر (مات) فكاد أن يسقط، وكاد أن يسقطه معه أيضًا. «يجب علينا أن نتوقف يا (مات)، ستكسر إحدى ساقيك إن واصلت السير».

«(جود)». شق البرق الظلام من فوقهما تمامًا بينما (مات) يتحدث، وتردد دوي الرعد ليطغى على كل الأصوات الأخرى، ولكن في وميض البرق استطاع (راند) أن يميز الاسم على شفتي (مات).

«إنه ميت». *يجب أن يكون كذلك، بحق (النور)، فليكن ميتًا.*

اقتاد (مات) إلى بعض الشجيرات التي رآها على وميض البرق، كان بها القليل من الأوراق بما يكفي لمنحهما مأوى صغيرًا من الأمطار الغزيرة، ليس بقدر ما يمكن أن تمنحه لهما شجرة كبيرة، ولكن لم يرغب في أن يخاطر بتعرضهما لضربة برق أخرى. قد لا يكونان محظوظين كثيرًا في المرة التالية.

انكمشا معًا تحت الشجيرات وحاولا أن يصنعا من عباءتيهما خيمة صغيرة فوق الأغصان. لقد فات الأوان على التفكير في أن يبقيا جافين، ولكن على الأقل يمكن أن يحتميا من ضربات قطرات الأمطار. جلسا متجاورين ليتشاركا القليل من الدفء مما تبقى لهما من حرارة جسديهما. كانا يقطران من البلل والمزيد من القطرات تتسلل من بين عباءتيهما، فراحا يرتجفان حتى غلبهما النوم.

أدرك (راند) على الفور أنه يحلم، كان قد عاد إلى (الملوك الأربعة) ولكن البلدة كانت خاوية إلا منه. كانت العربات هناك، ولكن لا يوجد أناس ولا خيول ولا كلاب، ولا أي مخلوق حي. إلا أنه كان يعرف أن شخصًا ما ينتظره.

بدت المباني ضبابية وهو يمر من جوراها عبر الشارع المليء بالأخاديد. عندما يلتفت إليها تكون جميعها هناك، بصورة واضحة، ولكن الضبابية تبقى في زوايا رؤيته، كأن لا شيء يوجد حقًّا إلا ما ينظر إليه، وبينما يراه فقط. كان واثقًا من أنه إن التفت بسرعة كافية فسيرى... لم يكن واثقًا مما قد يراه، ولكن التفكير فيه يجعله متوترًا.

ظهرت حانة (الحوذي الراقص) أمامه، وبطريقة ما بدا الطلاء المبهرج رماديًّا وخاليًا من الحياة. دلف إلى الداخل فوجد (جود) بانتظاره على إحدى الطاولات.

لم يتعرف على الرجل إلا من خلال ملابسه الحريرية والمخملية الداكنة. كانت بشرة (جود) حمراء ومحروقة ومتشققة وينز منها الدم. كان وجهه عبارة عن جمجمة تقريبًا، وقد ذبلت شفتاه لتكشفا عن أسنانه ولثته. بينما (جود) يدير رأسه طقطق بعض من شعره قبل أن يتساقط على هيئة مسحوق من سخام عندما ارتطم بكتفه. كانت عيناه الخاليتان من الجفون تحدقان إلى (راند).

قال (راند): «إذن فأنت ميت». تفاجأ بأنه لم يكن خائفًا، ربما لمعرفته أنه يحلم هذه المرة.

قال صوت (بعلزمون): «أجل، ولكنه عثر عليك من أجلي، هذا يستحق مكافأة ما، ألا تعتقد هذا؟».

التفت (راند) إليه واكتشف أنه من الممكن أن يشعر بالخوف، حتى مع معرفته بأنه يحلم. كانت ثياب (بعلزمون) بلون الدماء الجافة، وكان الغضب والكراهية والانتصار يتصارعون على وجهه.

«كما ترى أيها الصغير؛ لا يمكنك أن تختبئ مني إلى الأبد، سأعثر عليك بطريقة أو بأخرى، ما يحميك هو ما يجعلك مكشوفًا، في مرة تختبئ وفي المرة التالية تشعل نارًا تدل على موضعك. تعالَ إليَّ أيها الصغير». مد يده إلى (راند). «إذا اضطررت لأن أجعل كلاب الصيد التابعين لي

يجذبونك إليَّ فقد لا يكونون رفقاء بك، إنهم يغارون مما ستصير إليه بمجرد أن تجثو أمام قدمي، إنه مصيرك، أنت ملكي». أصدر لسان (جود) المحترق صوتًا غاضبًا ومتلهفًا غير مفهوم.

حاول (راند) أن يُبلل شفتيه ولكن حلقه كان جافًّا. وأخيرًا استطاع أن يقول: «لا». ثم جاءت الكلمات بشكل أيسر. «أنا ملك نفسي ولست ملكك، ولن أكون أبدًا، نفسي وحسب. حتى وإن قتلني تابعوك من (أصدقاء الظلام) فلن تنال مني أبدًا».

النيران المنبعثة من وجه (بعلزمون) زادت من حرارة الغرفة حتى صار الهواء متموجًا. «أنت ملكي أيها الصغير، حيًّا أو ميتًا، من الأسهل أن أنال منك ميتًا ولكن الأفضل أن أنال منك حيًّا، الأفضل لك أيها الصغير، الأحياء لديهم قوة أكبر في معظم الأمور». صدر عن (جود) صوت آخر غير مفهوم. «أجل يا كلبي المطيع، ها هي مكافأتك».

نظر (راند) إلى (جود) في الوقت المناسب لكي يرى جسد الرجل وهو ينهار متحولًا إلى غبار. للحظة بدا أن الوجه المحترق يحمل فرحًا شديدًا، تحول إلى رعب في اللحظة الأخيرة وكأنه قد رأى في انتظاره شيئًا لم يكن يتوقعه. استقرت ملابس (جود) المخملية الخاوية على الكرسي والأرضية بين الرماد.

عندما أعاد (راند) بصره مرة أخرى إلى (بعلزمون) كانت يده الممدودة قد تحولت إلى قبضة. «أنت ملكي أيها الصغير، حيًّا أو ميتًا. (عين العالم) لن تخدمك. أنا أضع عليك علامة بأنك ملكي». ثم فتح قبضته فانطلق منها كرة من اللهب صدمت (راند) في وجهه لتنفجر بألم حارق.

هب (راند) مستيقظًا في الظلام، والماء يقطر من بين العباءتين على وجهه. ارتجفت يده وهو يلمس وجنتيه، كان ملمس الجلد رقيقًا كأنما قد سفعته الشمس.

فجأة أدرك أن (مات) يتلوى ويئن في نومه، فراح يهزه حتى استيقظ وهو يتأوه.

«عيناي! بحق (النور)، عيناي! لقد أخذ عيناي!».

ضمه (راند) إلى صدره وراح يهدهده كما لو كان طفلًا رضيعًا. «أنت بخير يا (مات)، أنت بخير، لا يمكنه أن يؤذيك، لن ندعه يؤذيك». كان باستطاعته أن يشعر بـ(مات) وهو يرتجف ويبكي في معطفه. همس: «لا يمكنه أن يؤذينا». تمنى لو أن باستطاعته أن يصدق هذا. *ما يحميك يجعلك مكشوفًا. أنا أُصاب بالجنون.*

تضاءل هطول المطر وتلاشت آخر القطرات مع حلول الفجر. ظلت الغيوم تُنذر بالمطر حتى الصباح. ثم جاءت الرياح لتدفع الغيوم نحو الجنوب، لتكشف عن أشعة الشمس الخالية من الدفء، وتصفع ملابسهما المبللة بالماء. لم يناما مرة أخرى، ولكنهما ارتديا عباءتيهما وهما يشعران بالدوار قبل أن يتجها ناحية الشرق و(راند) يجذب (مات) من يده. بمرور الوقت تعافى (مات) بما يسمح له أن يشتكي مما فعله المطر بوتر قوسه. لم يسمح له (راند) أن يتوقف ليستبدل به وترًا جافًّا من جيبه، ليس الآن.

وصلا إلى قرية أخرى بعد منتصف الظهيرة بقليل. ارتجف (راند) بقوة لمرأى البيوت القرميدية الدافئة والدخان يتصاعد من مداخنها، ولكنه ظل بعيدًا عنها وهو يجذب (مات) عبر الغابات والحقول الواقعة إلى جنوبها. لم يرَ سوى مزارع وحيد يعمل على تجريف حقل موحل، وحرص على ألا يراهما هذا الرجل، وهما يمران خلسة من بين الأشجار. كان اهتمام المزارع منصبًّا على عمله، ولكن (راند) راح يراقبه حتى اختفى عن ناظريه. إن كان بعض من رجال (جود) قد ظلوا على قيد الحياة فربما يعتقدون أنهما قد اتخذا الطريق الجنوبي خارجين من (الملوك الأربعة)، إن لم يعثروا على أي شخص قد رآهما في هذه القرية. عادا إلى الطريق بعد أن اختفت

البلدة في الأفق، لتساعد الشمس على تجفيف ملابسهما، أو على الأقل للتخفيف من بللها.

بعد ساعة من السير بعيدًا عن البلدة أقلهما مزارع في عربته نصف الممتلئة بالقش. لقد تفاجأ (راند) بظهور العربة أثناء انشغاله بالقلق حيال (مات). كان (مات) يحمي عينيه من ضوء الشمس بيده رغم أن الضوء كان ضعيفًا في آخر النهار، مضيقًا جفنيه وهو يشتكي من سطوع الشمس. عندما سمع (راند) صوت قعقعة عربة القش كان الأوان قد فات على الاختباء، لقد ساعد الطريق المبتل على كتم الصوت وكانت العربة التي يجرها حصانان على بعد خمسين ذراعًا فقط من ورائهما، والسائق قد رآهما بالفعل.

لدهشة (راند) أوقف الرجل العربة وعرض عليهما أن يقلهما. تردد (راند) ولكن الأوان قد فات على أن يتجنب أن يراهما أحد، ورفضهما لعرض الرجل أن يقلهما قد يثير شكوكه ناحيتهما. ساعد (مات) على أن يجلس على المقعد بجوار السائق ثم صعد من ورائه.

كان (ألبيرت مول) رجلًا هادئ الطباع، بوجه عريض ويدين عريضتين، جافتين وممتلئين بالشقوق بفعل العمل الشاق والقلق، ولكنه كان بحاجة لشخص يتحدث إليه. لقد جفت ضروع أبقاره ولم تعد دجاجاته تبيض، ولم يكن هناك أي مرعى يستحق أن يُطلق عليه هذا الاسم. لأول مرة حسبما يتذكر يضطر لأن يشتري قشًّا، ونصف عربة من القش كان كل ما سمح له «(باين) العجوز» بأن يحصل عليه. تساءل إن كان هناك أي فرصة لأن يحصل على القش من أرضه هذا العام، أو أي نوع آخر من المحاصيل.

«يجب أن تفعل الملكة شيئًا، فليباركها (النور)». تمتم بهذا وهو يضع مفاصل أصابعه على جبهته في احترام في حركة لا شعورية.

بالكاد نظر إلى (راند) أو (مات)، ولكن عندما أنزلهما عند الدرب الضيق الممهد الذي يؤدي إلى مزرعته تردد ثم قال كأنما لنفسه: «لا

أعرف ما الذي تهربان منه، ولا أرغب في معرفته. لدي زوجة وأطفال، هل تفهمان؟ عائلتي. إنها أوقات عصيبة على مساعدة الغرباء».

حاول (مات) أن يضع يده تحت معطفه، ولكن (راند) أمسك بمعصمه ليمنعه وظل واقفًا في الطريق وهو ينظر إلى الرجل دون أن يتحدث.

قال (مول): «لو كنت رجلًا صالحًا لعرضت على شابين مبللين حتى النخاع مكانًا لكي يجفا فيه وينالا الدفء أمام نيران مدفأتي. ولكنها أوقات عصيبة، والغرباء... لا أعرف ما الذي تهربان منه ولا أرغب في معرفته، هل تفهمان؟ عائلتي». فجأة أخرج من جيب معطفه وشاحين من الصوف، طويلين وسميكين ولونهما داكن. «هذا ليس بالكثير، ولكن إليكما هذين، إنهما ملك ابنيَّ ولكن لديهما أوشحة أخرى. أنتما لا تعرفانني، هل تفهمان؟ إنها أوقات عصيبة».

أومأ (راند) برأسه وهو يأخذ الوشاحين قائلًا: «نحن لم نرك قط، أنت رجل صالح بالفعل وأفضل شخص التقينا به في هذه الأيام».

نظر إليه المزارع في دهشة ثم في امتنان، قبل أن يجذب لجامي حصانيه ويوجههما عبر الدرب الضيق. وفي الوقت ذاته جذب (راند) (مات) عبر (طريق كايملين).

اشتدت الرياح مع اقتراب الغسق، فراح (مات) يسأله متبرمًا متى سيتوقفان، ولكن (راند) واصل الحركة جاذبًا (مات) وراءه، باحثًا عن مأوى أفضل من مجرد بقعة تحت سياج. مع ملابسهما التي لا تزال مبتلة، والرياح التي تزداد برودة مع كل دقيقة، لم يعد واثقًا إن كان بإمكانهما النجاة ليلة أخرى في العراء. خيم الليل دون أن يجدا أي شيء مفيد. صارت الرياح ثلجية وهي تضرب عباءته. ثم رأى عبر الظلمة من أمامه أضواء قرية.

وضع يده في جيبه متحسسًا العملات المعدنية فيه، أكثر من كافية لوجبة وغرفة لكليهما، غرفة تحميهما من برودة الليلة. إن ظلا في العراء،

في الرياح الباردة، وملابسهما المبتلة، فأي شخص سيعثر عليهما لن يجد سوى جثتين على الأرجح، يجب عليهما فقط أن يتجنبا جذب أي انتباه أكثر من اللازم، لن يعزف المزمار، ولا شك أن (مات) لن يتمكن من التلاعب بالكرات بعينيه هاتين. أمسك بيد (مات) مرة أخرى وانطلق ناحية الأضواء التي تدعوه إليها.

سأله (مات) مرة أخرى: «متى سنتوقف؟». الطريقة التي كان يضيق بها عينيه وهو يميل رأسه للأمام جعلت (راند) يشك إن كان بإمكان (مات) أن يراه، ناهيك عن رؤية أضواء القرية.

أجابه: «عندما نصل إلى مكان دافئ».

كان الضوء المنبعث من نوافذ البيوت يضيء شوارع البلدة، والناس يمشون في الشوارع غير مكترثين بما قد يكون هناك في الظلام. الحانة الوحيدة كانت عبارة عن مبنى متشعب ومن طابق واحد فقط، فيبدو من هيئتها أن مجموعات من الغرف قد أُضيفت إليها عبر السنوات بدون تخطيط. انفتح الباب الأمامي ليخرج منه شخص ما، وجاء من ورائه موجة من الضحك.

تجمد (راند) في موضعه وقد تردد في عقله أصداء الضحكات الثملة في حانة (الحوذي الراقص). شاهد الرجل يمشي عبر الشارع بخطوات غير متزنة، ثم أخذ نفسًا عميقًا ودفع الباب لفتحه. حرص على أن تغطي عباءته سيفه والضحك يتعالى من حوله.

كانت المصابيح المتدلية من السقف العالي تنير الحجرة، وعلى الفور استطاع أن يرى الاختلاف عن حانة (سامِل هايك) ويشعر به.

على الأقل لم يكن هناك فوضى من السُّكْر في المكان. كانت الحجرة مليئة بأناس يبدو أنهم مزارعون وقرويون، ورغم أنهم لم يكونوا متيقظين تمامًا إلا أنهم لم يكونوا بعيدين تمامًا عن هذا. كانت الضحكات حقيقية وإن كان بها بعض التصنع. أناس يضحكون لينسوا متاعبهم، ولكن مع

مرح حقيقي في ضحكهم. كانت الحجرة العامة نفسها مرتبة ونظيفة، ودافئة بفعل النيران المتقدة في المدفأة الكبيرة على الجانب الآخر. كانت ابتسامات النادلات دافئة كنيران المدفأة، وعندما يضحكن يشعر (راند) أن السبب هو رغبتهن في هذا.

كان صاحب الحانة نظيفًا كحانته، ويحيط ببطنه الممتلئ مئزرًا ناصع البياض. كان (راند) مسرورًا لرؤية أنه رجل بدين، لم يكن واثقًا إن كان باستطاعته أن يثق في صاحب حانة نحيل مرة أخرى. كان اسمه (رولان ألواين) . تفاءل (راند) بالاسم فقد كان وقع الاسم على مسمعه يحمل طابع (إيموندز فيلد) . وراح ينظر إليهما مليًّا قبل أن يطلب منهما بلباقة أن يدفعا مقدمًا.

«لا أفترض أنكما من هذا النوع، أنتما تفهمان، ولكن هناك بعض الأشخاص على الطريق هذه الأيام لا يتحمسون كثيرًا للدفع عندما يأتي الصباح. يبدو لي أن الكثير من الشباب متجهون إلى (كايملين)».

لم يشعر (راند) بالإهانة، ليس بينما ملابسه مبتلة وهو يرتعش بهذا الشكل. ولكن عندما ذكر السيد (ألواين) الثمن اتسعت عيناه، وأصدر (مات) صوتًا كأنما هناك غصة في حلقه.

هز صاحب الحانة رأسه في أسف، ولكنه بدا معتادًا على هذا، ثم قال في أسى: «الأوقات عصيبة، ولم يعد هناك الكثير، وما تبقى قد تضاعف ثمنه خمسة أضعاف عما كان عليه في السابق، ويمكنني أن أقسم أنه سيتضاعف مرة أخرى في الشهر القادم».

أخرج (راند) أمواله من جيبه ثم نظر إلى (مات) الذي أطبق فمه في عناد. سأله (راند): «هل ترغب في أن تنام تحت سياج؟». تنهد (مات) ثم أفرغ جيوبه على مضض. بعد دفع الحساب نظر (راند) إلى القليل الذي تبقى لكي يقسمه مع (مات).

ولكن بعد عشر دقائق كانا يتناولان الحساء على طاولة في ركن بالقرب من المدفأة، يملآن به ملعقتيهما مع قطع من الخبز، لم يكن الطعام كثيرًا كما كان (راند) يتمنى، ولكنه كان ساخنًا ومشبعًا. تسلل الدفء القادم من المدفأة إلى جسديهما ببطء. تظاهر بأنه يُبقي عينيه على طبقه ولكنه كان يُراقب الباب باهتمام. كل من يدخلون أو يخرجون بدا عليهم أنهم مزارعون، ولكن هذا لم يكن كافيًا لطمأنته.

تناول (مات) طعامه ببطء، مستمتعًا بكل قضمة منه، رغم أنه كان يشتكي بشأن ضوء المصابيح. بعد فترة أخرج الوشاح الذي أعطاه له (ألبيرت مول)، وعقده على جبهته، ثم جذبه لأسفل حتى كاد أن يُخفي عينيه. هذا جعل البعض يصوبون إليهما بعض النظرات التي تمنى (راند) لو كان باستطاعتهما أن يتجنباها. أنهى طبقه على الفور وهو يحث (مات) على أن يفعل مثله، قبل أن يطلب من السيد (ألواين) أن يدلهما على غرفتهما.

بدا صاحب الحانة مندهشًا من رغبتهما في الذهاب إلى غرفتهما مبكرًا، ولكنه لم يعلق على الأمر. أمسك بشمعة واقتادهما عبر شبكة من الممرات إلى غرفة صغيرة بها سريران صغيران في ركن بعيد من الحانة. بعد مغادرته أسقط (راند) حزمه بجانب السرير وألقى بعباءته على كرسي، ثم هوى على الفراش بكامل ملابسه. كانت ملابسه لا تزال مبتلة وغير مريحة ولكنه أراد أن يكون جاهزًا في حال أن اضطر للهرب. ظل مرتديًا حزام سيفه أيضًا ونام بيده على المقبض.

أيقظه صياح ديك في الصباح، فظل مستلقيًا في فراشه وهو ينظر إلى الفجر الذي يضيء النافذة، وتساءل إن كان يجرؤ على النوم لمزيد من الوقت؛ أن ينام في ضوء النهار بينما يُفترض بهما أن يتحركا. تثاءب بشكل جعل فكيه يطقطقان.

صاح (مات): «مرحى، يمكنني أن أرى!». ثم اعتدل على فراشه وهو يضيق عينيه ناظرًا إلى الغرفة قبل أن يقول: «بعض الشيء على الأقل. إن وجهك لا يزال ضبابيًّا نوعًا ما، ولكن بإمكاني معرفة أنه أنت. كنت أعرف أنني سأكون على ما يرام، بحلول الليل سأرى بشكل أفضل منك مرة أخرى».

نهض (راند) من فراشه وهو يحك جسده ثم التقط عباءته. كانت ملابسه متجعدة لكونها جفَّت أثناء نومه بينما يرتديها، مما جعلها تُصيبه بالحكة. قال: «نحن نضيع ضوء النهار». فنهض (مات) من فراشه بأسرع ما يستطيع وهو يحك جسده أيضًا.

كان (راند) يشعر أنه بحال أفضل بالفعل، إنهما على مسافة يوم من (الملوك الأربعة) ولم يظهر أحد من رجال (جود)، واقتربا يومًا من (كايملين)، حيث من المفترض أن تنتظرهما (مويرين). ستكون بانتظارهما، لن يكون هناك داعٍ للقلق بشأن (أصدقاء الظلام) بمجرد أن يعودا إلى صحبة (الآيز سيداي) و(الحامي). كان من الغريب أن يتطلع كثيرًا لأن يكون بصحبة واحدة من (الآيز سيداي). *بحق (النور)، عندما أرى (مويرين) مرة أخرى فسوف أقبلها!* ضحك لهذه الفكرة. كان يشعر أنه متحمس بما يكفي لإنفاق بعض من مخزونهما الضئيل من العملات المعدنية على وجبة إفطار؛ رغيف كبير من الخبز وإبريق من الحليب من مخزن التبريد في الحانة.

كانا يتناولان الطعام في الجزء الخلفي من الحجرة العامة عندما جاء شاب يبدو من هيئته أنه قروي، يمشي متبخترًا وهو يدير في الهواء بإصبعه قبعة قماشية بها ريشة. الشخص الآخر الوحيد في الحجرة كان رجلًا عجوزًا يكنس الأرضية، ولم يرفع عينيه قط عن مكنسته. بحيوية مسح الشاب الغرفة بعينيه وعندما وقعتا على (راند) و(مات) سقطت القبعة من على إصبعه. حدق إليهما لدقيقة كاملة قبل أن يلتقط القبعة من على الأرض ويحدق لمزيد من الوقت، وهو يمشط شعره الأسود المجعد بأصابعه. وأخيرًا اقترب من طاولتهما وهو يجر قدميه.

كان أكبر سنًّا من (راند) ولكنه وقف ناظرًا إليهما بمهابة وهو يسأل: «هل تمانعان إن جلست؟». ثم ازدرد لعابه كأنما قد قال شيئًا لا يصح قوله.

فكر (راند) أنه ربما يأمل في أن يشاركهما إفطارهما، رغم أنه بدا قادرًا على شراء إفطاره الخاص. كان قميصه ذو الخطوط الزرقاء مطرزًا حول الياقة، وعباءته الزرقاء الداكنة مطرزة في جميع حوافها. لم يرَ (راند) في حذائه الجلدي أي خدوش، مما يدل على أنه لم يقترب من عمل قد يؤدي إلى خدشه. أومأ (راند) برأسه إلى كرسي.

حدق (مات) إلى الشاب وهو يجذب الكرسي إلى الطاولة، لم يعرف (راند) إن كان ينظر بحدة أم فقط يحاول أن يرى بوضوح. على أي حال كان لتجهم (مات) تأثير على الشاب، فقد تجمد في موضعه أثناء جلوسه، ولم يجلس بالفعل إلا عندما أومأ له (راند) مرة أخرى.

سأله (راند): «ما اسمك؟».

«اسمي؟ اسمي، آه... فلتناديني (بايتر)». كانت عيناه زائغتين في توتر. «آه... هذه ليست فكرتي، أنتما تفهمان. يجب عليَّ أن أفعل هذا، لم أرغب في فعل هذا، ولكنهم أجبروني، يجب عليكما أن تفهما هذا، أنا لا...».

كان (راند) قد بدأ يشعر بالتوتر عندما قال (مات) مزمجرًا: «(صديق الظلام)».

جفل (بايتر) ونهض بعض الشيء من كرسيه وهو يحدق بشكل محموم في أرجاء الحجرة كأن هناك خمسين شخصًا يمكنهم أن يسترقوا السمع. كان العجوز لا يزال مطرقًا برأسه فوق المكنسة، واهتمامه منصب على الأرضية. جلس (بايتر) مرة أخرى وهو يبدل نظره بين (راند) و(مات). ظهرت قطرات من العرق على شفته العليا، كان اتهامًا كافيًا لجعل أي شخص يتصبب عرقًا، ولكنه لم يقل شيئًا للدفاع عن نفسه.

هز (راند) رأسه ببطء، فبعد ما حدث مع (جود) صار مدركًا أن (أصدقاء الظلام) لا يحملون بالضرورة (ناب التنين) على جبهاتهم، ولكن باستثناء ملابس (بايتر) كان من الممكن أن يكون واحدًا من (إيموندز فيلد). لا شيء حياله يشي بالقتل أو ما هو أسوأ. لن يرتاب فيه أحد، على الأقل (جود) كان... مختلفًا.

قال (راند): «اتركنا وشأننا، وأخبر أصدقاءك أن يتركونا وشأننا، لا نريد شيئًا منهم ولن ينالوا شيئًا منا».

أضاف (مات) بشراسة: «إن لم تتركنا وشأننا فسأخبر الناس بحقيقتك، ولنرى حينها ماذا سيكون رأي أهل قريتك في هذا».

كان (راند) يأمل أنه لا يعني هذا حقًّا، فهذا سيسبب لهما متاعب بقدر ما سيسببه لـ(بايتر). بدا أن (بايتر) قد أخذ التهديد على محمل الجد، فقد امتقع وجهه وهو يقول: «لقد... لقد سمعت بما حدث في (الملوك الأربعة)، بعضًا منه على الأقل، تنتشر الأخبار بسرعة، ولدينا طرقنا في سماع الأخبار. ولكن لا يوجد أحد هنا لينصب لكما فخًّا. أنا هنا وحدي و... ولا أريد سوى الحديث».

سأله (مات): «بشأن ماذا؟». وفي الوقت ذاته قال (راند): «لسنا مهتمين بالحديث». ثم تبادلا النظرات قبل أن يهز (مات) كتفيه ويقول: «نحن لسنا مهتمين».

تجرع (راند) ما تبقى من الحليب، ووضع ما تبقى من نصف رغيفه في جيبه، فقد أوشكت أموالهما على النفاد وقد يكون هذا هو وجبتهما التالية.

كيف يمكن أن يغادرا الحانة؟ إن اكتشف (بايتر) أن (مات) شبه أعمى فسيخبر الآخرين... (أصدقاء الظلام) الآخرين. ذات مرة رأى (راند) ذئبًا يعزل خروفًا أعرج عن القطيع، كان هناك ذئاب آخرون، ولم يكن قادرًا على ترك القطيع أو إصابته بسهم من قوسه. ما إن صار الخروف وحيدًا

وهو يثغو في رعب ويتقافز بشكل محموم على ثلاث قوائم حتى صار الذئب الوحيد الذي يطارده عشرة ذئاب كأنما بفعل السحر. أصابته هذه الذكرى بالغثيان. وأيضًا لا يمكنهما البقاء هنا، حتى وإن كان (بايتر) يقول الحقيقة بشأن كونه وحيدًا، فإلى متى سيظل هكذا؟

قال: «حان وقت الذهاب يا (مات)». ثم حبس أنفاسه، وعندما هم (مات) بالنهوض جذب (راند) انتباه (بايتر) إليه بأن قال: «فلتتركنا وشأننا يا (صديق الظلام)، لن أقول لك هذا مرة أخرى؛ اتركنا وشأننا!».

ازدرد (بايتر) لعابه بقوة وهو يتراجع إلى الوراء في كرسيه، ازداد امتقاع وجهه حتى صار شديد البياض، مما جعل (راند) يتذكر (الميردرال).

عندما أعاد نظره إلى (مات) وجده واقفًا على قدميه وارتباكه غير واضح عليه. على الفور عَلَّق (راند) أكياس سرجه وحزمه الأخرى على كتفيه محاولًا أن يُبقي عباءته على سيفه بينما يفعل هذا. ربما يعرف (بايتر) بالفعل بشأن السيف، ربما (جود) قد أخبر (بعلزمون)، و(بعلزمون) أخبر (بايتر)، ولكنه استبعد هذا. كان يرجح أن (بايتر) لديه فقط فكرة مبهمة عما حدث في (الملوك الأربعة)، ولهذا كان خائفًا للغاية.

الضوء الساطع القادم من الباب موضحًا حدوده ساعد (مات) على أن يسير نحوه مباشرة، ليس بسرعة ولكن ليس ببطء كافٍ لجعل الأمر يبدو غير طبيعي أيضًا. تبعه (راند) عن كثب، متمنيًا ألا يتعثر. كان ممتنًّا لأن الطريق المستقيم الذي يقطعه (مات) كان خاليًا من أي طاولات أو كراسي يمكن أن تعيق طريقه.

من ورائهما قفز (بايتر) فجأة واقفًا على قدميه وقال في يأس: «انتظرا، يجب عليكما أن تنتظرا».

قال (راند) دون أن ينظر وراءه: «اتركنا وشأننا». كانا على وشك الوصول إلى الباب ولم يتعثر (مات) خطوة واحدة بعد.

وضع (بايتر) يده على كتف (راند) ليوقفه وهو يقول: «فقط أنصتا إليَّ».

دارت الصور في عقله؛ (الترولوكي) (نارج) ينقض عليه في بيته، (الميردرال) يهدده في حانة (الأيل والأسد) في (بايرلون)، (أنصاف البشر) في كل مكان، (العواتم) يلاحقونهم حتى (شادار لوجوث)، قبل أن يلحقوا بهم في (الجسر الأبيض). (أصدقاء الظلام) في كل مكان. دار على عقبيه وهو يكور قبضته صائحًا: «قلت اتركنا وشأننا!». ثم هوى بقبضته على أنف (بايتر).

سقط (صديق الظلام) على مؤخرته وظل جالسًا هناك على الأرض محدقًا إلى (راند) والدم يسيل من أنفه. بصق بغضب وقال: «لن تهربا، مهما كنتما قويين ف(سيد الظلام العظيم) أقوى منكما، (الظل) سيبتلعكما!».

جاءت شهقة من مكان بعيد بالحجرة العامة، وصوت ارتطام مقبض مكنسة بالأرض. لقد سمعهما أخيرًا الرجل العجوز الذي كان يُمسك بالمكنسة. وقف هناك محدقًا بعينين متسعتين إلى (بايتر) وقد امتقع وجهه المتجعد، محركًا فمه دون أن يصدر عنه أدنى صوت. بادله (بايتر) التحديق للحظة، ثم راح يسب بشكل جامح، قبل أن يقفز واقفًا على قدميه ويندفع مسرعًا إلى خارج الحانة وعبر الشارع كأنما تطارده ذئاب جائعة. حول العجوز انتباهه إلى (راند) و(مات)، ولم يبدُ أقل رعبًا.

اندفع (راند) جاذبًا (مات) إلى خارج الحانة، ثم إلى خارج القرية بأسرع ما يستطيع، مصغيًا السمع طيلة الوقت لصيحة صاخبة لم تأتِ قط، ولكنها لم تكن أقل صخبًا في عقله.

قال (مات) مزمجرًا: «بحق الدماء والرماد، إنهم دومًا ما يكونون هناك، دومًا ما يكونون في أعقابنا، لن نهرب أبدًا».

قال (راند): «لا، إنهم ليسوا كذلك، إن كان (بعلزمون) يعرف أننا هنا فهل تعتقد أنه قد ترك الأمر لهذا الشاب؟ هناك دومًا آخرون مثل (جود)،

وعشرون أو ثلاثون من أتباعهم. إنهم ما زالوا يبحثون عنا، ولكنهم لن يعرفوا حتى يخبرهم (بايتر)، وربما يكون وحده حقًّا. من يعرف، ربما يكون مضطرًا لقطع كل هذا الطريق إلى (الملوك الأربعة)».

«ولكنه قال...».

«لا أُبالي». لم يكن واثقًا من الذي يقصده (مات) بحديثه، ولكن هذا لن يغير من الأمر شيئًا. «نحن لن نقف مكتوفي الأيدي ونتركهم ينالون منا».

لست مرات أثناء اليوم يقلهما مزارع بعربته لمسافة قصيرة. أخبرهما مزارع أن رجلًا عجوزًا مجنونًا يزعم وجود (أصدقاء ظلام) في الحانة في (ماركت شيران). كان المزارع قادرًا بالكاد على أن يتحدث من بين ضحكاته وهو يمسح الدموع من على وجنتيه. (أصدقاء ظلام) في (ماركت شيران)! كانت أفضل حكاية يسمعها منذ أن ثمل (أكلي فارين) وقضى الليلة على سطح الحانة.

رجل آخر، مُصلح عربات، ممتلئ الوجه، تتدلى الأدوات من جانبي عربته، ويحمل عجلتي عربة في الخلف، ذكر لهما حكاية مختلفة. عشرون من (أصدقاء الظلام) قد تجمعوا في (ماركت شيران). الرجال بأجساد مشوهة، والنساء أسوأ حالًا، وجميعهم يرتدون أسمالًا قذرة. باستطاعتهم أن يصيبوك بالغثيان وأن يجعلوا قدميك لا تقويان على حملك بمجرد النظر إليك، وعندما يضحكون تتردد أصداء ضحكاتهم الكريهة في أذنيك لساعات، وتشعر أن رأسك على وشك الانفجار. لقد رآهم بنفسه، ولكن من مسافة بعيدة بما يكفي لأن يكون آمنًا. إن لم تفعل الملكة شيئًا فيجب على أحد أن يطلب المساعدة من (أبناء النور). لا بد وأن يفعل أحد شيئًا ما.

تنفسا الصعداء عندما أنزلهما مصلح العربات.

بينما الشمس منخفضة من ورائهما سارا إلى قرية صغيرة تُشبه (ماركت شيران) كثيرًا. كان (طريق كايملين) يقسم البلدة بدقة إلى قسمين، ولكن على كلا جانبي الطريق العريض توجد صفوف من البيوت الصغيرة المبنية من القرميد بأسقف مصنوعة من القش. كانت شباك الكروم تغطي القراميد، إلا أن أوراقها كانت قليلة. لم يكن بالقرية سوى حانة واحدة صغيرة، ليست أكبر حجمًا من حانة (واينسبرينج)، أمامها لافتة على دعامة تُصدر صريرًا وهي تتأرجح مع الريح جيئة وذهابًا. حانة (المخلِص للملكة).

من الغريب أن يفكر في حانة (واينسبرينج) على أنها صغيرة، كان باستطاعة (راند) أن يتذكر وقتًا كان يظن فيه أنه لا يوجد مبنى أكبر من هذه الحانة، أي مبنى أكبر سيكون قصرًا، ولكن ما رآه حتى الآن قد غيَّر نظرته للأمور. وفجأة أدرك أن لا شيء سيبدو كما كان عليه عندما يعود إلى الديار. *هذا إن عدت إلى الديار.*

تردد أمام الحانة، ولكن حتى لو لم تكن الأسعار باهظة هنا مثلما كانت في (ماركت شيران) فإنهما لن يتمكنا من تحمل تكلفة وجبة أو غرفة، لا هذه ولا تلك.

رأى (مات) ما ينظر (راند) إليه فربت على جيبه حيث يحتفظ بكرات (توم) الملونة وقال: «يمكنني أن أرى بما يكفي ما لم أحاول أن أفعل شيئًا معقدًا». كانت عيناه تتحسنان، ورغم هذا لا يزال يرتدي الوشاح على جبهته ويضيق عينيه كلما نظر إلى السماء أثناء النهار. لم يقل (راند) شيئًا فأكمل (مات) قائلًا: «ليس من المعقول أن يكون هناك (أصدقاء ظلام) في كل حانة على طول الطريق حتى (كايملين)، كما أنني لا أرغب في أن أنام تحت شجيرة إن كان باستطاعتي أن أنام في سرير». ولكنه لم يقترب من الحانة، بل وقف منتظرًا قرار (راند).

بعد لحظة أومأ (راند) برأسه، كان يشعر بتعب يفوق أي تعب قد أحس به منذ مغادرة الديار. ومجرد التفكير في قضاء ليلة في العراء جعل عظامه تؤلمه. أحس بأن كل تعب قد تراكم عليه، كل هذا الهرب، والتلفت من حوله خائفًا.

وافقه قائلًا: «ليس من المعقول أن يكونوا في كل مكان».

ما إن خطا خطوته الأولى إلى داخل الحجرة العامة حتى تساءل إن كان قد ارتكب خطأً؛ كان مكانًا نظيفًا ولكنه مزدحمًا. كل الطاولات ممتلئة وبعض الرجال يقفون متكئين على الجدران لأنهم لا يجدون مكانًا ليجلسوا فيه. من الواضح أنه حشد أكبر من المعتاد بالنسبة للحانة بناء على الطريقة التي تسرع بها النادلات بين الطاولات بشكل متعجل، وتعجل صاحب الحانة أيضًا. عدد كبير على مثل هذه القرية الصغيرة. كان من السهل تمييز الأشخاص الذين لا ينتمون إلى المكان؛ لم تكن ملابسهم مختلفة عن البقية، ولكنهم يبقون أعينهم على طعامهم وشرابهم. كان القرويون يراقبون الغرباء بقدر ما يراقبون أي شيء آخر.

كان طنين المحادثات يسود المكان، صاخبًا بما يكفي لأن يأخذهما صاحب الحانة إلى المطبخ عندما جعله (راند) يفهم أنهما بحاجة للحديث إليه. كان الضجيج في المطبخ بنفس السوء تقريبًا، بينما الطباخ ومساعدوه يقرعون الأواني ويندفعون هنا وهناك.

مسح صاحب الحانة وجهه بمنديل كبير وقال: «أفترض أنكما في طريقكما إلى (كايملين) لرؤية (التنين الكاذب) ككل أحمق آخر في المملكة. إن الغرفة ستكلفكما ستة والسرير من اثنين إلى ثلاثة، وإن لم يكن هذا يناسبكما فليس لدي شيء لتقديمه إليكما».

أخبره (راند) بعرضه المغري المعتاد وهو يشعر بالغثيان، مع وجود الكثير من الناس على الطريق يمكن لأي شخص أن يكون من (أصدقاء الظلام)، ولم يكن هناك طريقة لتمييزهم عن البقية. استعرض (مات) قدرته على

التلاعب بالكرات، مكتفيًا بثلاث كرات فقط، وفي حرص شديد أيضًا. ثم أخرج (راند) مزمار (توم)، وبمجرد أن عزف جزءًا من أغنية (الدب الأسود العجوز) أومأ صاحب الحانة برأسه في نفاد صبر.

«هذا سيفي بالغرض، أحتاج لشيء يشغل عقول هؤلاء الحمقى عن (لوجاين) هذا. لقد اندلعت ثلاث مشاجرات اليوم بالفعل حول كونه (التنين) حقًّا أم لا. فلتضع أغراضك في الزاوية وسأوفر مساحة لك، إن كان هناك أي مجال لهذا. يا للحمقى! العالم مليء بالحمقى الذين لا يعرفون كيف يبقون حيث ينتمون، هذا ما يتسبب في كل هذه المتاعب. الناس لا يبقون حيث ينتمون». مسح وجهه مرة أخرى ثم أسرع خارجًا من المطبخ وهو يغمغم بصوت غير مسموع.

تجاهل الطباخ ومساعدوه (راند) و(مات). واصل (مات) تعديل الوشاح على رأسه فدفعه لأعلى ثم رمش وهو ينظر إلى الضوء قبل أن يجذبه إلى الأسفل من جديد. تساءل (راند) إن كان باستطاعته أن يرى ليفعل شيئًا أكثر تعقيدًا من التلاعب بثلاث كرات. أما بالنسبة له...

كان إحساسه بالغثيان يزداد حدة، فهوى بجسده على كرسي خفيض ممسكًا برأسه بين يديه. ارتجف وهو يشعر أن المطبخ بارد. البخار يملأ الهواء والمواقد والأفران تطقطق مع حرارة النار. صار ارتجافه أقوى واصطكت أسنانه. احتضن جسده بذراعيه ولكن هذا لم يُجدِ نفعًا، أحس كأنما عظامه تتجمد.

أدرك بشكل ضبابي أن (مات) يسأله عن شيء ما ويهز كتفه، وشخص ما يسب ويركض خارجًا من الحجرة. ثم جاء صاحب الحانة، والطباخ يقف إلى جواره عاقدًا حاجبيه، و(مات) يتجادل بصوت عالٍ مع كليهما. لم يستطع أن يميز أيًّا مما يقال، كانت الكلمات طنينًا في أذنيه، وبدا أنه غير قادر على التفكير على الإطلاق.

فجأة أمسك (مات) بذراعه وجذبه ليقف على قدميه. كانت كل أغراضهما. حقائب السرج ولفتي البطانيات وحزمة عباءة (توم) وحقيبتي الآلتين الموسيقيتين. معلقة على كتفي (مات) مع قوسه. كان صاحب الحانة يراقبهما وهو يمسح وجهه في قلق. سار (راند) مترنحًا ومعتمدًا على (مات) تاركًا صديقه يوجهه ناحية الباب الخلفي.

استطاع أن يقول: «آ... آ... آسف يا مـ... مـ... (مات)». لم يستطع أن يمنع أسنانه من الاصطكاك. «لا... لا شك أنه الـ... المطر. أعتقد أن... ليلة أخرى... في العراء... لن تضير». كانت السماء مظلمة بالشفق وقد تلألأت بها بعض النجوم.

قال (مات): «هذا لن يحدث». كان يحاول أن يبدو مبتهجًا ولكن (راند) استطاع أن يشعر في نبرته بقلق خفي. «لقد كان مرعوبًا من أن يعرف الناس أن هناك مريضًا في حانته، قلت له إنه إن طردنا فسآخذك إلى الحجرة العامة، هذا سيؤدي إلى رحيل نصف زبائنه. إنه لا يرغب في هذا رغم وصفه لهم بالحمقى».

«إذن إلى... إلى أين؟».

قال (مات): «هنا». ثم فتح باب الإسطبل فأصدرت مفصلاته صريرًا عاليًا.

كان المكان أكثر ظلامًا بالداخل، والهواء مشبع برائحة التبن والغلال والخيول، ممتزجة برائحة أخرى قوية من الروث. ساعده (مات) على الجلوس على الأرضية المغطاة بالقش، فانكمش على نفسه ضامًّا ركبتيه إلى صدره وهو لا يزال يحتضن نفسه ويرتجف من رأسه حتى أخمص قدميه. أحس أنه يرتجف بكل قوته. سمع (مات) يتعثر ويسب ويتعثر مرة أخرى، ثم سمع قعقعة معدن، فجأة سطع الضوء بينما (مات) يرفع مصباحًا قديمًا باليًا.

إن كانت الحانة ممتلئة فكذلك كان الإسطبل، كل حجيرة بها حصان، وقد رفعت بعض الأحصنة رؤوسها وهي ترمش بفعل الضوء. نظر (مات) إلى السلم المؤدي إلى مخزن التبن، ثم نظر إلى (راند) المنكمش على نفسه وهز رأسه.

تمتم (مات): «لن أكون قادرًا على حملك للأعلى هناك». ثم علَّق المصباح على مسمار وأسرع صاعدًا السلم وبدأ يُلقي كميات من القش. ثم هبط في عجالة وصنع فراشًا في مؤخرة الإسطبل قبل أن يُساعد (راند) على الاستلقاء عليه. غطاه (مات) بكلتا عباءتيهما ولكن (راند) دفعهما بعيدًا على الفور.

تمتم قائلًا: «الجو حار». أدرك بشكل مبهم أنه كان يشعر بالبرد منذ لحظات، ولكنه الآن يشعر وكأنه بداخل فرن. جذب ياقته وهو يلوح برأسه قائلًا: «الجو حار». ثم شعر بيد (مات) على جبهته.

قال (مات): «سأعود على الفور». قبل أن يختفي.

راح يتقلب بشكل محموم على القش، ولم يكن واثقًا كم مضى من الوقت قبل أن يعود (مات) بطبق ممتلئ في يد وإبريق في اليد الأخرى، وكوبين أبيضين يتدليان من مقبضيهما من أصابعه.

قال وهو يجلس على ركبتيه بجانب (راند): «لا يوجد حكيمة هنا». ملأ أحد الكوبين وقربه من فم (راند)، فتجرع الماء على الفور كأنه لم يشرب منذ أيام، كان هذا هو ما يشعر به. «إنهم لا يعرفون حتى ما هي الحكيمة، ليس لديهم سوى امرأة تدعى (الأم برون)، ولكنها قد ذهبت إلى مكان ما لتساعد في حالة ولادة، ولا يعرف أحد متى ستعود. لقد حصلت على بعض الخبز والجبن والنقانق. السيد الطيب (إينلو) سيمنحنا أي شيء طالما بقينا بعيدًا عن أنظار زبائنه. هاك، فلتأكل بعضًا منه».

أشاح (راند) برأسه بعيدًا عن الطعام، إن رؤيته والتفكير فيه يجعلانه يشعر بالغثيان. بعد دقيقة تنهد (مات) وجلس ليتناول بعض الطعام. تحاشى (راند) النظر إليه وحاول ألا يُصغي السمع.

أصابته القشعريرة مرة أخرى، ثم الحمى، قبل أن تحل محلها القشعريرة، ثم الحمى من جديد. كان (مات) يغطيه عندما يرتجف، ويسقيه الماء عندما يشتكي من العطش. ازداد الليل إظلامًا، وراحت الظلال تتراقص على ضوء المصباح. اتخذت الظلال أشكالًا وتحركت من تلقاء نفسها، ثم رأى (بعلزمون) يخطو عبر الإسطبل بعينين متقدتين، وعلى جانبيه اثنان من (الميردرال)، يختفي وجه كل منهما في غطاء الرأس الأسود.

أسرعت أصابعه تبحث عن مقبض السيف وهو يحاول أن يقف على قدميه صارخًا: «(مات)! إنهم هنا يا (مات)! إنهم هنا بحق (النور)!».

انتفض (مات) مستيقظًا من حيث يجلس معقود الساقين متكئًا إلى الجدار وقال: «ماذا؟ (أصدقاء الظلام)؟ أين؟».

اعتدل (راند) واقفًا بركبتين مرتجفتين وهو يشير بشكل محموم عبر الإسطبل... ثم فغر فاه. كانت الظلال تتراقص والخيول تضرب الأرض بأقدامها أثناء نومها، لا شيء أكثر من هذا. ألقى بجسده مرة أخرى على القش.

قال (مات): «لا أحد هنا سوانا. دعني آخذ هذا». مد يده إلى حزام سيف (راند) ولكن (راند) تشبث بالمقبض.

«لا، لا. يجب أن أحتفظ به. إنه أبي، هل تفهم؟ إ... إنه أ... أبي!». اجتاحت القشعريرة جسده مرة أخرى، ولكنه تشبث أكثر بسيفه كأنه طوق نجاة. «إ... إنه أ... أبي!». تخلى (مات) عن محاولة أخذ السيف منه وغطاه بالعباءتين.

كان هناك زوار آخرون أثناء الليل، بينما (مات) غافل. لم يكن (راند) واثقًا إن كانوا هناك حقًّا أم لا. أحيانًا ينظر إلى (مات) المتدلي رأسه على صدره ويتساءل إن كان سيراهم أيضًا إن استيقظ.

خطت (إيجوين) من الظلال، وشعرها الطويل مجدول في جديلة كما كان في (إيموندز فيلد)، وعلى وجهها الألم والحسرة، ثم سألته: «لِمَ تركتنا وحدنا؟ نحن موتى لأنك تركتنا وحدنا».

هز (راند) رأسه بضعف وهو مستلقٍ على القش وقال: «لا يا (إيجوين)، لم أرغب في أن أتركك وحدك، أرجوكِ».

قالت بحزن: «نحن موتى، والموت هو مملكة (سيد الظلام)، لقد نال منا (سيد الظلام) لأنك تخليت عنا».

«لا، لم يكن لدي خيار يا (إيجوين)، أرجوكِ يا (إيجوين) لا ترحلي. عودي يا (إيجوين)!».

ولكنها عادت إلى الظلال وصارت ظلًّا.

كان وجه (مويرين) مسالمًا، ولكنه شاحب وخالٍ من الدماء، وعباءتها كأنها كفن، وصوتها كان مؤنِّبًا: «هذا صحيح يا (راند ألثور)، ليس لديك خيار، يجب أن تذهب إلى (تار ڤالون)، وإلا سيأخذك (سيد الظلام) لتصير ملكه، مقيدًا إلى (الظل) للأبد. لا يستطيع أحد أن ينقذك الآن سوى (الآيز سيداي)، (الآيز سيداي) فقط».

كان (توم) يبتسم إليه بسخرية، وملابسه أسمال محترقة جعلته يرى ومضات من الضوء، بينما صانع البهجة يصارع (العاتم) لمنحهما وقتًا للفرار. كان الجلد تحت الأسمال أسود ومتفحمًا. «فلتثق في (الآيز سيداي) يا فتى، وستتمنى حينها لو كنت ميتًا. تذكر أن ثمن مساعدة (الآيز سيداي) لك دومًا أقل مما يمكنك تصديقه وأكثر مما يمكنك أن

تتخيل. وأي (آجاه) سيعثرن عليك أولًا؟ الحمراوات؟ ربما السوداوات. من الأفضل أن تهرب يا فتى. اهرب».

كانت ملامح (لان) صارمة كالجرانيت، والدماء تغطي وجهه. «من الغريب رؤية سيف يحمل علامة البلشون بين يدي راعي غنم. هل أنت جدير به؟ من الأفضل أن تكون كذلك. أنت وحدك الآن، لا شيء وراءك لتتشبث به، ولا شيء أمامك، ويمكن لأي شخص أن يكون من (أصدقاء الظلام)». ابتسم ابتسامة ذئب وسال الدم من فمه قبل أن يقول: «أي شخص».

جاء (بيرين) ليُلقي عليه باللوم ويتوسل إليه من أجل المساعدة. السيدة (ألڤير) تبكي من أجل ابنتها، و(بايل دومون) يلعنه لجلب (العواتم) إلى سفينته. والسيد (فيتش) يفرك بين يديه رماد حانته، بينما تصرخ (مين) وقد أمسك بها أحد (الترولوكيين). أشخاص يعرفهم، وأشخاص التقى بهم فقط. ولكن أسوأ ما في الأمر كان (تام). لقد وقف (تام) أمامه وهز رأسه عابسًا دون أن ينطق بكلمة.

صاح (راند) متوسلًا: «يجب عليك أن تخبرني، من أنا؟ أرجوك أخبرني، من أنا؟ من أنا؟».

«هون عليك يا (راند)».

للوهلة الأولى خُيل إليه أن (تام) يجيبه، ثم رأى أن (تام) قد اختفى. كان (مات) يميل من فوقه واضعًا كوبًا من الماء على شفتيه.

«فقط هون عليك، أنت (راند ألثور)، هذا هو أنت، صاحب أقبح وجه وأصلب رأس في (النهرين). مهلًا، أنت تتصبب عرقًا! أنت تتعافى من الحمى».

همس (راند): «(راند ألثور)؟». فأومأ (مات) برأسه، وكان هناك شيء مريح للغاية في الأمر حتى أن (راند) قد راح في النوم دون حتى أن يمس الماء.

كان نومًا هادئًا بلا أحلام ـ على الأقل حسبما يتذكر ـ ولكنه كان نومًا خفيفًا حتى أنه كان يستيقظ كلما تفحصه (مات). ذات مرة تساءل إن كان (مات) ينام على الإطلاق، ولكنه كان يغرق في النوم قبل أن يذهب بعيدًا في أفكاره.

أيقظه صرير مفصلات الباب تمام اليقظة فاستلقى للحظة هناك على القش متمنيًا لو أنه لا يزال نائمًا. النائم لا يشعر بجسده، كانت عضلاته تؤلمه، ولم يكن لديه أدنى قوة. حاول في ضعف أن يرفع رأسه ونجح في هذا في المحاولة الثانية.

كان (مات) جالسًا في مكانه المعتاد متكئًا إلى الجدار على مرمى ذراع من (راند). كان ذقنه مستقر على صدره الذي يعلو ويهبط في وتيرة هادئة تدل على نوم عميق، وقد انزلق الوشاح ليغطي عينيه.

نظر (راند) ناحية الباب.

كان ثمة امرأة واقفة هناك، تمسك الباب المفتوح بيدها. في ضوء الصباح الباكر الشاحب بدت للوهلة الأولى مجرد شكل مظلم يرتدي فُستانًا، ثم خطت إلى الداخل تاركة الباب ينغلق وراءها. استطاع أن يراها بوضوح أكثر على ضوء المصباح. فكر أنها في نفس عمر (ناينيف) تقريبًا، ولكنها لم تكن امرأة قروية. كان فستانها الحريري الأخضر يتلألأ مع حركتها، وعباءتها ذات لون رمادي أنيق، ومغزول بشعرها شبكة رقيقة من الدانتيل. تحسست بأصابعها قلادة ذهبية ثقيلة وهي تنظر بتفكير إلى (مات) وإليه.

قال (راند): «(مات)». ثم بصوت أعلى: «(مات)!».

استيقظ (مات) على الفور وكاد أن يقع، ثم راح يفرك النوم من عينيه وهو يحدق إلى المرأة.

قالت وهي تشير إلى الإسطبل بشكل عابر: «لقد جئت لأُلقي نظرة على حصاني». ولكنها لم ترفع نظرها عن كليهما. «هل أنت مريض؟».

قال (مات) بحزم: «إنه بخير، لقد أُصيب فقط ببعض البرد أثناء المطر، هذا كل شيء».

قالت: «ربما من الأفضل أن أُلقي نظرة عليه، فأنا لديَّ بعض المعرفة».

تساءل (راند) إن كانت واحدة من (الآيز سيداي). لم تكن ملابسها تنتمي إلى مثل هذا المكان، ناهيك بثقتها بنفسها وشموخها بأنفها كأنها على وشك أن تُصدر أمرًا. *وإن كانت (آيز سيداي) فمن أي (آجاه) هي؟*

قال لها: «أنا بخير الآن، لا حاجة لهذا حقًّا».

ولكنها قطعت الإسطبل وهي ترفع تنورتها وتخطو بنعلها الرمادي بحذر. نظرت بامتعاض إلى القش ثم جثت على ركبتيها بجواره وتحسست جبهته.

قالت وهي تتفحصه عاقدة حاجبيها: «لا توجد حمى». كانت جميلة بملامح حادة نوعًا ما، ولم يكن هناك أي دفء في وجهها. لم يكن باردًا أيضًا، لقد بدا فقط أنه يفتقر إلى أي نوع من المشاعر. «ولكنك كنت مريضًا. أجل، أجل، وما زلت ضعيفًا مثل قطيطة عمرها يوم. أعتقد...». مدت يدها تحت عباءتها، وفجأة حدثت الأشياء بسرعة كبيرة، حتى أن (راند) لم يجد وقتًا لفعل شيء سوى أن يُطلق صرخة مختنقة.

اندفعت يدها من تحت عباءتها فلمع شيء بينما هي تنقض على (مات) من وراء (راند). مال (مات) جانبًا في حركة خاطفة فتعالى صوت ارتطام معدن بشيء خشبي. لقد استغرق الأمر كله مجرد لحظة، وبعد هذا صار كل شيء ساكنًا.

كان (مات) مستلقيًا على ظهره وإحدى يديه تُمسك بمعصمها فوق الخنجر الذي غرسته للتو في الجدار حيث كان يوجد صدره، ويده الأخرى تضع الخنجر الذي جلبه من (شادار لوجوث) على حلقها.

لم يكن هناك شيء يتحرك سوى عينيها وهي تحاول أن تنظر لأسفل إلى الخنجر الذي يُمسك به (مات). بعينين متسعتين وأنفاس متقطعة حاولت أن تُبعد نفسها عن الخنجر، ولكنه أبقى النصل على جلدها. بعد هذا صارت ساكنة كالحجر.

حدق (راند) إلى هذا المشهد، لم يعتقد أنه سيقدر على الحركة، حتى لو لم يكن ضعيفًا للغاية هكذا. ثم وقعت عيناه على خنجرها فجف حلقه. كان الخشب المحيط بالنصل متفحمًا وتتصاعد منه خيوط رقيقة من الدخان.

«(مات)! خنجرها يا (مات)!».

ألقى (مات) نظرة على الخنجر ثم أعاد نظره إلى المرأة ولكنها لم تتحرك، كانت تلعق شفتيها في توتر. بخشونة أبعد (مات) يدها عن المقبض ثم دفعها إلى الوراء فاختل توازنها لتسقط أرضًا، قبل أن تتراجع للوراء بعيدًا عنهما متكئة بيديها وراء ظهرها وهي لا تزال تراقب الخنجر الذي في يده. قال لها: «لا تتحركي، سأستخدم هذا إن تحركتِ، صدقيني سأفعل هذا». أومأت ببطء دون أن ترفع عينيها عن خنجر (مات). «راقبها يا (راند)».

لم يكن (راند) واثقًا مما يُفترض به أن يفعله إن حاولت فعل أي شيء، أن يصرخ ربما. إنه لا يستطيع بالتأكيد أن يركض وراءها إن هي حاولت الهرب، ولكنها جلست هناك دون أن تتحرك قيد أنملة، بينما (مات) ينتزع خنجرها من الجدار. توقفت البقعة السوداء عن الاتساع رغم أن خيطًا رفيعًا من الدخان لا يزال يتصاعد منها.

تلفت (مات) حوله بحثًا عن مكان ليضع فيه الخنجر ثم دفع به ناحية (راند) الذي أمسك به بحذر كأنه ثعبان حي، لقد بدا خنجرًا عاديًّا رغم زخرفته، بمقبض أبيض عاجي، ونصل رفيع لا يزيد طولًا عن كف يده. يبدو خنجرًا عاديًا لولا أنه رأى ما تسبب فيه. لم يكن الخنجر ساخنًا ولو قليلًا، ولكنه أحس بيده تتعرق، فراح يأمل ألا ينزلق من يده ويسقط في القش.

لم تعتدل المرأة من سقطتها وهي تراقب (مات) يلتفت إليها ببطء. كانت تراقبه كأنما تتساءل ما الذي ينوي فعله، ولكن (راند) رأى حدة مفاجئة في عيني (مات) وهو يشدد قبضته على الخنجر فصاح: «لا يا (مات)!».

قال (مات) بغضب: «لقد حاولتْ قتلي يا (راند)، كانت لتقتلك أيضًا، إنها من (أصدقاء الظلام)».

قال (راند): «ولكننا لسنا كذلك». شهقت المرأة كأنما قد أدركت للتو ما كان ينوي (مات) فعله. «نحن لسنا كذلك يا (مات)».

ظل (مات) متجمدًا للحظة والخنجر في قبضته يلمع في ضوء المصباح، ثم أومأ برأسه وقال للمرأة: «اذهبي إلى هناك». مشيرًا بالخنجر ناحية الباب المؤدي إلى حجرة السروج.

نهضت ببطء وتوقفت في موضعها لتنفض القش عن فستانها، وعندما بدأت في السير نحو الاتجاه الذي أشار إليه (مات) تحركت كأنما لا يوجد داعٍ للعجلة. ولكن (راند) لاحظ أنها تُبقي عينها بحذر على الخنجر ذي الياقوتة في يد (مات). قالت: «يجب عليكما حقًّا أن تتوقفا عن المقاومة، سيكون هذا في مصلحتكما في نهاية المطاف، ستريان».

قال (مات) بسخرية: «مصلحتنا؟». ثم فرك صدره حيث كان النصل سيصيبه إن لم يتحرك. «اذهبي إلى هناك».

هزت كتفيها في بساطة وهي تطيع أمره. «أنتما ترتكبان خطأً. لقد كان هناك الكثير من... الارتباك منذ ما حدث مع ذلك الأحمق المتعجرف (جود). ناهيك بهذا الأبله ـ أيًّا من كان ـ الذي نشر الذعر في (ماركت شيران). لا أحد يعرف بشكل أكيد ما حدث هناك، أو كيف حدث. هذا يجعل الأمر أكثر خطورة بالنسبة لكما، ألا تريان هذا؟ ستنالان مكانة جليلة إن جئتما إلى (السيد العظيم) بمحض إرادتكما. ولكن طالما تهربان فسيكون هناك من يطاردكما، ومن يعرف ما الذي سيحدث حينها؟».

أحس (راند) بقشعريرة باردة. *كلاب الصيد التابعين لي يشعرون بالغيرة وقد لا يكونون رفقاء بك.*

ضحك (مات) ضحكة قاتمة وقال: «إذن فأنتم تواجهون متاعب مع فتيين قرويين. ربما أنتم يا (أصدقاء الظلام) لستم بالخطورة التي طالما سمعت عنها».

فتح الباب المؤدي إلى حجرة السروج على مصراعيه وخطا إلى الوراء.

ما إن دلفت عبر الباب حتى توقفت وهي تنظر إليه من فوق كتفها بنظرة ثلجية وصوت أكثر برودة. «ستعرف مدى خطورتنا، عندما يأتي (الميردرال) إلى هنا...».

أيًّا كان ما أرادت قوله فقد بتره (مات) عندما أغلق الباب بقوة وأنزل المزلاج. عندما التفت كانت عيناه قلقتين، ثم دس الخنجر تحت معطفه وهو يقول بصوت متوتر: «تقول إن أحد (العواتم) سيأتي إلى هنا، كيف حال ساقيك؟».

تمتم (راند): «لا أقدر على الرقص، ولكن إن ساعدتني على الوقوف فسيمكنني السير». ثم نظر إلى النصل في يده فارتجف وقال: «بل سأركض بحق الدماء والرماد».

على الفور وضع (مات) متعلقاتهما على كتفيه وجذب (راند) ليقف على قدميه. ارتعشت ساقا (راند) واضطر للاتكاء على صديقه لكي يبقى منتصبًا ولكنه حاول ألا يُبطئ من حركة (مات). كان يُمسك بخنجر المرأة بعيدًا عنه، خارج الباب كان يوجد دلو من الماء ألقى فيه الخنجر أثناء مرورهما، غاص الخنجر في الماء بصوت فحيح وتعالى البخار من سطحه، فامتعض وجهه وحاول أن يُسرع الخطى.

مع شروق الشمس صار هناك الكثير من الناس في الشوارع، حتى في مثل هذا الصباح الباكر، ولكنهم كانوا منشغلين بأمورهم الخاصة، ولم يولِ أحد أدنى اهتمام إلى شابين يمشيان إلى خارج القرية، ليس مع وجود مثل هذا العدد الكبير من الغرباء في الأنحاء. كانت عضلات (راند) مشدودة وهو يحاول أن يظل منتصبًا، ومع كل خطوة كان يتساءل إن كان أي من الناس المسرعين في الأرجاء هو من (أصدقاء الظلام). هل أي منهم ينتظر المرأة صاحبة الخنجر؟ أو ينتظر (العاتم)؟

على بُعد ميل خارج القرية خارت قواه، في لحظة كان يلهث متشبثًا بـ(مات)، وفي اللحظة التالية كان كلاهما على الأرض، ثم جذبه (مات) إلى جانب الطريق.

قال (مات): «يجب علينا المضي قُدُمًا». فرك شعره بيده ثم جذب الوشاح لأسفل على عينيه. «عاجلًا أو آجلًا سيسمح لها شخص ما بالخروج، وسيلاحقوننا مرة أخرى».

قال (راند) لاهثًا: «أعرف، أعرف، فلتساعدني على النهوض».

جذبه (مات) ليقف مرة أخرى ولكنه راح يترنح وهو يعرف أنه لا فائدة. في اللحظة التي يأخذ فيها الخطوة الأولى سيسقط على وجهه مرة أخرى.

أمسك به (مات) ليظل واقفًا وهو ينتظر في نفاد صبر اقتراب عربة يجرها حصان قادمة من القرية لكي تمر من أمامهما. شهق (مات) في دهشة عندما أبطأت العربة لكي تتوقف أمامهما. نظر إليهما من مقعد السائق رجل ذو وجه قد سفعته الشمس.

سأله الرجل من وراء غليونه: «هل به خطب ما؟».

أجابه (مات): «إنه متعب فحسب».

كان (راند) يعرف أن هذا لن يُقنع الرجل، ليس وهو متكئ على (مات) بهذه الطريقة. تخلى عن (مات) وقطع خطوة بعيدًا عنه فارتعش ساقاه، ولكنه أجبر نفسه على الوقوف منتصبًا. قال: «لم أنم منذ يومين، وأكلت شيئًا جعلني أتقيأ. أنا أفضل حالًا الآن ولكني لم أحصل على قسط كافٍ من النوم».

نفخ الرجل سحابة من الدخان من جانب فمه وقال: «أنتما ذاهبان إلى (كايملين)، أليس كذلك؟ أتوقع أنني إن كنت في مثل عمركما لذهبت لرؤية هذا (التنين الكاذب) بدوري».

أومأ (مات) برأسه وقال: «أجل، هذا صحيح، نحن ذاهبان لرؤية (التنين الكاذب)».

«حسنًا، فلتركبا إذن. فليجلس صديقك في المؤخرة، إن تقيأ مرة أخرى فمن الأفضل أن يكون هذا على القش وليس بجانبي. اسمي (هيوم كينش)».

الفصل الرابع والثلاثون

القرية الأخيرة

كان الظلام قد حل عندما وصلا إلى (كاريسفورد)، فقد استغرق الأمر منهما وقتًا أطول مما قاله السيد (كينش) عندما أنزلهما. تساءل (راند) إن كان إحساسه بالوقت قد صار مختلًّا. لم يمضِ سوى ثلاث ليالٍ منذ ما حدث مع (هُوال جود) في (الملوك الأربعة)، وليلتين منذ فاجأهما (بايتر) في (ماركت شيران)، وبالكاد نهارًا منذ أن حاولت صديقة الظلام المجهولة قتلهما في إسطبل حانة (المخلص للملكة). ولكن حتى هذا بدا منذ عام مضى، أو دهر كامل.

بغض النظر عما يحدث لإحساسه بالوقت فقد بدت (كاريسفورد) طبيعية بما يكفي، ظاهريًّا على الأقل. بيوت نظيفة من القرميد مغطاة بالكروم، وأزقة ضيقة باستثناء (طريق كايملين) نفسه، وتبدو هادئة ومسالمة. ولكنه تساءل؛ *ما الذي يكمن تحت هذا الهدوء الظاهري*؟ كانت (ماركت شيران) تبدو مسالمة، وكذلك القرية التي حاولت فيها المرأة... لم يعرف قط اسمها، ولم يرغب في التفكير في الأمر.

كان الضوء ينبعث من نوافذ البيوت ليضيء الشوارع، ولكنها كانت جميعها خالية من الناس. كان هذا أفضل بالنسبة لـ(راند)، الذي راح يتجنب العدد القليل من الناس الموجودين خارج بيوتهم، متسللًا من ناصية

لأخرى. كان (مات) يسير بجواره دون أن يبتعد عنه لحظة، فيتجمدا في موضعهما حين تُعلن خشخشة الحصى عن اضطراب أحد القرويين، ويهربا من ظل إلى ظل عندما يختفي الشكل المظلم.

كان (نهر كاري) باتساع ثلاثين خطوة في هذا المكان، والمياه المظلمة تتحرك ببطء، ولكن هناك جسرًا قد بُني منذ وقت طويل فوق الجزء الضحل من النهر. قرون من المطر والرياح قد أدت إلى تآكل أحجار الدعامات، حتى كادت أن تبدو تكوينات صخرية طبيعية. سنوات من عربات البضائع وقوافل التجار قد أبلت الألواح الخشبية السميكة أيضًا. كانت الألواح المتخلخلة تهتز تحت حذاءيهما بصوت عالٍ كالطبول. حتى بعد مرور وقت طويل على عبورهما القرية وقطعهما مسافة في الريف من ورائها كان (راند) يتوقع صوتًا يسألهما من يكونان، أو الأسوأ، أن يعرف من يكونان.

كان الريف يزداد ازدحامًا كلما قطعوا مسافة أكبر، ويصير مأهولًا أكثر وأكثر. هناك دومًا أضواء بيوت ريفية على مرمى البصر، وتحيط الأسيجة والأسوار بالطريق والحقول التي وراءه. دومًا ما يكون هناك حقول، ولم يكن هناك قط غابة ممتدة بالقرب من الطريق. لقد بدا وكأنهما دومًا في تخوم قرية ما، حتى عندما يكونان على بعد ساعات من أقرب بلدة. نظيفة ومسالمة، وبلا أدنى إشارة على أنه يكمن بها (أصدقاء الظلام) أو ما هو أسوأ.

فجأة جلس (مات) على قارعة الطريق ودفع الوشاح إلى أعلى رأسه، بعد أن صار الضوء الوحيد هو المنبعث من القمر. تمتم قائلًا: «الباع من خطوتين، والميل من ألف باع، والفرسخ من أربعة أميال... لن أمشي عشر خطوات أخرى حتى يكون هناك مكان للنوم فيه في نهاية المسير، وشيء لنأكله لن يضير أيضًا. أنت لا تخفي أي شيء في جيوبك، أليس كذلك؟ ربما تفاحة؟ لن أغضب منك إن كنت تخبئ شيئًا. فلتلقِ نظرة على الأقل».

نظر (راند) عبر الطريق في كلا الاتجاهين، كانا الشيء الوحيد الذي يتحرك في الليل، أو على الأقل كانا يتحركان. نظر إلى (مات) الذي انتزع فردة حذائه وراح يفرك قدمه. كانت قدماه تؤلمانه أيضًا. سرت قشعريرة في ساقيه كأنما لتخبره أنه لم يستعد كامل قواه بعد كما كان يعتقد.

كانت هناك أكوام مظلمة في الحقل أمامهما، أكوام القش التي تناقصت بفعل إطعام الأغنام والماشية والخيول طيلة الشتاء، ولكنها لا تزال أكوام قش.

وكز (مات) بإصبع قدمه وقال: «سننام هناك».

تنهد (مات) وقال: «القش مرة أخرى». ولكنه ارتدى فردة حذائه واعتدل واقفًا.

كانت الرياح تزداد قوة والليل يزداد برودة. تسلقا جذوع الأشجار الملساء التي تشكل السياج وقفزا إلى الجانب الآخر، وسرعان ما اختبآ في القش. كان الغطاء القماشي الذي يحمي القش من المطر يحميهما من الرياح أيضًا.

تململ (راند) في الفجوة التي صنعها، حتى وجد وضعًا مريحًا. لا يزال القش قادرًا على وخزه من بين ثيابه، ولكنه تعلم أن يتأقلم مع هذا. حاول أن يحسب عدد أكوام القش التي نام فيها منذ الهرب من (الجسر الأبيض). الأبطال في الحكايات لا ينامون في أكوام القش أو تحت الأسيجة، ولكن لم يعد من السهل عليه التظاهر أكثر من هذا بأنه بطل في حكاية، حتى ولو قليلًا. تنهد وهو يرفع ياقته على أمل أن تمنع القش من التسلل إلى ظهره.

قال (مات) بصوت خافت: «(راند)؟ هل تعتقد أننا سننجح في الوصول إلى هناك يا (راند)؟».

«إلى (تار ڤالون)؟ الطريق لا يزال طويلًا، ولكن...».

«إلى (كايملين)، هل تعتقد أننا سننجح في الوصول إلى (كايملين)؟».

رفع (راند) رأسه ولكن الظلام كان دامسًا بداخل جحرهما، فكان الشيء الوحيد الذي يخبره بموضع (مات) هو صوته. «قال السيد (كينش) أنها على بُعد يومين، سنصل إلى هناك بعد الغد».

«إن لم يكن هناك مئة من (أصدقاء الظلام) في انتظارنا على الطريق، أو (عاتم) أو اثنان». خيم الصمت للحظة ثم قال (مات) بصوت خائف: «أعتقد أننا آخر من تبقى يا (راند). أيًّا ما كان الأمر فلم يتبقَّ سوانا الآن، نحن فقط».

هز (راند) رأسه، كان يعرف أن (مات) لا يقدر على رؤيته في الظلمة، ولكن الأمر كان لطمأنة نفسه أكثر من طمأنة (مات) على أي حال. قال بتعب: «فلتخلد إلى النوم يا (مات)». ولكنه ظل مستيقظًا لوقت طويل قبل أن يأتيه النوم. *لم يتبقَّ سوانا.*

أيقظه صياح ديك، فنهض على الفور في ضوء الفجر وهو ينفض القش عن ملابسه. ورغم الاحتياطات التي اتخذها إلا أن بعض القش قد وجد طريقه إلى ظهره، ليعلق ما بين عظمتي كتفيه ويصيبه بالحكة. انتزع معطفه ورفع قميصه من على ظهره ليصل إلى موضع الحكة، ولكن بينما إحدى يديه على مؤخرة عنقه والأخرى مثنية وراء ظهره صار مدركًا لوجود الناس.

لم تكن الشمس قد أشرقت تمامًا بعد، ولكن الناس كانوا يتقاطرون عبر الطريق مثنى وفرادى ناحية (كايملين). بعضهم يحملون حقائب أو حزمًا على ظهورهم، وبعضهم لا يحملون شيئًا سوى عصا التوكز، والبعض لا يحمل شيئًا على الإطلاق. معظمهم كانوا شبابًا، ولكن هنا وهناك توجد فتاة أو شخص أكبر سنًّا. كان يبدو على وجوههم جميعًا أثر السفر الطويل، مما يشي بسيرهم لمسافات طويلة. بعضهم كانوا يطرقون بوجوههم أيضًا، ويحنون أكتافهم بتعب ناعس في مثل هذا الوقت الباكر، والآخرون يحدقون إلى شيء أمامهم في الأفق، شيء في نهاية الطريق.

تدحرج (مات) خارجًا من القش وهو يحك جسده بحيوية، ولم يتوقف عن حك جسده إلا للوقت الكافي لوضع وشاح على رأسه مُظللًا عينيه بعض الشيء في هذا الصباح. «هل تعتقد أننا سنحصل على شيء لنأكله هذا اليوم؟».

قرقرت معدة (راند) كأنما تتساءل هي أيضًا فقال: «يمكننا أن نفكر في هذا أثناء سيرنا على الطريق». وعلى الفور هندم ملابسه وأخرج أغراضه من كومة القش.

بحلول الوقت الذي وصلا فيه إلى السياج كان (مات) قد لاحظ الناس هو أيضًا. توقف في الحقل عاقدًا حاجبيه بينما (راند) يتسلق السياج. نظر إليهما شاب لا يبدو أكبر منهما بكثير أثناء مروره. كانت ملابسه مغبرة، وكذلك لفة البطانيات المعلقة على ظهره.

ناداه (مات): «إلى أين أنتم ذاهبون؟».

صاح الشاب ليجيبه دون أن يتوقف: «إلى (كايملين) بالطبع، لرؤية (التنين)». ثم أومأ إلى لفتي البطانيات وأكياس السروج المتدلية من أكتافهما قبل أن يضيف ضاحكًا: «مثلكما تمامًا». ثم مضى قدمًا وعيناه تنظران بلهفة أمامه.

سأل (مات) نفس السؤال مرات عديدة أثناء اليوم، وكان الأشخاص الوحيدون الذين لم يجيبوه بنفس الإجابة هم القرويين قاطني المكان، هذا إن أجابوه على الإطلاق، ولم يبصقوا ويشيحوا بوجوههم بعيدًا في امتعاض. ورغم إشاحة وجوههم إلا أنهم يراقبون في حذر أيضًا، فينظرون إلى كل المسافرين بنفس الطريقة، من أطراف أعينهم. تنطق وجوههم بأن الغرباء قد يدبرون أي شيء إن لم يراقبوهم في حذر.

لم يكن الناس الذين يعيشون في المنطقة حذرين من الغرباء فحسب، بل بدوا منزعجين منهم إلى حد كبير. كان هناك عدد كافٍ من الناس على الطريق متناثرون على مسافات متساوية عندما ظهرت عربات المزارعين

الصغيرة وعربات التجار الكبيرة، بينما الشمس تعلو فوق الأفق. وكانت أبطأ حتى من وتيرتها البطيئة المعتادة. لم يكن أي منهم في مزاج يسمح له بأن يقل أحدًا معه، بل كان هناك تجهم حانق، أو ربما غضب لأنهم على الأرجح سيتأخرون عن عملهم.

كانت عربات التجار تمر دون أن يعترضها شيء أكثر من تلويح البعض بقبضاتهم، بينما هي متوجهة ناحية (كايملين)، أو آتية منها. عندما ظهرت أول قافلة من عربات التجار باكرًا هذا الصباح بوتيرة ثابتة والشمس بالكاد فوق الأفق وراء العربات خطا (راند) بعيدًا عن الطريق. لم يبدُ عليها أدنى أثر للإبطاء من أجل أي شيء، ورأى أشخاصًا آخرين يهرولون مبتعدين عن الطريق. كان قد تنحى إلى جانب الطريق ولكنه واصل المشي.

كان صوت الاهتزاز الذي يشي باقتراب العربة الأولى هو كل ما ناله من تحذير. سقط أرضًا بينما سائق العربة يفرقع بسوطه في الهواء في الموضع الذي كان فيه رأسه. من حيث هو مستلقٍ نظر إلى عينيّ السائق بينما العربة تمر من أمامه، عينين صارمتين من فوق فم ملتوٍ في امتعاض. لم يكن يُبالي بأنه ربما كاد أن يُصيبه أو يفقأ عينه.

صاح (مات) ناحية العربة: «فليعمِك (النور)! لا يمكنك...». ضربه أحد الحراس من على صهوة حصانه بمؤخرة رمحه ليسقطه أرضًا فوق (راند).

قال الحارس مزمجرًا دون أن يُبطئ من حركته: «ابتعد عن الطريق يا (صديق الظلام) القذر!».

بعد هذا صارا يبقيان مسافة كافية بينهما وبين العربات، وقد كان هناك عدد كبير منها، ما إن تختفي قعقعة عربة من أمامهما حتى تأتي قعقعة أخرى من ورائهما. كان الحراس والسائقون على حد سواء ينظرون إلى المسافرين المتوجهين إلى (كايملين) كأنهم يرون وسخًا يمشي على قدمين.

ذات مرة أساء (راند) تقدير موضع صوت أحد سائقي العربات بقدر يسير. وضع يده على الجرح الطفيف فوق حاجبه وهو يزدرد لعابه بقوة لكي يمنع نفسه من التقيؤ بسبب مدى قربه من عينه. ابتسم السائق في سخرية فمد يده الأخرى لكي يمنع (مات) من وضع سهم في قوسه.

قال: «دعه يذهب». ثم أومأ برأسه ناحية الحرس الذين يسيرون بأحصنتهم بجوار العربات. بعضهم كان يضحك والبعض الآخر ينظر إلى قوس (مات) بصرامة. «إن كنا محظوظين فسيكتفون بضربنا برماحهم. هذا إن كنا محظوظين».

زفر (مات) بمرارة ولكنه ترك (راند) يجذبه على طول الطريق.

في مرتين مرت سرية من (حرس المملكة) عبر الطريق والأشرطة على رماحهم ترفرف في مهب الريح. كان بعض المزارعين يحيونهم ويطلبون منهم أن يفعلوا شيئًا بشأن الغرباء، ودومًا ما يتوقف الحرس لينصتوا في صبر. قرب منتصف النهار توقف (راند) ليُنصت إلى واحدة من هذه المحادثات.

قال قائد الحرس بصرامة من وراء قضبان قناعه مخاطبًا مزارع نحيل يقف متجهمًا بجانب ركاب حصانه: «إن سرق أحدهم شيئًا أو تعدى على أرضك فسآخذه ليحاكم أمام أحد القضاة، ولكنهم لم يخالفوا أي قانون من قوانين المملكة بالسير على طريق المملكة».

قال المزارع محتجًّا: «ولكنهم منتشرون في كل مكان، من يعرف من هم أو ما هي حقيقتهم، مع كل هذا الحديث عن (التنين)...».

«بحق (النور) يا رجل! لا يوجد سوى حفنة منهم هنا، إن (كايملين) مكتظة بهم، حتى تكاد أسوارها أن تنبعج، والمزيد منهم يأتون كل يوم». ازداد عبوس القائد عندما لمح (راند) و(مات) يقفان في الطريق بالقرب منه. أشار نحو الطريق بقفازه الفولاذي وقال: «فلتتحركا وإلا سأعتقلكما بتهمة عرقلة حركة المرور».

لم يكن صوته أكثر صرامة في حديثه لهما عما كان عليه مع المزارع، ولكنهما واصلا المضي قُدُمًا. لاحقهما القائد بعينيه لبعض الوقت، فقد كان (راند) قادرًا على الإحساس بهما محدقتين إلى ظهره. كان يشعر أن الحرس لم يتبقَّ لديهم الكثير من الصبر تجاه المسافرين، ولا أدنى تعاطف تجاه لص جائع، لذا قرر أن يمنع (مات) إن اقترح سرقة البيض مرة أخرى.

ورغم هذا كان هناك جانب إيجابي لوجود كل هذه العربات والأشخاص على الطريق، وخصوصًا جميع الشباب المتوجهين إلى (كايملين). بالنسبة لأي (صديق ظلام) يتعقبهما سيكون الأمر أشبه بانتقاء حمامتين معينتين من سرب من الحمام. إن كان (الميردرال) في (ليلة الشتاء) لم يعرفوا بالضبط من الذي يبحثون عنه فربما لا يكون أتباعهم أفضل حالًا هنا.

كانت معدته تقرقر باستمرار لتذكره بأنه لم يتبقَّ لديهما إلا أقل القليل من المال، ما لا يكفي بالتأكيد لشراء وجبة بالأسعار التي تُدفع بالقرب من (كايملين). أدرك أنه يضع يده على حقيبة المزمار فدفعها بحزم وراء ظهره. لقد كان (جود) يعرف جيدًا بشأن المزمار والتلاعب بالكرات، ولم يكن يعرف على وجه اليقين المقدار الذي عرفه منه (بعلزمون) قبل نهايته ـ إن كان ما رآه (راند) هو النهاية ـ أو مقدار ما مرره إلى (أصدقاء الظلام) الآخرين.

نظر بحسرة إلى مزرعة أثناء مرورهما من جوارها، كان هناك رجل يحرس السياج مع كلبين يزمجران ويجذبان لجاميهما. بدا على الرجل أنه لا يريد إلا عذرًا لإطلاق الكلبين. لم تكن كل المزارع تترك كلابها بالخارج، ولكن لم تعرض أي منها مهام من أجل المسافرين.

قبل أن تغرب الشمس مر هو و(مات) من جوار قريتين أخريين. كان القرويون يقفون في مجموعات يتحدثون فيما بينهم ويراقبون التيار المتدفق باستمرار من أمامهم. لم تكن وجوههم أكثر ودية من وجوه المزارعين أو سائقي العربات أو (حرس الملكة). كل هؤلاء الغرباء ذاهبون لرؤية (التنين الكاذب). الحمقى الذين ليس بهم من العقل ما يكفي لكي يظلوا حيث

ينتمون. ربما هم أتباع (التنين الكاذب)، وربما حتى من (أصدقاء الظلام)، إن كان هناك أي فارق بين الاثنين.

مع اقتراب المساء بدأ التيار ينحسر عند البلدة الثانية. القليل ممن لديهم أموال اختفوا في الحانة، على الرغم من وجود بعض الجدل حيال السماح لهم بالدخول. الآخرون بحثوا عن أسيجة مناسبة أو حقول بلا كلاب. بحلول الغسق صار هو و(مات) وحدهما على (طريق كايملين). بدأ (مات) يتحدث عن البحث عن كومة قش أخرى، ولكن (راند) أصر على المضي قُدُمًا.

قال: «ما دام بإمكاننا رؤية الطريق فمن الأفضل أن نواصل السير، كلما ابتعدنا أكثر قبل أن نتوقف صارت لنا الأسبقية». *إن كانوا يلاحقونك، فلِمَ يجب أن يلاحقوك الآن، بينما كانوا ينتظرون مجيئك إليهم حتى هذه اللحظة؟*

كانت هذه حُجَّة مقنعة بالنسبة لـ(مات)، فقد أسرع الخطى وهو يواصل النظر وراءه، واضطر (راند) للإسراع لكي يلحق به.

ازداد الليل إظلامًا دون أن يبدد بعضًا منه شيء إلا ضوء القمر الشاحب. تلاشى حماس (مات) المفاجئ وعاد إلى التذمر مرة أخرى. بدأ (راند) يشعر بالألم في عضلات ساقيه، فقال لنفسه إنه قد مشى لأبعد من هذا في يوم عمل شاق في المزرعة مع (تام)، ولكنه لم يستطع إقناع نفسه بهذا مهما ردده مرارًا وتكرارًا. جز على أسنانه ولم يتوقف متجاهلًا الآلام والأوجاع.

مع تذمر (مات) وانشغاله بآلام ساقيه كادا أن يدلفا إلى القرية قبل أن يرى أضواءها. توقف على الفور وأحس فجأة بألم حارق يسري من قدميه حتى أعلى ساقيه، وأن قدمه اليمنى متقرحة.

مع رؤية أضواء القرية هوى (مات) على ركبتيه متأوهًا ثم قال بصوت لاهث: «هل يمكننا أن نتوقف الآن؟ أم أنك ترغب في أن تعثر على حانة تعلق لافتة بأنه ممنوع دخول (أصدقاء الظلام)، أو (العواتم)؟».

أجابه (راند) محدقًا إلى الأضواء: «الجانب الآخر من البلدة». من على هذه المسافة في الظلام لم يكن هناك فارق بينها وبين (إيموندز فيلد). *ما الذي ينتظرنا هناك؟* «ميل آخر فحسب، هذا كل شيء».

«هذا كل شيء! أنا لن أمشي باعًا آخر».

أحس (راند) بساقيه تصرخان ألما ولكنه أجبر نفسه على أن يخطو خطوة ثم أخرى. لم يكن الأمر سهلًا، ولكنه واصل المضي قُدُمًا، خطوة تلو الأخرى. قبل أن يقطع عشر خطوات سمع (مات) يجر ساقيه من ورائه وهو يغمغم متذمرًا بكلمات لم يقدر (راند) على تمييزها.

كان الوقت متأخرًا بما يكفي لأن تكون شوارع القرية خالية من الناس، رغم أن معظم البيوت كانت مضاءة، في نافذة واحدة على الأقل. الحانة الواقعة في منتصف البلدة كانت ساطعة الإضاءة ومحاطة بدائرة من الضوء تدفع الظلام بعيدًا. كان صوت الموسيقى والضحكات - المكتوم بفعل الجدران السميكة - يأتي من داخل المبنى، واللافتة الموضوعة على الباب تصدر صريرًا في الرياح. بالقرب من نهاية الحانة كان هناك عربة وحصان في (طريق كايملين)، بينما رجل يتفحص الأربطة. كان هناك رجلان يقفان في نهاية المبنى عند حافة دائرة الضوء.

توقف (راند) في الظلال بجانب بيت مظلم. كان متعبًا للغاية فلم يقدر على البحث عن طريق بين الأزقة للالتفاف من حولهم. دقيقة من الراحة لن تضير، دقيقة فقط، حتى يبتعد الرجال. هوى (مات) على الأرض وهو يتنهد في امتنان، متكئًا بظهره إلى الجدار كأنه سينام هناك.

شيء حيال الرجلين الواقفين عند حافة الظلال جعل (راند) يشعر بعدم الارتياح. في البداية لم يستطع تخمين السبب، ولكنه أدرك أن الرجل الواقف بجوار العربة ينتابه نفس الشعور تجاههما. وصل إلى نهاية الحزام الذي كان يتفحصه وعدَّله قليلًا عند فم الحصان، ثم عاد وبدأ من جديد. كان يُبقي رأسه مطرقًا طيلة الوقت وعيناه على ما يفعله، متحاشيًا النظر إلى الرجلين الآخرين. ربما الأمر ببساطة هو أنه لم يدرك وجودهما بعد، رغم أنهما كانا على بعد أقل من خمسين خطوة منه، باستثناء الطريقة المتوترة التي يتحرك بها، أو الطريقة الغريبة التي يلتفت بها إلى ما يفعله حتى لا ينظر ناحيتهما.

أحد الرجلين الواقفين في الظلال كان مجرد شكل أسود، ولكن الآخر كان أقرب إلى الضوء، موليًا ظهره إلى (راند). ومع ذلك كان من الواضح أنه لم يكن سعيدًا للغاية بالمحادثة التي يجريها. كان يعتصر قبضتيه مبقيًا عينيه على الأرض وهو يومئ برأسه في عصبية من آن لآخر ردًّا على شيء قد قاله الآخر. لم يكن (راند) قادرًا على سماع أي شيء، ولكن كان لديه انطباع بأن الرجل الواقف في الظلال هو من يتحدث طيلة الوقت، بينما الرجل المتوتر يكتفي بالإنصات والإيماء واعتصار قبضتيه بعصبية.

في النهاية استدار الرجل المغلف بالظلال وسار مبتعدًا بينما خطا الرجل المتوتر عائدًا إلى الضوء. رغم برودة الجو إلا أنه كان يمسح وجهه بالمئزر الطويل الذي يرتديه كأنه غارق في العرق.

أحس (راند) بالوخز في جلده وهو ينظر إلى الشكل المظلم المبتعد عن الضوء. لم يعرف السبب ولكن بدا أن عدم ارتياحه يتتبع هذا الشخص. مع وخز مبهم في مؤخرة عنقه وانتصاب الشعر على ذراعيه كأنه قد أدرك فجأة أن هناك شيئًا يتسلل من ورائه. هز رأسه على الفور وهو يفرك ذراعيه بحيوية. *أنت تصير أحمق مثل (مات)، أليس كذلك؟*

في تلك اللحظة مر الشكل المظلم من جانب حافة الضوء المنبعثة من إحدى النوافذ ـ على شفا دائرة الضوء تمامًا ـ فأحس (راند) بقشعريرة باردة تجتاح جسده. كانت لافتة الحانة تتأرجح وهي تصدر صريرًا في مهب الريح، ولكن العباءة السوداء لم تتحرك قيد أنملة.

قال هامسًا: «(عاتم)». فانتفض (مات) واقفًا على قدميه كأنه قد صاح بها.

«ماذا...؟».

وضع (راند) يده على فم (مات) وهو يقول: «لا ترفع صوتك». كان الشكل المظلم قد اختفى في الظلام. *أين ذهب؟* «لقد رحل الآن، كما أعتقد، أو كما أتمنى». أبعد يده فكان الصوت الوحيد الذي أصدره (مات) هو شهيقًا طويلًا.

كان الرجل المتوتر قد وصل إلى باب الحانة تقريبًا، فتوقف ليهندم مئزره وهو يحاول بشكل واضح أن يتمالك نفسه قبل أن يدلف إلى الداخل.

فجأة قال الرجل الواقف عند العربة: «إن لديك أصدقاء من نوع غريب يا (رايمون هولدوين)». كان صوت رجل عجوز ولكنه مفعم بالقوة. انتصب المتحدث في وقفته وهو يهز رأسه قائلًا: «أصدقاء من نوع غريب في الظلام بالنسبة لصاحب حانة».

جفل الرجل المتوتر عندما تحدث الآخر وتلفت حوله كأنه لم يرَ العربة والرجل الآخر قبل هذه اللحظة. أخذ نفسًا عميقًا وتمالك نفسه قبل أن يسأل بحدة: «وما الذي تعنيه بهذا يا (ألمين بونت)؟».

«أعني بالضبط ما قلته يا (هولدوين)، أصدقاء من نوع غريب. إنه ليس من سكان المنطقة، أليس كذلك؟ الكثير من الغرباء قد مروا من هنا طيلة الأسابيع القليلة الماضية، عدد كبير من الغرباء».

نظر (هولدوين) إلى الرجل الواقف بجوار العربة وقال: «أنت آخر من يتحدث عن هذا، أنا أعرف الكثير من الرجال، بل أعرف حتى رجالًا من (كايملين)، ليس مثلك محبوسًا بمفردك في مزرعتك هذه». صمت قليلًا ثم أكمل حديثه كأنما رأى أن عليه أن يشرح أكثر: «إنه من (الملوك الأربعة)، يبحث عن اثنين من اللصوص، شابين قد سرقا منه سيفًا يحمل علامة البلشون».

حبس (راند) أنفاسه عند ذكر (الملوك الأربعة)، وعند ذكر السيف نظر إلى (مات). كان صديقه يتكئ بظهره بقوة إلى الجدار وهو يحدق إلى الظلام بعينين متسعتين للغاية. أراد (راند) أن يحدق عبر الظلمة أيضًا. من الممكن أن يكون نصف البشري في أي مكان. ولكنه أعاد عينيه إلى الرجلين الواقفين أمام الحانة.

صاح (بونت): «سيف يحمل علامة البلشون! لا عجب أنه يرغب في استعادته».

أومأ (هولدوين) برأسه وقال: «أجل، ويرغب في أن يُمسك باللصين أيضًا. صديقي رجل ثري، إنه... إنه تاجر، وقد كانا يسببان المتاعب للرجال الذين يعملون معه، فقد كانا يحكيان حكايات غريبة، ويثيران غضب الناس. إنهما من (أصدقاء الظلام)، ومن أتباع (لوجاين) أيضًا».

«من (أصدقاء الظلام) ومن أتباع (التنين الكاذب)؟ ويحكيان حكايات غريبة أيضًا؟ لقد فعلا الكثير بالنسبة لاثنين في سن صغيرة، ألم تقل إنهما شابان؟». كان هناك نبرة من السخرية في صوت (بونت)، ولكن لم يبدُ أن صاحب الحانة قد لاحظها.

«أجل، ليسا في العشرين من عمرهما بعد. هناك مكافئة لمن يُمسك بهما؛ مئة كراون ذهبي». تردد (هولدوين) قبل أن يضيف: «إن لهما لسانين ماكرين هذان الاثنان، (النور) وحده يعرف أي نوع من الحكايات يرددانها، في محاولة لتأليب الناس ضد بعضها. وهما خطيران أيضًا حتى

لو لم يبدُ عليهما هذا، ووحشيان، من الأفضل أن تبقى بعيدًا عنهما إذا رأيتهما. شابان؛ أحدهما يحمل سيفًا، وكلاهما يتلفتان حولهما. إن كانا هما المنشودين فإن... صديقي سيُمسك بهما بمجرد تحديد موضعهما».

«يبدو لي وكأنك تعرفهما جيدًا».

قال (هولدوين) بثقة: «سأعرفهما بمجرد أن أراهما، فقط لا تحاول أن تُمسك بهما بنفسك، لا حاجة لأن يتأذى أحد. تعالَ وأخبرني إن رأيتهما، إن... صديقي سيتعامل معهما. مئة كراون مقابل الاثنين، ولكنه يريد الاثنين معًا».

قال (بونت) بسخرية: «مئة كراون مقابل الاثنين، كم سيدفع مقابل هذا السيف الذي يتلهف لاستعادته؟».

فجأة بدا على (هولدوين) أنه قد أدرك أن الرجل الآخر يسخر منه فقال بحدة: «لا أعرف لِمَ أخبرك بهذا، أرى أنك ما زلت مصرًّا على خطتك الحمقاء».

أجابه (بونت) بهدوء: «ليست خطة حمقاء، قد لا يكون هناك تنين كاذب لأراه قبل أن أموت. بمشيئة (النور) لن يكون هناك واحد آخر. وأنا لا أرغب في أن يعمي وجهي غبار عربات التجار على طول الطريق حتى (كايملين). سيكون الطريق لي وحدي، وسأصل إلى (كايملين) في ضوء الصباح الباكر».

قال صاحب الحانة بصوت مرتجف منزعج: «لك وحدك؟ لا يمكنك أبدًا أن تعرف ما قد يكون كامنًا هناك في ظلام الليل يا (ألمين بونت). وحدك على الطريق في الظلام، حتى إن سمعك أحد تصرخ، فلا أحد سيزيح مزلاج بابه لكي يساعدك، ليس في مثل هذه الأيام يا (بونت)، ولا حتى أقرب جيرانك».

لم يبدُ أن أيًّا من هذا قد أزعج المزارع العجوز على الإطلاق، فقد أجاب بهدوئه المعتاد: «إن لم يكن (حرس الملكة) قادرين على أن يُبقوا الطريق آمنًا بالقرب من (كايملين) فلن يكون أحد منا آمنًا حتى في فراشه. إن كنت تريد رأيي فإن هناك شيئًا واحدًا يمكن أن يفعله الحرس لكي يحرصوا على إبقاء الطرق آمنة، وهو أن يقيدوا صديقك هذا بالأغلال. يتسلل في الظلمة خائفًا من أن يُلقي أحد نظرة على وجهه، لا يمكنك أن تقنعني بأنه لا يضمر شرًّا».

صاح (هولدوين): «خائف! أيها العجوز الأحمق، إن كنت تعرف...». أطبق فمه على الفور وهو يهز رأسه لنفسه قبل أن يقول: «لا أعرف لمَ أضيع وقتي معك، فلترحل الآن! لا تعرقل الطريق أمام مكان عملي». ثم صفق باب الحانة وراءه بصوت مرتفع.

راح (بونت) يتمتم لنفسه وهو يمسك بحافة مقعد العربة ويضع قدمه على محور العجلة.

تردد (راند) للحظة ثم بدأ السير للأمام فأمسك (مات) بذراعه.

«هل أنت مجنون يا (راند)؟ سيتعرف علينا بالتأكيد!».

«هل تفضل البقاء هنا؟ بينما هناك (عاتم) في الأنحاء؟ إلى أي مدى تعتقد أننا سنبتعد سيرًا على الأقدام قبل أن يعثر علينا؟». تحاشى التفكير في المسافة التي سيقدران على قطعها بالعربة قبل أن يعثر عليهما. خلص نفسه من قبضة (مات) وهرول عبر الطريق، وهو يحرص على أن يضُم عباءته لكي يظل سيفه مخفيًّا، كانت برودة الجو عذرًا كافيًا لهذا.

قال: «لم أستطع منع نفسي من سماع أنك ذاهب إلى (كايملين)».

جفل (بونت) وجذب عصا من عربته. كان وجهه الذي سفعته الشمس مليئًا بالتجاعيد، وقد فقد نصف أسنانه، ولكن يديه المتجعدتين كانت تُمسكان بالعصا بثبات. بعد دقيقة خفض طرف عصاه إلى الأرض واتكأ

عليه قائلًا: «إذن فأنتما الاثنان ذاهبان إلى (كايملين). لرؤية (التنين)، أليس كذلك؟».

لم يُدرك (راند) أن (مات) قد لحق به، ولكن (مات) قد بقي إلى الوراء بعيدًا خارج الضوء، يُراقب الحانة والمزارع العجوز بريبة، مثلما يراقب العجوز الليل.

قال (راند) مشددًا: «(التنين الكاذب)».

أومأ (بونت) برأسه وقال: «بالطبع، بالطبع». ثم ألقى نظرة جانبية ناحية الحانة، قبل أن يدفع العصا فجأة تحت مقعد العربة. «حسنًا، إن كنتما تريدان توصيلة فلتركبا، لقد أضعت ما يكفي من الوقت». كان قد صعد إلى الكرسي بالفعل.

صعد (راند) إلى مؤخرة العربة، بينما المزارع يضرب باللجام. أسرع (مات) للحاق بالعربة أثناء انطلاقها، فأمسك (راند) بذراعيه وجذبه ليصعد العربة.

سرعان ما اختفت القرية في الليل مع الوتيرة التي ينطلق بها (بونت). استلقى (راند) بظهره على الألواح العارية وهو يصارع رغبته في النوم التي انتابته مع صوت صرير العجلات الرتيب. كتم (مات) تثاؤبه بقبضته وهو يحدق بحذر إلى الريف. كان الظلام يخيم بثقل على الحقول والمزارع، وتتخلله نقاط ضوء من البيوت الريفية. بدت الأضواء بعيدة، بدت أنها تصارع ظلمة الليل بلا فائدة. نعقت بومة نعيق رثاء، فأنَّت الرياح كالأرواح الضائعة في (الظل).

قال (راند) لنفسه؛ *قد يكون هناك في أي مكان.*

بدا أن (بونت) يشعر بوطأة الليل، فقد قال فجأة: «هل ذهبتما إلى (كايملين) من قبل؟». ثم ضحك ضحكة قصيرة وقال: «لا أعتقد أنكما قد ذهبتما، فلتنتظرا حتى ترياها، إنها أعظم مدينة في العالم. أوه، لقد

سمعت كل شيء بشأن (إليان)، و(إيبو دار) و(تير). هناك دومًا أحمق ما يعتقد أن شيئًا ما هو الأكبر والأعظم، فقط لأنه في مكان ما بعيد وراء الأفق، ولكني أُراهن أن (كايملين) هي الأعظم على الإطلاق، ولا يمكن أن تصير أعظم. لا، لا يمكن هذا، إلا ربما لو تخلصت الملكة (مورجيز). فليباركها (النور). من ساحرة (تار ڤالون) هذه».

كان (راند) مستلقيًا ورأسه على لفافة بطانياته فوق حزمة عباءة (توم)، يُراقب الليل وهو ينجرف من أمامه، تاركًا كلمات المزارع تغمره. إن صوت الحديث البشري يردع الظلام ويكتم أنين الرياح. التفت لينظر إلى الكتلة المظلمة التي تمثل ظهر (بونت) وهو يقول: «هل تعني (آيز سيداي)؟».

«أي شيء آخر قد أعنيه؟ تجلس هناك في القصر كالعنكبوت. أنا رجل صالح مخلص للملكة. لم أقل قط إنني لست كذلك. ولكن هذا ببساطة لا يصح. أنا لست واحدًا من هؤلاء الذين يقولون إن (إيليدا) لها تأثير كبير على الملكة، لا أقول هذا. أما بالنسبة لهؤلاء الذين يزعمون أن (إيليدا) هي الملكة حقًّا باستثناء اللقب...». بصق في الليل وقال: «هذا من أجلهم. إن (مورجيز) ليست دمية تحركها ساحرة من ساحرات (تار ڤالون)».

(آيز سيداي) أخرى. لو كانت... عندما تصل (مويرين) إلى (كايملين) فربما تذهب إلى أخت من (الآيز سيداي). وإن حدث الأسوأ فربما تساعدهم (إيليدا) هذه على الوصول إلى (تار ڤالون). نظر إلى (مات) وكأنما قد تحدث بصوت عالٍ، فقد هز (مات) رأسه. لم يكن قادرًا على رؤية وجه (مات) ولكنه كان يعرف أنه يحمل رفضًا قاطعًا.

واصل (بونت) الحديث وهو يضرب باللجام كلما أبطأ الحصان، ولكنه عدا ذلك كان يُريح يديه على ركبتيه. «أنا رجل صالح مخلص للملكة كما قلت، ولكن حتى الحمقى يقولون شيئًا جديرًا بالاهتمام من آن لآخر، حتى الخنزير الأعمى يمكنه أن يجد جوزة بلوط في بعض الأحيان. يجب أن

يكون هناك بعض التغييرات. هذا الطقس، ندرة المحاصيل، جفاف ضروع الأبقار، العجول والحملان تولد ميتة أو برأسين. حتى الغربان اللعينة لا تنتظر موت الأشياء. الناس مرعوبون، ويريدون شخصًا ما لكي يلقوا باللوم عليه. (ناب التنين) يظهر على أبواب البيوت. أشياء تتسلل في ظلام الليل. مزارع تُحرق. أشخاص في الأرجاء. مثل صديق (هولدوين) هذا. يرعبون الناس. يجب أن تفعل الملكة شيئًا قبل أن يفوت الأوان. أنتما تفهمان هذا، أليس كذلك؟». أجابه (راند) بغمغمة غير مفهومة، لقد بدا له أنهما أكثر حظًّا مما كان يعتقد بعثورهما على هذا الرجل العجوز وهذه العربة. لم يكونا ليبتعدا كثيرًا عن هذه القرية الأخيرة إن انتظرا حتى ضوء النهار. أشياء تتسلل في ظلام الليل. رفع (راند) رأسه لينظر من فوق جانب العربة إلى الظلمة، بدا أن الظلال والأشكال تتلوى في سواد الليل. أنزل رأسه قبل أن تقنعه مخيلته بوجود شيء ما هناك.

اعتبر (بونت) غمغمة (راند) موافقة على حديثه، فقال: «هذا صحيح، أنا رجل صالح مخلص للملكة، وسأقف في وجه أي أحد يحاول أن يؤذيها، ولكني محق، فلتأخذ السيدة النبيلة (إيلاين) واللورد (جاوين) على سبيل المثال. هناك تغييرات لن تضير في شيء، وقد يكون لها بعض النفع. بالتأكيد أنا أعرف أن الأمور لطالما جرت على هذا النحو في (أندور)، فنرسل ولية العهد إلى (تار ڤالون) لتدرس مع (الآيز سيداي)، والابن الأكبر ليدرس مع (الحماة). أنا أؤمن بالتقاليد حقًّا، ولكن انظرا ما تسببت لنا فيه في المرة السابقة، (لوك) مات في (البلاء العظيم) قبل حتى أن يحمل لقب الأمير الأول للسيف، و(تيجرين) اختفت. هربت أو ماتت. عندما حان وقت توليها العرش. لا يزال هذا يُسبب لنا الاضطراب.

البعض يقول إنها لا تزال على قيد الحياة، وإن (مورجيز) ليست هي الملكة الشرعية. هؤلاء الحمقى الملاعين. أنا أتذكر ما حدث، أتذكره كما لو كان بالأمس، لم يكن هناك ولية عهد لكي تجلس على العرش عندما ماتت الملكة العجوز، وكل عائلة في (أندور) كانت تتآمر وتتصارع من

أجل هذا الحق. أما عن (تارينجيل دامودريد) فلم تكن لتظن أنه قد فقد زوجته بينما هو متلهف لمعرفة أي عائلة ستنتصر ليتزوج مرة أخرى ويصير الأمير القرين في نهاية المطاف. حسنًا، لقد تمكن من هذا، أما عن سبب اختيار الملكة (مورجيز)... حسنًا، لا أحد يعرف ما يدور في عقل امرأة، والملكة هي امرأة مرتين؛ زوجة رجل، وزوجة أرض. لقد حصل على ما أراده على أي حال، وإن لم يكن بالطريقة التي أرادها.

لقد ورَّط (كايرين) في المؤامرة قبل أن ينتهي من الأمر، وأنتما تعرفان كيف انتهى الأمر. لقد قطعت الشجرة واجتاح رجال (آييل) الملثمين بالسواد (جدار التنين)، وتسبب في مقتله بطريقة لائقة، بعد أن أنجب (إيلاين) و(جاوين). لذا أعتقد أن هناك نهاية للأمر، ولكن لِمَ نرسلهما إلى (تار ڤالون)؟ لقد حان الوقت لأن يتوقف الناس عن التفكير في عرش (أندور) و(الآيز سيداي) كفكرة واحدة. إن كان عليهما أن يذهبا إلى مكان آخر ليتعلما ما يحتاجانه فإن (إليان) بها مكتبات تضاهي مكتبات (تار ڤالون)، وسيعلمون السيدة (إيلاين) عن الحكم والتآمر بقدر ما سيعلمنها الساحرات. لا أحد يعرف عن التآمر أكثر من (الإليانيين)، وإن كان (حرس الملكة) لا يقدرون على تعليم اللورد (جاوين) ما يكفي عن الجندية فهناك جنود في (إليان) أيضًا، وفي (شاينار) و(تير) إذا تطلب الأمر. أنا رجل صالح مخلص للملكة، ولكني أقول إن علينا أن نوقف كل هذا التعامل مع (تار ڤالون)، ثلاثة آلاف سنة هو وقت طويل بما يكفي، طويل أكثر من اللازم. يمكن للملكة (مورجيز) أن تقودنا وأن تضع الأمور في نصابها الصحيح دون مساعدة من (البرج الأبيض). صدقاني هناك امرأة قادرة على أن تجعل أي رجل يفخر بأن يجثو على ركبتيه أمامها من أجل أن ينال بركاتها. بالفعل، ذات مرة...».

قاوم (راند) النوم الذي يصرخ جسده من أجله، ولكن الصرير المتناغم وتمايل العربة كانا يدفعانه للنوم فغفا على دمدمة صوت (بونت). حلم بـ(تام)، في البداية كانا يجلسان أمام الطاولة الكبيرة المصنوعة من خشب

البلوط في البيت الريفي، يتناولان الشاي بينما (تام) يحكي له عن الأمراء القرناء ووليات العهد و(جدار التنين) ورجال (آييل) الملثمين بالسواد. كان السيف الذي يحمل علامة البلشون موضوعًا على الطاولة بينهما ولكن أيًّا منهما لم ينظر إليه. فجأة صار في (الغابة الغربية) يجذب المحفة البدائية في الليل الذي يضيئه القمر. عندما نظر وراءه كان (توم) موضوعًا على المحفة وليس أباه، جالسًا معقود الساقين وهو يتلاعب بالكرات في ضوء القمر.

قال (توم) بينما الكرات زاهية الألوان ترقص في دائرة: «الملكة تتزوج الأرض، ولكن (التنين)... (التنين) يتوحد مع الأرض، والأرض تتوحد مع (التنين)».

بعيدًا إلى الوراء رأى (راند) (العاتم) قادمًا، بعباءة سوداء لا تثيرها الرياح، وحصان يتحرك بصمت بين الأشجار كالشبح. كان هناك رأسان مقطوعان يتدليان من سرج (الميردرال)، يقطر منهما الدم الذي يجري في تيارات سوداء على كتفي الحصان الأسود كالفحم. (لان) و(مويرين)، وجهاهما ملتويان في تعبير متألم. كان (العاتم) يُمسك في يده بحفنة من الحبال وهو جالس على صهوة حصانه، وفي نهاية كل حبل منهما رسغان مقيدان لأحد هؤلاء الذين يركضون وراء الحوافر الصامتة، ووجوههم يغشاها اليأس؛ (مات) و(بيرين) و(إيجوين).

صاح (راند): «ليس هي! فليحرقك (النور)، أنت تريدني أنا وليس هي!».

أشار نصف البشري بيده الأخرى فالتهمت ألسنة اللهب (إيجوين)، واحترق اللحم ليصير رمادًا وتفحم العظم وتفتت.

قال (توم) وهو لا يزال يتلاعب بالكرات بلا اكتراث: «(التنين) يتوحد مع الأرض، والأرض تتوحد مع (التنين)».

صرخ (راند)... وفتح عينيه.

كانت العربة تصدر صريرًا وهي تتحرك على (طريق كايملين)، مليئة بالليل والرائحة النفاذة لقش قد اختفى منذ وقت طويل، ورائحة الحصان الخافتة. استقر على صدره شكل أكثر سوادًا من الليل، وحدق إليه بعينين أكثر سوادًا من الموت.

قال الغراب: «أنت ملكي». ثم طعنه في عينه بمنقاره الحاد، فصرخ بينما المنقار ينتزع مقلة عينه من رأسه.

انتفض مستيقظًا بصرخة كادت أن تمزق حلقه وهو يضع كلتا يديه على وجهه.

كان ضوء الصباح الباكر يغمر العربة. حدق إلى يديه في ذهول، لم يكن هناك دم ولا ألم. كان ما تبقى من الحلم يتلاشى بالفعل، ولكن هذا... تحسس وجهه بحذر وارتجف.

قال (مات): «على الأقل...». ثم تثاءب حتى طقطق فكيه. «على الأقل حصلتَ على بعض النوم». كان هناك القليل من التعاطف في عينيه الناعستين المتعبتين، وهو منكمش تحت عباءته بينما لفافة بطانياته مثنية تحت رأسه. «لقد ظل يتحدث طيلة الليل».

قال (بونت) من مقعد السائق: «هل استيقظتما؟ لقد أفزعتماني بالصراخ هكذا. حسنًا، لقد وصلنا». ثم لوح بيده أمامهما بحركة استعراضية قائلًا: «(كايملين)، أعظم مدينة في العالم».

الفصل الخامس والثلاثون

كايملين

اعتدل (راند) ليجلس على ركبتيه وراء مقعد السائق، ولم يستطع أن يمنع نفسه من الضحك بارتياح وهو يقول: «لقد وصلنا أخيرًا يا (مات)! قلت لك إننا...». اختنقت الكلمات في فمه عندما وقعت عيناه على (كايملين). بعد (بايرلون)، وأكثر بعد (شادار لوجوث)، كان يعتقد أنه يعرف ما ستبدو عليه مدينة عظيمة، ولكن هذا.. كان هذا أكثر مما يمكن أن يصدق.

خارج السور العظيم كانت المباني مكتظة كأن كل بلدة قد مر بها قد جُمعت ووُضعت هناك جنبًا إلى جنب، وجميعها متداخلة. طوابق الحانات العليا تبرز فوق أسطح المنازل القرميدية، والمخازن العريضة عديمة النوافذ ملتحمة بها جميعًا. قرميد أحمر وصخور رمادية وجبس أبيض مختلطة وممتزجة معًا، وممتدة على مدى البصر. من الممكن أن تختفي (بايرلون) بها دون أن يلاحظها أحد، ومن الممكن أن تبتلع (الجسر الأبيض) عشرين مرة كأنك قد ألقيت حصى في بحيرة.

والسور نفسه عالٍ بارتفاع خمسين قدمًا من الأحجار الرمادية الباهتة، بخطوط بيضاء وفضية، يمتد في دائرة عظيمة تنحني نحو الشمال والجنوب، حتى إنه تساءل عن المسافة التي يمتد إليها. على طول السور ترتفع الأبراج الطويلة، المستديرة المختفية فوق ارتفاع السور ذاته، بينما الرايات ذات اللونين الأحمر والأبيض تخفق في الرياح فوق كل برج منها. كان هناك أبراج أخرى تطل من داخل السور، أبراج نحيفة وأكثر ارتفاعًا من تلك الموجودة على الأسوار، وقباب من اللونين الأبيض والذهبي تلمع في الشمس. لقد رسمت آلاف الحكايات صور المدن في مخيلته، المدن العظيمة للملوك والملكات، مدن العروش والسلطات والأساطير، وكانت (كايملين) تنسجم مع كل هذه الصور المحفورة عميقًا في عقله كما ينسجم الماء بداخل الإبريق.

أصدرت العربة صريرًا وهي تسير عبر الطريق الواسع المؤدي إلى المدينة باتجاه البوابة التي يوجد برجان على جانبيها. كانت عربات قوافل التجار تخرج عبر هذه البوابة تحت قوس صخري شاهق الارتفاع من الممكن أن يسمح بمرور عملاق، أو عشرة عمالقة جنبًا إلى جنب. كانت الأسواق الواقعة خارج السور تصطف على جانبي الطريق بأسقف من القرميد تتلألأ باللونين الأحمر والبنفسجي مع إسطبلات ومرابض في المساحات الواقعة فيما بينها، يتعالى منها خوار العجول والأبقار، وثغاء الماعز والأغنام، وبقبقة الدواجن، والناس يساومون على الأسعار بأعلى صوت لديهم. حاجز من الضوضاء يحيط بهم ويدفعهم نحو بوابة (كايملين).

«ماذا قلت لكما؟». كان (بونت) مضطرًا لأن يرفع صوته حتى كاد أن يصيح لكي يتمكنا من سماعه. «أعظم مدينة في العالم، بناها (الأوجير)، أو على الأقل بنوا (المدينة الداخلية) والقصر. إن (كايملين) قديمة بمثل هذا القدم، (كايملين) حيث الملكة الصالحة (مورجيز). فليباركها (النور). تسن القوانين وتحافظ على السلام في (أندور). أعظم مدينة على وجه الأرض».

كان (راند) مستعدًّا لأن يوافقه الرأي، فقد كان فاغرًا فاه، وأراد أن يضع يديه على أذنيه لكي يحجب الضوضاء. الناس محتشدون على الطريق كما يحتشد قاطنو (إيموندز فيلد) في الساحة الخضراء يوم (بِل تاين). تذكر أنه ظن أن هناك الكثير من الناس في (بايرلون) بشكل لا يمكن تصديقه، فكاد أن يضحك. نظر إلى (مات) وابتسم. كان (مات) قد وضع يديه على أذنيه وقد رفع كتفيه كأنما يرغب في تغطية أذنيه بهما أيضًا.

سأل بصوت عالٍ عندما رأى (راند) ينظر إليه: «كيف سنختبئ في هذا المكان؟ كيف يمكننا أن نعرف من يجب أن نثق فيه مع مثل هذا العدد الكبير؟ عدد كبير للغاية، وهذه الضوضاء بحق (النور)!».

نظر (راند) إلى (بونت) قبل أن يجيبه. كان المزارع مشغولًا بتوجيه عربته ناحية المدينة، ولا يمكن أن يسمعهما مع كل هذه الضوضاء على أي حال. رغم هذا قرب (راند) فمه من أذن (مات) وقال: «كيف يمكنهم العثور علينا بين كل هذا العدد الكبير؟ ألا يمكنك أن ترى هذا أيها الأحمق؟ نحن بأمان إن تعلمت أن تنتبه للسانك!». لوح بيده ليشير إلى كل شيء؛ الأسواق، وأسوار المدينة التي لا تزال أمامهما، وقال: «انظر إلى هذا يا (مات)! يمكن لأي شيء أن يحدث هنا، أي شيء! يمكننا حتى أن نجد (مويرين) في انتظارنا، بصحبة (إيجوين) والبقية».

«هذا إن كانوا على قيد الحياة. إن أردت رأيي فإنهم موتى كصانع البهجة».

تلاشت الابتسامة من على وجه (راند) وهو يلتفت لينظر إلى البوابة التي تقترب. يمكن لأي شيء أن يحدث في مدينة مثل (كايملين). تشبث في عناد بهذه الفكرة.

لم يكن الحصان قادرًا على التحرك بشكل أسرع، مهما ضرب (بونت) باللجام. وكلما اقتربت البوابة ازداد الحشد اكتظاظًا، فيتدافعون جنبًا إلى جنب، ويضغطون على العربات المارة. كان (راند) مسرورًا لرؤية عدد كبير

من الشباب المغبرين الذين يحملون القليل من المتاع. بغض النظر عن أعمارهم فإن الكثير من الحشد الذين يشقون طريقهم ناحية البوابة كانوا يحملون آثار تعب السفر مع عربات متهالكة وخيول منهكة وملابس متجعدة بفعل ليالٍ طويلة من النوم القاسي، يجرون أقدامهم بأعين متعبة. ولكن متعبة أو لا فقد كانت أعينهم معلقة بالبوابة كأنما ولوجهم إلى داخل الأسوار سيخلصهم من كل تعبهم.

كان هناك ستة من (حرس الملكة) يقفون عند البوابة، بينما ملابسهم النظيفة ذات اللونين الأحمر والأبيض ودروعهم المصقولة تتناقض بشكل صارخ مع معظم الناس المتدفقين أسفل القوس الصخري. بظهور منتصبة ورؤوس مرفوعة كانوا ينظرون إلى الوافدين بحذر وازدراء. كان من الواضح عليهم أنهم يفضلون لو أن يمنعوا معظم هؤلاء الوافدين من الدخول. ولكنهم لم يحاولوا عرقلة أي شخص باستثناء إفساح طريق من أجل العربات التي تغادر المدينة، وتوجيه كلمة صارمة إلى هؤلاء الذين يحاولون شق طريقهم بسرعة كبيرة.

«الزموا أماكنكم. لا تتدافعوا. فليعمكم (النور)، لا تتدافعوا! هناك متسع للجميع، فليساعدنا (النور)، الزموا أماكنكم».

مرت عربة (بونت) عبر البوابة مع تدفق الحشد البطيء إلى داخل (كايملين).

كانت المدينة مقامة على تلال خفيضة، كصعود درجات سلم نحو نقطة مركزية. كان هناك سور آخر يحيط بهذا المركز، يلمع بلون أبيض نقي، ويمتد فوق التلال، بداخله كان هناك المزيد من الأبراج والقباب، بالألوان البيضاء والذهبية والبنفسجية. وارتفاعها فوق التلال جعلها تبدو وكأنها تطل لأسفل على بقية (كايملين). فكر (راند) أن هذه بلا شك هي (المدينة الداخلية) التي تحدث (بونت) عنها.

(طريق كايملين) نفسه قد تغير بمجرد أن صاروا داخل المدينة، فصار شارعًا واسعًا يقسمه من منتصفه أشرطة عريضة من الحشائش والأشجار. كانت الحشائش بنية وأغصان الأشجار عارية من الأوراق، ولكن الناس يسرعون من جوارها كأنهم لا يرون شيئًا غير معتاد، فيضحكون ويتحدثون ويتجادلون ويفعلون كل الأشياء التي يفعلها الناس، كأنما ليس لديهم أدنى فكرة أن الربيع قد تأخر هذا العام، وقد لا يكون هناك ربيع. أدرك (راند) أنهم لا يرون هذا، أو لا يرغبون في رؤيته، أو لا يقدرون على رؤيته. كانت أعينهم تتحاشى الأغصان عديمة الأوراق، ويمرون بجانب الحشائش الميتة والمحتضرة دون أن ينظروا إلى الأسفل ولو مرة واحدة. يمكنهم أن يتجاهلوا ما لا يرونه، وما لا يرونه ليس موجودًا حقًّا.

كان (راند) فاغرًا فاه وهو ينظر إلى المدينة والناس، ثم اندهش عندما انعطفت العربة عند شارع جانبي أضيق من الشارع الرئيسي، ولكنه لا يزال أكثر اتساعًا بمرتين من أي شارع في (إيموندز فيلد). أوقف (بونت) الحصان والتفت لينظر إليهما في تردد. كان حشد الناس أقل ازدحامًا هنا، فكان الناس يلتفون من حول العربة دون أن يبطئوا من سيرهم.

«ما الذي تخفيه تحت عباءتك، هل هو حقًّا ما ذكره (هولدوين)؟».

كان (راند) يضع حقائب السرج على كتفه، فلم تتغير ملامحه مطلقًا وهو يقول: «ما الذي تعنيه؟». كان صوته ثابتًا أيضًا. كان هناك قبضة باردة تعتصر معدته ولكن صوته كان ثابتًا.

كتم (مات) تثاؤبًا بإحدى يديه ولكنه دفع الأخرى تحت معطفه. أدرك (راند) أن هذا ليُمسك بخنجر (شادار لوجوث). وعيناه تحملان نظرة صارمة متحفزة من تحت الوشاح المحيط برأسه. تحاشى (بونت) النظر إلى (مات) كأنما يعرف أن هناك سلاحًا في يده المخفية.

«أنا لا أعني شيئًا. اسمعاني، إن كنتما قد سمعتما أنني ذاهب إلى (كايملين) فقد كنتما هناك بما يكفي لكي تسمعا البقية. إن كنت أسعى

وراء مكافأة ما لاختلقت أي عذر لكي أدلف إلى حانة (الإوزة والإكليل) وأتحدث مع (هولدوين)، ولكن (هولدوين) لا يعجبني كثيرًا، ولا يعجبني صديقه هذا على الإطلاق. يبدو لي أنه يريدكما أكثر مما يريد... أي شيء آخر».

قال (راند): «لا أعرف ما يريده، نحن لم نره على الإطلاق من قبل». قد تكون هذه الحقيقة، فهو لا يستطيع أن يميز بين (عاتم) وآخر.

«آها، حسنًا. كما قلت، أنا لا أعرف شيئًا، وأعتقد أنني لا أريد أن أعرف. هناك من المتاعب ما يكفي بالنسبة للجميع دون الحاجة لأن أبحث عن المزيد».

كان (مات) يجمع متعلقاته ببطء، فكان (راند) واقفًا في الشارع بالفعل قبل أن يبدأ هو في النزول من العربة. انتظر (راند) في نفاد صبر، بينما (مات) يلتفت بشكل متحفز بعيدًا عن العربة وهو يضم قوسه وجعبته ولفة بطانياته إلى صدره، ويغمغم بشيء ما. كان جفناه تحت عينيه مظلمين بظلال عميقة.

قرقرت معدة (راند) فتجهم وجهه، إن الجوع مجتمعًا مع القبضة الباردة التي تعتصر معدته جعله يخشى أن يتقيأ. كان (مات) يحدق إليه في ترقب في هذه اللحظة. *من أي طريق نذهب؟ ماذا سنفعل الآن؟*

مال (بونت) ناحيته وطلب منه أن يقترب، ففعل هذا وهو يأمل أن يحصل على نصيحة بشأن (كايملين).

«لو كنت مكانك لأخفيته....». صمت المزارع وهو يتلفت حوله في حذر. كان الناس يتدافعون من على جانبي العربة دون أن يعيرهم أحد أدنى اهتمام، باستثناء بعض السباب العابر لعرقلتهم الطريق. قال: «توقف عن حمله، أخفه، بعه، تخلص منه. هذه هي نصيحتي. شيء كهذا سيلفت الانتباه وأعتقد أنك لا تريد أيًا من هذا».

فجأة اعتدل وطقطق بلسانه لحصانه، وبدأ يتحرك ببطء عبر الشارع المزدحم، دون كلمة أخرى أو نظرة للوراء. اندفعت عربة محملة بالبراميل ناحيتهما فقفز (راند) بعيدًا عن الطريق مترنحًا وعندما نظر مرة أخرى كان (بونت) وعربته قد اختفيا عن الأنظار.

سأله (مات): «ماذا سنفعل الآن؟». ثم لعق شفتيه وهو يتلفت حوله بعينين متسعتين ناظرًا إلى المارة المتدافعين والمباني شاهقة الارتفاع التي تصل إلى ستة طوابق فوق الشارع. «نحن في (كايملين)، ولكن ماذا يجب أن نفعل؟». لم يعد يغطي أذنيه، ولكن يديه كانتا ترتعشان كأنه يرغب في وضعهما على أذنيه مرة أخرى. كان هناك طنين يخيم على المدينة، الطنين الخفيض الرتيب لمئات المتاجر أثناء عملها وآلاف الناس الذين يتحدثون. بالنسبة لـ(راند) بدا الأمر أشبه بكونه داخل خلية نحل عملاقة تطن باستمرار. «حتى لو كانوا هنا يا (راند)، فكيف يمكننا أن نجدهم هنا وسط كل هذا».

قال (راند) ببطء: «(مويرين) ستعثر علينا». كان الامتداد الشاسع للمدينة حملًا ثقيلًا على كتفيه. أراد أن يهرب، أن يختبئ من كل هؤلاء الناس وكل هذه الضوضاء. كان الخواء عصيًّا عليه رغم كل تعليم (تام) له، فعيناه تجذبان المدينة إلى داخل الخواء. صب تركيزه بدلًا من هذا على ما يحيط به متجاهلًا ما يقع وراءه. إن النظر إلى ذلك الشارع وحده يجعله يكاد يشعر وكأنه في (بايرلون). (بايرلون) آخر مكان ظنوا فيه جميعهم أنهم آمنون. *لم يعد هناك أحد آمن، ربما ماتوا جميعًا. ماذا ستفعل إذن؟*

«إنهم على قيد الحياة! (إيجوين) على قيد الحياة!». قالها بحدة فنظر إليه بعض المارة باستغراب.

قال (مات): «ربما، ربما. ولكن ماذا لو لم تعثر علينا (مويرين)؟ ماذا لو لم يعثر علينا أحد سوى... سوى...». ارتجف جسده ولم يقدر على النطق بها.

قال (راند) بحزم: «سنفكر في الأمر عندما يحدث، هذا إن حدث». كان الأسوأ يعني بحثهما عن (إيليدا)، (الآيز سيداي) الموجودة في القصر. كان يفضل المضي قُدُمًا والذهاب إلى (تار ڤالون) أولًا. لم يكن يعرف إن كان (مات) يتذكر ما قاله (توم) عن (الآجاه الحمراوات) . و(الآجاه السوداوات) . إلا أنه يتذكر بلا شك. اعتصرت القبضة الباردة معدته مرة أخرى. «قال (توم) إن علينا العثور على حانة تُدعى (مُباركة الملكة)، سنذهب إلى هناك أولًا».

«كيف؟ لا يمكننا تحمل تكلفة وجبة واحدة بما معنا نحن الاثنان من نقود».

«إنها على الأقل نقطة للبدء. كان (توم) يعتقد أننا سنجد مساعدة هناك».

«لا يمكنني... إنهم في كل مكان يا (راند)». خفض (مات) عينيه لينظر إلى أحجار الرصف، وبدا أنه ينكمش على نفسه محاولًا أن يبتعد عن الأشخاص الذين يحيطون بهما. «أينما نذهب فسيكونون وراءنا مباشرة، أو في انتظارنا. سيكونون في حانة (مباركة الملكة) أيضًا. لا يمكنني... أنا... لا شيء يمكنه أن يوقف (العواتم)».

أمسك (راند) بياقة (مات) بقبضة يبذل جهدًا كبيرًا ليمنعها من الارتعاش، إنه بحاجة إلى (مات). ربما لا يزال الآخرون على قيد الحياة . *فليكونوا كذلك بحق (النور)!* . ولكن هنا والآن لا يوجد سواه هو و(مات). إن فكرة المضي قُدُمًا وحده... ازدرد لعابه بقوة وهو يشعر بمرارة في حلقه.

تلفت حوله بسرعة، لم يبدُ أن أحدًا قد سمع (مات) يذكر (العواتم)، فكان الحشد يمر من جوارهما وكل شخص منشغل بهمومه الخاصة. قرَّب وجهه من وجه (مات) وقال بهمس أجش: «لقد نجحنا في الوصول إلى هذا الحد، أليس كذلك؟ إنهم لم يُمسكوا بنا بعد، يمكننا أن ننجح في

الوصول إلى النهاية إن لم نستسلم. لن أقف مكتوف اليدين وأنتظرهم كخروف ينتظر الذبح، لن أفعل هذا! حسنًا؟ هل ستقف هنا حتى تموت جوعًا؟ أو حتى يأتوا ليحملوك في جوال؟».

تخلى عن (مات) واستدار مبتعدًا، كانت أظافر أصابعه منغرسة في كفيه، ولكن يديه لا تزالان ترتجفان. فجأة صار (مات) يمشي بجواره، لا يزال مطرق العينين، فزفر (راند) بحرارة.

تمتم (مات): «أعتذر يا (راند)».

قال (راند): «لا عليك».

بالكاد رفع (مات) عينيه بما يكفي لكي يتحاشى الاصطدام بالناس بينما الكلمات تتدفق منه في صوت خالٍ من الحياة: «لا أستطيع منع نفسي من التفكير في أنني قد لا أرى الديار مرة أخرى، أُريد أن أعود إلى الديار. فلتضحك إن شئت، فأنا لا أُبالي. كم أشتاق الآن إلى أن أكون بجانب أمي وهي توبخني على فعل شيء ما. إن الأمر كأحمال ثقيلة على قلبي، أحمال من حديد ساخن. الغرباء في كل مكان من حولي، ولا طريقة لمعرفة من يمكنني أن اثق به، هذا إن كان بإمكاني أن أثق بأي شخص. بحق (النور)، إن (النهرين) تبدو بعيدة للغاية، كأنما على الجانب الآخر من العالم. نحن وحيدان، ولن نعود إلى الديار أبدًا. سنموت يا (راند)».

أجابه (راند) بحزم: «لن نموت، ليس بعد. الجميع يموت، و(عجلة الزمن) تدور. ولكني لن أنكمش على نفسي وأنتظر حدوث هذا».

قال (مات) متذمرًا: «أنت تتحدث كالسيد (ألڤير)». ولكن صوته كان به بعض الحيوية.

قال (راند): «جيد، جيد». *بحق (النور)، أتمنى أن يكون الآخرون بخير، وألا نكون وحيدين.*

بدأ يسأل عن الاتجاهات إلى حانة (مباركة الملكة). تباينت الردود إلى حد كبير، وكان الأكثر شيوعًا هو من يسب هؤلاء الذين لا يبقون حيث ينتمون أو من يهز كتفيه وهو يحدق بخواء. البعض كان يمضي في طريقه بعد أن يُلقي نظرة عابرة، هذا إن لم يتجاهلهما تمامًا.

كان هناك رجل عريض الوجه وضخم بحجم (بيرين) تقريبًا، أمال رأسه وقال: «حانة (مباركة الملكة)، ها؟ هل أنتما أيها الفتيان الريفيان مخلصان للملكة؟». كان يحمل شارة بيضاء من شريط معقود على قبعته عريضة الحواف، وشارة أخرى بيضاء ملتفة على ذراعه فوق معطفه الطويل. «حسنًا، لقد جئتما بعد فوات الأوان».

ثم أكمل طريقه وهو يضحك بصوتٍ عالٍ، تاركًا (راند) و(مات) يحدقان إلى أحدهما الآخر في حيرة. هز (راند) كتفيه، كان هناك الكثير من الأشخاص غريبي الأطوار في (كايملين)، أشخاص لم يرَ مثلهم من قبل.

بعضهم كان يبدو مميزًا وسط الحشد، ببشرة داكنة للغاية أو شاحبة للغاية، معاطف ذات طراز غريب أو ألوان زاهية، قبعات ذات أطراف مدببة أو ريش طويل. كان هناك نساء بوجوه مغطاة بحجاب، ونساء طويلات في فساتين واسعة، ونساء في ملابس تعري من الجسد أكثر من ملابس أي نادلة حانة قد رآها. من وقت لآخر تمر عربة - جميعها من ألوان زاهية ومطلية بالذهب - لتشق طريقها عبر الشوارع المكتظة بالناس يجرها مجموعة من أربعة أحصنة أو ستة. كانت الكراسي التي يحملها الحمالون موجودة في كل مكان، دون أن يُبالي الحمالون بمن يدفعونه جانبًا أثناء مرورهم.

رأى (راند) شجارًا يندلع بهذه الطريقة، كومة من الرجال المتشاجرين يلوحون بقبضاتهم، بينما رجل شاحب البشرة يرتدي معطفًا مخططًا بالأحمر يخرج من الكرسي المحمول المستلقي على جانبه. كان هناك رجلان في ثياب خشنة يبدو عليهما أنهما كانا يمران من المكان فقط حتى هذه اللحظة. قفزا ناحيته قبل أن يخرج تمامًا من الكرسي. الناس الذين قد

توقفوا للمشاهدة صاروا في ثورة غاضبة وهم يتمتمون ويهزون قبضاتهم. جذب (راند) (مات) من كمه لكي يسرع في الابتعاد معه، ولم يكن (مات) بحاجة إلى دافع آخر. كان هدير الشغب يلاحقهم عبر الشارع.

عدة مرات يبدأ بعض الناس الحديث معهما بدلًا من العكس. إن ملابسهما المغبرة تميزهما بأنهما وافدان جديدان، ويبدو أن هذا يجذب بعض أنواع الناس كالمغناطيس، أشخاص ماكرون يعرضون آثار (لوجاين) للبيع بأعين زائغة وأقدام مستعدة للجري، بحسبة بسيطة أدرك (راند) أنه قد عُرض عليه من قصاصات عباءة (التنين الكاذب) ومن شظايا سيفه ما يكفي لصنع سيفين وست عباءات. أشرق وجه (مات) بالاهتمام، في المرة الأولى على الأقل. ولكن (راند) كان يجيبهم جميعًا برفض فظ مقتضب. وكانوا يتقبلون هذا بإيماءة من الرأس، و«فليبارك (النور) الملكة أيها السيد الطيب» بكلمات سريعة قبل أن يختفوا على الفور. معظم المتاجر لديها أطباق وأكواب مرسوم عليها مشاهد خيالية من المفترض أنها تُظهر (التنين الكاذب) يُعرض أمام الملكة في أغلال. وكان هناك أصحاب عباءات بيضاء في الشوارع، كل واحد منهم يمشي في مساحة فارغة تتحرك معه، تمامًا كما كان يحدث في (بايرلون).

كان تفكير (راند) منصبًّا على أن يبقى غير ملحوظ. كان يُبقي عباءته على سيفه، ولكن هذا لن يظل مُجديًا لوقتٍ طويل، عاجلًا أو آجلًا سيتساءل شخص ما عما يخفيه. ولكنه لن يأخذ بنصيحة (بونت) بأن يتوقف عن حمله، لا يمكنه هذا، إنه الشيء الوحيد الذي يربطه بـ(تام)، والده.

كان العديد من الناس في الحشد يحملون سيوفًا، ولكن أيًّا منها لم يكن به علامة البلشون لكي يجذب الأنظار. ولكن جميع رجال (كايملين) وبعض الغرباء يعقدون حول سيوفهم شرائط من القماش؛ حول الغمد والمقبض، شرائط حمراء مع حبال بيضاء، أو شرائط بيضاء مع حبال حمراء. يمكن أن يكون هناك مئة علامة بلشون مختبئة تحت هذه الأغلفة،

ولن يقدر أحد على رؤيتها. كما أن اتباع الموضة المحلية سيجعلهما يندمجان أكثر مع المكان.

كان هناك العديد من الطاولات موضوعة أمام المتاجر تعرض القماش والحبال، فتوقف (راند) عند إحداها. كان القماش الأحمر أرخص ثمنًا من الأبيض، رغم أنه لم يرَ فارقًا سوى اللون، لذا اشتراه، واشترى الحبل الأبيض لكي يتماشى معه رغم تذمر (مات) حيال القليل من المال الذي تبقى معهما. تفحصهما صاحب المتجر بشفتين مذمومتين والتواء في فمه بينما هو يأخذ عملات (راند) النحاسية، ثم سبهما عندما سأله (راند) عن مكان بالداخل لكي يغلف سيفه.

قال (راند) في صبر: «نحن لم نأتِ لرؤية (لوجاين)، لقد جئنا فقط لرؤية (كايملين)». ثم تذكر حديث (بونت) فأضاف: «أعظم مدينة في العالم». ظل تجهم صاحب المتجر كما هو، فقال (راند) في أمل: «فليبارك (النور) الملكة الصالحة (مورجيز)».

قال الرجل بحدة: «إن تسببتما في أي متاعب فهناك مئة رجل سيتولون أمركما بنداء مني حتى لو لم يفعل الحرس هذا». ثم صمت ليبصق بجانب قدم (راند) وقال: «والآن اغربا عن وجهي، واذهبا لإثارة المتاعب في مكان آخر».

أومأ (راند) برأسه كأن الرجل قد ودعه بمرح وجذب (مات) بعيدًا. واصل (مات) النظر وراءه ناحية المتجر وهو يتذمر بينه وبين نفسه حتى جذبه (راند) إلى زقاق فارغ. بينما هما يوليان ظهريهما إلى الشارع لا يمكن لأحد أن يرى ما يفعلانه. انتزع (راند) حزام سيفه وبدأ يغلف الغمد والمقبض.

قال (مات): «أُراهن أنه قد جعلك تدفع الضعفين مقابل هذا القماش اللعين، بل ثلاثة أضعاف».

لم يكن الأمر سهلًا كما يبدو، ربط أشرطة القماش والحبل بطريقة تجعل كل شيء لا يتهاوى.

«سيحاولون جميعًا الاحتيال علينا يا (راند)، إنهم يعتقدون أننا قد جئنا لرؤية (التنين الكاذب) مثل الجميع، سنكون محظوظين إن لم يضربنا أحد على رأسينا أثناء نومنا. هذا ليس المكان المناسب لأن نكون فيه، هناك الكثير من الناس. دعنا نتوجه إلى (تار ڤالون) الآن، أو جنوبًا إلى (إليان). لن أمانع رؤيتهم يجتمعون من أجل (صيد البوق). دعنا نرحل حتى لو لم نكن قادرين على العودة إلى الديار».

قال (راند): «أنا سأبقى هنا، إن لم يكونوا هنا بالفعل فسيأتون عاجلًا أو آجلًا للبحث عنا».

لم يكن واثقًا إن كان قد غلف السيف بالطريقة التي يغلف بها الجميع سيوفهم، ولكنه قد أخفى علامتي البلشون على الغمد والمقبض، وبدا له التغليف محكمًا. أثناء عودته إلى الشارع كان واثقًا من أنه قد تخلص من أحد أسباب قلقه حيال التسبب في متاعب. كان (مات) يسير بجواره على مضض، كأنه يُجَرُّ بلجام.

شيئًا فشيئًا حصل (راند) على الاتجاهات التي يريدها، في البداية كانت مبهمة، على غرار «في مكان ما عبر هذا الاتجاه» أو «من هذا الطريق»، ولكن كلما اقترب صارت التعليمات أوضح، حتى وقفا أخيرًا أمام مبنى صخري عريض مع لافتة فوق الباب تُصدر صريرًا في الرياح. رجل جاثٍ على ركبتيه أمام امرأة بشعر أحمر ذهبي عليه تاج، وإحدى يديها موضوعة على الرأس المنحني؛ حانة (مباركة الملكة).

سأله (مات): «هل أنت واثق من هذا؟!».

قال (راند): «بالطبع». ثم أخذ نفسًا عميقًا ودفع الباب ليفتحه.

كانت الحجرة العامة واسعة، ومكسوة بألواح خشبية داكنة، وتدفئها نيران مدفأتين. كان هناك نادلة تمسح الأرضية رُغم أنها نظيفة، وأخرى تُلَمِّع الشمعدانات في الزاوية. ابتسمت كل واحدة منهما إلى الوافدين الجديدين قبل أن تعود إلى عملها.

كان هناك عدد قليل من الطاولات التي يجلس عليها الناس، ولكن عشرة رجال كانوا حشدًا بالنسبة لوقت مبكر كهذا في الصباح. ولم يبدُ أحد منهم مسرورًا لرؤيته هو و(مات)، على الأقل بدوا نظيفين وغير ثملين. هبت رائحة اللحم المشوي والخبز من المطبخ مما جعل لعاب (راند) يسيل.

كان مسرورًا لرؤية أن صاحب الحانة بدين، رجل متورد الوجه في مئزر أبيض نظيف بشعر أشيب ممشط إلى الوراء فوق بقعة صلعاء لا يغطيها تمامًا. تأمل كل واحد منهما بعينيه الحادتين من رأسه حتى أخمص قدميه؛ ملابس مغبرة، وحزم، وأحذية بالية. ولكنه كان يبتسم ابتسامة سارة جاهزة بالفعل. كان اسمه (باسيل جيل).

قال (راند): «صديق لنا قد نصحنا بأن نأتي إلى هنا يا سيد (جيل)؛ (توم ميريلين)، إنه...». اختفت ابتسامة صاحب الحانة على الفور، ونظر (راند) إلى (مات) ولكنه كان منشغلًا باستنشاق الروائح الطيبة القادمة من المطبخ على أن يُلاحظ شيئًا آخر. «هل هناك خطب ما؟ هل تعرفه؟».

قال (جيل) باقتضاب: «أجل أعرفه». بدا في هذه اللحظة أنه مهتم بحقيبة مزمار (راند) الموضوعة على جانبه في تلك اللحظة أكثر من أي شيء آخر. قال وهو يومئ برأسه إلى الوراء: «تعاليا معي». دفع (راند) (مات) لكي يتحرك وهما يلحقان به متسائلًا ما الذي يجري.

في المطبخ توقف السيد (جيل) لكي يتحدث مع الطاهية؛ امرأة مستديرة الجسد تعقد شعرها في كعكة على مؤخرة رأسها، وتكاد أن تُضاهي صاحب الحانة وزنًا. لم تتوقف عن تقليب الآنية بينما السيد

(جيل) يتحدث. كانت الروائح طيبة للغاية . إن جوع يومين يمكنه أن يجعل أي شيء يبدو شهيًّا ولكن الروائح كانت طيبة كروائح مطبخ السيدة (ألڤير) . حتى أن معدة (راند) راحت تقرقر. مال (مات) بجسده ناحية الآنية مقربًا أنفه فوكزه (راند)، وعلى الفور مسح (مات) ذقنه حيث بدأ اللعاب يسيل.

ثم أسرع صاحب الحانة بهما للخروج من الباب الخلفي. في باحة الإسطبل تلفت حوله ليحرص على أنه لا يوجد أحد بالجوار، ثم اقترب منهما وقال مخاطبًا (راند): «ما الذي يوجد في هذه الحقيبة يا فتى؟».

قال (راند) ببطء: «مزمار (توم)». ثم فتح الحقيبة كأن إظهار المزمار المرصع بالذهب والفضة من شأنه أن يساعد على تعزيز موقفه. تسللت يد (مات) تحت معطفه.

لم تبتعد عينا السيد (جيل) عن (راند) وهو يقول: «أجل، لقد تعرفت عليه، لقد رأيته يعزف عليه كثيرًا بما يكفي، وليس هناك على الأرجح اثنان من هذا المزمار إلا ربما في بلاط ملكي». كانت الابتسامة السارة قد تلاشت وعيناه الحادتان صارتا فجأة بحدة سكين. «كيف حصلت عليه؟ إن (توم) سيتخلى عن ذراعه قبل أن يتخلى عن هذا المزمار».

«لقد أعطاه لي». انتزع (راند) عباءة (توم) المحزومة من على ظهره ووضعها على الأرض وحلها بما يكفي لرؤية الرقع الملونة وكذلك طرف حقيبة القيثارة. «لقد مات (توم) يا سيد (جيل)، إن كان صديقك فتقبل عزائي، لقد كان صديقي أيضًا».

«تقول إنه قد مات، كيف؟».

«لقد حاول... رجل أن يقتلنا، فدفع (توم) إليَّ بهذا وطلب مني أن أهرب». خفقت الرقع في الريح كالفراشات فأحس (راند) بالاختناق في حلقه وطوى العباءة بحرص مرة أخرى. «كنا سنقتل لولاه، كنا في طريقنا إلى (كايملين) معًا، لقد قال لنا أن نأتي إلى هنا، إلى حانتك».

قال صاحب الحانة ببطء: «سأصدق أنه ميت عندما أرى جثته». ثم وكز حزمة العباءة بإصبع قدمه قبل أن يتنحنح ويقول: «لا، لا، أنا أصدق أنكما قد رأيتما أيًّا كان ما رأيتماه، أنا فقط لا أصدق أنه قد مات، إن العجوز (توم ميريلين) رجل من الصعب قتله أكثر مما تظنان».

وضع (راند) يده على كتف (مات) وقال: «لا بأس يا (مات)، إنه صديق».

نظر السيد (جيل) إلى (مات) ثم تنهد وقال: «أفترض أنني كذلك».

نصب (مات) قامته ببطء، وهو يطوي ذراعيه على صدره، ولكنه ظل يراقب صاحب الحانة بحذر وإحدى عضلات وجنتيه ترتجف.

قال صاحب الحانة: «تقول إنكم كنتم قادمين إلى (كايملين) معًا؟». ثم هز رأسه وقال: «هذا آخر مكان على وجه الأرض أتوقع أن يأتي إليه (توم)، ربما باستثناء (تار ڤالون)». انتظر مرور أحد عمال الإسطبل وهو يجر حصانًا قبل أن يخفض صوته وهو يقول: «أفترض أنكما متورطان في مشكلة مع (الآيز سيداي)».

قال (مات) متذمرًا: «أجل». في الوقت ذاته الذي قال فيه (راند): «ما الذي يجعلك تعتقد هذا؟».

ضحك السيد (جيل) ضحكة مقتضبة وقال: «الأمر وما فيه هو أنني أعرف هذا الرجل جيدًا، إنه سيسرع للتدخل في مثل هذا النوع من المتاعب، وخصوصًا لمساعدة اثنين من الفتيان في مثل عمركما...». لمعت عيناه ببريق من التذكر قبل أن ينصب قامته وقد بدا عليه التردد. «أنا... لا أوجه أي اتهامات، ولكن... آه... لا أعتقد أن أيًّا منكما يستطيع... آه... ما أحاول أن أقوله هو... آه... ما هي بالضبط طبيعة مشكلتكما مع (تار ڤالون)، إن كنتما لا تمانعان سؤالي؟».

انتصب الشعر في مؤخرة عنق (راند) وقد أدرك ما يلمح إليه هذا الرجل؛ (القوة الواحدة). «لا، لا، لا شيء من هذا القبيل، أقسم لك، بل إنه كان هناك (آيز سيداي) تساعدنا. (مويرين) كانت...». عض لسانه ولكن التعبير المرتسم على وجه صاحب الحانة لم يتغير.

«يسرني سماع هذا. هذا لا يعني أنني أكن قدرًا من الحب (للآيز سيداي). ولكنهن أفضل من... ذلك الشيء الآخر». هز رأسه ببطء وقال: «الكثير من الحديث عن هذا النوع من الأشياء مع جلب (لوجاين) إلى هنا... لا أقصد الإهانة، أنتما تفهمان، ولكن... حسنًا، كان يجب عليَّ أن أعرف، أليس كذلك؟».

قال (راند): «لم نشعر بأي إهانة». كان من الممكن أن تعني غمغمة (مات) أي شيء، ولكن بدا أن صاحب الحانة قد عدها نفس ما قاله (راند).

«أنتما الاثنان تبدوان من الأناس الصالحين، وأنا أصدق بالفعل أنكما كنتما ـ ما زلتما ـ صديقي (توم)، ولكنها أوقات عصيبة وأيام ثقال. لا أفترض أن بإمكانكما أن تدفعا ثمن أي شيء؟ لا، لا أعتقد هذا. لا يوجد ما يكفي من أي شيء، وما يوجد ثمنه باهظ، لذا سأمنحكما فراشين ـ ليسا الأفضل ولكنهما نظيفين ودافئين ـ وشيئًا لتأكلاه، ولا يمكنني أن أعدكما بالمزيد مهما أردت هذا».

قال (راند) وهو ينظر بتساؤل إلى (مات): «شكرًا لك، هذا أكثر مما توقعته». *من يقصد بالأناس الصالحين؟ ولِمَ يُفترض به أن يعدهما بالمزيد؟*

«حسنًا، إن (توم) صديق عزيز، صديق قديم، إنه متهور ومن الممكن أن يقول أسوأ شيء ممكن للشخص الذي يجب عليه ألا يقول له هذا، ولكنه صديق عزيز رغم كل شيء. إن لم يظهر... حسنًا سنفكر في شيء حينها. من الأفضل لكما ألا تقولا أي شيء بعد الآن عن مساعدة (الآيز سيداي) لكما. أنا رجل صالح مخلص للملكة، ولكن هناك العديد

من الأشخاص في (كايملين) في الوقت الحالي ممن قد يأخذون الأمر على المحمل الخاطئ، وأنا لا أعني أصحاب العباءات البيضاء فقط».

قال (مات) بسخرية: «لا يهمني إن أخذت الغربان كل واحدة من (الآيز سيداي) مباشرة إلى (شايول غول)».

قال السيد (جيل) بحدة: «احفظ لسانك، قلت إنني لا أحبهن، ولكني لم أقل إنني أحمق يعتقد أنهن وراء كل شيء خاطئ. الملكة تدعم (إيليدا)، والحرس يقفون وراء الملكة. فلنأمل من (النور) ألا تسوء الأمور كثيرًا فيتغير هذا. على أي حال مؤخرًا نسي بعض الحرس أنفسهم بما يكفي ليكونوا قساة بعض الشيء مع الأشخاص الذين يسمعونهم يتكلمون بسوء عن (الآيز سيداي)، ليس أثناء تأدية الواجب، حمدًا (للنور)، ولكنه يحدث رغم هذا. أنا لا أريد أن يقتحم بعض الحرس حجرتي العامة، خارج أوقات تأدية الخدمة، لتلقينكما درسًا. ولا أريد أن يحث أصحاب العباءات البيضاء شخصًا ما على رسم (ناب التنين) على بابي. لذا إن كنتما تريدان أي مساعدة مني فلتحتفظا بأفكاركما عن (الآيز سيداي) لنفسيكما، خيرًا أو شرًّا». صمت ليفكر قبل أن يضيف: «ربما من الأفضل ألا تذكرا اسم (توم) أيضًا، بينما يمكن لأحد أن يسمعكما. بعض الحرس لديهم ذكريات طويلة، وكذلك الملكة. لا حاجة للمجازفة».

قال (راند) في عدم تصديق: «(توم) كان لديه مشكلة مع الملكة؟».

ضحك صاحب الحانة وقال: «إذن فهو لم يخبركما بكل شيء. لا أعرف لمَ يجب أن يخبركما، ولكن من ناحية أخرى لا أعرف لمَ لا يجب أن تعرفا أيضًا. ليس الأمر وكأنه سر بالضبط. هل تعتقدان أن كل صانع بهجة يعتد بنفسه كثيرًا مثل (توم)؟ حسنًا، بالتفكير في الأمر أعتقد أن جميعهم يفعلون هذا، ولكن دومًا ما بدا لي أن (توم) لديه شيء إضافي يجعله يعتد كثيرًا بنفسه. إنه لم يكن دومًا صانع بهجة يتجول من قرية إلى قرية وينام تحت سياج في كثير من الأحيان، لقد كان هناك وقت كان فيه

(توم ميريلين) شاعر البلاط هنا في (كايملين)، وكان معروفًا في كل بلاط ملكي من (تير) إلى (مارادون)».

قال (مات): «(توم)؟».

أومأ (راند) برأسه ببطء، كان بإمكانه أن يتخيل (توم) في بلاط الملكة، بأسلوبه الرسمي وحركاته المتباهية.

قال السيد (جيل): «لقد كان هكذا، ولكن بعد وقت قصير من موت (تارينجيل دامودريد) ظهرت... المشكلة المتعلقة بابن أخيه. لقد قال البعض إن (توم) كان ـ كيف نقول هذا ـ قريبًا من الملكة أكثر مما هو لائق. ولكن (مورجيز) كانت أرملة شابة، وكان (توم) في عنفوان شبابه حينها، ومن وجهة نظري فإن الملكة يمكنها أن تفعل ما تشاء. كانت المشكلة الوحيدة هي أنها متقلبة المزاج، ولا تزال ملكتنا الصالحة (مورجيز) كذلك، وهو قد رحل دون كلمة عندما عرف أي نوع من المشكلات قد تورط فيه ابن أخيه. الملكة لم يعجبها هذا كثيرًا، ولم يعجبها تدخله في الأمور المتعلقة بـ(الآيز سيداي) أيضًا. لا يمكنني القول إنني أعتقد أن الأمر كان صحيحًا أيضًا، سواء كان ابن أخيه أم لا. على أي حال عندما عاد قال بعض الكلمات، كلمات لا يصح أن تقولها لملكة، كلمات لا يصح أن تقولها لأي امرأة لها طباع (مورجيز). كانت (إيليدا) ضده لأنه حاول أن يتدخل في الأمر مع ابن أخيه، وبين عصبية الملكة وعداوة (إيليدا) غادر (توم) (كايملين) وهو يسبق رحلة إلى السجن بنصف خطوة، إن لم يكن فأس الجلاد. إن الأمر الملكي لا يزال قائمًا حسبما أعرف».

قال (راند): «إن كان الأمر منذ زمن بعيد فربما لا أحد يتذكره».

هز السيد (جيل) رأسه وقال: «(جاريث براين)، هو القائد العام لـ(حرس الملكة)، وهو بنفسه قد ترأس الحرس الذين أرسلتهم (مورجيز) لإعادة (توم) مقيدًا بالأغلال، وأشك أنه قد نسي عودته خالي الوفاض ليجد (توم) قد عاد بالفعل إلى القصر قبل أن يُغادر مرة أخرى. والملكة لا

تنسى أي شيء مُطلقًا. هل عرفت من قبل امرأة تنسى أي شيء؟ كانت (مورجيز) في حالة غضب عارمة، وأقسم أن سكان المدينة كلهم كانوا يمشون بخفة ويهمسون طيلة شهر. العديد من الحرس الآخرين قُدامى بما يكفي لتذكر الأمر أيضًا. لا، من الأفضل أن تُبقيا (توم) سرًّا دفينًا قدر ما تُبقيان صديقتكما (الآيز سيداي) هذه سرًّا. تعاليا، سأحضر لكما شيئًا لتأكلاه، يبدو أنكما تتضوران جوعًا».

الفصل السادس والثلاثون

شبكة النمط

أخذهما السيد (جيل) إلى طاولة في ركن الحجرة العامة وأمر إحدى النادلات بأن تحضر لهما الطعام. هز (راند) رأسه عندما رأى الطبقين، بهما شرائح رفيعة من اللحم المغطى بالمرق، وملء ملعقة من الخردل، وحبتان من البطاطا في كل طبق. كان يهز رأسه في استسلام وأسى وليس في غضب. ليس هناك ما يكفي من أي شيء كما قال صاحب الحانة. أمسك (راند) بسكينه وشوكته وهو يتساءل عما سيحدث حينما لا يتبقى أي شيء، هذه الفكرة جعلت طبقه نصف الممتلئ يبدو وكأنه وليمة، كما جعلته يرتجف.

كان السيد (جيل) قد اختار طاولة بعيدة عن أي شخص آخر وقد جلس موليًا ظهره إلى الركن، حيث يمكنه أن يُراقب الحجرة. لا يمكن أن يقترب أحد بما يكفي لأن يسترق السمع إلى ما يقولونه دون أن يراه. عندما غادرت النادلة قال بصوت خفيض: «والآن لمَ لا تخبراني بشأن مشكلتكما هذه؟ إن كنت سأساعدكما فمن الأفضل أن أعرف ما سأقحم نفسي فيه».

نظر (راند) إلى (مات)، ولكنه كان ينظر إلى طبقه عاقدًا حاجبيه كأنه غاضب من حبة البطاطا التي يقطعها. أخذ (راند) نفسًا عميقًا وقال: «أنا نفسي لا أفهمها حقًّا».

راح يروي الحكاية بشكل مبسط، ولم يذكر (الترولوكيين) أو (العواتم). عندما يعرض عليك أحدهم المساعدة فلن يكون من المفيد أن تُخبره أن الأمر متعلق بخرافات، ولكنه لم يعتقد أنه من العدل التقليل من خطورة الأمر، ليس من العدل أيضًا أن تورط شخصًا في أمر ليس لديه فكرة عنه. هناك رجال يسعون وراءه هو و(مات)، وبعض أصدقائهما أيضًا. لقد ظهر هؤلاء الرجال بشكل غير متوقع، وكانوا خطيرين بشكل مميت، ولقد أُرسلوا لقتله هو وأصدقائه، أو ما هو أسوأ. قالت (مويرين) إن بعضهم من (أصدقاء الظلام)، و(توم) لم يثق في (مويرين) تمامًا ولكنه بقي معهم، وقال إن هذا بسبب ابن أخيه. لقد تفرقوا أثناء هجوم بينما هم يحاولون الوصول إلى (الجسر الأبيض)، ثم هناك في (الجسر الأبيض) أنقذهم (توم) من هجوم آخر، وقد كان هناك محاولات أخرى. كان يعرف أن هناك ثغرات في حكايته، ولكنها كانت أفضل ما يمكنه التفكير فيه في مهلة قصيرة دون أن يخبره بأكثر مما هو آمن.

قال مفسرًا: «لقد واصلنا المضي قُدُمًا حتى وصلنا إلى (كايملين)، كانت هذه هي الخطة من البداية؛ (كايملين)، ثم (تار ڤالون)». تململ في توتر على حافة كرسيه، فبعد إبقائه لكل شيء سرًّا لفترة طويلة انتابه شعور غريب وهو يخبر شخصًا ما بهذا، حتى لو كان السيد (جيل). «إن بقينا على المسار المرسوم فسيعثر علينا الآخرون عاجلًا أو آجلًا».

تمتم (مات) دون أن يرفع عينيه عن طبقه: «إن كانوا على قيد الحياة».

لم ينظر (راند) حتى إلى (مات). حثه شيء ما على أن يضيف: «إن مساعدتك لنا قد تجلب لك المتاعب».

لوح السيد (جيل) بيده الممتلئة وقال: «لا يمكنني القول بأنني أُريد المتاعب، ولكنها لن تكون المرة الأولى التي أراها فيها. لن يجعلني أي (صديق ظلام) لعين أُدير ظهري لأصدقاء (توم). أما عن صديقتك هذه من الشمال، إن جاءت إلى (كايملين) فسأسمع بهذا؛ هناك أشخاص في هذه الأنحاء يقون أعينهم على الوافدين والراحلين، والأخبار تنتشر».

تردد (راند) ثم سأله: «ماذا عن (إيليدا)؟».

تردد صاحب الحانة بدوره ثم هز رأسه أخيرًا وقال: «لا أعتقد هذا، ربما لو لم يكن لكما علاقة بـ(توم)، ستنتزع هذه المعلومة منكما، وأين سينتهي بكما المطاف بعدها؟ لا أحد يعرف، ربما في زنزانة، وربما ما هو أسوأ. يقولون إن لديها قدرة على الإحساس بالأشياء، ما حدث وما سيحدث، يقولون إنها قادرة على الوصول إلى ما يريد المرء إخفاءه. لا أعرف، ولكني لن أغامر بالأمر. لولا (توم) لكان بإمكانكما الذهاب إلى الحرس، سيعتنون بأي (صديق ظلام) بسرعة كافية، ولكن حتى إن تمكنتما من إبقاء (توم) سرًّا عن الحرس فسيصل الخبر إلى (إيليدا) بمجرد أن تذكرا (أصدقاء الظلام)، ثم ستعودان إلى نقطة البداية».

وافقه (راند) قائلًا: «لن نذهب إلى الحرس». فأومأ (مات) برأسه بحماس بينما هو يضع الشوكة في فمه ليسيل المرق على ذقنه.

«المشكلة هي أنكما عالقان في أهداب السياسة يا فتى، حتى لو لم يكن هذا بإرادتكما، والسياسة مستنقع ضبابي مليء بالأفاعي».

قال (راند): «ماذا عن...». ولكنه بتر جملته عندما تجهم صاحب الحانة فجأة والكرسي يُصدر صريرًا تحت ثقل جسده وهو يعتدل في جلسته.

كانت الطاهية تقف عند مدخل الباب المؤدي إلى المطبخ، وهي تمسح يديها في مئزرها، عندما رأت صاحب الحانة يومئ إليها أشارت إليه أن يأتي ثم اختفت عائدة إلى المطبخ.

تنهد السيد (جيل) وقال: «وكأنها زوجتي. إنها تجد الأشياء التي تحتاج إلى إصلاح قبل أن أعرف أن هناك خطبًا ما. إن لم تكن البالوعات مسدودة أو مواسير الصرف عالقة فهي الفئران. أنا أُبقي المكان نظيفًا، ولكن مع وجود عدد كبير من الناس في المدينة تكون الفئران في كل مكان. يكتظ الناس فتظهر الفئران، وقد أُصيبت (كايملين) بوباء من الفئران بدون مقدمات. لن تصدق ما يمكن أن يجلبه قط ماهر . صائد فئران محترف . في هذه الأيام. إن غرفتكما في العلية، سأخبر الفتيات أي غرفة هي، ويمكن لأي واحدة منهن أن تريكما إياها. ولا تقلقا بشأن (أصدقاء الظلام). لا يمكنني أن أمدح أصحاب العباءات البيضاء كثيرًا، ولكن بينهم وبين الحراس لن يجرؤ هذا النوع من الناس على إظهار وجوههم القذرة في (كايملين)». أصدر كرسيه صريرًا مرة أخرى وهو يدفعه للوراء بينما يعتدل واقفًا. «آمل أنها ليست البالوعات مرة أخرى».

أولى (راند) اهتمامه مرة أخرى إلى طبقه، ولكنه لاحظ أن (مات) قد توقف عن تناول الطعام فقال له: «كنت أظن أنك جائع». واصل (مات) تحديقه إلى طبقه وهو يدفع حبة بطاطا بشوكته في حركة دائرية. «يجب عليك أن تأكل يا (مات)، نحن بحاجة للحفاظ على قوتنا إن كنا نريد أن نصل إلى (تار ڤالون)».

ضحك (مات) ضحكة خفيضة مريرة وقال: «(تار ڤالون)! لقد كانت (كايملين) طيلة الوقت. ستكون (مويرين) بانتظارنا عندما نصل إلى (كايملين). سنجد (بيرين) و(إيجوين) في (كايملين). سيكون كل شيء على ما يرام فقط لو وصلنا إلى (كايملين). حسنًا ها نحن هنا، ولا شيء على ما يرام. لا (مويرين) ولا (بيرين) ولا أحد. والآن كل شيء سيكون على ما يرام فقط لو وصلنا إلى (تار ڤالون)».

قال (راند) بحدة أكثر مما أراد: «نحن على قيد الحياة». ثم أخذ نفسًا عميقًا وحاول أن يلطف من نبرة صوته. «نحن على قيد الحياة، وهذا شيء جيد، وأنا أعتزم أن نبقى على قيد الحياة، أعتزم أن نجد البقية، وأعتزم أن أعرف سبب أهميتنا الكبيرة. لن أستسلم».

«كل هؤلاء الناس يمكن لأي شخص منهم أن يكون من (أصدقاء الظلام). لقد وعدنا السيد (جيل) على الفور بأن يساعدنا، أي نوع من الرجال يتقبل ذكر (الآيز سيداي) و(أصدقاء الظلام) بهذه البساطة؟ هذا ليس طبيعيًّا، أي شخص صالح سيطردنا من المكان، أو... أو... أو شيء ما».

قال (مات) برفق: «فلتأكل». وانتظر حتى بدأ (مات) يمضغ قطعة من اللحم.

ترك يديه مستقرتين بجانب طبقه لدقيقة وهو يضغط بهما على الطاولة لمنع نفسه من الارتجاف. كان مرعوبًا، ليس بشأن السيد (جيل) بالطبع، فقد كان هناك ما يكفي للإحساس بالرعب عدا هذا. إن أسوار المدينة العالية هذه لن توقف (عاتمًا). ربما يجب أن يخبر صاحب الحانة بشأن هذا. ولكن حتى لو صدقه (جيل) فهل سيكون عازمًا على المساعدة إن اعتقد أن (عاتمًا) قد يظهر في حانة (مباركة الملكة)؟ والفئران، ربما تنتشر الفئران حيثما يكون هناك الكثير من الناس، ولكنه تذكر الحلم الذي لم يكن حُلمًا في (بايرلون)، والفئران التي انكسرت ظهورها. أحيانًا ما يستخدم (سيد الظلام) آكلي الجيفة كأعين له كما قال (لان)؛ الغربان والفئران...

تناول طعامه ولكنه عندما انتهى منه لم يستطع أن يتذكر مذاق قضمة واحدة.

النادلة التي كانت تلمع الشمعدانات عندما دلفا إلى الحانة اقتادتهما إلى غرفة العلية. كان هناك نافذة بارزة من الجدار الخارجي المائل مع سرير على كلا الجانبين، وبجانب الباب مشاجب لتعليق أمتعتهما. كانت الفتاة ذات

العينين السوداوين تُمسك بتنورتها وتضحك كلما نظرت إلى (راند). كانت جميلة ولكنه كان يعرف أنه إن قال لها أي شيء فسيجعل نفسه يبدو أحمق. جعلته يتمنى لو أن لديه طريقة (بيرين) في التعامل مع الفتيات، وأحس بالارتياح عندما غادرت.

كان يتوقع تعليقًا ما من (مات)، ولكن ما إن رحلت حتى ألقى (مات) بجسده على أحد السريرين، وهو لا يزال مرتديًا عباءته وحذائه، ثم أدار وجهه إلى الحائط.

علَّق (راند) أشياءه وهو ينظر إلى ظهر (مات)، خُيِّل إليه أن (مات) يضع يده تحت عباءته ممسكًا بالخنجر مرة أخرى.

وأخيرًا قال: «هل ستظل مستلقيًا هنا مختبئًا؟».

تمتم (مات): «أنا متعب».

«لا يزال لدينا أسئلة لنطرحها على السيد (جيل)، قد يكون قادرًا على إخبارنا بكيفية العثور على (إيجوين) و(بيرين). ربما هما في (كايملين) بالفعل، إن كانا قد تمكنا من الاحتفاظ بحصانيهما».

قال (مات) وهو لا يزال يواجه الحائط: «إنهما ميتان».

تردد (راند) ثم استسلم وأغلق الباب بهدوء من ورائه وهو يأمل أن (مات) سينام حقًّا.

ولكنه لم يعثر على السيد (جيل) في أي مكان بالأسفل، وأنبأته النظرة الحادة في عيني الطاهية أنها تبحث عنه أيضًا. جلس (راند) لبعض الوقت في الحجرة العامة، ولكنه وجد نفسه يتطلع إلى كل زبون يدلف إلى الحانة، يمكن لكل غريب أن يكون أي شخص - أو أي شيء - وخصوصًا عندما يرى للوهلة الأولى الشخص على هيئة شكل مظلم يرتدي عباءة بينما يدلف من الباب. إن (عاتمًا) في الحجرة العامة سيكون كثعلب في قن دجاج.

جاء أحد الحرس من الشارع ووقف بزيه الرسمي الأحمر بجانب الباب وهو يُلقي بنظرة باردة على هؤلاء الموجودين في الحجرة الذين يبدو عليهم بوضوح أنهم من خارج المدينة. خفض (راند) بصره لينظر إلى سطح الطاولة عندما وقعت عينا الحارس عليه، وعندما رفعه مرة أخرى كان الرجل قد اختفى.

كانت النادلة ذات العينين السوداوين تمر من جواره بذراعين مليئتين بالمناشف، فقالت كأنما تبوح له بسر: «إنهم يفعلون هذا في بعض الأحيان، فقط ليحرصوا على أن أحدًا لا يثير المتاعب، إنهم يعتنون برعايا الملكة الصالحين، لا شيء لتقلق حياله». ثم ضحكت.

هز (راند) رأسه، لا شيء ليقلق حياله، ليس الأمر وكأن الحرس سيأتون إليه ويسألونه إن كان يعرف (توم ميريلين). إنه يصير كثير الريبة مثل (مات). أزاح كرسيه إلى الوراء.

كان هناك نادلة أخرى تتفحص الزيت في المصابيح على الجدار.

سألها: «هل هناك حجرة أخرى يمكنني أن أجلس فيها؟». لم يرغب في أن يعود للأعلى ويغلق الباب على نفسه مع اكتئاب (مات) وانغلاقه على نفسه. «ربما حجرة طعام خاصة لا يستخدمها أحد في الوقت الحالي».

قالت وهي تشير إلى أحد الأبواب: «هنالك المكتبة، ستجدها على يمينك في نهاية هذا الرواق، ربما تجدها فارغة في هذه الساعة».

«شكرًا لكِ، إن رأيتِ السيد (جيل) فهل يمكنك أن تخبريه بأن (راند ألثور) بحاجة إلى الحديث معه إن كان لديه دقيقة؟».

قالت له: «سأخبره». ثم ابتسمت وقالت: «الطاهية تريد الحديث معه أيضًا».

قال لنفسه بينما يسير نحو الاتجاه الذي أشارت إليه إن صاحب الحانة على الأرجح مختبئ.

عندما خطا بداخل الحجرة التي أرشدته إليها توقف في موضعه وتلفت حوله. كانت الأرفف تحمل على الأقل ثلاثمئة كتاب أو أربعمئة، أكثر مما قد رآه في مكان واحد من قبل. كتب مغطاة بالقماش أو الجلد بكعوب مذهبة، ولم يكن هناك سوى عدد قليل منها بأغلفة خشبية. التهمت عيناه عناوين الكتب، ولاحظ من بينها بعض الكتب المفضلة له؛ (رحلات جين فارسترايدر)، و(مقالات وليام المانشيسي). واحتبست أنفاسه عند رؤية نسخة ذات غلاف جلدي من (رحلات بين قوم البحر)، لطالما أراد (تام) أن يقرأ هذا الكتاب.

تخيل (تام) وهو يقلب الكتاب بين يديه مبتسمًا ويتحسسه قبل أن يجلس أمام المدفأة مع غليونه ليقرأه، فشدد يده على مقبض السيف مع إحساس الخسارة والخواء الذي بدد كل بهجته بالكتب.

سمع أحدهم يتنحنح من ورائه فأدرك فجأة أنه لم يكن وحده، استدار على عقبيه وهو يستعد للاعتذار على فظاظته. كان معتادًا على أن يكون أطول من معظم الناس الذين يلتقي بهم، ولكن هذه المرة رفع بصره لأعلى وأعلى ثم فغر فاه عندما رأى الرأس الذي يصل إلى السقف بارتفاع عشرة أقدام. كان الأنف عريضًا بعرض الوجه، عريضًا للغاية حتى أنه كان خطمًا أكثر منه أنفًا. كان الحاجبان متدليين كذيلين ليحيطا بعينين شاحبتين وكبيرتين بحجم فناجيل الشاي. والأذنان مدببتان وتبرزان من شعر أسود أشعث. (*ترولوك*)*!* صرخ وهو يحاول أن يتراجع للوراء وأن يستل سيفه، ولكن قدميه تعثرتا فسقط أرضًا بقوة.

«أتمنى لو أنكم تتوقفون عن فعل هذا أيها البشر!». دمدم صوت عميق كالطبل، ثم ارتعشت الأذنان المدببتان بقوة وصار الصوت حزينًا. «قليل منكم يتذكرنا، ولكني أفترض أن هذا خطؤنا، لم يعد الكثير منا يتعاملون مع البشر منذ أن خيم (الظل) على (الطرق)، كان هذا منذ... ستة أجيال مضت، بعد (حرب المئة عام) مباشرة». هز رأسه الأشعث وتنهد

كثور قبل أن يقول: «وقت طويل، طويل للغاية، وعدد قليل للغاية لكي يرتحل ويرى، كأنما لا يوجد أحد».

جلس (راند) هناك لدقيقة فاغرًا فاه وهو يحدق إلى هذا الشيء غير المتوقع، الذي يرتدي حذاءً عريضًا يصل ارتفاعه إلى الركبة ومعطفًا أزرق بأزرار من عنقه حتى خصره، يتسع عند أعلى حذائه، كإزار فوق سروال فضفاض، يُمسك في إحدى يديه بكتاب يبدو صغيرًا للغاية بالمقارنة مع حجمه الضخم، وقد وضع بين صفحاته إصبعًا عريضًا بحجم ثلاثة أصابع.

بدأ حديثه قائلًا: «كنت أظنك...». ثم تدارك نفسه قائلًا: «ما أنت...؟». ولكنه أدرك أن هذا ليس سؤالًا أفضل، فاعتدل واقفًا على قدميه وهو يمد يده في حذر ويقول: «اسمي (راند ألثور)».

ابتلعت اليد الضخمة يده، مع انحناءة تبدو رسمية. (لويال ابن آرنت ابن هالان). اسمك كالموسيقى في أذني يا (راند ألثور)».

بدا هذا بالنسبة لـ(راند) كتحية رسمية فرد الانحناءة وهو يقول: «اسمك كالموسيقى في أذني يا (لويال ابن آرنت... آه... ابن هالان)».

كان كل شيء يبدو خياليًّا بعض الشيء بالنسبة له، لا يزال لا يعرف ماذا يكون (لويال). كانت قبضة أصابع (لويال) الضخمة لطيفة بشكل مفاجئ، ورغم هذا أحس بالارتياح لاستعادة يده دون أن تتحطم.

قال (لويال): «أنتم سريعو الانفعال أيها البشر، لقد سمعت كل الحكايات وقرأت الكتب بالطبع ولكني لم أُدرك هذا. في يومي الأول في (كايملين) لم أستطع أن أُصدق تلك الثورة العارمة، بكى الأطفال وصرخت النساء ولاحقني حشد غاضب من الناس على طول المدينة وعرضها وهم يلوحون بالهراوات والسكاكين والمشاعل ويصرخون «(ترولوك)!»، أخشى أنني كنت على وشك أن أشعر ببعض الانزعاج، ولا أحد يعرف ما كان يمكن أن يحدث لو لم تأتِ فرقة من (حرس الملكة)».

قال (راند) بضعف: «هذا من حسن الحظ».

«أجل، ولكن حتى الحرس بدوا خائفين كالبقية، لقد مضى أربعة أيام على وجودي في (كايملين)، ولم أكن قادرًا طيلة هذا الوقت على أن أضع أنفي خارج الحانة. بل حتى إن السيد الطيب (جيل) قد طلب مني ألا أستخدم الحجرة العامة». ارتعشت أذناه قبل أن يقول: «هذا لا يعني أنه لم يكن مضيافًا إلى حد كبير، ولكن كان هناك القليل من المتاعب في تلك الليلة الأولى. بدا أن كل البشر يرغبون في أن أرحل على الفور، كل هذا الصراخ والصياح والجميع يحاولون أن يدخلوا من الباب في نفس الوقت، وربما تأذى بعضهم».

كان (راند) يحدق بافتتان إلى الأذنين المرتعشتين.

«سأقول لك، لم أترك (الملاذ) من أجل هذا».

صاح (راند): «أنت (أوجير)! مهلًا! ستة أجيال؟ قلت (حرب المئة عام)! كم يبلغ عمرك؟». أدرك أنه سؤال وقح بمجرد أن نطق به، ولكن لم يبدُ على (لويال) أنه أحس بالإهانة، بل اتخذ موقفًا دفاعيًّا بدلًا من هذا.

قال (الأوجير) بحزم: «تسعون عامًا، في غضون عشر سنوات أخرى فقط سأكون قادرًا على مخاطبة (الجذع العظيم). أعتقد أنه كان يجب على الكبراء أن يسمحوا لي بالحديث بما أنهم كانوا يقررون إذا ما كان بإمكاني الرحيل أم لا. ولكنهم دومًا ما يقلقون بشأن ذهاب أي شخص من أي عمر إلى العالم الخارجي. أنتم أيها البشر متسرعون للغاية وفوضويون للغاية». رمش بعينيه وانحنى انحناءة قصيرة قبل أن يقول: «رجاءً اغفر لي. ما كان يجب أن أقول هذا، ولكنكم تتصارعون بالفعل طيلة الوقت، حتى عندما لا يكون هناك حاجة لهذا».

قال (راند): «لا عليك». كان لا يزال يحاول استيعاب عمر (لويال)، إنه أكبر من العجوز (سين بوي) ولكن رغم هذا ليس كبيرًا بما يكفي لكي... جلس على واحد من الكراسي ذات الظهر المرتفع. جلس (لويال) على

كرسي آخر مهيأ ليجلس عليه شخصان، ولكنه ملأه بجسده. أثناء جلوسه كان طويلًا كطول معظم الرجال وهم واقفون. «على الأقل سمحوا لك بالرحيل».

أطرق (لويال) بنظره وزر أنفه وهو يفركه بإصبعه الثخين قبل أن يقول: «حسنًا، بالنسبة لهذا فـ(الجذع العظيم) لم يجتمع لوقت طويل، ليس حتى لعام واحد، ولكن يمكنني القول - حسبما سمعت - إنه بحلول الوقت الذي يتوصلون فيه إلى قرار فسأكون كبيرًا بما يكفي للرحيل بدون إذنهم. أخشى أنهم سيقولون إنني وضعت مقبضًا طويلًا في فأسي، ولكني فقط... رحلت. دومًا ما يقول الكبراء إنني متهور للغاية، وأخشى أنني أثبتُّ أنهم محقون. أتساءل إن كانوا قد أدركوا رحيلي بعد؟ ولكن كان عليَّ الرحيل».

عض (راند) على شفته ليمنع نفسه من الضحك، إن كان (لويال) (أوجيرًا) متهورًا فإن بإمكانه أن يتخيل طبيعة معظم (الأوجير). لم يجتمعوا لوقت طويل، ليس حتى لعام واحد. كان السيد (ألڤير) ليهز رأسه في تعجب، إن اجتماع مجلس القرية الذي يستمر لنصف يوم يجعل الجميع يتذمرون، حتى (هارال لوهان). اجتاحته موجة من الحنين إلى الديار جعلت أنفاسه شاقة مع ذكريات (تام) و(إيجوين) وحانة (واينسبرينج)، وعيد (بِل تاين) في الساحة الخضراء، في أيام أكثر سعادة. نحى هذه الذكريات عن عقله.

تنحنح وقال: «إن كنت لا تمانع سؤالي، فلم أردت الذهاب إلى... إلى العالم الخارجي بهذا القدر؟ أنا نفسي أتمنى لو لم أغادر الديار».

«لكي أرى بالطبع». قالها (لويال) وكأنه الشيء الأكثر بداهة في العالم. «أنا أقرأ الكتب، وكل ما يخطه الرحالة، وقد بدأت تثير بداخلي الرغبة في أن أرى ولا أكتفي بالقراءة». لمعت عيناه الشاحبتان وانتصبت أذناه وهو يقول: «لقد درست كل قصاصة استطعت العثور عليها عن السفر، وعن (الطرق)، وعن العادات في الأراضي البشرية، والمدن التي بنيناها من

أجل البشر بعد (تحطم العالم)، وكلما قرأت عرفت أنه يجب عليَّ الذهاب إلى العالم الخارجي، الذهاب إلى هذه الأماكن التي كنا فيها، وأن أرى (البساتين) بنفسي».

رمش (راند) بعينيه وقال: «(البساتين)؟».

«أجل (البساتين)، الأشجار. بالطبع عدد قليل من (الأشجار العظيمة) شاهقة الارتفاع حتى تصل إلى السماء لا تزال تحتفظ بذكريات (الملاذ) حية». أنَّ كرسيه وهو يميل إلى الأمام مشيراً بيديه وإحداهما لا تزال تمسك بالكتاب. كانت عيناه أكثر لمعانًا من ذي قبل، وأذناه تكادان أن ترتعشا. «في الغالب يستخدمون أشجار الأرض والمكان، لا يمكنك أن تجعل الأرض تعارض نفسها، ليس لوقت طويل، الأرض ستتمرد، يجب عليك أن تشكل التصور بحسب الأرض، وليس الأرض بحسب التصور. في كل (بستان) زُرعت كل شجرة لكي تنمو وتزدهر في ذلك المكان، كل شجرة متوازنة مع الشجرة التالية، كل واحدة قد وُضِعت لتكمل الأخريات، من أجل النمو على أكمل وجه بالطبع. ولكن أيضًا حتى يُغني هذا التوازن في العين والقلب. آه، تتحدث الكتب عن (بساتين) تجعل الكبراء يبكون ويضحكون في الوقت ذاته، (بساتين) ستبقى خضراء إلى الأبد في الذاكرة».

سأله (راند): «ماذا عن المدن؟». فنظر إليه (لويال) في حيرة. «المدن، المدن التي بناها (الأوجير)، هنا على سبيل المثال، (كايملين)، لقد بنى (الأوجير) (كايملين)، أليس كذلك؟ هذا ما ترويه الحكايات».

قال (لويال): «العمل بالحجارة...». ثم هز كتفيه العملاقتين وقال: «هذا شيء تعلمناه في السنوات التي تلت (تحطم العالم) أثناء (المنفى)، عندما كنا لا نزال نحاول العثور على (الملاذ) مرة أخرى، أفترض أنه شيء لا بأس به، ولكنه ليس الشيء الحقيقي. مهما حاولت ـ وأنا قرأت أن (الأوجير) الذين بنوا هذه المدن قد حاولوا بصدق ـ فإنك لن تقدر على

جعل الصخر حيًّا، عدد قليل لا يزالون يعملون بالصخور، ولكن هذا فقط لأنكم أيها البشر تدمرون المباني كثيرًا بحروبكم. كان هناك حفنة من (الأوجير) في... آه... (كايرين)، هذا هو اسمها الآن... عندما مررت من هناك. لقد كانوا من (ملاذ) آخر لحسن الحظ، لذا لم يعرفوا بشأني، ولكنهم مع هذا أحسوا بالريبة لأنني في العالم الخارجي وحدي في مثل هذا السن الصغير. أفترض أنه لم يكن هناك سبب لبقائي هناك كثيرًا أيضًا. على أي حال العمل بالحجارة هو شيء قد حَمَلنا عليه نسيج (النمط)، (البساتين) نبعت عن القلب».

هز (راند) رأسه، لقد انقلبت نصف الحكايات التي تربى عليها رأسًا على عقب. «لم أكن أعرف أن (الأوجير) يؤمنون بـ (النمط) يا (لويال)».

«بالطبع نؤمن به. (عجلة الزمن) تنسج (نمط العصور)، والحيوات هي خيوط نسيجها، لا أحد يعرف كيف سيُنسج خيط حياته في (النمط)، أو كيف سيُنسج خيط مجموعة من الناس. لقد منحنا (تحطم العالم) و(المنفى) و(الحجر) و(الاشتياق)، وفي نهاية المطاف سيُعيد لنا (الملاذ) قبل أن نموت جميعًا. أحيانًا ما أفكر أنكم أيها البشر هكذا لأن خيوطكم قصيرة للغاية، لا شك أنها تُنسج بشكل محموم. أوه، لقد فعلتها مرة أخرى، يقول الحكماء إنكم أيها البشر لا تحبون أن يذكركم أحد بمدى قصر أعماركم، آمل أنني لم أجرح مشاعرك».

ضحك (راند) وهز رأسه قائلًا: «لا، على الإطلاق. أفترض أنه سيكون من الممتع أن أعيش طويلًا مثلكم، ولكني حقًّا لم أفكر في الأمر من قبل. أفترض أنه إن عاش المرء طويلًا كالعجوز (سين بوي) فإن هذا سيكون وقتًا طويلًا بما يكفي لأي شخص».

«هل هو رجل عجوز للغاية؟».

أومأ (راند) برأسه، لم يكن راغبًا في أن يشرح أن العجوز (سين بوي) ليس عجوزًا حقًّا بقدر (لويال).

قال (لويال): «حسنًا، ربما تكون أعماركم قصيرة ولكنكم تفعلون الكثير بها، دومًا ما تتحركون بشكل محموم وبعجالة شديدة، ولديكم العالم بأسره لتفعلوا فيه هذا. نحن (الأوجير) مرتبطون بـ(ملاذنا)».

«أنت في العالم الخارجي».

«لبعض الوقت يا (راند)، ولكني يجب أن أعود في نهاية المطاف. العالم لك، لك ولبني جنسك، و(الملاذ) لنا. هناك الكثير من الهرج والمرج في العالم الخارجي، والكثير قد تغير عما قرأت عنه».

«حسنًا، الأشياء تتغير مع السنوات، أو بعضها على الأقل».

«بعضها؟ نصف المدن التي قرأت عنها لم تعد موجودة من الأساس، ومعظم البقية معروفة بأسماء مختلفة، فلتأخذ (كايرين) على سبيل المثال، اسم المدينة الصحيح هو (ألكايراينالن)، (تل الفجر الذهبي)، إنهم حتى لا يتذكرونه، رغم شعار شروق الشمس على كل راياتهم. و(البستان) لا يزال هناك، أشك أنهم قد اعتنوا به منذ حروب (الترولوكيين)، إنه مجرد غابة أخرى الآن، حيث يقطعون الأشجار من أجل الحطب، لقد اختفت (الأشجار العظيمة) كلها، ولا أحد يتذكرها. وهنا؟ (كايملين) لا تزال (كايملين)، ولكنهم تركوا المدينة تتوسع فوق (البستان). نحن هنا حيث نجلس لسنا على بعد ربع ميل من مركزه، أو من حيث كان يجب أن يكون مركزه. لم يتبقَّ منه ولو شجرة واحدة. لقد ذهبت إلى (تير) و(إليان) أيضًا، أسماء مختلفة، ولا ذكريات. في (تير) لا يوجد سوى المراعي من أجل خيولهم، حيث كان يوجد (البستان). وفي (إليان) (البستان) هو متنزه الملك، حيث يصطاد غزلانه، ولا يُسمح لأحد بالدخول دون إذنه. لقد تغير كل شيء يا (راند)، وأخشى أنني سأجد الأمر كذلك في كل مكان أذهب إليه، لقد اختفت كل (البساتين)، اختفت كل الذكريات، وماتت كل الأحلام».

«لا يمكنك أن تستسلم يا (لويال)، لا يمكنك أن تستسلم أبدًا، إن استسلمت فسيكون الأمر كأنك مت». غاص (راند) في كرسيه قدر ما يستطيع، واحتقن وجهه بالدماء، توقع أن يضحك عليه (الأوجير)، ولكن (لويال) بدلًا من هذا أومأ برأسه بجدية.

«أجل، هذه هي طريقة بني جنسك، أليس كذلك؟». ثم تغير صوت (الأوجير) كأنه يقتبس مقولة ما. «حتى تتلاشى الظلة، حتى تتلاشى المياه، سيقفون في وجه (الظل) مكشرين عن أنيابهم، يصرخون في تحدٍّ مع آخر نفس لهم، ليبصقوا في عين (عامي الأبصار) في (اليوم الأخير)». أمال (لويال) رأسه الأشعث كأنما ينتظر شيئًا ما، ولكن (راند) لم يكن لديه أدنى فكرة عما ينتظره.

مرت دقيقة بينما (لويال) ينتظر، ثم أخرى، وقد بدأ يعقد حاجبيه الطويلين في حيرة، ولكنه واصل الانتظار وصار الصمت غير مريح بالنسبة لـ(راند).

وأخيرًا قال (راند) شيئًا فقط ليكسر الصمت: «هذه (الأشجار العظيمة)، هل هي مثل (أڤِنديسورا)؟».

اعتدل (لويال) في جلسته بحدة فأصدر كرسيه صريرًا عاليًا للغاية حتى اعتقد (راند) أنه سينهار من تحته. «أنت تعرف هذا خير من أي شخص، أنت من بين كل البشر».

«أنا؟ كيف لي أن أعرف؟».

«هل تمازحني؟ أحيانًا ما تجدون أغرب الأشياء مضحكة يا رجال (آيـيل)».

«ماذا؟ أنا لست من رجال (آيـيل)! أنا من (النهرين)، ولم أرَ رجلًا من (آيـيل) قط».

هز (لويال) رأسه وارتخت أذناه وهو يقول: «أترى؟ كل شيء قد تغير، ونصف ما أعرفه عديم الجدوى، آمل أنني لم أُسِئ إليك، أنا واثق أن (النهرين) مكان رائع أينما كان».

قال (راند): «أخبرني أحدهم أن المكان كان يُدعى ذات يوم (مانثيرن)، أنا لم أسمع به من قبل، ولكن ربما أنت...».

انتصبت أذنا (الأوجير) في سعادة وهو يقول: «آه! أجل، (مانثيرن)». ثم ارتخت أذناه مرة أخرى وهو يقول: «كان ثمة (بستان) جميل للغاية هناك. إن ألمك يغني في قلبي يا (راند ألثور). لم نتمكن من المجيء في الوقت المناسب».

انحنى (لويال) حيث هو جالس فبادله (راند) الانحناء. أحس أن (لويال) سيحزن إن لم يفعل هذا، أو على الأقل سيعتقد أنه فظ. تساءل إن كان (لويال) يعتقد أن لديه نفس الذكريات التي يمتلكها (الأوجير). بدا في عيني (لويال) وجانبيّ فمه كما لو أنه يُشارك (راند) ألم خسارته، كأن دمار (مانثيرن) ليس شيئًا قد حدث منذ ألفي عام أو ما يقرب من هذا، كأنه ليس شيئًا لم يعرف (راند) عنه إلا بسبب حكاية (مويرين).

بعد مرور بعض الوقت تنهد (لويال) وقال: «(عجلة الزمن) تدور، ولا أحد يعرف كيف تدور، ولكنك قد قطعت شوطًا كبيرًا بعيدًا عن ديارك بقدر ما قطعته أنا. إنها مسافة كبيرة للغاية في هذه الأيام. عندما كانت (الطرق) مفتوحة بحرية بالطبع، ولكن هذا صار في الماضي البعيد. قل لي؛ ما الذي جلبك إلى هذا المكان البعيد؟ هل هناك شيء ترغب في رؤيته أيضًا؟».

فتح (راند) فمه ليقول إنه قد أتى لرؤية (التنين الكاذب) ولكنه لم يقدر على النطق بها. ربما بسبب الطريقة التي يتصرف بها (لويال)، كأنه ليس أكبر عمرًا من (راند)، سواء كان عمره تسعين سنة أم لا. ربما بالنسبة لـ(أوجير) فإن تسعين سنة لا تجعله أكبر عمرًا منه. لقد مضى وقت طويل

منذ أن كان قادرًا على أن يتحدث حقًّا مع أي شخص عما يجري، دومًا ما يخشى أنهم قد يكونون من (أصدقاء الظلام) أو يعتقدون أنه كذلك. كان (مات) منغلقًا على نفسه يغذي مخاوفه بشكوكه الخاصة، فلم يكن من المجدي الحديث معه. وجد (راند) نفسه يُخبر (لويال) بشأن (ليلة الشتاء)، ليست حكاية مبهمة عن (أصدقاء الظلام)، ولكنها الحقيقة عن كسر (الترولوكيين) للباب، و(العاتم) على الطريق الحجري.

جزء منه أحس بالرعب لما يفعله، ولكن الأمر بدا تقريبًا وكأنه شخصان، أحدهما يحاول أن يُمسك لسانه، بينما الآخر لا يشعر إلا بالارتياح لقدرته أخيرًا على أن يحكي كل شيء. كانت النتيجة هي أنه تعثر وتلعثم، وهو يقفز بسرعة من نقطة إلى أخرى في حكايته. (شادار لوجوث) وفقدانه لأصدقائه في الليل، دون أن يعرف إن كانوا أحياء أم موتى. (العاتم) في (الجسر الأبيض)، وموت (توم) لكي يقدرا على الهرب. (العاتم) في (بايرلون). (أصدقاء الظلام) لاحقًا، (هوال جود)، والفتى الذي كان خائفًا منهما، والمرأة التي حاولت قتل (مات). نصف البشري خارج حانة (الإوزة والإكليل).

عندما بدأ يثرثر بشأن أحلامه حتى الجزء بداخله الذي أراد التحدث أحس بالشعيرات تنتصب على مؤخرة عنقه. عض على لسانه وأطبق أسنانه مغلقًا فمه. راح يتنفس بصعوبة من أنفه وهو يراقب (الأوجير) بحذر، آملًا أن يعتقد أنه يقصد الكوابيس. (النور) يعرف أن الأمر كله بدا ككابوس، أو ما يكفي لإصابة أي شخص بالكوابيس. ربما سيعتقد (لويال) فقط أنه على وشك أن يُصاب بالجنون، ربما...

قال (لويال): «(تافيرين)».

رمش (راند) بعينيه وقال: «ماذا؟».

قال (لويال): «(تافيرين)». ثم حك رأسه وراء أذنه المدببة بإصبعه الغليظ قبل أن يهز كتفيه قليلًا ويقول: «دومًا ما يقول الكبير (هامان)

إنني لا أُنصت مُطلقًا، ولكني أحيانًا ما أُنصت. أنت تعرف كيف يُنسج (النمط)، أليس كذلك؟».

قال (راند) ببطء: «لم أفكر حقًّا في الأمر، إنه يجري فحسب».

«اممم، أجل، حسنًا، ليس بالضبط. اسمعني، (عجلة الزمن) تنسج (نمط العصور)، والخيوط التي تستخدمها هي الحيوات، إن (النمط) ليس محددًا، ليس دومًا، إن حاول رجل تغيير مسار حياته، وكان بـ (النمط) مساحة تسمح بهذا، فإن العجلة تُكمل نسيجها وتستوعب الأمر. هناك دومًا مساحة للتغييرات الصغيرة، ولكن أحيانًا ببساطة لا يقبل (النمط) تغييرًا كبيرًا، مهما حاول المرء بقوة، هل تفهم؟».

أومأ (راند) برأسه وقال: «يمكنني أن أعيش في المزرعة، أو في (إيموندز فيلد)، وهذا سيكون تغييرًا صغيرًا، ولكن إن أردت أن أصير ملكًا...». ضحك فابتسم (لويال) ابتسامة عريضة كادت أن تقسم وجهه إلى نصفين، كانت أسنانه بيضاء وعريضة كالأزاميل.

«أجل، هذا هو الأمر، ولكن أحيانًا ما يختارك التغيير، أو تختارك (عجلة الزمن) من أجله. وأحيانًا ما تثني (العجلة) خيط حياة، أو عدة خيوط، بطريقة تُجبر كل الخيوط المحيطة على أن تدور من حوله، وهذه الخيوط بدورها تُجبر خيوطًا أخرى، وهذه تُجبر أخرى، وهكذا، وهكذا. إن الانثناء الأول لصنع الشبكة هذا هو (تاﭬيرين)، وليس هناك شيء يمكنك فعله لتغيير الأمر، ليس حتى يتغير (النمط) ذاته. الشبكة - (تاماراليلين) كما تُسمى - يُمكن أن تستمر لأسابيع أو لسنوات، يُمكن أن تستوعب بلدة أو حتى (النمط) كله. (أرتور هاوكوينج) كان (تاﭬيرين)، وكذلك كان (ليوز ثيرين قاتل أهله) كما أفترض». قهقه بصوتٍ عالٍ قبل أن يقول: «كان الكبير (هامان) ليفخر بي، إنه دومًا ما يطيل الحديث، والكتب المتعلقة بالترحال كانت أكثر إثارة للاهتمام، ولكني كنت أُصغي أحيانًا».

قال (راند): «هذا كله جميل للغاية، ولكني لا أرى ما علاقته بي، أنا راعي غنم ولست (أرتور هاوكوينج) آخر، وكذلك (مات) و(بيرين)، الأمر فقط... سخيف».

«لم أقل إنك كذلك، ولكني كدت أن أشعر بـ(النمط) يدور في دوامة بمجرد الإنصات إلى حكايتك، وأنا ليس لديَّ موهبة بهذا الصدد. أنت (تاڤيرين)، حسنًا، أنت وربما أصدقاؤك أيضًا». صمت (الأوجير) وهو يفرك أنفه العريض مفكرًا، وأخيرًا أومأ لنفسه كأنما قد حسم قرارًا. «أنا أرغب في أن أرتحل معك يا (راند)».

حدق (راند) إليه لدقيقة وهو يتساءل إن كان قد سمع الأمر بشكل صحيح، ثم صاح عندما استعاد قدرته على الحديث: «معي؟ ألم تسمع ما قلته بشأن...؟». فجأة نظر ناحية الباب، كان مغلقًا بإحكام وسميكًا بما يكفي، حتى إن أي شخص على الجانب الآخر لن يسمع سوى غمغمة، حتى إن وضع أذنه على الألواح الخشبية. ولكنه رغم هذا خفض من صوته وهو يقول: «بشأن من يلاحقونني؟ على أي حال ظننت أنك ترغب في الذهاب لرؤية أشجارك».

«هناك (بستان) جميل للغاية في (تار ڤالون)، وقد قيل لي إن (الآيز سيداي) يعتنين به جيدًا، بالإضافة إلى أنه ليست (البساتين) فقط هي ما أرغب في رؤيته. ربما أنت لست (أرتور هاوكوينج) آخر، ولكن لبعض الوقت على الأقل جزء من العالم سوف يشكل نفسه من حولك، بل ربما يُشكل نفسه من حولك الآن، حتى الكبير (هامان) سيرغب في رؤية هذا».

تردد (راند)، سيكون من الجيد أن يكون هناك شخص آخر بصحبته، إن الطريقة التي يتصرف بها (مات) تجعله يشعر أنه وحده حتى وهو معه، إن وجود (الأوجير) معه سيكون مريحًا، ربما كان صغيرًا بحسب أعمار (الأوجير)، ولكنه بدا ثابت الجنان كالصخرة تمامًا مثل (تام)، وقد ذهب

إلى كل هذه الأماكن، ويعرف بشأن أماكن أخرى. نظر إلى (الأوجير) جالسًا هناك والصبر مرتسمًا على وجهه العريض. جالسًا هناك، وطويلًا في جلسته، أطول من معظم الرجال وهم واقفون. كيف يمكنك أن تخبئ شخصًا طوله عشرة أقدام تقريبًا؟ تنهد وهز رأسه.

«لا أعتقد أنها فكرة جيدة يا (لويال)، حتى إن عثرت علينا (مويرين) هنا فسنكون في خطر على طول الطريق إلى (تار ڤالون). وإن لم تعثر علينا...». *إن لم تعثر علينا فهي إذن ميتة، وكذلك الآخرون جميعًا. أوه (إيجوين)*. تمالك نفسه، (إيجوين) لم تمت، و(مويرين) ستعثر عليهم.

نظر إليه (لويال) بتعاطف ولمس كتفه. «أنا واثق أن أصدقاءك بخير يا (راند)».

أومأ (راند) برأسه شاكرًا، وأحس أن حلقه مختنق فلم يقدر على الحديث.

تنهد (لويال) بدمدمة عميقة وقال: «على الأقل ستأتي للحديث معي في بعض الأحيان؟ وربما نلعب لعبة الأحجار؟ لم يكن هناك أي شخص أتحدث إليه منذ أيام، ربما باستثناء السيد الطيب (جيل)، وهو مشغول في معظم الأحيان. يبدو أن الطاهية تشغله بلا رحمة، ربما هي من يملك الحانة حقًّا؟».

«بالطبع سآتي». كان صوته مبحوحًا فتنحنح وحاول أن يبتسم قبل أن يقول: «وإن التقينا في (تار ڤالون) فيمكنك أن تُريني (البستان) هناك». *يجب أن يكونوا بخير، فليكونوا بخير بحق (النور)*.

الفصل السابع والثلاثون

المطاردة الطويلة

كانت (نايني‌ف) تُمسك بأجمة الخيول الثلاثة وهي تحدق عبر ظلام الليل كما لو أن بإمكانها أن تخترق الظلمة وتعثر على (الآيز سيداي) و(الحامي). كانت الأشجار اليابسة تحيط بها، وتبدو هيئتها المظلمة واضحة في ضوء القمر الشاحب. صنع الليل والأشجار ستارًا فعالًا لأي كان ما تفعله (مويرين) و(لان)، ولم يكلف أي منهما نفسه عناء إخبارها بما يفعلانه. كان (لان) قد قال لها بصوت خفيض: «أبقي الخيول هادئة»، ثم اختفيا وتركاها تقف كعامل إسطبل. نظرت إلى الخيول ثم زفرت في غضب.

تماهى (ماندارب) في ظلمة الليل كعباءة سيده. السبب الوحيد الذي جعل هذا الحصان المدَرَّب على القتال يسمح لها بأن تقترب إلى هذا الحد هو أن (لان) قد سلمها اللجام بنفسه. بدا هادئًا بما يكفي في تلك اللحظة، ولكنها تذكرت جيدًا أنه قد جذب شفتيه السوداوين ليكشف عن أسنانه عندما مدت يدها إلى السرج دون أن تنتظر موافقة (لان)، لقد جعل الصمت أسنانه المكشوفة تبدو أكثر خطورة. ألقت نظرة حذرة

أخيرة إلى الحصان، ثم التفتت لتحدق إلى الاتجاه الذي اختفى فيه الآخران وهي تمسد حصانها في شرود. جفلت عندما دفعت (آلديب) بخطمها الشاحب تحت يدها، لكن بعد دقيقة ربتت على الفرس البيضاء بدورها.

«أفترض أنه لا ينبغي عليَّ أن أحملك نتيجة غضبي من سيدتك عديمة الشعور...». حدجت النظر إلى الظلمة مرة أخرى. *ما الذي يفعلانه؟*

بعد مغادرتهم (الجسر الأبيض) مروا بقرى تحيا حياة طبيعية حتى أنها بدت غير حقيقية، قرى تقليدية ذات أسواق بدت لـ(ناينيف) غير مرتبطة بالعالم الموجود فيه (العواتم) و(الترولوكيون) و(الآيز سيداي). لقد ساروا على (طريق كايملين) حتى مالت (مويرين) إلى الأمام في سرج (آلديب) وهي تحدق جهة الشرق كما لو أن باستطاعتها أن ترى ما يقع على الطريق الطويل، كل هذه الأميال العديدة حتى (كايملين)، وأن ترى أيضًا ما ينتظرهم هناك.

في النهاية تنهدت (الآيز سيداي) طويلًا واعتدلت للوراء. تمتمت قائلة: «(عجلة الزمن) تنسج بمشيئتها، ولكني لا أستطيع أن أصدق أن تنسج نهاية للأمل. يجب عليَّ أن أعتني بما أنا متيقنة منه. سيكون الأمر كما تنسج (العجلة)». ثم استدارت بفرسها ناحية الشمال، متنحية عن الطريق ومتجهة نحو الغابة. كان أحد الفتيان في هذا الاتجاه، ويحمل العملة التي أعطته إياها (مويرين). لحق بها (لان).

ألقت (ناينيف) نظرة أخيرة طويلة على (طريق كايملين)، كان هناك عدد قليل من الناس يشاركونهم الطريق، عربات بعجلات عالية، وعربة فارغة في الأفق، والقليل من الناس يمشون على أقدامهم وهم يحملون متعلقاتهم على ظهورهم، أو يكدسونها على عربات تُدفع باليد. بعض هؤلاء لم يجدوا غضاضة في الاعتراف بأنهم في طريقهم إلى (كايملين) لرؤية (التنين الكاذب)، ولكن معظمهم أنكروا هذا بشدة، وخصوصًا هؤلاء الذين جاؤوا عبر (الجسر الأبيض). في (الجسر الأبيض) بدأت (ناينيف) تصدق

(مويرين) بشكل ما، تصدقها أكثر على أي حال، ولم يكن هناك أي راحة في ذلك.

كاد (الحامي) و(الآيز سيداي) أن يختفيا عن ناظريها بين الأشجار قبل أن تبدأ في السير وراءهما فأسرعت للحاق بهما. كان (لان) ينظر وراءه باستمرار ويلوح لها بيده أن تلحق بهما، ولكنه ظل بجانب (مويرين)، بينما عينا (الآيز سيداي) مصوبتان إلى الأمام.

ذات مساء بعد تركهم الطريق تلاشى الأثر الخفي. (مويرين) - (مويرين) ثابتة الجنان - اعتدلت واقفة فجأة بجانب النيران الصغيرة حيث كانت غلاية الشاي تغلي وعيناها متسعتان، همست عبر الليل: «لقد اختفى».

«هل هو...؟». لم تستطع (ناينيف) أن تُنهي السؤال. بحق *(النور)*، *لا أعرف حتى أي واحد منهم هو!*

قالت (الآيز سيداي) ببطء: «إنه لم يمت، ولكنه لم يعد يحمل العملة». جلست مرة أخرى، صوتها خالٍ من المشاعر، ويداها ثابتتان وهي ترفع الغلاية وتُلقي بحفنة من الشاي فيها. «في الصباح سنواصل التحرك في نفس الاتجاه كما كنا. عندما أقترب منه بما يكفي فسأتمكن من العثور عليه بدون العملة».

بينما النار تخبو وتتحول إلى جمر تدثر (لان) بعباءته وخلد إلى النوم. لم تستطع (ناينيف) النوم، فراحت تراقب (الآيز سيداي). كانت (مويرين) قد أغمضت عينيها ولكنها تجلس منتصبة الظهر، فأدركت (ناينيف) أنها مستيقظة.

بعد أن تلاشى آخر وهج من الجمرات بوقت طويل فتحت (مويرين) عينيها ونظرت إليها. كان باستطاعتها أن تشعر بابتسامة (الآيز سيداي) حتى في الظلمة. «لقد استعاد العملة أيتها الحكيمة، سيكون كل شيء على ما يرام». ثم استلقت على بطانياتها وهي تتنهد، وغرقت على الفور في نوم عميق.

واجهت (نايينيف) صعوبة في اللحاق بها رغم إرهاقها الشديد. كان عقلها يستحضر أسوأ الاحتمالات مهما حاولت منعه. سيكون *كل شيء على ما يرام*. بعد ما حدث في (الجسر الأبيض) لم تعد قادرة على جعل نفسها تصدق هذا بسهولة.

فجأة أفاقت (نايينيف) من ذكرياتها وعادت إلى ظلمة الليل، كان هناك بالفعل يد على ذراعها. كتمت صرخة قد تشكلت في حلقها وهي تحاول أن تُمسك بالسكين الموجودة في حزامها. أحاطت أصابعها بالمقبض قبل أن تُدرك أنها يد (لان).

كان (الحامي) قد أزاح غطاء رأسه إلى الوراء، ولكن عباءته التي تُشبه الحرباء قد تماهت جيدًا مع الليل، حتى أن وجهه المرئي بالكاد في الظلمة بدا معلقًا في الهواء، واليد التي تُمسك بها بدت كأنها تبرز من الفراغ.

أخذت نفسًا مرتجفًا وهي تتوقع أن يُعلق على كيفية اقترابه منها بسهولة دون أن تشعر به، ولكنه بدلًا من هذا التفت ليفتش في أكياس سرجه وهو يقول: «نحن بحاجة إليكِ». ثم جثا على ركبتيه ليربط عقال الخيول.

ما إن ربط الخيول بإحكام حتى اعتدل واقفًا وأمسك بيدها قبل أن ينطلق عبر الظلمة مرة أخرى. كان شعره الأسود متماهيًا مع الليل تمامًا كعباءته، وكان يُصدر ضوضاء أقل مما تصدره. اعترفت لنفسها على مضض أنها لم تكن لتقدر على تتبعه عبر الظلمة دون يده التي تُرشدها. لم تكن واثقة إن كان بمقدورها أن تخلص نفسها منه إن لم يرغب في إطلاق سراحها. كان لديه يدان قويتان للغاية على أي حال.

وعندما وصلا إلى مرتفع صغير بالكاد يمكن أن يُطلق عليه اسم تل، جثا على ركبة واحدة وهو يجذبها لتجثو بجواره. استغرق الأمر منها لحظة لتُدرك أن (مويرين) كانت هناك أيضًا. كانت (الآيز سيداي) ساكنة ويُمكن أن يظنها المرء ظلًّا في عباءتها السوداء. أشار (لان) إلى الأسفل من على جانب التل، إلى المساحة الواسعة الخالية من الأشجار.

عقدت (نايْنيڤ) حاجبيها وهي تحدق عبر ضوء القمر الخافت، ثم ابتسمت فجأة في فهم. هذه الأشكال الضبابية الشاحبة كانت عبارة عن خيام في صفوف منتظمة، مخيم مظلم.

همس (لان): «أصحاب العباءات البيضاء، مئتان منهم، وربما أكثر. هناك مياه عذبة بالأسفل، والفتى الذي نسعى وراءه».

«في المخيم؟». لم ترَ إيماءة (لان) ولكنها أحست بها.

«في منتصفه، يمكن لـ(مويرين) أن تشير إلى الفتى مباشرة. لقد اقتربت بما يكفي لكي أرى أنه تحت الحراسة».

قالت (نايْنيڤ): «سجين؟ لماذا؟».

«لا أعرف، لا يُفترض بـ(أبناء النور) أن يهتموا بفتى قروي، ما لم يكن هناك شيء يدعوهم للريبة. (النور) وحده يعرف أن الأمر لا يتطلب الكثير لجعل أصحاب العباءات البيضاء يشعرون بالريبة، ولكني ما زلت أشعر بالقلق».

«كيف ستحرره؟». لم تُدرك - حتى نظر إليها - قدر الثقة التي كانت بداخلها أن باستطاعته أن يقتحم مكانًا يحميه مئتا رجل ويعود بالفتى. حسنًا، إنه واحد من (الحماة)، لا شك أن بعض هذه الحكايات حقيقية.

تساءلت إن كان يسخر منها، ولكن صوته كان رصينًا وعمليًّا. «يمكنني أن أحرره، ولكنه على الأرجح لن يكون في حالة تسمح له بالتسلل، إن رأونا فسنجد مئتين من أصحاب العباءات البيضاء في أعقابنا، وأنا والفتى على حصان واحد، ما لم يكونوا مشغولين للغاية بما لا يسمح لهم بملاحقتنا. هل أنتِ مستعدة للمخاطرة؟».

«لمساعدة واحد من (إيموندز فيلد)؟ بالطبع! أي نوع من المخاطرة؟».

أشار إلى الظلمة مرة أخرى إلى ما وراء الخيام، هذه المرة لم تستطع أن ترى شيئًا سوى الظلال. «يوجد صفوف من الخيول هناك، إن قُطِعت

الأحبال التي تقيدها، ليس تمامًا ولكن بما يكفي لأن تتمزق عندما تصنع (مويرين) تشتيتًا، فإن أصحاب العباءات البيضاء سيكونون مشغولين بملاحقة خيولهم على أن يلاحقوننا. هناك اثنان من الحراس على ذلك الجانب من المخيم، وراء صفوف الخيل، ولكن إن كانت براعتك نصف ما أتوقعه فإنهما لن يرياكِ».

ازدردت لعابها بقوة، إن التربص بالأرانب يختلف عن الحراس الذين يحملون رماحًا وسيوفًا... *إذن فهو يعتقد أنني بارعة أليس كذلك؟* «سأفعلها».

أومأ (لان) برأسه مرة أخرى كأنه لم يتوقع أقل من هذا. «هناك أمر آخر، يوجد ذئاب في الأنحاء هذه الليلة، لقد رأيت ذئبين، وإن كنت قد رأيت هذا القدر فإنه يعني أن هناك المزيد على الأرجح». ثم صمت قبل أن يُكمل، ورغم أن صوته لم يتغير إلا أنها أحست أنه يشعر بالحيرة. «لقد كاد الأمر أن يبدو وكأنهما تعمدا أن أراهما. على أي حال لا يجب أن يقلقكِ هذه، فالذئاب عادة ما تتجنب البشر».

قالت بلطف مصطنع: «لم أكن لأعرف هذا، فأنا نشأت فقط بجانب رعاة الأغنام». تنهد فابتسمت في الظلمة.

قال لها: «فلنفعلها الآن إذن».

تلاشت ابتسامتها وهي تحدق إلى الأسفل ناحية المخيم المكتظ بالرجال المسلحين، مئتي رجل بالرماح والسيوف و... قبل أن تعيد النظر في الأمر استلت سكينها من غمده وبدأت في التسلل عبر الظلمة. أمسكت (مويرين) بذراعها بقبضة قوية كقبضة (لان) تقريبًا.

قالت (الآيز سيداي) بهدوء: «فلتعتني بنفسك. ما إن تقطعي الأحبال فلتعودي بأسرع ما تقدرين. أنتِ جزء من (النمط) أيضًا ولن أغامر بكِ أكثر من أي واحد من الآخرين، هذا إن لم يكن العالم بأسره في خطر هذه الأيام».

فركت (ناينيف) ذراعها خلسة عندما أرخت (مويرين) قبضتها عنه. لم ترغب في أن تجعل (الآيز سيداي) تعرف أن قبضتها قد آلمتها. ولكن (مويرين) أعادت بصرها لتراقب المخيم بالأسفل بمجرد أن تركتها. أدركت (ناينيف) في دهشة أن (الحامي) قد اختفى، لم تسمعه وهو يغادر. *أي رجل هذا بحق (النور)!* على الفور عقدت تنورتها لتمنح ساقيها الحرية، وأسرعت عبر ظلمة الليل.

مع هذه الاندفاعة الأولى تعالى صوت تكسر الأغصان المتساقطة تحت قدميها فأبطأت من حركتها، وكانت مسرورة لأنه لم يكن هناك أحد ليرى احمرار وجهها. كانت الفكرة هي ألا تصدر صوتًا، ولم تكن في أي نوع من المنافسة مع (الحامي)، أليس كذلك؟

نفضت الفكرة عن رأسها وركزت على شق طريقها عبر الغابة المظلمة. لم يكن الأمر صعبًا في حد ذاته، فقد كان ضوء القمر الأحدب أكثر من كافٍ لأي شخص قد تعلم على يد والدها، والأرض شبه منبسطة، ولكن الأشجار المظلمة العارية من الأوراق كانت تذكرها باستمرار بأن هذه ليست واحدة من ألعاب الطفولة، والرياح العاوية لم تكن مختلفة كثيرًا عن أبواق (الترولوكيين). الآن وقد صارت وحدها في الظلمة تذكرت أن الذئاب التي تهرب عادة من البشر كانت تتصرف بشكل مختلف في (النهرين) هذا الشتاء.

اجتاحها ارتياح دافئ عندما اشتمت أخيرًا رائحة الخيول. كادت أن تحبس أنفاسها وهي تنبطح على بطنها وتزحف عكس اتجاه الرياح ناحية الرائحة.

كادت أن تقترب من الحارسين قبل أن تراهما، برزا من الظلمة وهما يمشيان ناحيتها، وعباءتاهما البيضاوان تخفقان في الرياح وتكادان أن تبرقا في ضوء القمر، ربما كان عليهما أيضًا أن يحملا مشعلين، فلم يكن ضوء المشاعل ليجعلهما مرئيين أكثر مما هما عليه. تجمدت في موضعها وهي

تحاول أن تجعل نفسها جزءً من الأرض. أمامها تقريبًا وعلى بعد أقل من عشر خطوات توقفا وضربا الأرض بقدميهما وهما يواجهان أحدهما الآخر والرمحان على كتفيهما. من ورائهما مباشرة استطاعت أن ترى الظلال التي من المفترض أن تكون الخيول. كانت رائحة الإسطبل والخيول والروث نفاذة.

قال أحد الحارسين: «كل شيء على ما يرام في الليل، (النور) يشرق علينا ويحمينا من (الظل)».

فأجابه الآخر: «كل شيء على ما يرام في الليل، (النور) يشرق علينا ويحمينا من (الظل)».

انتظرت (ناينيف) وهي تحسب الوقت بينما يقطعان دائرتهما مرتين، في كل مرة يستغرقان نفس الوقت، ويكرران نفس الجملة بشكل صارم، لا كلمة أكثر ولا كلمة أقل. لم ينظر أي منهما إلى جانبه، كانا ينظران أمامهما مباشرة وهما يذهبان ويجيئان. تساءلت إن كانا سيلاحظانها حتى وإن كانت واقفة.

قبل أن يبتلع الليل عباءتيهما البيضاوين المرفرفتين للمرة الثالثة كانت قد اعتدلت واقفة على قدميها بالفعل ثم ركضت منحنية ناحية الخيول. عندما اقتربت منها أبطأت من حركتها لكيلا تجفل الحيوانات. ربما لم يرها أصحاب العباءات البيضاء وهي تتسلل من تحت أنوفهم، ولكنهم سيتحققون من الأمر بالتأكيد إن بدأت الخيول فجأة في الصهيل.

كانت الخيول المتراصة في صفوف مرئية بالكاد في الظلمة وهي تطرق برؤوسها، من آن لآخر يصدر أحدها غطيطًا أو يضرب الأرض بقدمه. في ضوء القمر الشاحب كادت أن ترتطم بالعمود الخشبي الذي رُبِط إليه الحبل الذي تُقيَّد إليه الخيول قبل أن تراه. مدت يدها ناحية الحبل ثم تجمدت عندما رفع أقرب الخيول إليها رأسه ونظر إليها. كان لجامه الوحيد مربوطًا في حلقة كبيرة حول الحبل السميك الذي ينتهي عند العمود

الخشبي. أصدر صهيلًا واحدًا جعل قلبها يخفق بقوة حتى كاد أن يقفز من صدرها، لقد بدا الصوت عاليًا بما يكفي لجذب انتباه الحراس.

لم تُبعد عينيها عن الحصان وهي تقطع الحبل الطويل، متحسسة بأصابعها حول النصل لتعرف القدر الذي قطعته. لوح الحصان برأسه فتجمدت أنفاسها. *صهيل واحد فقط.*

لم يتبقَّ سوى خيوط قليلة رفيعة متماسكة من الحبل تحت أصابعها. ببطء انتقلت إلى الحبل التالي وهي تراقب الحصان حتى لم تعد قادرة على رؤية إذا ما كان ينظر إليها أم لا، ثم أخذت نفسًا متقطعًا، إن كانت الخيول كلها هكذا فلا تعتقد أنها ستقدر على المواصلة.

ولكن مع الحبل التالي، والذي يليه، والذي يليه، ظلت الخيول نائمة، حتى عندما جرحت إبهامها وعضت على شفتيها لتكتم صرخة. امتصت الجرح وهي تنظر وراءها بحذر نحو الطريق الذي جاءت منه. بسبب كونها عكس اتجاه الرياح لم تعد قادرة على سماع الحارسين وهما يتبادلان جملتهما، ولكن ربما قد سمعاها إن كانا في الموضع المناسب. إن كانا قادمين لمعرفة سبب هذا الضجيج فإن الرياح ستجعلها لا تسمعهما حتى يقتربا كثيرًا منها. حان وقت الذهاب. مع هرب أربعة خيول من كل خمسة من قيودها فلن يطاردوا أي شخص.

ولكنها لم تتحرك من موضعها. كان بإمكانها أن تتخيل عيني (لان) عندما تُخبره بما فعلته، لن يكون بهما أي نظرة اتهام، إن منطقها سليم، ولن يتوقع منها أكثر من هذا. إنها حكيمة وليست (حاميًا) عظيمًا لا يُقهر حتى تجعل نفسها خفية. حسمت أمرها وانتقلت إلى الحبل الأخير، كانت أول فرس فيه هي (بيلا).

لم يكن هناك شك في هذه الهيئة القصيرة الشعثاء، فلا يوجد أي فرس أخرى تشبهها، إن كونها هنا والآن لهو أكبر من مجرد مصادفة. أحست فجأة بالسرور الشديد لأنها لم تترك هذا الحبل الأخير، حتى أنها كانت

ترتجف، كان ذراعاها وساقاها يرتعشون كثيرًا حتى أنها خشيت أن تلمس الحبل، لكن عقلها كان صافيًا كمياه (واينسبرينج). أيًّا من كان من الفتيان في المخيم فإن (إيجوين) معه أيضًا، وإن تركوا المخيم وهم يمتطون الخيول كل اثنين على حصان فإن بعض (أبناء النور) سيلحقون بهم مهما تفرقت الخيول، وبعضهم سيموت. كانت متيقنة من هذا كأنما تصغي إلى الرياح. أحست بخوف شديد في أعماقها، خوف من مدى تيقنها من الأمر. لم يكن لهذا علاقة بالطقس أو المحاصيل أو المرض. *لماذا أخبرتني (مويرين) أن باستطاعتي أن أستخدم (القوة الواحدة)؟ لِمَ لَمْ يكن بوسعها أن تتركني وشأني؟*

الغريب أن الخوف قد جعلها تتوقف عن الارتجاف، بيدين ثابتتين كأنما تطحن الأعشاب في بيتها قطعت الحبل كما قطعت الحبال الأخرى. أعادت الخنجر إلى غمده ثم فكَّت لجام (بيلا). استيقظت الفرس الشعثاء جافلة وهي تلوح برأسها، ولكن (ناينيف) مسدت أنفها وهي تهمس بكلمات مطمئنة في أذنها. أصدرت (بيلا) نخيرًا خفيضًا وبدت راضية.

كانت الخيول الأخرى على طول هذا الحبل مستيقظة أيضًا وتنظر إليها. تذكرت (ماندارب) وهي تمد يدها بحذر إلى اللجام التالي، ولكن هذا الحصان لم يُبدِ اعتراضًا على يد غريبة، لقد بدا بالفعل أنه راغب في أن تمسد خطمه كما فعلت مع (بيلا). أمسكت بلجام (بيلا) بقوة وربطت اللجام الآخر حول معصمها، بينما هي تراقب المخيم بتوتر طيلة الوقت. كانت الخيام البيضاء على بُعد ثلاثين ذراعًا فقط، وكان باستطاعتها أن ترى رجالًا يتحركون فيما بينها. إن لاحظوا أن الخيول تتململ وجاؤوا لمعرفة السبب...

في يأس راحت تتمنى أن (مويرين) لا تنتظر عودتها، أيًّا كان ما ستفعله (الآيز سيداي) فلتفعله الآن، *فلتفعله الآن بحق (النور) قبل أن...*

فجأة شق برق سماء الليل من فوقها ليمحو الظلام للحظة. ضرب الرعد أذنيها بدويٍّ شديد حتى خُيِّل إليها أن الأرض ستميد بها. بينما رمح ثلاثي مسنن يطعن الأرض وراء الخيول مباشرة لينثر الغبار والصخور كالنافورة. تحطم الأرض مع دوي البرق جعل الخيول تصاب بالجنون وهي تصرخ وترفع قوائمها، تمزقت الحبال كالخيوط من حيث قطعتها، ضرب لسان برق آخر قبل أن تختفي صورة الأول.

كانت (نانيف) منشغلة للغاية فلم تجد وقتًا للشعور بالبهجة. مع الضربة الأولى اندفعت (بيلا) في اتجاه، بينما تراجع الحصان الآخر إلى الجهة المقابلة. خُيِّل إليها أن ذراعيها على وشك أن ينخلعا من موضعيهما. ظلت معلقة بين الحصانين لدقيقة بدت بلا نهاية وهي تثبت قدميها إلى الأرض، بينما صرختها تضيع مع الضربة الثانية. ضرب البرق مرارًا وتكرارًا في هدير غاضب غير منقطع من السماوات. بعد أن أدرك الحصانان أنهما لا يقدران على الذهاب في الاتجاه الذي يرغبان فيه تراجعا إلى الوراء فتهاوت أرضًا.

أرادت أن تنكمش على نفسها على الأرض وتريح كتفيها المتألمتين، ولكن لم يكن هناك وقت لهذا. (بيلا) والحصان الآخر كانا يقاومانها بأعين جامحة تهدد بإسقاطها أرضًا ودهسها. استطاعت بطريقة ما أن ترفع ذراعيها وتثبت يديها على عُرف (بيلا)، قبل أن تجذب نفسها على ظهر الفرس. كان اللجام الآخر لا يزال مربوطًا حول معصمها ومنغرسًا في جلدها.

فجأة فغرت فاها عندما اندفع ظل رمادي طويل مزمجر من جوارها، وبدا أنه يتجاهلها هي والحصانين اللذين معها، ولكن أنيابه تعض الهواء في مواجهة الخيول الهائجة التي تندفع في كل اتجاه. لحق ظل مميت آخر بالظل الأول. أرادت (نانيف) أن تصرخ مرة أخرى ولكنها لم تستطع. *ذئاب! فليساعدنا (النور)! ما الذي تفعله (مويرين)؟*

لم تكن بحاجة لوكز جانبيّ (بيلا) بكاحليها، فقد ركضت الفرس، وكان الحصان الآخر أكثر من سعيد للحاق بها. إلى أي مكان، طالما يقدران على الركض، طالما يقدران على الهرب من نيران السماء التي محت ظلام الليل.

الفصل الثامن والثلاثون

الإنقاذ

راح (بيرين) يتململ وهو يحرك معصميه بأفضل ما يستطيع وراء ظهره ثم استسلم أخيرًا وهو يتنهد بحسرة. كل صخرة يتفاداها كانت تجلب له صخرتين أخريين. حاول بمشقة أن يغطي جسده بعباءته، كانت الليلة باردة وبدا أن الأرض تمتص كل الحرارة من جسده، وكان الأمر هكذا كل ليلة منذ أن أمسك به أصحاب العباءات البيضاء. لم يعتقد (أبناء النور) أن السجينين بحاجة إلى بطانيات أو مأوى، وخصوصًا اثنين خطيرين من (أصدقاء الظلام).

استلقت (إيجوين) منكمشة على نفسها ملتصقة بظهره بحثًا عن الدفء، وقد نامت نومًا عميقًا بفعل الإرهاق. لم تنبس ببنت شفة أثناء تململه، كانت الشمس قد غربت منذ ساعات طويلة وكان يشعر بالألم من رأسه حتى أخمص قدميه بعد يوم من السير وراء حصان مجرورًا بحبل قد رُبِط حول رقبته، ولكن النوم لم يأتِ له.

لم يكن الركب يتحرك بسرعة كبيرة، فلم يعد أصحاب العباءات البيضاء قادرين على التحرك بالسرعة التي يريدونها بعد خسارة معظم خيولهم بسبب الذئاب في (الملاذ)، وكان هذا التأخير هو شيئًا آخر يحملون

مسؤوليته للأسيرين. ولكن رغم تحرك الركب بمشقة إلا أنهم كانوا يتحركون بثبات، فاللورد (بورنهالد) كان ينوي الوصول إلى (كايملين) في الوقت المناسب من أجل الشيء الذي يريده أيًّا ما كان، وفي عقل (بيرين) الباطن كان هناك دومًا خوف من أنه إن سقط أرضًا فإن صاحب العباءة البيضاء الذي يُمسك بالقيد لن يتوقف، مهما كانت أوامر السيد القائد (بورنهالد) بإبقائهما على قيد الحياة من أجل الاستجواب في (أمادور). كان يعرف أنه لن يقدر على إنقاذ نفسه إن حدث هذا، فقد كانت المرات الوحيدة التي يحررون فيها يديه هي أثناء تناوله الطعام أو ذهابه لقضاء حاجته. القيد المحيط بعنقه جعل كل خطوة خطيرة، وكل حجر تحت قدمه هلاكًا وشيكًا. كان يمشي بعضلات مشدودة وهو يتفحص الأرض بعينين قلقتين. كلما نظر إلى (إيجوين) وجدها تفعل مثله، وعندما تلتقي أعينهما يجد وجهها متوترًا وخائفًا. لم يجرؤ أي منهما على إبعاد عينيه عن الأرض لأكثر من نظرة عابرة.

عادة ما ينهار كقطعة قماش ممزقة بمجرد أن يسمح له أصحاب العباءات البيضاء بالتوقف، ولكن الليلة كانت الأفكار تتصارع في عقله. أحس بقشعريرة باردة مع الرغبة التي تراكمت بداخله لأيام. إن أغلق عينيه فلن يرى سوى الأشياء التي وعدهما بها (بيار) بمجرد وصولهم إلى (أمادور).

كان واثقًا أن (إيجوين) لا تزال لا تصدق ما قاله لهما (بيار) بذلك الصوت الخالي من المشاعر، إن صدقته فلم تكن لتقدر على النوم مهما حاولت. في البداية لم يصدق (بيار) أيضًا، لم يرغب في تصديقه، الناس لا يفعلون هذه الأشياء بمثل هذه البساطة بأناس آخرين، ولكن (بيار) لم يكن يهددهما بالضبط، بل كان يتحدث ببساطة . كأنما يتحدث عن شربة ماء . عن حديد ساخن، وكماشات، وسكاكين تنتزع الجلد، وإبر تخترق الجسد. لم يبدُ عليه أنه يحاول إخافتهما، لم يكن هناك ولو لمحة من الشماتة في عينيه، ببساطة لم يكن يبالي إن كانا خائفين أم لا، إن كانا يتعذبان أم لا، إن كانا على قيد الحياة أم لا. هذا ما جعل العرق البارد

يتصبب على وجه (بيرين) بمجرد أن أدرك الأمر، عندما اقتنع أخيرًا بأن (بيار) يقول الحقيقة ببساطة.

كانت عباءتا الحارسين تلمعان بشكل رمادي في ضوء القمر الشاحب، لم يكن باستطاعته تمييز وجهيهما، ولكنه كان يعرف أنهما يراقبانه، كأن باستطاعته أن يفعل شيئًا بينما يداه وقدماه مقيدون بهذه الطريقة. تذكر الاشمئزاز في أعينهما والنظرة المتقززة على وجهيهما عندما كان هناك ضوء، كأنهما قد وُضِعا لحراسة وحشين قذرين تفوح منهما رائحة كريهة، والنظر إليهما يصيبهما بالنفور. كل أصحاب العباءات البيضاء كانوا ينظرون إليهما بهذه الطريقة، ولم يتغير الأمر قط. *بحق (النور)، كيف يمكن أن أجعلهم يصدقون أننا لسنا من (أصدقاء الظلام) بينما هم مقتنعون بالفعل بأننا كذلك*؟ أحس بقبضة باردة تعتصر معدته، على الأرجح سيضطر في النهاية للاعتراف بأي شيء فقط ليجعل المستجوبين يتوقفون.

شخص ما يقترب، واحد من أصحاب العباءات البيضاء يحمل مصباحًا. توقف الرجل ليتحدث مع الحارسين اللذين أجاباه باحترام. لم يكن (بيرين) قادرًا على سماع ما يُقال، ولكنه تعرف على الهيئة الطويلة النحيلة.

ضَيَّق عينيه عندما وُضِع المصباح بالقرب من وجهه. كان (بيار) يحمل فأس (بيرين) في يده الأخرى، لقد استولى على السلاح وعَدَّه سلاحه، أو على الأقل لم يره (بيرين) من دونه.

قال (بيار) بلا مشاعر: «استيقظ». كأنه يظن أن (بيرين) قد نام ورأسه مرفوع. صاحب كلماته ركلة ثقيلة في الضلوع.

تأوه (بيرين) وهو يجز على أسنانه، كان جانبيه قد صارا بالفعل كتلة من الكدمات بفعل حذاء (بيار).

«قلت استيقظ». ركله بالحذاء مرة أخرى.

قال (بيرين) على الفور: «أنا مستيقظ». يجب عليك أن تُبين سماعك لكل ما يقوله (بيار) وإلا فسيجد طريقة لجذب انتباهك.

وضع (بيار) المصباح على الأرض وانحنى ليتفحص قيوده. حرك الرجل رسغيه بقسوة ولوى ذراعيه فوجد أن القيود لا تزال مربوطة بإحكام كما تركها، ثم جذب الحبل المربوط على كاحليه ليجره على الأرض الصخرية، بدا الرجل نحيلًا للغاية على أن يتمتع بأي قوة، ولكن قوة جذبته جعلت (بيرين) يبدو وكأنه طفل. كان هذا هو الروتين الليلي المعتاد.

بينما (بيار) يعتدل واقفًا رأى (بيرين) أن (إيجوين) لا تزال نائمة فصاح: «استيقظي! استيقظي يا (إيجوين)!».

«ما...؟ ماذا؟». كان صوت (إيجوين) خائفًا وناعسًا. رفعت رأسها ثم رمشت بعينيها وهي تنظر إلى الضوء.

لم يبدُ على (بيار) أدنى إشارة على خيبة الأمل لكونه لم يركلها لإيقاظها، لم يبدُ عليه هذا من قبل قط. اكتفى بجذب حبالها بنفس الطريقة التي جذب بها (بيرين)، متجاهلًا تأوهها. إن جعل الآخرين يتألمون كان شيئًا آخر لم يبدُ أنه يؤثر عليه بطريقة أو بأخرى، ولكن (بيرين) كان الشخص الوحيد الذي يبدو أنه يتعمد إيذاءه. حتى لو لم يكن (بيرين) قادرًا على تذكر الأمر فإن (بيار) يتذكر أنه قتل اثنين من (أبناء النور).

قال (بيار) بفتور: «لِمَ يجب أن ينام (أصدقاء الظلام) بينما يجب على الرجال الصالحين أن يظلوا مستيقظين لحراستهم؟».

قالت (إيجوين) بتعب: «للمرة المئة، نحن لسنا من (أصدقاء الظلام)».

تحفز (بيرين)، أحيانًا ما يؤدي مثل هذا الإنكار إلى إلقاء محاضرة في نبرة صارمة رتيبة حول الاعتراف والتوبة، تؤدي إلى وصف لطرق المستجوبين في الحصول عليهما. أحيانًا ما يصاحب المحاضرة ركلة، ولكن لدهشته تجاهل (بيار) الأمر هذه المرة.

بدلًا من هذا جلس الرجل النحيل القرفصاء أمامه واضعًا الفأس على ركبتيه. لمعت الشمس الذهبية الموجودة على العباءة يسارًا فوق صدره والنجمتان الذهبيتان أسفلها في ضوء المصباح. انتزع خوذته ووضعها بجانب المصباح. وعلى سبيل التغيير كان هناك شيء بجانب الازدراء والكراهية على وجهه، شيء حاد مبهم. أراح ذراعيه على مقبض الفأس وتفحص (بيرين) في صمت. حاول (بيرين) ألا يتململ أمام نظرة العينين الغائرتين.

«أنت تُبطئ من تقدمنا يا (صديق الظلام)، أنت وذئابك. لقد سمع (مجلس المختارين) تقارير عن مثل هذه الأشياء، ويرغبون في معرفة المزيد، لذا يجب أن نأخذك إلى (أمادور) ونسلمك للمستجوبين ولكنك تُبطئ من تقدمنا. كنت آمل أن باستطاعتنا أن نتحرك بسرعة كافية حتى من دون الخيول الإضافية، ولكني كنت مخطئًا». ثم لاذ بالصمت وهو ينظر إليهما عاقدًا حاجبيه.

انتظر (بيرين)، سيخبره (بيار) عندما يكون مستعدًا.

قال (بيار) أخيرًا: «السيد القائد عالق في معضلة، بسبب الذئاب يجب أن يأخذك إلى المجلس، ولكن عليه أن يصل إلى (كايملين) أيضًا، ليس لدينا خيول إضافية لحملك ولكن إن تركناك تمشي فلن نصل إلى (كايملين) في الوقت المناسب. السيد القائد ينظر إلى واجباته بمنظور حازم وقد عقد العزم على أن يجعلك تمثل أمام المجلس».

ند صوت عن (إيجوين)، ولكن (بيار) كان يحدق إلى (بيرين)، الذي بادله التحديق وهو يخاف حتى أن يرمش بعينيه. قال ببطء: «أنا لا أفهم».

أجابه (بيار): «لا يوجد شيء لفهمه، لا شيء سوى فكرة عابرة، إن هربت فلن يكون لدينا وقت لتعقبك، ليس لدينا ساعة لنضيعها إن كنا نريد الوصول إلى (كايملين) في الوقت المناسب. إن أنت مزقت حبالك

على صخرة حادة على سبيل المثال واختفيت في ظلام الليل فستحل مشكلة السيد القائد». لم يُبعد عينيه قط عن (بيرين) وهو يمد يده تحت عباءته ويُلقي بشيء ما أرضًا.

تتبعته عينا (بيرين) بشكل تلقائي، ثم شهق عندما أدرك ماهيته، صخرة، صخرة ذات طرف حاد.

قال (بيار): «مجرد فكرة عابرة، إن حارسيك غارقان في التفكير أيضًا».

أحس (بيرين) فجأة أن حلقه جاف. *فلتفكر في الأمر مليًا! فليساعدني (النور)، فكر في الأمر مليًا ولا ترتكب أي خطأ!*

هل يمكن أن يكون الأمر حقيقيًا؟ هل يمكن أن تكون حاجة أصحاب العباءات البيضاء للوصول إلى (كايملين) في أسرع وقت مهمة بما يكفي من أجل هذا؟ السماح بهرب شخص يشتبهون أنه من (أصدقاء الظلام)؟ لم يكن هناك فائدة من التفكير في الأمر بهذه الطريقة، إنه لا يعرف ما يكفي. كان (بيار) هو الوحيد من أصحاب العباءات البيضاء الذي يتحدث معهما، باستثناء السيد القائد (بورنهالد)، ولم يكن أي منهما كريمًا في منح المعلومات. فلتفكر بطريقة أخرى، إن كان (بيار) يرغب في هروبهما فلم لا يمزق قيودهما ببساطة؟ هذا إن كان (بيار) يرغب في هروبهما؟ (بيار) المقتنع حتى النخاع بأنهما من (أصدقاء الظلام)، (بيار) الذي يكره (أصدقاء الظلام) أكثر من كراهيته لـ(سيد الظلام) ذاته، (بيار) الذي يبحث عن أي ذريعة لكي يتسبب في ألمهما لأنهما قتلا اثنين من أصحاب العباءات البيضاء. *(بيار) يرغب في هروبهما؟*

إن كان (بيرين) قد ظن أن الأفكار تموج في عقله من قبل، فإنها الآن كانت تغلي كالمرجل. رغم برودة الجو إلا أن العرق كان يتصبب على وجهه. اختلس النظر إلى الحارسين، كانا مجرد ظلين بلون رمادي شاحب، ولكن بدا له أنهما ينتظران بتحفز. إن تعرض هو و(إيجوين) للقتل أثناء محاولتهما للهرب بينما أحبالهما قد مُزقت على صخرة كانت ملقاة هناك

بالصدفة... فإن معضلة السيد القائد ستُحل أيضًا، وسيكون (بيار) قد أودى بهما إلى الموت بالطريقة التي أرادها.

أخذ الرجل النحيل خوذته من جوار المصباح واستعد للوقوف.

قال (بيرين) بصوت مبحوح: «مهلًا». كانت أفكاره تموج مرارًا وتكرارًا وهو يحاول عبثًا أن يجد مخرجًا ما. «مهلًا، أريد أن أتحدث، أنا...».

النجدة قادمة!

ومضت الفكرة في عقله كبريق من ضوء صافٍ وسط الفوضى، فجفل حتى أنه لوهلة نسي كل شيء آخر، نسي حتى أين هو. (دابل) على قيد الحياة. (إلياس)، وجَّه فكرته للذئبة متسائلًا بدون كلمات ليعرف إن كان الرجل على قيد الحياة. عادت صورة إليه، (إلياس) مستلقٍ على فراش من أغصان الأشجار دائمة الخضرة بجانب نيران صغيرة في كهف، يعالج جرحًا في جانبه. استغرق الأمر كله لحظة واحدة. نظر إلى (بيار) فاغرًا فاه وقد تحول وجهه إلى ابتسامة بلهاء. (إلياس) على قيد الحياة. (دابل) على قيد الحياة. النجدة قادمة.

تجمد (بيار) في موضعه بينما يعتدل واقفًا وهو يحدق إليه. «لقد راودتك فكرة ما يا (بيرين) من (النهرين)، وأنا أريد أن أعرفها».

لوهلة ظن (بيرين) أنه يعني الفكرة التي جاءته من (دابل)، فارتسم الذعر على وجهه، ثم تلاه الارتياح، لا يمكن لـ(بيار) أن يعرف شيئًا كهذا.

شاهد (بيار) تغير التعبيرات المرتسمة على وجهه، وللمرة الأولى نظر صاحب العباءة البيضاء إلى الصخرة التي ألقى بها أرضًا.

أدرك (بيرين) أنه يعيد التفكير في الأمر، إن غير رأيه بشأن الصخرة فهل سيجرؤ على تركهما أحياء لكي يتحدثا؟ يُمكن أن تُمزِّق الأحبال بعد موتهما، حتى إن غامر باكتشاف الأمر. نظر إلى عينيّ (بيار) ـ إن ظلال

عيني الرجل الغائرتين جعلته يبدو وكأنه يحدق من كهفين مظلمين. ورأى الموت محسومًا.

فتح (بيار) فمه، وبينما (بيرين) ينتظر الجملة التي سينطق بها بدأت الأشياء تحدث بسرعة أكبر من التفكير فيها.

فجأة اختفى أحد الحارسين، في لحظة كان هناك هيئتان مظلمتان، وفي اللحظة التالية ابتلع الليل إحداهما. التفت الحارس الآخر وتشكلت بدايات صرخة على شفتيه، ولكن قبل أن ينطق بالحرف الأول كان هناك صوت ضربة مكتومة قبل أن يسقط كشجرة مقطوعة.

استدار (بيار) على عقبيه بخفة كأفعى ضاربة، بينما الفأس يدور في يديه بسرعة كبيرة حتى أنه أصدر أزيزًا وهو يشق الهواء. جحظت عينا (بيرين) عندما بدا أن ظلام الليل يتدفق في ضوء المصباح. فتح فمه ليصرخ ولكن الخوف جعل حلقه يختنق. للحظة نسي حتى أن (بيار) كان يرغب في قتلهما، كان صاحب العباءة البيضاء لا يزال إنسانًا، والليل قد نبض بالحياة لكي يأخذهم جميعًا.

ثم تحول الظلام الذي يغزو الضوء إلى (لان)، عباءته تدور بظلال من الرمادي والأسود مع حركته. تحرك الفأس في يدي (بيار) بسرعة البرق... وبدا أن (لان) يميل ببساطة جانبًا تاركًا النصل يمر قريبًا منه للغاية فلا شك أنه أحس بالهواء المندفع منه. اتسعت عينا (بيار) بينما قوة ضربته تخل بتوازنه، بينما (الحامي) يضرب بيديه وقدميه ضربات سريعة متلاحقة حتى أن (بيرين) لم يكن واثقًا مما رآه لتوه. ما كان واثقًا منه هو أن (بيار) قد انهار كدمية، وقبل أن يستقر تمامًا على الأرض كان (الحامي) على ركبتيه يُطفئ المصباح.

مع عودة الظلمة المفاجئة حدق (بيرين) أمامه دون أن يقدر على رؤية شيء، وبدا أن (لان) قد اختفى مرة أخرى.

«هل هذا حقًّا...؟». كتمت (إيجوين) نحيبًا وهي تقول: «كنا نظنكم موتى، كنا نظنكم جميعًا موتى».

«ليس بعد». كانت همسة الحامي العميقة تحمل لمحة من السخرية.

أحس (بيرين) بيدين تلمسانه قبل أن تعثرا على قيوده، ثم مزق سكين الحبال بضربة سريعة فتحرر أخيرًا. احتجت عضلاته المتألمة وهو يعتدل جالسًا. فرك معصميه وهو يحدق إلى الكتلة الرمادية التي تمثل جسد (بيار) وقال: «هل...؟ هل هو...؟».

أجابه صوت (لان) بهدوء من الظلمة: «لا، أنا لا أقتل ما لم أرغب في هذا، ولكنه لن يزعج أحدًا لبعض الوقت. توقف عن طرح الأسئلة وأحضر اثنتين من عباءاتهم، ليس لدينا وقت لنضيعه».

زحف (بيرين) إلى حيث يستلقي (بيار). تطلب الأمر منه جهدًا كبيرًا لكي يلمس الرجل، وعندما أحس بصدره يعلو ويهبط كاد أن ينتزع يده. اقشعر بدنه وهو يجبر نفسه على حل العباءة البيضاء ونزعها عنه. رغم ما قاله (لان) إلا أنه كان باستطاعته أن يتخيل الرجل ذا الوجه النحيل وهو ينهض فجأة. تحسس حوله في عجالة حتى عثر على فأسه، ثم زحف إلى حارس آخر. في البداية بدا الأمر غريبًا، لم يشعر بأي تردد في لمس هذا الرجل المغشى عليه، ثم خطر السبب على باله. جميع أصحاب العباءات البيضاء يكرهونه، ولكن هذا كان شعورًا بشريًّا. (بيار) لم يشعر بأي شيء سوى أنه يجب أن يموت، لم يكن هناك أي كراهية في الأمر، أي مشاعر على الإطلاق.

أمسك بالعباءتين بين ذراعيه وهو يستدير على عقبيه وفجأة تملكه الذعر، أدرك فجأة في الظلمة أنه ليس لديه أدنى إحساس بالاتجاه، وتساءل كيف يمكنه أن يجد طريق العودة إلى (لان) والآخرين. تسمرت قدماه في الأرض وهو يخشى أن يتحرك، حتى (بيار) كان مختفيًا في الظلمة

من دون عباءته البيضاء. لم يكن هناك شيء ليحدد من خلاله اتجاهه، أي طريق يسلكه قد يجعله يتعمق في المخيم.

«هنا».

سار متعثرًا ناحية همسة (لان) حتى أوقفته يدان في موضعه. كانت (إيجوين) ظلًّا خافتًا، وكان وجه (لان) ضبابيًّا، وبقية (الحامي) بدا غير موجود على الإطلاق. كان باستطاعته أن يشعر بأعينهما تحدق إليه، وتساءل إن كان يجب عليه أن يفسر.

قال (لان) بصوت خافت: «ارتديا العباءتين على الفور، واحزما عباءتيكما، ولا تصدرا أدنى صوت، أنتما لستما بأمان بعد».

أعطى (بيرين) إحدى العباءتين لـ(إيجوين) في عجالة، وأحس بالارتياح لإعفائه من تبرير خوفه. حزم عباءته وحملها وهو يضع العباءة البيضاء على كتفيه في موضعها. انتابته قشعريرة وهو يضمها على كتفيه، وأحس بالقلق في أعماقه، هل عباءة (بيار) هي التي صارت من نصيبه؟ خُيِّل إليه أن باستطاعته أن يشم رائحة الرجل النحيل فيها.

أمرهما (لان) بأن يتشابكا الأيدي فأمسك (بيرين) بالفأس في يده، ويد (إيجوين) باليد الأخرى، متمنيًا أن يبدأ (الحامي) في هربهم قبل أن تصير مخيلته جامحة. ولكنهم وقفوا هناك محاطين بخيام (أبناء النور)، هيئتان في عباءتين بيضاوين وهيئة يمكنك أن تشعر بها ولكن لا تراها.

همس (لان): «قريبًا، قريبًا للغاية».

سطع البرق في سماء الليل فوق المخيم، قريبًا للغاية حتى أن (بيرين) أحس بالشعر على ذراعيه ورأسه ينتصب بينما الصاعقة تشحن الهواء. وراء الخيام مباشرة انفجرت الأرض بفعل الضربة واختلط الانفجار على الأرض بما يحدث في السماء. قبل أن يتلاشى الضوء كان (لان) يقتادهما إلى الأمام.

مع خطوتهم الأولى شقت ضربة أخرى الظلام، جاء البرق كوابل من المطر حتى أن الليل كان يومض كأنما الظلمة هي ما يأتي في ومضات متقطعة. كان الرعد يتردد كدوي الطبول، صوت هادر يليه الآخر، في قصف متواصل. صرخت الخيول التي أصابها الخوف وقد حجب الرعد صهيلها إلا في اللحظات القليلة التي يتلاشى فيها. خرج الرجال مترنحين من خيامهم، بعضهم في عباءاتهم البيضاء، وبعضهم لا يرتدون إلا نصف ملابسهم. بعضهم يندفعون جيئة وذهابًا، وبعضهم يقفون كالمصعوقين.

وسط كل هذه الفوضى كان (لان) يحثهما على الهرولة، بينما (بيرين) في المؤخرة. كان أصحاب العباءات البيضاء يحدقون إليهما بأعين متسعة أثناء مرورهما. بعضهم صاح فيهما، إلا أن الصيحات ضاعت مع قصف السماوات. ولكن مع عباءتيهما البيضاوين لم يحاول أحد أن يوقفهما. مروا بين الخيام خارجين من المخيم إلى ظلمة الليل، ولم يرفع أحد يده في وجوههم.

صارت الأرض غير مستوية تحت قدمي (بيرين)، وكانت الأغصان تصفعه وهو مستسلم لليد التي تجذبه. ومض البرق بشكل متقطع ثم اختفى. تردد صدى الرعد عبر السماء قبل أن يتلاشى أيضًا. نظر (بيرين) وراءه، كان هناك عدد قليل من الحرائق بين الخيام، لا شك أن بعض ألسنة البرق قد ضربت المخيم، وربما أسقط بعض الرجال مصابيحهم في حالة الذعر التي أصابتهم. كان الرجال لا يزالون يصيحون، أصواتهم ضئيلة في الليل، يحاولون استعادة النظام أو أن يعرفوا ما الذي حدث. بدأت الأرض تنحدر صعودًا، واختفت الخيام والنيران والصيحات من ورائهم.

فجأة كاد أن يطأ كاحلي (إيجوين) عندما توقف (لان). أمامهم في ضوء القمر كان يوجد ثلاثة خيول.

تحرك ظل ثم جاء صوت (مويرين) مثقلًا بالسخط: «(ناينيف) لم تعد، أخشى أن هذه الشابة قد فعلت شيئًا أحمق». دار (لان) على عقبيه

بسرعة كأنه سيعود من الطريق الذي جاء منه، ولكن كلمة واحدة من (مويرين) أوقفته في موضعه كفرقعة سوط: «لا!». توقف في موضعه وهو ينظر إليها نظرة جانبية، ولا يبدو ظاهرًا منه سوى وجهه ويديه، الذين لم يبدوا بدورهم إلا ظلالًا ضبابية. أكملت بنبرة أكثر لطفًا وإن لم تكن أقل حزمًا: «بعض الأشياء أكثر أهمية من الأخرى، أنت تعرف هذا». لم يتحرك (الحامي) فصار صوتها صارمًا مرة أخرى وهي تقول: «تذكر قسمك، يا (ألّان ماندراجوران)، يا (سيد الأبراج السبعة)! هل نسيت قسم (سيد الحرب المالكيري الملكي)؟».

رمش (بيرين) بعينيه، (لان) هو كل هذا؟ كانت (إيجوين) تغمغم ولكنه لم يستطع أن يرفع عينيه عن المشهد الذي أمامه، (لان) يقف كذئب من قطيع (دابل)، ذئب لا يكبح جماحه سوى (الآيز سيداي) ضئيلة الجسد، ويحاول عبثًا أن يهرب من الهلاك.

تحطم المشهد المتجمد بصوت تهشم أغصان في الغابة، وبخطوتين واسعتين صار (لان) بين (مويرين) والصوت، بينما ضوء القمر الشاحب يتموج على سيفه. مع صوت الطقطقة وتكسر الأغصان اندفع زوج من الخيول من بين الأشجار مع راكب واحد.

صرخت (إيجوين): «(بيلا)!». في الوقت ذاته الذي قالت فيه (ناينيف) من على صهوة الفرس الشعثاء: «كنت أخشى ألا أراكِ مرة أخرى يا (إيجوين)! حمدًا (للنور) أنك على قيد الحياة».

ترجلت من على صهوة (بيلا)، ولكن ما إن بدأت تسير ناحية (إيجوين) و(بيرين) حتى أمسك (لان) بذراعها فتوقفت في موضعها وهي تحدق إليه.

قالت (مويرين) وقد بدت مرة أخرى ثابتة الجنان: «يجب أن نذهب يا (لان)». فأرخى (الحامي) قبضته.

فركت (نانيف) ذراعها وأسرعت لتحتضن (إيجوين)، ولكن (بيرين) خُيِّل إليه أنه سمعها تضحك ضحكة خفيضة أيضًا. أصابه هذا بحيرة، لأنه لم يعتقد أن ضحكتها لها علاقة بسعادتها لرؤيتهما مرة أخرى.

سأل: «أين (راند) و(مات)؟».

أجابته (مويرين): «في مكان آخر». فتمتمت (نانيف) بشيء في نبرة حادة جعل (إيجوين) تشهق. رمش (بيرين) بعينيه، لقد خُيِّل إليه أنه قد سمع سُبابًا فظًّا. أكملت (الآيز سيداي) كأنها لم تلاحظ هذا: «فلندعُ (النور) أن يكونا بخير».

قال (لان): «لن يكون أي منا بخير إن عثر علينا أصحاب العباءات البيضاء، فلتغيروا عباءاتكم وتمتطوا خيولكم».

أسرع (بيرين) ليمتطي الحصان الذي قد جلبته (نانيف) وراء (بيلا)، ولم يواجه صعوبة في هذا رغم عدم وجود سرج. إنه لم يمتطِ الخيل كثيرًا في الديار، ولكن عندما يفعل يكون الحصان عادة بلا سرج. كان لا يزال يحمل العباءة البيضاء، وقد لفها وربطها إلى حزامه. لقد قال (الحامي) إنهم لا يجب أن يتركوا أثرًا يمكن لـ(أبناء النور) تعقبه طالما يقدرون على هذا. كان لا يزال يُخيل إليه أن بإمكانه أن يشتم رائحة (بيار) فيها.

عندما انطلقوا و(الحامي) يتقدمهم بحصانه الطويل الأسود أحس (بيرين) بـ(دابل) تلمس عقله مرة أخرى؛ *مرة أخرى في يوم ما*. كان إحساسًا أكثر منه كلمات، تنهدت مع وعد بلقاء مكتوب، مع ترقب لما هو آتٍ، مع استسلام لما هو آتٍ، كل هذا ممتزج في فكرة واحدة. حاول أن يسأل متى ولماذا، متخبطًا في عجالة وخوف مفاجئ. كان أثر الذئاب يزداد خفوتًا وهو يتلاشى. لم تجلب له أسئلته المحمومة سوى نفس الإجابة الثقيلة؛ *مرة أخرى في يوم ما*. علقت في ثنايا عقله لوقت طويل بعد أن تلاشى وعيه بالذئاب.

اقتادهم (لان) نحو الجنوب، ببطء لكن بثبات. البرية التي يغلفها الليل، الأرض المتعرجة التي تخفيها الشجيرات حتى تطأها حوافر الخيل، وظلال الأشجار التي تزداد كثافة في مواجهة السماء. كل هذا لم يكن يسمح بسرعة كبيرة على أي حال. تركهم (الحامي) مرتين ليعود إلى الوراء ناحية القمر الفضي حتى يختفي هو و(ماندارب) في الليل من ورائهم، وفي المرتين عاد ليخبرهم بعدم وجود أدنى أثر للملاحقة.

ظلت (إيجوين) بالقرب من (ناينيف) وقد تنامى إلى مسامع (بيرين) شذرات من حديثهما الخافت المتحمس، كانت كلتاهما متحمسة كأنما قد عادت إلى الديار. كان في ذيل ركبهم الصغير، أحيانًا ما تستدير الحكيمة في سرجها لتنظر إليه، وفي كل مرة كان يلوح لها كأنما ليقول إنه بخير، ويظل حيث هو. كان لديه الكثير ليفكر فيه، ولكنه لم يستطع أن يجعل أي فكرة تستقيم في عقله؛ *ما الذي هو آتٍ؟ ما الذي هو آتٍ؟*

فكر (بيرين) أنه بالتأكيد لم يتبقَّ وقت طويل على الفجر عندما أمرتهم (مويرين) بالتوقف أخيرًا. لقد عثر (بيرين) على أخدود حيث يمكنه أن يصنع نارًا مخفية في غور على جانبه.

وأخيرًا سُمِح لهما بالتخلص من العباءتين البيضاوين بدفنهما في حفرة قد حُفِرت بالقرب من النار. بينما هو موشك على إلقاء العباءة التي كان يحتفظ بها لفت انتباهه الشمس الذهبية المطرزة في موضع الصدر، والنجمتين الذهبيتين من تحتها. ألقى بالعباءة كأنها قد لدغته وسار مبتعدًا وهو يمسح يديه في معطفه، ثم جلس وحيدًا.

ما إن ردم (لان) الحفرة بالتراب حتى قالت (إيجوين): «والآن هل سيخبرني أحدكم أين (راند) و(مات)؟».

قالت (مويرين) وهي تنتقي كلماتها بعناية: «أعتقد أنهما في (كايملين)، أو في طريقهما إلى هناك». تنهدت (ناينيف) باستهزاء بصوت عالٍ، ولكن (الآيز سيداي) أكملت كأنها لم تقاطعها: «إن لم نجدهما هناك فسأعثر عليهما. أعدكِ بهذا».

في سكون أعدوا وجبة من الخبز والجبن والشاي الساخن، حتى حماس (إيجوين) استسلم للإرهاق. أخرجت الحكيمة مرهمًا من حقيبتها من أجل الآثار التي تركتها الحبال على معصمي (إيجوين)، ومرهمًا مختلفًا للكدمات الأخرى. عندما اقتربت من الموضع الذي يجلس فيه (بيرين) عند حافة دائرة ضوء النار لم يرفع بصره لينظر إليها. ظلت واقفة تنظر إليه لبعض الوقت ثم جلست القرفصاء واضعة حقيبتها بجانبها وهي تقول بحيوية: «فلتنزع عنك معطفك وقميصك يا (بيرين)، لقد قيل لي إن واحدًا من أصحاب العباءات البيضاء كان يكرهك».

فعل ما قالته ببطء وهو لا يزال نصف شارد في رسالة (دابل)، حتى شهقت (ناينيف)، فجفل وهو ينظر إليها، ثم خفض بصره لينظر إلى صدره العاري، كان مزيجًا فوضويًّا من الألوان، البقع البنفسجية الجديدة متداخلة مع البقع الأقدم التي اتخذت درجات من اللونين البني والأصفر. لم ينقذه من تحطيم ضلوعه سوى عضلاته المفتولة التي اكتسبها من ساعات من العمل في ورشة السيد (لوهان). كان عقله منشغلًا بالتفكير في الذئاب، فاستطاع أن يتناسى الألم، ولكنه تذكره الآن فعاد له بقوة. أخذ نفسًا عميقًا رغمًا عنه ثم جز على أسنانه وهو يتأوه.

سألته (ناينيف) بتعجب: «كيف يمكن أن يكرهك إلى هذا الحد؟».

قال لنفسه؛ *لقد قتلت رجلين*. ثم قال بصوت عالٍ: «لا أعرف».

أخذت تفتش في حقيبتها، ثم جفل عندما بدأت تمسح كدماته بمرهم دهني. قالت: «لبلاب أرضي، وعشب الأصابع الخمسة، وجذر زهرة الشمس».

كان ساخنًا وباردًا في الوقت ذاته، مما جعله يرتجف بينما يتصبب عرقًا، ولكنه لم يحتج. كان لديه تجربة مع مراهم (نايניف) وكماداتها من قبل. وبينما أصابعها تدلكه بالمزيج برفق اختفت الحرارة والبرودة، واختفى الألم معهما. تحولت البقع البنفسجية إلى اللون البني والأصفر، بينما بهتت البقع البنية والصفراء، وبعضها تلاشى تمامًا. أخذ نفسًا عميقًا حذرًا، ولكن بالكاد كان هناك وخز.

قالت (نايניف): «أنت تبدو متفاجئًا». هي نفسها بدت متفاجئة بعض الشيء وخائفة بشكل غريب. «في المرة التالية يمكنك أن تذهب إليها».

قال بنبرة ملطفة: «لست متفاجئًا، بل مسرورًا». أحيانًا ما تعمل مراهم (نايניف) بسرعة، وأحيانًا ما تعمل ببطء، ولكنها دومًا ما تؤتي بثمارها. «ما... ما الذي حدث لـ(راند) و(مات)؟».

بدأت (نايניف) في وضع قواريرها وآنيتها مرة أخرى في حقيبتها وهي تدفع بكل شيء كأنما عبر حاجز ما. «تقول إنهما بخير، تقول إننا سنعثر عليهما في (كايملين)، تقول إننا مهمون للغاية مما يعني أنها ستعثر عليهما بالتأكيد، أيًّا كان ما يعنيه هذا، إنها تقول الكثير من الأشياء».

ابتسم (بيرين) رغمًا عنه، رغم تغير الكثير من الأشياء إلا أن الحكيمة لم تتغير، ولا تزال هي و(الآيز سيداي) أبعد ما يكون عن الصداقة.

فجأة تيبس جسد (نايניف) وهي تحدق إلى وجهه، ثم أسقطت حقيبتها وهي تضغط بظهر يدها على وجنتيه وجبهته. حاول أن يجذب رأسه للوراء ولكنها ثبتته بين يديها وهي ترفع جفنيه بإبهاميها محدقة إلى عينيه وهي تتمتم لنفسها. رغم حجمها الضئيل إلا أنها ثبتت وجهه بسهولة. لا يكون الابتعاد عن (نايניف) سهلًا عندما لا ترغب في هذا.

وأخيرًا تركته وتراجعت إلى الوراء لتجلس على كاحليها وهي تقول: «أنا لا أفهم، إن كانت حمى العين الصفراء فلم تكن لتقدر على الوقوف، ولكن ليس لديك أدنى حمى، كما أن بياض عينيك ليس مصفرًّا، بل القزحيتان فقط».مكتبة سُر مَن قرأ

قالت (مويرين): «صفراء؟». فجفل كل من (بيرين) و(ناينيف) حيث يجلسان. لقد اقتربت (الآيز سيداي) منهما بصمت تام، ورأى (بيرين) أن (إيجوين) قد خلدت إلى النوم بجانب النار، متدثرة بعباءتها. أراد أن يغلق عينيه بدوره.

قال: «هذا ليس شيئًا مهمًّا». ولكن (مويرين) وضعت يدها تحت ذقنه ورفعت وجهه لكي تنظر إلى عينيه كما فعلت (ناينيف). أشاح برأسه بعيدًا في غضب، إن المرأتين تتعاملان معه كأنه طفل. «قلت إنه ليس شيئًا مهمًّا».

قالت (مويرين) كأنما تخاطب نفسها، وقد بدا أن عينيها تنظران إلى شيء وراءه: «لم يكن هناك ما يُنذر بهذا، هل هو شيء قد قُدِّر أن يُنسَج، أم تغير في (النمط)؟ إن كان تغيرًا فمن وراءه؟ (عجلة الزمن) تنسج بمشيئتها، لا مفر من هذا».

سألتها (ناينيف) على مضض: «هل تعرفين ما هذا؟». ثم قالت بتردد: «هل يمكنك أن تفعلي شيئًا من أجله؟ بقدرتك على الشفاء؟». بدت وكأنها مكرهة على أن تطلب منها المساعدة، أن تعترف أنها غير قادرة على فعل شيء.

حدق (بيرين) إلى المرأتين وقال: «إن كنتما ستتحدثان عني فلتتحدثا إليَّ، أنا جالس هنا». ولكن أيًّا منهما لم تنظر إليه.

ابتسمت (مويرين) وقالت: «الشفاء؟ لا يمكن للشفاء أن يفعل شيئًا حيال هذا، إنه ليس مرضًا ولن...». ترددت للحظة قصيرة ثم ألقت نظرة على (بيرين)، ثم نظرة سريعة بدا فيها الندم على كثير من الأشياء،

ولكن هذه النظرة لم تشمله، فغمغم بمرارة بينما التفتت هي مرة أخرى إلى (ناينيف) وقالت: «كنت على وشك أن أقول إنه لن يؤذيه، ولكن من يمكنه أن يعرف كيف ستكون نهاية الأمر، يمكنني على الأقل أن أقول إنه لن يؤذيه بشكل مباشر».

اعتدلت (ناينيف) واقفة ونفضت الغبار عن ركبتيها قبل أن تواجه (الآيز سيداي) بتحدٍّ وهي تقول: «هذا ليس جيدًا بما يكفي، إن كان هناك خطب ما به...».

قالت (مويرين): «ما حدث قد حدث، ما نُسِج بالفعل قد فات أوان تغييره». ثم التفتت فجأة وقالت: «يجب أن ننام بينما لدينا فرصة لهذا، فسنغادر مع أول ضوء للصباح، إن كانت يد (سيد الظلام) تزداد قوة... يجب أن نصل إلى (كايملين) بسرعة».

التقطت (ناينيف) حقيبتها في غضب وأسرعت مبتعدة قبل أن يتكلم (بيرين). زمجر بسبة خافتة قبل أن تراوده فجأة فكرة ما، فجلس هناك فاغرًا فاه في صمت. (مويرين) تعرف، (الآيز سيداي) تعرف بشأن الذئاب، وتظن أن هذا قد يكون صنيع (سيد الظلام). اجتاحته قشعريرة باردة، وعلى الفور ارتدى قميصه في عجالة قبل أن يرتدي معطفه وعباءته عليه. لم يساعده ارتداء ملابسه كثيرًا، كان يشعر بالقشعريرة حتى العظام فأحس أن نخاعه هلام متجمد.

جلس (لان) على الأرض عاقدًا ساقيه مُلقيًا عباءته إلى الوراء. كان (بيرين) مسرورًا لهذا، فلم يكن من المريح بالنسبة له أن يتحاشى (الحامي) النظر إليه.

ظلا لوقت طويل يحدقان إلى أحدهما الآخر ببساطة، كان من الصعب قراءة ملامح (الحامي) الصارمة، ولكن خُيِّل لـ(بيرين) أنه قد رأى في عينيه... شيئًا ما؛ التعاطف؟ الفضول؟ كليهما؟

قال له: «أنت تعرف؟».

فأومأ (لان) برأسه وقال: «أعرف البعض، وليس كل شيء. هل حدث لك الأمر بدون مقدمات، أم أنك قابلت مرشدًا، وسيطًا؟».

قال (بيرين) ببطء: «كان هناك رجل». *إنه يعرف ولكن هل يظن ما تظنه (مويرين)؟* «قال إن اسمه (إلياس)، (إلياس ماتشيرا)». أخذ (لان) نفسًا عميقًا فنظر إليه (بيرين) بحدة وقال: «هل تعرفه؟».

«كنت أعرفه، لقد علمني الكثير بشأن (البلاء العظيم)، وبشأن هذا». لمس (لان) مقبض سيفه. «كان واحدًا من (الحماة) قبل... قبل أن يحدث ما حدث؛ (الآجاه الحمراوات)...». اختلس النظر إلى حيث كانت (مويرين) مستلقية أمام النيران.

كانت المرة الأولى التي يشعر فيها (بيرين) أن (الحامي) متردد. في (شادار لوجوث) كان (لان) قويًّا وواثقًا من نفسه، وكذلك عندما يواجه (العواتم) و(الترولوكيين). لم يكن خائفًا في تلك اللحظة. كان (بيرين) واثقًا من هذا. ولكنه كان حذرًا، كأنه قد يقول أكثر من اللازم، كأن ما يقوله يمكن أن يكون خطيرًا.

قال (بيرين): «لقد سمعت عن (الآجاه الحمراوات)».

«ومعظم ما سمعته خاطئ بلا شك. يجب عليك أن تفهم، هناك فصائل بداخل (تار ڤالون)، بعضها يقاتل (سيد الظلام) بطريقة، وبعضها بطريقة أخرى. الهدف واحد، ولكن الاختلافات... الاختلافات قد تعني تغير حياة أو إنهاءها، حياة رجل أو حياة أمة. هل (إلياس) بخير؟».

«أعتقد هذا، قال أصحاب العباءات البيضاء إنهم قد قتلوه، ولكن (دابل)...». نظر (بيرين) إلى (الحامي) بتوتر قبل أن يقول: «لا أعرف». بدا أن (لان) قد قبل على مضض حقيقة أنه لا يعرف، فشجعه هذا على المضي قدمًا. «هذا التواصل مع الذئاب، يبدو أن (مويرين) تعتقد أنه شيء... شيء قد فعله (سيد الظلام). هذا غير صحيح، أليس كذلك؟». لم يكن يعتقد أن (إلياس) من (أصدقاء الظلام).

ولكن (لان) تردد، فظهرت قطرات العرق على وجه (بيرين) وصارت أكثر برودة بفعل الليل، وكانت قد بدأت تسيل على وجنتيه عندما بدأ (الحامي) في الحديث.

«ليس في حد ذاته، لا. البعض يعتقد هذا ولكنهم مخطئون، إنه شيء قديم، وقد ضاع قبل ظهور (سيد الظلام) بوقت طويل. ولكن ما فرصة أن يكون حداد جزءً من الأمر؟ أحيانًا ما يكون (النمط) به بعض العشوائية . من منظورنا على الأقل . ولكن ما فرصة أن تلتقي برجل يمكنه أن يُرشدك إلى شيء كهذا وأن تكون شخصًا يمكنه أن يتبع إرشاده؟ (النمط) يشكل شبكة عظيمة، التي قد يدعوها البعض (نسيج العصور)، وأنتم أيها الفتية في منتصف هذه الشبكة. لا أعتقد الآن أنه قد تبقى الكثير من المصادفات في حياتكم. هل وقع عليكم الاختيار إذن؟ وإن كان الأمر كذلك فما الذي اختاركم، (النور) أم (الظل)؟».

«لا يمكن لـ(سيد الظلام) أن يلمسنا ما لم ننطق باسمه». على الفور تذكر (بيرين) أحلامه عن (بعلزمون)، الأحلام التي كانت أكثر من مجرد أحلام». مسح العرق من على وجهه. «لا يمكنه هذا».

ابتسم (الحامي) وقال: «أنت عنيد كالصخرة، ربما عنيد بما يكفي لإنقاذ نفسك في نهاية المطاف. تذكر الأوقات التي نحيا فيها أيها الحداد، تذكر ما قالته (مويرين سيداي) في هذه الأوقات تتحلل الكثير من الأشياء وتتفكك، الحواجز القديمة تضعف، والأسوار القديمة تتداعى، الحواجز بين ما كان وما هو كائن، وبين ما هو كائن وما سيكون». صار صوته كئيبًا فجأة وهو يقول: «أسوار سجن (سيد الظلام)، قد تكون هذه نهاية عصر، قد نشهد مولد عصر جديد قبل أن نموت. أو ربما هذه هي نهاية العصور، نهاية الزمن ذاته ونهاية العالم». فجأة ابتسم ولكن ابتسامته كانت كئيبة كالعبوس، وعيناه تلمعان بمرح وهو يضحك كأنما في وجه الموت. «ولكن لا يجب علينا أن نقلق بشأن هذا، أليس كذلك أيها الحداد؟ سنقاتل (الظل) ما دام هناك نفس يتردد في صدرنا، وإن استطاع التغلب

علينا فلن يكون هذا بدون عض وخمش. أنتم يا قاطني (النهرين) أكثر عنادًا من أن تستسلموا. إياك أن تقلق بشأن ما قد يغيره (سيد الظلام) في حياتك. أنت هنا الآن بين أصدقائك، وتذكر أن (عجلة الزمن) تنسج بمشيئتها، وحتى (سيد الظلام) لا يمكنه أن يغير هذا، ليس بينما (مويرين) تحرسكم، ولكن من الأفضل لنا أن نعثر على صديقيك قريبًا».

«ما الذي تعنيه؟».

«ليس لديهما أي (آيز سيداي) تلمس (المصدر الحقيقي) لتحميهما. ربما قد ضعفت الأسوار بما يكفي أيها الحداد لكي يلمس (سيد الظلام) بنفسه الأحداث، ليس بيد حرة وإلا لكان أمرنا قد انتهى بالفعل، ولكن ربما تغيير طفيف في الخيوط، صدفة قد تظهر في لحظة دون أخرى، لقاء بالصدفة، أو كلمة بالصدفة، أو ما يبدو كصدفة، ويمكن لهذا أن يغير الكثير تحت (الظل)، وحتى (مويرين) لن تستطيع حينها إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح».

قال (بيرين): «يجب علينا أن نعثر عليهما».

فضحك (الحامي) وقال: «ما الذي كنت أقوله؟ فلتحصل على قسط من النوم أيها الحداد». انسدلت العباءة على ظهر (لان) عندما اعتدل واقفًا. في الضوء الخافت المنبعث عن النيران والقمر بدا أنه جزء من الظلال التي وراءه. «سنواجه أيامًا عصيبة حتى نصل إلى (كايملين). فلتدعُ فقط أن نعثر عليهما هناك».

«ولكن (مويرين)... قالت إن باستطاعتها أن تعثر عليهما في أي مكان، أليس كذلك؟ قالت إنها تستطيع».

«ولكن هل يمكنها أن تعثر عليهما في الوقت المناسب؟ إن كان (سيد الظلام) قويًّا بما يكفي لأن يتدخل بنفسه فإن الوقت ينفد منا. فلتدعُ أن نجدهما في (كايملين) أيها الحداد وإلا ضعنا جميعًا».

الفصل التاسع والثلاثون

نسيج الشبكة

نظر (راند) إلى الحشود من النافذة العالية في غرفته بحانة (مباركة الملكة). كانوا يركضون ويصيحون في الشوارع، وجميعهم يتدفقون في نفس الاتجاه، ويلوحون بالأعلام والرايات. الأسد الأبيض يقف حارسًا في ألف راية حمراء. (الكايمليينيون) والغرباء يركضون معًا، وعلى سبيل التغيير لم يبدُ أن أحدًا يرغب في دفع أي شخص أمامه. ربما اليوم هناك فصيل واحد.

التفت مبتعدًا عن النافذة وهو يبتسم، كان هذا هو أكثر يوم ينتظره، ربما باستثناء اليوم الذي يخطو فيه (إيجوين) و(بيرين) إلى المكان على قيد الحياة وهما يضحكان على ما قد رأياه.

سأل مرة أخرى: «هل أنت قادم؟».

عبس (مات) حيث هو مستلقٍ على فراشه، منكمشًا على نفسه، وقال: «فلتأخذ معك هذا (الترولوك) الذي تعامله بلطف».

«بحق الدماء والرماد يا (مات) إنه ليس (ترولوك)، أنت تتصرف بعناد غبي، كم مرة تريد أن نتجادل في هذا الأمر؟ بحق (النور)، أنت تتصرف وكأنك لم تسمع عن (أوجير) من قبل».

قال (مات): «لم أسمع من قبل أنهم يشبهون (الترولوكيين)». ثم دس وجهه في وسادته وانكمش على نفسه أكثر.

تمتم (راند): «عنيد غبي، إلى متى ستظل مختبئًا بالأعلى هنا؟ أنا لن أستمر في إحضار وجباتك إلى الأعلى صاعدًا كل هذه السلالم إلى الأبد، أنت بحاجة إلى الاستحمام أيضًا». تململ (مات) في فراشه كأنه يحاول أن يدفن نفسه فيه أكثر. تنهد (راند) ثم اقترب من الباب وهو يقول: «آخر فرصة للذهاب معًا يا (مات)، أنا ذاهب الآن». أغلق الباب ببطء وهو يأمل أن يغير (مات) رأيه، ولكن صديقه لم يتحرك. أصدر الباب تكة وهو ينغلق.

في الردهة مال متكئًا على إطار الباب. قال السيد (جيل) إن هناك امرأة عجوزًا تقطن على بعد شارعين، (الأم جروب)، التي تبيع الأعشاب والمراهم بجانب توليد الأمهات والاعتناء بالمرضى وقراءة الطالع، بدت أشبه ما تكون بحكيمة. إن (نانيف) هي ما يحتاجه (مات)، أو ربما (مويرين)، ولكن ليس أمامه سوى (الأم جروب). إن جلبها إلى حانة (مباركة الملكة) قد يجذب النوع الخاطئ من الانتباه له هو و(مات) وكذلك لها، هذا إن كانت ستأتي.

إن المعالجين بالأعشاب والأطباء الجائلين يحاولون البقاء بعيدًا عن الأنظار في (كايملين) هذه الأيام، هناك انتقاد لأي شخص يؤدي أي نوع من الشفاء أو قراءة الطالع. في كل ليلة يُرسم (ناب التنين) على أبواب بيد حرة، وأحيانًا يكون هذا في وضح النهار، والناس قد ينسون من الذي عالجهم من الحُمَّى أو خفف من ألم أسنانهم عندما تتعالى صيحات تتهم أحدهم بأنه من (أصدقاء الظلام). كان هذا هو الجو السائد في المدينة.

لم يكن الأمر وكأن (مات) مريض حقًّا، إنه يأكل كل شيء يحمله إليه (راند) من المطبخ. رغم أنه لا يأخذ أي شيء من يد أي شخص آخر. ولم يشتكِ قط من الوجع أو الحمى، إنه يرفض فقط أن يغادر الغرفة. ولكن

(راند) كان واثقًا أن يومًا كهذا سيجعله يخرج. وضع عباءته على كتفيه، ولف حزام سيفه حول خصره لكي تغطي عباءته سيفه والقماش الأحمر الذي يغلفه بشكل أفضل.

عند أسفل الدرج التقى بالسيد (جيل) الذي كان على وشك الصعود. قال صاحب الحانة من بين غليونه: «هناك شخص ما يسأل عنك في المدينة». أحس (راند) ببارقة أمل. «يسأل عنك وعن أصدقائك بالاسم. عنكم أيها الصغار على أي حال، يبدو أنه يريدكم أيها الفتيان الثلاثة أكثر من أي شخص آخر».

حل القلق محل الأمل و(راند) يسأله: «من؟». رغم هذا لم يستطع أن يمنع نفسه من تفحص الرواق، ولكنه كان خاليًا إلا منهما، من المخرج المؤدي إلى الزقاق وحتى باب الحجرة العامة.

«لا أعرف اسمه، لقد سمعت عنه للتو. أنا أسمع معظم الأشياء في (كايملين)، عاجلًا أو آجلًا». ثم ضحك مستهزئًا وقال: «سمعت أنه شحاذ شبه مجنون، ولكن رغم هذا يمكنه أن يذهب ويأخذ منحة الملكة من القصر، حتى رغم الظروف العصيبة هذه الأيام. في الأعياد تمنح الملكة المنحة بيديها، ولا يُرَدُّ أحد صفر اليدين لأي سبب. لا أحد يحتاج للتسول في (كايملين)، حتى الرجل المطلوب القبض عليه لا يمكن أن يُقبض عليه بينما يأخذ منحة الملكة».

سأله (راند) مترددًا: «أهو من (أصدقاء الظلام)؟». *إن كان (أصدقاء الظلام) يعرفون أسماءنا...*

«إن التفكير في (أصدقاء الظلام) مسيطر على عقلك أيها الشاب. إنهم بالأرجاء بالتأكيد، ولكن فقط لأن أصحاب العباءات البيضاء يؤلبون الجميع فإن هذا ليس سببًا يجعلك تعتقد أن المدينة مليئة بهم. هل تعرف أي نوع من الشائعات يروج لها هؤلاء الحمقى الآن؟ أشكال غريبة! هل

يمكنك أن تصدق هذا؟ أشكال غريبة تتسلل في الأرجاء خارج المدينة في الليل». ضحك صاحب الحانة حتى اهتز بطنه.

لم يشعر (راند) مثله بأن الأمر مضحكًا، لقد تحدث (هيوم كينش) عن أشكال غريبة، وقد كان ثمة (عاتم) هناك بالفعل. «أي نوع من الأشكال؟».

«أي نوع؟ لا أعرف أي نوع، أشكال غريبة، (ترولوكيون) على الأرجح، (رجل الظل)، (ليوز ثيرين قاتل أهله) قد عاد بارتفاع خمسين قدمًا. أي نوع من الأشكال تعتقد أن الناس تتخيله الآن مع الأفكار التي في رؤوسهم؟ إنه ليس شيئًا يدعونا للقلق». تفحصه السيد (جيل) بنظره للحظة ثم قال: «أنت ذاهب إلى الخارج، أليس كذلك؟ حسنًا لا يمكنني أن أقول إنني أبالي بالأمر، حتى اليوم، ولكن لا يكاد يوجد أي شخص بالحانة سواي. ألن يخرج صديقك؟».

«لا يشعر (مات) أنه على ما يرام. ربما في وقت لاحق».

«حسنًا، فليكن، انتبه لنفسك، فإن رجال الملكة الصالحين أقلية اليوم، فليحرق (النور) اليوم الذي فكرت فيه أن أرى شيئًا كهذا. من الأفضل أن تغادر عن طريق الزقاق، هناك اثنان من هؤلاء الخونة الملاعين يجلسان على الجانب الآخر من الشارع يراقبان الباب الأمامي، إنهما يعرفان إلى أي جانب أنحاز بحق (النور)!».

أخرج (راند) رأسه ونظر في كلا الاتجاهين قبل أن يخطو إلى الزقاق، كان هناك رجل ضخم الجثة قد استأجره السيد (جيل) يقف عند مقدمة الزقاق متكئًا على رمح وهو يراقب الناس الذين يركضون من أمامه بعدم اهتمام ظاهري، كان (راند) يعرف أنه ظاهري فقط. كان الرجل . اسمه (لامجوين) . يرى كل شيء بهاتين العينين الخاملتين، ورغم ضخامة جسده إلا أن باستطاعته أن يتحرك بخفة كالقطة. كان يعتقد أيضًا أن الملكة (مورجيز)

هي (النور) متجسدًا في هيئة بشرية، أو شيء قريب من هذا، وكان هناك أكثر من عشرة من أمثاله متناثرين حول حانة (مباركة الملكة).

ارتعشت أذنا (لامجوين) عندما وصل (راند) إلى مقدمة الزقاق، ولكنه لم يُبعد عينيه الخاملتين عن الشارع. كان (راند) يعرف أن الرجل قد سمعه وهو يقترب.

«انتبه لنفسك اليوم يا رجل». كان صوت (لامجوين) عميقًا. «عندما تبدأ المتاعب فسيكون من المفيد وجودك معنا هنا، ليس في مكان آخر بسكين في ظهرك».

نظر (راند) إلى الرجل الضخم بدهشة ولكنه لم ينطق بكلمة، لقد حاول دومًا أن يُخفي سيفه عن الأنظار، ولكن هذه لم تكن المرة الأولى التي يفترض فيها أحد رجال السيد (جيل) أنه يعرف كيف يُقاتل. لم يُبادله (لامجوين) النظر، كانت مهمة الرجل هي أن يحرس الحانة، وكان يفعل هذا.

دفع (راند) سيفه إلى الوراء قليلًا تحت عباءته ثم انضم إلى تدفق الناس. رأى الرجلين اللذين ذكرهما صاحب الحانة يقفان على برميلين على الجانب الآخر من الشارع المقابل للحانة حتى يقدرا على رؤية الحشد. لم يعتقد أنهما قد لاحظاه وهو يخرج من الزقاق. لم يُبديا أدنى مجهود لإخفاء ولائهما، لم يقتصر الأمر على تغليف سيفيهما باللون الأبيض وربطهما بأشرطة حمراء، بل كانا يرتديان شارات بيضاء على ذراعيهما وقبعتيهما.

لم يكن قد أمضى وقتًا طويلًا في (كايملين) قبل أن يعرف أن تغليف السيف باللون الأحمر أو ارتداء شارة حمراء على الذراع أو القبعة يعني دعم الملكة (مورجيز). اللون الأبيض يعني لوم الملكة - وتورطها مع (الآيز سيداي) و(تار ڤالون) - على كل الأمور التي جرت على نحو سيئ؛ الطقس والمحاصيل الهزيلة وربما حتى (التنين الكاذب).

لم يكن يرغب في أن يتورط في سياسة (كايملين)، ولكن الأوان قد فات، لم يكن هذا فقط لأنه قد اختار جانبًا بالفعل عن طريق الصدفة، ولكن الأمور في المدينة قد وصلت إلى حد لا يسمح لأحد بالبقاء محايدًا. حتى الغرباء كانوا يرتدون شارات على قبعاتهم وأذرعهم أو يغلفون سيوفهم. وقد كان هناك لون أبيض أكثر من الأحمر. ربما بعضهم لم يفكر في الأمر بهذه الطريقة، ولكنهم كانوا بعيدين عن ديارهم، وكان هذا هو الشعور السائد في (كايملين). الرجال الذين يدعمون الملكة كانوا يخرجون في مجموعات لحماية أنفسهم، هذا إن خرجوا على الإطلاق.

ولكن اليوم كان الأمر مختلفًا، ظاهريًّا على الأقل، اليوم تحتفل (كايملين) بانتصار (النور) على (الظل)، اليوم سيُجلب (التنين الكاذب) إلى المدينة ليُعْرَض على الملكة قبل أن يؤخذ شمالًا إلى (تار ڤالون).

لم يكن هناك أحد يتحدث عن هذا الجانب من الأمر، لا أحد يمكنه أن يتعامل مع رجل يقدر حقًّا على استخدام (القوة الواحدة) سوى (الآيز سيداي) بالطبع، ولكن لم يرغب أحد في الحديث عن هذا. لقد هزم (النور) (الظل)، وكان جنود (أندور) في طليعة المعركة، اليوم كان هذا هو المهم حقًّا، اليوم يمكن نسيان كل شيء آخر.

تساءل (راند) إن كان هذا من الممكن حقًّا، كان الحشد يركضون وهم يغنون ويلوحون بالرايات ويضحكون، ولكن الرجال الذين يظهرون اللون الأحمر ظلوا معًا في مجموعات من عشرة أو عشرين، ولم يكن هناك أي نساء أو أطفال معهم. فكر أن هناك على الأقل عشرة رجال يشهرون اللون الأبيض مقابل كل رجل يعلن ولاءه للملكة. لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يتمنى فيها لو كان القماش الأبيض هو الأرخص، ولكن هل كان السيد (جيل) ليساعده إن كان يُشهر اللون الأبيض؟

كان الحشد كثيفًا حتى إنه لم يكن هناك مفر من التدافع، حتى أصحاب العباءات البيضاء لم يتمتعوا بمساحاتهم المفتوحة الصغيرة في زحام اليوم. بينما (راند) يترك الحشد يحمله ناحية (المدينة الداخلية) أدرك أنه لم يُكبح جماح كل العداوات اليوم. رأى واحدًا من (أبناء النور) - واحدًا من ثلاثة - يرتطم به أحدهم بقوة حتى كاد أن يسقط. بالكاد تمالك صاحب العباءة البيضاء نفسه وهو يحدق بسبة غاضبة إلى الرجل الذي قد اصطدم به، ولكن رجلًا آخر صدمه بكتفه بشكل متعمد. وقبل أن تزداد الأمور سوءًا جذبه رفيقاه إلى جانب الشارع حيث يمكنهم أن يحتموا في أحد المداخل. بدا أن الثلاثة مترددون بين نظراتهم الحادة المعتادة وعدم التصديق. تدفق الحشد من جوارهم كأن أحدًا لم يلاحظ ما حدث، وربما لم يلاحظه أحد بالفعل.

لم يكن أحد ليجرؤ على فعل شيء كهذا قبل يومين، وعلاوة على ذلك أدرك (راند) أن الرجلين اللذين فعلا هذا يرتدي كل واحد منهما شارة بيضاء على قبعته. كان من المعروف على نطاق واسع أن أصحاب العباءات البيضاء يدعمون هؤلاء الذين يعارضون الملكة ومستشارتها (الآيز سيداي)، ولكن هذا لم يصنع فارقًا. إن الناس يفعلون أشياء كانوا من قبل يخافون حتى من التفكير فيها. اليوم يدفعون واحدًا من أصحاب العباءات البيضاء، وفي الغد ربما يسقطون ملكة؟ فجأة تمنى لو أن هناك المزيد من الرجال بالقرب منه ممن يشهرون اللون الأحمر. إن الشارات البيضاء المتدافعة من حوله جعلته يشعر فجأة أنه وحيد للغاية.

لاحظ أصحاب العباءات البيضاء أنه ينظر إليهم فبادلوه التحديق كأنهم يواجهون تحديًا. ترك نفسه يتدفق مع حشد يموج بالغناء وانضم إلى أغنيتهم.

«إلى الأمام يا أسد،

إلى الأمام يا أسد،

الأسد الأبيض في ميدان القتال.

يزأر متحديًا في وجه الظل.

إلى الأمام يا أسد،

إلى الأمام، (أندور) تنتصر».

كان المسار الذي سيُجلب (التنين الكاذب) عبره إلى (كايملين) معروفًا جيدًا، هذه الشوارع قد أُخليت من الناس بصفوف متماسكة من (حرس الملكة) وجنود في عباءات حمراء يحملون الرماح. ولكن الناس قد تزاحموا على حواف هذه الشوارع كتفًا إلى كتف، حتى في النوافذ وأسطح البيوت. شق (راند) طريقه إلى (المدينة الداخلية) محاولًا أن يقترب من القصر، كان يفكر بعض الشيء بالفعل في رؤية (لوجاين) يُعرض على الملكة. أن يرى (التنين الكاذب) والملكة، كليهما... لم يكن حتى ليحلم بمثل هذا الشيء عندما كان في الديار.

كانت (المدينة الداخلية) مبنية على تلال، ولا يزال معظم ما بناه (الأوجير) قائمًا. بينما كانت الشوارع في (المدينة الجديدة) تتدفق في كل اتجاه بشكل يبدو فوضويًا، كانت الشوارع هنا تتبع منحنيات التلال كأنها جزء طبيعي من الأرض. كانت المرتفعات والمنخفضات تُظهر مشاهد مفاجئة عند كل منحنى؛ متنزهات يمكن رؤيتها من زوايا مختلفة حتى من الأعلى، حيث تصنع المماشي والنُصب التذكارية فيها أنماطًا تسر العين، رغم أنه بالكاد هناك أي خضرة تحيط بها. أبراج تتكشف فجأة، وجدرانها المغطاة بالبلاط تلمع في ضوء الشمس بمئات من الألوان المتغيرة. مرتفعات مفاجئة حيث يُمكن للرائي أن ينظر إلى المدينة بأسرها، إلى الغابات والسهول الممتدة من ورائها. إجمالًا كان شيئًا من الممكن أن يستمتع برؤيته لولا الحشد الذي يدفعه للأمام قبل أن يجد فرصة لاستيعابه حقًّا. كل هذه الشوارع المنحنية جعلت من المستحيل أن يرى المرء بعيدًا أمامه.

فجأة دفعه الحشد عند أحد المنعطفات، وهنالك كان القصر. رغم أن الشوارع تتبع المنحنيات الطبيعية للأرض، إلا أنها قد صُممت بشكل حلزوني يؤدي إلى هذا المشهد. لقد بدا كمشهد من حكاية صانع بهجة عن أبراج بيضاء وقباب ذهبية وتصميمات حجرية متداخلة مع رايات (أندور) تلوح من كل مكان بارز، قطعة مركزية قد صُممت من أجلها كل المشاهد الأخرى. لقد بدت منحوتة على يد فنان وليست مبنية كالمباني العادية.

هذا المشهد العابر جعله يُدرك أنه لن يقدر على الاقتراب أكثر من هذا. غير مسموح لأحد بالاقتراب من القصر. كان (حرس المملكة) يقفون في عشرات من الصفوف الحمراء على جانبي بوابات القصر. على طول الأسوار البيضاء وفي الشرفات والأبراج يقف المزيد من الحراس بصرامة وأقواسهم موضوعة بدقة على صدورهم المغطاة بالدروع. لقد بدوا أيضًا كشيء من حكاية صانع بهجة، حرسًا شرفيين، ولكن (راند) لم يعتقد أن هذا هو سبب وجودهم هناك، كان الحشد الصاخب يُطوِّق الشوارع بصفوف متماسكة كصفوف الحرس تقريبًا، مع سيوف مغلفة باللون الأبيض وشارات بيضاء على الأذرع والقبعات. ولكن من آن لآخر يتخلل اللون الأبيض عُقدة من لون أحمر، بدا الزي الأحمر الموحد للحراس حاجزًا هشًّا في مواجهة كل هذا البياض.

بعد أن تخلى عن فكرة الاقتراب من القصر فكر في مكان يمكنه أن يستفيد فيه من طوله، لم يكن مضطرًّا لأن يقف في الصف الأمامي لكي يرى كل شيء. كان الحشد يتدافع باستمرار وهم يحاولون الاقتراب من المقدمة، بينما الناس يندفعون إلى ما يعتقدون أنه أفضل نقطة للرؤية. في واحدة من هذه الاندفاعات وجد نفسه على بعد ثلاثة أشخاص فقط من الشارع الخالي، وكل من أمامه أقصر منه بما فيهم حاملو الرماح، كان الجميع تقريبًا أقصر منه. كان الناس يتزاحمون من على جانبيه ويتصببون عرقًا بفعل احتشاد الكثير من الأجساد، هؤلاء الذين من وراءه كانوا

يتمتمون بشأن عدم قدرتهم على الرؤية ويحاولون أن يتملصوا ليتجاوزوه. تشبث بموضعه صانعًا جدارًا منيعًا مع هؤلاء الواقفين على كلا جانبيه. كان راضيًا، فعندما يمر (التنين الكاذب) سيكون قريبًا بما يكفي لرؤية وجه الرجل بوضوح.

على الجانب الآخر من الشارع وبالقرب من البوابات المؤدية إلى (المدينة الجديدة) حدث تموج في الحشد المزدحم. عند المنعطف كانت دوامة من الناس تتراجع لتسمح لشيء ما بالمرور، لم تكن تشبه المساحة الفارغة التي تلحق بأصحاب العباءات البيضاء في أي يوم عدا هذا، كان الناس يدفعون أنفسهم إلى الوراء بنظرات خائفة تحولت إلى امتعاض، يبذلون قصارى جهدهم للابتعاد عن الطريق وهم يشيحون بوجوههم عن هذا الشيء أيًّا ما كان، ولكنهم يراقبونه من طرف أعينهم حتى يمر.

لاحظت الأعين الأخرى المحيطة به هذا الاضطراب بدورها، وربطوا هذا بمجيء (التنين)، ولكن بما أنه لا يوجد شيء لفعله سوى الانتظار وجد الحشد أن كل شيء يستحق التعليق عليه. سمع تكهنات بشأن هوية القادم؛ بدءًا من واحدة من (الآيز سيداي) وحتى (لوجاين) نفسه، وبعض التعليقات البذيئة تسببت في ضحكات فظة من الرجال ونظرات مزدرية من النساء.

اتسع التموج عبر الحشد مقتربًا من جانبي الشارع مع تقدمه، لم يبدُ على أحد التردد في تركه يمضي إلى حيث يشاء، حتى لو كان هذا يعني خسارة موضع جيد للمشاهدة بينما الحشد يتدفق عائدًا من جديد بعد مروره. وأخيرًا تدافع الحشد في الشارع على الناحية المقابلة لـ(راند)، دافعين حاملي الرماح ذوي العباءات الحمراء جانبًا، الذين كافحوا لإعادتهم إلى الوراء قبل أن ينكسر الصف. الجسم المنحني الذي جر قدميه بتردد عبر المساحة الفارغة بدا أشبه بكومة من أسمالٍ بالية أكثر من كونه رجلًا. سمع (راند) تمتمات الاشمئزاز من حوله.

توقف الرجل الرث عند الجانب الآخر من الشارع، غطاء رأسه ممزق ومغطى بالأوساخ، يتأرجح كأنما يبحث عن شيء ما، أو يُنصت السمع. فجأة صرخ في جنون وهو يشير بأظافر يده المتسخة نحو (راند)، وبدون مقدمات بدأ يركض متخبطًا في الشارع كحشرة.

الشحاذ! أيًّا كانت الصدفة التعيسة التي أدت بالرجل لأن يعثر عليه هكذا فإن (راند) كان واثقًا من أنه سواء كان من (أصدقاء الظلام) أو لا فإنه لم يرغب في لقائه وجهًا لوجه. كان باستطاعته أن يشعر بعيني الشحاذ كسائل لزج على جلده. لم يرغب في أن يقترب الرجل منه هنا تحديدًا، محاطًا بأناس على شفير العنف. نفس الأصوات التي كانت تضحك من قبل صارت تسبه وهو يشق طريقه عائدًا مبتعدًا عن الشارع.

أسرع وهو يعرف أن الحشد المكتظ الذي يشق طريقه من بينه بصعوبة سيتموج وينفتح أمام الرجل القذر. كان يبذل جهدًا كبيرًا لكي يشق طريقه عبر الحشد فتعثر وكاد أن يسقط عندما انفتح الحشد فجأة. أخذ يلوح بذراعيه ليحافظ على توازنه ثم حوَّل ترنحه إلى ركض. كان الناس يشيرون إليه، فقد كان الشخص الوحيد الذي لا يحاول شق طريقه إلى الاتجاه الآخر، بل ويركض أيضًا. لاحقته الصيحات. كانت عباءته ترفرف من ورائه كاشفة عن سيفه المغلف بالأحمر، عندما أدرك هذا ركض بشكل أسرع، إن شخصًا وحيدًا راكضًا من مؤيدي الملكة قد يثير حفيظة مجموعة من أصحاب الشارات البيضاء لملاحقته، حتى في يوم كهذا. ركض وساقاه الطويلتان تطويان الأرض المرصوفة بالحجارة طيًّا. وما إن اختفت الصيحات بعيدًا وراءه حتى سمح لنفسه بأن ينهار متكئًا إلى جدار وهو يلهث.

لم يكن يعرف أين هو، باستثناء أنه لا يزال في (المدينة الداخلية)، لم يستطع أن يتذكر عدد المرات التي انعطف فيها عبر هذه الشوارع الملتوية. استعد لأن يركض مرة أخرى ثم نظر وراءه عبر الطريق الذي جاء منه. كان هناك شخص واحد يتحرك في الشارع، امرأة تمشي بهدوء وهي تحمل سلة

تسوق. إن كل شخص في المدينة تقريبًا قد ذهب لإلقاء نظرة على (التنين الكاذب). *لا يمكن أن يكون قد لحق بي، لا شك أنني قد هربت منه.*

ولكن الشحاذ لن يستسلم، كان واثقًا من هذا. رغم أنه لم يستطع معرفة السبب. إن هذا الرجل الرث يشق طريقه عبر الحشد في هذه اللحظة، بحثًا عنه، وإن عاد (راند) لرؤية (لوجاين) فإنه يغامر بلقائه. فكر للحظة أن يعود إلى حانة (مباركة الملكة)، ولكنه كان واثقًا من أنه لن يجد فرصة أخرى لرؤية ملكة، كان يأمل ألا يكون لديه فرصة أخرى لرؤية (تنين كاذب). أحس أن هناك نوعًا من الجبن في ترك شحاذ منحني الجسد. حتى لو كان من (أصدقاء الظلام). يطارده ويجبره على الاختباء.

تلفت حوله وهو يفكر في الأمر، كانت المدينة مصممة بطريقة تجعل المباني خفيضة. إن كان هناك أي مبانٍ على الإطلاق. لذا فإن الشخص الذي يقف في بقعة معينة لن يجد شيئًا يحجب رؤيته. لا شك أن هناك أماكن يمكنه منها أن يرى مرور الموكب بـ(التنين الكاذب)، حتى لو لم يتمكن من رؤية الملكة فإنه سيتمكن من رؤية (لوجاين). انطلق وقد حسم أمره.

في الساعة التالية عثر على عدة أماكن كهذه، وكل مكان كان مكتظًّا بالناس الذين يتجنبون الاختناق الموجود على جانبي مسار الموكب. كانت الشارات البيضاء طاغية بدون أي لون أحمر على الإطلاق. بالتفكير فيما قد يحدث له إن شوهد سيفه في حشد كهذا كان يتسلل مبتعدًا بحذر وسرعة.

تعالت الصيحات من (المدينة الجديدة)، مع نفير الأبواق وقرع الطبول الحربية. (لوجاين) وموكبه قد وصلوا بالفعل إلى (كايملين)، ويشقون طريقهم إلى القصر.

راح يتجول في الشوارع الخاوية في إحباط وهو لا يزال يأمل في يأس أن يجد طريقة ما لرؤية (لوجاين). وقعت عيناه على منحدر خالٍ من المباني، ويعلو فوق الشارع الذي يمشي فيه. في أي ربيع معتاد سيكون مغطى بالزهور والحشائش، ولكنه في تلك اللحظة كان بُنيًّا بالكامل حتى السور العالي على قمته، الذي كانت قمم الأشجار مرئية من فوقه.

هذا الجزء من الشارع لم يكن مصممًا لرؤية أي مشهد عظيم، ولكن أمامه مباشرة فوق الأسطح كان بإمكانه أن يرى بعض أبراج القصر، تعلوها رايات الأسد الأبيض وهي تخفق مع الرياح. لم يكن واثقًا إلى أين يمتد الشارع الملتوي بعد أن يلتف حول التل ويختفي عن نظره، ولكنه فجأة فكر في السور الذي يعلو قمة التل.

كانت الطبول والأبواق تقترب أكثر، والصيحات تتعالى. أسرع في قلق صاعدًا المنحدر. لم يكن سهل التسلق، ولكنه غرس حذاءه في النباتات الميتة، وجذب نفسه لأعلى متشبثًا بيديه إلى شجيرات عارية من الأوراق. أخذ يلهث في لهفة بقدر ما هو يلهث من الجهد المبذول، وهو يندفع قاطعًا الأذرع القليلة المتبقية حتى السور. كان يعلو من فوقه، ضعف طوله أو أكثر. تردد في الهواء دوي قرع الطبول ونفير الأبواق.

كان وجه السور قد تُرك في حالته الصخرية الطبيعية، كتل ضخمة من الأحجار مثبتة معًا بشكل مُحكم بحيث كانت الفواصل غير مرئية تقريبًا، وجعلته الهيئة الخشنة يكاد يبدو منحدرًا طبيعيًّا. ابتسم (راند)، فقد كانت المنحدرات وراء تلال الرمال أكثر ارتفاعًا، وحتى تلك كان (بيرين) قادرًا على تسلقها. تحسس بيديه بحثًا عن نتوءات صخرية بينما يحاول أن يجد لنفسه موطئ قدم. كان يسابق الطبول وهو يتسلق، رافضًا أن يسمح لها بالانتصار. سيصل إلى القمة قبل أن يصلوا إلى القصر. في تعجله كان الصخر يجرح يديه ويكشط ركبتيه عبر سرواله. ولكنه رفع ذراعيه ممسكًا بقمة السور جاذبًا نفسه لأعلى وهو يشعر بالانتصار.

لف جسده في عجالة ليجلس على قمة السور المسطحة الضيقة، كانت الأغصان المورقة لشجرة عالية تبرز فوق رأسه، ولكنه لم يُبالِ بالأمر. نظر عبر الأسطح المكسوة بالبلاط ولكن من حيث يجلس فوق السور كان مجال رؤيته واضحًا. مال للأمام قليلًا لكي يتمكن من رؤية بوابة القصر، والحرس المتأهبين، والحشد المنتظر. الجميع منتظرون، يُغْرِق صيحاتهم دوي الطبول والأبواق، ولكنهم لا يزالون ينتظرون. ابتسم وهو يقول لنفسه؛ *لقد انتصرت.*

ولكن بينما يستقر في موضعه انعطف أول جزء من الموكب عند المنحنى الأخير قبل القصر. جاء أولًا عشرون صفًّا من نافخي الأبواق، يشقون الهواء بنفير ظافر تلو الآخر، معزوفة انتصار. من ورائهم نفس العدد من قارعي الطبول يضربون طبولهم. ثم جاءت رايات (كايملين)، الأسد الأبيض على خلفية حمراء يحملها رجال على صهوة الخيول، يتبعهم جنود (كايملين)، صف تلو الآخر من الخيالة، دروعهم تلمع وهم يشهرون رماحهم في فخر، والأعلام الحمراء ترفرف. على جانبيهم ثلاثة أضعاف من الصفوف من حاملي الرماح ورماة الأسهم. اقترب الموكب أكثر وأكثر حتى بدأ الخيالة يمرون من بين الحرس المنتظرين وعبر بوابات القصر.

ظهر آخر المشاة عند المنعطف، ومن ورائهم عربة ضخمة يجرها ستة عشر حصانًا. في منتصفها قفص ضخم من قضبان حديدية، وفي كل ركن من العربة تجلس امرأتان تراقبان القفص باهتمام شديد كأن الموكب والحشد غير موجودين على الإطلاق، إنهن من (الآيز سيداي) بالتأكيد. ما بين العربة والمشاة على كلا الجانبين عشرة من (الحماة) على صهوة خيولهم، وعباءاتهم تدور وتدغدغ الأعين. بينما (الآيز سيداي) يتجاهلن الحشد كان (الحماة) يتفحصونه كأنه لا يوجد حرس سواهم.

ورغم كل هذا كان الرجل الموجود في القفص هو من جذب اهتمام (راند). لم يكن قريبًا بما يكفي لرؤية وجه (لوجاين) كما كان يريد، ولكنه فكر فجأة أنه لم يكن بحاجة لأن يكون قريبًا أكثر من هذا. كان (التنين

الكاذب) رجلًا طويلًا بشعر أسود طويل ينسدل على كتفيه العريضتين. كان يحافظ على وقوفه منتصبًا رغم تمايل العربة، ممسكًا بيده بالقضبان المعدنية فوق رأسه. بدت ملابسه عادية، عباءة ومعطفًا وسروالًا، فما كانت لتجذب الانتباه في أي قرية ريفية، ولكن الطريقة التي يرتدي بها ملابسه، الطريقة التي يقف بها منتصبًا، هذا جعل (لوجاين) يبدو ملكًا من رأسه حتى أخمص قدميه، كأن القفص ليس موجودًا على الإطلاق. كان يقف منتصب القامة شامخ الرأس وهو ينظر إلى الحشد كأنهم قد جاؤوا للاحتفاء به، وأينما نظر كان الناس هناك يلوذون بالصمت محدقين في رهبة، وعندما تبتعد عينا (لوجاين) عنهم يصرخون بغضب مضاعف كأنما ليعوضوا به صمتهم، ولكن هذا لم يصنع فارقًا في الطريقة التي يقف بها الرجل، أو الصمت الذي يتبع نظراته مع تحرك الموكب. بينما العربة تمر عبر بوابات القصر التفت لينظر وراءه نحو الجماهير المحتشدة، صرخوا في وجهه بما يفوق الكلمات، موجة من الكراهية والخوف الحيواني، فأمال (لوجاين) رأسه للوراء وضحك بينما القصر يبتلعه.

كان هناك فصائل أخرى تسير وراء العربة، مع رايات تمثل المزيد من هؤلاء الذين قد قاتلوا وهزموا (التنين الكاذب)، النحل الذهبي لـ(إليان)، الأهلة البيضاء الثلاثة لـ(تير)، الشمس المشرقة لـ(كايرين)، والمزيد من الرايات الأخرى، لأمم ومدن، ورجال عظماء بأبواقهم وطبولهم الخاصة التي تتغنى بعظمتهم. لم يكن هذا مثيرًا للحماس بعد رؤية (لوجاين). مال (راند) للأمام أكثر محاولًا أن يُلقي نظرة أخيرة على الرجل الحبيس. *لقد هُزِم، أليس كذلك؟ بحق (النور)، لم يكن ليوضع في قفص لعين لو لم يكن قد هُزِم.*

اختل توازنه وانزلق فأمسك بقمة السور، جاذبًا نفسه لأعلى إلى موضع أكثر أمانًا بعض الشيء. مع اختفاء (لوجاين) أدرك أن يديه تؤلمانه، حيث قد كشطت الأحجار يديه وأصابعه. رغم هذا لم يستطع أن يُبعد الصور عن ذهنه، القفص و(الآيز سيداي)، (لوجاين) غير مهزوم، بغض

النظر عن القفص لم يكن هذا رجلًا مهزومًا، ارتجف وهو يفرك يديه المتألمتين على فخذيه.

تساءل بصوت عالٍ: «لِمَ كن (الآيز سيداي) يراقبنه؟».

«إنهن يمنعنه من لمس (المصدر الحقيقي) أيها الأحمق».

رفع رأسه لأعلى بحدة لينظر ناحية صوت الفتاة، وفجأة اختل توازنه ولم يكن لديه وقت سوى ليُدرك أنه يسقط إلى الوراء ويهوي عندما ارتطم شيء برأسه ولاحقه صوت ضحكة (لوجاين) بينما يغرق عقله في ظلام دامس.

الفصل الأربعون

الشبكة تُحكم الخناق

لقد بدا لـ(راند) أنه يجلس إلى طاولة مع (لوجاين) و(مويرين). جلست (الآيز سيداي) و(التنين الكاذب) يراقبانه في صمت، كأن أيًّا منهما لا يشعر بوجود الآخر. فجأة أدرك أن جدران الحجرة تصير مبهمة وتتلاشى إلى لون رمادي. كان هناك إحساس بالعُجالة يتنامى بداخله، كل شيء يتلاشى ويصير ضبابيًّا. عندما عاد بنظره إلى الطاولة كانت (مويرين) و(لوجاين) قد اختفيا، بينما يجلس (بعلزمون) بدلًا منهما. كان جسد (راند) بالكامل يهتز مع إحساسه بالعجالة، وهناك طنين بداخل رأسه يصير أعلى وأعلى، حتى جعل الطنين الدماء تنبض في أذنيه.

انتفض وهو يعتدل جالسًا ويتألم ممسكًا برأسه وهو يترنح. كانت جمجمته كلها تؤلمه، عثرت يده على موضع رطب لزج في شعره، كان جالسًا على الأرض فوق العشب الأخضر. أزعجه هذا بشكل مبهم ولكن رأسه كان يدور وكل شيء ينظر إليه يتمايل، وكل ما استطاع التفكير فيه هو أن يستلقي حتى ينتهي كل هذا.

السور! صوت الفتاة!

استند بإحدى يديه على العشب وهو يتلفت حوله ببطء، كان مضطرًّا لأن يفعل هذا ببطء، فعندما يحرك رأسه بسرعة يبدأ كل شيء في الدوران مرة أخرى. كان في حديقة أو متنزه، ممشى مرصوف بالأردواز، يتعرج عبر شجيرات مزهرة على مسافة لا تزيد عن ستة أقدام، وبجانبه مقعد حجري أبيض وشجرة مورقة فوق المقعد من أجل التظليل عليه. لقد سقط بداخل السور، وماذا عن الفتاة؟

عثر على الشجرة، على مسافة قريبة وراء ظهره، وعثر على الفتاة أيضًا، تهبط من عليها. وصلت الأرض والتفتت لتنظر إليه، فرمش بعينيه وتأوه مرة أخرى. كانت تضع على كتفيها عباءة مخملية من لون أزرق داكن، مبطنة بفراء أبيض. كان غطاء الرأس يتدلى إلى الوراء حتى خصرها مع مجموعة من الكرات الفضية في قمته تصدر رنينًا مع حركته. كان هناك طوق فضي مزخرف يجمع شعرها الطويل الأحمر الذهبي المموج، وحلقات فضية دقيقة تتدلى من أذنيها، بينما كان هناك عُقْدٌ فضي ثقيل به أحجار كريمة خضراء داكنة. فكر أنها من الزمرد. يلتف حول عنقها. كان فستانها الأزرق الفاتح ملطخًا ببقع من اللحاء بسبب تسلقها الشجرة، ولكنه كان لا يزال حريريًّا ومطرزًا بتصميمات دقيقة للغاية، وتنورتها مزخرفة بخطوط من لون زبدي. كان هناك حزام عريض من فضة منسوجة يُحيط بخصرها، ويطل من تحت حافة فستانها نعل مخملي.

لم يكن قد رأى من قبل إلا امرأتين ترتديان ملابس من هذا الطراز؛ (مويرين)، و(صديقة الظلام) التي حاولت قتله هو و(مات). لم يستطع أن يتصور من يُمكن أن يختار تسلق الأشجار في ملابس كهذه، ولكنه كان واثقًا من أنها شخص مهم، وضاعف من هذا الانطباع الطريقة التي تنظر بها إليه. لم تبدُ منزعجة مطلقًا لسقوط غريب في حديقتها. كان هناك هالة من الثقة بالنفس تحيط بها جعلته يفكر في (ناينيف) و(مويرين).

كان منشغلًا تمامًا بالقلق بشأن إذا ما كان قد أوقع نفسه في مشكلة، إذا ما كانت شخصًا قادرًا على أن يُنادي (حرس الملكة) حتى في يوم كهذا بينما لديهم أشياء أخرى لتشغلهم، حتى أنه احتاج إلى بضع دقائق لكي ينظر إلى ما وراء الملابس الفخمة والاعتداد النبيل بالنفس ويرى الفتاة نفسها. كانت أصغر منه ربما بعامين أو ثلاثة، وطويلة بالنسبة لكونها فتاة، وجميلة. وكان وجهها بيضاويًّا بشكل مثالي ومحاطًا بالشعر المتموج الذي يُشبه زهرة الشمس، وشفتاها ممتلئتان وحمراوان، وعيناها زرقاوان بشكل يفوق تصديقه. كانت مختلفة تمامًا عن (إيجوين) في الطول والوجه والجسد، ولكنها جميلة مثلها في كل شيء. أحس بوخزة من تأنيب الضمير ولكنه قال لنفسه إن إنكار ما تراه عيناه لن يجلب (إيجوين) بأمان إلى (كايملين) بشكل أسرع.

جاء صوت خشخشة من أعلى الشجرة وتساقطت أجزاء صغيرة من اللحاء، ثم قفز فتى بخفة ليهبط على الأرض وراء الفتاة، كان أطول منها بحيث يصل رأسها إلى كتفيه، وأكبر منها سنًّا بعض الشيء، ولكن وجهه وشعره بينًا أنه من أقاربها. كان معطفه وعباءته من لون أحمر وأبيض وذهبي، مطرزين ومزركشين، ورغم كونه ذكرًا إلا أن ملابسه كانت مزخرفة أكثر من ملابسها. ضاعف هذا من قلق (راند)، أي رجل عادي لا يرتدي شيئًا من هذا القبيل إلا في أيام العيد، وحتى حينها لا تكون بمثل هذه العظمة. لم يكن هذا متنزهًا عامًا، ربما الحرس مشغولون للغاية على أن يبالوا بالمتطفلين.

تفحص الفتى (راند) من فوق كتف الفتاة وهو يلمس بأصابعه خنجرًا معلقًا في خاصرته. لم يبدُ عليه أنه يفكر في استخدامه حقًّا، بل بدت مجرد عادة له يفعلها عند التوتر، أو على الأقل لم يكن يفكر في الأمر تمامًا. كانت نفس الهالة من الثقة بالنفس تحيط به مثل الفتاة، وبدا كلاهما كأحجية تحتاج إلى حل. انتابه إحساس غريب بأن الفتاة على الأقل تصنف كل شيء فيه بدءًا من حالة حذائه إلى بساطة عباءته.

قال الفتى فجأة: «لن تتوقف أمنا عن تقريعنا إن عرفت بما حدث يا (إيلاين). لقد أمرتنا أن نظل في غرفتينا، ولكن كان يجب أن تصري على رؤية (لوجاين)، أليس كذلك؟ الآن انظري ما الذي جلبه علينا هذا».

«اصمت يا (جاوين)». كان من الواضح أنها أصغر الاثنين ولكنها كانت تتحدث وكأن طاعته لها أمر مفروغ منه. تلوى وجه الفتى كأن لديه المزيد ليقوله، ولكنه لدهشة (راند) ظل صامتًا. فجأة قالت: «هل أنت بخير؟».

احتاج (راند) لدقيقة حتى يُدرك أنها تتحدث إليه. عندما أدرك هذا حاول أن يعتدل واقفًا على قدميه وهو يقول: «أنا بخير، أنا فقط...». ترنح ولم تقدر ساقاه على حمله، فجلس بقوة ورأسه يدور. تمتم قائلًا: «أنا فقط تسلقت السور». حاول أن يعتدل واقفًا مرة أخرى ولكنها وضعت يدها على كتفه لكي يظل جالسًا. كان يشعر بدوار شديد حتى إن أقل ضغطة كانت كافية لتثبيته في موضعه.

«أنت مصاب». جثت على ركبتيها بجانبه في وقار. وبرفق أزاحت أصابعها الشعر الملبد بالدماء على الجانب الأيسر من رأسه. «لا شك أنك قد اصطدمت بغصن أثناء سقوطك، ستكون محظوظًا لو لم يكن هناك كسور أو إصابات إلا في فروة رأسك. لا أعتقد أني قد رأيت شخصًا بمثل مهارتك في التسلق، ولكنك لست ماهرًا في السقوط».

قال لها وهو يُبعد رأسه للوراء: «ستلوثين يديك بالدماء».

أعادت رأسه إلى موضعه في حزم وهي تقول: «لا تتحرك». لم تتحدث بحدة، ولكن مرة أخرى كان هناك هذه النبرة في صوتها كأنما تتوقع من الجميع طاعتها. «حمدًا (للنور) أن الجرح لا يبدو سيئًا للغاية». بدأت تُخرج من جيوب عباءتها مجموعة من القوارير الصغيرة، ولفافات ورق متشابكة، وأخيرًا حفنة من الضمادات المبطنة.

حدق إلى هذه المقتنيات في دهشة، كانت من نوعية الأشياء التي يتوقع أن تحملها حكيمة، وليس فتاة ترتدي مثل هذه الملابس. رأى أن أصابعها قد تلطخت بالدماء، ولكن لم يبدُ عليها أن هذا قد أزعجها.

قالت: «أعطني قربة الماء التي معك يا (جاوين)، أحتاج لغسل هذا».

حل الفتى الذي يُدعى (جاوين) قربة الماء الجلدية من حزامه وأعطاها لها، ثم جلس القرفصاء عند قدمي (راند) وطوى ذراعيه على ركبتيه. أكملت (إيلاين) ما كانت تفعله بطريقة عملية للغاية. لم يجفل عندما لسعه الماء البارد وهي تغسل الجرح الذي في فروة رأسه، ولكنها أمسكت أعلى رأسه بيدها كأنها تتوقع أن يُحاول إبعاد رأسه مرة أخرى، وأنها لن تسمح بهذا. المرهم الذي دهنته بعد ذلك من إحدى قواريرها الصغيرة خفف الألم على الفور، مثلما قد يفعل واحدًا من مستحضرات (ناينيف).

كان (جاوين) يبتسم له بينما هي تعتني بالجرح، ابتسامة مُطمئنة، كأنما يتوقع بدوره أن ينتفض (راند) أو يحاول الهرب. «إنها دومًا ما تعثر على القطط المتشردة والطيور ذات الأجنحة المكسورة، أنت أول بشري تعتني به». تردد قبل أن يضيف: «لم أقصد الإهانة، أنا لا أقول إنك متشرد». لم يكن اعتذارًا، بل مجرد إقرار بالحقيقة.

قال (راند) بفتور: «لا عليك، لم أشعر بالإهانة». ولكن الاثنين كانا يتصرفان كأنه حصان جفول.

قال (جاوين): «إنها تعرف ما تفعله، فقد كان لديها أفضل المعلمين، لذا لا تخف، فأنت في أيدٍ أمينة».

وضعت (إيلاين) ضمادة على صدغه، ثم جذبت وشاحًا حريريًّا من حزامها، لونه مزيج من الأزرق والزبدي والذهبي. بالنسبة لفتاة من (إيموندز فيلد) سيكون هذا الوشاح قطعة ثياب ثمينة من أجل العيد. بدأت (إيلاين) تلفه ببراعة حول رأسه لتثبت الضمادة في موضعها.

قال محتجًا: «لا يمكنك أن تستخدمي هذا».

أكملت لف الوشاح وهي تقول بهدوء: «قلت لك لا تتحرك».

نظر (راند) إلى (جاوين) وقال: «هل تتوقع دومًا أن يفعل الجميع ما تقوله لهم؟».

ظهرت لمحة من الدهشة على وجه الشاب قبل أن يقول بشيء من الجذل: «تتوقع هذا في معظم الأوقات، وهم يفعلون ما تقوله في معظم الأوقات».

قالت (إيلاين): «ثبِّت هذا، فلتضع يدك هنا بينما أربط...». صرخت عندما رأت يديه. «لم يُصبك هذا أثناء سقوطك، بل بينما تتسلق حيث لا يجب أن تتسلق». على الفور أنهت العقدة، ثم رفعت راحتي يديه لأعلى أمامه وهي تتمتم لنفسها بشأن الماء القليل المتبقي. أحس أن جراحه تحرقه أثناء غسلها، ولكن لدهشته كانت لمستها رقيقة. «ابقَ ساكنًا هذه المرة».

أخرجت قارورة المرهم مرة أخرى وبدأت تدهن طبقة خفيفة على الجروح، وبدا أن اهتمامها منصب على أن تدهنها دون أن تؤلمه. انتشرت برودة في يديه كأنما تزيل الجروح وهي تدهنها.

أكمل (جاوين) حديثه وهو ينظر إليها بابتسامة حنون: «معظم الوقت يفعلون تمامًا ما تقوله، معظم الناس وليس أمي بالطبع، أو (إيليدا)، أو حتى (ليني)، كانت (ليني) هي مربيتها. لا يمكنك أن توجه أوامر لشخص قد ضربك بالعصا وأنت صغير لسرقة بعض التين، ولا حتى أمرًا صغيرًا». رفعت (إيلاين) رأسها بما يكفي لكي تنظر إليه نظرة تُنذر بالخطر. تنحنح وهو يمحي التعبير المرتسم على وجهه بحذر، قبل أن يقول على الفور: «ولا (جاريث) بالطبع، لا يمكن لأحد أن يوجه أوامر إلى (جاريث)».

قالت (إيلاين) وهي تولي اهتمامها مرة أخرى إلى يدي (راند): «ولا حتى أمي، إنها فقط تقدم اقتراحات وهو يفعل دومًا ما تقترحه، ولكني لم أسمعها توجه له أمرًا قط». أنهت حديثها وهي تهزر رأسها.

أجابها (جاوين) قائلًا: «لا أعرف لِمَ يفاجئك هذا دومًا، حتى أنتِ لا تحاولين أن تُملي على (جاريث) ما يجب أن يفعله. لقد خدم ثلاث ملكات، وقد كان القائد العام للحرس، والأمير الأول الوصي على العرش بالنسبة لاثنتين. أجرؤ على القول إن هناك من يعتقد أنه رمز عرش (أندور) أكثر من الملكة ذاتها».

قالت في شرود: «يجب على أمي أن تتزوجه». كان اهتمامها منصبًّا على يدي (راند). «إنها ترغب في هذا، ولا يمكنها أن تخفيه عني، وسيحل هذا الكثير من المشكلات».

هز (جاوين) رأسه وقال: «يجب على أحدهما أن يقدم تنازلات أولًا، أمي لا يمكنها هذا، و(جاريث) لن يفعل هذا».

«إن وجهت له أمرًا...».

«أعتقد أنه سيطيع أمرها، ولكنها لن تأمره، أنت تعرفين أنها لن تفعل هذا».

فجأة التفتا لينظرا إلى (راند)، الذي انتابه شعور أنهما قد نسيا وجوده تمامًا. قال: «مَن...؟». ولكنه اضطر للتوقف لكي يبلل شفتيه. «من أمكما؟».

اتسعت عينا (إيلاين) في دهشة، ولكن (جاوين) تحدث بنبرة عادية جعلت كلماته صادمة أكثر: «(مورجيز) بحق نعمة (النور)، ملكة (أندور)، المدافعة عن المملكة، حامية الشعب، والعرش العالي لآل (تراكند)».

تمتم (راند): «الملكة؟». كانت الصدمة تنتشر في جسده في موجات من الخدر، وخُيِّل إليه لدقيقة أن رأسه سيُصاب بالدوار مرة أخرى. *لا تجذب أي انتباه، ولكن فلتسقط في حديقة الملكة وتترك ولية العهد تعتني بجروحك كطبيب جائل.* أراد أن يضحك فأدرك أنه على وشك أن يُصاب بنوبة من الهلع.

أخذ نفسًا عميقًا ثم أسرع ليقف على قدميه، وهو يقاوم بشدة رغبته في الركض بعيدًا، ولكن الحاجة إلى الهرب كانت تملأه، الهرب قبل أن يكتشف أي شخص آخر وجوده في هذا المكان.

كانت (إيلاين) و(جاوين) يراقبانه بهدوء، وعندما اعتدل واقفًا نهضا بدورهما برشاقة وبلا أدنى عجلة على الإطلاق. رفع يده ليجذب الوشاح من على رأسه، فأمسكت (إيلاين) بمرفقه بقوة وهي تقول: «توقف عن هذا، ستبدأ في النزيف مرة أخرى». كان صوتها لا يزال هادئًا، ولا يزال واثقًا من أنه سيفعل ما تأمره به.

قال (راند): «يجب عليَّ الذهاب، يمكنني أن أتسلق عائدًا من فوق السور و...».

«أنت لم تكن تعرف حقًّا». بدت لأول مرة مندهشة مثله. «هل تعني أنك تسلقت هذا السور لرؤية (لوجاين) دون أن تعرف حتى أين أنت؟ كان بمقدورك أن تراه بشكل أفضل بكثير إذا بقيت في الشوارع».

تمتم قائلًا: «أنا... لا أحب الحشود». ثم انحنى لكليهما قبل أن يقول: «إن سمحتِ لي يا... سيدتي النبيلة». في الحكايات كانت البلاطات الملكية مليئة بالأشخاص الذين ينادون أحدهم الآخر باللورد والسيدة النبيلة وصاحب السمو الملكي وصاحب الجلالة. ولكنه لم يستطع أن يفكر بوضوح لكي يتذكر إن كان قد سمع من قبل الشكل الصحيح لمخاطبة ولية العهد. لم يستطع أن يفكر في أي شيء بوضوح عدا رغبته

في الفرار بعيدًا. «إذا سمحتما لي فسأغادر الآن. آه... شكرًا لكما على...». لمس الوشاح المحيط برأسه. «شكرًا لكما».

قال (جاوين): «دون حتى أن تُخبرنا باسمك؟ أهكذا ترد جميل اعتناء (إيلاين) بك؟ لقد كنت أتساءل بشأنك، أنت تبدو كواحد من سكان (أندور)، رغم أنك لست من (كايملين) بالتأكيد، ولكنك تبدو مثل... حسنًا، أنت تعرف اسمينا، تقتضي الكياسة أن تُخبرنا باسمك».

كان (راند) ينظر باشتياق إلى السور، فأخبرهما باسمه الحقيقي قبل أن يفكر فيما يفعله، بل إنه أضاف: «من (إيموندز فيلد)، الواقعة في (النهرين)».

تمتم (جاوين) قائلًا: «من الغرب، من الغرب البعيد للغاية».

التفت (راند) إليه بحدة، كان هناك نبرة من الدهشة في صوت الشاب، وقد لمح (راند) على وجهه شيئًا منها عندما التفت، ولكن (جاوين) رسم بدلًا منها ابتسامة لطيفة على الفور، حتى أنه شك فيما رآه.

قال (جاوين): «الطباق والصوف، يجب عليَّ أن أعرف المنتجات الرئيسية لكل جزء من المملكة، أو كل أرض بالأحرى، فهذا جزء من تدريبي. المنتجات الرئيسية والحرف وطبيعة الناس؛ عاداتهم وتقاليدهم ونقاط قوتهم وضعفهم. يُقال إن قاطني (النهرين) عنيدون، يمكنك أن تقودهم إن اعتقدوا أنك جدير بهذا، ولكن كلما بذلت جهدًا أكبر في دفعهم لهذا ازداد عنادهم في الأمر. يجب على (إيلاين) أن تختار زوجها من هناك، سيتطلب الأمر رجلًا بإرادة صخرية لكي يحمي نفسه من أن تطأه بقدمها».

حدق إليه (راند)، وحدقت إليه (إيلاين) أيضًا، لقد بدا (جاوين) تحت السيطرة قدر أي وقت مضى، ولكنه كان يثرثر، *لماذا؟*

«ما هذا؟».

جفل ثلاثتهم لسماع هذا الصوت المفاجئ، والتفتوا لمواجهته.

كان الشاب الذي يقف هناك هو أوسم شاب يراه (راند) في حياته، كان وسيمًا أكثر من اللازم بالنسبة لكونه رجلًا. كان طويلًا ونحيفًا، ولكن حركاته كانت تشي بقوة وثقة بالنفس. كان أسود الشعر والعينين، ويرتدي ملابس بطريقة أقل تأنقًا بعض الشيء من (جاوين)، وباللونين الأحمر والأبيض كأن ما يلبسه لا يهم على الإطلاق. كانت إحدى يديه تستقر على مقبض السيف، بينما عيناه مثبتتان على (راند).

قال الشاب: «ابتعدي عنه يا (إيلاين)، وأنت أيضًا يا (جاوين)».

خطت (إيلاين) أمام (راند) لتقف بينه وبين الوافد الجديد، برأس شامخ وثقة في النفس كالعادة. «إنه أحد رعايا أمي الأوفياء، ورجل مخلص للملكة، وهو تحت حمايتي يا (جالاد)».

حاول (راند) أن يتذكر ما سمعه من السيد (كينش)، وبعدها من السيد (جيل). إن (جالادريد دامودريد) هو الأخ غير الشقيق لـ(إيلاين) و(جاوين)، إن لم تخنه الذاكرة، فثلاثتهم يتشاركون نفس الأب. ربما لم يكن السيد (كينش) يحب (تارينجيل دامودريد) كثيرًا - ولم يكن يحبه أي شخص آخر قد سمع منه - ولكن الابن كان يحمل سمعة طيبة بين من يرتدون الأحمر والأبيض على حد سواء، بناءً على ما سمعه في المدينة من حديث.

قال الشاب النحيل بشكل عقلاني: «أنا أُدرك ولعك بالمتشردين يا (إيلاين)، ولكن هذا الشخص مُسلح وبالكاد يبدو جديرًا بالثقة، لا يمكن للمرء أن يكون حذرًا أكثر من اللازم في هذه الأيام. إن كان رجلًا مخلصًا للملكة فما الذي يفعله هنا حيث لا ينتمي؟ من السهل بما يكفي تغيير تغليف السيوف يا (إيلاين)».

«إنه هنا كضيف لي يا (جالاد)، وأنا أضمنه، أم أنك قد عينت نفسك مربيتي لتقرر من يُمكنني أن أتحدث إليه ومتى؟».

كان صوتها مفعمًا بالازدراء، ولكن لم يبدُ على (جالاد) أنه قد تأثر بهذا. «أنتِ تعرفين أنني لا أُطالب بالتحكم في تصرفاتك يا (إيلاين)، ولكن هذا... ضيفك هذا ليس لائقًا، وأنتِ تعرفين هذا جيدًا كما أعرفه. ساعدني على إقناعها يا (جاوين)، أمنا سوف...».

قاطعته (إيلاين) بحدة: «هذا يكفي! أنت محق في أنه ليس لك سلطة على تصرفاتي، وليس لك أي حق في الحكم عليها. يمكنك أن تغادر، الآن!».

رمق (جالاد) (جاوين) بنظرة آسفة وفي الوقت ذاته بدا أنه يطلب منه المساعدة بينما يقول إن (إيلاين) عنيدة للغاية بشكل يفوق أي قدرة على المساعدة. تجهم وجه (إيلاين) ولكن عندما فتحت فمها مرة أخرى انحنى لها بطريقة رسمية للغاية وبرشاقة هر، ثم خطا خطوة للوراء قبل أن يستدير ويخطو عائدًا عبر الممر الممهد، وساقاه الطويلتان تحملانه بسرعة خارج الأنظار من وراء السقيفة المظللة بالأغصان.

زفرت (إيلاين) وقالت: «أنا أكرهه، إنه دنيء ويملأه الحسد».

قال (جاوين): «أنتِ تتمادين كثيرًا يا (إيلاين)، إن (جالاد) لا يعرف معنى الحسد، لقد أنقذ حياتي مرتين، ولم يكن أحد ليعرف لو لم يمد لي يد العون، لو لم ينقذ حياتي لصار (الأمير الأول للسيف) بدلًا مني».

«مستحيل يا (جاوين)، كنت سأختار أي شخص قبل (جالاد)، أي شخص، أدنى عامل في الإسطبل». وفجأة ابتسمت ونظرت إلى أخيها نظرة صارمة مازحة. «أنت تقول إنني مغرمة بتوجيه الأوامر، حسنًا، أنا آمرك ألا تدع شيئًا يحدث لك، أنا آمرك أن تكون (الأمير الأول للسيف) الخاص بي عندما أجلس على العرش. فليشأ (النور) أن يكون هذا اليوم بعيدًا! . وأن تقود جيوش (أندور) بشرف لا يحلم (جالاد) بمثله».

قال (جاوين): «كما تأمرين يا سيدتي النبيلة». ثم ضحك وهو ينحني في محاكاة ساخرة لانحناءة (جالاد).

نظرت (إيلاين) إلى (راند) مفكرة ثم قالت: «والآن يجب أن نخرجك من هنا على الفور».

قال (جاوين) مفسرًا: «لطالما فعل (جالاد) الشيء الصحيح، حتى عندما لم يكن من المحتم عليه فعل هذا. في هذه الحالة، وهي العثور على غريب في الحدائق، فإن التصرف الصحيح هو تنبيه حرس القصر، وهو ما أفترض أنه في طريقه لفعله في هذه اللحظة».

قال (راند): «إذن فقد حان الوقت لأن أتسلق عائدًا من فوق السور». *يا له من يوم رائع للخروج دون أن أجذب انتباهًا! ربما بإمكاني كذلك أن أحمل لافتة!* استدار ناحية السور، ولكن (إيلاين) أمسكت بذراعه.

«ليس بعدما تكبدت عناء الاعتناء بيديك، لن تفعل شيئًا سوى أن تصنع جروحًا جديدة، ثم تدع عجوزًا شمطاء من أحد الأزقة الخلفية تضع شيئًا ما لا يعرفه إلا (النور) على يديك. هناك بوابة صغيرة على الجانب الآخر من الحديقة، إنها كثيفة الأشجار ولا يتذكر أحد سواي أنها حتى موجودة هناك».

فجأة سمع (راند) صوت أحذية ثقيلة تسرع ناحيتهم عبر الأرض الممهدة بالأردواز.

قال (جاوين): «فات الأوان، لا شك أنه قد بدأ بالركض بمجرد أن اختفى عن أنظارنا».

تمتمت (إيلاين) بسبة فرفع (راند) حاجبيه في دهشة، لقد سمع نفس السبة من عمال الإسطبل في حانة (مباركة الملكة)، وقد صُدِم حينها. في اللحظة التالية صارت رابطة الجأش مرة أخرى.

بدا (جاوين) و(إيلاين) قانعين بالبقاء حيث هما، ولكنه لم يستطع إجبار نفسه على البقاء في انتظار (حرس الملكة) بمثل هذا الهدوء. توجه مرة أخرى ناحية السور وهو يعلم أنه لن يقدر على قطع أكثر من نصف المسافة قبل أن يصل الحرس، ولكنه لم يكن قادرًا على الوقوف ساكنًا.

قبل أن يقطع ثلاث خطوات ظهر الرجال الذين يرتدون الزي الأحمر مندفعين نحوهم، والدروع المعدنية على صدورهم تعكس ضوء الشمس وهم يسرعون عبر الممر. جاء آخرون كموجات من اللون الأحمر والفولاذ المصقول، ومن كل اتجاه على ما يبدو، بعضهم قد أشهروا سيوفهم، بينما الآخرون ينتظرون فقط أن يقفوا في موضعهم قبل أن يرفعوا أقواسهم ويضعوا فيها الأسهم. من وراء دروع الوجوه ذات القضبان الحديدية كانت كل عين متجهمة وكل سهم عزيض الرأس موجه نحوه بثبات. قفزت (إيلاين) و(جاوين) على الفور، ليضعا نفسيهما بينه وبين الأسهم، وامتدت أذرعهما على اتساعها لحمايته. بقي ساكنًا تمامًا، مُبقيًا يديه في مرمى البصر وبعيدًا عن سيفه.

بينما قرع الأحذية وصرير أوتار الأقواس لا يزال معلقًا في الهواء صاح أحد الجنود: «سيدتي النبيلة، سيدي اللورد، انخفضا على الفور!». كان يحمل على كتفه شارة ذهبية تشي بأنه ضابط.

رغم ذراعي (إيلاين) المفرودتين كانت تقف بصورة ملكية وهي تقول: «كيف تجرؤ على إشهار السلاح في حضوري يا (تالانڤور)؟ سيجعلك (جاريث براين) تنظف الإسطبلات مع أدنى الجنود من أجل هذا الفعل، هذا إن كنت محظوظًا!».

تبادل الجنود نظرة مرتبكة وخفض بعض الرماة أقواسهم بعض الشيء في توتر. حينها فقط خفضت (إيلاين) ذراعيها كما لو أنها لم تكن ترفعهما إلا لأنها أرادت هذا. تردد (جاوين) ثم حذا حذوها. كان بإمكان (راند) أن يُحصي عدد الأقواس التي لم تُخفض بعد، وتقلصت عضلات بطنه كأنما باستطاعتها أن توقف سهمًا عريضًا يُرمى من على بعد عشرين خطوة.

الرجل الذي يحمل شارة الضابط بدا الأكثر ارتباكًا. «سامحيني يا سيدتي النبيلة، ولكن اللورد (جالادريد) أخبرني بوجود فلاح قذر يتسلل في الحدائق، مسلح ويهدد السيدة (إيلاين) واللورد (جاوين)». انتقلت عيناه

إلى (راند) ثم صار صوته حازمًا بعض الشيء وهو يقول: «إن تفضلت سيدتي وسيدي بالتراجع إلى الوراء فسأعتقل هذا الوغد، هناك الكثير من الحثالة في المدينة هذه الأيام».

قالت (إيلاين): «أشك كثيرًا أن (جالاد) قد أبلغ عن شيء من هذا النوع، فـ(جالاد) لا يكذب».

قال (جاوين) بصوت هامس لا تسمعه إلا أذن (راند): «أحيانًا ما أتمنى أن يفعل هذا ولو لمرة واحدة، من شأن هذا أن يجعل العيش معه أكثر سهولة».

أكملت (إيلاين) حديثها قائلة: «هذا الشاب ضيفي، وتحت حمايتي. يمكنك الآن أن تعود أدارجك يا (تالانفور)».

«أخشى أن هذا مستحيل يا سيدتي، فكما تعرف سيدتي أن الملكة ـ أم سيدتي ـ قد أصدرت أمرًا بشأن دخول أي شخص إلى أراضي القصر بدون تصريح جلالتها، وقد وصل خبرًا إلى جلالتها بأن هناك دخيلًا». كان هناك أكثر من مجرد لمحة رضا في صوت (تالانفور)، فخمن (راند) أنه اضطر في الماضي لأن يذعن لأوامر من (إيلاين) كانت من وجهة نظره غير لائقة، ولكنه لن يذعن الآن، بينما لديه عذر مثالي.

حدقت (إيلاين) إلى (تالانفور) وقد بدت مرتبكة للمرة الأولى.

نظر (راند) إلى (جاوين) متسائلًا، ففهم سؤاله وتمتم قائلًا: «السجن». امتقع وجه (راند) فأضاف الشاب على الفور: «لبضعة أيام فقط، ولن تتعرض لأذى، سيستجوبك (جاريث براين) القائد العام للحرس شخصيًا، ولكنه سيُطلق سراحك بمجرد أن يتبين أنك لم تقصد أدنى أذى». صمت وبعض الأفكار المختبئة تطل من عينيه قبل أن يقول: «آمل أنك كنت تقول الحقيقة يا (راند ألثور) من (النهرين)».

فجأة قالت (إيلاين): «ستأخذ ثلاثتنا إلى أمي». فأشرقت ابتسامة عريضة على وجه (جاوين).

بدا (تالانفور) مصعوقًا من وراء القضبان الفولاذية على وجهه وقال: «سيدتي، أنا...».

قالت (إيلاين): «وإلا فلتأخذ ثلاثتنا إلى زنزانة، سنبقى معًا. أم أنك ستُصدر أوامر بأن توضع يد على شخصي؟». كانت ابتسامتها منتصرة، ويبدو أن (تالانفور) رأى أنها قد انتصرت أيضًا بحسب الطريقة التي يتلفت بها حوله، كأنه يتوقع أن يجد مساعدة بين الأشجار.

انتصرت في ماذا؟ وكيف؟

قال (جاوين) بصوت خافت كأنه قد قرأ أفكار (راند): «إن (لوجاين) يُعرض على أمي الآن، وحتى لو لم تكن مشغولة فإن (تالانفور) لن يجرؤ على المثول أمامها بصحبة الجنود معي أنا و(إيلاين)، كأننا تحت الحراسة. أحيانًا ما تكون أمي سريعة الغضب بعض الشيء».

تذكر (راند) ما قاله السيد (جيل) عن الملكة (مورجيز). *سريعة الغضب بعض الشيء؟*

جاء جندي آخر بالزي الأحمر مسرعًا عبر الممر، قبل أن يتوقف بشكل مفاجئ وهو يلقي بالتحية العسكرية واضعًا ذراعه على صدره. تحدث إلى (تالانفور) بصوت خافت وأعادت كلماته الرضا إلى وجه (تالانفور).

قال (تالانفور): «الملكة، أمك يا سيدتي، أمرت بإحضار الدخيل إليها على الفور، وقد أمرت الملكة أيضًا بإحضار سيدتي (إيلاين) وسيدي (جاوين) إليها، وأيضًا على الفور».

تجهم (جاوين) وازدردت (إيلاين) لعابها، ولكن وجهها كان هادئًا وقد بدأت تنظف البقع من على فستانها بشكل عملي. لم ينفعها هذا كثيرًا إلا في إزالة بعض قطع لحاء الأشجار.

قال (تالانقور) بشماتة: «إذا تفضلتِ يا سيدتي النبيلة؟ سيدي اللورد؟».

أحاط الجنود بهم، وسار (تالانقور) في مقدمتهم. سار (جاوين) و(إيلاين) على كلا جانبي (راند)، وقد بدا أن كليهما غارق في أفكار غير سارة. كان الجنود قد أغمدوا سيوفهم وأعادوا أسهمهم إلى جعابهم، ولكنهم لم يكونوا أقل تأهبًا عما كانوا وأسلحتهم مشهرة. راقبوا (راند) كأنهم يتوقعون منه في أي لحظة أن ينتزع سيفه ويحاول شق طريقه نحو الحرية.

أحاول أن أفعل شيئًا؟ لن أحاول أن أفعل شيئًا. لا تجذب انتباهًا! يا للسخرية!

بينما يراقب الجنود وهم يراقبونه انتبه فجأة إلى الحديقة، كانت الأشياء تحدث بشكل متتابع، وكل صدمة تأتي قبل أن تتلاشى سابقتها، وكان كل ما يحيط به ضبابي باستثناء السور ورغبته الصادقة في العودة إلى الجانب الآخر منه. الآن يرى الحشائش الخضراء التي تدغدغ جزءًا من عقله الباطن. الأخضر! مئات من درجات اللون الأخضر، أشجار وشجيرات خضراء ومزدهرة، وأغصانها مثقلة بالأوراق والفاكهة، أغصان مورقة تغطي السقائف فوق الممر. الزهور في كل مكان، الكثير من الزهور، تملأ الحديقة بالألوان. كان يعرف بعضها؛ زهرة الشمس الذهبية الساطعة، وزهرة الساق المائل الوردية الصغيرة، وزهرة بريق النجوم القرمزية، وزهرة مجد إيموند البنفسجية، زهور بكل الألوان، من الأبيض الساطع إلى الأحمر الداكن، ولكن البعض الآخر كان غريبًا، ذا هيئة خيالية ولون عجيب حتى إنه تساءل إن كانت زهورًا حقيقية.

همس قائلًا: «إنها خضراء». تمتم الجنود لأنفسهم فحدجهم (تالانقور) بنظرة حادة من فوق كتفه فلاذوا بالصمت.

قال (جاوين) بشرود: «إنه صنيع (إيليدا)».

قالت (إيلاين): «هذا ليس عدلًا. لقد سألتني إن كنت أرغب في اختيار المزرعة التي يمكنها أن تفعل بها نفس الشيء، بينما المحاصيل في كل مكان من حولنا لا تزال تذبل، ولكن هذا ليس عدلًا أن يكون لدينا زهور، بينما هناك أناس ليس لديهم ما يكفي لأن يسد جوعهم». أخذت نفسًا عميقًا واستعادت رباطة جأشها قبل أن تقول بحيوية: «تصرف بلباقة وتحدث بوضوح عندما يُخاطبك أحد، وعدا هذا التزم الصمت، واحذُ حذوي. سيكون كل شيء على ما يرام».

تمنى (راند) لو كان بمقدوره أن يشاركها هذه الثقة، وكان ليساعده قليلًا أن يبدو (جاوين) واثقًا تمامًا أيضًا. بينما (تالانفور) يقتادهم إلى داخل القصر ألقى نظرة وراءه على الحديقة، على اللون الأخضر الذي تتخلله الزهور، الألوان التي صنعتها يد (آيز سيداي) من أجل الملكة، إنه في ماء عميق ولا توجد أي ضفة على مرمى البصر.

كان خدم القصر يملؤون الأروقة، بملابس خدم حمراء ذات ياقات وأكمام بيضاء، والأسد الأبيض على الجزء الأيسر من السترات، مندفعين لتنفيذ المهام التي لم تكن واضحة. عندما خطا الجنود وسطهم بصحبة (إيلاين) و(جاوين) و(راند) توقفوا في موضعهم وحدقوا بأفواه فاغرة.

وسط كل هذا الذعر خطا قط رمادي مخطط عبر الرواق، شاقًّا طريقه بين الخدم المذهولين. فجأة أحس (راند) أن القط غريب. لقد قضى وقتًا طويلًا في (بايرلون) ليعرف أن حتى أردأ المتاجر بها قطط كامنة في كل ركن. ولكن منذ دخوله إلى القصر كان هذا هو القط الوحيد الذي يراه.

قال في عدم تصديق: «ليس لديكم فئران؟». *ليس هناك مكان يخلو من الفئران.*

تمتم (جاوين) بشكل مبهم: «(إيليدا) لا تحب الفئران». كان عاقدًا حاجبيه في قلق وهو يخطو عبر الرواق، وكأنه يرى بالفعل الاجتماع الوشيك مع الملكة. «لا يكون لدينا فئران مُطلقًا».

قالت (إيلاين) بصوت حاد ولكن بشرود كأخيها: «اصمتا، أنا أحاول أن أفكر».

راقب (راند) القط من فوق كتفه حتى اقتاده الحرس للانعطاف عند إحدى الزوايا، مما أخفى القط عن ناظريه. كان ليشعر بالتحسن لو رأى الكثير من القطط؛ سيكون من الرائع أن يكون هناك شيء واحد معتاد في القصر، حتى لو كانت الفئران.

انعطف المسار الذي سلكه (تالانڤور) مرات عديدة حتى أن (راند) فقد إحساسه بالاتجاهات. وأخيرًا توقف الضابط الشاب أمام باب مزدوج طويل من الخشب الأسود اللامع، لم يكن بمثل عظمة بعض الأبواب التي مروا من أمامها، ولكن قد حُفر عليه صفوف من الأسود بتفاصيل دقيقة. كان هناك خادمان في زي رسمي يقفان على جانبيه.

ضحك (جاوين) ضحكة غير متزنة وهو يقول: «على الأقل هذه ليست (القاعة الكبرى)، لم أسمع قط أن والدتي قد أمرت بقطع رأس أحد هنا». بدا صوته وكأنها قد تصنع شيئًا لم يكن له سابقة.

مد (تالانڤور) يده ناحية سيف (راند) ولكن (إيلاين) تحركت لتقاطعه قائلة: «إنه ضيفي، ووفقًا للعرف والقانون فإن ضيوف العائلات الملكية يمكن أن يمثلوا مسلحين حتى أمام أمي، أم أنك ستستنكر عليَّ قولي بأنه ضيفي».

تردد (تالانڤور) وهو يبادلها النظر ثم أومأ برأسه وقال: «كما تشائين يا سيدتي». نظرت إلى (راند) مبتسمة بينما (تالانڤور) يخطو للوراء، ولكن الابتسامة لم تستمر سوى لحظة، فقد قال (تالانڤور) آمرًا: «جنود الصف الأول سيصحبونني». ثم قال مخاطبًا حارسي الباب: «فلتعلنا حضور السيدة (إيلاين) واللورد (جاوين) للمثول أمام جلالتها. وأيضًا الحارس الملازم (تالانڤور) كما أمرت جلالتها، بصحبة الدخيل تحت الحراسة».

نظرت (إيلاين) متجهمة إلى (تالانفور)، ولكن مصراعي الباب قد انفتحا بالفعل، بينما بدأ صوت جهوري يعلن عن الحاضرين.

دلفت (إيلاين) بعظمة عبر الباب، ولم يُفسد دخولها الملكي قليلًا سوى إشارتها لـ(راند) بأن يبقى بالقرب منها. نصب (جاوين) قامته وسار إلى جانبها، دون أن يتأخر عنها إلا بخطوة واحدة محسوبة. لحق بها (راند) في تردد وهو يحافظ على أن يكون بمحاذاة (جاوين) ولكن على الجانب الآخر منها. بقي (تالانفور) بالقرب من (راند) وبصحبته عشرة جنود. انغلق الباب بصمت من ورائهم.

فجأة انحنت (إيلاين) من عند خصرها انحناءة احترام عميقة وبقيت هناك ممسكة بتنورتها على اتساعها. جفل (راند) ثم بدأ في عجالة يُحاكي (جاوين) والرجال الآخرين بشكل سيئ، ولكنه أتقن الأمر في النهاية. جثا على ركبته اليمنى محنيًا رأسه ومائلًا للأمام ليضغط بمفاصل يده اليمنى على البلاط الرخامي، ويده اليسرى مستقرة على طرف مقبض سيفه. (جاوين) الذي لم يكن يحمل سيفًا وضع يده على خنجره بنفس الطريقة.

هنَّأ (راند) نفسه على فعل الأمر بطريقة صحيحة، ثم لاحظ أن (تالانفور) الذي لا يزال يحني رأسه كان يحدجه بنظرة جانبية حادة من وراء درع وجهه. *هل من المفترض أن أفعل شيئًا آخر؟* أحس فجأة بالغضب لأن (تالانفور) يتوقع منه أن يعرف ما يجب أن يفعله دون أن يخبره أحد به، وغضب لكونه خائفًا من الحرس، إنه لم يفعل شيئًا يجعله خائفًا. كان يعرف أن خوفه ليس ذنب (تالانفور)، ولكنه كان غاضبًا منه على أي حال.

ظل الجميع في موضعهم متجمدين كأنما ينتظرون ذوبان الثلج من أجل الربيع. لم يعرف ما الذي ينتظرونه، ولكنه انتهز الفرصة لدراسة المكان الذي قد جلبوه إليه. أبقى رأسه خفيضًا، ملتفتًا فقط بما يكفي لكي يرى. ازداد تجهم وجه (تالانفور) ولكنه تجاهله.

كانت الحجرة المربعة بحجم الحجرة العامة في حانة (مباركة الملكة) تقريبًا، وجدرانها تمثل مشاهد صيد منحوتة بدقة في حجر أبيض نقي. كانت المنسوجات الجدارية بين المنحوتات عبارة عن صور لطيفة من الزهور الزاهية، وطيور الطنان ذات الريش الملون، باستثناء الاثنتين الموجودتين في آخر الحجرة، حيث يقف أسد (أندور) الأبيض أطول من أي رجل على خلفية حمراء قرمزية. هاتان الاثنتان معلقتان على جانبي المنصة وعلى هذه المنصة عرش مغطى بالنقوش ومطلي بالذهب، وعلى العرش تجلس الملكة.

كان هناك رجل حاسر الرأس مليء الجسد يقف شامخًا على يمين الملكة، ويرتدي زي (حرس الملكة) الأحمر مع أربع شارات ذهبية على كتف عباءته، بأشرطة ذهبية تغطي جزءًا من بياض كُمِّيه. كان أشيب الفودين ولكنه يبدو قويًّا وراسخًا كالصخرة. لا شك أن هذا هو القائد العام (جاريث براين). وراء العرش وعلى الجانب الآخر تجلس امرأة ترتدي حريرًا أخضر داكنًا على كرسي خفيض، وهي تحيك شيئًا ما من صوف داكن يكاد أن يكون أسود. في البداية جعلت الحياكة (راند) يظن أنها عجوز، ولكن مع النظرة الثانية لم يستطع تحديد عمرها على الإطلاق، لم يعرف إن كانت شابة أم عجوزًا. بدا أن اهتمامها منصب بالكامل على إبرها وصوفها، كأنما لم يكن هناك ملكة على مرمى ذراع منها. كانت امرأة جميلة، وتبدو هادئة، ولكن كان هناك شيء فظيع في تركيزها، لم يكن هناك صوت في الحجرة إلا نقر إبرها.

حاول أن ينظر إلى كل شيء، ورغم هذا كانت عيناه تعودان إلى المرأة التي تحمل على جبهتها إكليلًا لامعًا من الزهور الجميلة؛ تاج (أندور) الزهري. كانت ترتدي دثارًا أحمر طويلًا عليه أسد (أندور)، فوق فستان حريري من طيات حمراء وبيضاء. وعندما لمست ذراع القائد العام بيدها اليسرى لمع خاتم على هيئة (الأفعوان العظيم) وهو يأكل ذيله. رغم هذا لم يكن هناك أي عظمة في الملابس أو الحلي أو حتى التاج يمكن أن تجذب أنظار (راند) مرارًا وتكرارًا، بل كانت المرأة التي ترتدي هذه الأشياء.

كانت (مورجيز) جميلة كابنتها، ولكن جمالها ناضج، وكان وجهها وهيئتها وحضورها يملؤون الحجرة كضوء طغى على الاثنين الآخرين معها. إن كانت أرملة في (إموندز فيلد) لوجدت صفًّا من الخُطَّاب خارج باب بيتها حتى لو كانت أسوأ طاهية في (النهرين)، وأكثرهن إهمالًا في تنظيف بيتها. رأى أنها تتفحصه فأحنى رأسه خشية أنها قد تقدر على معرفة أفكاره بالنظر إلى وجهه. *بحق (النور)، تفكر في الملكة كأنها امرأة قروية! أيها الأحمق!*

«يمكنكم أن تنهضوا». قالتها (مورجيز) بصوت عميق دافئ يحمل ثقة (إيلاين) في طاعة الناس لها مئة مرة.

وقف (راند) مع البقية.

بدأت (إيلاين) حديثها قائلة: «أمي...».

ولكن (مورجيز) قاطعتها قائلة: «يبدو أنك كنتِ تتسلقين الأشجار يا بنيتي». انتزعت (إيلاين) من ثوبها قطعة لحاء قد غفلت عنها، ولم تجد مكانًا لتضعها فيه فظلت ممسكة بها في يدها. أكملت (مورجيز) حديثها بهدوء قائلة: «في الواقع يبدو أنكِ قد حاولتِ إلقاء نظرة على ذلك المدعو (لوجاين) في مخالفة صريحة لأوامري. كنت أظن أنك أعقل من هذا يا (جاوين)، يجب عليك أن تتعلم أن تطيع أختك ولكن في الوقت ذاته أن تثنيها عن الكوارث». التفتت عينا الملكة إلى الرجل الممتلئ الواقف إلى جوارها، ولكنها أشاحت ببصرها سريعًا. بقي (براين) ساكنًا كأنما لم يلاحظ ما حدث، ولكن (راند) فكر أن هاتين العينين لا يفوتهما شيئًا. «إن هذا يا (جاوين) من واجبات (الأمير الأول) بقدر ما أن قيادة الجيوش من واجبه. ربما إن كثفنا تدريباتك فلن تجد الكثير من الوقت لترك أختك توقعك في المتاعب. سأطلب من القائد العام أن يحرص على ألا تفتقر إلى شيء لفعله أثناء الرحلة إلى الشمال».

تململ (جاوين) وبدا أنه على وشك أن يحتج ولكنه بدلًا من هذا أحنى رأسه وقال: «كما تأمرين يا أمي».

عبست (إيلاين) وقالت: «لا يستطيع (جاوين) إبعادي عن المتاعب إن لم يكن معي، إنه لم يغادر غرفته إلا لهذا السبب وحده. وبالتأكيد لا يوجد ضير من مجرد النظر إلى (لوجاين) يا أمي. إن كل شخص في المدينة تقريبًا كان أقرب إليه منا».

ظهر بعض الحدة في صوت الملكة وهي تقول: «ليس كل شخص في المدينة هو ولية العهد، لقد رأيت هذا المدعو (لوجاين) عن قرب، وهو خطير يا طفلتي. رغم كونه في قفص ويحرسه (الآيز سيداي) طيلة الوقت إلا أنه يظل خطيرًا كالذئاب. أتمنى لو لم يُجلب إلى (كايملين) أو حتى بالقرب منها».

لم تبعد المرأة الجالسة على الكرسي عينيها عن حياكتها وهي تقول: «سيتولون أمره عندما يصل إلى (تار ڤالون)، الشيء المهم الآن هو أن يرى الناس أن (النور) قد هزم (الظلام) مرة أخرى وأن يروا أنك جزء من هذا الانتصار يا (مورجيز)».

لوحت (مورجيز) بيدها بلا اكتراث وقالت: «ما زلت أفضل لو أنه لم يقترب من (كايملين). أنا أعرف ما يدور في رأسك يا (إيلاين)».

قالت (إيلاين) محتجة: «أنا أريد إطاعتك يا أماه، أُريد هذا حقًّا».

سألتها (مورجيز) بدهشة سِاخرة: «حقًّا؟». ثم ضحكت قائلة: «نعم أنتِ بالفعل تحاولين أن تكوني ابنة مطيعة، ولكنك تحاولين باستمرار أن تختبري إلى أي مدى يمكنك أن تتمادي، حسنًا لقد فعلت الشيء ذاته مع أمي. هذا الشيء سيجعل منك ملكة رائعة، ولكنك لست الملكة بعد يا طفلتي، لقد عصيتِ أمري ونظرتِ إلى (لوجاين). فلتكوني قانعة بهذا، في رحلتنا إلى الشمال لن يُسمح لكِ بأن تكوني على مسافة مئة خطوة منه، لا أنتِ ولا (جاوين). إن لم أكن أعرف مدى صعوبة دروسك التي ستتلقينها في (تار ڤالون) لأرسلت (ليني) معكِ لتحرص على أن تطيعي أوامري».

أحنت (إيلاين) رأسها في وجوم.

بدت المرأة الجالسة وراء العرش مشغولة بالحياكة، ولكنها قالت فجأة: «بعد أسبوع سترغبين في العودة إلى البيت إلى أمك، بعد شهر سترغبين في الهرب مع (الجوالين)، ولكن أخواتي سيبقينك بعيدًا عن المارق. أنتِ غير مستعدة لمثل هذه الأشياء بعد». وبدون مقدمات استدارت في مقعدها لتنظر باهتمام إلى (إيلاين) وقد اختفت كل سكينتها كأنما لم تكن هناك قط. «إن لديك ما يؤهلك لكي تصيري أعظم ملكة عرفتها (أندور)، أو أي أرض أخرى منذ أكثر من ألف عام، ومن أجل هذا سَنُشَكِّلك، إن كان لديك القوة لهذا».

حدق إليها (راند)، لا شك أن هذه هي (إيليدا)، (الآيز سيداي). وفجأة أحس بالسرور لأنه لم يأتِ لطلب المساعدة منها، بغض النظر عن (الآجاه) التي تنتمي إليها. كان يشع منها صرامة أكثر بكثير من (مويرين)، وقد كان يُخَيَّل إليه أحيانًا أن (مويرين) فولاذ مغطى بالمخمل، بينما مع (إيليدا) كان المخمل مجرد وهم.

قالت (مورجيز) وهي تعقد حاجبيها في توتر: «هذا يكفي يا (إيليدا)، لقد سمعت هذا الكلام بما فيه الكفاية وأكثر. (عجلة الزمن) تنسج بمشيئتها». وللحظة لاذت بالصمت وهي تنظر إلى ابنتها، ثم قالت: «والآن هناك مشكلة هذا الشاب». أشارت إلى (راند) دون أن تُبعد عينيها عن وجه (إيلاين). «وكيف جاء إلى هنا، ولماذا، ولم طلبتِ من أخيكِ أن يمنحه حق الضيف».

«هل يمكنني أن أتحدث يا أمي؟». وعندما أومأت (مورجيز) برأسها في موافقة أخبرتها (إيلاين) بالأحداث ببساطة، بداية من الوقت الذي رأت فيه (راند) يتسلق جانب السور. توقع أن تُنهي حكايتها بتبرئة نفسها مما قد فعله، ولكنها بدلًا من هذا قالت: «لطالما قلتِ لي يا أمي إنني يجب أن أعرف شعبنا، من أعلاهم منزلة إلى أدناهم، ولكن كلما قابلت أيًّا منهم

يكون هذا مع عدد كبير من الحاشية. كيف يُمكنني أن أعرف أي شيء حقيقي أو صادق في ظل هذه الظروف؟ أثناء حديثي مع هذا الشاب تعلمت الكثير بالفعل عن قاطني (النهرين)، وأي نوع من الناس هم، أكثر مما يمكن أن أتعلمه من الكتب. والجدير بالذكر أنه قد جاء من مكان بعيد، ورغم هذا يرتدي اللون الأحمر، بينما العديد من الوافدين يرتدون الأبيض بدافع الخوف. أتوسل إليكِ يا أمي ألا تسيئي معاملة واحد من الرعايا المخلصين، الشخص الذي علمني الكثير عن الأشخاص الذين تحكمينهم».

تنهدت (مورجيز) وقالت: «أحد الرعايا المخلصين من (النهرين)؟ يجب أن تعيري المزيد من الاهتمام لتلك الكتب يا طفلتي، إن (النهرين) لم تشهد جامع ضرائب منذ ستة أجيال، ولا (حرس الملكة) منذ سبعة، بل وأقول إنهم لا يتذكرون حتى أنهم جزء من المملكة». هز (راند) كتفيه في عدم ارتياح وهو يتذكر دهشته عندما قيل له إن (النهرين) جزء من مملكة (أندور). رأته الملكة فابتسمت لطفلتها بأسى وقالت: «هل رأيت يا طفلتي؟».

أدرك (راند) أن (إيليدا) قد وضعت أدوات الحياكة جانبًا بينما تتفحصه. اعتدلت واقفة من على كرسيها ثم هبطت من المنصة ببطء لكي تقف أمامه. قالت: «من (النهرين)؟». ثم مدت يدها ناحية رأسه ولكنه أبعد رأسه مع لمستها فتركت يدها تسقط بجوارها. «مع مثل هذا الشعر الأحمر والعينين الرماديتين؟ إن قاطني (النهرين) يمتازون بالشعر الأسود والعينين السوداوين، ونادرًا ما يصل أحد منهم إلى مثل هذا الطول». ثم اندفعت يدها لتدفع كم معطفه كاشفة عن البشرة فاتحة اللون التي لم تصل إليها الشمس كثيرًا. «أو مثل هذه البشرة».

بذل مجهودًا كبيرًا لكيلا يكور قبضتيه وهو يقول بصلابة: «لقد وُلِدت في (إيموندز فيلد)، ولكن أمي كانت أجنبية، وقد أخذت منها عيني. أبي هو (تام ألثور)، مزارع وراعي غنم، وأنا مثله».

أومأت (إيليدا) برأسها ببطء دون أن تبعد عينيها عن وجهه، فبادلها التحديق بهدوء يتنافى مع الاضطراب الذي يشعر به في معدته. رأى أنها قد لاحظت ثباته الظاهري، ورغم هذا بادلته النظر وهي تحرك يدها ببطء ناحيته مرة أخرى، فقرر ألا يجفل هذه المرة.

ولكنها لم تلمسه، بل لمست سيفه، وقد أحكمت أصابعها على أعلى المقبض. تشنجت أصابعها واتسعت عيناها في دهشة. قالت بصوت هامس أرادت منه أن يسمعه الجميع: «راعي غنم من (النهرين) يحمل سيفًا بعلامة البلشون».

ترددت الكلمات الأخيرة في الحجرة كأنما أعلنت وجود (سيد الظلام) ذاته. سمع (راند) صرير الجلد والمعدن من ورائه وتململ الأحذية على البلاط الرخامي. من طرف عينه لمح (تالانقور) وحارس آخر يتراجعان بعيدًا عنه وكل منهما يضع يده على سيفه مستعدًا لاستلاله، وقد بدا على وجهيهما أنهما مستعدان للموت. في خطوتين واسعتين صار (جاريث براين) واقفًا أمام المنصة ما بين (راند) والملكة. حتى (جاوين) وقف أمام (إيلاين) وقد ارتسمت على وجهه نظرة قلقة ويده على خنجره. حتى (إيلاين) نظرت إليه كأنما تراه للمرة الأولى. لم يتغير التعبير المرتسم على وجه (مورجيز) ولكنها أمسكت بمقبضي عرشها المذهب بإحكام.

وحدها (إيليدا) أبدت رد فعل أقل من الملكة. لم يبد على (الآيز سيداي) أدنى إشارة على أنها قالت شيء غير معتاد. أبعدت يدها عن السيف مما زاد من توتر الجنود بينما عيناها تدرسانه بنظرة دقيقة متفحصة.

قالت (مورجيز) بصوت هادئ: «إنه صغير بالتأكيد على أن يستحق سيفًا بعلامة البلشون، لا يمكن أن يكون أكبر من (جاوين)».

قال (جاريث براين): «السيف سيفه».

نظرت إليه الملكة بدهشة وقالت: «كيف يعقل هذا؟».

قال (براين) ببطء: «لا أعرف يا (مورجيز)، إنه صغير بالفعل ولكن السيف مع ذلك ينتمي له، كما ينتمي للسيف. انظري إلى عينيه، انظري إلى وقفته كيف يلائمه السيف وكيف يلائم السيف، إنه صغير للغاية ولكن السيف سيفه».

عندما لاذ القائد العام بالصمت قالت (إيليدا): «كيف وصل السيف إلى حوزتك يا (راند ألثور) من (النهرين)؟» قالتها كأنما تشك في اسمه كما تشك في المكان الذي جاء منه.

قال (راند): «لقد أعطاه لي أبي، كان سيفه. لقد ظن أني بحاجة إلى سيف عندما أخرج إلى العالم».

«إذن فهناك راعي غنم آخر من (النهرين) يملك سيفًا بعلامة البلشون». ابتسامة (إيليدا) جعلت حلقه يجف. «متى وصلت إلى (كايملين)؟».

كان قد نال كفايته من إخبار هذه المرأة بالحقيقة، لقد جعلته خائفًا مثلما يفعل أي واحد من (أصدقاء الظلام)، لقد حان وقت الاختباء مرة أخرى. «اليوم، هذا الصباح».

تمتمت قائلة: «في الوقت المناسب. أين تقيم؟ لا تقل إنك لم تجد غرفة في مكان ما، أنت تبدو رثًّا بعض الشيء، ولكنك قد نلت فرصة لاستعادة نشاطك، أين؟».

«حانة (الإكليل والأسد)». كان قد تذكر مروره بحانة (الإكليل والأسد) بينما يبحث عن حانة (مباركة الملكة)، كانت على الجانب الآخر من (المدينة الجديدة) بعيدًا عن حانة السيد (جيل). «لدي فراش هناك في العلية». كان لديه شعور أنها تعرف أنه يكذب، ولكنها اكتفت بأن أومأت برأسها.

قالت: «ما احتمالية حدوث هذا مُصادفة؟ اليوم يُجلب المارق إلى (كايملين)، وفي غضون يومين سيُؤخذ شمالًا إلى (تار ڤالون)، ومعه

تذهب ولية العهد من أجل تدريبها، وعند هذه اللحظة الفارقة بالتحديد يظهر شاب في حدائق القصر مدعيًا أنه أحد الرعايا المخلصين من (النهرين)...».

«أنا بالفعل من (النهرين)». كانوا جميعًا ينظرون إليه ولكنهم جميعًا يتجاهلونه، الجميع باستثناء (تالانفور) وحرسه الذين لم ترمش عيونهم قط.

«... مع حكاية محسوبة بدقة لإغراء (إيلاين) وهو يحمل سيفًا بعلامة البلشون. إنه لا يرتدي شارة ذراع ولا قبعة لإعلان ولائه، ولكنه يغلف سيفه بعناية لإخفاء البلشون عن الأعين الفضولية. ما احتمالية حدوث هذا مُصادفة يا (مورجيز)؟».

أشارت الملكة للقائد العام بأن يخطو جانبًا، وعندما فعل هذا تفحصت (راند) بعينين مضطربتين، ولكنها تحدثت إلى (إيليدا): «ما الذي تظنين أن يكونه؟ (صديقًا للظلام)؟ أحد أتباع (لوجاين)؟».

أجابتها (الآيز سيداي): «(سيد الظلام) يتململ في (شايول غول)، و(الظل) يكتنف (النمط)، والمستقبل متوازن على رأس إبرة، هذا الشخص خطير».

فجأة ألقت (إيلاين) بنفسها لتجثو على ركبتيها أمام العرش. «أتوسل إليك ألا تؤذيه يا أمي، كان سيغادر على الفور لو لم أوقفه، لقد أراد الذهاب، وأنا من أجبرته على البقاء. لا يمكنني أن أصدق أنه (صديق للظلام)».

أشارت (مورجيز) بيدها لكي تطمئنها، ولكنها لم ترفع عينيها عن (راند) وهي تقول: «هل هذا تنبؤ يا (إيليدا)؟ هل تقرئين (النمط)؟ تقولين إن هذا الأمر يراودك عندما لا تتوقعينه ويختفي فجأة مثلما يراودك. إن كنت تتنبئين يا (إيليدا) فآمرك أن تقولي الحقيقة بوضوح، دون طريقتك المعتادة في تغليف الأمر بالمزيد من الغموض حتى لا يعرف أحد إن كنتِ تقولين نعم أم لا. تحدثي، ما الذي ترينه؟».

قالت (إيليدا): «هذا ما أتنبأ به، وأقسم بـ(النور) إنني لا أستطيع أن أقوله بوضوح أكثر. منذ هذا اليوم ستخطو (أندور) نحو الألم والانقسام، لم يصل (الظل) لأحلك درجاته من السواد بعد، ولكني لا أستطيع أن أرى إن كان هناك نور سيأتي من بعده. إن كان العالم قد ذرف دمعة فإنه سيذرف ألف دمعة، هذا ما أتنبأ به».

خيم صمت مطبق على الحجرة، لا يتخلله سوى أنفاس (مورجيز) الشاقة كأنما هي أنفاسها الأخيرة.

واصلت (إيليدا) التحديق إلى عيني (راند) ثم تحدثت مرة أخرى وهي لا تكاد تحرك شفتيها، وبصوت خافت للغاية، حتى إنه لم يكد أحد يسمعها على مسافة أكثر من ذراع. «وأتنبأ بهذا أيضًا، الألم والانقسام سيجتاحان العالم بأسره، وهذا الشاب يقف في قلب الأمر برمته. أنا أطيع الملكة وأتحدث عن الأمر بوضوح».

أحس (راند) كأن قدميه قد انغرستا في الأرض الرخامية، تسللت برودة الصخر وتيبسه عبر ساقيه واقشعر بدنه. لم يكن أحد غيره ليقدر على سماعها، ولكنها كانت تنظر إليه وقدر على سماعها.

قال مخاطبًا الحجرة كلها: «أنا راعي غنم من (النهرين)، راعي غنم».

قالت (إيليدا) بصوت عالٍ: «(عجلة الزمن) تنسج بمشيئتها». لم يستطع أن يعرف إن كان هناك لمحة من السخرية في صوتها أم لا.

قالت (مورجيز): «لورد (جاريث)، أنا بحاجة إلى نصيحة قائدي العام».

هز الرجل ممتلئ الجسد رأسه وقال: «لقد قالت (إيليدا سيداي) إن الفتى خطير يا ملكتي، وإن كان باستطاعتها إخبارنا بالمزيد فسأقول إن علينا استدعاء قاطع الرؤوس، ولكنها لا تقول سوى ما يمكن لأي شخص منا أن يراه بعينيه. أي مُزارع في الريف سيقول إن الأمور ستزداد سوءًا دون الحاجة للتنبؤ. أنا نفسي أعتقد أن الفتى موجود هنا بمحض الصدفة،

ولكنها صدفة سيئة بالنسبة له. أقترح يا ملكتي من باب الاحتياط أن نُلقي به في زنزانة حتى تخرج السيدة (إيلاين) واللورد (جاوين) إلى وجهتهما، ثم نطلق سراحه، ما لم يكن لدى (الآيز سيداي) المزيد من التنبؤ بشأنه لتخبرنا به».

قالت (إيليدا): «لقد قلت كل ما يمكنني أن أراه في (النمط) أيها القائد العام». ثم نظرت إلى (راند) بابتسامة صارمة خاطفة، ابتسامة بالكاد ظهرت على شفتيها، مستهزئة بعجزه عن قوله إنها لا تقول الحقيقة. «لن يضيره بضعة أسابيع من السجن، وقد تمنحني فرصة لمعرفة المزيد». ملأ الجوع عينيها فازداد قشعريرته. «ربما سيراودني تنبؤ آخر».

ظلت (مورجيز) تفكر لبعض الوقت واضعة ذقنها على قبضتها ومرفقها على ذراع عرشها. كان (راند) ليتململ أمام نظرتها العابثة إن كان بمقدوره أن يتحرك على الإطلاق، ولكن عيني (إيليدا) قد ثبتتاه في موضعه.

وأخيرًا تحدثت الملكة: «الشك يخنق (كايملين)، وربما (أندور) بأسرها، الخوف والشك القاتم، النساء يتهمن جيرانهن بأنهم من (أصدقاء الظلام)، والرجال يرسمون (ناب التنين) على أبواب الناس الذين عرفوهم لسنوات. لن أصير جزءًا من الأمر».

حاولت (إيليدا) أن تقول: «(مورجيز)...».

ولكن الملكة قاطعتها قائلة: «لن أصير جزءًا من الأمر. عندما اعتليت العرش أقسمت أن أقيم العدل من أجل أعلى الناس منزلة وأدناهم، وسأقيمه حتى لو كنت آخر شخص في (أندور) يتذكر العدالة. هل تقسم يا (راند ألثور) باسم (النور) أن أباك راعي غنم من (النهرين) وأنه من أعطاك هذا السيف الذي يحمل علامة البلشون؟».

بلل (راند) فمه ليقدر على الحديث وقال: «أقسم بهذا». وفجأة تذكر إلى من يتحدث فأضاف على الفور: «يا جلالة الملكة». رفع (جاريث) حاجبه الكث ولكن لم يبدُ على (مورجيز) أنها تبالي بالأمر.

«وأنك قد تسلقت سور الحديقة فقط لكي تتمكن من رؤية (التنين الكاذب)؟».

«أجل يا جلالة الملكة».

«وأنك لا تضمر أي شر لعرش (أندور) أو ابنتي أو ابني؟». أحس من نبرة صوتها أنها تهتم بابنيها أكثر من عرش (أندور).

«لم أضمر أدنى أذى لأي شخص يا جلالة الملكة، وخصوصًا أنتِ وابنيكِ».

قالت: «إذن سأمنحك العدالة يا (راند ألثور). أولًا لأن لديَّ ميزة لم تحظَ بها (إيليدا) أو (جاريث)، وهي سماع طريقة حديث الناس في (النهرين) عندما كنت صغيرة. أنت لا تشبههم، ولكن إن أسعفتني ذاكرتي البعيدة فإنك تتحدث بلكنة (النهرين). ثانيًا لا أحد بمثل هذا الشعر وهاتين العينين سيزعم أنه راعي غنم من (النهرين) ما لم يكن كذلك حقًّا، وقولك بأن أباك قد أعطاك السيف الذي يحمل علامة البلشون هو أمر غير معقول للغاية حتى أنه من المستحيل أن يكون كذبة. وثالثًا الصوت الذي يهمس لي بأن أفضل الأكاذيب هي عادة تلك التي تكون غير معقولة بحيث لا يمكن اعتبارها كذبة. هذا الصوت ليس دليلًا. سأقيم القوانين التي وضعتها، سأمنحك الحرية يا (راند ألثور)، ولكني أقترح عليك أن تتنبه في المستقبل أي مكان تتطفل عليه. إن عثر عليك أحد في أراضي القصر مرة أخرى فلن أتساهل معك».

قال بصوت مبحوح: «شكرًا لك يا جلالة الملكة». كان باستطاعته أن يشعر باستياء (إيليدا) كحرارة على وجهه.

قالت (مورجيز): «(تالانفور)، اصطحب هذا الـ... اصطحب ضيف ابنتي إلى خارج القصر، وعامله بكل سبل الكياسة. أما بقيتكم فبإمكانكم الانصراف أيضًا. لا يا (إيليدا)، أنتِ ستبقين. وأنت أيضًا من فضلك

يا لورد (جاريث)، يجب أن أقرر ما يجب فعله حيال أصحاب العباءات البيضاء الموجودين في المدينة».

أغمد (تالانڤور) والحرس سيوفهم على مضض، وهم يستعدون لاستلالها مرة أخرى في لمح البصر. ورغم هذا كان (راند) مسرورٌ بأن يشكل الحرس نصف دائرة من حوله وأن يتبع (تالانڤور). لم تكن (إيليدا) منتبهة تمامًا لم تقوله الملكة، وكان باستطاعته أن يشعر بعينيها مصوبتين إلى ظهره. ما الذي كان ليحدث لو لم تُبقِ الملكة (الآيز سيداي) معها؟ هذه الفكرة جعلته يتمنى أن يسير الجنود بشكل أسرع.

لدهشته تبادلت (إيلاين) و(جاوين) بضع كلمات خارج الباب ثم لحقا به. كان (تالانڤور) متفاجئًا أيضًا، وراح الضابط الشاب ينقل بصره بينهما وبين الباب الذي قد أُغلق.

قالت (إيلاين): «لقد أمرت أمي باصطحابه إلى خارج القصر يا (تالانڤور)، بكل سبل الكياسة، ما الذي تنتظره؟».

نظر (تالانڤور) متجهمًا إلى الباب الذي تتشاور الملكة من ورائه مع مستشاريها، ثم قال بمرارة: «لا شيء يا سيدتي». وأمر الحرس بالتقدم.

مرت عجائب القصر من أمام عيني (راند) دون أن يراها، كان مرتبكًا والأفكار تدور في عقله بسرعة كبيرة بحيث لم يقدر على الإمساك بها. *أنت لا تُشبههم. هذا الشاب يقف في قلب الأمر برمته.*

توقف الحرس فجفل ثم نظر ليجد نفسه في الساحة الكبيرة أمام القصر، واقفًا عند البوابة العالية المطلية بالذهب التي تلمع في الشمس. هذه البوابة لن تُفتح من أجل رجل واحد، وبالتأكيد ليس من أجلِ متطفل، حتى لو زعمت ولية العهد أنه ضيف. ودون كلمة أزاح (تالانڤور) مزلاج فتحة صغيرة، باب صغير في البوابة العظيمة.

قالت (إيلاين): «هذه هي التقاليد؛ اصطحاب الضيوف حتى البوابة، ولكن ليس لمراقبتهم وهم يرحلون، ما يجب تذكره هو بهجة اصطحاب الضيف وليس الحزن لرحيله».

قال (راند) وهو يلمس الوشاح الذي يضمد رأسه: «شكرًا لكِ يا سيدتي على كل شيء، إن العادات في (النهرين) أن يُحضر الضيف هدية صغيرة، ولكني أخشى أنني لا أملك شيئًا». ثم أضاف بجمود: «ولكن من الواضح أني قد علمتكِ شيئًا عن قاطني (النهرين)».

«لو أخبرت أمي أنني أعتقد أنك وسيم لألقت بك في زنزانة بالتأكيد». ثم منحته ابتسامة باهرة قبل أن تقول: «وداعًا يا (راند ألثور)».

فغر فاه وهو يشاهدها ترحل، نسخة أصغر من جمال (مورجيز) وعظمتها.

ضحك (جاوين) وقال: «لا تحاول لَيَّ الكلمات معها فإنها ستنتصر في كل مرة».

أومأ (راند) برأسه في شرود. *وسيم؟ بحق (النور)، إنها ولية عهد عرش (أندور)!* هز رأسه لينتزع نفسه من أفكاره.

بدا أن (جاوين) ينتظر شيئًا ما فنظر (راند) إليه للحظة.

«سيدي اللورد، عندما قلت لك إنني من (النهرين) كنت متفاجئًا، وكذلك الجميع، أمك، واللورد (جاريث)، و(إيليدا سيداي)...». انتابته قشعريرة باردة. «لا أحد منهم...». لم يستطع أن يُنهي جملته، لم يكن واثقًا حتى لِمَ بدأها. *أنا ابن (تام ألثور) حتى لو لم أكن قد وُلِدْتُ في (النهرين).*

أومأ (جاوين) برأسه كأن هذا ما كان ينتظره، ورغم هذا تردد. فتح (راند) فمه ليتراجع عن سؤاله الذي لم ينطق به، ولكن (جاوين) قال: «فلتضع (شوفا) حول رأسك يا (راند) وستصبح صورة لرجل من (آييل).

هذا غريب، بما أن أمي تعتقد . على ما يبدو . أنك تتكلم كواحد من (النهرين) على الأقل. أتمنى لو كان باستطاعتنا أن نتعرف على أحدنا الآخر يا (راند ألثور). وداعًا».

رجل من (آبيل).

وقف (راند) وهو يشاهد (جاوين) يعود إلى القصر حتى سمع سعالًا نافد الصبر من (تالانقور) يُذَكِّره أين هو. أحنى رأسه ليمر عبر الفتحة، وبمجرد أن لمس كاحلاه الأرض بالخارج حتى صفق (تالانقور) الباب وراءه، وسمع المزلاج يعود إلى موضعه بصوتٍ عالٍ.

كانت الساحة البيضاوية خارج القصر فارغة حينها، وقد رحل كل الجنود وكل الحشود واختفت كل الأبواق والطبول في صمت. لم يتبقَّ شيء سوى القمامة المتناثرة التي تتطاير على الأرصفة، وعدد قليل من الناس يسرعون إلى أعمالهم بعد أن انتهت الإثارة. لم يستطع أن يميز إن كانوا يرتدون الأحمر أم الأبيض.

رجل من (آبيل).

جفل عندما أدرك أنه يقف أمام بوابة القصر مباشرة، حيث يُمكن لـ(إيليدا) أن تعثر عليه بسهولة بمجرد أن تنتهي من حديثها مع الملكة. لملم عباءته حول جسده وهو يبتعد مهرولًا عبر الساحة وإلى شوارع (المدينة الداخلية). كان ينظر وراءه باستمرار ليرى إن كان هناك شخص يلاحقه، ولكن الانعطافات الحادة حالت بينه وبين رؤيته بعيدًا. كان باستطاعته أن يتذكر عيني (إيليدا) جيدًا، وأن يتخيلهما وهما تراقبانه. بحلول الوقت الذي وصل فيه إلى بوابة (المدينة الجديدة) كان يركض.

الفصل الواحد والأربعون

أصدقاء قدامى وأخطار جديدة

عندما عاد (راند) إلى حانة (مباركة الملكة) ألقى بنفسه عند مدخل الباب الأمامي وهو يلهث. كان قد ركض طيلة الطريق دون أن يُبالي إذا ما رآه أحد وهو يرتدي الأحمر، أو حتى إن اعتبروا ركضه ذريعة لكي يلاحقوه. لم يعتقد أن أحدًا كان بإمكانه أن يلحق به حتى لو كان أحد (العواتم).

كان (لاجوين) جالسًا على مقعد بجانب الباب وبين ذراعيه قط بُنّي، وعندما رآه قادمًا وهو يركض اعتدل واقفًا على الفور وهو ينظر متوقعًا أن يرى المأزق الذي دفع (راند) للركض، ورغم هذا كان لا يزال هادئًا وهو يمسد رأس القط. عندما لم يرَ شيئًا جلس مرة أخرى بحذر لكيلا يُزعج القط. قال: «لقد حاول الحمقى سرقة بعض القطط منذ فترة». ثم تفحص مفاصل أصابعه قبل أن يواصل تمسيد رأس القط وهو يقول: «القطط تجلب الكثير من المال هذه الأيام».

رأى (راند) أن هناك رجلين يرتديان الأبيض لا يزالان واقفين على الجانب الآخر من الطريق، وكان أحدهما بفك متورم وكدمة سوداء حول

عينه، كان هذا الشخص يبدو متجهمًا ويفرك مقبض سيفه بلهفة كئيبة وهو يراقب الحانة.

قال (راند) متسائلًا: «أين السيد (جيل)؟».

أجابه (لامجوين): «في المكتبة». بدأ القط يخرخر فابتسم وقال: «لا يمكن لشيء أن يُزعج قط لوقت طويل، ولا حتى محاولة شخص ما أن يضعه في جوال».

أسرع (راند) إلى الداخل قاطعًا الحجرة العامة التي كانت مكتظة بالمجموعة المعتادة من الرجال الذين يرتدون الأحمر ويتحدثون بينما يتناولون الجعة حول (التنين الكاذب)، وعما إن كان أصحاب العباءات البيضاء سيثيرون المتاعب حينما يؤخذ إلى الشمال. لم يُبالِ أحد بما سيحدث لـ(لوجاين)، ولكنهم كانوا جميعًا يعرفون أن ولية العهد واللورد (جاوين) سيسافرون معهم، ولن يقبل أي رجل منهم أن يتعرضا لأدنى مخاطرة.

عثر على السيد (جيل) في المكتبة يلعب الأحجار مع (لويال)، كان هناك امرأة ممتلئة الجسد تجلس على الطاولة وقدماها مطويتان تحتها، تراقب أيديهما التي تتحرك فوق اللوحة ذات الخطوط المتقاطعة.

وضع (الأوجير) حجرًا آخر بلمسة رقيقة تتناقض بغرابة مع أصابعه الثخينة، هز السيد (جيل) رأسه واتخذ ظهور (راند) ذريعة لكي يبعد عينيه عن الطاولة. غالبًا ما يفوز (لويال) في لعبة الأحجار. «كنت قد بدأت أقلق عليك وأنا أتساءل أين أنت يا فتى، ظننت أنك قد واجهت متاعب مع بعض أولئك الخونة الذين يرتدون الأبيض، أو أنك قد صادفت ذلك الشحاذ، أو شيئًا من هذا القبيل».

للحظة وقف (راند) هناك فاغرًا فاه، لقد نسي كل شيء عن ذلك الرجل المكون من حزمة من الأسمال البالية. وأخيرًا قال: «لقد رأيته، ولكن هذا لم يكن شيئًا مقارنة بما حدث بعدها؛ لقد رأيت الملكة أيضًا و(إيليدا)، وهذا هو مكمن المتاعب».

ضحك السيد (جيل) ساخرًا وقال: «الملكة؟ حقًّا؟ لا تقل هذا. لقد جاء (جاريث براين) إلى الحجرة العامة منذ ساعة أو أكثر ولعب مصارعة الذراعين مع السيد القائد الأعلى لـ(أبناء النور)، ولكن الملكة... هذا أمر مختلف تمامًا».

قال (راند) مزمجرًا: «بحق الدماء والرماد، الجميع يعتقد أنني أكذب اليوم». ثم ألقى بعباءته على ظهر كرسي وهوى بجسده على كرسي آخر. كان منزعجًا للغاية بحيث لم يستطع أن يجلس مسترخيًا، فجلس على حافة الكرسي وهو يمسح وجهه بمنديل. «لقد رأيت الشحاذ، وقد رآني بدوره، وظننت... هذا ليس مهمًّا. لقد تسلقت سورًا يحيط بحديقة حيث كان بمقدوري أن أرى الساحة أمام القصر إلى حيث أخذوا (لوجاين)، ثم سقطت بالداخل».

قال صاحب الحانة ببطء: «أكاد أصدق أنك لا تمزح».

تمتم (لويال) قائلًا: «(تاڤيرين)».

قال (راند): «لقد حدث هذا بالفعل، بحق (النور)».

تلاشى ارتياب السيد (جيل) ببطء مع مواصلة (راند) حديثه، وتحول إلى هدوء حذر. راح صاحب الحانة يميل إلى الأمام أكثر وأكثر حتى صار جالسًا على حافة كرسيه مثل (راند). كان (لويال) يُصغي السمع بهدوء، إلا أنه كثيرًا ما كان يفرك أنفه العريض، وكانت خصلات الشعر على أذنيه ترتعش قليلًا.

قصَّ (راند) كل ما حدث، كل شيء باستثناء ما همست به (إيليدا) له، وما قاله (جاوين) عند بوابة القصر. الأولى لم يرغب في التفكير بها، والثانية لم يكن لها علاقة بأي شيء. *أنا ابن (تام ألثور)، حتى لو لم أكن قد وُلِدت في (النهرين)، أنا كذلك! أنا أحمل دماء (النهرين)، و(تام) هو أبي.*

فجأة أدرك أنه قد توقف عن الحديث عالقًا في أفكاره الخاصة، وأنهما ينظران إليه. تساءل في لحظة من الذعر إن كان قد قال أكثر من اللازم.

قال السيد (جيل): «حسنًا، لن تكون قادرًا على انتظار أصدقاءك أكثر من هذا، سيكون عليك مغادرة المدينة، وبسرعة، في غضون يومين على الأكثر. هل يمكنك أن تجعل (مات) يقف على قدميه بحلول ذلك الوقت، أم يجب عليَّ أن أُرسل في طلب (الأم جروب)؟».

نظر إليه (راند) في حيرة وقال: «يومين؟».

«(إيليدا) هي مستشارة الملكة (مورجيز)، بجانب القائد العام (جاريث براين) نفسه، وربما تسبقه. إن أمرت (حرس الملكة) بالبحث عنك فإن اللورد (جاريث) لن يوقفها ما لم يتعارض هذا مع واجباتهم الأخرى، ويمكن للحرس أن يفتشوا كل حانة في (كايملين) في غضون يومين، وهذا إن لم يجلبهم الحظ العاثر إلى هنا في اليوم الأول أو في الساعة الأولى. ربما يكون لدينا بعض الوقت إن بدأوا البحث في حانة (الإكليل والأسد)، ولكن هذا لا يمنحنا عذرًا للتباطؤ».

أومأ (راند) برأسه ببطء وقال: «إن لم أتمكن من إخراج (مات) من الفراش فلترسل في طلب (الأم جروب). لا يزال معي القليل من المال، ربما يكون كافيًا».

قال صاحب الحانة بحزم: «سأتولى أمر (الأم جروب)، وأفترض أن بإمكاني أن أعيركما حصانين، إن حاولت أن تمشي إلى (تار ڤالون) فسيبلى ما تبقى من حذائك في منتصف الطريق إلى هناك».

«أنت صديق مخلص، ويبدو لي أننا لم نجلب لك شيئًا سوى المتاعب، ورغم هذا لا تزال راغبًا في المساعدة، صديق مخلص بحق».

بدا على السيد (جيل) بعض الخجل، فهز كتفيه وتنحنح وهو يُطرق ببصره، هذا أعاد عينيه إلى لوحة الأحجار، فأشاح بهما مرة أخرى، سيفوز (لويال) بالتأكيد. «حسنًا، لطالما كان (توم) صديقًا مخلصًا لي، إن كان مستعدًّا لأن يبذل قصارى جهده من أجلكما، فيمكنني أن أبذل القليل بدوري».

فجأة قال (لويال): «أود أن أذهب معك عندما تغادر يا (راند)».

قال (راند): «ظننت أننا حسمنا هذا الأمر يا (لويال)». ثم تردد قليلًا؛ لا يزال السيد (جيل) لا يعرف الخطر كاملًا. ثم أضاف: «أنت تعرف ما ينتظرني أنا و(مات)، ما يُلاحقنا».

أجابه (الأوجير) بدمدمة هادئة: «(أصدقاء ظلام)، (آيز سيداي)، أو شيء آخر لا يعرفه إلا (النور)، أو حتى (سيد الظلام) نفسه. أنت ذاهب إلى (تار ڤالون)، وثمة (بستان) جميل للغاية هناك، وقد سمعت أن (الآيز سيداي) يعتنين به جيدًا. على أي حال هناك الكثير لكي يراه المرء في العالم أكثر من (البساتين). أنت (تاڤيرين) حقًّا يا (راند)، (النمط) ينسج نفسه من حولك وأنت تقف في قلب الأمر برمته».

هذا الشاب يقف في قلب الأمر برمته. أحس (راند) بقشعريرة باردة وقال بحدة: «أنا لا أقف في قلب أي شيء».

رمش السيد (جيل) بعينيه، وحتى (لويال) بدا مندهشًا من غضبه. نظر صاحب الحانة و(الأوجير) أحدهما إلى الآخر ثم إلى الأرض. أجبر (راند) تعابير وجهه على الاسترخاء وهو يتنفس بعمق. ولدهشته استطاع أن يجد الخواء الذي كان عصيًّا عليه كثيرًا في الآونة الأخيرة، وأن يجد الهدوء أيضًا، إنهما لا يستحقان غضبه.

قال: «يمكنك أن تأتي يا (لويال). لا أعرف لماذا ترغب في هذا، ولكني سأكون ممتنًّا لصحبتك. أنت... أنت تعرف حالة (مات) الآن».

قال (لويال): «أعرف، وأنا ما زلت غير قادر على الخروج إلى الشارع دون أن يُطاردني حشد غاضب وهم يهتفون (ترولوك). ولكن (مات) على الأقل لا يستخدم إلا الكلمات، ولم يُحاول قتلي».

قال (راند): «بالطبع لا، ليس (مات)». *إنه لن يتمادى إلى هذا الحد، ليس (مات).*

جاء صوت طرق على الباب، ثم أطلت إحدى النادلات . (جيلدا) . برأسها إلى الحجرة وهي تزم فمها وعيناها قلقتان. «فلتأتِ بسرعة يا سيد (جيل) من فضلك، هناك بعض أصحاب العباءات البيضاء في الحجرة العامة».

قفز السيد (جيل) واقفًا وهو يسب، مما جعل القط يقفز من فوق الطاولة ويهرب من الحجرة بذيل منتصب وهو يشعر بالإهانة. «سآتي على الفور، فلتسرعي وتخبريهم أنني قادم، ثم ابتعدي عن طريقهم. هل تفهمينني يا فتاة؟ ابتعدي عن طريقهم».

أومأت (جيلدا) برأسها واختفت، فقال مخاطبًا (لويال): «من الأفضل أن تبقى هنا».

زفر (الأوجير) بصوت كتمزيق الورق وقال: «لم يعد لدي رغبة في المزيد من المقابلات مع (أبناء النور)».

نظر السيد (جيل) إلى لوحة الأحجار وبدا أنه قد ابتهج قليلًا وقال: «يبدو لي أننا سنضطر لبدء اللعبة من جديد لاحقًا».

قال (لويال): «لا حاجة لهذا». ثم مد ذراعه إلى الأرفف وأنزل كتابًا، وقد بدا المجلد الكبير كأنما هو كتيب بين يديه. «يمكننا أن نُكمل من حيث انتهينا على اللوحة، إنه دورك».

تجهم السيد (جيل) ثم تمتم وهو يخرج من الغرفة: «إن لم يكن شيئًا فهو الآخر».

لحق به (راند) ولكن ببطء، لم يكن لديه رغبة أكثر من (لويال) في التورط مع (أبناء النور). *هذا الشاب يقف في قلب الأمر برمته.* توقف عند الباب المؤدي إلى الحجرة العامة حيث كان بإمكانه أن يرى ما يجري، ولكن بعيدًا بما يكفي بحيث يأمل ألا يلاحظه أحد.

كان الصمت المطبق مخيمًا على الحجرة، وهناك خمسة من أصحاب العباءات البيضاء يقفون في منتصفها، والناس الجالسون على الطاولات يتجاهلونهم بحرص. كان أحدهم يحمل وميض برق فضي تحت شعار الشمس على عباءته مما يشي بأنه ضابط مساعد. كان (لامجوين) متكئًا على الحائط عند الباب الأمامي وهو ينظف أظافره باهتمام بشظية خشبية. كان هناك أربعة آخرون من الحراس الذين استأجرهم السيد (جيل) يقفون على مسافات متباعدة على طول الحائط المقابل له، وجميعهم لا يُبدون أي اهتمام لأصحاب العباءات البيضاء بشكل مدروس. لم يُبدِ (أبناء النور) أدنى إشارة على ملاحظتهم لأي شيء، وحده الضابط المساعد أبدى أدنى قدر من المشاعر، فقد راح ينقر بنفاد صبر بقفازه الفولاذي على راحة يده وهو ينتظر صاحب الحانة.

قطع السيد (جيل) الحجرة بسرعة، وعلى وجهه نظرة محايدة حذرة. «فليُشرق عليكم (النور)». قالها بانحناءة حذرة بحيث لم تكن كبيرة للغاية، وأيضًا لم تكن ضئيلة بما يكفي لأن تشعرهم بالإهانة. «وعلى ملكتنا الطيبة (مورجيز). كيف يُمكنني مساعدتـ...».

قال الضابط المساعد بحدة: «ليس لدي وقت لهذا الهراء يا صاحب الحانة، لقد ذهبت اليوم إلى عشرين حانة بالفعل، وكل واحدة هي حظيرة خنزير أسوأ من سابقتها، وسأذهب إلى عشرين حانة أخرى قبل غروب الشمس. أنا أبحث عن (أصدقاء ظلام)، فتى من (النهرين)...».

كان وجه السيد (جيل) يزداد تجهمًا مع كل كلمة، وراح يزفر وكأنه على وشك أن ينفجر، وأخيرًا قاطع الضابط المساعد بدوره قائلًا: «لا يوجد (أصدقاء ظلام) في حانتي، كل رجل هنا هو رجل صالح مخلص للملكة».

قال الضابط المساعد: «نعم، ونحن جميعًا نعرف موقف (مورجيز)». نطق اسم الملكة بسخرية. «وساحرتها القادمة من (تار ڤالون)، أليس كذلك؟».

تعالى صرير قوائم الكراسي، وفجأة صار كل رجل في الحجرة واقفًا على قدميه. كانوا يقفون صامتين كالتماثيل، ولكن كل واحد يحدق في وجوم إلى أصحاب العباءات البيضاء. لم يبدُ على الضابط المساعد أنه قد لاحظ هذا، ولكن الأربعة الذين من ورائه راحوا يتلفتون حولهم في توتر.

قال الضابط المساعد: «سيكون من الأفضل لك أن تتعاون معنا يا صاحب الحانة، إن المزاج السائد في هذه الآونة لا يتهاون مع أولئك الذين يتسترون على (أصدقاء الظلام)، لا أعتقد أن حانة تحمل (ناب التنين) على بابها ستحظى بالكثير من الزبائن. ربما تواجه متاعب مع الحرائق بوجود هذا على بابك».

قال السيد (جيل) بهدوء: «ستخرجون من هنا على الفور وإلا سأرسل في طلب (حرس الملكة) لحمل ما يتبقى منكم إلى أكوام النفايات».

استل (لامجوين) سيفه من غمده في لمح البصر، وتردد صدى احتكاك الفولاذ على الجلد الخشن في أرجاء الحجرة بينما العديد من الأيدي تُشهر السيوف والخناجر. أسرعت النادلات نحو الأبواب.

تلفت الضابط المساعد حوله في ازدراء وعدم تصديق وقال: «(ناب التنين)...».

قاطعه السيد (جيل) قائلًا: «سأمهلك حتى خمسة». ثم رفع قبضته المضمومة لأعلى وفرد سبابته قائلًا: «واحد».

«لا شك أنك مجنون يا صاحب الحانة لتهدد (أبناء النور)».

«أصحاب العباءات البيضاء ليس لهم أي سلطة في (كايملين). اثنان».

«هل تُصدق حقًّا أن الأمر سينتهي هنا؟».

«ثلاثة».

قال الضابط المساعد بحدة: «سوف نعود». ثم أمر رجاله في عجالة باللحاق به محاولًا التظاهر بأنهم يُغادرون في حالة جيدة وبرغبته الخاصة، ولكن ما أفسد هذا هو التلهف الذي أبداه رجاله في طريقهم نحو الباب، لم يركضوا ولكنهم لم يخفوا رغبتهم في أن يكونوا بالخارج.

وقف (لامجوين) عند الباب بسيفه ولم يتنحَّ جانبًا إلا بإشارة سريعة من السيد (جيل). عندما غادر أصحاب العباءات البيضاء هوى صاحب الحانة على الكرسي وهو يفرك جبينه بيده، ثم حدق إليها كأنه مندهش لأنها ليست مغطاة بالعرق. في جميع أرجاء الغرفة جلس الرجال مرة أخرى وهم يضحكون على ما قد فعلوه، وذهب بعضهم ليضرب على كتف السيد (جيل).

عندما رأى صاحب الحانة (راند) اعتدل واقفًا من كرسيه واقترب منه قائلًا بتعجب: «من كان يظن أن بي من المقومات ما يجعلني بطلًا؟ فليباركني (النور)». فجأة هز رأسه واستعاد صوته نبرته الطبيعية تقريبًا: «سيكون علينا البقاء بعيدًا عن الأنظار حتى أتمكن من إخراجك من المدينة». ثم تفحَّص الحجرة العامة بحذر قبل أن يدفع (راند) إلى الردهة وهو يقول: «هذه المجموعة ستعود مرة أخرى، وإلا فهناك بعض الجواسيس يرتدون الأحمر اليوم. بعد هذا الاستعراض الصغير الذي قدمته أشك أنهم سيبالون إن كنت هنا أم لا، ولكنهم سيتصرفون كأنك كذلك».

قال (راند) محتجًّا وقال: «هذا جنوني». ثم خفض صوته مع إشارة من صاحب الحانة وقال: «ليس لدى أصحاب العباءات البيضاء أي سبب لملاحقتي».

«أنا لا أعرف الأسباب يا فتى، ولكنهم يلاحقونك أنت و(مات) بالتأكيد. ما الذي ورطت نفسك فيه؟ ليس (إيليدا) فقط بل وأصحاب العباءات البيضاء أيضًا».

رفع (راند) يديه في احتجاج ثم تركهما يسقطان إلى جواره، لم يكن الأمر منطقيًّا، ولكنه قد سمع ما قاله أصحاب العباءات البيضاء. «ماذا عنك؟ أصحاب العباءات البيضاء سيسببون لك المتاعب، حتى لو لم يعثروا علينا هنا».

«لا داعي للقلق بشأن هذا يا فتى، فـ(حرس الملكة) لا يزالون يقيمون القانون، حتى لو كانوا يسمحون للخونة بالتجول في الأنحاء وهم يرتدون الأبيض. أما أثناء الليل... حسنًا، قد لا ينال (لامجوين) ورفاقه قسطًا كبيرًا من النوم، ولكني أكاد أشفق على أي شخص قد يحاول أن يضع علامة على بابي».

ظهرت (جيلدا) بجوارهما ومالت لتخاطب السيد (جيل) قائلة: «سيدي، هناك... هناك سيدة نبيلة في المطبخ». بدت مصدومة من هذا المزيج الغريب. «إنها تسأل عن السيد (راند) يا سيدي، والسيد (مات)، بالاسم».

تبادل (راند) نظرة متحيرة مع صاحب الحانة.

قال السيد (جيل): «إن كنت قد تمكنت بالفعل من جلب السيدة (إيلاين) من القصر إلى حانتي فسينتهي بنا المطاف جميعًا أمام قاطعي الرؤوس». شهقت (جيلدا) مع ذكر ولية العهد وحدقت إلى (راند) بعينين متسعتين، فقال صاحب الحانة بحدة: «انصرفي يا فتاة، ولا تتفوهي بكلمة بشأن ما سمعتِه، هذا أمر لا يخص أحد». أومأت (جيلدا) برأسها ثم

اندفعت عبر الردهة وهي تُلقي نظرات خاطفة إلى الوراء ناحية (راند) مع ابتعادها. تنهد السيد (جيل) وقال: «في غضون خمس دقائق ستخبر النساء الأخريات أنك أمير متنكر، وبحلول المساء سيكون هذا حديث (المدينة الجديدة) بأسرها».

قال (راند): «أنا لم أذكر (مات) أمام (إيلاين) يا سيد (جيل)، لا يمكن أن تكون...». فجأة أشرق وجهه بابتسامة عريضة ثم ركض ناحية المطبخ.

صاح صاحب الحانة من ورائه: «انتظر! انتظر حتى تعرف. انتظر أيها الأحمق!».

فتح (راند) الباب المؤدي إلى المطبخ بقوة، وهنالك كانوا؛ (مويرين) تنظر إليه بعينين هادئتين غير مندهشتين، (ناينيف) و(إيجوين) تركضان نحوه وهما تضحكان لتلقي كل واحدة منهما بذراعيها حوله، بينما (بيرين) يندفع من ورائهما، وثلاثتهم يربتون على كتفيه، كأنما ليقتنعوا أنه هناك بالفعل. وعند الباب المؤدي إلى باحة الإسطبل كان (لان) يقف متكئًا واضعًا قدمًا على إطار الباب، مقسمًا انتباهه ما بين المطبخ والباحة بالخارج.

حاول (راند) أن يعانق المرأتين وأن يصافح يد (بيرين)، كل هذا في نفس الوقت. فكان الأمر عبارة عن تشابك من الأذرع والضحك، وازداد الأمر تعقيدًا عندما حاولت (ناينيف) أن تتحسس وجهه من أجل الحمى. كانوا جميعًا يبدون بشكل ما في حال أسوأ؛ الكدمات على وجه (بيرين)، الذي كان يُطرق بعينيه بطريقة غير معتادة منه، ولكنهم كانوا جميعًا على قيد الحياة، وقد اجتمع شملهم مرة أخرى. أحس باختناق في حلقه يمنعه من التحدث، ولكنه استطاع أخيرًا أن يقول: «كنت أخشى أنني لن أراكم مرة أخرى، كنت أخشى أنكم جميعًا....».

قالت (إيجوين) ورأسها على صدره: «كنت أعرف أنك على قيد الحياة، لطالما عرفت هذا».

قالت (نابنيف): «أنا لم أكن أعرف هذا». كان صوتها حادًّا للحظة، ولكنه صار رقيقًا في اللحظة التالية وهي تبتسم له قائلة: «أنت تبدو بخير حال يا (راند)، ولا أعني أنك قد أفرطت في الأكل، ولكنك بخير حمدًا (للنور)».

قال السيد (جيل) من ورائهم: «حسنًا، أفترض أنك تعرف هؤلاء الأشخاص. هل هم الأصدقاء الذين كنت تبحث عنهم؟».

أومأ (راند) برأسه وقال: «أجل، أصدقائي». ثم بدأ يعرفه بهم، وأحس بالغرابة وهو يعرف (لان) و(مويرين) باسميهما الحقيقيين، وقد نظر إليه كلاهما بحدة عندما فعل هذا.

رحب صاحب الحانة بالجميع بابتسامة عريضة، ولكنه كان منبهرًا بشكل واضح بمقابلة واحد من (الحماة)، وعلى وجه الخصوص بمقابلة (مويرين). عند تعريفه بها فغر فاه، فمعرفة أن هناك (آيز سيداي) كانت تساعد الفتيان يختلف تمامًا عن ظهورها هنا في المطبخ. انحنى انحناءة كبيرة وقال: «يشرفني أن تكوني ضيفتي في حانة (مباركة الملكة) أيتها (الآيز سيداي)، رغم أنني أفترض أنك ستبقين في القصر مع (إيليدا سيداي) و(الآيز سيداي) اللاتي جئن مع (التنين الكاذب)». ثم انحنى مرة أخرى قبل أن ينظر إلى (راند) بنظرة سريعة قلقة، فرغم أنه لا يحب أن يتحدث بالسوء عن (الآيز سيداي) إلا أن هذا لا يعني أنه يرغب في أن تنام واحدة منهم تحت سقف حانته.

أومأ (راند) برأسه مشجعًا، محاولًا أن يخبره أن كل شيء على ما يرام، (مويرين) ليست مثل (إيليدا)، التي تحمل تهديدًا خفيًّا مع كل نظرة وكل كلمة. *هل أنت واثق؟ حتى الآن، هل أنت واثق؟*

قالت (مويرين): «أعتقد أنني سأبقى هنا أثناء الوقت القصير الذي سأقضيه في (كايملين)، ويجب عليك أن تسمح لي بالدفع».

دلف قط مرقط من الردهة وهو يمشي على مهل قبل أن يمسح جسده في كاحلي صاحب الحانة، وسرعان ما اندفع قط رمادي كث الفراء من تحت الطاولة فأحنى القط المرقط ظهره وهو يُصدر فحيحًا عاليًا. ربض القط المرقط وهو يُصدر دمدمة تنذر بالخطر فاندفع القط الرمادي من وراء (لان) إلى باحة الإسطبل.

بدأ السيد (جيل) يعتذر عما فعله القطان، وفي الوقت ذاته حاول أن يحتج قائلًا إن (مويرين) ستشرفه بأن تكون ضيفة عنده، وعما إن كانت واثقة من أنها لا تفضل القصر، وهو ما يتفهمه تمامًا، ولكنه يأمل أن تقبل أفضل غرفة عنده كهدية منه. كان خليطًا من الكلمات لم تعره (مويرين) أدنى اهتمام على الإطلاق، وبدلًا من هذا انحنت لتمسد القط المرقط باللونين البرتقالي والأبيض، الذي ترك كاحلي السيد (جيل) على الفور من أجلها.

قالت: «لقد رأيت أربعة قطط هنا حتى الآن، هل لديكم مشكلة مع الفئران؟».

تنهد صاحب الحانة وقال: «أجل يا (مويرين سيداي)، مشكلة فظيعة، هذا لا يعني أنني لا أحافظ على نظافة المكان كما تفهمين. المشكلة هي وجود كل هؤلاء الناس، المدينة مليئة بالناس والفئران، ولكن قططي تعتني بالأمر، أعدك أن الأمر لن يزعجك على الإطلاق».

تبادل (راند) نظرة عابرة مع (بيرين) الذي أطرق بعينيه على الفور مرة أخرى. كان هناك شيء غريب حيال عيني (بيرين)، وكان صامتًا للغاية. لطالما كان (بيرين) بطيئًا في الحديث، ولكنه لم يكن من النوع الذي لا يقول شيئًا على الإطلاق. قال: «يمكن أن يكون السبب هو كل هؤلاء الناس».

قالت (مويرين) كأن الأمر مفروغ منه: «بعد إذنك يا سيد (جيل)، من السهل ببساطة إبعاد الفئران عن هذا الشارع، وببعض الحظ لن تُدرك الفئران حتى أن هناك من يُبقيها بعيدًا».

عقد السيد (جيل) حاجبيه مع الجملة الأخيرة، ولكنه انحنى وقبل عرضها قائلًا: «إن كنتِ واثقة من أنك لا ترغبين في البقاء في القصر يا (آيز سيداي)».

فجأة قالت (ناينيف): «أين (مات)؟ لقد قالت إنه موجود هنا أيضًا».

قال (راند): «بالأعلى، إنه... ليس على ما يرام».

رفعت (ناينيف) رأسها وقالت: «هل هو مريض؟ سأترك لها أمر الفئران وسأعتني به، فلتأخذني إليه على الفور يا (راند)».

قالت (مويرين): «فلتذهبوا جميعًا للأعلى، سألحق بكم في غضون بضع دقائق، إننا نصنع زحامًا في مطبخ السيد (جيل)، وسيكون من الأفضل إن ذهبنا إلى مكان هادئ في الوقت الحالي». كانت كلماتها تتضمن شيئًا آخر؛ *ابقوا بعيدًا عن الأنظار، لم ينتهِ الاختباء بعد.*

قال (راند): «هيا بنا، سنصعد عبر الطريق الخلفي».

احتشد أبناء قريته وراءه متجهين نحو السلم الخلفي، تاركين (الآيز سيداي) و(الحامي) في المطبخ مع السيد (جيل). لم يستطع بعد أن يستوعب أن شملهم قد اجتمع مرة أخرى. كان الأمر أشبه بالعودة إلى الديار، ولم يستطع أن يتوقف عن الابتسام.

بدا أن نفس الارتياح ونفس البهجة قد انعكسا على الآخرين، فقد راحوا يضحكون وهم يمدون أيديهم ليمسكوا بذراعه. بدا صوت (بيرين) خفيضًا، ولا يزال مطرقًا برأسه، ولكنه بدأ في الحديث وهم يصعدون الدرج.

«قالت (مويرين) إنها قادرة على العثور عليك أنت و(مات)، وقد فعلت هذا. عندما دخلنا المدينة لم يستطع بقيتنا التوقف عن التحديق . باستثناء (لان) بالطبع . كل هؤلاء الأشخاص، والمباني، وكل شيء».
تطايرت خصلات شعره السميكة عندما هز رأسه في عدم تصديق وهو يقول: «كل شيء كبير للغاية وهناك الكثير من الناس. بعضهم راحوا يحدقون إلينا أيضًا وهم يصيحون: أحمر أم أبيض؟ وكأن الأمر بديهي نوعًا ما بالنسبة لهم».

لمست (إيجوين) سيف (راند) متحسسة الغلاف الأحمر وهي تقول: «ما الذي يعنيه هذا؟».

قال لها: «لا شيء، لا شيء مهم، سوف نغادر إلى (تار ڤالون)، ألا تذكرين؟».

حدجته (إيجوين) بنظرها، ولكنها أبعدت يدها عن السيف وأكملت الحديث من حيث توقف (بيرين): «لم تنظر (مويرين) إلى أي شيء أكثر مما فعل (لان). كانت تأخذنا جيئة وذهابًا عبر كل هذه الشوارع مرات عديدة، ككلب يتعقب رائحة، حتى ظننتُ أنكما لا يمكن أن تكونا هنا. وفجأة انطلقت عبر أحد الشوارع، وبعدها وجدنا أنفسنا نسلم الأحصنة إلى عاملي الإسطبل ونندفع إلى المطبخ. لم تسأل حتى إن كنتما هنا، فقط أخبرت امرأة تعد العجين بأن تذهب لتخبر (راند ألثور) و(مات كاوثون) أن هناك من يرغب في رؤيتهما، وها أنت ذا...». ابتسمت وقالت: «ككرة تظهر من العدم في يد صانع البهجة».

سأله (بيرين): «أين صانع البهجة؟ هل هو معكما؟».

أحس (راند) بالاضطراب في معدته، وتضاءلت بهجته بوجود أصدقائه من حوله. «لقد مات (توم). أعتقد أنه قد مات. كان هناك (عاتم)...». لم يستطع أن يقول أكثر من هذا، فهزَّت (نايْنيڤ) رأسها وهي تتمتم بشيء غير مسموع.

تعاظم الصمت من حولهم ليخنق الضحكات القليلة والفرحة العابرة حتى وصلوا إلى نهاية الدرج.

حينها قال: «(مات) ليس مريضًا بالضبط، إنه... سترون». ثم فتح باب الغرفة التي يتشاركها مع (مات) وقال: «انظر من هنا يا (مات)».

كان (مات) لا يزال متكومًا على نفسه فوق الفراش كما تركه (راند)، فاكتفى بأن رفع رأسه ليحدق إليهم قائلًا بصوت مبحوح: «كيف تعرف أنهم هم في الحقيقة من تظنهم؟». كان وجهه محتقنًا بالدماء وجلده مشدود ويتصبب عرقًا. «كيف أعرف أنك أنت من أظنه؟».

قالت (ناينيڤ) وهي تنظر إلى (راند) باستنكار: «ليس مريضًا؟». ثم دفعته جانبًا لتتخطاه وقد انتزعت حقيبتها بالفعل من كتفها.

قال (مات) وهو يلهث: «الجميع يتغيرون، كيف يمكنني أن أثق فيكم؟ (بيرين)؟ هل هذا أنت؟ لقد تغيرتَ، أليس كذلك؟». كان ضحكه أشبه بالسعال. «أوه، أجل، لقد تغيرتَ».

لدهشة (راند) هوى (بيرين) بجسده على طرف الفراش واضعًا رأسه بين يديه وهو يحدق إلى الأرضية. بدا وكأن ضحكات (مات) تطعنه.

جثت (ناينيڤ) على ركبتيها بجانب فراش (مات)، ومدت يدها إلى وجهه لترفع الضمادة عنها. جفل وهو يبعد رأسه عن يدها بنظرة حانقة. كانت عيناه حادتين ومتقدتين. قالت: «إن حرارتك مرتفعة للغاية، ولكن ليس من المفترض أن تتصبب عرقًا مع هذا القدر من الحمى». لم تستطع أن تخفي نبرة القلق في صوتها. «فلتذهب مع (بيرين) يا (راند) لتحضرا بعض الأقمشة النظيفة وأكبر قدر من الماء البارد يمكنكما حمله. سأجعل حرارتك تنخفض أولًا يا (مات)، وبعدها...».

قال (مات) بحدة: «(نانيف) الجميلة. ليس من المفترض أن تفكر الحكيمة في نفسها كامرأة، أليس كذلك؟ ليس كامرأة جميلة، ولكنك تفكرين في هذا، أليس كذلك؟ لا يمكنك أن تجعلي نفسك تنسين أنك امرأة جميلة، وهذا يخيفك. الجميع يتغيرون». شحب وجه (نانيف) بينما يتحدث، ولم يستطع (راند) أن يعرف إن كان هذا بفعل الغضب أم شيء آخر. ضحك (مات) ضحكة خبيثة ثم انتقلت عيناه المحمومتان إلى (إيجوين) وقال بصوت أجش: «(إيجوين) الجميلة، جميلة كـ(نانيف)، وأنتما تتشاركان أشياء أخرى الآن، أليس كذلك؟ أحلام أخرى. ما الذي تحلمان به الآن؟». خطت (إيجوين) خطوة للوراء بعيدًا عن الفراش.

«نحن في مأمن من أعين (سيد الظلام) في الوقت الحالي». قالتها (مويرين) وهي تخطو إلى الغرفة وفي عقبيها (لان). وقعت عيناها على (مات) وهي تخطو عبر الباب، فصاحت وكأنما قد لمست موقدًا ساخنًا: «ابتعدوا عنه!».

لم تتحرك (نانيف) إلا لتحدق إلى (الآيز سيداي) في دهشة. في خطوتين سريعتين أمسكت (مويرين) بالحكيمة من كتفيها، قبل أن تجرها على الأرض كأنما هي جوال، قاومت (نانيف) في احتجاج، ولكن (مويرين) لم تُطلق سراحها حتى ابتعدت تمامًا عن الفراش. واصلت الحكيمة احتجاجها وهي تنهض على قدميها وتهندم ثيابها في غضب، ولكن (مويرين) تجاهلتها تمامًا. راقبت (الآيز سيداي) (مات) متجاهلة كل شيء آخر، ناظرة إليه كأنما تنظر إلى أفعى سامة.

قالت: «فلتبقوا جميعًا بعيدًا عنه، والتزموا الصمت».

بادلها (مات) التحديق بحدة كحدتها، كاشفًا عن أسنانه في زمجرة صامتة، منكمشًا على نفسه أكثر دون أن يُبعد عينيه عن عينيها. ببطء وبخفة وضعت يدها على ركبته المضمومة إلى صدره. اجتاحته قشعريرة من

النفور الشديد مع لمستها، وتشنج جسده كله، وفجأة اندفعت يده محاولًا أن يصيب يدها بالخنجر ذي المقبض الياقوتي.

في لحظة كان (لان) عند الباب، وفي اللحظة التالية كان بجانب الفراش، كأنما لم يكن هناك أي مسافة فاصلة قط. أمسكت يده بمعصم (مات) ليثبتها في موضعها كأنما أصابت حجرًا. ظل (مات) منكمشًا على نفسه، ولا شيء فيه يحاول أن يتحرك سوى يده الممسكة بالخنجر، وهو يقاوم قبضة (الحامي) الراسخة. لم تبتعد عينا (مات) قط عن (مويرين)، وقد اشتعلتا بالكراهية.

لم تتحرك (مويرين) أيضًا، لم تحفل من الشفرة التي كانت على بعد بوصات قليلة من وجهها، كما لم تحفل عندما حاول ضربها. سألته بصوت فولاذي: «كيف استطعت الحصول على هذا؟ لقد سألتك إن كان (مورديث) قد أعطاك شيئًا. لقد سألت، وحذرتك، وقلتَ إنه لم يُعطِكَ شيئًا».

قال (راند): «لم يُعطه شيئًا، إنه... لقد أخذه (مات) من حجرة الكنز». نظرت إليه (مويرين) وقد بدت عيناها متقدتين كعيني (مات). كاد أن يتراجع خطوة للوراء قبل أن تُبعد عينيها لتنظر إلى الفراش مرة أخرى. «لم أعرف إلا بعد افتراقنا. لم أكن أعرف».

قالت (مويرين) وهي تتفحص (مات): «لم تكن تعرف». كان لا يزال مستلقيًا، وركبتاه مضمومتان إلى صدره، وهو لا يزال يزمجر في وجهها بلا صوت. ولم تتوقف يده عن مقاومة (لان) للوصول إليها بالخنجر. «من العجب أنكما قد وصلتما إلى هذا الحد وأنتما تحملان هذا. لقد أحسست بالشر الكامن في الخنجر بمجرد أن نظرت إلى (مات)، إنها لمسة (ماشادار)، ولكن يمكن لـ(عاتم) أن يشعر بها على بُعد أميال. حتى لو لم يعرف أين هي بالضبط، فإنه سيعرف أنها قريبة، وسيجذب (ماشادار) روحه بينما تتذكر عظامه أن هذا الشر ذاته قد ابتلع جيشًا من (سادة

الرعب) و(العواتم) و(الترولوكيين) وكل شيء. على الأرجح يُمكن لبعض (أصدقاء الظلام) أن يشعروا به أيضًا، هؤلاء الذين قد تخلوا تمامًا عن أرواحهم، لن يسعهم إلا التساؤل عن هذا الشعور المفاجئ، كأن الهواء من حولهم يصيبهم بالحكة. سيضطرون للبحث عنه، وسيجذبهم كمغناطيس يجذب برادة حديد».

قال (راند): «لقد كان هناك (أصدقاء ظلام)، أكثر من واحد، ولكننا هربنا منهم. وكان هناك (عاتم) في الليلة التي سبقت وصولنا إلى (كايملين)، ولكنه لم يرنا قط». ثم تنحنح قبل أن يُضيف: «كان هناك شائعات عن أشياء غريبة في تلك الليلة خارج المدينة، من الممكن أن يكونوا (ترولوكيين)».

قال (لان) بسخرية: «بالطبع، إنهم (ترولوكيون) يا راعي الغنم، وحيث يوجد (ترولوكيون) يوجد (عواتم)». انتصبت العروق على ظهر يده من المجهود الذي يبذله لتثبيت معصم (مات)، ولكن لم يكن هناك أي إجهاد في صوته. «لقد حاولوا أن يخفوا أثر مرورهم ولكني رأيت علامة منذ يومين، وسمعت المزارعين والقرويين يتمتمون بشأن أشياء تحدث في الليل. لقد تمكن (الميردرال) من الهجوم على (النهرين) دون أن يراهم أحد بشكل ما، ولكنهم كل يوم يقتربون من هؤلاء الذين لا يستطيعون إرسال جنود لتصيدهم. ورغم هذا فإنهم لن يتوقفوا الآن يا راعي الغنم».

قالت (إيجوين): «ولكننا في (كايملين)، لا يمكنهم أن يصلوا إلينا ما دمنا...».

قاطعها (الحامي) قائلًا: «لا يمكنهم؟ (العواتم) يعززون صفوفهم في الريف، هذا واضح بما يكفي من العلامات إن كنتِ تعرفين ما الذي تبحثين عنه. هناك بالفعل المزيد من (الترولوكيين) أكثر مما يحتاجونه فقط ليراقبوا الطرق الخارجة من المدينة؛ عشر قبضات على الأقل. لا يمكن أن يكون هناك سوى سبب واحد، عندما يكون لدى (العواتم) أعداد كافية

فإنهم سيأتون إلى المدينة من أجلكم، هذا التصرف قد يُرسل نصف جيوش الجنوب إلى (البلاد الحدودية). ولكن هذا دليل على أنهم مستعدون لتحمل هذه المخاطرة. أنتم الثلاثة قد هربتم منهم طويلًا بما يكفي. يبدو وكأنهم قد جلبوا (حرب ترولوكية) جديدة إلى هنا يا راعية الغنم».

شهقت (إيجوين) في فزع، بينما هز (بيرين) رأسه كأنما ليُنكر الأمر. أحس (راند) بالغثيان في معدته مع فكرة وجود (الترولوكيين) في شوارع (كايملين). كل هؤلاء الناس الذين يتناحرون لا يُدركون أن الخطر الحقيقي ينتظر اجتياح الأسوار. ما الذي سيفعلونه إن وجدوا (الترولوكيين) و(العواتم) فجأة بينهم ليقتلوهم؟ كان باستطاعته أن يرى الأبراج تحترق، وألسنة اللهب تتعالى من القباب، و(الترولوكيون) يعيثون فسادًا في الشوارع الملتوية والمباني الجميلة في (المدينة الداخلية). القصر نفسه يحترق. (إيلاين) و(جاوين) و(مورجيز)... موتى.

قالت (مويرين) في شرود: «ليس بعد». كانت لا تزال تنظر باهتمام إلى (مات). «إن استطعنا أن نجد طريقة للخروج من (كايملين) فإن (أنصاف البشر) سيفقدون اهتمامهم بهذا المكان، ولكن هذا يظل احتمالًا فقط».

فجأة قال (بيرين): «ربما من الأفضل لو متنا جميعًا». فجفل (راند) لتجدد صدى أفكاره الخاصة. كان (بيرين) لا يزال ينظر إلى الأرضية - يحدجها بنظره في هذه اللحظة - وكان صوته مريرًا. «أينما ذهبنا نحمل الألم والمعاناة على ظهورنا، سيكون من الأفضل للجميع لو أننا متنا».

التفتت (ناينيف) إليه ووجهها يحمل مزيجًا من الغضب والخوف والقلق، ولكن (مويرين) سبقتها قائلة: «ما الذي تعتقد أنك ستجنيه لنفسك أو لأي شخص آخر بموتك». كان صوتها هادئًا ورغم هذا حادًّا. «إن كان (سيد القبر) قد نال من الحرية ما يكفيه للمس (النمط) كما أخشى فإن بإمكانه أن يصل إليك ميتًا بقدر ما هو من السهل عليه أن يصل إليك الآن وأنت على قيد الحياة. بموتك لن تقدر على مساعدة أي شخص،

ولا حتى الأشخاص الذين قد ساعدوك، ولا أصدقائك وعائلتك في (النهرين). (الظل) يُخيم على العالم، ولا أحد منكم يمكنه أن يوقفه ميتًا».

رفع (بيرين) رأسه لينظر إليها فجفل (راند). كانت قزحيتا عيني صديقه صفراوين لا بنيتين. مع شعره الأشعث ونظرته الحادة كان هناك شيء حياله... لم يستطع (راند) أن يستوعبه بما يكفي لتفسيره.

تحدث (بيرين) بنبرة هادئة خاوية من المشاعر أعطت كلامه ثقلًا أكثر مما لو صرخ بها: «لا يمكننا أن نوقفه ونحن على قيد الحياة أيضًا، أليس كذلك؟».

قالت (مويرين): «سيكون لديَّ وقت للجدال معك لاحقًا، ولكن صديقك بحاجة إليَّ الآن». خطت جانبًا لكي يتمكنوا جميعًا من رؤية (مات) بوضوح. كانت عيناه لا تزالان تحدجانها بنظرة غاضبة، لم يتحرك أو يغير موضعه على الفراش، كان العرق يتصبب على وجهه، وشفتاه ممتقعتان في زمجرة لا تتغير. بدا أن كل قوته تتدفق إلى مجهوده للوصول إلى (مويرين) بالخنجر، ولكن (لان) أبقاه بلا حركة. «أم هل نسيت هذا؟».

هز (بيرين) كتفيه في خجل، ولوَّح بيديه دون أن يتكلم.

قالت (إيجوين): «ما خطبه؟». وأضافت (ناينيف): «هل الأمر مُعدٍ؟ لا يزال بإمكاني علاجه. يبدو لي أنني لا أُصاب بأي عدوى مهما كانت».

قالت (مويرين): «أجل إنه معدٍ، و... وما يحميكِ لن ينقذك». ثم أشارت إلى الخنجر ذي المقبض الياقوتي بحذر لكيلا تسمح لأصابعها بلمسه، ارتجف الخنجر بينما (مات) يبذل قصارى جهده لكي يصيبها به. «هذا من (شادار لوجوث)، لا يوجد حصاة في المدينة ليست مدنسة وخطيرة على جلبها خارج الأسوار، وهذا أكثر من مجرد حصاة. الشر الذي قتل (شادار لوجوث) لا يزال بداخله، وبداخل (مات) أيضًا الآن، الشك والكراهية قويان للغاية حتى أن أقرب الناس إليه يراهم أعداء،

وقد غرسا جذورهما عميقًا بداخله، حتى لم يتبقَّ سوى فكرة واحدة وهي القتل. بحمل الخنجر خارج أسوار (شادار لوجوث) فقد حرره، حرر هذه البذرة مما كان يقيدها إلى المكان. سيتضاءل الأمر ويتضاعف بداخله، إن حقيقته تتصارع مع ما تحاول عدوى (شادار لوجوث) أن تحوله إليه، ولكن الآن أوشكت المعركة التي بداخله على الانتهاء، ويكاد أن يُهدَم. قريبًا إن لم يقتله الأمر فإنه سينشر هذا الشر كالوباء أينما ذهب. مجرد خدش بسيط من النصل كافٍ للإصابة والتدمير، لذا قريبًا فإن بضع دقائق مع (مات) ستكون مُهلِكة بنفس القدر».

امتقع وجه (ناينيف) وقالت هامسة: «هل يمكنك أن تفعلي أي شيء؟».

تنهدت (مويرين) وقالت: «آمل هذا، من أجل هذا العالم آمل أنني لم آتِ متأخرة». مدت يدها إلى داخل جرابها المعلَّق بحزامها وأخرجت (الأنجريال) المغلَّف بالحرير. «اتركوني، وابقوا معًا، واعثروا على مكان ما لن يراكم فيه أحد، ولكن اتركوني، سأفعل ما أستطيع من أجله».

الفصل الثاني والأربعون

تذكُّر الأحلام

كانت المجموعة التي لحقت بـ(راند) هابطة الدرج تشعر بالإحباط، لم يرغب أي منهم في أن يتحدث إليه في هذه اللحظة، أو إلى أحدهم الآخر، ولم يشعر بدوره برغبة كبيرة في الحديث.

كانت الشمس قد قطعت شوطًا كبيرًا عبر السماء، فلم يكن الدرج مضاءً بما يكفي، ولكن المصابيح لم تُشعل بعد. كان ضوء الشمس والظلال متداخلين على الدرج. كان وجه (بيرين) متجهمًا كالبقية، ولكن بينما كانت جبهات الآخرين متجعدة بفعل القلق كانت جبهته ملساء. خُيِّل لـ(راند) أن النظرة المرتسمة على وجه (بيرين) هي الاستسلام. تساءل لماذا، وأراد أن يسأل، ولكن كلما سار (بيرين) عبر بقعة من الظلال الداكنة بدت عيناه وكأنما تجمعان القليل المتبقي من الضوء لتلمعا بخفوت كالكهرمان المصقول.

اقشعر بدن (راند) وحاول أن يركز على ما يحيط به، على الجدران المكسوة بألواح الجوز ودرابزين السلم المصنوع من البلوط. على الأشياء التقليدية المتينة. مسح يديه على معطفه عدة مرات، ولكن في كل مرة يتصبب العرق من جديد على كفيه. سيكون *كل شيء على ما يرام، لقد اجتمع شملنا مرة أخرى، و... بحق (النور)، (مات)*.

أخذهم إلى المكتبة عبر الطريق الخلفي الذي يمر بالمطبخ متجنبًا الحجرة العامة. لا يستخدم الكثير من المسافرين المكتبة، معظم هؤلاء القادرين على القراءة ينزلون بالحانات الأكثر رقيًا في (المدينة الداخلية). كان السيد (جيل) يحتفظ بالمكتبة لمتعته الخاصة وليس من أجل حفنة الزبائن الذين قد يرغبون في قراءة كتاب من آن لآخر. لم يرغب (راند) في التفكير في سبب رغبة (مويرين) في أن يبقوا بعيدًا عن الأنظار، ولكنه كان يتذكر باستمرار الضابط المساعد صاحب العباءة البيضاء، الذي قال إنه سيعود، وعيني (إيليدا) عندما سألته عن مكان إقامته، كانا هذان سببين كافيين، بغض النظر عما تريده (مويرين).

قطع خمس خطوات إلى داخل المكتبة قبل أن يُدرك أن الجميع قد توقفوا، محتشدين عند مدخل الباب فاغري الفم وجاحظي العينين. كان هناك نيران تطقطق في المدفأة، و(لويال) ممددًا على أريكة طويلة وهو يقرأ كتابًا، وقطة صغيرة سوداء بأقدام بيضاء متكومة على نفسها وشبه نائمة على بطنه. عندما دلفوا أغلق الكتاب وهو يستخدم إصبعه الضخم لتحديد موضع توقفه، وبرفق وضع القطة على الأرض، قبل أن يعتدل واقفًا وينحني بطريقة رسمية.

كان (راند) معتادًا على وجود (الأوجير)، حتى أن الأمر قد استغرق منه دقيقة ليُدرك أن (لويال) هو سبب تحديق الآخرين. قال: «هؤلاء هم الأصدقاء الذين كنت أنتظرهم يا (لويال). هذه (ناينيڤ) حكيمة قريتي، وهذا (بيرين)، وهذه (إيجوين)».

قال (لويال) بصوتٍ مدوّ: «أوه، أجل، (إيجوين). لقد تحدث عنك (راند) كثيرًا. أجل. أنا (لويال)».

قال (راند) مفسرًا: «إنه (أوجير)». فشاهد دهشتهم تتغير إلى نوع آخر من الدهشة، فحتى بعد رؤية (الترولوكيين) و(العواتم) بشحمهم ولحمهم

لا يزال من المدهش مقابلة أسطورة حية تمشي على قدمين. تذكر رد فعله الأول عندما رأى (لويال) فابتسم في أسى، إنهم يتصرفون بشكل أفضل منه.

رأى (لويال) أفواههم الفاغرة وهو يخطو مقتربًا منهم، ولكن (راند) افترض أنه بالكاد سيلاحظ هذا بالمقارنة مع حشد غاضب يصيح «(ترولوك)». سأل (لويال): «وماذا عن (الآيز سيداي) يا (راند)؟».

«إنها بالأعلى مع (مات)».

رفع (الأوجير) حاجبًا كثًّا في تفكير ثم قال: «إذن فهو مريض بالفعل. أقترح أن نجلس جميعًا. هل ستنضم (الآيز سيداي) إلينا لاحقًا؟ أجل. إذن فلا يوجد شيء لنفعله سوى الانتظار».

بدا أن الجلوس قد جعلهم يسترخون كأنما جلوسهم في كراسي مبطنة أمام نيران مدفئة بينما القطة متكومة بالقرب من المدفأة جعلهم يشعرون أنهم في الديار. ما إن استقروا في مجالسهم حتى بدأوا يطرحون الأسئلة في حماس على (الأوجير)، ولدهشة (راند) كان (بيرين) أول من تكلم.

«أخبرنا عن (الملاذات) يا (لويال). هل هي حقًّا ملاجئ آمنة كما تروي الحكايات؟». كان يسأل بنبرة تشي بأن لديه سببًا معينًا للسؤال.

كان (لويال) مسرورًا بإخبارهم عن (الملاذ)، وكيف أتى إلى حانة (مباركة الملكة)، وما الذي رآه في أسفاره. سرعان ما اتكأ (راند) إلى الوراء وهو يُصغي فقط بشكل جزئي. كان قد سمع كل شيء من قبل وبالتفصيل. إن (لويال) يحب أن يتحدث باستفاضة عندما يجد أدنى فرصة لهذا، فيبدو أنه عادة ما يفكر أن القصة تحتاج إلى خلفية من مئتي أو ثلاثمئة عام لجعلها مفهومة. إن إحساسه بالوقت غريب للغاية، بالنسبة له تبدو ثلاثمئة عام مدة معقولة من الزمن لتغطية قصة أو تفسيرها. عادة ما يتحدث عن ترك (الملاذ) كأنه لم يحدث إلا منذ بضعة أشهر، ولكن تبين أخيرًا أنه قد رحل منذ أكثر من ثلاثة أعوام.

انجرفت أفكار (راند) إلى (مات). مجرد خنجر، مجرد سكين لعين، *ويمكن أن يقتله بمجرد حمله. بحق (النور)، لا أرغب في المزيد من المغامرات. إن كان بمقدورها أن تشفيه فيجب أن نذهب جميعًا... ليس إلى الديار، لا يمكننا العودة إلى الديار، ولكن إلى مكان ما، سنذهب جميعًا إلى مكان ما لم يسمع من قبل عن (الآيز سيداي) أو (سيد الظلام)، مكان ما.*

انفتح الباب، وظن (راند) للحظة أنه يتخيل الأمر، كان (مات) واقفًا هناك، يرمش بعينيه وقد أُغلقت أزرار معطفه والوشاح الأسود ملفوف حول جبهته. ثم رأى (راند) (مويرين)، تضع يدها على كتف (مات)، و(لان) من ورائهما. كانت (الآيز سيداي) تراقب (مات) بعناية، كمن يراقب شخصًا قد نهض لتوه من فراش المرض. وكالعادة كان (لان) يُراقب كل شيء بينما يبدو عليه أنه لا يُراقب شيئًا.

بدا على (مات) وكأنه لم يكن مريضًا يومًا في حياته. ابتسامته الأولى المترددة شملت الجميع، ولكنه فغر فاه بمجرد أن رأى (لويال)، كأنه يرى (الأوجير) للمرة الأولى. هز كتفيه ورأسه ثم أعاد انتباهه إلى أصدقائه وقال: «أنا... هذا...». أخذ نفسًا عميقًا ثم قال: «يبدو... يبدو أنني كنت أتصرف... بغرابة نوعًا ما. أنا لا أتذكر الكثير من الأمر حقًّا». نظر إلى (مويرين) في توتر فابتسمت له لتُطمئنه فأكمل حديثه قائلًا: «كل شيء ضبابي من بعد (الجسر الأبيض). (توم) وهذا الـ...». ارتجف وأكمل حديثه على الفور: «كلما ابتعدنا عن (الجسر الأبيض) صار الأمر ضبابيًّا أكثر. لا أتذكر حقًّا وصولنا إلى (كايملين) على الإطلاق». ثم نظر إلى (لويال) في تساؤل قبل أن يُضيف: «لا أتذكر حقًّا، قالت (مويرين سيداي) إنني... بالأعلى، إنني...». ابتسم وفجأة صار (مات) الذي يعرفونه حقًّا. «لا يمكنكم أن تلوموا رجلًا على ما يفعله عندما يكون مجنونًا، أليس كذلك؟».

قال (بيرين): «لطالما كنت مجنونًا». وللحظة بدا بدوره (بيرين) الذي يعرفونه.

قالت (نانيف): «لا». كانت عيناها تلمعان بالدموع ولكنها كانت تبتسم. «لا أحد منا يلومك».

بدأ (راند) و(إيجوين) يتحدثان في الوقت ذاته، ليخبرا (مات) عن مدى سعادتهما برؤيته في أفضل حال، مع قليل من التعليقات المازحة حول أنه سيتوقف عن الحيل الآن وقد ورطته حيلته الأخيرة فيما لا يُحمد عقباه. بادلهما (مات) المزاح، وعندما وجد كرسيًّا جلس عليه بخيلائه المعتاد. وبينما يجلس وهو لا يزال يبتسم لمس معطفه بشرود كأنما يحرص على أن شيئًا لا يزال مدسوسًا في حزامه، فحبس (راند) أنفاسه.

قالت (مويرين) بهدوء: «أجل، لا يزال معه الخنجر». كان الضحك والحديث لا يزالان مستمرين بين البقية، ولكنها لاحظت حبس (راند) لأنفاسه وأدركت السبب. اقتربت من كرسيه بحيث لم يكن عليها أن ترفع صوتها لكي يسمعها بوضوح. «لا أستطيع نزعه منه دون قتله، لقد استمر الارتباط لفترة طويلة وصار قويًّا للغاية، يجب أن تُحل هذه العقدة في (تار ڤالون)، الأمر يفوق قدراتي، أو قدرات أي واحدة من (الآيز سيداي) بمفردها، حتى مع وجود (أنجريال)».

«ولكنه لم يعد يبدو مريضًا». ثم راودته فكرة فنظر إليها وقال: «ما دام معه الخنجر فإن (العواتم) سيعرفون مكاننا، و(أصدقاء الظلام) أيضًا، أو بعضهم، هكذا قلتِ».

«لقد تمكنت من احتواء هذا بطريقة ما، إن اقتربوا بما يكفي للإحساس به الآن فإنهم سيكونون على رؤوسنا على أي حال. لقد نظفته من الدنس يا (راند)، فعلت ما بوسعي لإبطاء عودته، ولكنه سيعود، مع الوقت، ما لم يتلقَّ المساعدة في (تار ڤالون)».

«من الجيد أن هذا هو المكان الذي نحن ذاهبون إليه، أليس كذلك؟». نظرت إليه نظرة حادة واستدارت مبتعدة عنه، ففكر أنه ربما الاستسلام في صوته والأمل في وجود شيء آخر هما ما جعلاها تفعل هذا.

اعتدل (لويال) واقفًا على قدميه وانحنى لها قائلًا: «أنا (لويال ابن آرنت ابن هالان) أيتها (الآيز سيداي). (الملاذ) يقدم المأوى لـ(خادمي النور)».

أجابته (مويرين) بفتور: «شكرًا لك يا (لويال ابن آرنت)، ولكني لم أكن لأتساهل في تلك التحية لو كنت مكانك، فهناك عشرون (آيز سيداي) في (كايملين) في هذه اللحظة، وجميعهن باستثنائي من (الآجاه الحمراوات)». أومأ (لويال) برأسه في حكمة كما لو أنه قد فهم. لم يسع (راند) إلا أن يهز رأسه في حيرة، فليعلمِه (النور) إن كان يفهم ما قصدته (مويرين). أكملت (الآيز سيداي) حديثها قائلة: «من الغريب أن أجدك هنا، فالقليل من (الأوجير) قد غادروا (الملاذ) في السنوات الأخيرة».

«لقد أثارت الحكايات القديمة شغفي، وملأت الكتب القديمة رأسي عديم النفع بالتخيلات، أردت أن أرى (البساتين)، والمدن التي بنيناها أيضًا. يبدو أن الكثير منها لم يعد باقيًا، ولكن حتى لو كانت المباني بديلًا سيئًا للأشجار فإنها لا تزال أمرًا يستحق أن يراه المرء. يعتقد الكبراء أنني غريب الأطوار لرغبتي في الترحال. لطالما رغبت في هذا، ولطالما اعتقدوا هذا. لا يعتقد أي منهم أن هناك شيئًا يستحق أن يراه المرء خارج (الملاذ)، ربما عندما أعود وأخبرهم بما رأيته فسيغيرون رأيهم، آمل أن هذا سيحدث في الوقت المناسب».

قالت (مويرين) بسلاسة: «ربما سيغيرون رأيهم بالفعل، والآن يجب أن تغفر لي تعجلي يا (لويال)، أنا أعلم أنه عيب في البشر. أنا ورفاقي بحاجة للتخطيط إلى رحلتنا، إذا سمحت لنا».

كان هذا دور (لويال) ليبدو متحيرًا، فتدخل (راند) لإنقاذه قائلًا: «إنه سيأتي معنا، لقد وعدته بهذا».

ظلت (مويرين) واقفة وهي تنظر إلى (الأوجير) كأنها لم تسمعه، وأخيرًا أومأت برأسها وتمتمت: «(عجلة الزمن) تنسج بمشيئتها. فلتحرص يا (لان) على ألا ينال منا أحد ونحن غافلون عنه». اختفى (الحامي) من الحجرة بصمت باستثناء صوت تكة الباب وهو يُغلق وراءه.

بدا اختفاء (لان) وكأنه إشارة لهم فقد توقف الجميع عن الحديث. اقتربت (مويرين) من المدفأة وعندما التفتت إلى الحجرة كانت كل عين مصوبة ناحيتها. رغم ضآلة حجمها إلا أن حضورها كان طاغيًا. «لا يمكننا البقاء طويلًا في (كايملين)، ولن نكون بأمان هنا في حانة (مباركة الملكة)؛ أعين (سيد الظلام) في المدينة بالفعل. إنهم لم يعثروا بعد على ما يبحثون عنه، وإلا لكانوا قد توقفوا عن البحث، وسنستغل هذا لصالحنا. لقد وضعتُ تعاويذ حماية لإبقائهم بعيدًا، وبحلول الوقت الذي يُدرك فيه (سيد الظلام) أن هناك جزءًا من المدينة لم تعد فئرانه قادرة على دخوله فسنكون قد رحلنا. ولكن أي تعويذة يمكنها أن تُبعد رجلًا فستكون بمثابة منارة من أجل (الميردرال)، وهناك (أبناء نور) في (كايملين) أيضًا يبحثون عن (بيرين) و(إيجوين)». ند صوت عن (راند) فرفعت (مويرين) حاجبها وهي تنظر إليه.

قال: «لقد ظننت أنهم يبحثون عني أنا و(مات)».

هذا التفسير جعل (الآيز سيداي) ترفع كلا حاجبيها وهي تقول: «لِمَ تعتقد أن أصحاب العباءات البيضاء يبحثون عنكما؟».

«لقد سمعت أحدهم يقول إنهم يبحثون عن شخص ما من (النهرين)، لقد قال من (أصدقاء الظلام)، فأي افتراض آخر يمكنني أن أفكر فيه؟ مع كل ما يحدث فإن من حسن حظي أنني بإمكاني أن أفكر على الإطلاق».

تدخل (لويال) قائلًا: «لقد كان الأمر مربكًا يا (راند)، أنا أعرف. ولكن بإمكانك أن تفكر بوضوح أكثر من هذا، (أبناء النور) يكرهون (الآيز سيداي)، و(إيليدا) لن...».

قاطعته (مويرين) بحدة قائلة: «(إيليدا)؟ ما دخل (إيليدا سيداي) بالأمر؟».

نظرت إلى (راند) بصرامة شديدة حتى أنه أراد أن يميل للوراء، ثم قال ببطء: «لقد أرادت أن تُلقي بي في السجن. كل ما أردته هو أن أُلقي نظرة على (لوجاين)، ولكنها لم تصدق أنني كنت في حدائق القصر مع (إيلاين) و(جاوين) بالصدفة المحضة». كانوا جميعًا يحدقون إليه كأنما قد نبتت له فجأة عين ثالثة، الجميع باستثناء (لويال). «لقد سمحت لي الملكة (مورجيز) بالرحيل، وقالت إنه لم يكن هناك دليل على أنني تعمدت أي أذى، وقالت إنها ستقيم القانون بغض النظر عن شكوك (إيليدا)». هز رأسه، فإن تذكر (مورجيز) بكل أبهتها جعله ينسى للحظة أن هناك من ينظر إليه. «هل يمكنكم أن تتخيلوا أنني التقيت الملكة؟ إنها جميلة كالملكات في الحكايات، وكذلك (إيلاين)، أما (جاوين)... ستحب (جاوين) يا (بيرين). (بيرين)؟ (مات)؟». كانا لا يزالان يحدقان إليه. «بحق الدماء والرماد، أنا فقط تسلقت السور لكي أُلقي نظرة على (التنين الكاذب)، لم أفعل أي شيء خاطئ».

قال (مات) أخيرًا بنبرة فاترة: «هذا ما أقوله دومًا». رغم أنه قد ابتسم فجأة. أما (إيجوين) فقد سألته بنبرة تعمدت أن تكون محايدة: «من تكون (إيلاين)؟».

غمغمت (مويرين) بشيء غاضب.

قال (بيرين) وهو يهز رأسه: «ملكة؟ لقد خضت مغامرات بالفعل. كل ما التقينا به هو (الجوالون) وبعض أصحاب العباءات البيضاء». تحاشى النظر إلى (مويرين) بشكل واضح للغاية، حتى أن (راند) استطاع رؤية هذا. تحسس (بيرين) الكدمات على وجهه وقال: «بشكل عام كان الغناء مع (الجوالين) أكثر متعة من أصحاب العباءات البيضاء».

قال (لويال): «(الجوالون) يعيشون من أجل أغانيهم، بل من أجل كل الأغاني في الواقع، أو من أجل البحث عنها على الأقل. لقد التقيت ببعض (التواثان) قبل بضعة أعوام، وقد أرادوا أن يتعلموا الأغاني التي

نغنيها للأشجار. في الواقع لم تعد الأشجار تُصغي للكثيرين، ولا يتعلم الكثير من (الأوجير) الأغاني. كان لديَّ جزء صغير من هذه الموهبة، لذا أصر الكبير (آرنت) على أن أتعلم. علمتُ (التواثان) ما يمكنهم تعلمه، ولكن الأشجار لا تُصغي للبشر، إنها مجرد أغانٍ بالنسبة (للجوالين)، وقد أحبوها على هذا النحو. ولكن لم تكن أي منها الأغنية التي يبحثون عنها. ولهذا يطلقون على قائد كل مجموعة اسم (الباحث). إنهم يأتون إلى (ملاذ شانجتاي)، بعض البشر يفعلون هذا».

قالت (مويرين): «من فضلك يا (لويال)». ولكنه تنحنح فجأة وأكمل حديثه في دمدمة سريعة كأنما يخشى أن توقفه.

«لقد تذكرت شيئًا ما للتو أيتها (الآيز سيداي)، شيئًا لطالما أردت أن أسأل واحدة من (الآيز سيداي) عنه إذا التقيت بها يومًا، وبما أنكن تعرفن الكثير من الأشياء ولديكن مكتبات عظيمة في (تار ڤالون)، والآن بما أنه أمامي واحدة بالطبع، فـ... هل يمكنني أن أسأل؟».

قالت باقتضاب: «إن كنت ستجعل الأمر موجزًا».

«موجزًا؟». قالها كأنما يتساءل عما تعنيه الكلمة، ثم أضاف: «حسنًا، لا بأس، موجزًا. هناك رجل قد جاء إلى (ملاذ شانجتاي) منذ بعض الوقت، لم يكن هذا شيئًا غير معتاد في حد ذاته، بما أن عددًا كبيرًا من اللاجئين قد أتوا إلى (فقار العالم) هربًا مما تسمونه أنتم البشر (حرب آييل)». ابتسم (راند)، فمنذ بعض الوقت تعني بالنسبة له عشرين عامًا، هذا قريب بما يكفي. «كان على وشك الموت رغم أنه لم يكن هناك أي جروح أو علامات عليه. فكر الكبراء أنه قد يكون شيئًا فعله (الآيز سيداي)». نظر (لويال) إلى (مويرين) نظرة معتذرة. «بما أنه بمجرد أن وصل إلى (الملاذ) فقد تعافى على الفور. بعد مرور بضعة أشهر وذات ليلة غادر دون أن يوجه كلمة لأحد، ببساطة تسلل مبتعدًا عندما حل الظلام». نظر إلى وجه (مويرين) وتنحنح مرة أخرى قبل أن يقول: «أجل،

موجزًا. قبل أن يغادر أخبرنا بحكاية غريبة، قال إنه مُكلف بحملها إلى (تار ڤالون). قال إن (سيد الظلام) يرغب في أن يعمي (عين العالم)، وأن يذبح (الأفعوان العظيم)، أن يقتل الزمن ذاته. قال الكبراء إنه سليم العقل كما هو سليم الجسد، ولكن هذا ما قاله. ما أردت أن أسألك إياه هو؛ هل يستطيع (سيد الظلام) أن يفعل شيئًا كهذا؟ أن يقتل الزمن ذاته؟ و(عين العالم)؟ هل يمكنه أن يعمي عين (الأفعوان العظيم)؟ ما الذي يعنيه هذا؟».

لقد توقع (راند) أي شيء من (مويرين) باستثناء ما رآه، فبدلًا من أن تمنح (لويال) إجابة أو تخبره بأنها لا تملك وقتًا لهذا الآن فقد وقفت هناك محدقة إلى (الأوجير) في شرود عاقدة حاجبيها في تفكير.

قال (بيرين): «هذا ما أخبرنا به (الجوالون)».

قالت (إيجوين): «أجل، حكاية محاربة (آييل)».

أدارت (مويرين) رأسها ببطء دون أن يتحرك جزء آخر من جسدها وهي تقول: «أي حكاية؟».

كانت تنظر إليهما بنظرة خالية من التعبيرات، ولكنها جعلت (بيرين) يأخذ نفسًا عميقًا، وعندما تحدث كان متأنيًا كعادته. «بعض (الجوالين) كانوا يقطعون (الفلاة). قالوا إن بإمكانهم أن يفعلوا هذا دون أن يتعرضوا لأذى. عندما عثروا على محاربات من (آييل) يحتضرن بعد معركة مع (ترولوكيين). قبل أن تموت آخرهن. من الواضح أنهن كن جميعًا نساء. أخبرت (الجوالين) بمثل ما قاله (لويال) للتو. (سيد الظلام). يسمونه (عامي الأبصار). عازم على أن يعمي (عين العالم). كان هذا منذ ثلاث سنوات فقط وليس عشرين عامًا، هل يعني لكِ هذا شيئًا؟».

قالت (مويرين): «ربما يعني كل شيء». كان وجهها ساكنًا ولكن (راند) أحس أن الأفكار تموج في عقلها وراء هاتين العينين السوداوين.

قال (بيرين) فجأة: «(بعلزمون)». مع نطقه بالاسم سكنت كل الأصوات في الحجرة، لم يبدُ أن هناك أحدًا يتنفس. نظر (بيرين) إلى (راند) ثم إلى (مات)، وعيناه هادئتان بشكل غريب وصفراوان أكثر من أي وقت مضى. «في ذلك الوقت كنت أتساءل أين سمعت هذا الاسم من قبل... (عين العالم)، الآن أتذكر، ألا تتذكران؟».

قال (مات) بجمود: «لا أُريد أن أتذكر أي شيء».

أكمل (بيرين) حديثه قائلًا: «يجب علينا أن نخبرها، الأمر مهم الآن، لا يُمكننا أن نُبقيه سرًّا أكثر من هذا. أنت تتفق معي يا (راند)، أليس كذلك؟».

قالت (مويرين): «تخبرونني بماذا؟». كان صوتها قاسيًا وبدا كأنها تستعد لضربة. استقر نظرها على (راند).

لم يرغب في أن يجيبها، كان مثل (مات) لا يريد أن يتذكر، ولكنه يتذكر، ويعرف أن (بيرين) محق. «لقد راودتني...». نظر إلى صديقيه فأومأ (مات) برأسه على مضض، بينما أومأ (بيرين) برأسه في حسم. ولكنهما فعلا هذا على الأقل، فلم يرغب في مواجهة (مويرين) وحده. «لقد راودتنا... أحلام». فرك إصبعه في البقعة التي قد أصابته فيها الشوكة ذات مرة، وهو يتذكر الدماء عندما استيقظ. وانتابه إحساس بالغثيان وهو يتذكر شعوره بوجهه وقد سفعته الشمس في مرة أخرى. «باستثناء أنها ربما لم تكن أحلامًا بالضبط، فقد كان (بعلزمون) فيها». أدرك حينها سبب استخدام (بيرين) لهذا الاسم، كان هذا أسهل من قولك إن (سيد الظلام) قد كان في أحلامك، بداخل رأسك. «لقد قال... لقد قال أشياء عديدة، ولكن في إحدى المرات قال إن (عين العالم) لن تخدمني». وللحظة كان فمه جافًّا كالغبار.

قال (بيرين): «لقد قال لي الشيء ذاته». فتنهد (مات) بثقل ثم أومأ برأسه. استطاع (راند) أن يجد اللعاب في فمه مرة أخرى. سألها (بيرين) وقد بدا مندهشًا: «ألستِ غاضبة منا؟». فأدرك (راند) أن (مويرين) لم تبدُ غاضبة، كانت تتفحصهم، ولكن عينيها كانتا صافيتين وهادئتين رغم الاهتمام الشديد الذي يشع منهما.

«أنا غاضبة من نفسي أكثر من غضبي منكم، ولكني قد طلبت منكم أن تخبروني إن كان هناك أي أحلام غريبة تراودكم، لقد طلبت منكم هذا في البداية». رغم أن صوتها بقي هادئًا إلا أن عينيها برقتا بوميض خاطف من الغضب. «إن كنت قد عرفت بهذا بعد الحلم الأول فلربما استطعت أن... لم يكن هناك (عابر أحلام) في (تار ڤالون) منذ قرابة ألف عام، ولكن لربما استطعت المحاولة. الآن قد فات الأوان، وفي كل مرة يلمسكم فيها (سيد الظلام) فإنه يجعل اللمسة التالية أسهل بالنسبة له. ربما حضوري لا يزال قادرًا على حمايتكم بشكل ما، ولكن رغم هذا... هل تذكرون حكايات (الملعونين) الذين يربطون رجالًا بهم؟ رجالًا أقوياء قد قاتلوا (سيد الظلام) منذ البداية. هذه الحكايات حقيقية، ولا أحد من (الملعونين) يملك عُشر قوة سيدهم؛ لا (أجينور)، ولا (لانفير)، ولا (بلثاميل)، ولا (ديماندريد)، ولا حتى (إشامايل خائن الأمل) نفسه».

لاحظ (راند) أن (نانيف) و(إيجوين) تنظران إلى ثلاثتهم، هو و(مات) و(بيرين). كان وجهاهما ممتقعين في مزيج من الخوف والرعب. *هل هما خائفتان علينا؟ أم خائفتان منا؟*

سأل: «ما الذي يُمكننا أن نفعله؟ لا شك أن هناك شيئًا ما».

أجابته (مويرين): «فلتبقوا بالقرب مني، هذا سيساعدكم بعض الشيء. تذكروا أن الحماية من لمس (المصدر الحقيقي) تمتد من حولي قليلًا، ولكن لا يمكنكم أن تبقوا دومًا بالقرب مني. يمكنكم الدفاع عن أنفسكم إن

كان لديكم القوة الكافية لهذا، ولكن يجب عليكم أن تجدوا القوة والإرادة بداخل أنفسكم، لا يمكنني أن أمنحها لكم».

قال (بيرين): «أعتقد أنني قد وجدت حمايتي». ولكنه بدا مستسلمًا بدلًا من أن يكون سعيدًا.

قالت (مويرين): «أجل، أفترض أنك وجدتها». واصلت النظر إليه حتى أطرق بعينيه، وحتى حينها ظلت تنظر إليه مفكرة. وأخيرًا التفتت إلى الآخرين وقالت: «هناك حدود لقوة (سيد الظلام) بداخلكم، إن استسلمتم ولو للحظة فإنه سيربط خيطًا بقلوبكم، خيطًا لن تتمكنوا قط من قطعه. إن استسلمتم فستصيرون ملكًا له، اجحدوا به وستفشل قوته. لا يكون هذا سهلًا عندما يلمس أحلامكم، ولكنه ليس مستحيلًا، لا يزال بإمكانه أن يرسل وراءكم (أنصاف البشر) و(الترولوكيين) و(الدراكار)، ولكن لا يمكنه أن يجعلكم ملكه ما لم تسمحوا له بهذا».

قال (بيرين): «(العواتم) سيئون بما يكفي».

قال (مات) مزمجرًا: «أنا لا أريده بداخل رأسي مرة أخرى، هل هناك طريقة لإبقائه خارجها».

هزت (مويرين) رأسها وقالت: «ليس لدى (لويال) ما يخشاه، ولا (إيجوين)، ولا (ناينيف)، من بين هذا العدد الكبير من البشر لا يمكن لـ(سيد الظلام) أن يلمس أشخاصًا منفردين إلا عن طريق الصدفة، ما لم يكن هذا الشخص يبحث عن لمسته. ولكن في الوقت الحالي على الأقل فإن ثلاثتكم في قلب (النمط). هناك شبكة من القدر تُنسَج، وكل خيط يؤدي مباشرة إليكم. أي شيء آخر قاله (سيد الظلام) لكم؟».

قال (بيرين): «أنا لا أتذكر الأمر برمته جيدًا، كان هناك شيء عن كون أحدنا هو المختار، أو شيء كهذا». ثم أضاف بوجوم: «أتذكر أنه قد ضحك وهو يتحدث عن هذا الذي قد اختارنا. لقد قال إنني... إننا يمكن أن نخدمه أو نموت، وحتى حينها فإننا سنخدمه أيضًا».

أضاف (مات) قائلًا: «لقد قال إن (عرش أميرلين) ستحاول استغلالنا». خفت صوته تدريجيًّا عندما تذكر من التي يتحدث إليها. ازدرد لعابه ثم أكمل قائلًا: «قال إنه تمامًا كما استغلّت (تار ڤالون)... لقد ذكر بضعة أسماء. أعتقد أنه قال (ديڤيان)، لا يمكنني أن أتذكر جيدًا أيضًا».

قال (بيرين): «(راولن داركسبين)».

قال (راند) عاقدًا حاجبيه: «أجل». كان قد حاول أن ينسى كل شيء بشأن تلك الأحلام، وكان من غير المريح تذكرها مرة أخرى. «كان هناك أيضًا (يوريان ستونبو) و(جوير أمالاسان)». صمت فجأة وهو يأمل أن (مويرين) لم تلاحظ أنه قد بتر جملته، ثم أضاف: «لم أتعرف على أي منهم».

ولكنه قد تعرف على واحد منهم، الآن وقد استرجع الأحلام من أعماق ذاكرته، الاسم الذي تمكن بالكاد من منع نفسه من النطق به؛ (لوجاين)، (التنين الكاذب). *بحق (النور)! لقد قال (توم) إن هذه أسماء خطيرة. هل هذا ما قصده (بعلزمون)؟ أن (مويرين) تريد أن تستغل أحدنا كـ(تنين كاذب)؟ (الآيز سيداي) يتصيدن التنانين الكاذبين ولا يستغلنهم، أليس كذلك؟ بحق (النور)، أليس كذلك؟*

كانت (مويرين) تنظر إليه ولكنه لم يستطع أن يسبر أغوارها. سألها: «هل تعرفينهم؟ هل تعني لكِ هذه الأسماء أي شيء؟».

أجابته (مويرين): «إن (أبا الأكاذيب) لهو لقب يليق بـ(سيد الظلام)، لطالما كان من عادته زرع بذرة الشك أينما استطاع، إنها تأكل عقول الرجال كالآفة. عندما تصدق (أبا الأكاذيب) فإن هذا يكون خطوتك الأولى نحو الاستسلام، تذكر أنك إن استسلمت لـ(سيد الظلام) فسيجعلك ملكه».

لا تكذب واحدة من (الآيز سيداي)، ولكن الحقيقة التي تنطق بها قد لا تكون دومًا الحقيقة التي تعتقد أنك تسمعها. كان هذا ما قاله (تام)، وهي لم تُجِب على سؤاله حقًّا. أبقى وجهه خاليًا من التعبيرات وهو يضع يديه بسكون على ركبتيه محاولًا ألا يمسح العرق منهما على سرواله.

كانت (إيجوين) تبكي بخفوت، و(ناينيف) تحيطها بذراعيها وقد بدت وكأنها ترغب في البكاء بدورها. تمنى (راند) لو أن بإمكانه أن يبكي.

قال (لويال) فجأة: «إنهم جميعًا (تاڤيرين)». بدا مبتهجًا بهذه الاحتمالية وهو يتطلع إليهم باهتمام كأنما يراقبهم بينما (النمط) ينسج نفسه من حولهم. نظر (راند) إليه بدهشة فهز (الأوجير) كتفيه خجلًا، ولكن هذا لم يكن كافيًا لإخفاء لهفته.

قالت (مويرين): «يبدو أنهم كذلك، ثلاثتهم، بينما كنت أتوقع واحدًا. لقد حدث الكثير من الأشياء التي لم أكن أتوقعها. هذه الأخبار المتعلقة بـ(عين العالم) تغير الكثير». ثم صمتت وهي تعقد حاجبيها قبل أن تُضيف: «في الوقت الحالي يبدو أن (النمط) بالفعل يدور حول ثلاثتكم، تمامًا كما قال (لويال)، وسوف يتضاعف هذا الدوران قبل أن يبدأ في التباطؤ. إن كونك (تاڤيرين) يعني أحيانًا أن (النمط) يُجبر على الانثناء من أجلك، وأحيانًا ما يعني أن (النمط) يجبرك على اتخاذ المسار المطلوب. يمكن أن تُنسج الشبكة بطرق عديدة، وبعض هذه الأنسجة ستكون كارثية، بالنسبة لكم، وبالنسبة للعالم.

لا يمكننا أن نبقى في (كايملين)، ولكن في أي طريق نسلكه سينال (الميردرال) و(الترولوكيون) منا قبل أن نبتعد لعشرة أميال. والآن فقط عند هذه النقطة نسمع بشأن الخطر الذي تواجهه (عين العالم)، ليس من مصدر واحد، ولكن من ثلاثة مصادر مستقلة عن بعضها بعضًا. (النمط) يُجبرنا على مسار محدد، ولا يزال (النمط) ينسج نفسه حول ثلاثتكم، ولكن أي يد تصنع هذا الانثناء الآن؟ وأي يد تتحكم في

النسج؟ هل ضعف سجن (سيد الظلام) بما يكفي لأن يفرض هذا القدر من السيطرة؟».

قالت (نانيڤ) بحدة: «لا حاجة لمثل هذا النوع من الحديث، لن تفعلي شيئًا سوى إخافتهم».

سألتها (مويرين): «ولكنه لن يخيفك؟ إنه يخيفني. حسنًا ربما أنتِ محقة، لا يمكن أن نسمح للخوف بأن يُحيدنا عن هدفنا، سواء كان هذا فخًّا أو تحذيرًا في الوقت المناسب، فإننا يجب أن نفعل ما يجب علينا فعله، وهو الوصول إلى (عين العالم) بسرعة، يجب أن يعرف (الرجل الأخضر) بشأن هذا الخطر».

جفل (راند). *(الرجل الأخضر)*؟ حدق الآخرون جميعًا بدورهم، باستثناء (لويال) الذي بدا وجهه العريض قلقًا.

أكملت (مويرين) حديثها قائلة: «لا يمكنني حتى أن أُخاطر بالتوقف في (تار ڤالون) من أجل الحصول على مساعدة، فالوقت يُحاصرنا جميعًا. حتى لو استطعنا أن نخرج من المدينة بدون عائق فإن الأمر سيتطلب أسابيع عديدة للوصول إلى (البلاء العظيم)، وأخشى أننا لم نعد نمتلك أسابيع».

«(البلاء العظيم)!». سمع (راند) صوته يتردد صداه مع الأصوات الأخرى في جوقة، ولكن (مويرين) تجاهلتهم جميعًا.

«(النمط) يطرح علينا أزمة، وفي الوقت نفسه يقدم لنا طريقة للتغلب عليها. لولا أنني أعرف أن هذا مستحيل لقلت إن (الخالق) يتدخل في الأمر. ولكن هناك طريق». ابتسمت كأنما لمزحة لا يعرفها سواها، ثم التفتت إلى (لويال) وقالت: «هناك (بستان) (أوجير) هنا في (كايملين)، و(بوابة طريق). (المدينة الجديدة) منبسطة الآن فوق المكان الذي كان فيه (البستان) ذات مرة، لذا فلا شك أن (بوابة الطريق) بداخل الأسوار. أنا أعرف أنه لم يعد الكثير من (الأوجير) يتعلمون بشأن (الطرق)، ولكن هذا الذي لديه الموهبة ويتعلّم أغاني الإنبات القديمة يجب أن ينجذب إلى

مثل هذه المعرفة، حتى لو كان يعتقد أنه لن يستخدمها أبدًا. هل تعرف (الطرق) يا (لويال)؟».

تململ (الأوجير) في توتر وقال: «أعرفها أيتها (الآيز سيداي)، ولكن...».

«هل يمكنك أن تجد مسارًا إلى (فال دارا) عبر (الطرق)؟».

تنفس (لويال) الصعداء وقال: «لم أسمع من قبل عن (فال دارا)».

«في أيام حروب (الترولوكيين) كانت تُعرف باسم (مافال دادارانيل)، هل تعرف هذا الاسم؟».

قال (لويال) على مضض: «أعرفه، ولكن...».

قالت (مويرين): «إذن يمكنك أن تجد مسارًا من أجلنا. إنه منعطف غريب بالفعل، بينما لا يمكننا أن نُغادر أو أن نبقى بأي طريقة طبيعية، أعرف بشأن الخطر الذي تواجهه (عين العالم)، وفي نفس الوقت يوجد شخص يمكنه أن يأخذنا إلى هناك في غضون أيام. سواء كان هذا بسبب (الخالق) أو القدر أو حتى (سيد الظلام) ذاته، فإن (النمط) قد اختار مسارنا لنا».

قال (لويال) بصوت حاسم تردد صداه كالرعد: «لا!». التفت الجميع إليه فرمش بعينيه أمام هذا الانتباه، ورغم هذا لم يكن هناك أدنى تردد في كلماته وهو يقول: «إن دلفنا إلى (الطرق) فسنموت جميعًا، أو سيبتلعنا (الظل)».

الفصل الثالث والأربعون

قرارات وظهورات

بدت (الآيز سيداي) وكأنها تعرف ما يعنيه (لويال)، ولكنها لم تقل شيئًا. أطرق (لويال) بنظره وهو يفرك ما تحت أنفه بإصبعه الغليظ كأنما يشعر بالخجل من ثورته. لم يرغب أحد في الحديث.

سأل (راند) أخيرًا: «لماذا؟ لماذا سنموت؟ ما هي (الطرق) بالضبط؟».

اختلس (لويال) النظر إلى (مويرين)، التي استدارت لتجذب كرسيًّا أمام المدفأة. تمطت القطة الصغيرة وهي تخمش أحجار المدفأة بمخالبها، ثم سارت بتؤدة قبل أن تضع رأسها بين كاحلي (مويرين)، التي راحت تمسدها خلف أذنيها بإصبع واحد. كانت خرخرة القطة متناقضة بشكل غريب مع صوت (الآيز سيداي) الخالي من المشاعر وهي تقول: «إن هذه المعرفة خاصة بكم يا (لويال)، (الطرق) هي السبيل الوحيد للأمان بالنسبة لنا، السبيل الوحيد لإحباط مخطط (سيد الظلام)، ولو لفترة من الوقت، ولكن القرار قرارك».

لم يبدُ على (الأوجير) الارتياح لما قالته، فتململ في حرج في كرسيه قبل أن يقول: «أثناء (زمن الجنون)، عندما كان العالم لا يزال مُحطَّمًا، كانت الأرض مضطربة، والبشرية متبعثرة كالغبار في مهب الريح. كان (الأوجير) متفرقين أيضًا، وأُجبروا على الخرج من (الملاذ) إلى (المنفى) و(الترحال الطويل)، عندما كان (الاشتياق) محفورًا في قلوبنا». نظر إلى (مويرين) نظرة جانبية طويلة وقد عقد حاجبيه حتى تلامسا. «سأحاول أن أكون موجزًا، ولكن هذا ليس شيئًا يمكنني أن أخبره بإيجاز شديد، فأنا يجب أن أتحدث بالنيابة عن الآخرين الآن، هذا العدد القليل من (الأوجير)، الذين تمسكوا بـ(الملاذ)، بينما العالم من حولهم يتمزق، وعن (الآيز سيداي)». في تلك اللحظة كان يتحاشى النظر إلى (مويرين). «(الآيز سيداي) الذكور، الذين كانوا يحتضرون حتى وهم يدمرون العالم في جنونهم. لقد كان هؤلاء (الآيز سيداي) . الذين قد تمكنوا حتى هذه اللحظة من تجنب الجنون- هم من قدم لهم (الملاذ) المأوى للمرة الأولى. الكثير منهم قد قبلوا هذا، ففي (الملاذ) كانوا محميين من دنس (سيد الظلام) الذي كان يقتل بني جنسهم. ولكنهم قد انقطعوا عن (المصدر الحقيقي)، لم يكن الأمر يعني أنهم فقط غير قادرين على استخدام (القوة الواحدة)، أو لمس (المصدر الحقيقي)، بل لم يعد بإمكانهم حتى أن يشعروا بوجود (المصدر). في النهاية لم يستطع أي منهم أن يقبل هذه العزلة، وواحدًا تلو الآخر رحلوا عن (الملاذ)، على أمل أن هذه المرة يكون الدنس قد اختفى، ولكنه لم يختفِ قط».

قالت (مويرين) بهدوء: «البعض في (تار ڤالون) يزعم أن مأوى (الأوجير) قد أطال (تحطم العالم) وجعله أسوأ. يقول آخرون إنه إن سُمِح لكل هؤلاء الرجال بالجنون في وقت واحد فلم يكن ليتبقى شيء من العالم. أنا من (الآجاه الزرقاوات) يا (لويال) على عكس (الآجاه الحمراوات)، فنحن نؤمن بوجهة النظر الثانية، لقد ساعد المأوى على إنقاذ ما يُمكن إنقاذه، فلتُكمل حديثك من فضلك».

أومأ (لويال) برأسه في امتنان، وأدرك (راند) أنه قد ارتاح من هاجس ما.

أكمل (الأوجير) حديثه: «كما كنت أقول، فإن (الآيز سيداي) ـ (السيداي) الذكور ـ قد رحلوا، ولكن قبل أن يرحلوا منحوا (الأوجير) هدية لشكرهم على المأوى الذي قدموه لهم، ألا وهي (الطرق). يُمكنك أن تدخل من (بوابة طريق) وتمشي ليوم، ثم تخرج من (بوابة طريق) أخرى لتجد نفسك على بُعد مئة ميل من حيث بدأت، أو خمسمئة ميل. الزمان والمسافة غريبان في (الطرق). مسارات مختلفة وجسور مختلفة تؤدي إلى أماكن مختلفة، والوقت الذي يتطلبه الأمر للوصول إلى هناك يعتمد على المسار الذي تسلكه، كانت هدية بديعة، وقد اتضح هذا أكثر مع مرور الوقت، لأن (الطرق) ليست جزءًا من العالم الذي نراه من حولنا، وربما ليست جزءًا من أي عالم يقع خارجها. لم يكن (الأوجير) فقط موهوبين للغاية ليسافروا عبر العالم ـ الذي حتى بعد (التحطم) يُحارب البشر كالحيوانات للعيش فيه ـ للوصول إلى (ملاذ) آخر، ولكن أيضًا بداخل (الطرق) لم يكن هناك أي (تحطم). إن الأرض التي تفصل ما بين (ملاذين) يُمكن أن يقسمها أخاديد عميقة أو تعلو فيها سلاسل جبلية، ولكن في (الطريق) بينهما لم يكن هناك أي تغير.

عندما غادر آخر (الآيز سيداي) (الملاذ) منحوا الكبراء مفتاحًا؛ تميمة يُمكن استخدامها لإنبات المزيد من (الطرق)، إنها أشياء حية بطريقة ما، أعني (الطرق) و(بوابات الطريق). أنا لا أفهم الأمر، لم يفهمه (أوجير) قط، وقيل لي إنه حتى (الآيز سيداي) قد نسوا. مع مرور السنوات انتهى (المنفى) بالنسبة لنا، وهؤلاء (الأوجير) الذين قد قبلوا الهدية من (الآيز سيداي) عثروا على (ملاذ) قد عاد فيه (الأوجير) من (الترحال الطويل)، بعد أن أنبتوا (طريقًا) إليه. مع الأعمال الحجرية التي تعلمناها أثناء (المنفى) بنينا مُدُنًا من أجل البشر، وزرعنا (البساتين) لإراحة (الأوجير) الذين يعملون في البناء حتى لا يغلبهم (الاشتياق). لقد أُنْبِتَت (طرق)

إلى هذه (البساتين)، هناك (بستان) و(بوابة طريق) في (مافال دادارانيل)، ولكن تلك المدينة قد دُمِّرت أثناء (الحروب الترولوكية)، ولم يبقَ حجر قائمًا على حجر آخر. وقد قُطِعت أشجار (البستان) وأُحرِقت من أجل نيران (الترولوكيين)». كان من الواضح أي جريمة كانت أعظم بالنسبة له.

قالت (مويرين): «من المستحيل تدمير (بوابات الطريق)، كما أنه من المستحيل تدمير البشرية. لا يزال هناك بشر في (فال دارا)، رغم أنها لم تعد المدينة العظيمة التي بناها (الأوجير). و(بوابة الطريق) لا تزال قائمة».

سألت (إيجوين) وهي تنظر بحيرة إلى (مويرين) و(لويال): «كيف صنعوها؟ أعني (الآيز سيداي) الرجال. إن لم يكن باستطاعتهم استخدام (القوة الواحدة) في (الملاذ) فكيف صنعوا (الطرق)؟ أو هل استخدموا (القوة الواحدة) على الإطلاق؟ إن جزأهم من (المصدر الحقيقي) كان مدنسًا، لا يزال مدنسًا، أنا لا أعرف الكثير عما يمكن (للآيز سيداي) فعله بعد، ربما يكون هذا سؤالًا سخيفًا».

قال (لويال) مفسرًا: «كل (ملاذ) به (بوابة طريق) على حدوده، ولكن خارجه. إن سؤالك ليس سخيفًا، لقد عثرتِ على بذرة سبب أننا لا نجرؤ على السفر عبر (الطرق). لم يستخدم أي (أوجير) (الطرق) طيلة حياته، ومن قبله. بحسب مرسوم من الكبراء - كل الكبراء من كل (ملاذ) - فلا يجب على إنسان أو (أوجير) أن يسافر عبر (الطرق).

(الطرق) قد صنعها رجال يستخدمون (القوة الواحدة) التي لوثها (سيد الظلام). منذ قرابة ألف عام أثناء ما تسمونه أنتم (حرب المئة عام) بدأت (الطرق) في التغير، ببطء شديد في البداية حتى أن أحدًا لم يُلاحظ الأمر، كانت تزداد برودة وقتامة. ثم خيَّم الظلام على الجسور. بعض الذين ارتحلوا عبر (الطرق) لم يرهم أحد مرة أخرى. تحدث المسافرون عن إحساسهم بمن يراقبهم في الظلام. تزايدت أعداد المختفين، وبعض الذين قد خرجوا أُصيبوا بالجنون، وهم يهذون بشأن (ماكين شين)، (الرياح السوداء).

استطاع مُعالِجو (الآيز سيداي) شفاء البعض ولكن حتى بمساعدة (الآيز سيداي) لم يعودوا قط كما كانوا، ولم يتذكروا أي شيء مما قد حدث لهم. ومع ذلك فقد بدا الأمر كما لو أن الظلام قد توغَّل في عظامهم. إنهم لم يضحكوا مرة أخرى، وصاروا يخشون صوت الرياح».

للحظة لم يكن هناك صوت إلا خرخرة القطة بجانب كرسي (مويرين)، وطقطقة النيران وفرقعتها مع تطاير الشرر. ثم انفجرت (ناينيف) غاضبة وهي تقول: «وأنتِ تتوقعين منا أن نلحق بكِ داخل هذا؟ لا شك أنكِ قد فقدتِ عقلكِ».

سألتها (مويرين) بهدوء: «ما الذي تختارينه بدلًا من هذا؟ أصحاب العباءات البيضاء داخل (كايملين)، أم (الترولوكيين) خارجها؟ تذكري أن حضوري في حد ذاته يمنحكم بعض الحماية من صنائع (سيد الظلام)».

استرخت (ناينيف) مرة أخرى في كرسيها وهي تتنهد في غضب.

قال (لويال): «لم تفسري لي بعد ما الذي قد يجعلني أنقض مرسوم الكبراء، وأنا ليس لدي رغبة في دخول (الطرق)، رغم أن الطرقات التي يسلكها البشر عادة ما تكون موحلة، إلا أنها قد نفعتني بما فيه الكفاية منذ أن رحلت عن (الملاذ)».

قالت (مويرين): «البشر و(الأوجير) وكل ما هو على قيد الحياة في حرب مع (سيد الظلام). إن السواد الأعظم من العالم لا يعرف بهذا بعد، والقلة الذين يعرفون معظمهم يقاتلون في مناوشات يعتقدون أنها معارك. قد يكون (سيد الظلام) على حافة الانتصار بينما العالم يرفض تصديق هذا. هناك ما يكفي من القوة في (عين العالم) لفك سجن (سيد الظلام) إن كان قد وجد طريقة لتطويع (عين العالم) لرغبته...».

تمنى (راند) لو كانت مصابيح الحجرة مضاءة، فقد كان المساء يزحف على (كايملين)، ونيران المدفأة لا تمنح ضوءً كافيًا، لم يرغب في أن يكون هناك ظلال في الحجرة.

انفجر (مات) قائلًا: «ما الذي يمكننا أن نفعله؟ لماذا نحن مهمون للغاية؟ لمَ يجب علينا الذهاب إلى (البلاء العظيم)؟ (البلاء العظيم)!».

لم ترفع (مويرين) صوتها إلا أنه ملأ الحجرة وهيمن على كل شيء، وبدا كرسيها الموضوع بجانب المدفأة وكأنه عرش. فجأة بدا أنه حتى (مورجيز) ستتضاءل في حضرتها. «هناك شيء واحد يمكننا فعله، يمكننا أن نحاول، ما يبدو كمصادفة عادة ما يكون هو (النمط). هناك ثلاثة خيوط قد اجتمعت هنا، وكل واحد يمنحنا تحذيرًا بشأن (عين العالم). لا يمكن أن يكون هذا مصادفة، بل هو (النمط). أنتم الثلاثة لم تختاروا، بل اختاركم (النمط)، وها أنتم ذا، هنا حيث الخطر معروف. يمكنكم أن تتنحوا جانبًا وعلى الأرجح ستتسببون في هلاك العالم، لن ينقذكم الهرب أو الاختباء من نسيج (النمط). أو يمكنكم المحاولة، يمكنكم الذهاب إلى (عين العالم)، ثلاثة من (التاڤيرين)، ثلاثة من النقاط المركزية بـ(شبكة النمط)، الموضع الذي يكمن فيه الخطر. فلتدعوا (النمط) ينسج شبكته من حولكم هناك، وربما تنقذون العالم من (الظل). الخيار لكم، فلا يمكنني إجباركم على الذهاب».

قال (راند) وهو يحاول أن يبدو حاسمًا: «سأذهب». على الرغم من بحثه باستمرار عن الخواء إلا أن الصور راحت تومض في عقله؛ (تام)، والمزرعة، والقطيع في المرعى. لقد كانت حياة طيبة، ولم يرغب قط في أكثر من هذا. أحس بالارتياح ـ ارتياح ضئيل ـ لسماع (بيرين) و(مات) يشاركانه الموافقة. لقد بديا جافَّي الفم مثله.

قالت (ناينيڤ): «أفترض أنه ليس هناك خيار لـ(إيجوين) أو لي أيضًا».

أومأت (مويرين) برأسها وقالت: «أنتما جزء من (النمط) أيضًا، بطريقة ما. ربما لستما (تاڤيرين) ـ ربما ـ ولكنكما قويتان. لقد عرفت هذا منذ أن كنت في (بايرلون)، ولا شك أن (العواتم) أيضًا يعرفون هذا الآن، و(بعلزمون) أيضًا، ورغم هذا فالخيار لكما كالفتيان. يمكنكما البقاء هنا ومواصلة الطريق إلى (تار ڤالون) بمجرد أن يرحل بقيتنا».

صاحت (إيجوين): «نتخلف عنكم! نترك البقية يذهبون إلى الخطر بينما نختبئ نحن؟ لن أفعل هذا!». حدقت إلى عيني (الآيز سيداي) ثم تراجعت قليلًا ولكن لم يختفِ تحديها بالكامل، فتمتمت في عناد: «لن أفعل هذا».

«أفترض أن هذا يعني أن كلتينا ستصحبكم». بدت (ناينيف) مستسلمة ولكن عينيها ومضتا عندما أضافت: «ما زلتِ بحاجة إلى أعشابي أيتها (الآيز سيداي)، ما لم تكوني قد اكتسبتِ قدرة ما لا أعرف بشأنها». حمل صوتها تحديًا لم يفهمه (راند). ولكن (مويرين) اكتفت بالإيماء برأسها ثم التفتت إلى (الأوجير).

«حسنًا يا (لويال ابن آرنت ابن هالان)؟».

فتح (لويال) فمه مرتين وخصلات الشعر على أذنيه ترتعش قبل أن يتكلم: «أجل، حسنًا، (الرجل الأخضر)، (عين العالم)، إنهما مذكوران في الكتب بالطبع، ولكني لا أعتقد أن أي (أوجير) قد رآهما بالفعل منذ... وقت طويل. أفترض... ولكن هل يجب أن يكون هذا عبر (الطرق)؟». أومأت (مويرين) برأسها فتهدل حاجباه الطويلان حتى لمس طرفاهما وجنتيه. «حسنًا إذن، أفترض أن بإمكاني أن أرشدكم. سيقول الكبير (هامان) إن هذا ما أستحقه لأنني متسرع للغاية طيلة الوقت».

قالت (مويرين): «لقد حُسِمت اختياراتنا إذن، والآن وقد حُسِمت فيجب أن نقرر ما سنفعله بشأنها وكيف».

جلسوا يخططون للأمر لقسط طويل من الليل، تولت (مويرين) معظم التخطيط مع الأخذ بنصيحة (لويال) فيما يتعلق بـ(الطرق)، ولكنها كانت تُصغي لأسئلة الجميع واقتراحاتهم. ما إن خيم الظلام حتى لحق بهم (لان)، مضيفًا تعليقاته بطريقته المقتضبة الصارمة في الحديث. أعدت (ناينيف) قائمة بالمؤن التي سيحتاجون إليها وهي تغمس قلمها في المحبرة بيد ثابتة رغم أنها كانت تغمغم طيلة الوقت.

تمنى (راند) لو أن باستطاعته أن يكون عمليًّا كالحكيمة، لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يقطع الحجرة جيئة وذهابًا كما لو أن لديه طاقة يجب أن يحرقها وإلا سينفجر بسببها. كان يعرف أنه قد حسم قراره، يعرف أنه الوحيد الذي يمكنه أن يستفيد من المعرفة التي لديه، ولكن هذا لم يجعله يتقبل الأمر. (البلاء العظيم)، كان (شايول غول) في مكان ما في (البلاء العظيم)، وراء (الأراضي الخَرِبة).

كان باستطاعته أن يرى نفس القلق في عيني (مات)، نفس الخوف الذي ينتابه. كان (مات) يجلس شابكًا يديه بقوة حتى ابيضت مفاصل أصابعه، فكَّر (راند) أنه إن لم يفعل هذا فسيمسك بمقبض خنجر (شادار لوجوث) عوضًا عنه.

لم يكن هناك قلق في وجه (بيرين) على الإطلاق، ولكن كان هناك ما هو أسوأ؛ قناع من الاستسلام المتعَب. بدا (بيرين) وكأنه قد صارع شيئًا حتى لم يعد بإمكانه أن يصارعه أكثر من هذا، وينتظر أن يُنهي عليه. ولكن في بعض الأحيان...

قال: «سنفعل ما يجب علينا فعله يا (راند). إن (البلاء العظيم)...».

وللحظة ومضت هاتان العينان الصفراوان في حماس، بريق خاطف في ملامح وجهه المتعبة، كما لو أن لهما حياة خاصة منفصلة عن حياة مساعد الحداد ضخم الجثة. همس قائلًا: «هناك صيد وفير، على طول (البلاء العظيم)». ثم ارتجف كما لو أنه قد تفاجأ بما قاله، ومرة أخرى عاد وجهه إلى الاستسلام.

كان (راند) قد تنحى بـ(إيجوين) جانبًا قبل قليل بالقرب من المدفأة، حيث لا يستطيع سماعهما أحد من المنهمكين في التخطيط حول الطاولة. «(إيجوين)، أنا...». جذبته عيناها الواسعتان السوداوان كدوامتين مما جعله يتوقف ويزدرد لعابه قبل أن يقول: «إن (سيد الظلام) يسعى ورائي أنا يا (إيجوين)، يسعى وراءنا أنا و(مات) و(بيرين). أنا لا أُبالي بما تقوله

(مويرين سيداي)، في الصباح عليكِ أنتِ و(ناينيڤ) أن تتوجها نحو الديار، أو نحو (تار ڤالون)، أو أي مكان آخر ترغبان في الذهاب إليه، ولن يحاول أحد إيقافكما، لا (الترولوكيون) ولا (العواتم)، ولا أي شخص، ما دمتما لستما معنا. عودي إلى الديار يا (إيجوين)، أو اذهبي إلى (تار ڤالون)، المهم هو أن ترحلي». انتظر أن تخبره أن لديها الحق في الذهاب حيث تريد مثله، وأنه ليس لديه أدنى حق في أن يخبرها بما يجب عليها فعله، ولكن لدهشته ابتسمت ولمست وجنته.

قالت برقة: «شكرًا لك يا (راند)». رمش بعينيه وأغلق فمه بينما تُكمل حديثها. «ولكنك تعرف أنني لا أستطيع، لقد أخبرتنا (مويرين سيداي) بما رأته (مين) في (بايرلون). كان يجب عليك أن تخبرني من تكون (مين)، لقد ظننت... حسنًا لقد قالت (مين) إنني جزء من هذا الأمر أيضًا، و(نانيڤ) كذلك. ربما أنا لست (تاڤيرين)». تلعثمت وهي تنطق الكلمة. «ولكن يبدو أن (النمط) يُريد إرسالي إلى (عين العالم) أيضًا، أيًّا كان ما يشملك فإنه يشملني أيضًا».

«ولكن يا (إيجوين)...».

«من تكون (إيلاين) هذه؟».

حدق إليها للحظة ثم أخبرها الحقيقة ببساطة: «إنها ولية عرش (أندور)».

اتقدت عيناها وهي تقول: «إن لم يكن بإمكانك أن تتحدث بجدية لدقيقة واحدة يا (راند ألثور) فأنا لا أُريد الحديث معك».

راقبها في ذهول وهي تستدير في وجوم عائدة إلى الطاولة حيث اتكأت بمرفقيها إلى جانب (مويرين) وهي تُصغي إلى ما يقوله (الحامي). قال لنفسه: *أنا بحاجة للحديث مع (بيرين)، إنه يعرف كيف يتعامل مع النساء.*

جاء السيد (جيل) مرات عديدة، أولًا ليشعل المصابيح، ثم ليُحضر الطعام بنفسه، وأخيرًا ليُخبرهم بما يحدث بالخارج. أصحاب العباءات البيضاء يُراقبون الحانة من على جانبي الشارع. كان هناك تمرد عند بوابة (المدينة الداخلية)، حيث ألقى (حرس المملكة) القبض على مرتدي الشارات البيضاء والحمراء على حد سواء. حاول شخص ما أن يحفر (ناب التنين) على الباب الأمامي، ولكن (لامجوين) ركله بعيدًا.

لم يبدُ على صاحب الحانة أنه متعجب من انضمام (لويال) لهم، لقد أجاب عن الأسئلة القليلة التي طرحتها عليه (مويرين)، دون أن يحاول استكشاف ما يخططون له. وفي كل مرة يعود كان يطرق على الباب وينتظر حتى يفتح له (لان) من الداخل، كأن هذه ليست حانته، وهذه ليست مكتبته. في زيارته الأخيرة أعطته (مويرين) لوحًا من الورق مُغطى بما كتبته (نايني ف) بخطها الأنيق.

قال وهو يهز رأسه بينما يطلع على القائمة: «لن يكون الأمر سهلًا في هذا الوقت من الليل، ولكني سأرتب الأمر».

أضافت (مويرين) كيسًا جلديًّا صغيرًا، أصدر رنينًا بينما تسلمه إليه وهي تمسكه من أربطته. «جيد، واحرص على أن نستيقظ قبل بزوغ الفجر، سيكون المراقبين في أقل درجات تأهبهم حينها».

قال السيد (جيل) مبتسمًا: «سنتركهم يراقبون صندوقًا فارغًا يا (آيز سيداي)».

كان (راند) يتثاءب بحلول الوقت الذي كان يغادر فيه الحجرة مع الآخرين ليبحثوا عن الحمامات والأسِرَّة. بينما يفرك جسده بقماشة خشنة في يده وقطعة من الصابون الأصفر في يده الأخرى، التفتت عيناه إلى المقعد المجاور لحوض (مات)، كانت حافة خنجر (شادار لوجوث) المطلية بالذهب تطل من تحت معطف (مات) المطوي بعناية. كان (لان) يختلس

النظر إليه من آن لآخر بدوره. تساءل (راند) إن كان من الآمن حقًّا أن يكون هذا الشيء بالقرب منهم كما تزعم (مويرين).

قال (مات) ضاحكًا وهو يفرك ظهره بفرشاة ذات مقبض طويل: «هل تعتقد أن أبي قد يصدق هذا الأمر على الإطلاق؟ أنني أنقذ العالم؟ لن تعرف أخواتي هل يضحكن أم يبكين».

كان يبدو مثل (مات) الذي يعرفه، وتمنى (راند) لو أن باستطاعته أن ينسى الخنجر.

كان الظلام الدامس قد حل عندما صعد هو و(مات) أخيرًا إلى غرفتهما بينما السحب تحجب النجوم. لأول مرة منذ وقت طويل يخلع (مات) ملابسه قبل أن يستلقي على فراشه، ولكنه وضع الخنجر ببساطة تحت وسادته أيضًا. نفخ (راند) في الشمعة ليطفئها، ثم استلقى على فراشه بدوره. كان باستطاعته أن يشعر بوجود شيء خاطئ على الفراش الآخر، ليس من (مات)، ولكن من تحت وسادته، كان لا يزال قلقًا بشأن هذا عندما خلد إلى النوم.

عرف منذ البداية أنه كان حُلمًا، واحدًا من تلك الأحلام التي لم تكن أحلامًا بالكامل. كان يقف محدقًا إلى الباب الخشبي الذي كان سطحه أسود ومتشققًا ومليئًا بالشظايا. كان الهواء باردًا ورطبًا ومشبعًا برائحة التعفن. كانت قطرات الماء تتساقط في مكان بعيد، وصوت تناثر الماء يتردد صداه عبر الممرات الصخرية.

فلتجحدوا به، فلتجحدوا به وستفشل قوته.

أغمض عينيه وصب تركيزه على حانة (مباركة الملكة)، وعلى فراشه، وعلى نفسه وهو نائم في الفراش. عندما فتح عينيه كان الباب لا يزال هناك، وأصداء تساقط القطرات متناغمة مع نبضات قلبه، وكأن نبضه هو ما يحسب لها الوقت. راح يبحث عن الشعلة والخواء، مثلما علمه (تام).

فعثر على الهدوء الداخلي، ولكن لا شيء بالخارج قد تغير. فتح الباب ببطء ثم دلف منه.

كان كل شيء كما يتذكره في الحجرة التي بدت كأنها حُفِرت من صخرة حية محترقة. النوافذ الطويلة المقوسة إلى تؤدي إلى شرفة بلا سور ومن ورائها تتدفق الغيوم المتراكمة كنهر في حالة فيضان. المصابيح المعدنية السوداء، وألسنة اللهب فيها ساطعة للغاية بحيث لا يمكن النظر إليها، تلمع بلون أسود ولكنها بشكل ما ساطعة كالفضة. كانت النيران تتأجج في المدفأة المخيفة ولكن لم ينبعث عنها أدنى حرارة، وكل حجر يبدو بشكل مبهم كوجهٍ يتلوى في عذاب.

كان كل شيء هو ذاته باستثناء شيء واحد؛ على سطح الطاولة المصقول تنتصب ثلاثة تماثيل صغيرة، تحمل هيئة رجال بلا ملامح، كأن النحات كان متعجلًا في استخدام الصلصال. بجانب أحدهم يقف ذئب، وبدت ملامحه الدقيقة متناقضة مع هيئة الرجال عديمة الملامح، بينما آخر يُمسك بخنجر صغير يلمع طرف مقبضه الأحمر في الضوء، والأخير كان يُمسك بسيف. انتصب الشعر على مؤخرة عنقه وهو يقترب بما يكفي لكي يرى طائر البلشون المنحوت بتفاصيل دقيقة على هذا النصل الصغير. رفع رأسه في ذعر وحدق مباشرة إلى المرآة الوحيدة. كان انعكاسه لا يزال مبهمًا، ولكنه ليس ضبابيًّا بقدر ما كان من قبل، فكاد أن يتمكن من تمييز ملامحه. إن تَخَيَّل أنه يحدق النظر مضيقًا عينيه فربما يمكنه أن يميز صورته.

«لقد اختبأتم مني لوقت طويل».

استدار على عقبيه مبتعدًا عن الطاولة والأنفاس تختنق في حلقه، منذ لحظة كان وحده ولكن الآن يقف (بعلزمون) أمام النوافذ. عندما تحدث حلت ألسنة من لهب محل عينيه وفمه.

«لوقت طويل للغاية، ولكن لن تختبئ مرة أخرى».

قال (راند) بصوت مبحوح: «أنا أجحد بك، وأجحد بأنك تملك أدنى سلطة عليّ. أنا أجحد بحقيقة من تكون».

ضحك (بعلزمون) بصوت عميق يتأجج كالنار. «هل تعتقد أن هذا سهل؟ وحتى لو كان كذلك فلطالما فعلته. في كل مرة نقف فيها هكذا تظن أن بإمكانك أن تتحداني».

«ما الذي تعنيه بقولك في كل مرة؟ أنا أجحد بك».

«لطالما فعلت، منذ البداية، لقد حدثت هذه المواجهة بيننا مِنْ قبْل مرات لا تُحصى. في كل مرة يكون وجهك مختلفًا واسمك مختلفًا، ولكن في كل مرة تكون أنت الشخص ذاته».

«أنا أجحد بك». كان همسًا يائسًا.

«في كل مرة تُلقي بقوتك الضئيلة في وجهي، ولكن أنت تعرف من منا سيكون السيد في النهاية. عصر بعد عصر تركع أمامي، أو تموت وأنت تتمنى لو أنه كان لديك القوة لكي تركع. لا يمكنك أن تنتصر مُطلقًا في وجهي أيها الأحمق المسكين».

صاح: «كاذب! (أبو الأكاذيب)، أو بالأحرى (أبو الحمقى) إن لم يكن بوسعك أن تفعل ما هو أفضل من هذا. لقد عثر عليك البشر في العصر الأخير، (عصر الأساطير)، وقيدوك مرة أخرى حيث تنتمي».

ضحك (بعلزمون) مرة أخرى في قهقهة ساخرة تلو الأخرى، حتى أحس (راند) بالرغبة في تغطية أذنيه لحجب الصوت، ولكنه أجبر يديه على البقاء حيث هما. بخواء أو بدونه فإن يديه كانتا ترتجفان عندما توقف الضحك أخيراً.

«أيها الدودة، أنت لا تعرف شيئًا على الإطلاق، أنت جاهل مثل خنفساء تعيش تحت صخرة، ومثلها تمامًا يسهل سحقك، إن هذا الصراع يجري منذ بدء الخليقة. لطالما ظن البشر أنها حرب جديدة، ولكنها نفس

الحرب يكتشفونها من جديد في كل مرة. ولكن التغيير يهب الآن مع رياح الزمن. التغيير. هذه المرة لن يكون هناك عودة للوراء. هؤلاء (الآيز سيداي) المتعجرفون الذين يعتقدون أن بإمكانهم الوقوف في وجهي سأقيدهم بالأغلال وأجعلهم يركضون عرايا لتنفيذ أوامري، أو أُلقي بأرواحهم في (هاوية الهلاك) ليصرخوا إلى الأبد، كلهم باستثناء هؤلاء الذين يخدمونني بالفعل، سوف يقفون تحتي بخطوة واحدة. يمكنك أن تختار الوقوف معهم بينما العالم يتذلل تحت قدميك. لقد عرضت عليك هذا مرارًا، وأعرضه عليك مرة أخيرة، يمكنك أن تقف فوقهم، فوق كل قوة وسلطان إلا قوتي وسلطاني. لقد كان هناك مرات اخترتَ فيها هذا الاختيار، أوقات عشتَ فيها طويلًا بما يكفي لكي تعرف قوتك».

اجحدوا به! تشبث (راند) بما يمكن أن يجحد به. «لا أحد من (الآيز سيداي) يخدمك. كذبة أخرى!».

«هل هذا ما أخبروك به؟ منذ ألفي عام اجتحت العالم بجيشي من (الترولوكيين)، وحتى بين (الآيز سيداي) وجدتُ من يعرف اليأس، من يعرف أن العالم لا يستطيع أن يقف أمام (الشيطان). لألفي عام سكنت (الآجاه السوداوات) بين الأخريات مختبئات في الظلال. ربما حتى هؤلاء الذين يزعمون مساعدتك».

هز (راند) رأسه محاولًا أن يُبعد الشكوك التي تتعاظم بداخله، كل الشكوك التي كانت تساوره حول (مويرين)، حول ما تريده (الآيز سيداي) منه، حول ما تخطط له من أجله. صرخ: «ما الذي تريده مني!». ***فلتجحد به! بحق (النور)، فلتجحد به!***

أشار (بعلزمون) نحو الأرض عند قدميه وهو يقول: «اركع! اركع واعترف بأنني سيدك، ستفعل هذا في النهاية، ستصير تابعًا لي وإلا فلتمت».

تردد صدى الكلمة الأخيرة في الغرفة، وتضاعفت الأصداء حتى رفع (راند) ذراعيه كأنما ليحمي نفسه من ضربة. تراجع للوراء مترنحًا حتى ارتطم بالطاولة، فصرخ محاولًا أن يُغرق الصوت في أذنيه: «لاااااا!».

وبينما يصرخ دار على عقبيه وضرب التماثيل ليسقطها أرضًا، طعن شيء يده ولكنه تجاهله وهو يطأ الصلصال ليصير لطخات عديمة الشكل تحت قدميه، ولكن عندما لم يعد قادرًا على الصراخ كان الصدى لا يزال هناك، ويزداد قوة:

فلتمت، فلتمت، فلتــمت، فلتــمت، فلتـــــمت.

راح الصوت يجذبه كالدوامة، ممزقًا الخواء في عقله إلى أشلاء. خفت الضوء وضاق مجال رؤيته حتى صار دائرة ضيقة، بينما (بعلزمون) يقف طويلًا في بقع الضوء، ثم راح يصغر حتى صار بحجم الكف، بحجم ظفر، لا شيء. راحت الأصداء تدور من حوله وتجذبه إلى الظلمة والموت.

عندما ارتطم جسده بالأرض أيقظه صوت الارتطام، وهو لا يزال يقاوم لكي يسبح خارجًا من تلك الظلمة. كانت الغرفة مظلمة ولكنها ليست مظلمة تمامًا. حاول بشكل محموم أن يركز على الشعلة، أن يزكيها بخوفه، ولكن هدوء الخواء كان يغريه. كانت الارتعاشات تسري في ذراعيه وساقيه، ولكنه تشبث بصورة الشعلة الوحيدة حتى توقف الدم عن الخفقان في أذنيه.

كان (مات) يتقلب ويتلوى وهو يتأوه في نومه. «... أجحد بك، أجحد بك، أجحد بك...». تحولت الكلمات إلى أنين غير مفهوم. مد (راند) يده نحوه ليوقظه ولكن مع اللمسة الأولى اعتدل (مات) مستيقظًا بتأوه مختنق. للحظة حدق (مات) حوله بجموح ثم أخذ نفسًا طويلًا متقطعًا ووضع رأسه بين يديه. فجأة لوى جسده ومد يده تحت وسادته ثم استلقى مرة أخرى متشبثًا بالخنجر ذي المقبض الياقوتي على صدره. أدار رأسه لينظر إلى (راند) ووجهه مخفي في الظلال ثم قال: «لقد عاد يا (راند)».

«أعرف».

أومأ (مات) برأسه وقال: «كان هناك ثلاثة تماثيل».

«لقد رأيتهم بدوري».

«إنه يعرف من أنا يا (راند)، لقد أمسكت بالتمثال الذي يحمل الخنجر فقال: إذن فهذا أنت؟ وعندما نظرت مرة أخرى كان التمثال يحمل وجهي، وجهي يا (راند)! لقد بدا مظهره كأنه من لحم ودم، وملمسه كأنه من لحم ودم. فليساعدني (النور)، كان باستطاعتي أن أشعر بيدي وهي تمسك بي، كأنني أنا التمثال».

لاذ (راند) بالصمت للحظة ثم قال: «يجب عليك أن تواصل الجحود به يا (مات)».

«لقد فعلت، ولكنه راح يضحك ويتحدث عن حرب أبدية ما، وقال إننا قد التقينا كهذا اللقاء ألف مرة من قبل، و... بحق (النور) يا (راند) إن (سيد الظلام) يعرفني».

«لقد قال لي الشيء ذاته، لا أعتقد أنه يعرف». ثم أضاف ببطء: «لا أعتقد أنه يعرف أيًّا منا...». *أي منا ماذا؟*

وبينما يتكئ على يده ليرفع جسده أحس بوخزة ألم. شق طريقه إلى الطاولة وتمكن من إشعال الشمعة بعد ثلاث محاولات ثم رفع يده المفرودة أمام (النور). كان هناك شظية من خشب أسود داكن منغرسة في راحة يده، ملساء ومصقولة في أحد جوانبها. حدق إليها حابسًا أنفاسه، وفجأة راح يلهث وهو يحاول انتزاع الشظية في عجالة بيد مرتعشة.

سأله (مات): «ما الأمر؟».

«لا شيء».

وأخيرًا تمكن من انتزاعها وهو يشعر بألم حاد. نظر إليها في اشمئزاز ثم ألقى بها أرضًا، ولكن النظرة تجمدت في عينيه، فما إن تركت أصابعه الشظية حتى تلاشت.

ولكن الجرح كان لا يزال هناك في يده نازفًا. كان هناك ماء في الإبريق الفخاري، فملأ الحوض ويداه ترتجفان حتى أنه سكب الماء على الطاولة. غسل يديه في عجالة وهو يفرك راحة يده بقوة بإبهامه حتى سال المزيد من الدماء، ثم غسلهما مرة أخرى. إن فكرة بقاء أصغر شظية في لحمه كانت ترعبه.

قال (مات): «بحق (النور)، لقد جعلني أشعر أنني دَنِسٌ أيضًا». ولكنه ظل مستلقيًا حيث هو ممسكًا الخنجر بكلتا يديه.

قال (راند): «أجل، دَنِس». مد يده إلى كومة من المناشف بجانب الحوض، ثم جاء صوت طرقات على الباب فجفل، ثم جاءت الطرقات مرة أخرى فقال: «أجل؟».

مدت (مويرين) رأسها إلى داخل الغرفة وقالت: «لقد استيقظتما بالفعل، جيد. ارتديا ملابسكما في عجالة واهبطا، يجب أن نتحرك قبل الضوء الأول».

قال (مات) متذمرًا: «الآن؟ لم نحظَ بساعة من النوم بعد».

قالت: «ساعة؟ لقد حظيتما بأربع ساعات. والآن أسرعا، ليس لدينا الكثير من الوقت».

تبادل (راند) نظرة حائرة مع (مات)، إن باستطاعته أن يتذكر بوضوح كل ثانية من الحلم، لقد بدأ بمجرد أن أغلق عينيه، ولم يستمر إلا لبضع دقائق.

لا شك أن (مويرين) أحست بوجود شيء كامن وراء هذه النظرة، فقد حدقت إليهما بنظرة ثاقبة ثم دلفت إلى الغرفة وقالت: «ما الذي حدث؟ الأحلام؟».

قال (مات): «إنه يعرف من أنا، (سيد الظلام) يعرف وجهي». أما (راند) فقد رفع راحة يده ناحيتها دون أن يتكلم، ورغم ضوء الشمعة الواحدة الذي تكتنفه الظلال إلا أن الدماء كانت واضحة.

خطت (الآيز سيداي) إلى الأمام، وأمسكت بيده المرفوعة واضعة إبهامها على راحته لتُغطي الجرح. أحس بالبرودة تخترقه حتى النخاع، برودة شديدة حتى أن أصابعه تشنجت، وبذل مجهودًا كبيرًا لإبقائها مفرودة. عندما أبعدت أصابعها تلاشت البرودة بدورها.

أدار يده ونظر في ذهول وهو يفرك طبقة الدماء الرقيقة، كان الجرح قد اختفى، وببطء رفع عينيه ليُحدق إلى عيني (الآيز سيداي).

قالت بهدوء: «فلتسرعا، إن الوقت ينفد منا».

كان يعرف أنها لم تعد تتحدث عن وقت رحيلهم.

الفصل الرابع والأربعون

الظلام عبر الطرق

في الظلمة التي تسبق الفجر بقليل لحق (راند) بـ(مويرين) عبر الردهة الخلفية حيث كان السيد (جيل) والآخرون ينتظرون. (نانيف) و(إيجوين) قلقتان مثل (لويال)، و(بيرين) يكاد أن يكون هادئًا كـ(الحامي). كان (مات) يلحق بـ(راند) كظله كأنما صار يخشى أن يظل وحيدًا حتى ولو على مسافة بضعة أقدام. اعتدلت الطاهية ومساعدوها وهم يحدقون إلى المجموعة التي تمر بصمت عبر المطبخ، الذي كان مضاءً وساخنًا بالفعل مع تجهيزات الإفطار. لم يكن من المعتاد أن ينهض زبائن الحانة للخروج في هذه الساعة. مع كلمات السيد (جيل) المطمئنة تنهدت الطاهية بصوتٍ عالٍ ثم بدأت تعجن العجين بقوة. كانوا قد عادوا جميعًا للاعتناء بالشوايات وعجن العجين قبل أن يصل (راند) إلى باب باحة الاسطبل.

بالخارج كان الظلام لا يزال دامسًا، وبالنسبة لـ(راند) كان كل شخص آخر مجرد ظل داكن. لحق بصاحب الحانة و(لان) بثقة عمياء وهو يأمل أن معرفة السيد (جيل) بباحة إسطبله وغرائز (الحامي) ستجعلهم يقطعون الباحة دون أن يكسر أحدهم ساقه، ولكن (لويال) تعثر أكثر من مرة.

قال (الأوجير) متذمرًا: «لا أفهم لِمَ لا يُمكننا أن نشعل ضوءًا واحدًا، نحن لا نركض في الظلام في (الملاذ)، أنا (أوجير) ولست قطة». ارتسمت في ذهن (راند) فجأة صورة خصلات الشعر بأذني (لويال) وهي ترتعش في توتر.

لاح الإسطبل فجأة في ظلمة الليل، كتلة منذرة بالخطر حتى انفتح باب الإسطبل مُصدرًا صوت صرير، فانسكب تيار ضئيل من الضوء إلى الباحة. لم يفتحه صاحب الحانة إلا بما يكفي لمرورهم واحدًا تلو الآخر، وعلى الفور دلف وراء (بيرين) فكاد أن يصطدم بكاحليه. رمش (راند) بعينيه مع الضوء المفاجئ في الداخل.

لم يكن عمال الإسطبل مندهشين لوجودهم مثل الطاهية، كانت خيولهم بانتظارهم مجهزة بالسروج، و(ماندارب) يقف بغطرسة متجاهلًا الجميع ما عدا (لان)، بينما مدت (آلديب) أنفها لتداعب يد (مويرين). كان هناك حصان بضائع يحمل سلالًا من الخيزران، وحصان آخر ضخم يحيط بالجزء السفلي من قوائمه شعر غزير، وكان أطول حتى من حصان (لان)، من أجل (لويال). بدا ضخمًا بما يكفي لجذب حمولة من القش بمفرده، ولكنه مقارنة بـ(الأوجير) بدا كأنه مُهر صغير.

نظر (لويال) إلى الحصان الضخم ثم تمتم في شك: «لطالما كانت قدماي كافيتين بالنسبة لي».

أشار السيد (جيل) إلى (راند) ثم اقتاده إلى حصان أحمر بنفس لون شعره تقريبًا، طويل وعريض الصدر، ولكن بدون عنفوان الخطوات الذي كان يميز (كلاود)، وكان (راند) مسرورًا لرؤية هذا. قال السيد (جيل) إن اسمه (ريد).

توجهت (إيجوين) مباشرة نحو (بيلا)، بينما توجهت (نايني‌ف) نحو فرسها ذات القوائم الطويلة.

جر (مات) حصانه الأشهب مقتربًا من (راند)، وتمتم قائلًا: «(بيرين) يجعلني متوترًا». نظر إليه (راند) بحدة فأكمل: «حسنًا، إنه يتصرف بغرابة، ألا ترى هذا أيضًا؟ أقسم أنها ليست مخيلتي، أو... أو...».

أومأ (راند) برأسه متفهمًا، *لم ينل الخنجر منه مرة أخرى، حمدًا (للنور)*. قال: «إنه كذلك بالفعل يا (مات)، ولكن فلتسترخِ، (مويرين) تعرف بشأن... أيًّا ما يكون. (بيرين) بخير». تمنى لو أن بإمكانه أن يُصدق هذا، ولكن بدا أنه قد أرضى (مات)، قليلًا على الأقل.

قال (مات) على الفور وهو يُراقب (بيرين) من طرف عينه: «بالطبع، أنا لم أقل قط إنه ليس كذلك».

كان السيد (جيل) يتشاور مع كبير عمال الإسطبل، هذا الرجل متغضن الوجه حتى بدا شبيهًا بوجوه الخيل، فرك جبهته بأصابعه ثم أسرع إلى مؤخرة الإسطبل. التفت صاحب الحانة إلى (مويرين) بابتسامة راضية على وجهه الممتلئ وهو يقول: «يقول (رايمي) إن الطريق آمن أيتها (الآيز سيداي)».

بدا الجدار الخلفي للإسطبل صلبًا ومُصمتًا، وكان مغطى بأرفف ثقيلة من الأدوات. أزال (رايمي) وعامل آخر في الإسطبل أشواك القش والمجارف، ثم مدا أيديهما وراء الأرفف ليتلاعبا بمزاليج خفية. فجأة انفتح جزء من الجدار إلى الداخل على مفاصل مخفية بعناية، حتى إن (راند) لم يكن قادرًا على رؤيتها رغم أن الباب الخفي كان مفتوحًا. وقع ضوء الإسطبل على جدار من الطوب على بُعد بضعة أقدام منه. قال صاحب الحانة: «إنه مجرد ممر ضيق بين البنايات، ولكن لا أحد خارج هذا الإسطبل يعرف أن هناك طريقًا إليه من هنا. لن يكون هناك أي مراقبين ليروا من أين خرجتم، سواء كانوا من أصحاب العباءات البيضاء أو الشارات البيضاء».

أومأت (الآيز سيداي) برأسها وقالت: «تذكر يا صاحب الحانة الطيب أنك إن خشيت أي متاعب من هذا فلتكتب إلى (شيريام سيداي)

من (الآجاه الزرقاوات) في (تار ڤالون)، وسوف تُساعدك، أخشى أنني وأخواتي ندين بالكثير بالفعل لهؤلاء الذين ساعدوني».

ضحك السيد (جيل)، ولكنها لم تكن ضحكة رجل قلق، ثم قال: «لقد منحتِني بالفعل أيتها (الآيز سيداي) الحانة الوحيدة الخالية من الفئران في كل (كايملين)، فما الذي يُمكن أن أطلبه أكثر من هذا؟ يُمكنني أن أُضاعف أسعاري مقابل هذا وحده». ثم تلاشت ابتسامته لتحل محلها نظرة جادة وهو يقول: «أيًّا كان ما تسعين إليه فإن الملكة تؤيد (تار ڤالون) وأنا أؤيد الملكة، لهذا أتمنى لكِ التوفيق. فليباركِكِ (النور) أيتها (الآيز سيداي)، فليبارككم جميعًا».

أجابته (مويرين) وهي تحني رأسها: «فليباركك (النور) أيضًا يا سيد (جيل)، ولكن لكي يُشرق (النور) على أي منا فيجب أن نتحرك بسرعة». ثم التفتت بخفة إلى (لويال) وقالت: «هل أنت جاهز؟».

كان (الأوجير) يُمسك بلجام الحصان الضخم وهو يجز على أسنانه في حذر، ثم اقتاد الحصان إلى الفتحة التي في مؤخرة الإسطبل متشبثًا باللجام في يده. كان (رايمي) يراوح بين قدميه في نفاد صبر متعجلًا أن يُغلق الفتحة مرة أخرى. للحظة توقف (لويال) رافعًا رأسه كأنما يشعر بالنسيم على وجنتيه، ثم قال وهو ينعطف عبر الزقاق الضيق: «من هذا الطريق».

لحقت (مويرين) بحصان (لويال) ومن ورائها (راند) و(مات). كان من نصيب (راند) الدور الأول في اقتياد حصان البضائع. كانت (ناينيڤ) و(إيجوين) في منتصف الطابور، ومن ورائهما (بيرين)، و(لان) في المؤخرة. بمجرد أن خطا (ماندارب) إلى الزقاق الترابي حتى أُغلق الباب وراءهم على عجل. بدا صوت إغلاق المزاليج عاليًا بشكل غريب في أذني (راند).

كان المجرى ـ كما أسماه السيد (جيل) ـ ضيقًا للغاية بالفعل، وأكثر ظلمة من باحة الإسطبل، إن كان هذا ممكنًا، وعلى جانبيه جدران طويلة من الطوب أو الخشب، ولا يبدو من فوقهم إلا جزء ضيق من السماء

السوداء. كانت السلال الضخمة المعلقة على ظهر حصان البضائع تحتك بالمباني على كلا الجانبين، فقد كانت منتفخة بمؤن الرحلة، ومعظمها أوعية فخارية مليئة بالزيت. وكان هناك حزمة من العصيّ متدلية على مؤخرة الحصان، وفي طرف كل واحد منها يتأرجح مصباح. لقد قال (لويال) إن (الطرق) أكثر ظلمة من أحلك الليالي.

كانت المصابيح شبه الممتلئة تُصدر صوت قعقعة مع ارتطامها ببعضها، والسائل بداخلها يُصدر صوت رجرجة. لم يكن صوتًا عاليًا، ولكن في هذه الساعة التي تسبق الفجر كانت (كايملين) هادئة وساكنة، فبدا كأنه من الممكن سماع هذه القعقعة المعدنية من على بُعد ميل.

عندما انتهى بهم الممر إلى الشارع اختار (لويال) وجهته دون أن يتردد، بدا حينها وكأنه يعرف تمامًا إلى أين هو ذاهب، كأن المسار الذي يجب أن يسلكه قد صار أكثر وضوحًا. لم يستوعب (راند) كيف يُمكن (للأوجير) أن يعثر على (بوابة الطريق)، ولم يكن (لويال) قادرًا على شرح الأمر بشكل جيد. كان قد قال لهم إنه يعرف فحسب، إن باستطاعته أن يشعر بالأمر. زعم (لويال) أن الأمر أشبه بمحاولة شرح كيفية التنفس.

بينما هم يسرعون عبر الشارع نظر (راند) وراءه ناحية الناصية التي تقع فيها حانة (مباركة الملكة). حسبما قال (لامجوين) فإنه لا يزال هناك ستة من أصحاب العباءات البيضاء على مسافة ليست ببعيدة من هذه الناصية. إن اهتمامهم منصب على الحانة، ولكن أي ضوضاء ستجذب أنظارهم بالتأكيد، فلا أحد سيخرج في هذه الساعة من أجل شيء حسن النية. بدا وكأن حوافر الخيول تدق على أحجار الرصف كالأجراس، والمصابيح تقعقع كأن حصان البضائع يهزها عن عمد. لم يتوقف عن النظر وراءه إلا عندما انعطفوا عند ناصية أخرى. سمع رفاقه يتنفسون الصعداء عندما انعطفوا بدورهم.

بدا أن (لويال) يسلك أكثر طريق مباشر إلى (بوابة الطريق) أينما يأخذهم. بدوا أحيانًا يهرولون عبر طرق واسعة خاوية إلا من كلب يتجول في الظلمة بين الحين والآخر. أحيانًا ما كانوا يسرعون عبر أزقة ضيقة كممر الإسطبل، حيث كان هناك أشياء تنسحق عندما يخطو عليها أحد دون أن ينتبه. كانت (نايניيف) تشتكي بصوت خافت بشأن الروائح الناتجة عن هذا، ولكن لم يُبطئ أي منهم حركته.

بدأت الظلمة تنقشع قليلًا لتصير لونًا رماديًّا داكنًا. كان بريق الفجر الخافت يتلألأ في السماء فوق أسطح البيوت جهة الشرق. ظهر عدد قليل من الناس في الشوارع، منكمشين على أنفسهم بفعل برودة الصباح الباكر، مطرقين برؤوسهم بينما لا يزالون يحلمون بأسِرَّتهم. معظمهم لم يكن مكترثًا بأي شخص آخر. عدد قليل من الناس ألقوا نظرة على طابور الأشخاص والخيول الذي يتقدمه (لويال)، وواحد فقط من هؤلاء قد رآهم بالفعل.

ألقى الرجل عليهم نظرة خاطفة كالبقية، ثم عاد ليغرق في أفكاره، وفجأة تعثر وكاد أن يسقط وهو يلتفت محدقًا وراءه. كان هناك من الضوء ما يسمح برؤية أشكال مبهمة، ولكن كان هذا أكثر مما يكفي. إذا رأى شخص ما (الأوجير) من مسافة بعيدة فيمكن أن يظنه رجلًا طويلًا يقتاد حصانًا عاديًّا، أو رجلًا عاديًّا يقتاد حصانًا صغير الحجم. ولكن مع وجود البقية من خلفه مما يمنح تصورًا عامًّا فقد بدا (لويال) ضخمًا على حقيقته، بطول أي رجل مرة ونصف. حدق إليهم الرجل، وبصرخة مختنقة أسرع راكضًا وعباءته تخفق من خلفه.

قريبًا سيكون هناك المزيد من الناس في الشوارع، قريبًا للغاية. نظر (راند) إلى امرأة تُسرع من جوارهم على الجانب الآخر من الشارع ولا ترى شيئًا سوى الأرض المرصوفة تحت قدميها. سُرعان ما سيُلاحظهم المزيد من الناس. كان الضوء يتزايد في السماء جهة الشرق.

وأخيرًا قال (لويال): «هناك، تحت هذا المكان». كان يُشير إلى متجر قد أُغلق أثناء الليل. الطاولات أمامه خالية من البضائع، والمظلات من فوقه ملفوفة، والباب مُغلق بإحكام. كانت النوافذ بالأعلى حيث يعيش صاحب المتجر لا تزال مُظلمة.

صاح (مات) في عدم تصديق: «تحته؟ كيف يمكننا بحق (النور)...؟».

رفعت (مويرين) يدها لكي تقاطعه ثم أشارت إليهم أن يتبعوها إلى الزقاق المجاور للمتجر. احتشد الخيول والأشخاص معًا عند الفتحة فيما بين المبنيين. كان الزقاق أكثر ظلمة من الشارع وقد حجبت الجدران الضوء فصار الظلام دامسًا مرة أخرى.

تمتمت (مويرين): «لا شك أن هناك بابًا يؤدي إلى القبو. ها هو ذا».

فجأة توهج ضوء، كرة متوهجة باردة بحجم قبضة رجل مُعلقة في الهواء فوق كف (الآيز سيداي)، وتتحرك مع حركة يدها. فكَّر (راند) أن هذا يعتبر مثالًا على ما مروا به حتى الآن، فيبدو أن الجميع يعتبرونه أمرًا طبيعيًّا. قرَّبت الكرة من الباب الذي عثرت عليه، المائل على الأرض حتى يكاد أن يكون أفقيًّا، والمثبَّت بمسامير سميكة وقفل حديدي أكبر من يد (راند) وسميك بفعل الصدأ المتراكم.

جذب (لويال) القفل جذبة خفيفة ثم قال: «يمكنني أن أجذبه من موضعه مع كل ما يثبته، ولكن هذا سيصنع ضوضاء كافية لإيقاظ الحي كله».

قالت (مويرين): «دعنا لا نُلحق الضرر بممتلكات الرجل الطيب ما دام بإمكاننا تجنب هذا». ثم راحت تتفحص القفل باهتمام للحظة، وفجأة نقرت على الحديد الصدئ بعصاها فانفتح القفل بدقة. على الفور انتزع (لويال) القفل وفتح الباب لأعلى قبل أن يدفعه للوراء. هبطت (مويرين) عبر المنحدر الذي كشف عنه الباب وهي تضيء طريقها بالكرة المتوهجة، فخطت (آلديب) وراءها برشاقة.

قالت بصوت خافت: «أضيئوا مصابيحكم واهبطوا، هناك مساحة تكفي الجميع. أسرعوا، سيحل ضوء الصباح قريبًا».

أسرع (راند) ليحل المصابيح المربوطة بعصيّ على ظهر حصان البضائع، ولكن قبل أن يُشعل أولها أدرك أن باستطاعته أن يرى ملامح وجه (مات). سيملأ الناس الشوارع في غضون دقائق، وسيهبط صاحب المتجر لكي يفتح متجره، وسيتساءل الجميع لِمَ يكتظ الزقاق بالخيول. تمتم (مات) متوترًا بشيء عن اصطحاب الخيول للداخل، ولكن (راند) كان مسرورًا لجر خيله هابطًا المنحدر، تبعه (مات) متذمرًا ولكنه كان سريعًا مثله.

تأرجح مصباح (راند) من طرف العصا وهو يكاد يرتطم بالسقف ما لم يكن حذرًا، كما أن كلًّا من (ريد) وحصان البضائع لم يحب المنحدر. وصل إلى نهاية المنحدر فابتعد عن طريق (مات)، فتركت (مويرين) ضوءها المعلّق في الهواء ينطفئ، ولكن البقية لحقوا بهم مع مزيد من المصابيح لتضيء المساحة الواسعة.

كان القبو طويلًا وواسعًا كالمبنى أعلاه، ومعظم المساحة تشغلها أعمدة من الطوب تتصاعد من القواعد الضيقة إلى خمسة أضعاف حجمها عند السقف، بدا المكان وكأنه مصنوع من سلسلة من الأقواس. كان هناك مساحة كبيرة فارغة، ورغم هذا أحس (راند) بأن المكان مزدحم. كانت رأس (لويال) تلمس السقف، وكما أنبأ القفل الصدئ فإن القبو لم يُستخدم منذ زمن بعيد. كانت الأرض عارية إلا من بعض البراميل المكسورة المليئة بالمهملات المختلفة، وطبقة سميكة من الغبار. ثارت ذرات الغبار بفعل الأقدام العديدة لتتلألأ في ضوء المصابيح. كان (لان) آخر من يدخل، وبمجرد أن اقتاد (ماندارب) إلى آخر المنحدر حتى عاد ليجذب الباب ويُغلقه.

قال (مات) متذمرًا: «بحق الدماء والرماد، لِمَ قد يبنون واحدة من البوابات في مكان كهذا؟».

قال (لويال): «لم يكن الأمر دومًا هكذا». تردد صدى صوته المدمدم في المساحة الخاوية. «لا، لم يكن كذلك!». أدرك (راند) في صدمة أن (الأوجير) غاضب. «ذات يوم كان يوجد أشجار هنا، كل نوع من الأشجار التي من الممكن أن تنمو في مكان كهذا، كل نوع من الأشجار يُمكن (للأوجير) أن يُلاطفوه حتى ينمو هنا. (الأشجار العظيمة) بارتفاع مئة باع. ظلال الأغصان والنسيم البارد الذي يحمل رائحة الأوراق والأزهار، ويحتفظ بذكرى سكينة (الملاذ). كل ذلك قتلوه من أجل هذا!». ضرب أحد الأعمدة بقبضته.

بدا أن العمود قد ارتجف إثر الضربة، وكان (راند) واثقًا من أنه سمع صوت تشقق الطوب، بينما تساقطت شلالات من الغبار عبر العمود.

قالت (مويرين) برفق: «ما نُسِج بالفعل لا يُمكن التراجع عنه، إن إسقاط المبنى على رؤوسنا لن يجعل الأشجار تنمو مرة أخرى». أطرق (لويال) بحاجبيه مما جلعه يبدو خجلًا أكثر مما يُمكن أن يبدو على أي وجه بشري. «بمساعدتك لنا يا (لويال) ربما يُمكننا أن نمنع سقوط (البساتين) ـ التي لا تزال قائمة ـ تحت الظل. لقد جلبتنا إلى ما نسعى إليه».

وبينما تقترب من أحد الجدران أدرك (راند) أن هذا الجدار مختلف عن البقية. كانت الجدران الأخرى من الطوب التقليدي، ولكن هذا الجدار كان حجريًّا ويحمل نقوشًا معقدة من الدوامات المزخرفة والأوراق والأغصان، وقد بدت شاحبة تحت طبقة من الغبار. كان الطوب والبلاط كلاهما قديم، ولكن شيئًا ما حيال هذا الحجر كان يشي بأنه مقام منذ زمن بعيد، أقدم بكثير من تاريخ صنع هذا الطوب. لاحقًا دمج البناؤون ـ الذين رحلوا بدورهم منذ قرون ـ ما هو قائم بالفعل في بنائهم، وفيما بعد جعله أناس آخرون جزءًا من القبو.

كان هناك جزء من الجدار الصخري المنقوش ـ في منتصفه تمامًا ـ أكثر تفصيلًا من البقية. كان متقن الصنع كالبقية لكنه جعلها تبدو كنسخة

بدائية بالمقارنة معه. تلك الأوراق المنحوتة في الصخر الصلب بدت لينة، لقد علقت في لحظة متجمدة بينما النسيم اللطيف يحركها. بسبب كل هذا راودهم إحساس بالقِدَم، أقدم بكثير من بقية الأحجار، بقدر ما كانت بقية الأحجار أقدم من الطوب. هذا القدم وأكثر. نظر إليهم (لويال) وكأنه يفضل أن يكون في أي مكان آخر عدا هذا المكان، حتى لو كان في الشوارع مع حشد غاضب آخر.

تمتمت (مويرين) وهي تضع يدها على ورقة ثلاثية في النقوش الحجرية: «(أڤِنديسورا)». تفحَّص (راند) النقوش، كانت هذه هي الورقة الوحيدة من نوعها التي استطاع العثور عليها. قالت (الآيز سيداي) وهي تنتزع الورقة بيدها: «ورقة (شجرة الحياة) هي المفتاح».

رمش (راند) بعينيه وسمع شهقات من ورائه، كانت هذه الورقة تبدو جزءًا من الجدار كأي نقش آخر، وبهذه البساطة وضعتها على النمط الموجود أسفلها بشبر. ناسبت الورقة الثلاثية المساحة الفارغة الموجودة هناك كأنما كانت مُخصصة من أجلها، ومرة أخرى صارت جزءًا من البناء ككل. وما إن صارت في موضعها حتى تغيرت طبيعة الجزء المركزي في المنحوتة الحجرية.

كان واثقًا من أن باستطاعته أن يرى الأوراق تتطاير بفعل نسيم ما لا يشعر به، وخُيِّل إليه أنها خضراء نضرة تحت الغبار، نسيج من الخضرة الربيعية الكثيفة هناك في القبو المضاء بالمصابيح. بشكل يكاد أن يكون غير محسوس في البداية انشق منتصف النحت القديم واتسع بينما النصفان ينفتحان إلى داخل القبو حتى استقرا بشكل مستقيم. كان ظَهْرا مصراعي البوابة منقوشين كالوجهين، بنفس الأغصان والأوراق الوافرة، ويكادان أن ينبضا بالحياة. ومن وراء البوابة، بدلًا من أن يجدوا غبارًا أو قبو المبنى التالي، كان هناك لمعان باهت يعكس صورهم بشكل خافت.

قال (لويال) بصوت يمزج بين الحسرة والخوف: «لقد سمعت أنه ذات يوم كانت (بوابات الطريق) تتألق كالمرايا، ذات يوم كان من يدخل إلى (الطرق) يمشي تحت الشمس والسماء، ذات يوم».

قالت (مويرين): «ليس لدينا وقت لنضيعه في الانتظار».

تخطاها (لان) وهو يقتاد (ماندارب) ويُمسك بعصا المصباح في يده. كان انعكاسه المبهم يقترب منه وهو يقتاد حصانًا مبهمًا. بدا الرجل وانعكاسه كأنما يمتزجان عند السطح اللامع قبل أن يختفي كلاهما. للحظة تردد الحصان الأسود وقد بدا وكأن لجامًا متصلًا يربطه بصورته. ثم جُذِب اللجام فاختفى الحصان بدوره.

للحظة وقف الجميع في القبو يحدقون إلى (بوابة الطريق).

قالت (مويرين) وهي تحثهم على الحركة: «أسرعوا، يجب أن أكون آخر من يمر، لا يمكنني أن أترك هذه البوابة مفتوحة فيجدها أي شخص بالصدفة. أسرعوا».

تنهد (لويال) بعمق ثم خطا عبر اللمعان. حاول حصانه الضخم أن يتراجع بعيدًا عن السطح وهو يلوح برأسه قبل أن يُجَرَّ ليمر من خلاله. اختفيا تمامًا كما اختفى (الحامي) و(ماندارب).

تردد (راند) وهو يغرس مصباحه عبر (بوابة الطريق)، فغاص المصباح في انعكاسه وامتزجا حتى اختفيا. أجبر نفسه على أن يواصل السير للأمام وهو يراقب العصا تختفي في نفسها بوصة تلو الأخرى، حتى خطا في نفسه ليدخل البوابة. فغر فاه وأحس بشيء ثلجي ينزلق على جلده، كأنه يمر عبر جدار من الماء البارد. تحرك الوقت ببطء والبرد يغلف شعره شعرة تلو الأخرى، والقشعريرة تجتاح ملابسه خيطًا تلو الآخر.

فجأة انفجرت البرودة كفقاعة فتوقف ليلتقط أنفاسه. لقد صار بداخل (الطرق)، وأمامه على مسافة قصيرة كان (لان) و(لويال) ينتظران بصبر

بجانب حصانيهما. لم يكن من حولهم سوى الظلمة التي بدا أنها تمتد إلى الأبد. صنعت مصابيحهم دوائر صغيرة من الضوء من حولهم، صغيرة للغاية كأن شيئًا ما يلتهم الضوء أو يُجبره على التراجع.

جذب اللجامين في قلق مفاجئ، فقفز (ريد) وحصان البضائع ليعبرا وكادا أن يُسقطاه. تعثر قبل أن يستعيد توازنه ويُسرع نحو (الحامي) و(الأوجير) وهو يجذب الحصانين المتوترين من ورائه. راحت الأحصنة تصهل بصوت خافت، وحتى (ماندارب) بدا أنه يشعر ببعض الراحة لوجود الأحصنة الأخرى.

قال (لويال) مُحذرًا: «فلتتمهل أثناء عبورك من (بوابات الطريق) يا (راند)، الأشياء بداخل (الطرق)... مختلفة عما بالخارج. انظر».

نظر وراءه إلى حيث يشير (الأوجير) متوقعًا أن يرى نفس اللمعان الباهت، وبدلًا من هذا تمكن من رؤية ما بداخل القبو، كأنما ينظر عبر قطعة كبيرة من الزجاج المعتم موضوعة في الظلمة. وما يثير الاضطراب هو أن الظلمة المحيطة بالنافذة المؤدية إلى القبو كانت تُعطي إحساسًا بالعمق، رغم أن الفتحة كانت تقف بمفردها ولا يوجد شيء من ورائها سوى الظلام. قال هذا بضحكة مرتجفة رغم أن (لويال) أخذ الأمر على محمل الجد.

«يمكنك أن تسير من ورائها ولن ترى شيئًا من على الجانب الآخر، ولكني لا أنصحك بهذا. لا تذكر الكتب بوضوح ما الذي يكمن وراء (بوابات الطريق)، أعتقد أنك قد تضيع هناك، ولن تجد طريقك للخروج أبدًا».

هز (راند) رأسه وحاول أن يركز على (بوابة الطريق) نفسها بدلًا مما يكمن وراءها، ولكن هذا كان مثيرًا للاضطراب على نحو آخر. إن كان هناك أي شيء لينظر إليه في الظلمة بخلاف (بوابة الطريق) لنظر إليه. ولكن في القبو - عبر العتمة الباهتة - كانت (مويرين) والبقية واضحين بما

يكفي، ولكنهم يتحركون كأنما في حلم، كل رمشة عين بدت وكأنها إيماءة متعمدة ومبالغ فيها. كان (مات) يشق طريقه نحو (بوابة الطريق) كأنما يمشي عبر هلام شفاف، وبدا كأن ساقيه تسبحان للأمام.

قال (لويال) مفسرًا: «تدور (عجلة الزمن) بشكل أسرع في (الطرق)». نظر إلى الظلمة المحيطة بهم، ورأسه غارق بين كتفيه، قبل أن يقول: «لا أحد على قيد الحياة يعرف شيئًا أكثر من مجرد شذرات. أخاف ما لا أعرفه عن (الطرق) يا (راند)».

قال (لان): «لا يمكن هزيمة (سيد الظلام) من دون خوض المخاطر، ولكننا على قيد الحياة في هذه اللحظة، ولدينا أمل في البقاء على قيد الحياة، لا تستسلم قبل أن تُهزَم أيها (الأوجير)».

«لم تكن لتتحدث بهذه الثقة إن كنت قد سلكت (الطرق) من قبل». كان دوي صوت (لويال) البعيد المعتاد مكتومًا، وكان يحدق إلى الظلمة كأنما يرى أشياء هناك. «لم أسلكها من قبل بدوري، ولكني رأيت (أوجير) قد مروا عبر بوابات (الطرق) وخرجوا مرة أخرى. لم تكن لتتحدث هكذا إن كنت قد مررت من خلالها».

خطا (مات) عبر البوابة واستعاد سرعته الطبيعية، وللحظة حدق إلى الظلمة التي تبدو بلا نهاية ثم جاء مسرعًا لينضم إليهم ومصباحه يتأرجح على عصاه وحصانه يتقافز من ورائه ويكاد أن يطرحه أرضًا. مر البقية واحدًا تلو الآخر؛ (بيرين) و(إيجوين) و(ناينيف)، كل واحد منهم يتوقف في صمت وصدمة للحظة قبل أن يُسرع للانضمام إلى البقية. كان كل مصباح يوسع من دائرة الضوء، ولكن ليس بالقدر الذي ينبغي أن تكون عليه. كان الأمر وكأنما الظلام يزداد كثافة كلما زاد الضوء، كأنما يزداد سُمْكًا ليقاوم محاولة تبديده.

لم يرغب (راند) في الاستطراد في هذه الفكرة، إن وجودهم هناك كان سيئًا بما يكفي دون إعطاء الظلمة إرادتها الخاصة، وبدا أن الجميع يشعرون

بهذا القمع، فلم يكن هناك أي تعليقات ساخرة من (مات)، وبدا على (إيجوين) كأنما تتمنى لو كانت قادرة على إعادة التفكير في قرارها بالمجيء. كانوا جميعًا يراقبون في صمت (بوابة الطريق)، تلك النافذة الأخيرة على العالم الذي يعرفونه.

وأخيرًا لم يتبقَّ سوى (مويرين) في القبو الذي يضيئه المصباح الذي أخذته بضوء خافت. كانت (الآيز سيداي) لا تزال تتحرك بهذه الطريقة التي تُشبه الحُلم، ويدها تطفو حتى تصل إلى ورقة (أڤِنديسورا). رأى (راند) أنها موضوعة بشكل أدنى في النحت الحجري على هذا الجانب، تمامًا كما قد وضعتها على الجانب الآخر. انتزعتها من موضعها ثم أعادتها إلى الموضع الأصلي. تساءل فجأة إن كانت الورقة على الجانب الآخر قد عادت إلى موضعها أيضًا.

جاءت (الآيز سيداي) عبر البوابة وهي تقتاد (آلديب)، بينما البوابة الحجرية تنغلق من ورائها ببطء شديد. جاءت لتنضم إليهم وضوء مصباحها يغادر البوابة قبل أن تُغلق. ابتلعت الظلمة مشهد القبو الآخذ في التقلص، وفي ضوء مصابيحهم المحدود أحاطت بهم الظلمة تمامًا.

فجأة بدا وكأن هذه المصابيح هي آخر ما تبقى في العالم من ضوء. أدرك (راند) أن (بيرين) و(إيجوين) ملتصقان به كتفًا بكتف. منحته (إيجوين) نظرة بعينين متسعتين وهي تلتصق به أكثر، بينما لم يتحرك (بيرين) قط ليمنحه أدنى مساحة. كان هناك شيء مريح حيال لمس إنسان آخر بينما الظلام قد ابتلع العالم بأسره للتو. حتى الخيول بدا أنها تشعر بـ(الطرق) وهي تدفعهم إلى عقدة أكثر إحكامًا.

بلا مبالاة ظاهرية قفزت (مويرين) و(لان) إلى سرجي حصانيهما، ثم مالت (الآيز سيداي) إلى الأمام وقد اتكأت بذراعيها على عصاها المنحوتة فوق مقبض السرج العالي، قبل أن تقول: «يجب أن نمضي قدمًا يا (لويال)».

جفل (لويال) ثم أومأ برأسه بقوة وقال: «أجل، أجل، أنتِ محقة أيتها (الآيز سيداي)، يجب ألا نضيع دقيقة واحدة». ثم أشار إلى شريط عريض من اللون الأبيض يجري تحت أقدامهم، فخطا (راند) مبتعدًا عنه على الفور، وكذلك فعل رفاقه من (النهرين). كان قد خُيل لـ(راند) من قبل أن الأرض ملساء، ولكن السطح الأملس تخللته نقاط بارزة، وكأن الحجر قد أُصيب بالجدري. كان الخط الأبيض متكسرًا في أماكن عدة. قال (لويال): «هذا سيقودنا من (بوابة الطريق) إلى الدليل الأول، ومن هناك...». تلفت حوله في قلق ثم أسرع ليمتطي حصانه دون أي من الإحجام الذي أظهره سابقًا. كان الحصان يرتدي أكبر سرج تمكن كبير عمال الإسطبل من العثور عليه، ولكن (لويال) ملأه تمامًا. كانت قدماه متدليتين على كلا الجانبين، وتكادان أن تصلا إلى ركبتي الحصان. تمتم قائلًا: «يجب ألا نضيع دقيقة واحدة». فامتطى الآخرون أحصنتهم على مضض.

سارت (مويرين) و(لان) بحصانيهما على جانبي (الأوجير)، وهم يتتبعون الخط الأبيض عبر الظلمة. احتشد البقية جميعًا من ورائهم، بأقرب ما يمكن، ومصابيحهم تتمايل فوق رؤوسهم. كان من المفترض أن تمنح المصابيح ضوءًا كافيًا لإنارة منزل، ولكنه كان ينقطع على بعد عشرة أقدام منهم، فتوقفه الظلمة وكأنه اصطدم بجدار. كان صرير السروج ونقرات حدوات الخيول على الحجر تبدو وكأنها لا تصل إلى أبعد من حافة الضوء.

كانت يد (راند) تزحف من آن لآخر إلى سيفه، رغم أنه لم يكن يعتقد أن هناك أي شيء يمكن أن يستخدم السيف ضده لحماية نفسه. لم يبدُ أن هناك مكانًا يُمكن أن يوجد فيه أي شيء. بدت فقاعة الضوء المحيطة بهم وكأنها كهف محاط بالحجر تمامًا، بلا أدنى مخرج. لم يكن هناك أي شيء يتغير من حولهم، فبدت الخيول وكأنها تدور في حلقة مفرغة. أمسك بمقبض سيفه كما لو أنه بهذا يُمكنه أن يُبعد الحجر الذي يشعر بثقله عليه، بلمس السيف يُمكنه أن يتذكر تعاليم (تام)، استطاع لبعض الوقت أن يجد هدوء الخواء، ولكن الثقل يعود دومًا ويقلص الخواء حتى

يصير مجرد تجويف داخل عقله، ويكون عليه البدء من جديد بلمس سيف (تام) لكي يتذكر.

أحس بالارتياح عندما تغير شيء ما، رغم أنه لم يكن أكثر من لوح طويل من الحجر، مستقر على طرفه، ويبزغ من الظلمة أمامهم، ويتوقف الخط الأبيض العريض عند قاعدته. كان سطحه العريض مزخرف بمنحنيات متعرجة من المعدن، وخطوط رقيقة ذكَّرت (راند) على نحو مبهم بالأغصان والأوراق. كان هناك بقع عديمة اللون تلطخ الحجر والمعدن على حد سواء.

«الدليل». قالها (لويال) وهو يميل للأمام على سرجه لينظر عاقدًا حاجبيه إلى الزخرفة المعدنية المتشابكة.

قالت (مويرين): «كتابة (أوجيرية)، ولكنها متكسرة للغاية، وبالكاد أستطيع أن أفهم ما تقوله».

قال (لويال): «يمكنني هذا بالكاد أيضًا، ولكني فهمت ما يكفي لكي أعرف أن علينا الذهاب من هذا الطريق». ثم أدار حصانه جانبًا بعيدًا عن الدليل.

في حافة دائرة الضوء ظهرت منحوتات حجرية أخرى، بدت وكأنها جسور ذات جدران حجرية تتقوس مبتعدة عبر الظلمة، ومنحدرات طفيفة بلا أسوار تؤدي لأعلى وأسفل. ولكن ما بين الجسور والمنحدرات كان هناك درابزين بارتفاع الصدر تقريبًا كأنما السقوط من هناك كان خطرًا على أي حال. كان الدرابزين مكونًا من حجر أبيض، في منحنيات ودورانات بسيطة ومتسقة معًا في نمط معقد. شيء في كل هذا بدا مألوفًا إلى حد ما بالنسبة لـ(راند)، ولكنه كان يعرف أنه يبحث عن أي شيء مألوف بينما كل شيء غريب.

توقف (لويال) أمام أحد الجسور ليقرأ سطرًا وحيدًا على العمود الحجري الرفيع هناك، ثم أومأ برأسه وهو يصعد الجسر قائلًا من فوق كتفه: «هذا هو الجسر الأول في مسارنا».

تساءل (راند) ما الذي يدعم الجسر، كانت حوافر الخيول تُصدر صوتًا رمليًّا كأن أجزاءً من الحجر تتساقط مع كل خطوة، كل شيء يمكنه أن يراه كان مغطى بفجوات سطحية وبعض الثقوب الصغيرة. وكانت بعض الفجوات السطحية خشنة الحواف باتساع خطوة، كما لو أنه كان هناك مطر من الحمض أو أن الأحجار تتعفن. كان السور الجانبي يحمل شقوقًا وفجوات أيضًا، وفي بعض الأماكن كان السور قد اختفى تمامًا لمسافة باع. لم يكن يعرف إلى أي مدى يمتد حجر الجسر الصلب، فمن الممكن أنه يمتد حتى مركز الأرض، ولكن ما رآه جعله يأمل أن يظل صامدًا بما يكفي حتى يصل إلى الجانب الآخر، أينما كان.

انتهى الجسر أخيرًا في موضع لم يبدُ مختلفًا عن بدايته، كل ما استطاع (راند) أن يراه هو ما تغطيه دائرة الضوء الصغيرة، ولكن كان لديه إحساس بأن هناك مساحة خاوية كبيرة، كقمة تل مسطحة مع جسور ومنحدرات تتوجه إلى كل مكان من حولها. أسماها (لويال) جزيرة. كان هناك دليل آخر مغطى بالكتابة، وخمَّن (راند) أنه في منتصف الجزيرة دون أن يتمكن من الجزم إن كان محقًّا أم لا. قرأ (لويال) الكتابة ثم أخذهم إلى أحد المنحدرات الصاعدة لأعلى.

بعد صعود. منحنٍ باستمرار. بدا أنه بلا نهاية انتهى المنحدر عند جزيرة كالتي بدأ فيها. حاول (راند) أن يتخيل منحنى المنحدر قبل أن يستسلم، لا يمكن أن تكون هذه الجزيرة فوق الأخرى مباشرة، هذا مستحيل.

تفحص (لويال) لوحًا حجريًّا آخر مغطى بكتابة (أوجيرية)، ثم وجد عمود إشارة آخر يقودهم إلى جسر آخر. لم يعد لدى (راند) أدنى فكرة عن الاتجاه الذي يسافرون عبره.

في ضوئهم المنكمش في الظلام بدت الجسور مُطابقة لبعضها بعضًا، باستثناء أن بعضها به تداعيات في الأسوار الجانبية وبعضها لا. لم يكن هناك اختلاف بين جزيرة وأخرى إلا مقدار الضرر الذي لحق بالأدلة.

فقد (راند) إحساسه بمرور الزمن، ولم يعد حتى واثقًا من عدد الجسور التي عبروها، أو عدد المنحدرات التي قطعوها. ولكن يبدو أن (الحامي) يحمل ساعة في رأسه، فعندما بدأ (راند) يشعر بأول بوادر الجوع أعلن (لان) بهدوء أنهم في منتصف النهار، ثم ترجَّل عن حصانه ليوزع الخبز والجبن واللحوم المجففة من حصان البضائع. بحلول ذلك الوقت كان (بيرين) هو من يقود الحصان. كانوا في واحدة من الجزر، وكان (لويال) منشغلًا بفك رموز تعليمات الاتجاهات على الدليل.

كان (مات) على وشك أن يترجل عن حصانه ولكن (مويرين) قالت: «الوقت في (الطرق) ثمين للغاية على أن نضيعه، وبالنسبة لنا أثمن من ذلك بكثير. سنتوقف عندما يحين وقت النوم». كان (لان) قد عاد إلى صهوة (ماندارب) بالفعل.

تلاشت شهية (راند) مع فكرة النوم في (الطرق). كان الليل دائمًا هناك، ولكنه ليس نوع الليل المناسب للنوم. ولكنه تناول طعامه وهو يتحرك بحصانه كما فعل البقية. لم يكن من السهل فعل هذا؛ الموازنة ما بين الطعام وعصا المصباح ولجام حصانه. ورغم اعتقاده أنه قد فقد شهيته إلا أنه لعق آخر فتات الخبز والجبن من على يديه وهو يتوق للمزيد. بل إنه حتى بدأ يفكر أن (الطرق) ليست بذلك السوء، ليس بقدر السوء الذي وصفه (لويال)، ولا حتى قريبًا منه. ربما راوده ذلك الإحساس الثقيل بالهدوء الذي يسبق العاصفة، ولكن لا شيء تغير. لم يحدث أي شيء، بل كادت (الطرق) أن تكون مملة.

ثم انكسر الصمت عندما شهق (لويال) وهو يجفل. وقف (راند) في ركاب سرجه لينظر إلى ما أمام (الأوجير) ثم ازدرد لعابه بقوة لما رآه. فهناك في منتصف جسر وعلى بعد بضعة أقدام أمام (لويال) انتهى الجسر بفجوة مُسنَّنة.

الفصل الخامس والأربعون

ما يتربص في الظل

امتد ضوء مصابيحهم بما يكفي فقط لكي يروا الجانب الآخر، البارز من الظلام كأسنان عملاق متكسرة. ضرب حصان (لويال) الأرض بحوافره في عصبية، فانخلع حجر من موضعه وسقط في الظلام الدامس أسفلهم. لم يسمع (راند) صوت ارتطامه بالقاع.

اقترب بحذر من الحافة وهو على صهوة (ريد)، دفع مصباحه أبعد ما يستطيع مستخدمًا العصا، ولكنه لم يستطع أن يرى شيئًا. كان الظلام بالأسفل يبتر الضوء كالظلام بالأعلى، إن كان هناك قاع فيمكن أن يكون على عُمق ألف قدم، أو ربما لا يوجد قاع على الإطلاق. ولكن على الجانب الآخر استطاع أن يرى ما يوجد تحت الجسر ويدعمه؛ لا شيء. سمكه أقل من باع، ولا شيء تحته على الإطلاق.

فجأة بدا الحجر تحت قدميه أقل نحافة من الورق، والهوة اللامتناهية من وراء الحافة تحاول أن تجذبه. فجأة بدا المصباح والعصا ثقيلين بما يكفي لانتزاعه من السرج. أحس برأسه يدور فتراجع بالحصان بعيدًا عن الهاوية بحذر مثلما اقترب.

قالت (نانيف): «هل هذا ما جلبتِنا إليه أيتها (الآيز سيداي)؟ كل هذا لنكتشف فقط أن علينا العودة إلى (كايملين) في نهاية المطاف؟».

قالت (مويرين): «لسنا مضطرين للعودة، أو على الأقل لن نعود الطريق كله إلى (كايملين)، كل مكان تؤدي إليه مسارات عديدة عبر (الطرق)، علينا فقط أن نعود بما يكفي لكي يجد (لويال) مسارًا يؤدي بنا إلى (فال دارا). (لويال)؟ (لويال)!».

انتزع (الأوجير) نفسه من التحديق إلى الفجوة بمجهود واضح ثم قال: «ماذا؟ أوه أجل، يمكنني أن أجد مسارًا آخر أيتها (الآيز سيداي)، أنا لم...». ثم عادت عيناه إلى الهوة وارتجفت أذناه قبل أن يُكمل: «أنا لم أتخيل أن الاضمحلال قد وصل إلى هذا المدى، إن كانت الجسور نفسها تتداعى فقد يعني هذا أنني لا أستطيع أن أجد المسار الذي تريدينه، بل قد يعني أنني لن أستطيع أن أجد مسارًا للعودة أيضًا، من الممكن حتى أن تكون الجسور تتهاوى من وراءنا الآن».

قال (بيرين) بصوت خالٍ من المشاعر: «يجب أن يكون هناك طريق». بدا أن عينيه تجمعان الضوء لتتوهجا بلون ذهبي. جفل (راند) وهو يفكر أنه يبدو كذئب متحفز.

قالت (مويرين): «فليكن الأمر كما تنسجه (عجلة الزمن)، ولكني لا أصدق أن الاضمحلال يحدث بالسرعة التي تخشاها، انظر إلى الحجر يا (لويال)، حتى أنا يمكنني الجزم أن هذا الانهيار قد حدث منذ زمن بعيد».

قال (لويال) ببطء: «أجل، أجل أيتها (الآيز سيداي)، يمكنني رؤية هذا، لا يوجد مطر أو رياح هنا، ولكن هذا الحجر قد تعرض للهواء لعشر سنوات على الأقل». ثم أومأ برأسه وهو يبتسم بارتياح وقد أحس بالسعادة مع اكتشاف أنه قد نسي خوفه مؤقتًا على ما يبدو. ثم تلفت حوله وهز كتفيه في قلق قبل أن يقول: «يمكنني أن أجد مسارات أخرى أسهل من (مافال دادارانيل)، (تار ڤالون) على سبيل المثال؟ أو (ملاذ

شانجتاي)، هناك ثلاثة جسور فقط تفصل (ملاذ شانجتاي) عن الجزيرة الأخيرة. أفترض أن الكبراء يرغبون في الحديث معي بعد مضي كل هذا الوقت».

قالت (مويرين) بحزم: «(فال دارا) يا (لويال)، (عين العالم) تقع وراء (فال دارا)، ويجب علينا أن نصل إلى (العين)».

وافقها (الأوجير) على مضض: «(فال دارا) إذن».

بعد العودة إلى الجزيرة انكب (لويال) على اللوح المغطى بالكتابة باهتمام وقد تدلى حاجباه وهو يتمتم تقريبًا لنفسه. سرعان ما صار يتحدث مع نفسه تمامًا، فقد راح يتحدث باللغة (الأوجيرية). بدت هذه اللغة المترنمة وكأنها عصافير تغني بصوت عميق، بدا غريبًا بالنسبة لـ(راند) أن يكون لقوم بهذه الضخامة مثل هذه اللغة الموسيقية.

وأخيرًا أومأ (الأوجير) برأسه، بينما هو يقتادهم إلى الجسر الذي اختاره، قبل أن يلتفت ليحدق بيأس إلى عمود الإشارة بجانب جسر آخر ويقول: «ثلاثة معابر قبل أن نصل إلى (ملاذ شانجتاي)». ثم تنهد ولكنه لم يلتفت إلى الجسر الثالث من ورائهم. عندما بدأوا العبور نظر وراءه بندم، كأنما الجسر المؤدي إلى دياره مخفي هناك في الظلام.

اقترب (راند) بحصانه من (الأوجير) وقال: «عندما ينتهي هذا الأمر يا (لويال)، أريد منك أن تُريني (ملاذك)، وسأُريك (إيموندز فيلد)، ولكننا لن نمر عبر (الطرق)، سنمشي أو نمتطي الخيول، حتى لو استغرق الأمر الصيف كله».

«أنت تعتقد حقًّا أن هذا الأمر سينتهي يا (راند)؟».

نظر إلى (الأوجير) عاقدًا حاجبيه وهو يقول: «قلت إننا سنحتاج يومين للوصول إلى (فال دارا)».

قال (لويال): «لا أتحدث عن (الطرق) يا (راند)، بل عن الأمر برمته». ثم نظر وراءه ناحية (الآيز سيداي) التي تتحدث بصوت خافت إلى (لان) بينما يسيران جنبًا إلى جنب. «ما الذي يجعلك تعتقد أن الأمر سينتهي؟».

كانت الجسور والمنحدرات تؤدي لأعلى ولأسفل ومن جانب لآخر، أحيانًا يمتد خط أبيض عبر الظلمة من الدليل، تمامًا مثل الخط الذي تبعوه من (بوابة الطريق) في (كايملين). لاحظ (راند) أنه لم يكن الوحيد الذي ينظر إلى هذه الخطوط بفضول، وبقليل من الاشتياق. (ناينيف) و(بيرين) و(مات) وحتى (إيجوين)، كانوا يبتعدون عن الخطوط على مضض. كان هناك (بوابة طريق) في الطرف الآخر من كل خط، بوابة تعيدهم إلى العالم، حيث هناك سماء وشمس ورياح. حتى الرياح ستكون موضع ترحاب، ولكنهم ابتعدوا عنها مع نظرات (الآيز سيداي) الحادة. إلا أن (راند) لم يكن الوحيد الذي نظر وراءه حتى بعد أن ابتلعت الظلمة الجزيرة والدليل والخط.

كان (راند) يتثاءب بحلول الوقت الذي أعلنت فيه (مويرين) أنهم سيتوقفون لقضاء الليل في إحدى الجزر. تلفت (مات) لينظر إلى الظلمة الدامسة المحيطة بهم، ثم ضحك ساخرًا، ولكنه ترجل عن حصانه بسرعة كالبقية. أنزل (لان) والفتيان السروج قبل أن يربطوا الخيول، بينما (ناينيف) و(إيجوين) تعدان موقدًا زيتيًّا صغيرًا من أجل الشاي، كان يبدو كقاعدة مصباح، وقال (لان) إن هذا ما يستخدمه (الحماة) في (البلاء العظيم)، حيث يُمكن أن يكون حرق الخشب أمرًا خطيرًا. أخرج (الحامي) حاملات ثلاثية الأرجل من السلال التي أنزلوها عن حصان البضائع، لكي يتمكنوا من وضع عصيّ المصابيح في دائرة حول موقع التخييم.

تفحص (لويال) الدليل للحظة ثم هوى جالسًا وقد شبك ساقيه وهو يفرك بيده على الحجر المغبر المليء بالثقوب، ثم قال بحزن: «ذات يوم كان هناك أشياء تنمو على الجذر، تحكي كل الكتب عن هذا، كان

هناك أعشاب خضراء للنوم عليها، ناعمة كأي فراش مصنوع من الريش، وأشجار فاكهة لكي تتبل الطعام الذي جلبته معك بالتفاح أو الكمثرى أو الخوخ، الحلوة والناضجة المليئة بالعصارة، أيًّا ما كان الوقت في العالم بالخارج».

قال (بيرين) متذمرًا: «لا شيء لصيده». وبدا مندهشًا لسماع ما قاله.

أعطت (إيجوين) (لويال) كوبًا من الشاي، فأمسك به دون أن يشرب منه وهو يحدق إليه كأنه يستطيع أن يرى أشجار الفاكهة في أعماقه.

قالت (ناينيف) مخاطبة (مويرين): «ألن تضعي تعاويذ الحماية؟ لا شك أن هناك أشياء أسوأ من الفئران هنا، حتى لو لم أرَ أي شيء فما زلتُ قادرة على الشعور به».

فركت (الآيز سيداي) أصابعها في راحتيها وقالت بامتعاض: «أنتِ تشعرين بالدنس؛ فساد (القوة الواحدة) التي صنعت (الطرق). أنا لن أستخدم (القوة الواحدة) في (الطرق) ما لم أضطر لهذا، الدنس قوي للغاية حتى أن أيًّا ما سأحاول فعله سيفسد بالتأكيد».

جعل هذا الجميع يلوذون بالصمت مثل (لويال). جلس (لان) يتناول وجبته بشكل عملي كأنما يؤجج نارًا، فلا أهمية للطعام سوى مد جسده بالقوة. تناولت (مويرين) طعامها جيدًا أيضًا، وبشكل أنيق كأنهم لا يجلسون القرفصاء على حجر عارٍ في قلب اللامكان حرفيًّا، ولكن (راند) لم يتناول من طعامه سوى القليل. كانت الشعلة الصغيرة المنبعثة من الموقد الزيتي لا تمنح من الحرارة إلا ما يكفي لغلي الماء، ولكنه ربض بالقرب منها كأنما يستطيع أن يمتص الدفء. كان كتفاه ملتصقين بكتفي (مات) و(بيرين)، صنعوا جميعًا دائرة صغيرة حول الموقد. أمسك (مات) بالخبز واللحم والجبن وقد نسيهم في يديه، بينما وضع (بيرين) طبقه المصنوع من الصفيح جانبًا بعد بضعة قضمات فقط. ازداد الجو العام كآبة بمرور الوقت وقد أطرق الجميع ببصرهم متجاهلين الظلام المحيط بهم.

تفحصتهم (مويرين) وهي تتناول طعامها، وأخيرًا وضعت طبقها جانبًا، قبل أن تمسح شفتيها بمنديل وتقول: «يمكنني أن أخبركم بشيء واحد مبهج؛ أنا لا أعتقد أن (توم ميريلين) قد مات».

نظر (راند) إليها بحدة وقال: «ولكن... (العاتم)...».

قالت (الآيز سيداي): «أخبرني (مات) بما حدث في (الجسر الأبيض)، الناس هناك يذكرون صانع بهجة ولكنهم لا يذكرون شيئًا عن موته، أعتقد أنهم كانوا لا يذكرون هذا لو قُتِل صانع بهجة. إن (الجسر الأبيض) ليس كبيرًا بما يكفي لأن يكون صانع بهجة شيئًا صغيرًا، و(توم) جزء من (النمط) الذي ينسج نفسه من حول ثلاثتكم، وأعتقد أنه جزء مهم للغاية على أن يُبتر الآن».

قال (راند) لنفسه؛ *مهم للغاية؟ كيف يُمكن لـ(مويرين) أن تعرف...؟* ثم قال متسائلًا: «(مين)؟ هل رأت شيئًا بخصوص (توم)؟».

قالت (مويرين) بسخرية: «لقد رأت قدرًا عظيمًا بشأنه، بشأنكم جميعًا. أتمنى لو أن بإمكاني أن أفهم نصف ما رأته، ولكن حتى هي لا تفهمه. الحواجز القديمة تنهار، ولكن سواء ما كانت تراه (مين) قديمًا أو حديثًا فإنها ترى الحقيقة، إن مصائركم متشابكة، ومصير (توم ميريلين) أيضًا».

زفرت (نانيف) في استنكار، ثم صبَّت لنفسها كوبًا آخر من الشاي.

قال (مات) مبتسمًا: «أنا لا أفهم كيف رأت أي شيء عنَّا، وحسبما أذكر فقد قضت معظم الوقتِ وهي تنظر إلى (راند)».

رفعت (إيجوين) حاجبًا وهي تقول: «حقًّا؟ أنتِ لم تخبريني بهذا يا (مويرين سيداي)».

اختلس (راند) النظر إليها ولكنها لم تكن تنظر إليه، وكانت نبرة صوتها محايدة بشكل حريص. قال: «لقد تحدثتُ إليها مرة واحدة، وكانت ترتدي ملابس كملابس الفتيان، كما أن شعرها قصير مثل شعري».

أومأت (إيجوين) برأسها ببطء وهي تقول: «لقد تحدثتَ إليها، مرة واحدة». رفعت كوبها إلى شفتيها وهي لا تزال لم تنظر إليه.

قال (بيرين): «كانت (مين) مجرد شخص يعمل في الحانة في (بايرلون)، وليست مثل (آرام)».

اختنقت (إيجوين) وهي تشرب الشاي ثم تمتمت: «ساخن للغاية».

سأل (راند): «من (آرام)؟». ابتسم (بيرين) كابتسامة (مات) في الأيام الخوالي عندما يكون على وشك أن يفعل شيئًا مؤذيًا واختبأ وراء كوبه.

قالت (إيجوين) ببساطة: «واحد من (الجوالين)». ولكن وجنتيها تخضبتا باللون الأحمر.

قال (بيرين) بنبرة خالية من المشاعر: «واحد من (الجوالين)، يرقص كالطيور، ألم يكن هذا ما قُلتِه يا (إيجوين)؟ إن الأمر كان أشبه بالتحليق مع طائر؟».

وضعت (إيجوين) كوبها جانبًا بشكل متعمد وهي تقول: «لا أعرف إن كان هناك من هو مُتعَب غيري ولكنني سأنام».

وبينما تتدثر ببطانياتها مد (بيرين) يده ليكز (راند) في ضلوعه وهو يغمز بعينه. وجد (راند) نفسه يبادله الابتسام. *بحق (النور)، ليتني كنت الأفضل على سبيل التغيير، أتمنى لو كنت أعرف الكثير عن النساء مثل (بيرين).*

قال (مات) بمكر: «ربما يجب أن تُخبر (إيجوين) بشأن (إيلس) ابنة المزارع (جرينويل) يا (راند)». رفعت (إيجوين) رأسها لتحدق إلى (مات) أولًا ثم إلى (راند).

نهض على الفور ليجلب بطانيته وهو يقول: «يبدو النوم مناسبًا لي الآن».

حينها بدأ الفتيان يتدثرون ببطانياتهم، و(لويال) كذلك. جلست (مويرين) وهي ترتشف الشاي، و(لان) كذلك. لم يبدُ (الحامي) عازمًا على النوم، أو أنه بحاجة إليه.

حتى وهم يستعدون للنوم لم يرغب أي منهم في الابتعاد عن الآخرين، صنعوا دائرة صغيرة من البطانيات حول الموقد، وهم يكادون أن يلمسوا أحدهم الآخر.

همس (مات): «هل كان هناك أي شيء حقًّا بينك وبين (مين) يا (راند)؟ أنا بالكاد تمكنت من النظر إليها. كانت جميلة بالفعل ولكنها تكاد أن تكون في عمر (نايـنيف)».

أضاف (بيرين) من على الجانب الآخر: «وماذا بشأن (إيلس)؟ هل هي جميلة؟».

تمتم (راند) قائلًا: «بحق الدماء والرماد، ألا يمكنني حتى أن أتحدث إلى فتاة؟ أنتما الاثنان سيئا الظن مثل (إيجوين)».

قال (مات) موبخًا بسخرية: «كما تقول الحكيمة؛ احفظ لسانك. حسنًا، إن كنت لن تتحدث عن الأمر فسأخلد إلى النوم».

قال (راند) بحنق: «جيد، هذا أول شيء حسن تقوله».

ومع ذلك لم يأتِ النوم بسهولة، كانت الأحجار صلبة مهما تقلب (راند)، وكان باستطاعته أن يشعر بالحفر من خلال بطانياته، لم يكن هناك طريقة لأن يتخيل أنه في أي مكان سوى (الطرق)، التي صنعها الرجال الذين حطموا العالم، والذين دنسهم (سيد الظلام). راح يتخيل الجسر المتكسر الذي لا يوجد شيء من تحته.

عندما التفت جانبه وجد (مات) ينظر إليه، أو بالأحرى ينظر من خلاله، لقد نسي السخرية عندما تذكر الظلام من حوله. تقلَّب على الجانب الآخر، فوجد عيني (بيرين) مفتوحتين أيضًا. كان وجه (بيرين)

أقل خوفًا من وجه (مات)، ولكنه كان يضم يديه إلى صدره وهو ينقر بإبهاميه معًا في قلق.

قطعت (مويرين) دائرة من حولهم، جاثية على ركبتيها عند رأس كل شخص، لتميل وتهمس بصوت خافت. لم يتمكن (راند) من سماع ما قالته لـ(بيرين)، ولكن هذا جعل إبهاميه يتوقفان عن النقر. عندما مالت فوق (راند) كاد وجهها يلمس وجهه وهي تقول بصوت خافت مريح: «إن قدرك يحميك حتى هنا، لا أحد. ولا حتى (سيد الظلام). يمكنه أن يغير (النمط) تمامًا، أنت في مأمن منه طالما أنا قريبة منك، إن أحلامك آمنة، في الوقت الحالي على الأقل».

بينما هي تتجاوزه لتقترب من (مات) تساءل إن كانت تعتقد أن الأمر بهذه البساطة؛ أن تخبره بأنه آمن فيصدق هذا، ولكنه بطريقة ما أحس بالأمان، أو على الأقل أحس أنه أكثر أمانًا. وبينما يفكر في هذا غرق في النوم ولم تراوده أي أحلام.

أيقظهم (لان)، فتساءل (راند) إن كان (الحامي) قد خلد للنوم، ولكنه لم يبدُ مُتعبًا، لم يبدُ حتى متعبًا بقدر هؤلاء الذين نالوا بضع ساعات من النوم على الأحجار الصلبة. سمحت لهم (مويرين) بوقت كافٍ لإعداد الشاي، ولكن كوبًا واحد لكل شخص. تناولوا الإفطار على سروجهم، مع وجود (لويال) و(الحامي) في المقدمة. كانت نفس الوجبة المعتادة؛ الخبز واللحم والجبن. فكَّر (راند) أنه سيكون من السهل أن يشعر المرء بالملل من الخبز واللحم والجبن.

بعد وقت قصير من لعق آخر فتات الخبز من على أصابعه قال (لان) بهدوء: «شخص ما يتعقبنا، أو شيء ما».

كانوا قد قطعوا منتصف الطريق عبر الجسر، فلا يمكنهم رؤية بدايته ولا نهايته.

انتزع (مات) سهمًا من جعبته وقبل أن يتمكن أحد من إيقافه أطلق السهم نحو الظلام من ورائهم.

تمتم (لويال) قائلًا: «كنت أعرف أنه لم يكن عليَّ فعل هذا، لا يجب التعامل مع (الآيز سيداي) إلا في (الملاذ)».

دفع (لان) القوس لأسفل قبل أن يتمكن (مات) من وضع سهم آخر وقال: «توقف عن هذا أيها القروي الأحمق، لا توجد طريقة لمعرفة طبيعة هذا الشيء».

أكمل (الأوجير) حديثه قائلًا: «هذا هو المكان الوحيد الذي لا يكون فيه خطر منهن».

قال (مات) محتجًّا: «أي شيء يُمكن أن يكون في مكان كهذا إلا شيئًا شريرًا؟».

«هذا ما يقوله الكبراء، وكان يجب أن أُنصت إليهم».

قال (الحامي) بسخرية: «نحن على سبيل المثال».

قالت (إيجوين) في أمل: «قد يكون مسافرًا آخر، ربما (أوجير)».

قال (لويال) متذمرًا: «(الأوجير) أكثر عقلانية من أن يستخدموا (الطرق)، جميعهم باستثناء (لويال)، الذي ليس لديه أدنى عقل على الإطلاق، لطالما قال الكبير (هامان) هذا، وكان مُحقًّا».

تساءلت (مويرين): «ما الذي تشعر به يا (لان)؟ هل هو شيء يخدم (سيد الظلام)؟».

هز (الحامي) رأسه ببطء وقال: «لا أعرف». بدا أن هذا فاجأه شخصيًّا. «لا يمكنني أن أعرف. ربما هي (الطرق)، والدنس. أشعر أن كل شيء خاطئ. ولكن أيًّا من كان أو ما كان فإنه لا يحاول الإمساك بنا. لقد كاد أن يلحق بنا في الجزيرة الأخيرة فهرع عائدًا عبر الجسر حتى لا يفعل هذا. إن تخلفتُ عن الركب فربما أفاجئه وأعرف من هو أو ما هو».

قال (لويال) بحزم: «إن تخلفت عن الركب أيها (الحامي) فإنك ستقضي بقية حياتك في (الطرق)، حتى لو كنت قادرًا على قراءة لغة (الأوجير)، فأنا لم أسمع أو أقرأ عن بشري استطاع أن يجد طريقه عبر الجزيرة الأولى دون أن يكون معه دليل من (الأوجير). هل يمكنك قراءة لغة (الأوجير)؟».

هز (الحامي) رأسه مرة أخرى، فقالت (مويرين): «إذن فطالما أنه لا يزعجنا فلن نزعجه بدورنا. ليس لدينا أي وقت لنضيعه على الإطلاق».

وبينما هم يقطعون الجسر إلى الجزيرة التالية قال (لويال): «إن كنت أتذكر الدليل الأخير بشكل صحيح فهناك مسار من هنا يؤدي إلى (تار ڤالون)، مسيرة نصف يوم على الأكثر. ليس وقتًا طويلًا كالذي سنحتاجه للوصول إلى (مافال دادارانيل). أنا واثق من أن...».

بتر جملته عندما سقط ضوء مصابيحهم على الدليل، بالقرب من قمة اللوح الحجري كان هناك خطوط منحوتة بعمق ذات زوايا حادة تشوه الحجر. فجأة لم يعد حذر (لان) خفيًّا، كان جالسًا ببساطة في سرجه ولكن راود (راند) إحساس مفاجئ بأن (الحامي) يستطيع أن يشعر بكل شيء من حوله، باستطاعته حتى أن يشعر بتنفسهم. بدأ (لان) يدور بحصانه حول الدليل وهو يوسِّع من دائرته، كان يمتطي حصانه كأنه متأهب لصد هجوم أو أن يهجم بنفسه.

قالت (مويرين) بصوت خافت: «هذا يفسر الكثير، وهو ما يجعلني أشعر بالخوف، الكثير من الخوف. كان يجب أن أخمن هذا، الدنس، الاضمحلال، كان يجب أن أخمن».

سألتها (ناينيڤ): «تخمنين ماذا؟». وفي الوقت ذاته سألها (لويال): «ما الأمر؟ من فعل هذا؟ أنا لم أرَ شيئًا كهذا أو أسمع به من قبل».

واجهتهم (الآيز سيداي) بهدوء وهي تقول: «(ترولوكيون)». تجاهلت شهقاتهم المذعورة وهي تقول: «أو (العواتم). هذه طلاسم (ترولوكية)، لقد اكتشف (الترولوكيون) كيف يدخلون (الطرق)، لا شك أنهم هكذا وصلوا

إلى (النهرين) دون أن يشعر بهم أحد، عبر (بوابة الطريق) في (مانثيرن). هناك (بوابة طريق) واحدة على الأقل في (البلاء العظيم)». ألقت نظرة ناحية (لان) قبل أن تُكمل حديثها، كان (الحامي) بعيدًا بما يكفي حتى أن ضوء مصباحه كان مرئيًّا بالكاد: «لقد تدمرت (مانثيرن)، ولكن لا يكاد أن يكون هناك شيء يُمكنه تدمير (بوابات الطريق). هكذا تمكن (العواتم) من حشد جيش صغير حول (كايملين) دون أن تنتبه إليهم أي أمة في الطريق ما بين (البلاء العظيم) و(أندور)». صمتت قليلًا وهي تلمس شفتيها قبل أن تقول: «ولكن لا يمكن أن يعرفوا جميع المسارات بعد، وإلا كانوا ليتدفقوا إلى (كايملين) عبر البوابة التي استخدمناها، أجل».

ارتجف (راند)، وهو يفكر أنهم قد يعبرون (بوابة الطريق) ليجدوا (الترولوكيين) كامنين في الظلام، المئات منهم أو ربما الآلاف، عمالقة مشوهين بوجوهٍ نصف حيوانية، يزمجرون بينما هم ينقضون للأمام في الظلمة، ليقتلوهم، أو ما هو أسوأ.

صاح (لان): «إنهم لا يستخدمون (الطرق) بسهولة».

لم يكن مصباحه على مسافة أكثر من عشرين باعًا ولكن ضوءه كان مجرد كرة ضبابية خافتة بدت بعيدة للغاية بالنسبة لهؤلاء المتحلقين حول الدليل. اقتادتهم (مويرين) نحوه وتمنى (راند) لو أن معدته كانت خاوية عندما رأى ما عثر عليه (الحامي).

عند نهاية أحد الجسور ظهرت الهيئات المتجمدة (للترولوكيين)، قد عَلِقوا وهم يلوحون بفؤوسهم الخطافية وسيوفهم التي تُشبه المناجل. كانت الجثث الضخمة رمادية، ومليئة بالثقوب كالأحجار، وقد غاصت حتى نصفها في السطح المنبعج المليء بالفقاعات. كانت بعض الفقاعات قد انفجرت لتكشف عن مزيد من الوجوه ذات الخطوم، مزمجرة للأبد في خوف. سمع (راند) شخصًا يتقيَّأ من ورائه فازدرد لعابه بقوة ليمنع نفسه

من الانضمام إليه أيًّا من كان. كانت هذه طريقة شنيعة للموت حتى بالنسبة (للترولوكيين).

على بعد بضعة أقدام من وراء (الترولوكيين) انتهى الجسر، وقد تهاوى عمود الإشارة متحطمًا إلى آلاف الشظايا.

ترجل (لويال) عن حصانه في حذر وهو ينظر إلى (الترولوكيين) كأنما يعتقد أنهم قد يعودون إلى الحياة. تفحص بقايا عمود الإشارة في عجالة وهو يلتقط الكتابة المعدنية التي كانت تطعم الحجر، ثم أسرع عائدًا إلى سرجه. قال: «كان هذا هو أول جسر في المسار المؤدي من هنا إلى (تار ڤالون)».

كان (مات) يفرك ظهر يده على فمه وهو يشيح بنظره عن (الترولوكيين). أخفت (إيجوين) وجهها بين يديها، فتحرك (راند) بحصانه مقتربًا من (بيلا) ولمس كتفيها. التفتت بجسدها وتشبثت به وهي ترتجف. أراد أن يرتجف بدوره، ولكن تشبثها به كان الشيء الوحيد الذي يمنعه من هذا.

قالت (مويرين): «كما أننا لسنا ذاهبين إلى (تار ڤالون) بعد».

التفتت (ناينيڤ) إلى (الآيز سيداي) وقالت بحدة: «كيف يُمكنك أن تتقبلي الأمر بمثل هذا الهدوء؟ يمكن للشيء ذاته أن يحدث لنا».

قالت (مويرين) بهدوء: «ربما». فجزَّت (ناينيڤ) على أسنانها بقوة حتى أن (راند) سمع صريرها، ولكن (مويرين) أكملت بنفس الهدوء: «ولكن من المرجح أكثر أن الرجال - (الآيز سيداي) - الذين بنوا (الطرق) قد حموها بوضع فخاخ من أجل مخلوقات (سيد الظلام). كان هذا شيء يجب عليهم أن يخشوه حينها، قبل الدفع بـ(أنصاف البشر) و(الترولوكيين) إلى (البلاء العظيم). على أي حال لا يمكننا أن نتباطأ هنا، وأيًّا ما كان الطريق الذي نختاره للعودة أو التقدم للأمام فمن المرجح أن يكون به فخ كأي طريق آخر. هل تعرف الجسر التالي يا (لويال)؟».

«أجل، أجل، إنهم لم يفسدوا ذلك الجزء من الدليل حمدًا (للنور)». ولأول مرة بدا (لويال) حريصًا على المضي قُدُمًا مثل (مويرين). كان قد حثَّ حصانه الكبير على الحركة قبل حتى أن ينتهي من حديثه.

تشبثت (إيجوين) بذراع (راند) لجسرين آخرين. أحس بالأسف عندما تخلت عنه أخيرًا مع غمغمة اعتذار وضحكة مفتعلة، ولم يكن هذا فقط لأنه انتابه شعور جميل وهي متشبثة به بهذه الطريقة، اكتشف أنه من الأسهل أن تكون شجاعًا عندما يحتاج شخص آخر لأن تحميه.

ربما لم تكن (مويرين) تعتقد أن هناك فخًّا منصوبًا لهم، ولكن رغم حديثها عن الإسراع إلا أنها جعلتهم يتحركون ببطء أكثر من ذي قبل، متوقفة قبل أن تسمح لهم بصعود أي جسر أو النزول منه إلى أي جزيرة. كانت تخطو بـ(آلديب) خطوة للأمام وهي تتحسس الهواء أمامها بيد ممدودة، ولم تسمح لأحد - حتى (لويال) أو (لان) - بأن يتقدم حتى تمنحه الإذن.

كان على (راند) أن يثق في حكمها بشأن الفخاخ، ولكنه كان يحدق إلى الظلمة من حولهم كأنه باستطاعته حقًّا أن يرى أي شيء أكثر من مسافة عشرة أقدام، وكانت أذناه منتصبتين وهو يُصغي السمع. إن كان باستطاعة (الترولوكيين) أن يستخدموا (الطرق)، إذن أيًّا كان ما يتبعهم فمن الممكن أن يكون مخلوقًا آخر من مخلوقات (سيد الظلام)، أو أكثر من واحد. قال (لان) إنه لا يستطيع الجزم بهذا في (الطرق)، ولكن بينما يعبرون الجسر تلو الآخر ويتناولون وجبة منتصف النهار، ويعبرون المزيد من الجسور، كان كل ما يمكنه سماعه هو صرير سروجهم وحوافر خيولهم. وأحيانًا ما يسعل أحدهم أو يغمغم بشيء ما لنفسه. لاحقًا صار هناك رياح بعيدة أيضًا، في مكان ما عبر الظلمة، لم يستطع أن يميز أي اتجاه تهب منه. في البداية اعتقد أن هذا من وحي خياله، ولكن مع مرور الوقت صار واثقًا من الأمر.

من الجيد الإحساس بالرياح مرة أخرى، حتى لو كانت رياح باردة.

فجأة رمش بعينيه وقال: «ألم تقل إنه ليس هناك أي رياح في (الطرق) يا (لويال)؟».

جذب (لويال) لجام حصانه ليوقفه على مسافة قصيرة من الجزيرة التالية ثم رفع رأسه لأعلى وهو يُصغي السمع. شحب وجهه ببطء ولعق شفتيه قبل أن يهمس بصوت أجش: «(ماكين شين)؛ (الرياح السوداء). فليشرق علينا (النور) ويحمينا، إنها (الرياح السوداء)».

سألته (مويرين) بحدة: «كم عدد الجسور المتبقية يا (لويال)؟ كم عدد الجسور المتبقية؟».

«اثنان، أعتقد أنهما اثنان».

قالت وهي تهرول بـ(آلديب) نحو الجزيرة: «أسرع، فلتجده على الفور».

قال (لويال) مخاطبًا نفسه، أو أي شخص يُصغي إليه، بينما يقرأ الدليل: «لقد خرجوا في جنون وهم يصرخون بشأن (ماكين شين)، فليساعدنا (النور)! حتى أولئك (الآيز سيداي) الذين يمكنهم الشفاء فإنهم...». تفحص الحجر في عجالة ثم أسرع ناحية الجسر الذي اختاره وهو يصيح: «من هذا الطريق!».

هذه المرة لم تنتظر (مويرين) لتتحقق، بل حثتهم على الإسراع بخيولهم والجسر يرتجف من تحت حوافرها والمصابيح تتأرجح بقوة من فوق رؤوسهم. مرر (لويال) عينيه على الدليل التالي ثم جعل حصانه يدور حول نفسه كمتسابق قبل حتى أن يتوقف. صار صوت الرياح أعلى، وكان باستطاعة (راند) أن يسمعه حتى من بين طرقات الحوافر على الحجر، ومن ورائهم كانت هبَّات الرياح تقترب أكثر.

لم يُبالوا بالدليل الأخير، فما إن يقع ضوء المصابيح على الخط الأبيض الممتد منه حتى يندفعوا في هذا الاتجاه دون أن يخفضوا من سرعة خيولهم.

اختفت الجزيرة من ورائهم، ولم يكن هناك سوى الحجر الرمادي المليء بالثقوب تحت أقدامهم والخط الأبيض. كان (راند) يلهث بقوة حتى أنه لم يعد واثقًا إن كان لا يزال بإمكانه أن يسمع الرياح.

بزغت البوابة من الظلمة، منقوشة بالأغصان وتقف وحيدة في الظلام الدامس، كجزء صغير من جدار الليل. مالت (مويرين) للأمام في سرجها وهي تمد يدها ناحية النقوش، وفجأة جذبت يدها إلى الوراء وهي تقول: «ورقة (أڤِنديسورا) ليست هنا! لقد اختفى المفتاح».

صاح (مات): «بحق (النور)!». بينما ألقى (لويال) برأسه إلى الوراء وصرخ في أسى كعواء احتضار.

لمست (إيجوين) ذراع (راند) وارتجفت شفتاها ولكنها لم تفعل شيئًا سوى النظر إليه. وضع يده على يدها وهو يأمل أنه لا يبدو مذعورًا أكثر منها. لقد أحس بالأمر، هنالك عند الدليل من ورائهم تعوي الرياح، خُيِّل إليه أن بمقدوره أن يسمع أصواتًا فيها، أصواتًا تصرخ بأشياء شنيعة، ورغم أنه لم يفهمها تمامًا إلا أنها جعلت حلقه يختنق.

رفعت (مويرين) عصاها فاندلعت النيران في طرفها، لم تكن شعلة بيضاء نقية كتلك التي يتذكرها (راند) من (إيموندز فيلد) ومن المعركة التي سبقت (شادار لوجوث). كان هناك لون أصفر مُقبض مختلط بالنيران، ورقاقات سوداء تعلو ببطء كالسخام. تصاعد دخان حمضي طفيف من اللهب، مما جعل (لويال) يسعل وجعل الخيول تتقافز في توتر، ولكن (مويرين) دفعت بها إلى البوابة. اختنق حلق (راند) بالدخان وأحس به يحرق أنفه.

ذاب الحجر كالزبد وتلوت الأوراق والأغصان في اللهب قبل أن تختفي. حركت (الآيز سيداي) النار بأسرع ما تستطيع، ولكن قَطْعَ فتحة كبيرة بما يكفي لمرور الجميع لم يكن مهمة سريعة. بالنسبة لـ(راند) بدا أن خط الحجر الذائب يزحف على طول القوس ببطء السلحفاة. خفقت عباءته كأنما بفعل النسيم فتجمد قلبه.

قال (مات) بصوت مرتجف: «يمكنني أن أشعر بها، بحق (النور) يمكنني أن أشعر بها».

خبت النيران فخفضت (مويرين) عصاها وهي تقول: «لقد كدت أن أنتهي».

كان هناك خط رفيع يمر عبر نقوش الحجر، خُيِّل لـ(راند) أن بإمكانه أن يرى ضوءًا عبر الشق، خافتًا ولكنه لا يزال ضوءًا. ولكن رغم القطع المقوس إلا أن المصراعين الصخريين الضخمين لا يزالان واقفين هناك، نصف قوس في كل واحد منهما. ستكون الفتحة كبيرة بما يكفي لمرور الجميع، ولكن (لويال) سيكون عليه أن يستلقي تمامًا على ظهر حصانه. ما إن يختفي القطع الحجري في كل مصراع حتى تكون الفتحة كبيرة بما يكفي. تساءل عن وزن كل قطعة حجرية منهما؛ ألف رطل؟ أكثر؟ *ربما إن ترجلنا جميعًا وبدأنا في الدفع، ربما يمكننا أن ندفع قطعة حجرية منهما قبل أن تصل الرياح إلى هنا*. شعر بهبة رياح تجذب عباءته، فحاول ألا يُصغي السمع إلى ما تصرخ به الأصوات.

عندما تراجعت (مويرين) إلى الوراء قفز (ماندارب) إلى الأمام، مباشرة نحو البوابة، و(لان) جاثمًا في سرجه. في اللحظة الأخيرة أمال الحصان الحربي رأسه ليضرب الحجر بكتفه، تمامًا كما تعلم أن يضرب الخيول الأخرى في المعركة. تهاوى الحجر إلى الوراء ليرتطم بالأرض بدوي مرتفع، فأكمل الحصان وفارسه اندفاعهما عبر بريق (بوابة الطريق) الدخاني. كان الضوء المنبعث عبر البوابة هو ضوء منتصف الصباح، شاحبًا ورقيقًا، ولكن بدا لـ(راند) وكأن شمس ظهيرة صيف قد توهجت في وجهه.

على الجانب الآخر من البوابة أبطأ (لان) و(ماندارب) من حركتهما، قبل أن يجذب (الحامي) اللجام ليستدير بحصانه ناحية البوابة. لم ينتظر (راند)، بل دفع برأس (بيلا) ناحية الفتحة، ثم صفع الفرس الشعثاء بقوة

على ردفها. لم تجد (إيجوين) إلا ما يكفي من الوقت لإلقاء نظرة مرتعبة نحوه قبل أن تندفع بها (بيلا) خارج (الطرق).

وجَّهتهم (مويرين) قائلة: «اخرجوا جميعًا! أسرعوا! هيا!».

وبينما (الآيز سيداي) تتحدث كانت تمد عصاها مشيرة وراءهم نحو الدليل. قفز شيء من طرف العصا، كضوء سائل تحول إلى تدفق من نار، رمح ملتهب من الأبيض والأحمر والأصفر، يخترق الظلمة فيتفجر ويتألق كشظايا من ألماس. عوَت الرياح في ألم، وصرخت في غضب. آلاف الغمغمات التي تختبئ في الرياح زأرت كالرعد؛ زئير من جنون، أصوات نصف مسموعة، تقهقه وتعوي بوعود جعلت معدة (راند) تتلوى بسبب النشوة التي تحملها الوعود، بقدر ما فهمه مما تقوله الأصوات.

وكز (ريد) بكاحليه لكي يندفع إلى الأمام لكي يتزاحما عند الفتحة دافعًا بنفسه وراء البقية الذين يحاولون المرور عبر اللمعان الدخاني، جميعهم في نفس الوقت. اجتاحته القشعريرة الباردة مرة أخرى، وهذا الإحساس الغريب بأنه يغوص ببطء بوجهه في بركة شتوية، والماء البارد يزحف عبر جلده رويدًا رويدًا. بدا أن هذا الإحساس يستمر إلى الأبد تمامًا كذي قبل، بينما الأفكار تتصارع في عقله وهو يتساءل إن كان من الممكن أن تُمسك الرياح بهم وهم عالقون هكذا.

اختفت القشعريرة فجأة كما ظهرت فجأة، كفقاعة انفجرت، فوجد نفسه بالخارج. صار حصانه فجأة يتحرك بضعف سرعته فتعثر وكاد أن يُسقطه من على صهوته. أحاط عنق الحصان بكلتا ذراعيه متشبثًا به. وما إن استقر مرة أخرى في سرجه حتى نفض (ريد) جسده وهرول ليلحق بالبقية بهدوء شديد كأن شيئًا غريبًا لم يحدث على الإطلاق. كان الجو باردًا، لم يكن كقشعريرة (بوابة الطريق)، ولكنها كانت برودة محببة، برودة الشتاء الطبيعية تزحف على جسده ببطء وثبات.

جذب عباءته من حوله وعيناه على بريق (بوابة الطريق) الخافت. بجانبه مال (لان) للأمام في سرجه ويده على سيفه. كان الرجل وحصانه متأهبين كأنما على وشك أن يندفعا عائدين إن لم تظهر (مويرين).

كانت (بوابة الطريق) مقامة في خليط من الأحجار عند قاعدة تل، تخبئها الشجيرات باستثناء الأماكن التي كسرت فيها القطع المتهاوية الأغصان البنية العارية من الأوراق. على طول نقوش ما تبقى من البوابة كانت الشجيرات تبدو أقل حياة من الحجر.

انبعج السطح الداكن كفقاعة طويلة غريبة تتصاعد إلى سطح بركة. اخترق ظهر (مويرين) الفقاعة. كانت (الآيز سيداي) وانعكاسها الخافت متلاصقين ظهرًا إلى ظهر، كانت لا تزال تُمسك بعصاها أمامها، وأبقتها هناك وهي تجذب (آلديب) خارج (بوابة الطريق) لتلحق بها، بينما الفرس البيضاء تتقافز في خوف بعينين زائغتين. أبقت (مويرين) عينيها على (بوابة الطريق) وهي تتراجع إلى الوراء.

أظلمت (بوابة الطريق) وصار البريق الضبابي أكثر قتامة، متحولًا من اللون الرمادي إلى لون الفحم، ثم أسود داكن كقلب (الطرق). كانت الرياح تعوي في وجوههم كأنما من مسافة بعيدة، أصوات خفية مليئة بالتعطش للأشياء الحية، والجوع من أجل الألم، والإحباط.

بدت الأصوات وكأنما تهمس في أذن (راند)، كان على حافة الفهم ثم صار بداخله؛ *اللحم جيد، جيد للتمزيق، تقطيع الجلد، تقطيعه إلى شرائح، تضفيرها، من الرائع تضفير شرائح اللحم، رائع للغاية، القطرات التي تتساقط حمراء للغاية، الدماء حمراء للغاية، حمراء للغاية، عذبة للغاية، صرخات عذبة، صرخات جميلة، صرخات كالغناء، فلتصرخ بأغنيتك، فلتغني بصرخاتك...*

ابتعدت الهمسات، وخفت السواد، وتلاشى، حتى صارت (بوابة الطريق) مرة أخرى بريقًا داكنًا يُمكن رؤيته من خلال قوس من حجر منقوش.

أطلق (راند) زفيرًا طويلًا مرتجفًا، لم يكن وحده من فعل هذا، فقد سمع آخرين يتنفسون الصعداء. كانت (إيجوين) قد اقتربت بـ(بيلا) من حصان (ناينيف)، وكلا المرأتين تحيط الأخرى بذراعيها، ويدا كل منهما على كتفي الأخرى. حتى (لان) بدا عليه الارتياح، رغم أن قسمات وجهه لم تُظهر أيًّا من هذا، بل كان الأمر باديًا بالأحرى في الطريقة التي يجلس بها على (ماندارب)، وقد ارتخى كتفاه وهو ينظر ناحية (مويرين) وقد أمال رأسه قليلًا.

قالت (مويرين): «لا يمكنها أن تمر، أعتقد أنه لا يُمكنها هذا، آمل أنها لا يُمكنها هذا». زفرت وهي تُلقي بعصاها أرضًا وتفرك يدها على عباءتها. كان هناك تفحم أسود سميك يغطي أكثر من نصف العصا. «الدنس يُفسد كل شيء في هذا المكان».

سألتها (ناينيف): «ماذا كان هذا؟ أخبريني، ماذا كان هذا؟».

بدا (لويال) متحيرًا وهو يقول: «إنها (ماكين شين) بالطبع، (الرياح السوداء) التي تسرق الأرواح».

قالت (ناينيف) بإلحاح: «ولكن ماذا تكون بالضبط؟ حتى مع (الترولوكيين) يمكنك أن تنظر إليهم وأن تلمسهم إن كان لديك الجرأة لهذا، ولكن هذا الشيء...». ثم ارتجفت بشكل متشنج.

أجابتها (مويرين): «ربما يكون شيئًا قد تبقى من (زمن الجنون) أو حتى (حرب الظل)، (حرب القوة)، شيئًا مختبئًا في (الطرق) منذ وقت طويل، حتى أنه لم يعد قادرًا على الخروج. لا أحد - ولا حتى من بين (الأوجير) - يعرف إلى أي مدى تمتد (الطرق) أو مدى عمقها. يُمكن أن يكون شيئًا من (الطرق) ذاتها، فـ(الطرق) شيء حي كما قال (لويال)، وكل الأشياء

الحية بها طفيليات. ربما يكون مخلوقًا من الفساد ذاته، شيئًا وُلِد من الاضمحلال، شيئًا يكره الحياة والضوء».

صرخت (إيجوين): «كفى! لا أُريد أن أسمع المزيد! يمكنني سماعه يقول...». بترت جملتها وهي ترتجف.

قالت (مويرين) بصوت خافت: «سيكون علينا أن نواجه ما هو أسوأ». لم يعتقد (راند) أنها أرادت أن يسمعها أحد.

صعدت (الآيز سيداي) إلى سرجها في تعب واستقرت هناك وهي تتنهد بامتنان. قالت وهي تنظر إلى البوابة المتحطمة: «هذا أمر خطير». لم تُلقِ على عصاها المتفحمة سوى نظرة عابرة. «هذا الشيء لا يُمكنه أن يخرج، ولكن يُمكن لأي شخص أن يضل طريقه إلى الداخل. سيكون على (أجيلمار) أن يُرسل رجالًا لإغلاقها بجدار بمجرد أن نصل إلى (فال دارا)». ثم أشارت نحو الشمال، إلى الأبراج في الأفق الضبابي، التي تعلو فوق قمم الأشجار العارية.

الفصل السادس والأربعون

فال دارا

كانت الأرض الريفية المحيطة بـ(بوابة الطريق) متموجة في تلال مغطاة بالغابات، ولكن باستثناء البوابة نفسها لم يكن هناك أدنى إشارة على أي (بستان) من بساتين (الأوجير). معظم الأشجار كانت رمادية يابسة وتمد بمخالبها نحو السماء، كان يتخلل الغابات عدد من الأشجار دائمة الخضرة أقل مما اعتاد عليه (راند)، وكان هناك أوراق بنية ميتة رفيعة كالإبر تغطي العديد منها. لم يند عن (لويال) أي تعليق أكثر من هز رأسه في حزن.

عقدت (ناينيف) حاجبيها وهي تقول: «ميتة مثل (الأراضي الخَرِبة)». جذبت (إيجوين) عباءتها حول جسدها وهي ترتجف.

قال (بيرين): «على الأقل لقد خرجنا». فأضاف (مات): «خرجنا إلى أين؟».

قال لهما (لان): «(شاينار)، نحن في (البلاد الحدودية)». وفي صوته الصارم كان هناك نبرة تكاد لا تكون ملحوظة تشي بأنه قد عاد إلى الديار.

ضم (راند) عباءته على جسده في مواجهة البرد، (البلاد الحدودية)، ومن ورائها على مسافة قريبة (البلاء العظيم). (البلاء العظيم)، (عين العالم)، وما قد أتوا من أجله.

قالت (مويرين): «نحن قريبون من (فال دارا)، لم يتبقَّ سوى بضعة أميال». من فوق قمم الأشجار كانت الأبراج تعلو ناحية الشمال والشرق، مظلمة في مواجهة سماء الصباح. غالبًا ما كانت الأبراج تختفي بين التلال والغابات أثناء تحرك ركبهم، قبل أن تظهر مرة أخرى عندما يصعدون مرتفعًا طويلًا بعض الشيء.

لاحظ (راند) أن الأشجار منقسمة في منتصفها كأنما قد ضربها البرق.

عندما سأل عن الأمر أجابه (لان): «إنه البرد، أحيانًا ما يكون الشتاء باردًا للغاية هنا حتى أن العصارة تتجمد وتنفجر الأشجار. هناك ليالٍ يمكنك فيها سماعها تفرقع كالألعاب النارية، ويكون الهواء حادًّا للغاية حتى تعتقد أنك قد تتحطم بدورك. كان هناك ما هو أكثر من المعتاد في الشتاء الماضي».

هز (راند) رأسه، أشجار تنفجر؟ وهذا أثناء الشتاء المعتاد، فكيف كان هذا الشتاء المنصرم؟ بالتأكيد لا يُشبه أي شيء يُمكنه تخيله.

قال (مات) وأسنانه تصطك: «من قال إن الشتاء قد انتهى؟».

قال (لان): «هذا ربيع جيد يا راعي الغنم، ربيع جيد لأن تكون على قيد الحياة، ولكن إن كنت تريد الدفء فسيكون الجو دافئًا في (البلاء العظيم)».

تمتم (مات): «بحق الدماء والرماد! بحق الدماء والرماد اللعين!». بالكاد سمعه (راند)، ولكنه أحس أن الكلام نابع من قلبه.

بدأوا يمرون بالمزارع، رغم أن الوقت قد حان لطهو وجبة منتصف النهار، إلا أنه لم يكن هناك دخان يتصاعد من المداخن الحجرية العالية. كانت

الحقول خاوية من البشر والماشية على حد سواء، رغم أنه أحيانًا ما يقف محراث مهجور أو عربة مهجورة كأن مالكها يفترض أن يعود في أي لحظة.

في إحدى المزارع القريبة من الطريق كان هناك دجاجة وحيدة في الفناء، وأحد مصراعي باب الحظيرة يتأرجح مع الرياح، بينما الآخر قد انخلع من المفصل السفلي وتدلى بزاوية. بدا البيت الطويل غريبًا بالنسبة لـ(راند) القادم من (النهرين)، بسقفه الحاد المصنوع من الألواح الخشبية الذي يكاد أن يصل إلى الأرض، وكان ساكنًا وصامتًا، فلم يخرج أي كلب لينبح في وجههم. كان هناك منجل مُلقى في وسط فناء الحظيرة، وكانت الدلاء مقلوبة ومتكومة بجانب البئر.

عقدت (مويرين) حاجبيها وهي تنظر إلى البيت الريفي أثناء مرورهم من جواره، ثم رفعت لجام (آلديب) فزادت الفرس البيضاء من وتيرة سيرها. احتشدت مجموعة (إيموندز فيلد) مع (لويال) على مسافة قريبة وراء (الآيز سيداي) و(الحامي).

هزَّ (راند) رأسه، لم يستطع أن يتخيل إنبات أي شيء هناك، ولكنه أيضًا لم يكن يتخيل (الطرق) من قبل، حتى الآن وقد تجاوز الأمر فإنه لا يستطيع تخيلها.

أشارت (ناينيف) إلى المزارع الخاوية التي رأوها وهي تقول بصوت خافت: «لا أعتقد أنها كانت تتوقع هذا».

قالت (إيجوين): «أين ذهب الجميع؟ ولماذا؟ لا يمكن أن يكونوا قد رحلوا منذ وقت طويل».

سألها (مات): «ما الذي يجعلك تقولين هذا؟ بناءً على هيئة باب الحظيرة هذا فمن الممكن أن يكونوا قد رحلوا طيلة الشتاء». نظرت (ناينيف) و(إيجوين) إليه كأنه بطيء الفهم.

قالت (إيجوين) في صبر: «الستائر في النوافذ تبدو خفيفة للغاية على أن تكون ستائر شتاء، حتى بالنسبة لهذا المكان. بناءً على البرودة هنا فلا يمكن لأي امرأة أن تعلق هذه الستائر لأكثر من أسبوع أو اثنين، أو ربما أقل». أومأت الحكيمة برأسها.

ضحك (بيرين) وهو يقول: «الستائر». وعلى الفور اختفت الابتسامة من على وجهه عندما نظرت له المرأتان وقد رفعت كل واحدة منهما حاجبًا وقال: «أنا أتفق معكما بالطبع، لم يكن هناك ما يكفي من الصدأ على ذلك المنجل، مما يشي أنه لم يقضِ أكثر من أسبوع في العراء. كان يجب عليك أن تنتبه لهذا يا (مات)، حتى لو لم تنتبه إلى الستائر».

نظر (راند) إلى (بيرين) بطرف عينه، محاولًا ألا يحدق إليه. إن عينيه أكثر حدة من عيني (بيرين)، أو هكذا كانتا عندما اعتادا صيد الأرانب معًا، ولكنه لم يكن قادرًا على رؤية نصل ذلك المنجل جيدًا لتمييز أي صدأ.

قال (مات) متذمرًا: «أنا لا أُبالي حقًّا أين ذهبوا، أُريد فقط أن أجد مكانًا به نار، وفي القريب العاجل».

قال (راند) بصوت خافت: «ولكن أين ذهبوا؟». (البلاء العظيم) ليس بعيدًا عن هنا، (البلاء العظيم) حيث يكمن كل (العواتم) و(الترولوكيين)، هؤلاء الذين لم يذهبوا لـ(أندور) لملاحقتهم. (البلاء العظيم)، إلى حيث هم ذاهبون.

ثم رفع صوته بما يكفي ليسمعه هؤلاء القريبين منه: «ربما لا يكون عليكِ يا (ناينيڤ) أنتِ و(إيجوين) أن تذهبا إلى (عين العالم) معنا». نظرت المرأتان له كأنه يقول كلامًا غير مفهوم، ولكن (البلاء العظيم) قريب، لذا عليه على الأقل أن يحاول. «ربما يكفيكما أن تقتربا إلى هذا الحد. لم تقل (مويرين) إن عليكما الذهاب، ولا أنت يا (لويال). يُمكنكم البقاء في (فال دارا)، حتى نعود إليكم، أو يمكنكم التوجه إلى (تار ڤالون). ربما

سيكون هناك قافلة من التجار، أو أُراهن أن (مويرين) ستستأجر عربة. سنلتقي في (تار ڤالون) عندما ينتهي الأمر».

تنهد (لويال) كدمدمة الرعد في الأفق وقال: «(تاڤيرين)، أنت تنسج حياة الناس من حولك يا (راند ألثور)، أنت وصديقاك، إن مصيركم قد اختار مصيرنا». هزَّ (الأوجير) كتفيه وفجأة ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وهو يقول: «علاوة على ذلك سيكون من الرائع أن ألتقي بـ(الرجل الأخضر)، لطالما تحدث الكبير (هامان) عن لقائه بـ(الرجل الأخضر)، وكذلك والدي، ومعظم الكبراء».

قال (بيرين): «كل هؤلاء التقوا به؟ تقول الحكايات إنه من الصعب العثور على (الرجل الأخضر)، وأنه لا أحد يُمكنه أن يعثر عليه مرتين».

وافقه (لويال): «ليس مرتين، لا. ولكن أنا لم أقابله قط، ولا أنتم، لا يبدو أنه يتجنب (الأوجير) بنفس القدر الذي يتجنبكم به أيها البشر. إنه يعرف الكثير عن الأشجار، أو حتى عن أغاني الأشجار».

قال (راند): «ما أحاول أن أرمي إليه هو...».

قاطعته الحكيمة قائلة: «لقد قالت إنني و(إيجوين) جزء من (النمط) أيضًا، كل شيء منسوج حولكم أنتم الثلاثة، إن كان من الممكن تصديق ما تقوله فهناك شيء حيال الطريقة التي يُنسج بها هذا الجزء من (النمط) يُمكنه أن يوقف (سيد الظلام)، وأخشى أنني أُصدقها، كل ما حدث يدفعني لتصديقها. ولكن إن رحلت أنا و(إيجوين) فما الذي يُمكن أن نغيره في (النمط)؟».

«أنا أحاول فقط أن...».

مرة أخرى قاطعته (ناينيف) بحدة وهي تقول: «أنا أعرف ما تحاول أن تفعله». حدجته بنظرها حتى راح يتململ بتوتر في سرجه، حينها لانت ملامح وجهها وقالت: «أنا أعرف ما تحاول فعله يا (راند)، أنا لا أحب

أيًّا من (الآيز سيداي)، وعلى وجه الخصوص هذه (الآيز سيداي)، ولا أحب أن أذهب إلى (البلاء العظيم)، ولكن أكثر من أكرهه هو (أبو الأكاذيب). إن كنتم أيها الفتيان... أيها الرجال، قادرين على فعل ما يجب فعله عندما يكون هذا آخر ما ترغبون فيه، فلِمَ تعتقد أنني لن أفعل هذا؟ أو (إيجوين)؟». لم يبدُ عليها أنها تتوقع إجابة، فقد جذبت لجامها وهي تنظر عاقدة حاجبيها نحو (الآيز سيداي) التي تتقدمهم قبل أن تقول: «أتساءل إن كنا سنصل إلى ذلك المكان المسمى (فال دارا) قريبًا، أم أنها تنوي أن نقضي الليل في هذا المكان؟».

بينما تُسرع بحصانها ناحية (مويرين) قال (مات): «لقد نعتتنا بالرجال، يبدو لي وكأن الأمر كان بالأمس فقط عندما كانت تقول لنا إن علينا أن نتخلى عن الأحبال التي تساعدنا على تعلم المشي، والآن تنعتنا بالرجال».

قالت له (إيجوين): «ما زلتم لا يجب عليكم الابتعاد عن أحبال مئزر أمهاتكم». ولكن (راند) لم يعتقد أنها قالت هذا من قلبها. تحركت بـ(بيلا) مقتربة من حصانه ثم خفضت صوتها لكيلا يتمكن أحد من البقية من سماعها، ولكن (مات) حاول هذا على الأقل. قالت بصوت خافت: «لقد رقصت مع (آرام) فحسب يا (راند)، لا يمكن أن تلومني لأنني رقصت مع شخص لن أراه مرة أخرى، أليس كذلك؟».

قال لها: «لا». *ما الذي جعلها تطرح هذا الموضوع الآن؟* «بالطبع لا».

ولكن فجأة تذكر شيئًا قالته (مين) في (بايرلون)، منذ ما بدا وكأنه مئة عام مضت؛ *إنها ليست لك، وأنت لست لها، على الأقل ليس بالطريقة التي يريدها كلاكما.*

كانت بلدة (فال دارا) مبنية على جبال أعلى من الريف المحيط به، لم تكن بمثل ضخامة (كايملين)، ولكن الأسوار المحيطة بها كانت بارتفاع أسوار (كايملين)، وعلى مسافة ميل كامل خارج الأسوار في كل اتجاه

كانت الأرض خالية من أي شيء أكثر ارتفاعًا من الحشائش، وحتى الحشائش كانت قد جُزَّت لتصير قصيرة. لا يمكن لأي شيء أن يقترب دون أن يُرى من واحد من الأبراج العديدة الطويلة التي يعلوها أسيجة خشبية. وبينما كانت أسوار (كايملين) تحمل شيئًا من الجمال، إلا أن من بنوا (فال دارا) لم يبدُ أنهم يبالون بأن يرى أحد أن أسوارهم جميلة. كانت الأحجار الرمادية صلبة بشكل كئيب يشي بأنها موجودة لغرض واحد؛ حماية البلدة. كانت الرايات التي تعلو الأسيجة الخشبية تخفق مع الريح، مما يجعل الصقر الأسود المنقض الذي يمثل شعار (شاينار) يبدو وكأنه يحلق على طول الأسوار.

أزاح (لان) غطاء رأسه للوراء ورغم برودة الجو أشار للجميع أن يفعلوا مثله. كانت (مويرين) قد أزاحت غطاء رأسها بالفعل. قال (الحامي): «إنه القانون في (شاينار)، في كل (البلاد الحدودية)، غير مسموح لأحد أن يخفي وجهه داخل أسوار أي بلدة».

ضحك (مات) وقال: «هل هم جميعًا يتمتعون بالمظهر الحسن؟».

قال (الحامي) بصوت جاد: «لا يمكن لأي واحد من (أنصاف البشر) أن يختبئ ووجهه مكشوف».

انمحت الابتسامة من على وجه (راند)، بينما دفع (مات) بغطاء رأسه إلى الوراء على الفور.

كانت البوابات مفتوحة، طويلة ومغطاة بحديد أسود، ولكن أكثر من عشرة رجال كانوا يقفون لحمايتها ويغطي دروعهم معاطف ذهبية تحمل شعار الصقر الأسود. كانت مقابض سيوفهم الطويلة تبرز من فوق أكتافهم، وعند خصر كل واحد منهم يتدلى سيف عريض أو هراوة أو فأس. كانت خيولهم مقيدة بالقرب منهم، وقد بدت مخيفة بسبب الأغطية الفولاذية التي تغطي الصدور والأعناق والرؤوس، مع رماح موضوعة في

الركاب، وجميعها مستعدة للانطلاق في أي لحظة. لم يند عن الحراس أدنى حركة لإيقاف (لان) و(مويرين) والبقية، بل لوحوا ونادوا في سعادة.

صاح أحدهم وهو يلوح بيديه المغطاتين بقفاز فولاذي فوق رأسه بينما هم يمرون: «(داي شان)! (داي شان)!».

صاح مجموعة آخرين: «المجد (للبنائين)! كيزيراي تي وانشو!».

بدا (لويال) مندهشًا ثم ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه وهو يلوح للحراس.

ركض أحد الرجال على مسافة قريبة من حصان (لان) دون أن يعيقه الدرع الذي يرتديه وقال: «هل سيحلق الكُركِيّ الذهبي مرة أخرى يا (داي شان)؟».

كل ما قاله (الحامي) هو: «السلام يا (راجان)». فتراجع الرجل مبتعدًا عنه. بادل (لان) الحراس التحية ولكن وجهه صار فجأة أكثر كآبة.

بينما هم يسيرون عبر الشوارع المرصوفة بالحجارة والمزدحمة بالناس والعربات عقد (راند) حاجبيه في قلق، كانت (فال دارا) مكتظة بالناس ولكنهم لم يكونوا كالجموع المتلهفين في (كايملين) مستمتعين بعظمة المدينة حتى وهم يتشاجرون فيما بينهم، أو الحشود الذين تموج بهم شوارع (بايرلون). كان هؤلاء الناس الممتلئة وجناتهم يراقبون مرور مجموعتهم بأعين فاترة ووجوه خالية من المشاعر. كانت العربات الكبيرة والصغيرة تُغلق كل زقاق ونصف الشوارع، وقد تكدست بالأثاث المنزلي بشكل عشوائي وصناديق منقوشة ممتلئة للغاية حتى إن الملابس تتساقط منها، وعلى قمة الصناديق يجلس الأطفال. كان الكبار يبقون الصغار بالأعلى حيث يمكن رؤيتهم، ولم يسمحوا لهم بالتجول بعيدًا أو حتى اللعب. حتى الأطفال كانوا أكثر صمتًا من الكبار، وأعينهم أكثر اتساعًا، ونظراتهم أكثر كآبة. كان كل ركن وزاوية بين العربات مليئًا بالماشية الشعثاء والخنازير ذات الرقط السوداء في حظائر أُقيمت كيفما اتفق. كان هناك أقفاص من

الدجاج والبط والإوز، تعوض بصياحها صمت الناس. لقد عرف الآن أين ذهب كل المزارعين.

اقتادهم (لان) نحو قلعة في منتصف البلدة، كومة حجرية ضخمة فوق أعلى تل، كان هناك خندق جاف، عميق وعريض، وفي قاعه غابة من الرماح الفولاذية الحادة الطويلة، تحيط بأسوار الحصن التي يعلوها الأبراج. موضع للدفاع الأخير إن سقطت بقية المدينة. ومن بوابة أحد الأبراج ناداهم رجل مدرع: «مرحبًا (داي شان)». فصاح آخر من داخل القلعة: «الكركي الذهبي! الكركي الذهبي!».

تعالى دوي حوافر خيولهم على الألواح الخشبية الثقيلة وهم يعبرون الجسر المتحرك الذي أُنزِل لكي يعبروا الخندق، ثم مروا من تحت الأطراف المدببة لبوابة الحصن الفولاذية. ما إن مروا من البوابة حتى قفز (لان) من سرجه ليقود (ماندارب) وهو يشير للآخرين أن يترجلوا بدورهم.

كانت الباحة الأولى عبارة عن ساحة شاسعة مرصوفة بكتل حجرية ضخمة، محاطة بأبراج وتحصينات منيعة مثل تلك الموجودة خارج الأسوار. ورغم اتساع الباحة إلا أنها بدت مكتظة بالناس مثل الشوارع، وتموج بنفس الاضطراب، على الرغم من وجود نوع من النظام في الحشد الموجود هنا. في كل مكان يوجد رجال مدرعون وأحصنة مدرعة، وفي عدد من ورش الحدادة المحيطة بالباحة دوى رنين المطارق، وكان هناك منافخ كبيرة، يحمل كل منفاخ رجلين يرتدي كل منهما مئزرًا جلديًّا، مما جعل المصاهر تتأجج بالنيران. كان صانعو الأسهم جالسين يمارسون عملهم، وكلما امتلأت سلة بالأسهم كانت تُنقل بعيدًا ويوضع مكانها سلة فارغة.

جاء السُّيَّاس الممتلئون بالحيوية بملابسهم السوداء الذهبية مسرعين بحماس وهم يبتسمون. على الفور حل (راند) متاعه من وراء السرج وترك الحصان لأحد السياس، بينما رجل يرتدي الدروع والزرد والجلد ينحني بشكل رسمي. كان يرتدي فوق دروعه عباءة صفراء زاهية ذات أطراف

حمراء وقد ارتسم الصقر الأسود على صدره، ومن تحتها معطف يحمل بومة رمادية، لم يكن يرتدي خوذة، وكان عاري الرأس، تمامًا، فقد حُلِق كل رأسه باستثناء عُقدة أعلى رأسه مربوطة بشريط جلدي. «لم أَرَكِ منذ وقت طويل يا (مويرين آيز سيداي)، ويسعدني رؤيتك يا (داي شان)، يُسعدني هذا حقًّا». انحنى مرة أخرى إلى (لويال) وتمتم: «المجد (للبنَّائين)، كيزيراي تي وانشو».

أجابه (لويال) بشكل رسمي: «أنا لست جديرًا بهذا، والعمل صغير، تسينجو ما تشوبا».

قال الرجل: «لقد ازددنا بك شرفًا أيها (البنَّاء)، كيزيراي تي وانشو». ثم التفت مرة أخرى إلى (لان) وقال: «لقد أرسلتُ من يخبر اللورد (أجيلمار) بمجرد أن رأيتكم قادمين يا (داي شان)، إنه في انتظاركم، من هذا الطريق من فضلكم».

لحقوا به إلى داخل القلعة، عبر ممرات حجرية باردة، معلق على جدرانها منسوجات ملونة ولوحات طويلة من الحرير تبين مشاهد من الصيد والمعارك. أكمل حديثه قائلًا: «أنا مسرور لأن النداء وصلك يا (داي شان)، هل سترفع راية الكركي الذهبي مرة أخرى؟». كانت الممرات تبدو قاسية، باستثناء الجداريات الملونة، وحتى هذه استخدموا فيها أقل عدد من الأشكال المنسوجة بأقل عدد من الخيوط الضرورية لإيصال المعنى رغم الألوان الزاهية.

سأله (لان) بصوت خافت: «هل الأمور حقًّا بهذا السوء الذي تبدو عليه يا (إنجتار)؟». تساءل (راند) إن كانت أذناه ترتعشان مثل أذني (لويال).

تمايلت عقدة الشعر عندما هز الرجل رأسه، ولكنه تردد قبل أن يبتسم ويقول: «الأشياء لا تكون مُطلقًا بنفس السوء الذي تبدو عليه يا (داي شان)، ولكنها أسوأ بقليل من المعتاد هذا العام، هذا كل شيء. لقد

تتابعت الغارات طيلة الشتاء، حتى في أصعب أوقاته. ولكن ما تعرضنا له من إغارة لم يكن أسوأ مما تعرض له أي مكان آخر على طول (الأراضي الحدودية). لا يزالون يأتون في الليل، ولكن لا يمكنك أن تتوقع سوى هذا أثناء الربيع، إن جاز لنا أن نسمي هذا ربيعًا. لقد عاد المستكشفون من (البلاء العظيم) - هؤلاء الذين تمكنوا من العودة - وهم يحملون أخبارًا عن معسكرات (ترولوكية). دومًا ما يكون هناك أخبار جديدة عن المزيد من المعسكرات. ولكننا سنواجهُم في (أخدود تاروين) يا (داي شان) وسنجبرهم على التراجع كما نفعل دومًا».

قال (لان): «بالطبع». ولكنه لم يبدُ واثقًا.

تلاشت ابتسامة (إنجتار)، ولكنها سرعان ما ارتسمت على وجهه مرة أخرى. اصطحبهم في صمت إلى حجرة اللورد (أجيلمار)، ثم انصرف لتأدية واجباته الملحة.

لم تكن الحجرة تختلف كثيرًا عن بقية القلعة، مع فتحات لتصويب الأسهم في الجدار الخارجي، وباب سميك بمزلاج معدني ثقيل يحوي بدوره فتحات لتصويب الأسهم ومدعمًا بألواح معدنية. لم يكن معلقًا هناك إلا جدارية واحدة تُغطي جدارًا بالكامل، وتُظهِر رجالًا مدرعين كرجال (فال دارا) يُقاتلون (الميردرال) و(الترولوكيين) في ممر جبلي.

لم يكن بالحجرة أثاث سوى طاولة وصندوق واحد وبضعة كراسي، هذا باستثناء رفين على الجدار جذبا انتباه (راند) مثل الجدارية، يتدلى من الرف الأول سيف عظيم أطول من أي رجل، وسيف عريض تقليدي بعض الشيء، وأسفلهما هراوة مرصعة ودرع طويل على هيئة طائرة ورقية مرسوم عليه ثلاثة ثعالب. ويتدلى من الرف الآخر حُلَّة درع معدنية كاملة ومرتبة كما يرتديها المرء؛ خوذة متوَّجة، مع درع الوجه المكون من قضبان معدنية، فوق زرد لتغطية الوجه، وزرد لتغطية الجذع والساقين مشقوقًا من الجانبين من أجل ركوب الخيل، ومعطف تحتي من الجلد مصقول لحمايته

من التآكل، ولوح معدني لتغطية الصدر، وقفاز فولاذي، وأغطية للمرفقين والركبتين. ونصف لوح معدني من أجل الكتفين والذراعين والساقين. حتى هنا في قلب الحصن تبدو الأسلحة والدروع جاهزة للارتداء في أي لحظة. ومثل الأثاث كانت مزينة باللون الذهبي ببساطة وبلا إفراط.

أما عن (أجيلمار) فقد وقف عند دخولهم، ثم التف من حول الطاولة المغطاة بالخرائط وحزم الأوراق والأقلام الموضوعة في المحابر. بدا للوهلة الأولى أن ملامحه تسودها السكينة مما يتناقض مع الحجرة المحيطة به، في معطفه المخملي الأزرق وياقته الطويلة العريضة وحذائه الجلدي الناعم. ولكن النظرة الثانية جعلت (راند) يرى الأمر بشكل مختلف. مثل كل الرجال المحاربين الذين رآهم كان رأسه حليقًا تمامًا باستثناء عقدة الشعر التي تعلو رأسه، وكانت بيضاء تمامًا. كان وجهه صارمًا كوجه (لان) ولا يحمل تجاعيد إلا في زوايا عينيه، وهاتان العينان كانتا كحجرين بنيين، ولكن في تلك اللحظة ظهرت فيهما ابتسامة.

قال لورد (فال دارا): «السلام يا (داي شان)، يسعدني رؤيتك، وأنتِ أيضًا يا (مويرين آيز سيداي)، وربما أكثر، إن حضورك يملأني بالدفء يا (آيز سيداي)».

أجابته (مويرين) بنبرة رسمية: «نينتي كاليكناي نو دوماشيتا، (أجيلمار) (داي شان)». ولكن كان في نبرة صوتها ما يشي بأنهما صديقان قديمان. «إن ترحيبك يملأني بالدفء يا لورد (أجيلمار)».

«كودومي كاليكناي جا ني (آيز سيداي) هاي. (الآيز سيداي) مرحب بهن دومًا هنا». ثم التفت إلى (لويال) وقال: «أنت بعيد عن (الملاذ) أيها (الأوجير) ولكن (فال دارا) ازدادت بك شرفًا، المجد دومًا (للبنائين)، كيزيراي تي وانشو هاي».

قال (لويال) وهو ينحني: «أنا لست جديرًا بهذا، أنتم من تزيدونني شرفًا». ثم نظر إلى الجدران الحجرية الصارخة، وبدا أنه يبذل مجهودًا

لتمالك نفسه. كان (راند) مسرورًا لأن (الأوجير) استطاع منع نفسه من إضافة أي تعليقات أخرى.

ظهر الخدم بملابسهم السوداء الذهبية في صمت، بأقدام ذات نعال رقيقة، جلب بعضهم قطعًا قماشية مطوية، رطبة ودافئة، على صواني فضية، لمسح التراب من على الوجوه والأيدي. الآخرون كانوا يحملون النبيذ الساخن وأوعية فضية من الخوخ والمشمش المجففين. أمر اللورد (أجيلمار) بتجهيز الغرف والحمامات.

قال: «إنها رحلة طويلة من (تار ڤالون)، لا شك أنكم متعبون».

قال له (لان): «كانت رحلة قصيرة من المسار الذي جئنا عبره، ولكنه مُرهق أكثر من الطريق الطويل».

بدا (أجيلمار) متحيرًا عندما لم يُضف (الحامي) أي تعليق آخر، ولكنه اكتفى بأن قال: «بضعة أيام من الراحة ستجعلكم جميعًا في حال أفضل».

قالت (مويرين): «نحن لا نُريد إلا مأوى لليلة واحدة يا لورد (أجيلمار)، لنا وللخيول. وإمدادات جديدة في الصباح إن كان بمقدورك توفيرها. أخشى أننا يجب أن نغادر في الصباح الباكر».

عقد (أجيلمار) حاجبيه وقال: «ولكني ظننت... ليس من حقي أن أطلب منك هذا يا (مويرين سيداي)، ولكنك ستكونين بمثابة ألف رمح في (أخدود تاروين)، سيأتي ألف رجل عندما يسمعون أن الكركي الذهبي سيحلق مرة أخرى».

قال (لان) بخشونة: «(الأبراج السبعة) تحطمت، وماتت (مالكير)، لم يتبقَّ إلا القليل من شعبها، مشتتين على وجه الأرض. أنا (حامٍ) يا (أجيلمار)، وقد أقسمت بشعلة (تار ڤالون)، وصرت مقيدًا بـ(البلاء العظيم)».

«بالطبع يا (داي شا...) يا (لان)، بالطبع، ولكن من المؤكد أنكم لن تتعطلوا أكثر من بضعة أيام، بضعة أسابيع على الأكثر، هذا لن يصنع فارقًا، نحن بحاجة إليكما، أنت و(مويرين سيداي)».

أخذت (مويرين) قدحًا فضيًّا من أحد الخدم وقالت: «يبدو أن (إنجتار) يعتقد أنك ستتغلب على هذا التهديد كما تغلبت على العديد من التهديدات الأخرى على مدار السنوات».

قال (أجيلمار) بسخرية: «إن كان (إنجتار) مضطرًا لأن يذهب ليقاتل وحده في (أخدود تاروين) يا (آيز سيداي) فإنه سيذهب وهو يزعم طيلة الطريق أن (الترولوكيين) سيديرون ظهورهم مرة أخرى. إن لديه من الفخر ما يكفي لأن يصدق أن باستطاعته أن يفعل هذا وحده».

قال (الحامي) وهو يمسك بقدح ولكنه لم يشرب منه: «إنه ليس واثقًا كما تعتقد هذه المرة يا (أجيلمار). ما مدى سوء الأمر؟».

تردد (أجيلمار) ثم جذب خريطة من الكومة المتشابكة على الطاولة، حدق إلى الخريطة بشرود للحظة ثم ألقى بها جانبًا وهو يقول بصوت خافت: «عندما نتقدم إلى (الأخدود) فإن الناس سيُرسلون جنوبًا إلى (فال موران)، ربما يمكن للعاصمة أن تصمد، يجب أن تصمد بحق السلام، مكان ما يجب أن يصمد».

قال (لان): «الوضع بهذا السوء؟». فأومأ (أجيلمار) برأسه في تعب.

تبادل (راند) نظرة قلقة مع (مات) و(بيرين). كان من السهل تصديق أن (الترولوكيين) يجتمعون في (البلاء العظيم) للسعي وراءه، للسعي وراءهم.

أكمل (أجيلمار) حديثه في وجوم قائلًا: «لقد تواصلت غارات (الترولوكيين) على (كاندور) و(آرافيل) و(سالدايا) طيلة الشتاء، لم يحدث شيء كهذا منذ (الحروب الترولوكية). لم تكن الغارات بمثل هذه الضراوة أو بمثل هذه الأعداد الضخمة أو بمثل هذا الإصرار من قبل. كل ملك

ومجلس واثق من أن هجومًا عظيمًا سيأتي من (البلاء العظيم)، وكل بلد من (البلاد الحدودية) يعتقد أنه من سيتلقى هذا الهجوم. لا أحد من المستكشفين أو (الحماة) قد أبلغ عن احتشاد (للترولوكيين) عند حدودهم مثل الذي لدينا هنا. ولكنهم يصدقون هذا، وكل منهم خائف أن يُرسل المقاتلين إلى مكان آخر. الناس يتهامسون بأن العالم ينتهي، وأن (سيد الظلام) قد تحرر من قيده ويعيث فسادًا في الأرض مرة أخرى. ستزحف (شاينار) للقتال في (أخدود تاروين) وحدها، وسيتفوقون علينا عددًا عشرة إلى واحد على الأقل، قد يكون هذا هو احتشاد الرماح الأخير.

(لان)، لا! بل (داي شان). فأنت سيد حرب ملكي من (مالكير) أيًّا كان ما تقوله. إن وجود راية الكركي الذهبي في المقدمة سيبث الشجاعة في قلوب رجال يعرفون أنهم يزحفون شمالًا للموت يا (داي شان). سينتشر الخبر انتشار النار في الهشيم، ورغم أن ملوكهم قد أمروهم أن يتشبثوا بمواضعهم إلا أن الرماح ستأتي من (آرافيل) و(كاندور) وحتى من (سالدايا). رغم أنهم قد لا يتمكنون من المجيء في الوقت المناسب لدعمنا في الأخدود ولكنهم قد ينقذون (شاينار)».

حدق (لان) إلى نبيذه، لم تتبدل ملامحه، ولكن النبيذ انسكب على يده عندما انسحق القدح الفضي في قبضته. أخذ خادم القدح المنسحق ومسح يد (الحامي) بقطعة من القماش، بينما وضع خادم آخر قدح جديد في يده. لم يبدُ أن (لان) قد لاحظ هذا وهو يهمس بصوت أجش: «لا أستطيع!». عندما رفع رأسه كانت عيناه الزرقاوان متقدتين بضراوة ولكن صوته صار هادئًا وخاويًا من المشاعر مرة أخرى وهو يقول: «أنا (حامٍ) يا (أجيلمار)». ثم مر بنظرته الحادة على (راند) و(مات) و(بيرين) قبل أن ينظر إلى (مويرين) ويقول: «مع أول ضوء للصباح سأتوجه إلى (البلاء العظيم)».

تنهد (أجيلمار) بحرارة ثم قال: «ألن تأتي أنتِ على الأقل يا (مويرين سيداي)؟ إن وجود واحدة من (الآيز سيداي) معنا سيصنع فارقًا».

بدت (مويرين) مضطربة وهي تقول: «لا يمكنني هذا يا لورد (أجيلمار)، هذه معركة تستحق بالفعل أن أقاتل فيها، وليس من قبيل المصادفة أن يحتشد (الترولوكيون) في مواجهة (شاينار)، ولكن معركتنا. المعركة الحقيقية مع (سيد الظلام). ستكون في (البلاء العظيم) عند (عين العالم)، يجب أن تخوض معركتك، ونحن سنخوض معركتنا».

(أجيلمار) الذي كان صلبًا كالصخر بدا مرتجفًا وهو يقول: «لا يمكن أن تقصدي أنه قد تحرر من قيده!».

«لم يتحرر بعد، وإن انتصرنا في (عين العالم) فربما لن يتحرر أبدًا مرة أخرى».

«هل يمكنك حتى أن تعثري على (عين العالم) يا (آيز سيداي)؟ إن كان سَجن (سيد الظلام) يعتمد على هذا فربما نكون جميعًا في عِداد الأموات، لقد حاول الكثيرون العثور عليها وفشلوا في هذا».

«يمكنني العثور عليها يا لورد (أجيلمار)، الأمل لم يَضِع بعد».

تفحصها (أجيلمار)، ثم تفحص البقية، بدا متحيرًا لرؤية (ناينيف) و(إيجوين)، فملابسهما القروية تتناقض بشكل صارخ مع فستان (مويرين) الحريري، رغم أن جميع الملابس كانت ملطخة بغبار السفر. سأل في شك: «هل هما من (الآيز سيداي) أيضًا؟». وعندما هزَّت (مويرين) رأسها نفيًا بدا في حيرة أكبر. تفحص بعينيه الفتية القادمين من (إيموندز فيلد) ثم استقر بصره على (راند) الذي ينفض الغبار عن سيفه المغطى بالأشرطة الحمراء المتدلي من خصره. «أنت تصطحبين معك حارسًا غريبًا يا (آيز سيداي)، مقاتل واحد». ثم نظر إلى (بيرين) والفأس المتدلي من حزامه وقال: «ربما اثنين. ولكنهما بالكاد قد بلغا مبلغ الرجال. دعيني أُرسل رجالًا معكِ، مئة رمح، أكثر أو أقل، لن يصنعوا فارقًا في (الأخدود)،

ولكنك ستحتاجين لأكثر من مجرد (حامٍ) واحد وثلاثة فتيان. واثنتان من النساء لن يساعداكِ ما لم تكونا امرأتين متنكرتين من (آييل). (البلاء العظيم) أسوأ من المعتاد هذا العام، إنه... مضطرب».

قال (لان): «مئة رمح سيكونون أكثر من اللازم، وألف رمح لن يكونوا كافين، كلما ازداد حجم الفرقة التي نأخذها إلى (البلاء العظيم) زادت فرصة أن نجذب الانتباه. يجب أن نصل إلى (عين العالم) دون قتال ما دام بمقدورنا هذا، أنت تعرف أن نتيجة القتال تكون محسومة عندما يقاتل (الترولوكيون) بداخل (البلاء العظيم)».

أومأ (أجيلمار) برأسه في وجوم ولكنه رفض أن يستسلم فقال: «فليكن أقل إذن، حتى عشرة رجال أشداء سيمنحونكم فرصة أفضل من هؤلاء الفتية في اصطحاب (مويرين سيداي) والمرأتين الأخريين إلى (الرجل الأخضر)».

أدرك (راند) فجأة أن لورد (فال دارا) يفترض أن (ناينيف) و(إيجوين) هما من ستقاتلان مع (مويرين) في وجه (سيد الظلام). كان هذا بديهيًا، فهذا النوع من القتال يعني استخدام (القوة الواحدة)، وهذا يعني النساء. وضع إبهاميه وراء حزام سيفه وأمسك بالإبزيم بقوة لكي يمنع يديه من الارتجاف وهو يفكر؛ هذا النوع من القتال يعني استخدام (القوة الواحدة).

قالت (مويرين): «لا نحتاج إلى رجال». فتح (أجيلمار) فمه ولكنه قبل أن يتمكن من نُطق شيء أكملت: «إنها طبيعة (عين العالم) وطبيعة (الرجل الأخضر). كم واحد من (فال دارا) تمكن من العثور على (الرجل الأخضر) أو (عين العالم) في أي وقت مضى؟».

هز (أجيلمار) كتفيه وقال: «في أي وقت مضى؟ منذ (حرب المئة عام) يمكنك أن تعديهم على أصابع اليد الواحدة، ليس أكثر من واحد كل خمس سنوات من (البلاد الحدودية) كلها».

قالت (مويرين): «لا أحد يعثر على (عين العالم) ما لم يسمح له (الرجل الأخضر) بالعثور عليها، المفتاح هو الحاجة والغرض. أنا أعرف أين أذهب... لأنني كنت هناك من قبل». التفت (راند) إليها في دهشة، ولم يكن الوحيد الذي فعل هذا من بين رفاقه من (إيموندز فيلد)، ولكن لم يبدُ على (مويرين) أنها قد لاحظت هذا. «ولكن إن كان أحدنا يسعى إلى المجد، يسعى إلى إضافة اسمه إلى أولئك الأربعة، فقد لا نعثر عليها قط، رغم أنني سآخذنا مباشرة إلى الموضع الذي أتذكره».

«لقد رأيتِ (الرجل الأخضر) من قبل يا (مويرين سيداي)؟». بدا لورد (فال دارا) منبهرًا، ولكنه في اللحظة التالية عقد حاجبيه وقال: «ولكن إن كنتِ قد التقيتِ به مرة بالفعل...».

قالت (مويرين) بهدوء: «الحاجة هي المفتاح، ولا يمكن أن يكون هناك حاجة أعظم من حاجتي، أعظم من حاجتنا. ولدي شيء لا يملكه أولئك الباحثون الآخرون».

بالكاد أبعدت عينيها عن (أجيلمار) ولكن (راند) كان واثقًا أنها اختلست النظر إلى (لويال) للحظة عابرة قبل أن تُبعد عينيها عنه. نظر (راند) إلى عيني (الأوجير) ولكن الأخير هز كتفيه.

قال (لويال) بصوت خافت: «(تاڤيرين)».

لوَّح (أجيلمار) بيديه وهو يقول: «فليكن الأمر كما تشائين يا (آيز سيداي)، بحق السلام إن كانت رحى المعركة الحقيقية ستدور في (عين العالم) فأنا متحمس لرفع راية الصقر الأسود واصطحابك بدلًا من الذهاب إلى (الأخدود)، يمكنني أن أشق الطريق لكم...».

«ستكون هذه كارثة يا لورد (أجيلمار)، في (أخدود تاروين) وفي (عين العالم) أيضًا، لديك معركتك ولدينا معركتنا».

«بحق السلام! كما تشائين يا (آيز سيداي)».

ما إن حُسم القرار حتى بدا أن لورد (فال دارا) حليق الرأس قد أبعده عن عقله رغم عدم رضاه عنه. دعاهم إلى الانضمام له حول الطاولة، بينما يدور الحديث حول الصقور والأحصنة والكلاب، دون أدنى ذكر (للترولوكيين) أو (أخدود تاروين) أو (عين العالم).

كانت الحجرة التي تناولوا فيها الطعام بسيطة وقاسية كحجرة اللورد (أجيلمار)، ولكن بأثاث أكثر بقليل من مجرد طاولة وبضعة كراسي، وكان الأثاث بدوره بسيطًا وقاسيًا، ولكنه جميل رغم بساطته. كان هناك مدفأة كبيرة تدفئ الغرفة، ولكن ليس بالقدر الذي يجعل الرجل الذي يُسرع خارجًا منها يشعر بالصدمة من البرد بالخارج.

جلب الخدم الذين يرتدون ملابس رسمية الحساء والخبز والجبن، ودار الحديث حول الكتب والموسيقى حتى أدرك اللورد (أجيلمار) أن هؤلاء القادمين من (إيموندز فيلد) لا يتحدثون، وكأي مُضيف كريم سألهم بلطف أسئلة اختارها بعناية لتحثهم على الخروج من صمتهم.

سرعان ما وجد (راند) نفسه يتنافس مع البقية للحديث عن (إيموندز فيلد) و(النهرين)، وقد بذل مجهودًا لكي يمنع نفسه أن يتحدث أكثر من اللازم. كان يأمل أن الآخرين منتبهون إلى ألسنتهم، وخصوصًا (مات). وحدها (ناينيف) كبحت جماح نفسها وراحت تأكل وتشرب في صمت.

قال (مات): «هناك أغنية في (النهرين) تُدعى (العودة إلى الديار من أخدود تاروين)». أنهى حديثه في عجالة كأنما قد أدرك فجأة أنه يذكر ما يتحاشون ذكره. ولكن (أجيلمار) تعامل مع الأمر بسلاسة.

«لا عجب في هذا، فلا تكاد تكون هناك بلدة لم تُرسل رجالها لصد (البلاء العظيم) على مر السنوات».

نظر (راند) إلى (مات) و(بيرين)، فشَكَّل (مات) بشفتيه في صمت كلمة (مانثيرن).

همس (أجيلمار) إلى أحد خدمه، وبينما البقية ينظفون الطاولة اختفى ذلك الرجل قبل أن يعود وهو يحمل علبة طباق وغلايين فخارية من أجل (لان) و(لويال) ولورد (أجيلمار). قال لورد (فال دارا) وهم يعبئون غلايينهم: «طباق من (النهرين)، من الصعب الحصول عليه هنا ولكنه يستحق ثمنه».

عندما بدأ (لويال) والرجلان الآخران البالغان في نفخ الدخان في رضا، نظر (أجيلمار) إلى (الأوجير) وقال: «أنت تبدو مضطربًا أيها (البناء)، آمل أنك لا تعاني من (الاشتياق)، كم مضى عليك منذ أن ابتعدت عن (الملاذ)؟».

هز (لويال) كتفيه وقال: «إنه ليس (الاشتياق)، فأنا لم أبتعد لوقت طويل». تصاعد الدخان الأزرق الرمادي من غليونه في حركة دائرية فوق الطاولة وهو يشير بيده ويقول: «كنت أتوقع... كنت آمل أن (البستان) لا يزال قائمًا هنا، أو بعض بقايا (مافال دادارانيل)».

تمتم (أجيلمار) قائلًا: «كيزيراي تي وانشو، (الحروب الترولوكية) لم تترك شيئًا سوى الذكريات يا (لويال ابن آرنت)، وقد بنى الناس على هذه الذكريات، لم يقدروا على محاكاة عمل (البنائين) أكثر من قدرتي أنا على هذا، هذه المنحنيات والأنماط المعقدة التي صنعها قومك تفوق ما يمكن أن تراه أعين البشر أو أن تصنعه أيديهم. ربما كنا نرغب في تجنب المحاكاة السيئة التي لن تكون سوى تذكير لنا بما خسرناه. في البساطة نوع مختلف من الجمال، كما في خط واحد يُرسم بطريقة معينة، أو زهرة واحدة بين الصخور. إن خشونة الصخور تجعل الزهرة أكثر جمالًا. نحن نحاول ألا ننخرط كثيرًا في التفكير فيما قد مضى. إن أقوى القلوب ستنكسر تحت وطأة هذا الضغط».

قال (لان) مترنمًا بصوت خافت: «بتلة الوردة تطفو على الماء، والطائر صياد السمك يحلق فوق البركة. الحياة والجمال يدوران في دوامة من الموت».

قال (أجيلمار): «أجل، أجل، لطالما كانت هذه صورة رمزية للأمر برمته بالنسبة لي أيضًا». أحنى الرجلان رأسيهما أحدهما إلى الآخر.

(لان) *يقول شعرًا*؟ كان هذا الرجل مثل بصلة متعددة الطبقات، فكلما ظن (راند) أنه عرف شيئًا عن (الحامي) يكتشف طبقة أخرى من تحتها.

أومأ (لويال) برأسه ببطء وقال: «ربما أنخرط كثيرًا بدوري في التفكير فيما قد مضى. ومع ذلك كانت (البساتين) جميلة». ولكنه كان ينظر إلى الغرفة القاسية كأنما يراها من جديد، وقد وجد فجأة أشياء تستحق أن يراها.

جاء (إنجتار) وانحنى للورد (أجيلمار) قبل أن يقول: «المعذرة يا سيدي اللورد، ولكنك أمرت بأن نخبرك بأي شيء خارج عن المألوف مهما كان يسيرًا».

«أجل، ما الأمر».

«أمر يسير يا مولاي، هناك غريب حاول أن يدلف إلى البلدة، ليس من (شاينار)، ولكن لهجته تشي بأنه من (لوجارد)، في بعض الأحيان على الأقل. لقد هرب عندما حاول حراس البوابة الجنوبية أن يستجوبوه، لقد رأوه يدخل الغابة، ولكن بعد وقت قصير عثروا عليه وهو يتسلق الأسوار».

أصدر كرسي (أجيلمار) صريرًا وهو يحتك بالأرض عندما اعتدل (أجيلمار) واقفًا بينما يقول: «أمر يسير! بحق السلام! إن حرس الأبراج مهملون للغاية حتى أن رجلًا يمكنه أن يصل إلى الأسوار دون أن يراه أحد وأنت تزعم أن هذا أمر يسير؟».

ظهر الخوف في نبرة صوت (إنجتار) وهو يقول: «إنه رجل مجنون يا سيدي اللورد، (النور) يحمي الرجال المجانين، ربما أعمى (النور) أعين حرس الأبراج مما سمح له بأن يصل إلى الأسوار، بالتأكيد لا يمكن لرجل مجنون مسكين أن يلحق بنا ضررًا».

«هل جلبتموه إلى الحصن بعد؟ جيد، أحضره إليَّ هنا، الآن». انحنى (إنجتار) وغادر الحجرة، فالتفت (أجيلمار) إلى (مويرين) وقال: «المعذرة يا (آيز سيداي)، ولكني يجب أن أنظر في هذا الأمر. قد لا يكون سوى بائس مسكين قد أعماه (النور) ولكن... قبل يومين عُثِر على خمسة من شعبنا وهم يحاولون أن يقطعوا بالمنشار مفاصل بوابة تسمح بمرور الخيل، قد يكون أمرًا يسيرًا، ولكن هذا قد يسمح بدخول (الترولوكيين)». ثم تجهم وجهه وهو يقول: «قد يكونون من (أصدقاء الظلام)، ولكني أكره أن أفكر في أن يكون أيٌّ من (الشايناريين) هكذا، لقد مزَّقهم الناس إلى أشلاء قبل أن يتمكن الحراس من أخذهم، لذا لن أعرف حقيقتهم على وجه اليقين. إن كان من بين (الشايناريين) من يُحتمل أن يكون من (أصدقاء الظلام) فيجب أن أكون أكثر حذرًا تجاه الغرباء هذه الأيام. إن كنتم ترغبون في الانصراف فسآمر باصطحابكم إلى غرفكم».

قالت (مويرين): «إن (أصدقاء الظلام) لا يعرفون حدودًا أو دماء، إنهم متواجدون في كل البلاد ولا ينتمون لأي منها. أشعر بالفضول بدوري لرؤية هذا الرجل. إن (النمط) ينسج شبكة يا لورد (أجيلمار)، ولكن الشكل النهائي للشبكة لم يتحدد بعد. قد تُغلِّف العالم بأسره، وقد تنحل فتبدأ (عجلة الزمن) في النسج من جديد. في هذه المرحلة يُمكن للأشياء الصغيرة أن تُغير شكل الشبكة، في هذه المرحلة أشعر بالحذر من الأشياء اليسيرة الخارجة عن المألوف».

اختلس (أجيلمار) النظر إلى (ناينيف) و(إيجوين) قبل أن يقول: «كما تشائين يا (آيز سيداي)».

عاد (إنجتار) وبصحبته حارسان يحملان رمحين طويلين، ويرافقهم رجل بدا أشبه بكومة من أسمال بالية. كان الوسخ متراكمًا في طبقات على وجهه وشعره، ويُلبد شعره الأشعث ولحيته الرثة. دلف إلى الحجرة بظهر منحنٍ وعينين غائرتين زائغتين تنظران إلى هذا الاتجاه وذاك، وتسبقه رائحة كريهة.

مال (راند) إلى الأمام باهتمام محاولًا أن يرى ما وراء كل هذه الأوساخ.

قال الرجل القذر منتحبًا: «ليس لكم الحق في احتجازي هكذا، أنا مجرد مُعدم فقير هجره الضوء، وأبحث عن مكان يحميني من (الظل) كأي شخص آخر».

بدأ (أجيلمار) حديثه قائلًا: «إن (البلاد الحدودية) مكان غريب لتبحث فيه عن...».

ولكن (مات) قاطعه قائلًا: «البائع الجائل!».

وافقه (بيرين) وهو يومئ برأسه قائلًا: «(باداں فاين)».

وفجأة قال (راند) بصوت أجش: «الشحاذ». مال إلى الوراء مع الكراهية المفاجئة التي اشتعلت في عيني (فاين) قبل أن يقول: «إنه الرجل الذي كان يسأل عنا في (كايملين)، إنه هو بلا شك».

قال (أجيلمار) ببطء: «إذن فالأمر يتعلق بكِ في نهاية المطاف يا (مويرين سيداي)».

أومأت (مويرين) برأسها وقالت: «يؤسفني كثيرًا أن هذا صحيح».

بدأ (فاين) يبكي وهو يقول: «لا أُريد هذا». صنعت الدموع الغزيرة أخاديد في الغبار الذي يُغطي وجنتيه، ولكنها لم تكن قادرة على الوصول إلى الطبقة السفلية. «لقد أجبرني على هذا! هو وعيناه المتقدتان بالنيران». جفل (راند) بينما مد (مات) يده تحت معطفه، لا شك أنه يُمسك بمقبض خنجر (شادار لوجوث) مرة أخرى. «لقد جعلني كلب صيده! كلبه الذي

يصيد ويتعقب دون لحظة واحدة من الراحة، كلبه وحده، حتى بعد أن استغنى عني».

قالت (مويرين) بوجوم: «إن الأمر يتعلق بنا جميعًا حقًّا. هل هناك مكان يمكنني فيه أن أتحدث معه على انفراد يا لورد (أجيلمار)؟». ثم تلوى فمها في نفور وهي تقول: «واغسلوه أولًا، فقد أحتاج للمسه». أومأ (أجيلمار) برأسه ثم تحدث بصوت خافت إلى (إنجتار) الذي انحنى قبل أن يختفي عبر البوابة.

«لن تجبروني على هذا!». كان هذا هو صوت (فاين)، ولكنه لم يعد يبكي، وبدلًا من الانتحاب كان هناك حدة متعجرفة. كان يقف منتصبًا وليس منحني الظهر على الإطلاق، ثم رفع رأسه وصرخ في السقف: «لن يحدث هذا مرة أخرى! لن أقبل!». ثم واجه (أجيلمار) كأن الرجلين الواقفين على جانبيه هما حارساه الشخصيان، وأن لورد (فال دارا) هو نظيره وليس آسره. صارت نبرته ناعمة ومتزلفة وهو يقول: «في الأمر سوء فهم أيها اللورد العظيم، أحيانًا ما تستحوذ عليَّ التعاويذ، ولكن كل هذا سيزول عما قريب، أجل قريبًا سأتخلص منه».

نفض الأسمال التي يرتديها بأصابعه في ازدراء وهو يقول: «لا تجعل هذه الأسمال تخدعك أيها اللورد العظيم، كنت مضطرًا لأن أتنكر خشية هؤلاء الذين يحاولون إيقافي، وكانت رحلتي طويلة وشاقة، ولكني وصلت أخيرًا إلى بلاد لا يزال الناس يعرفون فيها أخطار (بعلزمون)، حيث لا يزالون يقاتلون في وجه (سيد الظلام)».

حدق إليه (راند) بعينين متسعتين، كان هذا هو صوت (فاين) بالفعل، ولكن الكلمات لم تبدُ ككلمات البائع الجائل على الإطلاق.

قال (أجيلمار): «إذن فأنت هنا لأننا نقاتل (الترولوكيين)، وأنت مهم للغاية حتى أن شخصًا ما يُريد أن يوقفك. هؤلاء الناس يقولون إنك بائع جائل تُدعى (بادان فاين) وإنك تلاحقهم».

تردد (فاين) ثم نظر إلى (مويرين) قبل أن يُبعد عينيه سريعًا عن (الآيز سيداي)، ثم مر بنظره على القادمين من (إيموندز فيلد) قبل أن يُعيد بصره إلى (أجيلمار). أحس (راند) بالكراهية في هذه النظرة، وبالخوف أيضًا. ولكن عندما تحدث (فاين) مرة أخرى كان صوته هادئًا: «(بادان فاين) هو ببساطة واحد من تنكراتي العديدة التي اضطررت للتخفي فيها على مدار سنوات. (أصدقاء الظلام) يلاحقونني فقد عرفت كيف أهزم (الظل)، يُمكنني أن أُريك كيف تهزمه أيها اللورد العظيم».

قال (أجيلمار) بنبرة جافة: «نحن نبذل أفضل ما يمكن للرجال أن يبذلوه. (عجلة الزمن) تغزل بمشيئتها، ولكننا نقاتل (سيد الظلام) منذ (تحطم العالم) تقريبًا دون أن نحتاج لبائع جائل كي يعلمنا كيف نفعل هذا».

«لا يمكن لأحد أن يُشكك في قوتكم أيها اللورد العظيم، ولكن هل يمكن أن تصمد أمام (سيد الظلام) إلى الأبد؟ ألا تجدون أنفسكم أحيانًا مجبرين على الدفاع؟ اغفر لي جرأتي أيها اللورد العظيم، ولكنه سيحطمكم في النهاية، إن ظللتم كما أنتم، ولكن يمكنني أن أُريكم كيف تطهرون البلاد من (الظل) أيها اللورد العظيم». صارت نبرته أكثر تملقًا رغم أنه ما زال متعجرفًا وهو يقول: «إن حاولتم فعل ما أنصح به فسترى بنفسك أيها اللورد العظيم، ستطهرون الأرض، يمكنك أن تفعلها أيها اللورد العظيم إن وجَّهتم قوتكم في الاتجاه الصحيح، لا تدع (تار ڤالون) توقعك في حبائلها، وسيكون بمقدورك إنقاذ العالم. ستكون الرجل الذي سيتذكره التاريخ إلى الأبد لأنه من جلب النصر الأخير (للنور) أيها اللورد العظيم». ظل الحارسان واقفين في موضعيهما، ولكن أيديهما تململت على الرمحين الطويلين كأنما يعتقدان أنهما قد يضطران لاستخدامهما.

قال (أجيلمار) مُخاطبًا (لان) من فوق كتفه: «إنه يُبالغ كثيرًا في تقديره لنفسه بالنسبة لكونه بائعًا جائلًا. أعتقد أن (إنجتار) مُحق، إنه مجنون».

اتقدت عينا (فاين) بالغضب ولكن صوته ظل ناعمًا وهو يقول: «أعرف أن كلماتي قد تبدو مُبالغًا فيها أيها اللورد العظيم، ولكن لو أنك فقط...». بتر جملته فجأة وهو يتراجع إلى الوراء عندما نهضت (مويرين) وبدأت تسير ببطء حول الطاولة، إلا أن الحارسين خفضا رمحيهما ليمنعا (فاين) من التراجع خارج الحجرة. خطت (مويرين) وراء كرسي (مات) ووضعت يدها على كتفه قبل أن تميل لتهمس في أذنه. أيًّا كان ما قالته فإن التوتر تلاشى من وجهه وهو يجذب يده من تحت معطفه. أكملت (الآيز سيداي) سيرها حتى وقفت بجانب (أجيلمار) لتواجه (فاين)، وعندما توقفت في موضعها انحنى ظهر البائع الجائل مرة أخرى.

قال منتحبًا: «أنا أكرهه، أُريد أن أتحرر منه، أُريد أن أمشي في (النور) من جديد». بدأ كتفاه يرتجفان وسالت الدموع على وجهه أكثر غزارة من ذي قبل. «لقد جعلني أفعل هذا».

قالت (مويرين): «أخشى أنه أكثر من مجرد بائع جائل يا لورد (أجيلمار)، وأقل من بشري، أدنى من خبيث، وأكثر خطرًا مما يمكنك تخيله، يمكنه أن يستحم بعد أن أتحدث معه، لا أجرؤ على إضاعة دقيقة واحدة. تعالَ معي يا (لان)».

الفصل السابع والأربعون
المزيد من حكايات عجلة الزمن

في قلق وتململ راح (راند) يقطع الحجرة جيئة وذهابًا بجانب طاولة تناول الطعام. اثنتي عشرة خطوة، كانت الطاولة بطول اثنتي عشرة خطوة بالضبط، بغض النظر عن عدد المرات التي يغير فيها من وتيرة حركته. في انزعاج أجبر نفسه على التوقف عن عد الخطوات. *إنه شيء غبي هذا الذي تفعله، أنا لا أبالي بمقدار طول الطاولة اللعينة.* بعد بضع دقائق اكتشف أنه كان يحسب كم مرة يذهب ويجيء بجانب الطاولة. *ما الذي يقوله (فاين) لـ(مويرين) و(لان)؟ هل يعرف لماذا يسعى (سيد الظلام) وراءنا؟ هل يعرف أيَّ واحد منا يُريده (سيد الظلام)؟*

اختلس النظر إلى صديقيه، كان (بيرين) قد هشَّم قطعة خبز وراح في شرود يدفع الفتات بإصبعه في حركة دائرية فوق الطاولة. كانت عيناه الصفراوان تحدقان دون أن ترمشا إلى الفتات، ولكن بدا أنهما تريان شيئًا بعيدًا. كان (مات) متكومًا في كرسيه، عيناه شبه مغلقتين، وشبح ابتسامة على شفتيه، كانت ابتسامة ناجمة عن التوتر، لا البهجة. كان يبدو بشكل ظاهري أنه (مات) الذي يعرفونه، ولكنه من وقت لآخر كان بشكل لا إرادي يلمس خنجر (شادار لوجوث) تحت معطفه. *ما الذي يقوله (فاين) لها؟ ما الذي يعرفه؟*

على الأقل لم يبدُ (لويال) قلقًا. كان (الأوجير) يتفحص الجدران، أولًا وقف في منتصف الحجرة محدقًا، ثم راح يدور ببطء في دائرة، وبعدها صار قريبًا من الجدار حتى كاد أن يضغط بأنفه العريض على الحجر، وهو يتتبع موضع التحام معين بأصابعه الأكثر سماكة من إبهام معظم البشر. أحيانًا ما يغلق عينيه كأن الشعور أكثر أهمية من الرؤية، وترتعش أذناه، وهو يتمتم لنفسه بلغة (الأوجير)، فبدا أنه نسي أن هناك أي شخص آخر معه في الحجرة.

كان اللورد (أجيلمار) واقفًا وهو يتحدث بصوت خافت مع (ناينيڤ) و(إيجوين) أمام المدفأة الطويلة في نهاية الحجرة. كان مُضيفًا رائعًا، وبارعًا في جعل الناس ينسون متاعبهم، فقد ضحكت (إيجوين) لسماع الكثير من حكاياته، بل في إحدى الحكايات ألقت (ناينيڤ) برأسها إلى الوراء وانفجرت في الضحك. جفل (راند) لسماع هذا الصوت الذي لم يكن يتوقعه، ثم جفل مرة أخرى عندما ارتطم كرسي (مات) بالأرض.

قال (مات) مزمجرًا: «بحق الدماء والرماد!». متجاهلًا تجهم وجه (ناينيڤ) لسماعها ألفاظه. «ما الذي يستغرقها كل هذا الوقت؟». عدل كرسيه وجلس مرة أخرى دون أن ينظر إلى أي شخص، وقد وضع يده بالقرب من معطفه.

نظر لورد (فال دارا) إلى (مات) باستياء، ثم انتقلت نظرته إلى (راند) و(بيرين) دون أن تلين ملامحه، وأخيرًا عاد بنظره إلى المرأتين، وكانت حركة (راند) جيئة وذهابًا قد جعلته يقترب منهم.

كانت (إيجوين) تقول بلباقة كما لو أنها تستخدم الألقاب طيلة حياتها: «أعتقد يا سيدي اللورد أنه (حامٍ)، ولكنك تناديه (داي شان)، وتتحدث عن راية الكركي الذهبي، وكذلك فعل هؤلاء الرجال الآخرون. أحيانًا ما تجعله يبدو وكأنه ملك. أتذكر أن (مويرين) قد نادته ذات مرة بـ(سيد الأبراج السبعة) الأخير، فمن يكون حقًّا؟».

بدأت (ناينيف) تتفحص قدحها باهتمام، ولكن كان من الواضح لـ(راند) أنها تُصغي باهتمام أكثر من (إيجوين). توقف (راند) وحاول أن يسترق السمع دون أن يبدو عليه أنه يتنصت عليهم.

قال (أجيلمار) وهو يعقد حاجبيه: «(سيد الأبراج السبعة) لقب قديم يا سيدة (إيجوين)، حتى سادة (تير) النبلاء ألقابهم ليست بهذا القدم، إلا أن لقب ملكة (أندور) يكاد أن يماثله قدمًا». ثم تنهد بحرارة وهز رأسه قبل أن يقول: «إنه لن يتحدث عن الأمر، رغم أن الحكاية معروفة جيدًا على طول (الأراضي الحدودية). إنه ملك، أو كان من المفترض أن يكون كذلك، (ألّان ماندراجوران)، (سيد الأبراج السبعة) و(سيد البحيرات) والملك (المالكيري) غير المتوج». رفع رأسه الحليق عاليًا وكان في عينيه بريق كأنما يشعر بفخر أبوي. ازداد صوته حزمًا وقد صار مفعمًا بمشاعره الجياشة فصار كل من بالحجرة قادرين على سماعه دون إطراق السمع. «نحن (الشايناريون) نُطلق على أنفسنا لقب (رجال الحدود)، ولكن منذ أقل من خمسين عامًا مضت لم تكن (شاينار) من (البلاد الحدودية) حقًّا، فشمالنا وشمال (آرافيل) كانت (مالكير). لقد زحفت رماح (شاينار) شمالًا، ولكن (مالكير) كانت من تتصدى (للبلاء العظيم). (مالكير)، فليمجد السلام ذكراها وليبارك (النور) اسمها».

قالت الحكيمة بصوت خافت وهي ترفع بصرها إليه: «(لان) من (مالكير)». بدت مضطربة.

لم يكن سؤالًا ولكن (أجيلمار) أومأ برأسه وقال: «أجل يا سيدة (ناينيف)، إنه ابن (ألأكير ماندراجوران)، آخر ملك (مالكيري) متوج. كيف انتهى به المطاف إلى ما صار عليه؟ البداية ربما كان (لين). على إثر تحدٍّ اقتاد (لين ماندراجوران) أخو الملك رماحه عبر (البلاء العظيم) إلى (الأراضي الخربة)، وربما إلى (شايول غول) نفسها. (بريان) زوجة (لين) وضعت هذا التحدي بسبب الحسد الذي كان يأكل قلبها لأن (ألأكير) اعتلى العرش بدلًا من (لين). كان الملك و(لين) قريبين من

بعضهما كأقرب ما يكون الأخوة، كأقرب ما يكون التوأمين، حتى بعد أن أُضيف لقب (أل) الملكي إلى اسم (أكير)، ولكن الغيرة تأججت في قلب (بريان). كان الناس يشيدون بأفعال (لين)، وكان يستحق هذا، ولكنه لم يستطع أن يتفوق على (ألأكير). كان رجلًا وملكًا، وشيء كهذا لا يحدث إلا مرة كل مئة عام، هذا إن حدث. فليباركه السلام ويبارك (إليانا).

مات (لين) في (الأراضي الخربة) مع معظم هؤلاء الذين تبعوه، رجال لم تكن (مالكير) قادرة على تحمل خسارتهم، وألقت (بريان) باللوم على الملك، قائلة إن (شايول غول) نفسها ستسقط إن كان (ألأكير) قد اقتاد بقية (المالكيريين) شمالًا بصحبة زوجها. من أجل الانتقام خططت مع (كاوين جيمالان) الملَقَّب بـ(كاوين فيرهارت) لكي يستولي على العرش من أجل ابنها (إيسام). كان (فيرهارت) بطلًا حينها، ويكاد أن يكون محبوبًا مثل (ألأكير) نفسه، وأحد السادة العظماء. ولكن عندما اقترع السادة العظماء من أجل اختيار الملك لم يفصله عن (ألأكير) سوى صوتين، ولم ينسَ قط أن وضعَ رجلين لونًا مختلفًا على حجر التتويج كان سيجعله يجلس على العرش بدلًا منه. تآمر (كاوين) و(بريان) فيما بينهما وأعادا الجنود من (البلاء العظيم) للاستيلاء على الأبراج السبعة، مما جرَّد الحصون الحدودية من الحاميات».

ظهرت لمحة من الاشمئزاز في صوت (أجيلمار): «ولكن غيرة (كاوين) كانت أعمق، (فيرهارت) البطل الذي يتغنى الناس ببطولاته في (البلاء العظيم) على طول (البلاد الحدودية) كان (صديقًا للظلام). مع إضعاف الحصون الحدودية تدفق (الترولوكيون) إلى (مالكير) كالفيضان، ربما كان الملك (ألأكير) و(لان) معًا قادرين على حشد الناس، وقد فعلا هذا من قبل، ولكن هلاك (لين) في (الأراضي الخربة) قد أضعف عزيمة الناس، وحطم غزو (الترولوكيين) أرواحهم المعنوية وإرادتهم في المقاومة. الأعداد الهائلة من الغزاة دفعت بـ(المالكيريين) إلى قلب المملكة.

هربت (بريان) مع طفلها الرضيع (إيسام)، ولاحقها (الترولوكيون) بينما هي تُسرع على صهوة حصان نحو الجنوب بصحبته. لا أحد يعرف مصيرهما على وجه اليقين، ولكن يُمكن للمرء أن يُخمن. لا يُمكنني أن أشعر بشفقة إلا تجاه الطفل. عندما كُشفَت خيانة (كاوين فيرهارت) أمسك به (جين تشارين) . المعروف باسم (جين فارسترايدر) . وجلبه إلى (الأبراج السبعة) مقيدًا بالسلاسل، وقد أمر السادة العظماء بقطع رأسه ووضعه على رمح. ولكن لأن مكانته في قلوب الناس كانت تلي (ألأكير) و(لين) واجهه الملك في قتال فردي وذبحه. بكى (ألأكير) عندما قتل (كاوين)، البعض يقول إنه قد بكى على صديقه الذي باع روحه (للظل)، والبعض يقول إنه يقول بكى على (مالكير)».

هز لورد (فال دارا) رأسه في حزن وأكمل: «دوى نذير هلاك (الأبراج السبعة)، ولم يكن هناك وقت لحشد الدعم من (شاينار) أو (آرافيل)، ولم يكن هناك أمل أن تتمكن (مالكير) من الصمود وحدها، مع مقتل خمسة آلاف من رماحها في (الأراضي الخربة) واجتياح حصونها الحدودية.

أمر (ألأكير) وملكته (إليانا) بجلب (لان) إليهما في مهده، ووضعا في يديه الصغيرتين سيف ملوك (مالكير)، السيف الذي يمتشقه اليوم، سلاحًا قد صنعته (الآيز سيداي) أثناء (حرب القوة)، (حرب الظل) التي جلبت (عصر الأساطير). لقد مسحا رأسه بالزيت وأسمياه (داي شان)، سيد الحرب الملكي. وأعلناه الملك (المالكيري) التالي، وأقسما باسمه قسم ملوك وملكات (مالكير) القدماء». اكتسى وجه (أجيلمار) بالصرامة وهو ينطق بهذه الكلمات، كأنما قد أقسم بهذا القسم بدوره أو قسم مشابه. «أن يقف في وجه (الظل) ما دام الحديد صلبًا والحجر صلدًا. أن يدافع عن (مالكير) ما دام في عروقه نقطة دم واحدة، أن ينتقم لما لا يُمكن الدفاع عنه». تردد صدى الكلمات في الحجرة.

«وضعت (إليانا) قلادة حول عنق ابنها من أجل الذكرى، وبعد أن دثّرت الملكة الرضيع بيديها في لفافة أعطته إلى عشرين من خيرة حراس الملك الشخصيين، أفضل المقاتلين وأكثرهم فتكًا. لقد تلقوا أمرًا واحدًا؛ حمل الطفل إلى (فال موران).

ثم اقتاد (ألأكير) و(إليانا) (المالكيريين) لمواجهة الظل للمرة الأخيرة، وهنالك لقيا حتفهما عند (مفترق هيرات)، ولقى (المالكيريون) حتفهم وتحطمت (الأبراج السبعة). واجهت (شاينار) و(آرافيل) و(كاندور) (أنصاف البشر) و(الترولوكيين) عند (جبال جايهان) وأجبروهم على التراجع، ولكنهم لم يتراجعوا إلى الحد الذي كانوا عليه من قبل، بقيت معظم (مالكير) في قبضة (الترولوكيين) وقد ابتلعها (البلاء العظيم) عامًا تلو العام وميلًا تلو الآخر».

تنهَّد (أجيلمار) بقوة وحرارة، ولكن عندما أكمل حديثه كان هناك فخر حزين في عينيه وصوته: «لم يصل إلى (فال موران) على قيد الحياة سوى خمسة من الحرس الشخصيين، وكانوا جميعًا مثخنين بالجروح، ولكن الطفل لم يُصب بأذى. علموه منذ المهد كل ما يعرفونه، تعلَّم الأسلحة كما يتعلم الأطفال الآخرين اللعب بالدمى، وعرف عن (البلاء العظيم) كما يعرف الأطفال الآخرين عن حدائق أمهاتهم. القسم الذي أُقسِم على مهده صار محفورًا في عقله، لم يتبقَّ شيء للدفاع عنه ولكن يُمكنه أن ينتقم، لقد تخلى عن ألقابه ورغم ذلك يُنادونه في (البلاد الحدودية) الملك غير المتوج، وإن رفع راية (مالكير) التي تحمل شعار الكركي الذهبي فإن جيوشًا ستتبعه، ولكنه لن يقود الرجال إلى موتهم، فإنه يطلب الموت في (البلاء العظيم) كما يطلب الحبيب وصال حبيبته، ولكنه لن يقود الآخرين إليه.

إن كان يجب عليكم الذهاب إلى (البلاء العظيم) بهذا العدد القليل فقط فلا يوجد رجل أفضل منه ليأخذكم إلى هناك ويعيدكم إلى الأمان مرة أخرى، إنه أفضل (الحماة)، وهذا يعني أنه من صفوة الصفوة. ربما يمكنكم أيضًا ترك هؤلاء الفتيان هنا لكي ينالوا المزيد من الخبرة في القتال،

وأن تضعوا ثقتكم كلها في (لان). (البلاء العظيم) ليس مكانًا للفتيان غير المتمرسين».

فتح (مات) فمه ولكنه أغلقه مرة أخرى إثر نظرة من (راند). *أتمنى لو يتعلم إبقاء فمه مُغلقًا.*

كانت (ناينيف) تُصغي السمع بعينين متسعتين كـ(إيجوين)، ولكنها صارت تحدق إلى قدحها مرة أخرى بوجهٍ شاحب. وضعت (إيجوين) يدها على ذراعها ومنحتها نظرة مُشفقة.

ظهرت (مويرين) عند الباب و(لان) في عقبيها فالتفتت (ناينيف) إليهما.

قال (راند) متسائلًا: «ما الذي قاله؟». اعتدل (مات) واقفًا وكذلك فعل (بيرين).

تمتم (أجيلمار) بصوت خافت: «حمقى قرويون». ثم رفع صوته إلى نبرته المعتادة وقال: «هل عرفتِ أي شيء منه يا (آيز سيداي)، أم أنه ببساطة مجرد رجل مجنون؟».

قالت (مويرين): «إنه مجنون أو قريب من هذا، ولكن لا شيء بسيط حيال (بادان فاين)». أحد الخدم الذين يرتدون الملابس السوداء الذهبية دلف إلى الحجرة وانحنى وهو يحمل على صينية فضية حوض غسيل أزرق وإبريقًا وقطعة من الصابون الأصفر ومنشفة، بينما ينظر إلى (أجيلمار) في قلق. أمرته (مويرين) أن يضع الصينية على الطاولة وهي تقول: «أستميحك عذرًا يا لورد (أجيلمار) أنني أمرت خدمك، لقد سمحت لنفسي أن أطلب منهم جلب هذه الأشياء».

أومأ (أجيلمار) برأسه إلى الخادم الذي وضع الصينية على الطاولة وغادر في عجالة، ثم قال: «خدمي طوع أمرك يا (آيز سيداي)».

تصاعد البخار من المياه التي صبَّتها (مويرين) في الحوض، كأنما كانت تغلي للتو. شمَّرت عن كميها وبدأت تغسل يديها بحيوية غير مبالية بدرجة حرارة المياه. قالت: «لقد قلت إنه أدنى من خبيث، ولكنني لا أعتقد أنني قد قابلت شخصًا بمثل هذه الدناءة والوضاعة، وفي نفس الوقت بمثل هذه القذارة. أشعر أنني ملوثة لمجرد لمسه، ولا أقصد الوسخ الموجود على جلده، بل أشعر أنني ملوثة هنا». ثم أشارت إلى صدرها وأكملت: «إن انحطاط روحه يجعلني أشك أن لديه روحًا من الأساس. إن هناك شيئًا حياله أسوأ من كونه (صديقًا للظلام)».

تمتمت (إيجوين): «لقد بدا مثيرًا للشفقة، أتذكر مجيئه إلى (إيموندز فيلد) كل ربيع، ضاحكًا دومًا وحاملًا معه الكثير من الأخبار من الخارج. لا شك أن هناك بعض الأمل بالنسبة له؟». ثم أضافت مُقتَبِسة: «مهما وقف الرجل في (الظل) يمكنه دومًا أن يعود إلى (النور)».

مسحت (الآيز سيداي) يديها بالمنشفة بخفة وقالت: «لطالما كنت أؤمن بهذا، ربما يمكن إنقاذ (بادان فاين)، ولكنه كان (صديقًا للظلام) لأكثر من أربعين عامًا، وما فعله من أجل ذلك من دم وألم وموت سيتجمد قلبك لسماعه. أقل شيء قد فعله ـ وأشك أنه سيكون هينًا بالنسبة لكم ـ أنه جلب (الترولوكيين) إلى (إيموندز فيلد)».

قال (راند) بصوت خافت: «أجل». سمع (إيجوين) تشهق، فقال لنفسه؛ *بحق (النور)، كان يجب أن أخمن هذا، كان يجب أن أخمنه بمجرد أن تعرفت عليه.*

سألها (مات): «هل جلب أي (ترولوكيين) إلى هنا؟». نظر إلى الجدران الحجرية من حوله وارتجف، فخمن (راند) أنه يتذكر (الميردرال) أكثر من (الترولوكيين)، فالجدران لم توقف (العاتم) في (بايرلون) أو في (الجسر الأبيض).

قال (أجيلمار) ضاحكًا: «إن كان قد فعل هذا فإنهم سيكسرون أسنانهم على أسوار (فال دارا)، لقد فعل هذا الكثيرون من قبلهم». كان يُخاطب الجميع ولكن كلماته كانت موجهة خصوصًا إلى (إيجوين) و(ناينيف) من النظرة التي رمقهما بها. «ولا تقلقوا بشأن (أنصاف البشر) أيضًا». احتقن وجه (راند) بالدماء. «إن كل شارع وزقاق في (فال دارا) يُضاء أثناء الليل، وغير مسموح لأي رجل أن يُخفي وجهه داخل الأسوار».

سألت (إيجوين): «لمَ قد يفعل السيد (فاين) هذا؟».

قالت (مويرين): «قبل ثلاث سنوات...». ثم تنهدت بثقل وتهاوت جالسة كأن ما فعلته مع (فاين) قد استنزفها. «قبل ثلاث سنوات في الصيف، في مثل هذا الوقت، كان (النور) يباركنا بالتأكيد وإلا لكان (أبو الأكاذيب) قد انتصر بينما ما زلت جالسة لأخطط في (تار ڤالون). منذ ثلاث سنوات كان (فاين) يتعقبكم من أجل (سيد الظلام)».

قال (راند): «هذا جنون! إنه يأتي إلى (النهرين) كل ربيع بشكل منتظم كالساعة. ثلاث سنوات؟ لقد كنا هناك أمامه ولم ينظر إلى أي منا أكثر من نظرة عابرة قبل العام الماضي».

أشارت إليه (الآيز سيداي) بإصبعها كي يصمت وقالت: «لقد أخبرني (فاين) بكل شيء يا (راند)، أو تقريبًا كل شيء. أعتقد أنه قد تمكن من حجب شيء ما، شيء مهم للغاية، رغم كل ما فعلته، ولكنه قال ما يكفي. قبل ثلاث سنوات جاء (نصف بشري) إليه في بلدة في (موراندي)، كان (فاين) مرعوبًا بالطبع، ولكنه عدَّ استدعاءه شرفًا عظيمًا ما بين (أصدقاء الظلام). اعتقد (فاين) أن الاختيار قد وقع عليه من أجل أشياء عظيمة، وهذا ما كان، رغم أنه لم يكن بالطريقة التي اعتقدها. لقد أُخذ شمالًا إلى (البلاء العظيم)، إلى (الأراضي الخربة)، إلى (شايول غول)، حيث التقى برجل بعينين من نار يُطلق على نفسه اسم (بعلزمون)».

تململ (مات) في توتر، وازدرد (راند) لعابه في قوة. كان من البديهي أن يكون الأمر قد جرى على هذا النحو، ولكن هذا لم يجعل من السهل قبول الأمر. وحده (بيرين) نظر إلى (الآيز سيداي) كأنما لم يعد هناك شيء يُمكن أن يُفاجئه.

قال (أجيلمار) بشكل محموم: «فليحمِنا (النور)».

أكملت (مويرين) حديثها بهدوء: «لم يحب (فاين) ما حدث له في (شايول غول)، بينما نتحدث كان يصرخ كثيرًا عن النار والاحتراق، إن إخراج الأمر من حيث كان يخبئه كاد أن يقتله. إنه أطلال محطمة رغم كل قدرتي العلاجية، سيتطلب الأمر الكثير لجعله يتعافى مرة أخرى، ولكن الأمر سيستحق المجهود الذي سأبذله، لسبب واحد على الأقل، وهو أن نعرف ما الذي لا يزال يخفيه. لقد وقع عليه الاختيار بسبب المكان الذي يبيع فيه». ثم أضافت على الفور عندما بدأوا يغمغمون: «لا ليس (النهرين) فقط، ليس حينها. إن (أبا الأكاذيب) يعرف مكان ما يبحث عنه بشكل تقريبي، ولكن ليس بشكل أفضل بكثير منا نحن في (تار ڤالون).

قال (فاين) إنه قد جُعل كلب صيد من أجل (سيد الظلام)، وكان محقًّا في هذا، لقد أرسل (أبو الأكاذيب) (فاين) لصيدكم، بعد أن غيره أولًا لجعله قادرًا على تولي هذا الصيد. إن هذه الأشياء التي عانى منها لإحداث هذه التغيرات هي ما يخشى (فاين) تذكره، إنه يكره سيده بسبب هذه الأشياء بقدر خوفه منه. وهكذا أُرسل (فاين) للتشمم والصيد عبر كل القرى المحيطة بـ(بايرلون) وعلى طول الطريق إلى (جبال الضباب)، وعبر (نهر تارين)، ومن ورائه إلى (النهرين)».

قال (بيرين) ببطء: «قبل ثلاث سنوات؟ أتذكر ذلك الربيع، لقد جاء (فاين) باكرًا على غير عادته، ولكن الغريب هو أنه مكث أطول من

المعتاد، لقد بقي خاملًا لأسبوع كامل وهو يجز على أسنانه مشتكيًا من إنفاق المال على غرفة في حانة (واينسبرينج)، (فاين) يحب المال».

قال (مات): «أتذكر الآن، كان الجميع يتساءل إن كان مريضًا أم أنه قد وقع في حب إحدى نساء القرية، هذا لا يعني بالطبع أن أيًّا منهن كانت لتتزوج بائعًا جائلًا، هذا أشبه بأن تتزوج واحدًا من (الجوالين)». رفعت (إيجوين) حاجبها وهي تنظر إليه فأطبق فمه.

«بعد هذا أُخذ (فاين) إلى (شايول غول) مرة أخرى، و... استخلصوا عقله». أحس (راند) بقبضة باردة تعتصر معدته مع نبرة صوت (الآيز سيداي)، فقد كانت تشي بما تعنيه أكثر من نظرة الاشمئزاز التي ظهرت للحظة خاطفة على وجهها.

«كل ما... أحس به... جرى تركيزه وإعادة تغذيته به. عندما عاد إلى (النهرين) في العام التالي كان قادرًا على اختيار أهدافه بوضوح أكثر، في الواقع كان وضوحًا أكثر مما توقعه (سيد الظلام)، عرف (فاين) على وجه اليقين أن الشخص الذي يبحث عنه كان واحدًا من ثلاثة في (إيموندز فيلد)».

زمجر (بيرين) وبدأ (مات) يسب بنبرة رتيبة خافتة حتى أن نظرة (ناينيف) الحادة لم تنقطع. نظر (أجيلمار) إليهم بفضول. لم يشعر (راند) إلا بقشعريرة بسيطة، وجعله هذا يتعجب. لثلاث سنوات كان (سيد الظلام) يتعقبه... يتعقبهم. كان واثقًا من أن الأمر يجب أن يجعل أسنانه تصطك.

لم تسمح (مويرين) لـ(مات) بمقاطعتها فرفعت صوتها فوق صوته بما يكفي لأن يسمعها الجميع وهي تقول: «عندما عاد (فاين) إلى (لوجارد) جاء إليه (بعلزمون) في الحلم. دنَّس (فاين) نفسه وأدى طقوسًا سيصيبكم سماع نصفها بالصمم، مما قيده بشكل أكثر إحكامًا إلى (سيد الظلام). ما يحدث في الحلم يمكن أن يكون أكثر خطورة مما يحدث أثناء اليقظة».

جفل (راند) مع نظرتها الحادة المحذرة، ولكنها لم تتوقف. «لقد وعده بمكافأة عظيمة وسلطة على الممالك بعد انتصار (بعلزمون)، وأمره بأن عليه تحديد الثلاثة الذين عثر عليهم بمجرد عودته إلى (إيموندز فيلد). سيكون في انتظاره هناك (نصف بشري) بصحبة (ترولوكيين). نحن نعرف الآن كيف جاء (الترولوكيون) إلى (النهرين)، لا شك أنه قد كان هناك (بستان) (أوجير) و(بوابة طريق) في (مانثيرن)».

قال (لويال): «كان الأجمل على الإطلاق باستثناء (بستان) (تار ڤالون)». كان يُصغي باهتمام طيلة الوقت مثل الجميع. «ويتذكر (الأوجير) (مانثيرن) باعتزاز». شكَّل (أجيلمار) الاسم بشفتيه في صمت وقد رفع حاجبيه في دهشة؛ (مانثيرن).

قالت (مويرين): «سأخبرك كيف تجد (بوابة الطريق) المؤدية إلى (مافال دادارانيل) يا لورد (أجيلمار)، يجب أن تأمر بإغلاقها بجدار ووضع حراسة عليها وألا يُسمح لأحد بالاقتراب منها. لم يعرف (أنصاف البشر) بشأن كل (الطرق) بعد، ولكن (بوابة الطريق) هذه تقع في الجنوب وعلى بُعد ساعات فقط من (فال دارا)».

هز لورد (فال دارا) رأسه كأنما يستيقظ من شروده وقال: «الجنوب؟ بحق السلام! سآمر بهذا على الفور. فليشرق علينا (النور)، هذا ما كان ينقصنا».

سألها (بيرين): «هل لحق بنا (فاين) عبر (الطرق)؟ لا شك أن هذا ما فعله».

أومأت (مويرين) برأسها وقالت: «كان (فاين) سيلحق بثلاثتكم إلى القبر، لأن هذا ما يجب عليه فعله. عندما فشل (الميردرال) في (إيموندز فيلد) جلب (فاين) مع (الترولوكيين) في أعقابنا. لم يكن (العاتم) ليسمح لـ(فاين) بأن يركب حصانه معه، رغم أنه من المفترض أن يمتلك أفضل حصان في (النهرين) وأن يكون على رأس الفريق، ولكن (الميردرال) أجبره

على الركض مع (الترولوكيين) وأمر (الترولوكيين) بحمله عندما خارت قواه. كانوا يتحدثون بطريقة يمكنه فهمها وهم يتجادلون بشأن أفضل طريقه لطهوه عندما لا يعودون بحاجة له. يزعم (فاين) أنه انقلب على (سيد الظلام) قبل أن يصلوا إلى (نهر تارين)، ولكن أحيانًا ما يتسرب منه جشعه للمكافأة الموعودة.

عندما هربنا عبر (نهر تارين) أخذ (الميردرال) (الترولوكيين) إلى أقرب (بوابة طريق) في (جبال الضباب)، وأرسل (فاين) عبرها وحده. ظن حينها أنه صار حرًّا، ولكن قبل أن يصل إلى (بايرلون) عثر عليه (عاتم) آخر، وهذا (العاتم) لم يكن رحيمًا للغاية، لقد جعله ينام منكمشًا على نفسه في قِدْرِ (الترولوكيين) ليلًا ليُذكِّره بثمن الفشل، حينها كان (فاين) يعوي بأنه على استعداد لأن يمنح (الميردرال) أمه إن كان سيحرره، ولكن (سيد الظلام) لا يُرخي بإرادته قبضة قد أحكمها.

ما فعلته هناك بإرسال وهمًا بآثار أقدامنا ورائحتنا نحو الجبال خدع (الميردرال) ولكنه لم يخدع (فاين). لم يُصدقه (أنصاف البشر)، وبعدها جذبوه من ورائهم في أغلال. عندما بدا أننا نسبقهم دومًا مهما أسرعوا السير، عندها فقط بدأ بعضهم يصدقه. هؤلاء كانوا الأربعة الذين عادوا إلى (شادار لوجوث)، يزعم (فاين) أن (بعلزمون) نفسه هو من اقتاد (الميردرال) إلى هناك».

هز (أجيلمار) رأسه في ازدراء وقال: «(سيد الظلام)؟ هراء! هذا الرجل كاذب أو مجنون. إن كان (مُهلك القلب) حُرًّا لكنا جميعًا موتى بحلول هذا الوقت، أو ما هو أسوأ».

قالت (مويرين): «لقد قال (فاين) الحقيقة كما رآها، إنه لا يستطيع أن يكذب عليَّ رغم أنه أخفى الكثير. كانت كلماته كالتالي: بدا (بعلزمون) كلهيب شمعة متراقص، يختفي ويظهر، ولكنه لم يظهر مرتين في نفس المكان. كانت عيناه تكويان (الميردرال) ونيران فمه تجلدنا».

قال (لان): «شيء ما قد دفع بأربعة من (العواتم) إلى حيث يخشون الذهاب، مكان يكاد أن يكون خوفهم منه بقدر خوفهم من غضب (سيد الظلام)».

شهق (أجيلمار) كأن شخصًا ما قد ركله، وبدا عليه أنه يشعر بالغثيان.

أكملت (مويرين) قائلة: «لقد كان الشر في مواجهة الشر في أطلال (شادار لوجوث)؛ الخبث يُقاتل الرجس. عندما تحدث (فاين) عن الأمر كانت أسنانه تصطك وهو ينتحب. لقد قُتِل الكثير من (الترولوكيين) والتهمهم (ماشادار) وأشياء أخرى، بما فيهم (الترولوكيين) الذين كانوا يمسكون بأغلال (فاين). لقد هرب من المدينة كأنما هي (هاوية الهلاك) في (شايول غول).

ظن (فاين) أنه قد صار حرًّا أخيرًا، وكان ينوي أن يهرب حتى لا يتمكن (بعلزمون) من العثور عليه مرة أخرى، إلى نهاية الأرض إن اضطر لهذا. تخيلوا رعبه عندما اكتشف أن إجباره على الصيد لم يضعف، بل على العكس لقد ازداد قوة وحدة يومًا بعد الآخر. لم يتمكن من الأكل إلا ما يتمكن من صيده أثناء تعقبكم، الخنافس والسحالي التي يلتقطها أثناء ركضه، وبقايا شبه عطنة يستخلصها من بين أكوام النفايات في ظلمة الليل. لم يتمكن من التوقف حتى يجعله الإنهاك ينهار كجوال فارغ. وما إن يستعيد قوته للوقوف مرة أخرى حتى يضطر للمضي قدمًا. بحلول الوقت الذي وصل فيه إلى (كايملين) صار قادرًا على الإحساس بطريدته حتى وهي على مسافة ميل منه. هنا في الزنازين بالأسفل كان أحيانًا ما ينظر للأعلى دون أن يُدرك ما يفعله، كان ينظر في الاتجاه الذي توجد به هذه الغرفة».

فجأة أحس (راند) بحكة فيما بين كتفيه، كأن باستطاعته حينها أن يشعر بعيني (فاين) مصوبتين عليه، رغم الأحجار الفاصلة بينهما.

لاحظت (الآيز سيداي) أنه يهز كتفيه في تململ، ولكنها أكملت حديثها بهدوء: «إن كان (فاين) نصف مجنون بحلول الوقت الذي وصل

فيه إلى (كايملين) فإنه غرق أكثر في الجنون عندما أدرك أنه لا يوجد هناك سوى اثنين من الثلاثة الذين يسعى وراءهم. كان مضطرًا للعثور على ثلاثتكم، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئًا سوى اللحاق بالاثنين الموجودين هناك. لقد تحدث عن صراخه عندما فُتحت (بوابة الطريق) في (كايملين)، إن المعرفة بكيفية فعل هذا كانت في عقله، ولم يعرف كيف خطرت على باله. كانت يداه تتحركان من تلقاء نفسيهما، وتحرقه نيران (بعلزمون) عندما يحاول إيقافهما. لقد قتل (فاين) صاحب المتجر الذي جاء لتفقد هذه الضوضاء. ليس لأنه مضطر لهذا، ولكن لأنه كان يحسد الرجل لقدرته على المشي بحرية خارجًا من القبو بينما تُجبره قدماه على الولوج إلى (الطرق)».

قالت (إيجوين): «إذن كان (فاين) هو من أحسستَ به يلحق بنا». أومأ (لان) برأسه. «كيف هرب بين... (الرياح السوداء)؟». اضطرب صوتها فاضطرت لأن تتوقف لتزدرد لعابها قبل أن تقول: «لقد كانت وراءنا مباشرة عند (بوابة الطريق)».

قالت (مويرين): «لقد هرب منها، ولم يهرب. لقد لحقت (الرياح السوداء) به، ويزعم أنه فهم الأصوات، حياه البعض كواحد منهم، بينما شعر الآخرون بالخوف منه، ما إن غلَّفت الرياح (فاين) حتى هربت منه».

همس (لويال): «فليحمِنا (النور)». كان صوته مدمدمًا كنحلة عملاقة.

قالت (مويرين): «فلندعْ أن يحمينا، ما زال هناك الكثير مما يخفيه (بادان فاين)، وهو ما يجب أن أعرفه، فالشر فيه أعمق من أي إنسان قد رأيته وأقوى بكثير. ربما يكون (سيد الظلام) . إثر ما فعله بـ(فاين) . قد زرع جزءًا من نفسه في الرجل، ربما حتى دون أن يعرف بهذا، جزءًا من نواياه. عندما ذكرت (عين العالم) أطبق (فاين) فمه بقوة، ولكني أحسست وراء الصمت بأنه يعرف شيئًا. أتمنى فقط لو كان لديَّ الوقت الكافي، ولكن لا يمكننا الانتظار».

أحنى (أجيلمار) رأسه بالموافقة، ولكن عندما رفعه كان لا يزال هناك شيء من العناد في عينيه وهو يقول: «يمكنني يا (آيز سيداي) أن أقبل أنني عندما أقود الرماح إلى (أخدود تاروين) فإننا لن نكون أكثر من تمويه أو مناوشة على تخوم المعركة الحقيقية. الواجب يحرك الرجال كما يحركهم (النمط) بالتأكيد، وأي منهما لا يعدنا بأن ما نفعله سيؤدي بنا إلى نصر عظيم، ولكن مناوشاتنا ستكون عديمة النفع حتى لو انتصرنا إذا خسرتم معركتكم. تقولين إن مجموعتك يجب أن تكون صغيرة، وأنا أقول لا بأس بهذا، ولكنني أتوسل لكِ أن تبذلي قصارى جهدك من أجل النصر. اتركي هؤلاء الفتية هنا يا (آيز سيداي)، أقسم لكِ أنني سأجد لكِ بدلًا منهم ثلاثة رجال متمرسين بلا أي فكرة عن مجد شخصي في رؤوسهم، مبارزين بارعين في القتال في (البلاء العظيم) بمثل براعة (لان) تقريبًا. دعيني أزحف إلى (الأخدود) وأنا أعرف أني فعلت ما بوسعي لمساعدتكِ على الانتصار».

قالت (مويرين) بلطف: «يجب أن آخذ ثلاثتهم، ولا أحد سواهم يا لورد (أجيلمار)، هم من سيخوضون المعركة عند (عين العالم)».

فغر (أجيلمار) فاه وهو يحدق إلى (راند) و(مات) و(بيرين). فجأة تراجع لورد (فال دارا) خطوة إلى الوراء ويداه تتحسسان بلا وعي بحثًا عن السيف الذي لا يحمله مُطلقًا داخل قلعته. «إنهم ليس... أنتِ لست (آجاه حمراء) يا (مويرين سيداي)، ولكن بالتأكيد حتى أنتِ لا يُمكنك...». وفجأة لمع العرق على رأسه الحليق.

قالت (مويرين) بسلاسة: «إنهم (تافيرين)، (النمط) ينسج نفسه من حولهم، لقد حاول (سيد الظلام) بالفعل أن يقتل كل واحد منهم أكثر من مرة. إن وجود ثلاثة (تافيرين) في مكان واحد لهو بالتأكيد أمر كافٍ لتغيير الحياة من حولهم كما تغير الدوامة مسار قشة على سطح الماء. عندما يكون المكان هو (عين العالم) فقد ينسج (النمط) في ذاته حتى (أبا الأكاذيب) نفسه، ويجعله عديم الضرر مرة أخرى».

توقف (أجيلمار) عن محاولة البحث عن سيفه ولكنه ظل ينظر إلى (راند) والآخرين في ريبة وهو يقول: «إن قلتِ إنهم كذلك فهم كذلك يا (مويرين سيداي)، ولكني لا أستطيع رؤية الأمر. إنهم مجرد فتية قرويين، هل أنتِ واثقة يا (آيز سيداي)؟».

قالت (مويرين): «الدماء القديمة تنقسم كنهر يتفرق إلى آلاف الجداول، ولكن أحيانًا ما تتحد الجداول معًا لتصنع نهرًا من جديد. إن دماء (مانثيرن) القديمة قوية ونقية في هؤلاء الفتية الثلاثة تقريبًا. هل يمكنك أن تشك في قوة دماء (مانثيرن) يا لورد (أجيلمار)».

نظر (راند) من طرف عينه إلى (الآيز سيداي)؛ *الثلاثة تقريبًا*؟ غامر بإلقاء نظرة نحو (ناينيف)، كانت قد عادت إلى المراقبة وإصغاء السمع، رغم أنها كانت لا تزال تتحاشى النظر إلى (لان). استطاع أن يلمح عيني الحكيمة، كانت تهز رأسها. إنها لم تخبر (الآيز سيداي) أنه لم يُولد في (النهرين)، *ما الذي تعرفه (مويرين)*؟

قال (أجيلمار) ببطء وهو يومئ برأسه: «لا أجرؤ على التشكيك في دماء (مانثيرن)». ثم أضاف على الفور: «(عجلة الزمن) تجلب لنا أوقاتًا غريبة. فتية مزارعين يحملون شرف (مانثيرن) إلى (البلاء العظيم)، ولكن إن كان هناك أي دماء يمكنها أن تضرب (سيد الظلام) ضربة قاضية فستكون دماء (مانثيرن). فليكن الأمر كما تشائين يا (آيز سيداي)».

قالت (مويرين): «إذن دعنا نذهب إلى غرفنا، يجب أن نرحل مع أول ضوء للشمس، الوقت ينفد منا. يجب على الفتية أن يناموا بالقرب مني، لقد اقترب وقت المعركة كثيرًا، فلا يمكن أن نسمح لـ(سيد الظلام) بمهاجمتهم مرة أخرى. اقترب الوقت كثيرًا».

أحس (راند) بعينيها مصوبتين نحوه، تتفحصه هو وصديقيه، تقيم قوتهم، فانتابته قشعريرة. اقترب الوقت كثيرًا.

الفصل الثامن والأربعون

البلاء العظيم

كانت عباءة (لان) تخفق في الرياح، مما جعل من الصعب رؤيته حتى في ضوء الشمس. (إنجتار) والرماح المئة الذين أرسلهم لورد (أجيلمار) لاصطحابهم إلى (الأراضي الحدودية) . في حال أن التقوا بغارة من (الترولوكيين) . شكلوا استعراضًا عسكريًّا شجاعًا من طابورين مع دروعهم وأعلامهم الحمراء وخيولهم المدرعة بالفولاذ، يتقدمهم (إنجتار) ورايته التي تحمل البومة الرمادية. كانوا في عظمة مئة من (حرس الملكة)، ولكن (راند) كان مشغولًا بتفحص الأبراج التي تلوح أمامه في الأفق. كان لديهم الصباح بالكامل لمراقبة رماح (شاينار).

كان كل برج عاليًا وصلبًا على قمة تل، بينه وبين البرج الذي يجاوره نصف ميل. كان هناك أبراج أخرى إلى الشرق والغرب، والمزيد من الأبراج من ورائها. كان هناك منحدر عريض محاط بالأسوار، يدور حول كل برج، حتى يصل إلى البوابة الثقيلة المؤدية إلى القمة المحصنة. سيوفر السور حماية لأي حامية تهجم من البرج حتى تصل الأرض، ولكن العدو سيعاني كي يصل إلى البوابة تحت وابل من الأسهم والأحجار والزيت الساخن من الغلايات الضخمة الموضوعة على الحواجز الخارجية المشتعلة بالأعلى. كان هناك مرآة فولاذية ضخمة موجهة في تلك اللحظة بحرص للأسفل

بعيدًا عن الشمس، تلمع على قمة كل برج أسفل الوعاء المعدني المرتفع، حيث يُمكن إشعال نيران الإشارة في حال أن كانت الشمس قد غربت. حينها تومض الإشارة إلى الأبراج الأبعد على طول (الأراضي الحدودية)، ومن هذه الأبراج إلى أبراج أخرى، حتى تصل إلى قلاع قلب المملكة، ومن هناك ستزحف الرماح لتصد الغارة. أو كان هذا ما سيفعلونه في الأوقات الطبيعية.

من قمة أقرب برجين كان الرجال يراقبونهم وهم يقتربون، عدد قليل من الرجال في كل برج يطلون بفضول عبر التحصينات. في أحسن الأحوال لا يكون في كل برج من الرجال إلا ما يكفي للدفاع عن النفس، معتمدين على الجدران الحجرية أكثر من القوة الجسدية من أجل النجاة، ولكن كل رجل يُمكن الاستغناء عنه أكثر كان متوجهًا نحو (أخدود تاروين). إن سقوط الأبراج لن يكون مهمًّا إن فشلت الرماح في الدفاع عن (الأخدود).

ارتجف (راند) وهم يمرون فيما بين البرجين، كان الأمر أشبه باجتياز جدار من هواء بارد، هذه هي (الأراضي الحدودية). كانت الأرض من ورائها لا تختلف كثيرًا عن (شاينار)، ولكن هناك في مكان ما وراء الأشجار العارية يوجد (البلاء العظيم).

رفع (إنجتار) قبضته الفولاذية لإيقاف الرماح على مسافة قصيرة من عمود حجري تقليدي يُمكن رؤيته من الأبراج، عمود حدودي يُمثل الحدود ما بين (شاينار) وما كان ذات يوم (مالكير). «أستميحك عذرًا يا (مويرين آيز سيداي)، المعذرة يا (داي شان)، المعذرة أيها (البناء)، لقد أمرني لورد (أجيلمار) بألا أبتعد أكثر من هذا». بدا غير راضٍ عن هذا، ساخطًا على الحياة بوجهٍ عام.

قالت (مويرين): «هذا ما خططنا له مع لورد (أجيلمار)».

تنهَّد (إنجتار) بمرارة وقال: «المعذرة يا (آيز سيداي)». كان يعتذر ولكن لم يبدُ أن هذا نابع من قلبه. «إن اصطحابكم إلى هنا يعني أننا قد لا نصل إلى (الأخدود) قبل أن يبدأ القتال، لقد سُلِبت مني فرصة القتال مع الآخرين، وفي الوقت ذاته أُمرت بألا أخطو خطوة واحدة وراء هذا العمود الحدودي، كأنني لم أذهب إلى (البلاء العظيم) من قبل، وسيدي اللورد (أجيلمار) لم يُخبرني لماذا». من وراء قضبان درع وجهه حولت عيناه كلمته الأخيرة إلى سؤال موجه إلى (الآيز سيداي). نظر بازدراء إلى (راند) والآخرين، فقد عرف أنهم سيصحبون (لان) إلى (البلاء العظيم).

تمتم (مات) مُخاطبًا (راند): «يمكنه أن يذهب بدلًا منا». نظر إليهما (لان) نظرة حادة فأطرق (مات) بعينيه واحتقن وجهه بالدماء.

قالت (مويرين) بحزم: «كل منا له دوره في (النمط) يا (إنجتار)، ومن هنا يجب أن نغزل دورنا بمفردنا».

كانت الحناءة (إنجتار) متيبسة وليس بسبب دروعه فحسب، بينما يقول: «كما تشائين يا (آيز سيداي)، يجب أن أترككم الآن وأتوجه مسرعًا لكي أصل إلى (أخدود تاروين)، على الأقل... سيُسمح لي... بمواجهة (الترولوكيين) هناك».

سألته (نائينيف): «هل أنت متلهف إلى هذه الدرجة حقًّا؟ أعني لمقاتلة (الترولوكيين)؟».

نظر إليها (إنجتار) نظرة متحيرة، ثم نظر إلى (لان) كأنما (الحامي) يُمكن أن يشرح له الأمر، ثم قال ببطء: «هذا هو ما أفعله يا سيدتي، وهذا سببُ وجودي». ثم رفع يده المغطاة بالقفاز نحو (لان) وكف يده مفتوحة تجاه (الحامي) وهو يقول: «سوراڤي نينتو مانشيما تايشيتي (داي شان)، فليبارك السلام سيفك». ثم أدار (إنجتار) حصانه وتوجه نحو الشرق برايته ورماحه المئة. كانوا يمشون ولكنهم يتحركون بوتيرة ثابتة بأقصى سرعة

يمكن للخيول المدرعة أن تتحملها مع المسافة الطويلة التي ما زال عليهم أن يقطعوها.

قالت (إيجوين): «يا له من شيء غريب لقوله. لمَ يستخدمون هذه الكلمة هكذا؟ أعني السلام».

أجابها (لان) وهو يحث (ماندارب) على الحركة: «عندما يكون هناك شيء لا تطمحين إلا لأن تحلمي به يُصبح حينها أقرب ما يكون إلى تميمة تحفظك».

بينما (راند) يلحق بـ(الحامي) وراء العمود الحدودي الحجري التفت في سرجه لينظر وراءه مراقبًا (إنجتار) ورماحه يختفون وراء الأشجار العارية، واختفاء العمود الحدودي، وآخر الأبراج تطل على الأشجار من فوق قمم التلال. سرعان ما صاروا وحدهم متوجهين شمالًا تحت قمم أشجار الغابة الخالية من الأوراق. غرق (راند) في صمت حذر، ولأول مرة لم يكن لدى (مات) ما يقوله.

هذا الصباح فُتحت بوابات (فال دارا) مع بزوغ الفجر. كان لورد (أجيلمار) قد ارتدى دروعه وخوذته فصار مثل جنوده، وتقدمهم براية الصقر الأسود، وراية الثعالب الثلاثة، متوجهًا من البوابة الشرقية نحو الشمس، التي كانت لا تزال مجرد بصيص أحمر فوق قمم الأشجار. زحف الجيش في طابور كثعبان فولاذي يشق طريقه متموجًا خارجًا من البلدة، كل أربعة جنود جنبًا إلى جنب، وقد اختفى رأسه الذي يتقدمه (أجيلمار) في الغابة قبل أن يخرج ذيله من حصن (فال دارا). لم يكن هناك هتافات في الشوارع لتحثهم على المضي قدمًا، لم يكن هناك سوى طبولهم وأعلامهم التي تخفق مع الريح، ولكن أعينهم كانت تنظر نحو الشمس المشرقة بعزيمة. ناحية الشرق سينضمون إلى ثعابين فولاذية أخرى، من (فال موران) يتقدمهم الملك (إيسار) نفسه وأبناؤه إلى جانبه، ومن (أنكور دايل) التي تدافع عن (التخوم الشرقية) وتحمي (فقار العالم)، ومن

(موس شيرار)، و(فال سيون)، و(كامرون كان)، وكل القلاع الأخرى في (شاينار)، عظمى كانت أو صغرى. اتحدوا جميعًا ليشكلوا أفعوانًا عظيمًا، ومن ثم زحفوا شمالًا نحو (أخدود تاروين).

بدأ زحف جماعي آخر في نفس الوقت تقريبًا باستخدام (بوابة المللك) التي تؤدي إلى الخارج نحو (فال موران)، عربات صغيرة وكبيرة، وأناس على متن خيول، وأُناس يمشون على أقدامهم، يجرون وراءهم ماشيتهم ويحملون أطفالهم على ظهورهم، ووجوههم قاتمة كظلال الصباح. إن كرههم لمغادرة بيوتهم ربما إلى الأبد جعلهم يبطئون، ولكن الخوف كان يحثهم على الإسراع، لذا كانوا يتحركون بوتيرة غير منتظمة، فيجرون أقدامهم ثم يهرولون لعشرات الخطوات قبل أن يُبطئوا مرة أخرى ليجروا أقدامهم عبر الغبار. عدد قليل منهم توقف خارج البلدة ليراقب الجنود المدرعين يزحفون عبر الغابة. لمع الأمل في بعض الأعين، وراحوا يصلون في تمتمات خافتة؛ صلوات للجنود، وصلوات لأنفسهم، قبل أن يولوا وجوههم جنوبًا مرة أخرى ويجروا أقدامهم.

خرج أصغر طابور من (بوابة مالكير)، تاركًا وراءه القلة الذين تبقوا من الجنود، وعدد قليل للغاية من المسنين الذين ماتت زوجاتهم، وأبناؤهم البالغون يشقون طريقهم ببطء نحو الجنوب. عدد قليل للغاية من الجنود، بحيث أنه مهما حدث في (أخدود تاروين) فإن (فال دارا) لن تسقط دون الدفاع عنها. كانت راية (إنجتار) التي تحمل شعار البومة الرمادية تتقدمهم، ولكن كانت (مويرين) هي من أخذتهم شمالًا، أهم طابور على الإطلاق وأكثرهم يأسًا.

لساعة على الأقل بعد أن عبروا العمود الحدودي لم يكن هناك أي تغير في الأرض أو الغابة. أبقاهم (الحامي) في وتيرة سريعة، بأسرع ما يمكن للأحصنة أن تتحمله على المدى البعيد، ولكن (راند) ظل يتساءل متى سيصلون إلى (البلاء العظيم). صارت التلال أكثر ارتفاعًا بعض الشيء، ولكن الأشجار والنباتات المتسلقة والشجيرات لم تكن مختلفة عما قد رآه

في (شاينار)، جميعها رمادية وعارية من الأوراق. بدأ يشعر ببعض الدفء، دفء كافٍ لأن يعلق عباءته على مقبض سرجه.

قالت (إيجوين) وهي تخلع عباءتها: «هذا أفضل طقس نشعر به هذا العام».

هزَّت (ناينيف) رأسها وعقدت حاجبيها كأنما تُصغي إلى الريح ثم قالت: «لا يبدو طبيعيًّا».

أومأ (راند) برأسه، كان باستطاعته أن يشعر بالأمر بدوره، رغم أنه لا يستطيع أن يفسر شعوره بالضبط. الشيء غير الطبيعي علاوة على كونه أول دفء يمكن أن يتذكر أنه شعر به خارج البيت هذا العام هو ببساطة حقيقة أنه لا يجب أن يكون الجو دافئًا هكذا في أقصى الشمال. لا شك أنهم في (البلاء العظيم)، ولكن الأرض كانت هي نفسها.

ارتفعت الشمس أكثر في السماء. كرة حمراء لا يُمكنها أن تمنح مثل هذا الدفء رغم كون السماء صافية. بعد قليل فك أزرار معطفه وبدأت قطرات من العرق تسيل على وجهه.

لم يكن وحده كذلك، فقد خلع (مات) معطفه ليظهر الخنجر الذهبي الياقوتي بوضوح، ثم مسح وجهه بطرف وشاحه. رمش بعينيه وهو يعقد الوشاح على جبينه ويخفضه على عينيه. راحت (ناينيف) و(إيجوين) تحركان يديهما أمام وجهيهما لدفع بعض الهواء، وكانت كل واحدة منهما تمتطي حصانها بخمول كأنها على وشك الانهيار. فك (لويال) أزرار سترته عالية الياقة وأزرار قميصه كذلك. كان (للأوجير) شريطًا ضيق من الشعر في منتصف صدره، سميك كالفراء، وراح يتمتم بالاعتذار لمن هم حوله.

«أرجو المعذرة، فـ(ملاذ شانجتاي) بارد ويقع في الجبال». انتفخت فتحتا أنفه العريض وهو يستنشق الهواء الذي يزداد دفءً بمرور الوقت. «لا أحب هذه الحرارة ولا هذه الرطوبة».

أدرك (راند) أن الجو رطب بالفعل، أحس وكأنه في مستنقع (الماير) في (النهرين) في ذروة الصيف. في ذلك المستنقع الرطب يستنشق كل نفس كأنما عبر بطانية قد نُقعت في ماء ساخن. لم يكن هناك أي أرض موحلة في ذلك المكان، بل القليل من البرك والجداول تبدو كقطرات بالنسبة لشخص قد اعتاد غابة الماء، ولكن الهواء يبدو كهواء (الماير). لم يكن هناك أحد يتنفس بسهولة سوى (الحامي) و(بيرين) الذي لا يزال يرتدي معطفه.

لم يعد هناك إلا قليل من الأوراق في الشجر الذي لم يكن دائم الخضرة. مد (راند) يده ليلمس غصنًا ثم أوقفها على مسافة قريبة منه. الأوراق الحمراء حديثة العهد غزتها بقع صفراء وسوداء كالمرض.

قال (الحامي) بصوت خافت: «أمرتكم ألا تلمسوا شيئًا». كان لا يزال يرتدي عباءته متبدلة الألوان كأن الحرارة لا تؤثر عليه مثلما لا يتأثر بالبرودة، وبدا الأمر كأن وجهه صارم الملامح يطفو بلا دعامة فوق ظهر (ماندارب). «يمكن للزهور أن تقتلك في (البلاء العظيم)، ويمكن للأوراق أن تجرحك. هناك شيء صغير يُدعى العصا يُمكنه أن يختبئ حيث تكون الأوراق أكثر كثافة، وهيئته كاسمه، ينتظر شيئًا ما أن يلمسه، وعندما يلمسه يعضه. لا يوجد سم، ولكن العصارة تبدأ في هضم ضحية العصا من أجله، الشيء الوحيد الذي يمكنه أن ينقذك هو أن تبتر الذراع أو الساق التي عضها، ولكن العصيَّ لن تعضك ما لم تلمسها أولًا، غير أن أشياء أخرى في (البلاء العظيم) ستفعل هذا».

أبعد (راند) يده بعنف دون أن يلمس الأوراق وراح يمسحها في سرواله.

قال (بيرين): «إذن فنحن في (البلاء العظيم)؟». الغريب أنه لم يبدُ خائفًا.

قال (لان) بوجوم: «نحن على مشارفه فقط». واصل حصانه التقدم، بينما يتحدث من فوق كتفه: «(البلاء العظيم) الحقيقي لا يزال أمامنا. هناك أشياء في (البلاء العظيم) تصطاد بالصوت، وبعضها قد يتجول

جنوبًا إلى هذا الحد. أحيانًا ما يعبرون (جبال دهوم). أشياء أسوأ بكثير من العصي، فابقوا هادئين ولا تتخلفوا عن الركب إن كنتم ترغبون في البقاء على قيد الحياة». واصل السير بوتيرة سريعة دون أن ينتظر ردًّا.

ميلًا تلو الآخر صار فساد (البلاء العظيم) أكثر وضوحًا، الأوراق التي تغطي الأشجار صارت أكثر كثافة عن ذي قبل، ولكنها ملطخة ببقع سوداء وصفراء، مع خطوط حمراء زاهية كدماء سامة. بدت كل ورقة منتفخة وكذلك كل غصن متسلق، كأنما على وشك الانفجار مع أقل لمسة. كانت الزهور تتدلى من الأشجار والأعشاب كمحاكاة ساخرة للربيع، شاحبة ولزجة بشكل مقزز، تغطي أشياء بدت وكأنها تتعفن، بينما (راند) يُراقبها. عندما يتنفس عبر أنفه تخنقه رائحة التعفن النفاذة وتثير غثيانه، وعندما يحاول أن يتنفس عبر فمه يكاد أن يتقيأ. كان للهواء طعم كاللحم الفاسد، كانت حوافر الخيل تصنع صوت انسحاق خافت مع تهشم الأشياء المتعفنة من تحتها.

مال (مات) من سرجه وتقيأ حتى فرغت معدته، فكر (راند) في الخواء، ولكن الهدوء لم يساعده كثيرًا في التخلص من العصارة الحارقة التي تواصل التسلق إلى حلقه. سواء كانت معدة (مات) فارغة أم لا إلا أنه تقيأ مرة أخرى بعد أنا قطعوا ميلًا. ومرة أخرى بعد ذلك. بدت (إيجوين) وكأنها على وشك التقيؤ بدورها وهي تزدرد لعابها باستمرار، وكان وجه (ناينيف) قناعًا شاحبًا من الإصرار، وقد أطبقت فمها، وعيناها مثبتتان على ظهر (مويرين). لن تعترف الحكيمة بالإحساس بالغثيان ما لم تعترف (الآيز سيداي) بهذا أولًا، ولكن (راند) لم يعتقد أنها ستكون مضطرة للانتظار طويلًا، فقد كانت (مويرين) تضيق عينيها وكانت شفتاها شاحبتين.

رغم الحرارة والرطوبة إلا أن (لويال) لف وشاحًا حول أنفه وفمه. وعندما بادله (راند) النظر لاحظ أن غضب (الأوجير) واشمئزازه واضحان في عينيه. بدأ حديثه قائلًا: «لقد سمعت...». كتم الصوف صوته فاضطر لأن يتوقف لكي ينظف حلقه متجهمًا. «تفو! إن مذاقها مثل... تفو! لقد

سمعت وقرأت عن (البلاء العظيم)، ولكن لا شيء يُمكنه أن يصف...». أشار بيده بشكل ما إلى الرائحة وكذلك إلى النباتات المثيرة للغثيان. «حتى (سيد الظلام) لا يُفترض به أن يفعل مثل هذا بالأشجار! تفو!».

لم يكن (الحامي) متأثرًا بالطبع، أو على الأقل هذا ما رآه (راند)، ولكن لدهشته لم يكن (بيرين) متأثرًا أيضًا، أو على الأقل ليس مثل بقيتهم. كان الشاب الضخم يحدق إلى الغابة القميئة التي يقطعونها مثلما قد ينظر إلى عدو، أو راية عدو. كان يتحسس فأسه المعلق بحزامه كأنما لا يُدرك ما يفعله، وهو يتمتم لنفسه نصف مزمجرًا بطريقة جعلت الشعر يقف على عنق (راند). حتى في وضح النهار كانت عيناه تتوهجان بشكل ذهبي شرس.

لم تنحسر الحرارة حتى عندما بدأت الشمس الدامية تنخفض عند الأفق. وعلى مرمى البصر نحو الشمال ارتفعت الجبال أعلى من (جبال الضباب)، وتبدو سوداء على صفحة السماء. أحيانًا ما تهب رياح ثلجية من القمم الحادة البعيدة بما يكفي لأن تصلهم. كانت الرطوبة الحارقة تمتص معظم برودة الجبال، ولكن ما تبقى يُمكن مقارنته ببرودة الشتاء، بالمقارنة مع الحرارة الشديدة التي حلَّ محلها، ولو للحظة واحدة. بدا أن العرق على وجه (راند) يتحول في لحظة إلى حبيبات من الجليد، وعندما تتوقف الرياح تذوب الحبيبات مرة أخرى لتسيل في خطوط غاضبة على وجنتيه، وتعود الحرارة الخانقة أقوى من ذي قبل مقارنة بالبرودة. في اللحظات التي تطوقهم فيها الرياح فإنها تجرف الرائحة الكريهة بعيدًا، لكن هذا لم يكن يخفف عنه، فقد كانت البرودة تحمل معها قشعريرة القبر، وتحمل الرائحة المغبرة العفنة لمقبرة قد فُتحت للتو.

قال (لان): «لا يمكننا أن نصل إلى الجبال بحلول الليل، ومن الخطير التحرك ليلًا حتى بالنسبة لـ(حامٍ) وحيد».

قالت (مويرين): «يوجد مكان ليس ببعيد عن هنا، وسيكون فألًا حسنًا بالنسبة لنا أن نخيم هناك».

نظر إليها (الحامي) نظرة خاوية ثم أومأ برأسه على مضض وقال: «أجل، يجب علينا أن نخيم في مكان ما، لذا فقد يكون من الأفضل أن نخيم هناك».

قالت (مويرين): «(عين العالم) كانت وراء الممرات الجبلية العالية عندما عثرت عليها. من الأفضل أن نقطع (جبال دهوم) في وضح النهار، عند الظهيرة. عندما تكون قوى (سيد الظلام) في أضعف حالاتها في هذا العالم».

قالت (إيجوين) مخاطبة (الآيز سيداي): «أنتِ تتحدثين وكأن (عين العالم) لا تكون دومًا في نفس المكان».

ولكن كان (لويال) هو من أجابها قائلًا: «لم يعثر عليها اثنان من بين (الأوجير) في نفس المكان، يبدو أن (الرجل الأخضر) يكون موجودًا حيث يكون هناك من هو بحاجة إليه. ولكنه دومًا ما يكون بين الممرات الجبلية العالية. إن هذه الممرات غادرة وتكمن فيها مخلوقات (سيد الظلام)».

قال (لان): «يجب أن نصل إلى الممرات قبل أن نحتاج إلى القلق بشأن هذه المخلوقات. غدًا سنكون حقًّا في (البلاء العظيم)».

تلفَّت (راند) وهو ينظر إلى الغابة من حوله، كل ورقة وزهرة مريضة، كل غصن متسلق يتحلل بينما ينمو، ولم يستطع منع نفسه من الارتجاف. *إن لم يكن هذا هو (البلاء العظيم) حقًا، فما هو؟*

اقتادهم (لان) غربًا نحو الشمس الغاربة تقريبًا، وحافظ (الحامي) على وتيرة الحركة التي حددها من قبل. ولكن كان هناك هالة من عدم الرضا تحيط به.

كانت الشمس كرة حمراء كئيبة تكاد أن تلمس قمم الأشجار عندما صعدوا أحد التلال وجذب (الحامي) لجام حصانه. من ورائهم نحو الشرق تقع شبكة من البحيرات التي يتلألأ ماؤها بشكل مظلم مع أشعة الشمس

الآفلة، كخرز بأحجام متباينة في عقد من خيوط عديدة. في الأفق تطوق البحيرات تلال ذات قمم حادة، تبدو داكنة مع زحف ظلال المساء. للحظة سقطت أشعة الشمس على القمم المتكسرة فحبس (راند) أنفاسه، لم تكن تلالًا، بل بقايا الأبراج السبعة المتحطمة، لم يكن واثقًا إن كان أي من الآخرين قد رأى هذا، فقد اختفى المشهد على الفور كما بزغ على الفور. ترجل (الحامي) عن حصانه ووجهه صلب كالحجر.

سألته (ناينيف) وهي تمسح وجهها بمنديلها: «ألا يمكننا أن نخيم بالأسفل بالقرب من البحيرات؟ لا شك أن الجو سيكون أكثر برودة بالقرب من الماء».

قال (مات): «بحق (النور)، يمكنني أن أغمس رأسي في واحدة منها، وربما لا أخرجه أبدًا».

حينها فقط شيء ما جعل الماء يتموج في أقرب البحيرات لهم، ومض الماء الداكن بشكل فسفوري بينما جسم ضخم يتلوى تحت السطح. ظهرت تموجات على سطح الماء وهي تنتشر وتموج حتى برز في نهاية المطاف ذيل بطرف مدبب كذنب دبور، لاح للحظة في الشفق بارتفاع خمسة باعات في الهواء على الأقل. على طول هذا الذيل كان هناك مجسات سمينة تتلوى كديدان وحشية أو كأرجل أم أربعة وأربعين. انزلق ببطء تحت السطح واختفى، ولم يتبقَّ شيء يشي بأنه كان موجودًا إلا التموجات المتلاشية.

أطبق (راند) فمه وتبادل نظرة مع (بيرين)، كان الذهول يبدو في عيني (بيرين) الصفراوين كما يعرف أنه كان في عينيه بلا شك. لا شيء بهذه الضخامة يُمكن أن يعيش في بحيرة بهذا الحجم، من المستحيل أن تكون هذه أيادي على تلك المجسات، هذا مستحيل.

قال (مات) بضعف: «بالتفكير في الأمر أُفضل لو بقينا هنا».

قالت (مويرين): «سأضع تعاويذ حامية حول هذا التل». كانت قد ترجلت بالفعل عن (آلديب). «إن أي حاجز حقيقي سيجذب الانتباه الذي لا نريده كما يجذب العسل الذباب. ولكني سأعرف إن اقترب أي مخلوق من مخلوقات (سيد الظلام)، أو أي شيء يخدم (الظل) مسافة ميل منا».

قال (مات) وحذاؤه يلمس الأرض: «سأكون أكثر سعادة مع الحاجز ما دام يُبقي هذا الـ... هذا الشيء على الجانب الآخر».

قالت (إيجوين) بحدة كما تتحدث (نانيف) أحيانًا: «فلتصمت يا (مات). هذا يعني أن يكونوا على انتظارنا على الجانب الآخر عندما نغادر في الصباح. أنت أحمق يا (ماترم كاوثون)». حدج (راند) المرأتين بنظره بينما تترجلان عن حصانيهما ولكنه أبقى فمه مغلقًا.

تبادل (راند) ابتسامة مع (بيرين) بينما يُمسك بلجام (بيلا)، لقد بدا الأمر للحظة وكأنما قد عادوا إلى الديار عندما قال (مات) ما لم يجب أن يقوله في أسوأ وقت ممكن. ثم تلاشت الابتسامة من على وجه (بيرين)، فقد كانت عيناه تتوهجان في الشفق وكأن هناك ضوءًا أصفر من ورائهما. تلاشت ابتسامة (راند) بدوره، لم يكن الأمر يُشبه كونهم في الديار على الإطلاق.

(راند) و(مات) و(بيرين) ساعدوا (لان) في حل السروج وربط الخيول، بينما بدأ البقية في إعداد المخيم. تمتم (لويال) بشيء لنفسه وهو يجهز موقد (الحامي) الصغير، ولكن أصابعه الغليظة كانت تتحرك بشكل ماهر. كانت (إيجوين) تدندن وهي تملأ غلاية الشاي من قربة الماء المنتفخة. لم يعد (راند) متعجبًا من إصرار (الحامي) على جلب هذا العدد الكبير من قِرَب الماء.

قيَّد حصانه بجانب بقية الخيول وهو يحل أكياس سرجه ولفافة بطانياته من وراء السرج، ثم التفت وتوقف مع وخزة من خوف؛ كان (الأوجير) والنساء قد اختفوا، وكذلك الموقد، وكل السلال الخيزرانية التي كان يحملها حصان البضائع. كانت قمة التل خالية إلا من ظلال المساء.

بيد متخدلة راح يتحسس بحثًا عن سيفه وهو يسمع (مات) يسب بصوت خافت، بينما كان (بيرين) قد استل فأسه، ورأسه الأشعث يتلفت بحثًا عن الخطر.

تمتم (لان): «رعاة أغنام». وبلا اكتراث خطا (الحامي) عبر قمة التل، ومع خطوته الثالثة اختفى.

تبادل (راند) النظر بعينين متسعتين مع (مات) و(بيرين)، ثم أسرع ثلاثتهم إلى حيث اختفى (الحامي). فجأة توقف (راند) في موضعه وانزلق خطوة للأمام قبل أن يصطدم (مات) بظهره. رفعت (إيجوين) عينيها من حيث كانت تضع الغلاية على الموقد الصغير. كانت (ناينيف) تُغلق غطاء ثاني مصباح قد أشعلته. كانوا جميعًا هناك، (مويرين) تجلس معقودة الساقين، و(لان) متكئًا على مرفقه، و(لويال) يُخرج كتابًا من حقيبته.

نظر (راند) وراءه بحذر، كان جانب التل هناك كما هو، والأشجار كثيفة الظلال، والبحيرات التي تغرق في الظلمة. كان خائفًا من أن يخطو خطوة للوراء، خائفًا من أن يختفوا مرة أخرى، وربما هذا المرة لن يكون قادرًا على إيجادهم. دار بحذر من حولهم بينما تنفس (بيرين) الصعداء.

لاحظت (مويرين) أن ثلاثتهم يقفون هناك فاغري الأفواه، بدا (بيرين) خجلًا وهو يُعيد فأسه إلى حلقة حزامه الثقيل، كأنما يعتقد أنه ربما لم يلاحظه أحد. ظهرت ابتسامة على شفتيها وهي تقول: «إنه أمر بسيط، منحنى في الهواء، حتى إن أي شخص سينظر إلينا سيرى ما حولنا بدلًا من رؤيتنا. لا يمكن أن نسمح للأعين التي ستكون هناك بأن ترى ضوءنا في الليل، و(البلاء العظيم) ليس مكانًا يمكنك أن تمكث في الظلام فيه».

قالت (إيجوين) بعينين لامعتين: «تقول (مويرين سيداي) إنني قد أكون قادرة على فعل هذا، تقول إن بإمكاني التعامل مع القدر الكافي من (القوة الواحدة) الآن».

قالت (مويرين) محذرة: «ليس بدون تدريب يا طفلتي، أبسط الأشياء المتعلقة بـ(القوة الواحدة) يُمكن أن تكون خطيرة بالنسبة لغير المتدرب، وبالنسبة لمن هم حوله». تنهد (بيرين) ساخرًا، بينما بدا على (إيجوين) أنها شعرت بالحرج، وتساءل (راند) إن كانت بالفعل تجرب قدراتها.

وضعت (ناينيف) المصباح جانبًا، وقد انبعث عن المصباحين مع لهب الموقد ما يكفي من الضوء. قالت بحرص: «عندما تذهبين إلى (تار ڤالون) يا (إيجوين) فربما سأذهب معك». النظرة التي منحتها لـ(مويرين) كانت دفاعية بشكل كبير. «سيكون من مصلحتها أن ترى وجهًا مألوفًا بين الغرباء، ستحتاج لشخص ينصحها بجانب (الآيز سيداي)».

قالت (مويرين) ببساطة: «ربما سيكون هذا أفضل أيتها الحكيمة».

ضحكت (إيجوين) وصفقت بيديها وهي تقول: «أوه، هذا سيكون رائعًا. وأنت يا (راند)، ستأتي أيضًا، أليس كذلك؟». توقف في موضعه وهو يجلس أمام الموقد على الناحية المقابلة لها، ثم أكمل جلوسه ببطء. لم يعتقد أن عينيها كانتا من قبل بمثل هذا الاتساع، أو بمثل هذا اللمعان، أو أنهما كانتا من قبل كبركتين يمكنه أن يغرق فيهما. توردت وجنتاها وضحكت ضحكة أقصر ثم قالت: «(بيرين)، (مات)، أنتما الاثنان ستأتيان، أليس كذلك؟ سنكون جميعًا معًا». تنهد (مات) مما قد يشي بأي شيء، واكتفى (بيرين) بأن هز كتفيه، ولكنها اعتبرت هذا موافقة منهما. «أرأيت يا (راند)؟ سنكون جميعًا معًا».

بحق (النور)، يُمكن للمرء أن يغرق في هاتين العينين ويكون سعيدًا بهذا.
تنحنح في حرج وقال: «هل لديهم خراف في (تار ڤالون)؟ هذا هو كل ما أعرفه، رعي الأغنام وزراعة الطباق».

قالت (مويرين): «أعتقد أنني يمكنني أن أجد لك شيئًا لتفعله في (تار فالون)، لكم جميعًا. ربما لن يكون رعي الأغنام، ولكنه سيكون شيئًا مثيرًا للاهتمام».

قالت (إيجوين) كأنما الأمر قد حُسم: «أرأيتم؟ كنت أعرف هذا، سأجعلك (الحامي) الخاص بي عندما أصير (آيز سيداي). سيعجبك أن تكون (حاميًا)، أليس كذلك؟ (الحامي) الخاص بي؟». بدت واثقة من نفسها ولكنه رأى السؤال في عينيها، إنها تريد إجابة، تحتاج إليها.

قال لها: «سأود أن أكون (الحامي) الخاص بكِ». *إنها ليست لك، وأنت لست لها. لمَ كان على (مين) أن تُخبرني بهذا؟*

خيم الظلام بثقل وكان الجميع متعبين، كان (لويال) أول من استلقى واستعد للنوم، ولكن سرعان ما لحق به الآخرون. لم يستخدم أحد بطانياته إلا كوسادة. كانت (مويرين) قد وضعت شيئًا في زيت المصابيح خفف من رائحة (البلاء العظيم) الكريهة على قمة التل، ولكن لم يكن هناك شيء يخفف من الحرارة. كان القمر يبعث ضوءً شاحبًا ومتباينًا، ولكن بسبب حرارة الليل بدا وكأن الشمس في ذروتها.

وجد (راند) أن النوم مستحيل، حتى مع وجود (الآيز سيداي) على مسافة أقل من باع منه لتحمي أحلامه، كان الهواء الخانق هو ما يُبقيه مستيقظًا. كان غطيط (لويال) الرتيب مدويًا، مما جعل غطيط (بيرين) يبدو غير موجود، ولكن هذا لم يمنع التعب من التغلب على الآخرين. كان (الحامي) لا يزال مستيقظًا، جالسًا على مسافة غير بعيدة منه، واضعًا سيفه على ركبتيه وهو يُراقب الليل. ولدهشة (راند) كانت (ناينيف) مستيقظة بدورها.

راحت الحكيمة تنظر بصمت إلى (لان) لوقت طويل، ثم صبت كوبًا من الشاي وجلبته له. عندما مد يده إلى الكوب متمتمًا بالشكر لم تتخلَّ عن الكوب على الفور. قالت بصوت خافت: «كان يجب عليَّ أن

أعرف أنك ملك». كانت عيناها ثابتتين وهي تنظر إلى وجهه، ولكن صوتها كان يرتجف بعض الشيء.

بادلها (لان) النظر بنفس الاهتمام. بدا لـ(راند) أن وجه (الحامي) يلين حقًّا. «أنا لست ملكًا يا (نايِنيف)، بل مجرد رجل، رجل لا يمتلك من حطام الدنيا شيئًا، ولا حتى ما يملكه أدنى مزارع من حقل صغير».

قالت (نايِنيف) وقد توقف صوتها عن الارتجاف: «بعض النساء لا تريد أرضًا ولا ذهبًا، بل رجلًا فحسب».

«والرجل الذي يطلب منها أن ترضى بأقل القليل لن يكون جديرًا بها. أنتِ امرأة رائعة، جميلة كشروق الشمس، وشرسة كمحاربة، أنتِ شجاعة أيتها الحكيمة».

«نادرًا ما تتزوج الحكيمة». صمتت لتأخذ نفسًا عميقًا كأنما لتتمالك نفسها ثم قالت: «ولكن إن ذهبتُ إلى (تار ڤالون) فقد أصير شيئًا غير الحكيمة».

«و(الآيز سيداي) نادرًا ما يتزوجن مثل الحكيمات، قليل من الرجال يمكنهم العيش مع امرأة تملك هذا القدر من القوة، زوجة تجعلهم يخفتون أمام توهجها، سواء شاءت أم أبت».

«بعض الرجال أقوياء بما يكفي، أنا أعرف رجلًا قويًّا». إن كان هناك أي شك فإن نظرتها لم تترك شكًّا حيال من تقصده.

«كل ما أملكه هو سيفي، وحربًا لا أستطيع أن أنتصر فيها، ولكن لا يُمكنني أن أتوقف عن القتال».

«لقد قلت لك إنني لا أُبالي بكل هذا. بحق (النور)، أنت تجعلني أقول ما هو أكثر من اللائق بالفعل. هل ستحرجني بجعلي أسألك بشكل مباشر؟».

«لن أحرجك أبدًا». كانت نبرته لطيفة كمداعبة رقيقة، وقد بدت غريبة على أذني (راند) في صوت (الحامي)، ولكنها جعلت عيني (ناينيف) تلمعان. «سأكره الرجل الذي ستختارينه لأنه ليس أنا، وسأحبه إن جعلك تبتسمين. ليس هناك امرأة تستحق أن يكون ثمن زواجها أن تعرف على وجه اليقين أنها ستصير أرملة، وأنتِ من بين كل النساء آخر من تستحق كل هذا». وضع الكوب الذي لم يمسه جانبًا واعتدل واقفًا. «يجب أن أتفحص الخيول».

بقيت (ناينيف) هناك جاثية على ركبتيها بعد رحيله.

أغلق (راند) عينيه بنوم أو بدونه، لم يعتقد أن الحكيمة ستحب أن يراها وهي تبكي.

الفصل التاسع والأربعون

سيد الظلام يصحو

جفل (راند) وهو يستيقظ مع بزوغ الفجر، وقد وخزت الشمس الكئيبة جفنيه وهي تعلو على مضض فوق قمم الأشجار في (البلاء العظيم). حتى في مثل هذا الصباح الباكر كانت الحرارة تغطي الأراضي الموحشة بغطاء كثيف. كان مستلقيًا على ظهره ورأسه متكئ على لفافة بطانياته وهو يحدق إلى السماء. كانت لا تزال زرقاء، فقد كانت السماء على الأقل هي ذاتها هنا.

كان مندهشًا لإدراك أنه قد نام، وللحظة بدت الذكرى الباهتة عن المحادثة التي اختلس السمع إليها كأنها جزء من حُلم ما، ثم رأى عيني (نانيف) الحمراوين، فأدرك بوضوح أنها لم تنم. كان وجه (لان) أكثر صرامة عن ذي قبل، كأنما قد استعاد قناعه ولم يكن ينوي أن يتركه ينزاح عن وجهه مرة أخرى.

اقتربت (إيجوين) من الحكيمة وربضت بجانبها والقلق بادٍ على وجهها. لم يستطع أن يسمع ما قالتاه، تحدثت (إيجوين) وهزَّت (نانيف) رأسها، قالت (إيجوين) شيئًا فلوَّحت الحكيمة بيدها بلا اكتراث. بدلًا من الابتعاد مالت (إيجوين) برأسها لتقترب أكثر، ولبضع دقائق تحدثت المرأتان بخفوت أكثر، بينما (نانيف) لا تزال تهز رأسها. أنهت الحكيمة الأمر بالضحك

ومعانقة (إيجوين)، وبدا من التعبير المرتسم على وجهها أنها تتحدث حديثًا لينًا. ولكن عندما اعتدلت (إيجوين) واقفة حدجت (الحامي) بنظرها، لم يبدُ على (لان) أنه قد لاحظ هذا، فهو لم ينظر تجاه (نانيف) على الإطلاق.

هزَّ (راند) رأسه وهو يجمع متعلقاته ثم غسل يديه ووجهه وأسنانه في عجالة بالقليل من الماء الذي سمح به (لان) لأمور كهذه. تساءل إن كان لدى النسوة طريقة لقراءة عقول الرجال، كانت فكرة مُقلقة، جميع النساء هن (آيز سيداي). قال لنفسه إنه يسمح (للبلاء العظيم) بأن يوثر عليه، فغسل أسنانه وأسرع ليضع السرج على حصانه.

كان اختفاء المخيم قبل أن يصل إلى الخيول أمرًا مثيرًا للتوتر. ولكنه بحلول الوقت الذي ربط فيه حزام سرجه ظهر الجميع أمامه فجأة. وكان الجميع يتحركون في عجالة.

كانت الأبراج السبعة منتصبة بوضوح في ضوء الصباح، جذوع بعيدة متكسرة، كتلال ضخمة وعرة لا تحمل إلا لمحة من عظمة ضائعة. كانت البحيرات المئة زرقاء وساكنة، لا شيء يثير اضطراب سطح الماء هذا الصباح. عندما نظر إلى البحيرات والأبراج المتهدمة كان باستطاعته نوعًا ما أن يتجاهل الأشياء المثيرة للغثيان التي تنمو حول التل. كان (لان) يتجاهل النظر إلى الأبراج، كما يتجاهل النظر إلى (نانيف)، ولكن هذا لم يبدُ عليه بطريقة ما، لأن تركيزه كان منصبًّا على إعدادهم للرحيل.

بعد ربط السلال الخوصية بحصان البضائع، وبعد إزالة كل أثر لتخييمهم، ركب الجميع خيولهم ووقفت (الآيز سيداي) في منتصف قمة التل بعينين مغلقتين ولم يبدُ عليها حتى أنها تتنفس. لم يحدث شيء يُمكن لـ(راند) أن يراه، باستثناء أن (نانيف) و(إيجوين) قد ارتجفتا رغم الحرارة وفركت كل منهما ذراعيها بخفة. فجأة تجمدت يدا (إيجوين) على ذراعيها وفغرت فاها وهي تحدق إلى الحكيمة. قبل أن تتمكن من أن تنطق بشيء توقفت

(نواينيف) بدورها عن فرك ذراعيها وهي تنظر إليها نظرة حادة. تبادلت المرأتان النظر ثم أومأت (إيجوين) برأسها وابتسمت ابتسامة عريضة، وبعد دقيقة ابتسمت (نواينيف) بدورها ولكن ابتسامتها كانت فاترة.

مرر (راند) أصابعه خلال شعره الذي كان رطبًا بفعل العرق من الماء الذي نثره على وجهه. كان واثقًا أن هناك شيئًا يجب أن يفهمه في الصمت الذي تبادلتاه، ولكن هذه الفكرة العابرة سرعان ما تلاشت قبل أن يتمكن من الإمساك بها.

قال (مات) متسائلًا وهو يعقد الوشاح على جبهته: «ما الذي ننتظره؟». علّق قوسه على مقدمة سرجه بعد أن وضع سهمًا في وتره وقد تدلّت جعبة سهامه من الحزام الذي يحيط بخصره على مقربة من يده ليسهل الوصول إليها.

فتحت (مويرين) عينيها وحدقت للأسفل عبر التل، ثم قالت: «تنتظرون أن أنتهي من إزالة آخر أثر لما فعلته هنا في الليلة الماضية. كانت البقايا ستتلاشى من تلقاء نفسها في غضون يوم، ولكني لن أخاطر بشيء يمكنني تجنبه الآن. نحن قريبون للغاية، و(الظل) قوي للغاية هنا. (لان)؟».

انتظر (الحامي) حتى استقرت في سرج (آلديب) قبل أن يقودهم شمالًا ناحية (جبال دهوم) التي تلوح في الأفق القريب، حتى في شروق الشمس بدت سوداء وخالية من الحياة كأسنان مدببة، كانت تمتد على هيئة جدار شرقًا وغربًا بقدر ما يمكن للعين أن ترى.

تساءلت (إيجوين): «هل سنصل إلى (عين العالم) اليوم يا (مويرين سيداي)؟».

قالت (الآيز سيداي) وهي تنظر إلى (لويال) نظرة جانبية: «آمل هذا، عندما عثرت عليها من قبل كانت على الناحية الأخرى من الجبال مباشرة، عند سفح الممرات الجبلية العالية».

قال (مات) وهو يومئ إلى (لويال): «لقد قال إنها تتحرك، ماذا لو لم تكن حيثما تتوقعينها؟».

«إذن فسنواصل البحث حتى نعثر عليها، (الرجل الأخضر) يشعر بالحاجة ولا يمكن أن تكون هناك حاجة أعظم من حاجتنا. إن حاجتنا هي أمل العالم».

مع اقتراب الجبال يقترب (البلاء) الحقيقي. وبينما كانت بعض أوراق الأشجار منقطة باللونين الأسود والأصفر من قبل، الآن صارت أوراق الأشجار كلها تتساقط أمام عينيه وتتشقق من ثقل فسادها. الأشجار ذاتها صارت أشياء عاجزة مُعذَّبة، أغصان متلوية، تمد مخالبها نحو السماء كأنما تتوسل طالبة الرحمة من قوة ترفض سماعها. كانت العصارة تسيل كالقيح من اللحاء المتصدع والمتشقق. كانت الأشجار ترتجف من مرور الخيول على الأرض وكأنما لم يبقَّ بها شيء صلب.

قال (مات) في توتر: «يبدو وكأنها تحاول الإمساك بنا». نظرت إليه (ناينيف) نظرة ساخطة مستنكرة فأضاف بحدة: «إنها تبدو كذلك حقًّا».

قالت (الآيز سيداي): «وبعضها يُريد هذا بالفعل». وصارت عيناها أكثر صرامة من عيني (لان) للحظة وهي تنظر وراءها وتقول: «ولكنها لا تُريد أي جزء مما أنا عليه، ووجودي يحميكم».

ضحك (مات) بعصبية، كأنما يعتقد أنها تمزح بشكل ما. بينما لم يكن (راند) واثقًا، فهذا هو (البلاء العظيم) على أي حال. *ولكن الأشجار لا تتحرك، لَم قد تُمسك شجرة بإنسان حتى لو كانت تقدر على هذا؟ نحن نتخيل أشياء وهي تحاول فقط أن تُبقينا متيقظين.*

فجأة حدق إلى يساره نحو الغابة؛ هذا الشجرة على مسافة أقل من عشرين خطوة منه قد ارتجفت، ولم يكن هذا نتاج مخيلته. لم يستطع أن يعرف أي نوع من الأشجار هي، أو بالأحرى أي نوع كانت، وكانت هيئتها متغضنة ومُعذَّبة للغاية. وبينما يُراقب الشجرة فجأة ضربت بأغصانها

للوراء ثم للأمام قبل أن تنثني وتضرب الأرض ضربات عديدة. صرخ شيء ما صرخة حادة تثقب الآذان. انتصبت الشجرة مرة أخرى وقد تشابكت أطرافها حول كتلة داكنة تتلوى وتبصق وتصرخ.

ازدرد لعابه وحاول أن يبتعد بحصانه (ريد)، ولكن الأشجار كانت منتصبة على كلا الجانبين وهي ترتجف. زاغت عينا حصانه وطغى بياضهما، فوجد (راند) نفسه يتشبث بحصانه والبقية يحاولون أن يفعلوا مثله.

أمرهم (لان) وهو يستل سيفه: «واصلوا الحركة». كان (الحامي) يرتدي حينها قفازًا فولاذيًّا وسترته المعدنية ذات اللونين الرمادي والأخضر. «ابقوا بالقرب من (مويرين سيداي)». جذب (ماندارب) مبتعدًا، ليس نحو الشجرة وضحيتها، بل في الاتجاه الآخر، ومع عباءته متغيرة الألوان ابتلعه (البلاء العظيم) قبل أن يغيب الحصان الأسود عن أنظارهم.

قالت (مويرين) بإلحاح: «اقتربوا». لم تُبطئ من حركة فرسها البيضاء، ولكنها طلبت من الآخرين أن يجتمعوا بالقرب منها. «ابقوا بالقرب مني قدر المستطاع».

تعالى زئير من الاتجاه الذي اختفى فيه (الحامي)، شق الهواء وارتجفت منه الأشجار، وعندما تلاشى بدا وكأن صداه لا يزال يتردد. تعالى الزئير مرة أخرى مليئًا بالغضب والموت.

قالت (ناينيف): «(لان)، إنه...».

قاطعها الصوت الفظيع، ولكن كان فيه نبرة جديدة؛ الخوف. وفجأة تلاشى.

قالت (مويرين): «(لان) قادر على الاعتناء بنفسه، تحركي أيتها الحكيمة».

ظهر (الحامي) من بين الأشجار مُمسكًا بسيفه وهو يُبعده عن نفسه وعن حصانه. كان النصل ملطخًا بدماء سوداء، والبخار يتصاعد منه. نظَّف (لان) النصل بحذر بأن مسحه بقطعة قماشية أخرجها من أكياس سرجه، وهو يتفحص السيف ليتقين من أنه قد أزال كل شيء. عندما ألقى بالقطعة القماشية تمزقت إلى قطع صغيرة قبل أن تلمس الأرض، وحتى هذه القطع تحللت بدورها.

في صمت قفز جسم هائل من بين الأشجار نحوهم. دار (الحامي) بـ(ماندارب)، ولكن حتى بينما الحصان يرفع قائمتيه الأماميتين لكي يضرب بحوافره ذات الحدوات الفولاذية لمع سهم (مات) ليخترق العين الوحيدة في رأس بدا أنه مكون بشكل أساسي من فم وأسنان. راح الشيء يركل ويصرخ وهو يسقط أرضًا، على مسافة قفزة واحدة منهم. حدق (راند) وهم يتجاوزونه مسرعين، كان مغطى بشعر متيبس كأشواك طويلة، وكان به العديد من الأرجل، ملتحمة بجسم ضخم كدب غريب الشكل. بعض هذه الأرجل، وخصوصًا النابتة من ظهره، عديمة الجدوى في المشي بالتأكيد، ولكن المخالب الطويلة في نهايتها كانت تُمزق الأرض في سكرات الموت.

قال (لان): «أحسنت التصويب يا راعي الغنم». كانت عينا (لان) قد نسيتا بالفعل ما يحتضر وراءهم وراحتا تفتشان الغابة.

هزت (مويرين) رأسها وقالت: «ليس من المفترض أن يكون مستعدًّا للاقتراب كثيرًا من شخص يلمس (المصدر الحقيقي)».

قال (لان): «لقد قال (أجيلمار) إن (البلاء العظيم) مضطرب، ربما (البلاء العظيم) يعرف أيضًا أن هناك شبكة تتشكل في (النمط)».

قالت (مويرين) وهي تكز جانبي (آلديب) بكاحليها: «أسرعوا، يجب أن نتجاوز الممرات العالية بسرعة».

ولكن حتى وهي تتحدث ثار (البلاء العظيم) في وجوههم مرة أخرى، ضربت الأشجار الهواء وهي تحاول الوصول إليهم دون أن تُبالي إن كانت (مويرين) تلمس (المصدر الحقيقي) أم لا.

كان سيف (راند) في يده، ولم يتذكر متى استله من غمده. ضرب بسيفه مرارًا وتكرارًا، وراح النصل الذي يحمل علامة البلشون يُمزق الأطراف الفاسدة. تراجعت الأغصان الجائعة إلى الوراء بعد أن بُترت جذوع متلوية . خُيِّل إليه أنه سمعها تصرخ . ولكن دومًا ما يعود المزيد منها، تتلوى كالأفاعي وهي تحاول أن تُقيد ذراعيه وخصره ورقبته. كشف عن أسنانه في زمجرة صاخبة وهو يحاول أن يفكر في الخواء، فوجده في أرض (النهرين) الصخرية العنيدة، صرخ في وجه الأشجار حتى آلمه حلقه: «(مانثيرن)!». لمع سيف البلشون في ضوء الشمس الباهت. «(مانثيرن)! (مانثيرن)!».

وقف (مات) في ركابه وهو يُطلق السهم تلو الآخر ليلمع عبر الغابة ويصيب الأشكال المشوهة التي تزمجر، وتكسر أسنانها على السهام، بينما المخلوقات ذات المخالب تحاول أن تشق طريقها نحو هؤلاء الراكبين على الخيول. انغمس (مات) بدوره بكل حواسه في اللحظة الحاضرة. «كاراي آن كالدازار!». صاح وهو يجذب السهام إلى وجنته ويُطلقها. «كاراي آن إليساند! آل إليساند! مورديرو داغاين باس دوينتي كوييبار! آل إليساند!».

وقف (بيرين) في ركابه بدوره صامتًا وواجمًا، كان قد تقدمهم بالفعل وفأسه يشق طريقًا عبر الغابة واللحم القذر على حد سواء، أيًا ما يواجهه منهما. كانت الأشجار الضاربة والأشياء العاوية تهرب من فأس الشاب مفتول العضلات بقدر ما تهرب من عينيه الذهبيتين الشرستين. كان يُجبر حصانه على التقدم للأمام بعزيمة خطوة تلو الأخرى.

انقضت كرات النار من يدي (مويرين)، وأينما ضربت كانت الشجرة المتلوية تتحول إلى شعلة، والمخلوق المليء بالأسنان يصرخ ويضرب بأيدٍ بشرية وهو يمزق لحمه المشتعل بمخالبه الشرسة حتى يموت.

انقض (الحامي) بـ(ماندارب) مرارًا وتكرارًا نحو الأشجار، والدماء تتساقط من سيفه وقفازه وهي تغلي ويتصاعد منها البخار. وفي كل مرة يعود فيها غالبًا ما يكون هناك تمزقات في درعه وجروح دامية في لحمه، بينما حصانه يتعثر وينزف بدوره. وفي كل مرة تتوقف فيها (الآيز سيداي) لتضع يديها على الجروح، وعندما تبعدهما لا يكون هناك سوى الدماء على لحم بلا جرح.

قالت بمرارة: «إن ما فعلته سيجذب أنظار (أنصاف البشر) كنيران الإشارة. تقدموا، تقدموا!». كانوا يشقون طريقهم خطوة بطيئة تلو الأخرى.

كان (راند) واثقًا أنهم كانوا سيُغلبون لولا أن الأشجار تضرب كتلة اللحم المهاجِمة بقدر ما تضرب البشر، ولولا أن المخلوقات - التي لا يتشابه منها اثنان - تُقاتل الأشجار وتتقاتل فيما بينها بقدر ما تحاول الوصول إليهم. لم يكن واثقًا بعد إن كانوا سيُغلبون رغم هذا أم لا. ثم تعالت صرخة متناغمة من ورائهم، بعيدة وحادة، وهي تُمزق زمجرة قاطني (البلاء العظيم) من حولهم.

تلاشت الزمجرة على الفور كأنما قد بُتِرت بسكين، تجمدت الأشكال المهاجِمة وسكنت الأشجار. تلاشت الأشياء ذات الأرجل فجأة كما ظهرت فجأة لتختفي في الغابة الملتوية.

تصاعدت النغمة الحادة مرة أخرى كنغمات مزامير الرعاة، وأجابها جوقة من نوع ما. ستة منهم يتبادلون الغناء فيما بينهم على مسافة بعيدة من ورائهم.

قال (لان) بوجوم: «الديدان». مما جعل (لويال) يتأوه. «لقد منحونا مهلة للاستراحة، هذا إن كان لدينا وقت لنستغله». كانت عيناه تقيسان المسافة التي ما زالت تفصلهم عن الجبال وقال: «قليل من الأشياء في (البلاء العظيم) ستواجه الديدان ما دام يُمكن تجنبها». غرس كاحليه في

جانبي (ماندارب) وهو يصيح: «تحركوا!». اندفعت المجموعة برمتها من ورائه عبر (البلاء العظيم) الذي بدا فجأة وكأنه ميت حقًّا باستثناء صوت المزامير من ورائهم.

قال (مات) في عدم تصديق: «لقد هربوا خائفين من ديدان؟». كان يتقافز في سرجه وهو يحاول أن يعلق قوسه على ظهره.

قال (الحامي) بنبرة تختلف بشكل حاد عن لهجة (مات): «يمكن لدودة أن تقتل (عاتمًا) ما لم يكن حظ (سيد الظلام) نفسه يُحالف هذا (العاتم). هناك قطيع كامل من الديدان في أعقابنا. أسرعوا! أسرعوا!». كانت القمم المظلمة تزداد قربًا، وقدر (راند) أن أمامهم ساعة بالسرعة التي يُجبرهم (الحامي) على التحرك بها.

سألته (إيجوين) بأنفاس لاهثة: «ألن تتبعنا الديدان إلى الجبال؟».

ضحك (لان) ضحكة حادة، بينما تأوه (لويال) مرة أخرى وقال: «لن تتبعنا، الديدان تخاف مما يعيش في الممرات العالية».

تمنى (راند) لو أن يتوقف (الأوجير) عن فعل هذا، إنه يُدرك جيدًا أن (لويال) يعرف عن (البلاء العظيم) أكثر من أي واحد منهم باستثناء (لان)، حتى لو كان هذا من قراءة الكتب في (الملاذ) الآمن، ولكن لِمَ عليه أن يذكرهم باستمرار أنهم لم يروا الأسوأ بعد؟

كانوا يقطعون (البلاء العظيم) بسرعة كبيرة بينما الحشائش والأعشاب تتعفن وتتناثر تحت حوافر الخيول الراكضة. أشجار من الأنواع التي هاجمتهم سابقًا، لم يبدُ عليها حتى أنها ترتعش، حتى وهم يركضون مباشرة تحت أغصانها الملتوية. احتلت (جبال دهوم) السماء أمامهم، سوداء وكئيبة، وتكاد أن تبدو قريبة بما يكفي لأن يلمسوها. ازدادت أصوات المزامير حدة ووضوحًا، وكان هناك أصوات انسحاق من ورائها، أكثر ارتفاعًا من أصوات الأشياء التي تنسحق تحت الحوافر. كانت عالية للغاية كأن الأشجار شبه المتحللة تنسحق تحت الأجسام الضخمة التي تنزلق

من فوقها، وكانت قريبة للغاية، فنظر (راند) وراءه، ومن بعيد كانت قمم الأشجار تتمايل وتهوي مثل الأعشاب، ثم بدأت الأرض ترتفع وتتحول إلى منحدر صاعد بما يكفي لكي يعرف أنهم يتسلقون نحو الجبال.

قال (لان): «لن نصل في الوقت المناسب». لم يُبطئ من ركض (ماندارب)، ولكنه استل سيفه فجأة مرة أخرى وهو يقول: «احترسي لنفسك في الممرات العالية يا (مويرين) وستنجحين في قطعها».

صاحت (ناينيف): «لا يا (لان)!».

«اصمتي يا فتاة! حتى أنت يا (لان) لا يمكنك أن تردع قطيعًا من الديدان. لن أسمح بهذا، أنا أحتاجك من أجل (عين العالم)».

صاح (مات) بأنفاس لاهثة: «السهام».

صاح (الحامي): «لن تشعر الديدان بها حتى، يجب تقطيعها إلى أشلاء، إنها لا تشعر إلا بالجوع، وأحيانًا الخوف».

كان (راند) متشبثًا بسرجه كأنما يتشبث بحياته، وهو يهز كتفيه محاولًا أن يخفف من شدهما العضلي. كان يشعر بالشد العضلي في صدره كله، حتى أنه بالكاد كان قادرًا على أن يتنفس، وكان جلده يخزه كأنما بفعل إبر ساخنة. تحوَّل (البلاء العظيم) إلى سفوح تلال، وكان باستطاعته أن يرى المسار الذي يجب أن يتسلقوه صاعدين بمجرد أن يصلوا إلى الجبال؛ الطريق المتعرج والممرات العالية من ورائه كضربة فأس تشق الحجر الأسود. *بحق (النور)، ما الذي يوجد أمامنا ويُمكنه أن يخيف ما وراءنا؟ فليساعدني (النور)، أنا لم أشعر بمثل هذا الخوف من قبل، أنا لا أُريد أن أواصل أكثر من هذا، لا أقدر على المواصلة!* راح يبحث عن الشعلة والخواء، وهو يوبخ نفسه؛ *أيها الأحمق! أيها الأحمق الرعديد الجبان! لا يمكنك أن تبقى هنا، ولا يمكنك أن تعود. هل ستترك (إيجوين) تواجه الأمر وحدها؟* استعصى عليه الخواء فراح يتشكل ثم ينقسم إلى ألف نقطة ضوء قبل أن يتشكل من جديد ويتحطم مرة أخرى، وكل نقطة ضوء تكوي عظامه، حتى ارتجف

في ألم، وخُيِّل إليه أنه سينفجر. *فليساعدني (النور)، لا يُمكنني المواصلة! فليساعدني (النور)!*

أمسك بلجام حصانه مستعدًّا للالتفات إلى الوراء ليواجه الديدان أو أي شيء عدا ما هو كامن أمامه، عندها تغيرت طبيعة الأرض، ما بين سفح تل وآخر، ما بين قمة وأخرى، اختفى (البلاء العظيم).

كانت الأوراق الخضراء تغطي أغصانًا منبسطة في سلام. أزهار برية صنعت بساطًا من بقع زاهية في الأعشاب التي يُحركها نسيم الربيع العليل. كانت الفراشات تخفق من زهرة إلى زهرة، مع طنين النحل والطيور التي تصدح بغنائها.

فغر فاه وهو يُسرع بحصانه إلى الأمام، حتى أدرك فجأة أن (مويرين) و(لان) و(لويال) قد توقفوا، وكذلك البقية. جذب لجامه ببطء ووجهه متجمد في تعبير من الذهول. كانت عينا (إيجوين) جاحظتين و(ناينيف) فاغرة فاها.

قالت (مويرين): «لقد وصلنا بر الأمان، هذا هو مكان (الرجل الأخضر)، و(عين العالم) هنا، لا شيء من (البلاء العظيم) يمكنه أن يدخل هذا المكان».

تمتم (راند) قائلًا: «ظننت أنه على الجانب الآخر من الجبال». كان لا يزال بإمكانه رؤية القمم التي تملأ الأفق الشمالي، والممرات العالية. «قلتِ إنه دومًا ما يكون وراء القمم الجبلية».

قال صوت عميق من بين الأشجار: «هذا المكان موجود دائمًا حيث يكون، كل ما يتغير هو مكان أولئك الذين يحتاجون إليه».

خرج شخص من بين أغصان الأشجار، له هيئة رجل وأضخم من (لويال) بقدر ما كان (الأوجير) أضخم من (راند). أغصان أوراق مغزولة على هيئة رجل، أخضر ويزداد نموًّا. كان شعره من العشب، ومنسدلًا على

كتفيه، وعيناه ثمرتا بندق ضخمتان، وأظافره من ثمار البلوط. كان هناك أوراق خضراء تشكل سترته وسرواله، ولحاء شجر يمثل حذاءه. كانت الفراشات تدور من حوله، والضوء يحيط بأصابعه وكتفيه ووجهه. شيء واحد أفسد هذا الكمال الأخضر؛ صدع عميق يقطع وجنته وصدغه والجزء العلوي من رأسه، وكانت الأغصان في هذا الصدع بنية وذابلة.

همست (إيجوين): «(الرجل الأخضر)». فابتسم الوجه ذو الندبة وبدا للحظة وكأن الطيور تغني بصوت أعلى.

«بالطبع أنا هو، ومن غيري سيكون هنا؟». كانت عيناه البندقيتان تنظران إلى (لويال) قبل أن يقول: «تُسعدني رؤيتك أيها الأخ الصغير، في الماضي كان الكثير من قومك يأتون لزيارتي، ولكن في الآونة الأخيرة لا يأتي إلا القليل منهم».

ترجل (لويال) عن حصانه في اندفاع قبل أن ينحني بشكل رسمي ويقول: «أنتَ تزيدني شرفًا يا (أخا الأشجار). تسينجو ما تشوشيه، تينجشين».

ابتسم (الرجل الأخضر) وهو يضع ذراعه على كتفي (الأوجير)، فبدا (لويال) بجانبه وكأنه طفل يقف إلى جوار رجل. «لا يوجد أي تشريف أيها الأخ الصغير، سنغني معًا أغاني الأشجار، وسنتذكر (الأشجار العظيمة)، و(الملاذ)، ونكبح جماح (الاشتياق)». تفحص الآخرين الذين قد ترجلوا للتو عن خيولهم وأشرقت عيناه لرؤية (بيرين). «(قرين للذئاب)! هل الأيام الخوالي تعود من جديد حقًّا؟».

حدق (راند) إلى (بيرين)، بينما أدار (بيرين) حصانه ليكون بينه وبين (الرجل الأخضر)، ثم انحنى ليتفحص حزام السرج. كان (راند) متيقنًا من أنه لا يفعل هذا إلا لتجنب نظرة (الرجل الأخضر) المتفحصة.

فجأة خاطب (الرجل الأخضر) (راند) قائلًا: «يا لها من ملابس غريبة هذه التي ترتديها يا (ابن التنين)، هل دارت (عجلة الزمن) إلى هذا الحد،

هل عاد (قوم التنين) إلى الميثاق الأول؟ ولكنك تمتشق سيفًا، هذا ليس الآن ولا حينها».

بلل (راند) حلقه لكي يتمكن من الحديث قائلًا: «أنا لا أعرف ما تتحدث عنه، ماذا تقصد؟».

لمس (الرجل الأخضر) ندبته البنية على رأسه، وبدا للحظة متحيرًا قبل أن يقول: «أنا... لا يمكنني الجزم. ذكرياتي ممزقة، ومعظم ما تبقى منها كأوراق شجر تغذت عليها اليرقات، ومع ذلك أنا واثق... لا، لقد تلاشت. ولكنكم موضع ترحاب هنا. أنتِ يا (مويرين سيداي) أكثر من يُفاجئني، عندما أُنشئ هذا المكان فقد أُنشئ لكيلا يتمكن أحد من إيجاده مرتين، كيف تمكنتِ من المجيء إلى هنا».

أجابته (مويرين): «الحاجة؛ حاجتي وحاجة العالم. والأهم فيهما هو حاجة العالم. لقد جئنا لكي نرى (عين العالم)».

تنهد (الرجل الأخضر) فتنهدت الرياح ما بين الأغصان كثيفة الأوراق، ثم قال: «إذن فقد حان الأمر مرة أخرى، هذه الذكرى بقيت كاملة. (سيد الظلام) يصحو، كنت أخشى هذا، مع دوران السنوات يسعى (البلاء العظيم) بجهد أكبر لكي يأتي إلى الداخل، وهذه المرة المقاومة لإبقائه بالخارج أعظم من أي وقت مضى منذ بداية الزمان. تعالوا، سآخذكم إليها».

الفصل الخمسون

اللقاء عند عين العالم

اقتاد (راند) حصانه وهو يلحق ب(الرجل الأخضر)، مع بقية رفاقه من (إيموندز فيلد)، وجميعهم يحدقون وكأنهم لا يستطيعون أن يقرروا إن كانوا يريدون النظر إلى (الرجل الأخضر) أم إلى الغابة. كان (الرجل الأخضر) أسطورة بالطبع مع الحكايات التي تروى عنه، وعن (شجرة الحياة)، أمام كل مدفأة في (النهرين)، وليس فقط من أجل الأطفال. ولكن بعد (البلاء العظيم) كانت الأشجار والأزهار أعجوبة من الحياة الطبيعية، حتى لو لم يكن بقية العالم لا يزال محبوسًا في الشتاء.

تخلف (بيرين) عن الركب قليلًا، وعندما اختلس (راند) النظر وراءه كان الشاب الضخم أشعث الشعر وكأنه لا يريد أن يسمع أي شيء آخر سيقوله (الرجل الأخضر). كان قادرًا على فهم هذا؛ (*ابن التنين*). اختلس النظر ناحية (الرجل الأخضر) في حذر وهو يمشي في المقدمة بصحبة (مويرين) و(لان)، والفراشات تحيط بهم في سحابة من الأصفر والأحمر. *ما الذي يعنيه؟ لا، لا أريد أن أعرف.*

ورغم هذا أحس أن خطواته أكثر خفة وساقيه أكثر رشاقة. كان لا يزال يشعر بقبضة باردة من التوتر تعتصر معدته، ولكن الخوف قد صار مألوفًا حتى صار باستطاعته أن يتجاهله. لم يعتقد أنه قد يتوقع المزيد، ليس مع وجود (البلاء العظيم) على مسافة نصف ميل، حتى لو كانت (مويرين)

محقة بشأن قولها إن لا شيء من (البلاء العظيم) يُمكنه أن يدخل إلى هذا المكان. كان واثقًا أن آلاف النقاط من الضوء التي كانت تكوي عظامه قد انطفأت في اللحظة التي دلف فيها إلى منطقة (الرجل الأخضر). قال لنفسه إن (الرجل الأخضر) هو من أطفأها، هو وهذا المكان.

أحست (إيجوين) بالأمر، و(نانيف) أيضًا؛ هذا الهدوء والسكينة والجمال. كان باستطاعته أن يُميز هذا. ارتسم على وجه كل منهما ابتسامة صغيرة وادعة، وهما تلمسان الأزهار بأصابعهما وتتوقفان لتنسم رائحة الزهور في أنفاس عميقة.

عندما لاحظ (الرجل الأخضر) الأمر قال: «الزهور جُعِلت للزينة. النباتات أو البشر، إنهما الشيء ذاته. لا أحد يُمانع طالما لن تأخذا الكثير». ثم بدأ يقطف زهرة من هذه النبتة، وزهرة من نبتة أخرى، ولم يقطف أكثر من زهرتين من نبتة واحدة. سُرعان ما ارتدت (إيجوين) و(نانيف) قبعتين من الأزهار على شعرهما؛ الزهر البري الوردي، وزهر الجرس الأصفر، وزهر نجم الصباح الأبيض. بدت ضفيرة الحكيمة وكأنها حديقة من الزهور الوردية والبيضاء حتى خصرها. حتى (مويرين) تلقت إكليلًا أبيض من زهور نجم الصباح على جبينها، منسوجًا بمهارة حتى أن الزهور بدت وكأنها لا تزال تنمو.

لم يكن (راند) واثقًا أنها لا تنمو بالفعل. كان (الرجل الأخضر) يعتني بحديقة غابته أثناء سيرهم، بينما يتحدث بصوت خافت إلى (مويرين) وهو يعتني بكل ما يحتاج إلى الرعاية دون أن يفكر في الأمر حقًّا. لمحت عيناه البندقيتان غصنًا منثنيًا لزهرة برية متسلقة، بعد أن أجبره غصن مُزهر لشجرة تفاح على أن يتخذ زاوية عجيبة، فتوقف وهو لا يزال يتكلم ليمرر يده على الجزء المنثني. لم يكن (راند) واثقًا إذا ما كانت عيناه تخدعانه أم أن الأشواك قد انثنت بالفعل مفسحة الطريق لكيلا تخز هذه الأصابع الخضراء. عندما تحرك جسم (الرجل الأخضر) الضخم كان الغصن مستقيمًا وسليمًا، وهو ينشر البتلات الحمراء بين زهور التفاح

البيضاء. انحنى ليكور يده الضخمة حول بذرة صغيرة مُلقاة على بقعة من الحصى، وعندما اعتدل واقفًا كان هناك فسيلة صغيرة تمد جذورها عبر الصخور إلى التربة الصالحة.

قال مفسرًا وهو ينظر وراءه كأنما ليعتذر: «كل الأشياء يجب أن تنمو حيث هي بحسب (النمط)، وأن تواجه دوران (عجلة الزمن)، ولكن (الخالق) لن يُمانع إن قدمت القليل من المساعدة».

جذب (راند) حصانه ليدور حول الفسيلة وهو يحرص على ألا يطأها الحصان بحوافره فيسحقها. لم يبدُ من المعقول أن يُدمر ما قد فعله (الرجل الأخضر) للتو لمجرد ألا يتكبد عناء خطوة إضافية. نظرت إليه (إيجوين) مبتسمة واحدة من ابتساماتها الغامضة قبل أن تلمس ذراعه. كانت جميلة للغاية وشعرها المنسدل مليء بالزهور، حتى إنه بادلها الابتسام إلى أن تورد وجهها خجلًا وأطرقت بعينيها. قال في قرارة نفسه؛ *سأحميكِ، أيًا كان ما سيحدث فسأحرص على أن تكوني بأمان، أُقسم بهذا.*

اقتادهم (الرجل الأخضر) إلى قلب الغابة الربيعية، إلى فتحة مقوسة في جانب تل. كان قوسًا حجريًّا بسيطًا، طويلًا وأبيض، وعلى حجر الزاوية كان هناك دائرة يقسمها إلى نصفين خط متعرج، نصفها خشن ونصفها الآخر أملس؛ الرمز القديم (للآيز سيداي). كانت الظلال تكتنف الفتحة ذاتها.

للحظة اكتفى الجميع بالتحديق في صمت، ثم أزالت (مويرين) الإكليل من شعرها وعلقته برفق على غصن شجيرة توت بجانب القوس. وبدا كأن حركتها هذه قد استعادت قدرة الجميع على الحديث.

تساءلت (ناينيڤ): «هل هو بالداخل؟ ما جئنا لأجله؟».

قال (مات) دون أن يُبعد عينيه عن الدائرة المقسومة أعلاهم: «أود حقًّا أن أرى (شجرة الحياة). يمكننا أن ننتظر حتى نراها، أليس كذلك؟».

نظر (الرجل الأخضر) نظرة غريبة إلى (راند) ثم هز رأسه وقال: «(أقِنديسورا) ليست هنا، لم أرتَح تحت أغصانها البرية منذ ألفي سنة».

قالت (مويرين) بحزم: «لم نأتِ من أجل (شجرة الحياة)». ثم أشارت نحو القوس وقالت: «بل ما هو بالداخل».

قال (الرجل الأخضر): «لن أدلف معكم». دارت الفراشات من حوله كأنما تُشاركه نفس الانفعال. «لقد وُضِعْتُ لحراستها منذ زمن بعيد، بعيد للغاية، ولكن الاقتراب منها يجعلني أشعر بعدم الارتياح. أشعر أنني أُهدم كأنني مرتبط بها بشكل ما. أتذكر إنشاءها، أتذكر بعضًا منه، البعض فقط». حدقت عيناه البندقيتان وهما شاردتان في الذكرى بينما يتحسس ندبته قبل أن يقول: «كان هذا في الأيام الأولى من (تحطم العالم)، عندما تحولت بهجة الانتصار على (سيد الظلام) إلى مرارة لمعرفة أن كل هذا قد يتحطم تحت وطأة (الظل). لقد أنشأها مئة منهم، رجال ونساء معًا. إن أعظم أعمال (الآيز سيداي) دومًا ما تُنجز هكذا، باتحاد (السايدين) و(السايدار)، عندما يتحد (المصدر الحقيقي). لقد ماتوا جميعًا لجعلها نقية بينما العالم يتمزق من حولهم. كانوا يعرفون أنهم سيموتون لذا كلفوني بمهمة حمايتها في وجه الحاجة الآتية. لم يكن هذا ما خُلقت لأجله، ولكن كل شيء كان ينهار، وكانوا وحدهم، ولم يكن هناك أحد يمكنهم الاعتماد عليه سواي. لم يكن هذا ما خُلقت لأجله، ولكني لم أتخلَّ عن إيماني بالأمر». ثم أطرق بنظره إلى (مويرين) قبل أن يومئ لنفسه ويقول: «لم أتخلَّ عن إيماني بالأمر حتى صار هناك حاجة إليه، والآن انتهى الأمر».

قالت (الآيز سيداي): «لقد تشبثتَ بالإيمان بالأمر حتى عندما تخلى عنه معظمنا نحن الذين أوكلناك بالمهمة. ربما لن ينتهي الأمر بنفس السوء الذي تخشاه».

هز رأسه المورق ذا الندبة ببطء وقال: «أنا أعرف النهاية عندما تحين أيتها (الآيز سيداي)، سأجد مكانًا آخر لأجعل الأشياء تنمو فيه».

تفحصت عيناه البندقيتان البنيتان الغابة الخضراء قبل أن يقول: «ربما مكان آخر، وعندما تأتينا فسأراكِ مرة أخرى إن كان هناك متسع من الوقت». ومع هذه الكلمات خطا مبتعدًا والفراشات في إثره، حتى صار متحدًّا بالغابة، بكمال يفوق ما يمكن أن تفعله عباءة (لان).

سألها (مات): «ما الذي يقصده بقوله إن كان هناك متسع من الوقت؟».

قالت (مويرين): «تعالوا». ثم خطت عبر القوس، فتبعها (لان).

لم يكن (راند) واثقًا مما يجب أن يتوقعه بينما يتبعهما. كان الشعر منتصبًا في توتر على ذراعيه ومؤخرة عنقه. ولكنه لم يكن سوى ممر من جدران مصقولة تتقوس فوق رؤوسهم مثل المدخل، ويتعرج برفق بينما يقطعونه. كان هناك مساحة كافية فوق رؤوسهم حتى بالنسبة لـ(لويال)، وكانت المساحة ستكون كافية ليمر منها (الرجل الأخضر). كانت الأرضية الملساء تبدو للعين زلقة كلوح من الأردواز مغطى بالزيت، ورغم هذا كانت أقدامهم راسخة عليها. كانت الجدران البيضاء المتجانسة تلمع بنقاط لا تُحصى من ألوان لا يُمكن وصفها، وينبعث منها ضوء خافت ناعم، حتى بعد أن تلاشى المدخل المقوس الذي تضيئه الشمس من ورائهم عندما انعطفوا في أحد المنحنيات. كان واثقًا من أن الضوء ليس طبيعيًّا، ولكنه أحس أنه شيء حميد. *إذن لماذا لا تزال تشعر بالقشعريرة في جسدك؟* واصلوا السير في الممر بلا انقطاع.

وأخيرًا قالت (مويرين) وهي تشير أمامها: «هناك».

انفتح الممر على مساحة شاسعة تغطيها قبة سقفها مصنوع من صخور حية تتخلله كتل من بلور متوهج. من تحته كان هناك بركة تحتل الكهف بأسره باستثناء ممشى من حولها ربما باتساع خمس خطوات. كانت البركة في شكل عين بيضاوية، ويبطن حافتها بلورات تتوهج بضوء أكثر خفوتًا من الذي في الأعلى، ومع هذا أكثر حدة منه. كان سطحها أملس

كالزجاج وصافيًا كنبع (واينسبرينج). أحس (راند) أن عينيه يمكنهما أن تخترقاها إلى الأبد دون أن يتمكن من رؤية أي قاع لها.

قالت (مويرين) بصوت خافت من جواره: «(عين العالم)».

بينما يتلفت حوله في عجب أدرك أن السنوات الطويلة منذ صنعها . ثلاثة آلاف سنة . قد تركت أثرها على المكان مع عدم مجيء أحد. لم تكن كل البلورات في القبة تتوهج بنفس الحدة، بعضها كان أقوى، وبعضها أضعف، وبعضها يتوهج وينطفئ، وبعضها مجرد كتل لا تلمع إلا بما تعكسه من ضوء. لو كانت كل البلورات مضيئة لصارت القبة ساطعة كشمس الظهيرة، ولكنها الآن لم تكن إلا كشمس آخر النهار. كان الغبار يكسو الممشى، وقِطَعًا من الحجر، وحتى البلور. سنوات طويلة قد مضت و(عجلة الزمن) تدور وتطحن.

سألها (مات) في توتر: «ولكن ما هي بالضبط؟ هذه لا تبدو كأي مياه قد رأيتها من قبل». ثم ركل كتلة من حجر أسود من فوق الحافة وقال: «إنها...».

اصطدم الحجر بالسطح الزجاجي وانزلق مباشرة في البركة دون أن يتناثر أدنى قدر من الماء أو يصنع أدنى قدر من التموج. بينما الحجر يغوص بدأ ينتفخ ويزداد حجمًا وهشاشة، حتى صار كتلة بحجم رأسه، بدت بالنسبة لـ(راند) شفافة تقريبًا، حتى صارت مجرد غشاوة باهتة عريضة كطول ذراعه، ثم اختفت. أحس بالقشعريرة الباردة تزحف على جسده.

سألها: «ما هذا؟». وكان مصدومًا لمدى حشرجة صوته.

«يمكنك أن تسميه جوهر (السايدين)». تردد صدى كلمات (الآيز سيداي) في أرجاء القبة. «جوهر النصف الذكوري من (المصدر الحقيقي)، الجوهر النقي للقوة التي كان الرجال يستخدمونها قبل (زمن الجنون)، القوة القادرة على إصلاح ختم سجن (سيد الظلام)، أو تحطيمه تمامًا».

همست (ناينيڤ): «فليشرق علينا (النور) ويحمينا». بينما تشبثت بها (إيجوين) كما لو أنها تريد الاختباء وراء الحكيمة. حتى (لان) تململ في توتر رغم أنه لم يكن هناك أدنى دهشة في عينيه.

أحس (راند) بكتفيه ترتطمان بالصخور، فأدرك أنه قد تراجع حتى الجدار، بعيدًا عن (عين العالم) قدر الإمكان. كان سيدفع نفسه عبر الجدار إن كان قادرًا على هذا. (مات) أيضًا كان ملتصقًا بالصخر قدر الإمكان. بينما كان (بيرين) يحدق إلى البركة، وقد استل فأسه جزئيًّا، وعيناه الصفراوان تلمعان بشراسة.

قال (لويال) في توتر: «لطالما تساءلت، عندما قرأت عن الأمر لطالما تساءلت عن ماهيته. لماذا؟ لماذا فعلوا هذا؟ وكيف؟».

أجابته (مويرين): «لا أحد على قيد الحياة يعرف». لم تعد تنظر إلى البركة، بل كانت تراقب (راند) وصديقيه وهي تتفحصهم وتُقَيِّمهم بعينيها. «لا أحد يعرف كيف أو لماذا، لا نعرف إلا أنه ذات يوم سيكون هناك حاجة لها، وهذه الحاجة ستكون أعظم حاجة واجهها العالم في ذلك الوقت وأكثرها إلحاحًا، أو ربما سيواجهها على الإطلاق.

العديد في (تار ڤالون) قد حاولوا أن يجدوا طريقة لاستخدام هذه القوة، ولكن من المستحيل على أي امرأة أن تلمسها، كما من المستحيل على قطة أن تلمس القمر. لا يمكن أن يسخر هذه القوة إلا رجل، ولكن آخر (آيز سيداي) ذكر قد اختفى منذ ثلاثة آلاف سنة، ومع هذا فإن الحاجة التي رأوها كانت حاجة ماسة، وقد تغلبوا على تدنيس (سيد الظلام) (للسايدين) من أجل أن يصنعوها، وقد صنعوها نقية وهم يعرفون أن ما يفعلونه سيقتلهم؛ (الآيز سيداي) الذكور منهم والإناث على حد سواء. لقد قال (الرجل الأخضر) الحقيقة؛ إن أعظم عجائب (عصر الأساطير) قد أُنجزت بهذه الطريقة، بـ(السايدين) و(السايدار) معًا. جميع النسوة في (تار ڤالون)، كل (الآيز سيداي) في كل البلاطات الملكية والمدن، حتى

هؤلاء في الأراضي الواقعة وراء (الفلاة)، وحتى إن أخذنا في الحسبان هؤلاء اللاتي ما زلن يعشن وراء (محيط آريث)، لا يمكنهن ملء ملعقة بـ(القوة الواحدة) إن لم يكن هناك رجال يعملون معهن».

أحس (راند) بغصة في حلقه كما لو أنه كان يصرخ، ثم قال: «لِمَ جلبتِنا إلى هنا؟».

«لأنكم (تاﭬيرين)». كان وجه (الآيز سيداي) غامضًا، عيناها تلمعان، وبدا أنهما تخترقانه وهي تقول: «لأن قوة (سيد الظلام) ستضرب هنا، ويجب أن نواجهها ونوقفها، وإلا فسيغطي (الظل) العالم. ليس هناك حاجة أعظم من هذه الحاجة. دعونا نخرج إلى ضوء الشمس مرة أخرى بينما لا يزال هناك متسع من الوقت». ودون أن تنتظر لترى إن كان أحدهم سيلحق بها، خطت عائدة عبر الممر بصحبة (لان)، الذي ربما كان يخطو بسرعة أكبر من المعتاد بالنسبة له، فأسرعت (إيجوين) و(ناينيف) وراءهما.

تحرك (راند) بمحاذاة الجدار، لم يكن قادرًا على جعل نفسه يقترب ولو خطوة واحدة من البركة، ثم أسرع إلى الممر متشابكًا مع (مات) و(بيرين). كان سيركض لو لم يعنِ هذا أن يصطدم بـ(إيجوين) و(ناينيف) و(مويرين) و(لان). لم يكن قادرًا على التوقف عن الارتجاف حتى بعد أن عاد إلى الخارج.

قالت (ناينيف) بغضب بينما الشمس تغمرهم بضوئها مرة أخرى: «لا يُعجبني هذا يا (مويرين)، أعتقد أن الخطر عظيم كما تقولين وإلا لما أتيت إلى هنا، ولكن هذا...».

«لقد عثرت عليكم أخيرًا».

حرك (راند) رأسه بعنف كأنما هناك حبلًا قد شُدَّ حول عنقه. الكلمات، الصوت... اعتقد للحظة أنه (بعلزمون)، ولكن الرجلين الذين خطيا من بين الأشجار ووجهيهما مخفيين بغطائي رأسيهما، لم يكن أي منهما يرتدي عباءة بلون الدماء الجافة، إحدى العباءتين كانت بلون رمادي

داكن، والأخرى بلون أخضر داكن تقريبًا، وبدا أنهما عطنان حتى في الهواء المفتوح. لم يكن الرجلان من (العواتم) فقد كان النسيم يحرك عباءتيهما.

«من أنتما؟». كان (لان) يقف بحذر ويده على مقبض سيفه. «وكيف جئتما إلى هنا؟ إن كنتما تبحثان عن (الرجل الأخضر)...».

«هو من أرشدنا». كانت اليد التي تشير نحو (مات) عجوزًا ومتغضنة وبالكاد بشرية، فهي تفتقر إلى الأظافر ومفاصلها ملتوية كعُقَدٍ في حبل. خطا (راند) خطوة للوراء بعينين متسعتين. «شيء قديم، صديق قديم، عدو قديم. ولكنه ليس من نبحث عنه». أنهى الرجل ذو العباءة الخضراء حديثه، بينما الرجل الآخر يقف كأنما لن يتحدث أبدًا.

نصبت (مويرين) قامتها إلى ارتفاعها الكامل الذي لم يكن أطول من كتف أي من الرجال الواقفين هناك، ولكن فجأة بدت أنها بطول التلال ودوى صوتها كرنين جرس وهي تسأل: «من أنتما؟».

دفع الرجل غطاء رأسه إلى الوراء بيديه فجحظت عينا (راند). لقد كان الرجل العجوز هَرِمًا بشكل لا يُصدق. لقد جعل (سين بوي) يبدو طفلًا نضرًا. كان جلد وجهه كورقة بالية مشدودة بإحكام فوق جمجمته، وخصلات من شعر هش في أماكن متفرقة وغريبة على فروة رأسه القشرية. كانت أذناه متغضنتين كقطعتين من جلد مدبوغ عتيق، وعيناه غائرتان وتطلان من رأسه كأنما من أعماق نفقين. ولكن الرجل الآخر كان أمره أسوأ، فقد كان هناك درع جلدي ضيق يُغطي رأسه ووجهه تمامًا، ومقدمته قد صنعت على شكل وجه مثالي، وجه شاب يضحك بجموح، يضحك بجنون، متجمد إلى الأبد. *ما الذي يُخفيه إن كان الآخر يُظهر ما يُظهره؟* ولكن حينها حتى التفكير تجمد في رأسه، ثم تفتت إلى غبار وتطاير بعيدًا.

قال العجوز: «أُدعى (أجينور)، والآخر (بلثاميل)، إنه لم يعد قادرًا على الحديث بلسانه، إنها ضريبة السجن لأكثر من ثلاث آلاف سنة، بينما (عجلة الزمن) تدور بلا رحمة». انتقلت عيناه الغائرتان إلى القوس، بينما

مال (بلثاميل) للأمام وعينا قناعه على الفتحة الحجرية البيضاء، كما لو أنه يُريد أن يلج منها. قال (أجينور) بصوت خافت: «زمن طويل بدونها، زمن طويل».

قال (لويال): «فليحمِ (النور)...». كان صوته يرتجف وقد بتر حديثه فجأة عندما نظر إليه (أجينور).

قال (مات) بصوت أجش: «الملعونون مسجونون في (شايول غول)...».

«كنا مسجونين». ابتسم (أجينور) فبدت أسنانه المصفرة كأنها أنياب. «بعضنا لم يعد مسجونًا، لقد ضعفت الأختام أيتها (الآيز سيداي). نحن نجوب العالم مرة أخرى مثل (إشامايل)، وسرعان ما سيأتي بقيتنا. لقد كنت قريبًا للغاية من هذا العالم في أسري، وكذلك (بلثاميل)، كنا قريبين من دوران (عجلة الزمن)، ولكن سُرعان ما سيتحرر (سيد الظلام العظيم) ويمنحنا جسدًا جديدًا، وسيصير العالم ملكنا مرة أخرى. هذه المرة ليس لديكم (ليوز ثيرين قاتل أهله)، ليس لديكم (سيد الصباح) لينقذكم. نحن نعرف من نبحث عنه الآن، وليس هنالك حاجة لبقيتكم».

قفز سيف (لان) من غمده بسرعة تفوق قدرة عيني (راند) على المتابعة، ورغم هذا تردد (الحامي) وهو ينقل بصره بين (مويرين) و(نايניف)، كانت المرأتان تقفان على مسافة متباعدة، إن وضع نفسه بين أي منهما و(الملعونين) سيجعله بعيدًا عن الأخرى. لم يستمر التردد إلا لجزء من الثانية، ولكن بينما قدما (الحامي) تتحركان رفع (أجينور) يده. كانت إيماءة مزدرية بأن أشاح بأصابعه المتغضنة كأنما ليهش ذبابة. طار (الحامي) للوراء عبر الهواء كأنما قبضة ضخمة قد لكمته. اصطدم (لان) بالقوس الحجري بصوت ارتطام مكتوم، وتعلق هناك للحظة قبل أن يتهاوى متكومًا بلا حراك، وسيفه مستقر بالقرب من يده الممدودة.

صرخت (ناينيف): «لا!».

أمرتها (مويرين): «ابقي ساكنة!». ولكن قبل أن يتمكن أي شخص آخر من الحركة كانت الحكيمة قد استلت السكين من حزامها وركضت نحو (الملعون) وقد أشهرت نصله الصغير.

صرخت وهي تضرب صدر (أجينور): «فليعمِك (النور)».

تحرك الملعون الآخر كالأفعى، وبينما لا تزال تهوي بضربتها انقضت يد (بلثاميل) المغطاة بالجلد لتُمسك بذقنها، فغاصت أصابعه في إحدى وجنتيها، بينما انغرس إبهامه في الأخرى، مما جعل الدماء تسيل بفعل الضغط وهو يرفع اللحم في انثناءات شاحبة. اجتاح التشنج جسد (نباينيف) من رأسها حتى أخمص قدميها، كأنما ضربتها صاعقة. سقط سكينها عديم النفع من أصابعها المتدلية بينما (بلثاميل) يرفعها بقبضته ويقربها من حيث يحدق قناعه الجلدي إلى وجهها الذي لا يزال يرتجف. تشنجت أصابعها على ارتفاع قدم من الأرض وتساقطت الزهور من شعرها.

«لقد كدت أنسى ملذات الجسد». لعق (أجينور) شفتيه المتغضنتين بلسانه فبدا الصوت كحجر يحتك بجلد خشن. «ولكن (بلثاميل) يتذكر الكثير». بدا أن ضحكة القناع تزداد جموحًا، والعواء الذي ندَّ عن (نباينيف) أحرق أذني (راند) كأنما اليأس يُنتزع من قلبها الحي.

فجأة تحركت (إيجوين) فرأى (راند) أنها على وشك أن تُساعد (نباينيف) فصاح: «(إيجوين)، لا!». ولكنها لم تتوقف. كان قد مد يده إلى سيفه مع صرخة (نباينيف)، ولكنه في هذه اللحظة تخلى عنه وألقى بنفسه نحو (إيجوين). اصطدم بها قبل أن تقطع خطوتها الثالثة مما جعلهما يسقطان أرضًا. كانت (إيجوين) قد سقطت تحته وهي تشهق، وعلى الفور بدأت تضرب بيديها لكي تحرر نفسها.

أدرك أن الآخرين قد تحركا بدورهما؛ فأس (بيرين) يدور في يده، وعيناه تلمعان بشراسة بلون ذهبي، بينما صرخ (مات) وخنجر (شادار لوجوث) في يده: «الحكيمة!».

صاح (راند): «لا، لا يمكنكما أن تقاتلا (الملعونين)!». ولكنهما ركضا ليتجاوزاه كأنما لم يسمعاه وأعينهما على (ناينيف) و(الملعونين).

حدق (أجينور) إليهما بلا اكتراث... وابتسم.

أحس (راند) أن الهواء يضطرب من فوقه كفرقعة سوط عظيم. لم يكن (مات) و(بيرين) قد قطعا نصف المسافة التي تفصلهما عن (الملعونين)، عندما توقفا كأنهما قد ارتطما بجدار قبل أن يرتدا للوراء ويتكوما على الأرض.

قال (أجينور): «جيد، مكان مناسب لكم. إن تعلمتم أن تذللوا أنفسكم في عبادتنا فربما أترككم على قيد الحياة».

أسرع (راند) واقفًا على قدميه على الفور. ربما لا يمكنه أن يقاتل (الملعونين) . لا يمكن لأي إنسان عادي أن يفعل هذا . ولكنه لن يسمح لهما أن يصدقا لدقيقة أنه يتذلل أمامهما. حاول أن يساعد (إيجوين) على النهوض ولكنها صفعت يده بعيدًا ووقفت بمفردها وهي تنفض الغبار عن فستانها في غضب. كان (مات) و(بيرين) قد دفعا نفسيهما بعناد للوقوف بلا اتزان.

قال (أجينور): «ستتعلمون إن كنتم تريدون أن تبقوا على قيد الحياة، الآن وقد عثرت على ما أحتاج إليه». انتقلت عيناه إلى المدخل الحجري. «فسأستغرق الوقت الكافي لتعليمكم».

«هذا لن يكون». خطا (الرجل الأخضر) من بين الأشجار بصوت كصاعقة تضرب شجرة بلوط عتيقة. «أنتما لا تنتميان إلى هنا».

ألقى (أجينور) نحوه نظرة مقتضبة مزدرية وقال: «انصرف! لقد انتهى وقتك، وكل أبناء جنسك قد صاروا غبارًا قبل زمن بعيد. عِشْ ما تبقى لك من حياة وكن مسرورًا لأنك لا ترقى إلى اهتمامنا».

قال (الرجل الأخضر): «هذا مكاني، ولن تؤذيا أي شيء حي هنا».

ألقى (بلثاميل) (نايينيف) جانبًا كخرقة بالية فسقطت متكومة على نفسها، بعينين زائغتين وكأنما العظام قد ذابت في أطرافها. رفع (بلثاميل) يده المغطاة بالجلد فزأر (الرجل الأخضر) بينما الدخان يتصاعد من الأغصان التي نُسج منها، ورددت الرياح صدى ألمه بين الأشجار.

عاد (أجينور) ببصره إلى (راند) والبقية كأنما (الرجل الأخضر) قد انتهى أمره، ولكن في خطوة واحدة واسعة التفت ذراعان مورقتان ضخمتان حول (بلثاميل) لترفعاه لأعلى قبل أن ترطماه بجذوع سميكة لأشجار متسلقة، فضحك القناع الجلدي الأسود في وجه العينين البندقيتين المظلمتين بالغضب. تلوى ذراعا (بلثاميل) كأفعوانين لتخلصا نفسيهما، ثم أمسكت يداه المغطاتان بالقفاز برأس (الرجل الأخضر) كأنما يريد انتزاعه من موضعه. اندلعت ألسنة اللهب من حيث لمست هاتان اليدان رأسه، فتلوت الأغصان وتساقطت الأوراق. صرخ (الرجل الأخضر) بينما الدخان الأسود الكثيف يتصاعد من بين أغصان جسده. راح يزأر بلا انقطاع كأنما روحه تخرج من جسده مع الدخان الذي يتصاعد من بين شفتيه.

فجأة انتفض (بلثاميل) في قبضة (الرجل الأخضر)، وحاولت يدا (الملعون) أن تدفعاه بعيدًا بدلًا من الإمساك به. لوَّح بيد مغطاة بقفاز... وانفجر غصن صغير من بين الجلد الأسود. فطر كهذا الذي يحيط بجذوع الأشجار في حلقات في ظلال الغابات الكثيفة أحاط بذراعه في حلقات، كأنما ظهر من العدم لينمو بشكل كامل، وانتفخ ليغطي ذراعه كلها. راح (بلثاميل) يلوح بذراعه، ثم مزَّق قناع وجهه فسيلة من العشب النتن

والإشنيات تغرس جذورها وتصنع شقوقًا صغيرة في جلد وجهه، وكسَّرت نباتات الحراس عيني قناعه، ومزَّق فطر رأس الموت فمه.

ألقى (الرجل الأخضر) بالملعون جانبًا. راح (بلثاميل) يتلوى ويرتجف بينما كل الأشياء التي تنمو في الأماكن المظلمة، كل الأشياء التي تحمل جراثيم، كل الأشياء التي تحب الرطوبة، راحت تنمو وتتضخم وتمزق الثياب والجلد واللحم. هل كان هذا لحمًا الذي شوهد في تلك اللحظة المقتضبة من الغضب النباتي؟ . إلى أشلاء متناثرة، وغطَّته حتى لم يتبقَّ إلا كومة لا يمكن تمييزها عن الكثير من الكومات في الأعماق الظليلة في الغابة الخضراء، ومثلها لم تتحرك هذه الكومة.

بتأوه كتحطم غصن تحت ثقل كبير تهاوى (الرجل الأخضر) أرضًا، نصف رأسه أسود ومتفحم. كانت ألسنة الدخان لا تزال تتصاعد منه، كنباتات متسلقة رمادية. تساقطت الأوراق المحترقة من ذراعه بينما يمدها بألم ليكور يده بلطف حول ثمرة بلوط.

ارتجفت الأرض بينما شتلة بلوط تشق طريقها من بين أصابعه. تهاوى رأس (الرجل الأخضر) ولكن الشتلة مدت نفسها بمشقة نحو أشعة الشمس. برزت الجذور وازدادت سمكًا وهي تغوص تحت الأرض، قبل أن تعلو وتزداد سمكًا مرة أخرى بينما تغوص. ازداد الجذع حجمًا بينما اللحاء يصير رماديًّا ومشققًا وعتيقًا. انتشرت الأغصان وازدادت ثقلًا وصارت بحجم الأذرع، ثم بحجم الرجال، وارتفعت عاليًا لتعانق السماء، بأغصان كثيفة الأوراق الخضراء، وكثيرة ثمار البلوط. قلبت شبكة الجذور الضخمة الأرض كالمحاريث مع انتشارها، والجذع الذي كان ضخمًا بالفعل راح يرتجف وهو يزداد اتساعًا ليصير بحجم بيت. حل السكون وصار هناك شجرة بلوط يُمكن تقدير عمرها بخمسمئة سنة تغطي البقعة التي كان فيها (الرجل الأخضر) لتصير شاهد قبر أسطورة. كانت (نايتيف) مستلقية على الأغصان المتغضنة التي انحنت حول هيئتها لتشكل فراشًا تستريح

عليه. تنهدت الرياح من بين أغصان شجرة البلوط وبدا كأنها تتمتم بالوداع.

حتى (أجينور) بدا مذهولًا، ثم رفع رأسه وعيناه الغائرتان تحترقان بالكراهية وهو يقول: «يكفي! حان وقت إنهاء هذا الأمر!».

قالت (مويرين) بصوت بارد كبرودة جليد منتصف الشتاء: «أجل أيها الملعون، حان الوقت!».

رفعت (الآيز سيداي) يدها فانشقت الأرض تحت قدمي (أجينور). زأرت ألسنة اللهب من الهاوية، وتأججت بفعل الرياح العاوية في كل اتجاه، لتجذب إعصارًا من أوراق الشجر إلى النيران التي بدت وكأنها تتجمد في هلام من اللونين الأصفر والأحمر من الحرارة الصافية. في منتصفها كان (أجينور) واقفًا لا يدعم قدميه إلا الهواء. بدا (الملعون) مندهشًا ثم ابتسم وخطا خطوة للأمام، كانت خطوة بطيئة كأن النار تحاول أن تسمره في موضعه، ولكنه قطع الخطوة، ثم أخرى.

قالت (مويرين) آمرة: «اركضوا!». كان وجهها شاحبًا مع الجهد المبذول. «اركضوا جميعًا!». خطا (أجينور) عبر الهواء نحو حافة اللهب.

كان (راند) مُدركًا لحركة الآخرين، فقد اندفع (مات) و(بيرين) مبتعدين إلى حافة رؤيته، وساقا (لويال) الطويلتين تحملانه إلى الأشجار، ولكن كل ما استطاع رؤيته حقًّا كان (إيجوين). كانت تقف هناك متيبسة ووجهها شاحب وعيناها مغمضتان. أدرك أن ما يجمدها في موضعها ليس الخوف، كانت تحاول أن تستخدم قوتها الضعيفة غير المتمرسة في التحكم في (القوة الواحدة) في مواجهة (الملعون).

أمسكها من ذراعها بخشونة وجذبها لكي تواجهه، ثم صرخ في وجهها: «اركضي!». فتحت عينيها وهي تحدق إليه، غاضبتين لتدخله وتلمعان بكراهية (أجينور) والخوف منه. قال وهو يدفعها نحو الأشجار بقوة كافية

لكي يحثها على الحركة: «اركضي! اركضي!». وما إن بدأت في الحركة حتى ركضت بالفعل.

ولكن وجه (أجينور) المتغضن التفت نحوه، نحو (إيجوين) التي تركض وراءه، بينما (الملعون) يخطو عبر اللهب كأن ما تفعله (الآيز سيداي) لا يُبالي به (أجينور) على الإطلاق. نحو (إيجوين).

صاح (راند): «ليس هي! فليحرقك (النور)، ليس هي!». ثم أمسك بحجر وألقى به نحو (أجينور) قاصدًا أن يجذب انتباهه. ولكن في منتصف الطريق إلى وجه الملعون تحول الحجر إلى حفنة من غبار.

لم يتردد إلا للحظة واحدة كافية لأن ينظر وراءه ويرى أن (إيجوين) قد اختفت بين الأشجار. كانت ألسنة اللهب لا تزال تحيط بـ(أجينور)، والدخان يتصاعد من عباءته، ولكنه كان يمشي كأن لديه كل الوقت في العالم، وكانت حافة النار قريبة. استدار (راند) على عقبيه وبدأ في الركض، ومن ورائه سمع (مويرين) تبدأ في الصراخ.

الفصل الواحد والخمسون

في مواجهة الظل

كانت الأرض ترتفع في الطريق الذي يمضي عبره (راند)، ولكن الخوف منح ساقيه قوة فراحتا تطويان الأرض في خطوات واسعة، يشق طريقه عبر الشجيرات المزهرة والورود البرية المتشابكة والبتلات المتناثرة دون أن يُبالي إذا مزق الشوك ملابسه أو حتى لحمه. كانت (مويرين) قد توقفت عن الصراخ، وبدا كأن صرخاتها قد استغرقت دهرًا، وكل صرخة مُريعة أكثر من سابقتها، لكنه يعرف أنها لم تستغرق إلا لحظات معدودة. لحظات قبل أن يكون (أجينور) في إثرهم. كان يعرف أن (أجينور) سيلحق به، لقد رأى هذا اليقين في عيني (الملعون) الغائرتين. في تلك اللحظة الأخيرة قبل أن يجلد الرعب قدميه لكي يبدأ في الركض.

ازدادت الأرض انحدارًا ولكنه واصل الركض متعثرًا وهو يدفع نفسه للأمام متشبثًا بالشجيرات، بينما الصخور والتراب وأوراق الشجر تتساقط عبر المنحدر من تحت قدميه، وأخيرًا أخذ يزحف على يديه وركبتيه عندما صار الانحدار حادًّا للغاية. أمامه، أعلاه، كان الطريق مستويًا قليلًا. راح يلهث وهو يشق طريقه زاحفًا تلك الخطوات القليلة المتبقية، قبل أن ينهض على قدميه ويتوقف في موضعه وهو يشعر بالرغبة في أن يعوي بصوت عالٍ.

على بعد عشر خطوات أمامه كانت قمة التل تنحدر لأسفل بشكل حاد. كان يعرف ما سيراه قبل أن يصل إليه، ولكنه قطع هذه الخطوات على أي حال، كل واحدة أثقل من سابقتها، وهو يأمل أن يكون هناك طريق ما، مسار للماعز أو أي شيء. عند الحافة نظر إلى الأسفل عبر منحدر من مئة قدم، جدار صخري ناعم كخشب مصقول.

يجب أن يكون هناك طريق ما، سأعود وأجد طريقًا من حول التل، سأعود و... عندما استدار وجد (أجينور) هناك، قد وصل القمة للتو. صعد (الملعون) التل دون أدنى عناء وهو يمشي عبر المنحدر الحاد كأنما يسير على أرض مستوية. أحس بالاحتراق وهو ينظر إلى هاتين العينين الغائرتين المطلتين من هذا الوجه الذي يُشبه الورق العتيق المشدود، الذي بدا بطريقة ما أقل ذبولًا عن ذي قبل، أكثر نضرة، كأنما (أجينور) قد تغذى جيدًا على شيء ما. كانت هاتان العينان مثبتتين عليه، ولكن عندما تكلم (أجينور) بدا وكأنما يُكلم نفسه.

«سيمنح (بعلزمون) مكافآت عظيمة تفوق أحلام البشر الفانين لهذا الذي سيجلبك إلى (شايول غول). ولكن لطالما كانت أحلامي تفوق أحلام البشر وأنا لم أعد فانيًا منذ آلاف السنوات. ما الفارق إن كنت تخدم (سيد الظلام العظيم) حيًّا أم ميتًا؟ لا فارق بالنسبة لانتشار (الظل). لمَ يجب أن أشارك قوتي معك؟ لمَ يجب أن أركع أمامك؟ أنا من واجهت (ليوز ثيرين تيلامون) في (قاعة الخادمين) ذاتها. أنا من استنفرت قوتي في وجه (سيد الصباح) وبادلته الضربة بالضربة. لا أعتقد هذا».

أحس (راند) أن حلقه جاف كالغبار، وبدا لسانه ذابلًا ك(أجينور). أحس بحافة الهاوية تحت كاحليه وتساقط منها حجر. لم يجرؤ على النظر إلى الوراء، ولكنه سمع الصخور ترتطم بجدار المنحدر وترتد عنه، تمامًا كما سيحدث لجسده إن تحرك بوصة أخرى. كانت هذه المرة الأولى التي يُدرك فيها أنه يتراجع للوراء بعيدًا عن (الملعون). اقشعر جلده حتى خُيّل إليه أنه قد يراه ذابلًا إن نظر إليه، فقط إن كان باستطاعته أن يُبعد عينيه عن

(الملعون). *يجب أن يكون هناك طريقة ما للفرار منه، طريقة ما للهرب! يجب أن يكون هناك طريقة ما!*

فجأة شعر بشيء ما، رآه، رغم معرفته أنه لا شيء هناك ليراه. كان هناك حبل متوهج يمتد من (أجينور)، من ورائه. أبيض كضوء الشمس عند رؤيته من خلال أنقى غيمة، أثقل من ذراع حداد، أخف من الهواء، يربط (الملعون) بشيء بعيد يفوق المعرفة، شيء في متناول يد (راند). نبض الحبل ومع كل نبضة كان (أجينور) يزداد قوة، يزداد امتلاءً باللحم، صار رجلًا طويلًا وقويًّا مثله، رجلًا أشد من (الحامي)، أكثر فتكًا من (البلاء العظيم). ومع هذا فبجانب ذلك الحبل المتوهج بدا (الملعون) وكأنه غير موجود تقريبًا. كان الحبل هو كل شيء، كان يهمهم، يغني، ينادي روح (راند). ارتفع فتيل كإصبع مضيء وحلق ولمسه فشهق، ملأه الضوء والحرارة التي كان يجب أن تحرقه ولكنها لم تفعل شيئًا سوى أن دفأته كأنما تطرد برودة القبر من عظامه. ازداد الفتيل سمكًا. *يجب عليَّ أن أهرب!*

صاح (أجينور): «لا! لا يجب أن تنالها! إنها ملكي!».

لم يتحرك (راند)، ولم يتحرك (الملعون) كذلك، ولكنهما تقاتلا كأنما يتصارعان في التراب. انهمر العرق على وجه (أجينور) الذي لم يعد متغضنا ولم يعد عجوزًا، بل صار وجه رجل في عنفوان شبابه. كان (راند) يخفق مع نبضات الحبل كنبضات قلب العالم. ملأ الضوء عقله حتى لم يتبقَّ سوى ركن يمثل ذاته. غلَّف هذا الركن بالخواء، ليحتمي في الفراغ. *اهرب!*

صرخ (أجينور): «ملكي! ملكي!».

تعاظم الدفء بداخل (راند)، دفء الشمس، توهج الشمس، الانفجار، التوهج الفظيع للضوء، توهج (النور). *اهرب!*

«ملكي!». اندلعت ألسنة اللهب في فم (أجينور) واخترقت عينيه كرمحين من النار فراح يصرخ.

لم يعد (راند) على قمة التل، كان يرتجف بـ(النور) الذي يغمره. لم يعد عقله يعمل وقد أعماه الضوء والحرارة. (النور). في وسط الخواء كان (النور) يعمي عقله، ويشل أطرافه بالرهبة.

كان يقف في ممر جبلي عريض، محاط بقمم سوداء مدببة كأسنان (سيد الظلام). كان الأمر حقيقيًّا، إنه هناك. أحس بالصخور تحت حذائه والرياح الثلجية على وجهه.

كان هناك معركة تحيط به، أو نهاية معركة. رجال مدرعون على أحصنة مدرعة، وقد صار الفولاذ اللامع مغبرًا وهم يمزقون ويطعنون (الترولوكيين) المزمجرين الذين يحملون فؤوسًا شائكة وسيوفًا كالمناجل. بعض الرجال كانوا يقاتلون على أقدامهم بعد أن سقطت خيولهم، بينما كان هناك خيول تركض في ساحة المعركة بسروج خاوية. كان (العواتم) يتحركون بين كل هذا، عباءاتهم السوداء كالليل مستقرة في سكون على ظهور خيولهم السوداء الراكضة وكلما لوحوا بسيوفهم المظلمة مات الرجال. كان الصوت يضرب (راند)، يضربه ويرتد عن الغرابة التي تُحكم حوله الخناق. صليل الفولاذ على الفولاذ، لهاث الرجال وتأوهاتهم، وحشرجة (الترولوكيين)، صرخات رجال واحتضار (ترولوكيين). فوق جلبة المعركة تعالت الرايات في الهواء المليء بالغبار، الصقر الأسود شعار (فال دارا)، والأيل الأبيض شعار (شاينار)، ورايات أخرى. ورايات (الترولوكيين). في المساحة الصغيرة المحيطة به رأى الجمجمة ذات القرنين شعار (الداقول)، والرمح الثلاثي الأحمر القاني شعار (الكوبال)، والقبضة الحديدية شعار (الدايمون).

ورغم هذا كان ذلك بالفعل نهاية المعركة، فترة من التوقف، بينما البشر و(الترولوكيون) على حد سواء يتراجعون لإعادة ترتيب صفوفهم. لم يبدُ أن أحدًا يُلاحظ (راند) بينما هم يضربون الضربات الأخيرة أو يتراجعون بأحصنتهم أو يركضون بخطوات متعثرة إلى طرفي الممر.

وجد (راند) نفسه يواجه طرف الممر حيث يعيد البشر تجميع صفوفهم والأعلام تخفق تحت وهج سنان الرماح. كان الجرحى يتمايلون في سروجهم، وأحصنة بلا فرسان ترفع قوائمها وتركض. من الواضح أنهم لا يستطيعون تحمل اشتباك آخر، كما كان من الواضح أنهم يعدون أنفسهم من أجل هجمة أخيرة، حينها رآه بعضهم، رجال يقفون في ركابهم للإشارة إليه، وقد وصلت إليه صيحاتهم كصوت مزامير خافت.

التفت وهو يجر قدميه، كانت قوى (سيد الظلام) تملأ الطرف الآخر من الممر، حراب شوكية سوداء وسنان رماح راحت تتضاعف على منحدرات الجبل التي صارت أكثر سوادًا بفعل حشود (الترولوكيين) التي يتضاءل أمامها جيش (شاينار). كان هناك (عواتم) بالمئات يتقدمون الحشود، ووجوه (الترولوكيين) الشرسة ذات الخطوم تلتفت بعيدًا في خوف أثناء مرورهم وتتراجع الأجساد الضخمة لتفسح لهم الطريق. بالأعلى كان (الدراكار) يحومون بأجنحة جلدية وصرخاتهم تتحدى الرياح. حينها رآه (أنصاف البشر) وأشاروا نحوه، فالتف (الدراكار) واندفعوا نحوه. اثنان، ثلاثة، ستة منهم، انقضوا عليه بصرخات حادة.

حدق إليهم والحرارة تملأه، حرارة حارقة كأنما يلمس الشمس. كان باستطاعته أن يرى (الدراكار) بوضوح، أعين خالية من الحياة في وجوه رجال شاحبة بأجساد مجنحة لا تحمل أي لمحة من البشرية، حرارة فظيعة، حرارة متأججة.

جاء البرق من السماء الصافية، وكل صاعقة حادة وساطعة، تحرق عينيه، كل صاعقة تضرب شكلًا مجنحًا أسود. تحولت صيحات الصيد إلى صرخات الموت، وتهاوت الأجساد المتفحمة لتترك السماء صافية مرة أخرى.

الحرارة، حرارة (النور) الفظيعة.

جثا على ركبتيه، خُيِّل إليه أن باستطاعته أن يسمع صوت دموعه وهي تتبخر على وجنتيه. «لا!». تشبث بحِزَمٍ من الحشائش الشائكة كأنما يتشبث بالواقع فاندلعت النيران في الحشائش. «أرجوك، لاااااا!».

تعالت الرياح مع صوته، تعوي مع صوته، تزأر مع صوته عبر الممر. لتحول ألسنة اللهب إلى جدار من النيران أسرعت مبتعدة عنه نحو جيش (الترولوكيين)، أسرع من ركض الخيول. أحرقت النيران (الترولوكيين)، وارتجف الجبل مع صرخاتهم، صرخات كادت أن تكون عالية كالرياح وصوته.

«يجب أن ينتهي الأمر!».

ضرب الأرض بقبضته فقرعت كالناقوس، أدمى قبضتيه على الأرض الصخرية فارتجفت الأرض، اجتاحت التموجات الأرض مبتعدة عنه في موجات متقطعة، موجات من التراب والصخور تعلو فوق (الترولوكيين) و(العواتم) وتتكسر عليهم، بينما الجبال تتحطم تحت حوافر أقدامهم. اجتاح جيش (الترولوكيين) كتلة تغلي من اللحم والركام، وما تبقى منهم واقفًا كان لا يزال جيشًا عظيمًا، ولكنه لا يفوق الجيش البشري بأكثر من ضعف عدد، وقد اجتاحه الخوف والاضطراب.

همدت الرياح، همدت الصرخات، سكنت الأرض، تساقط الغبار والدخان عبر الممر ليحيط بهم.

«فليعمِك (النور) يا (بعلزمون)، يجب أن ينتهي هذا!».

إنه ليس هنا.

لم تكن هذه فكرة (راند)، وقد جعلت جمجمته تهتز.

لن أنحاز إلى طرف، وحده المختار يمكنه أن يفعل ما يتحتم عليه فعله، إن كانت هذه هي مشيئته.

«أين؟». لم يرغب في أن يقولها، ولكنه لم يستطع أن يمنع نفسه. «أين؟».

انفصل عنه الضباب المحيط به ليترك قبة من الهواء النقي الصافي بارتفاع عشرة باعات ويحيط به جدران من الدخان والتراب المتصاعد. ظهرت أمامه درجات، كل درجة معلقة في الهواء بلا شيء يدعمها، وتمتد حتى العتمة التي تحجب الشمس.

ليس هنا.

جاءت صرخة عبر الضباب كأنما من أقصى الأرض. «إنها مشيئة (النور)!». ارتجفت الأرض مع دوي الحوافر كالرعد، بينما قوى البشرية تهجم هجومها الأخير.

بداخل الخواء عرف عقله لحظة من الهلع، لا يقدر الفرسان المهاجمون على رؤيته بداخل الغبار، إن خيولهم ستدهسه أثناء اندفاعها. تجاهل الجزء الأكبر منه ارتجاف الأرض، وقد عدَّه شيئًا تافهًا لا يستحق الاهتمام. حرك قدميه غضب مكتوم فاعتلى أول الدرجات. *يجب أن ينتهي الأمر!*

أحاطت به الظلمة، السواد الحالك للعدم المطلق. كانت الدرجات لا تزال هناك، مُعلقة في الظلمة تحت قدميه وأمامه. عندما نظر وراءه كان من خلفه قد اختفوا، تلاشوا إلى اللاشيء، إلى العدم المحيط به. ولكن الحبل كان لا يزال هناك، ممتدًّا وراءه، يتضاءل ويتلاشى في الأفق البعيد. لم يكن سميكًا كذي قبل، ولكنه لا يزال ينبض، يضخ القوة فيه، يضخ الحياة، يملأه بـ(النور). صعد الدرجات.

بدا أنه راح يصعد دهرًا، دهرًا وبضع دقائق. كان الزمن متوقفًا في العدم، يمر الزمن بشكل أسرع. راح يصعد حتى رأى فجأة بابًا أمامه، كان سطحه خشنًا ومتشققًا وعتيقًا، بابًا يذكره جيدًا. لمسه فانفجر إلى شظايا. بينما الشظايا لا تزال تسقط خطا عبرها، بينما قطع من الخشب المتناثر تتساقط من على كتفيه.

كانت الحجرة أيضًا كما يتذكرها، السماء المجنونة ممتزجة الألوان من وراء الشرفة، الجدران الذائبة، الطاولة المصقولة، المدفأة الفظيعة مع ألسنة اللهب المتأججة الخالية من الحرارة. بعض الوجوه التي تشكل المدفأة تتلوى في عذاب وتصرخ في صمت، تخمش ذاكرته كأنما يعرفها، ولكنه تشبث بالخواء وتركه يطفو بداخله في الفراغ. كان وحيدًا، وعندما نظر إلى المرآة على الجدار كان وجهه هناك واضحًا كأنما هو هناك حقًّا. *هناك سكينة في الخواء.*

قال (بعلزمون) من أمام المدفأة: «أجل، أعرف أن جشع (أجينور) سيغلبه، ولكن هذا لا يصنع فارقًا في النهاية. كان بحثًا طويلًا ولكنه انتهى الآن، أنت هنا وأنا أعرفك».

انجرف الخواء في وسط (النور)، وفي وسط الخواء يطفو (راند). مد يده نحو تراب دياره وتحسس صخورها الصلبة، عنيدة وجافة، حجر بلا شفقة، حيث لا يمكن أن ينجو إلا القوي، هؤلاء الصلاب كالجبال. «لقد سئمتُ الهرب». لم يستطع أن يصدق أن صوته بهذا الهدوء. «سئمتُ تهديدك لأصدقائي. لن أهرب أكثر من هذا». رأى أن هناك حبلًا ممتدًّا من (بعلزمون) أيضًا، حبلًا أسود أكثر سماكة من حبله، سميكًا للغاية حتى أن الجسم البشري سيتضاءل بجواره، ولكن بدلًا من ذلك تضاءل الحبل بجانب (بعلزمون)، وكل نبضة من هذا الشريان الأسود تأكل الضوء.

«هل تعتقد أن هربك أو بقاءك سيمثل فارقًا؟». ضحكت ألسنة اللهب في فم (بعلزمون) وانتحبت الوجوه في المدفأة لمرح سيدها. «لقد هربتَ مني مرات عديدة، وكل مرة أحاصرك وأجعلك تبتلع كبرياءك مع دموعك المتمخطة. مرات عديدة وقفتَ وقاتلتَ ثم تذللتَ في هزيمة وتوسلتَ من أجل الرحمة. لديك هذا الخيار أيها الدودة، وهذا الخيار وحده، اركع تحت قدميّ واخدمني بإخلاص وسأمنحك سلطة على العروش، أو كُن دُمية (تار ڤالون) الحمقاء واصرخ بينما تُطحن مع غبار الزمن».

تململ (راند) وهو ينظر وراءه عبر الباب كأنما يبحث عن طريقة للهرب. دع (سيد الظلام) يعتقد هذا. وراء مدخل الباب كان لا يزال هناك ظلمة العدم، لا يقطعها إلا الخيط المضيء الممتد من جسده. وبالخارج كان هناك حبل (بعلزمون) الأغلظ ممتدًّا بدوره، أسود تمامًا حتى أنه كان بارزًا في الظلمة كأنما يبرز في الثلج. كان الحبلان ينبضان كشرياني قلب يتصارعان أحدهما في مواجهة الآخر، والضوء بالكاد يقاوم موجات الظلام.

قال (راند): «هناك خيارات أخرى، (عجلة الزمن) تنسج (النمط) وليس أنت، لقد هربتُ من كل شرك نصبته لي، لقد هربتُ من (العواتم) و(الترولوكيين)، وهربت من أتباعك من (أصدقاء الظلام)، لقد تعقبتك إلى هنا وحطمتُ جيشك في طريقي، لست أنت من ينسج (النمط)».

تأججت عينا (بعلزمون) كتنورين، لم تتحرك شفتاه، ولكن خُيِّل لـ(راند) أنه سمع سبة لـ(أجينور). ثم خمدت النيران، وهذا الوجه البشري العادي ابتسم له بطريقة جعلته يشعر بالقشعريرة رغم دفء (النور).

«يُمكن حشد جيوش أخرى أيها الأحمق، ستأتي جيوش لم تحلم بها من قبل. وأنت تعقبتني؟ أنت يا حشرة تحت صخرة تتعقبني؟ لقد بدأت في تحديد مسارك منذ يوم مولدك، مسار يؤدي بك إلى قبرك أو إلى هنا. سُمح (للآييليين) بالهرب، وسُمح لواحد منهم بالحياة، ليتحدث بالكلمات التي سيتردد صداها عبر السنوات. (جين فارسترايدر)، البطل». نطق بالكلمة في سخرية. «الذي جعلته يبدو كالأحمق قد أرسلوه إلى (الأوجير)، ظنًّا أنه سيكون بمأمن مني. (الآجاه السوداوات) يتلوين كالديدان على بطونهن عبر العالم بحثًا عنك. أنا أجذب الخيوط فترقص (عرش أميرلين) وتعتقد أنها تتحكم في الأحداث».

ارتجف الخواء وعلى الفور جعله (راند) راسخًا مرة أخرى. إنه يعرف كل شيء. ربما يمكنه فعلها. يمكن أن يكون الأمر بالطريقة التي يقولها.

بث (النور) الدفء في الخواء. تعالت صرخات الشك وسكنت، حتى لم يتبقَّ سوى البذرة. راح يقاوم وهو لا يعرف إن كان يريد أن يدفن البذرة أم يجعلها تنمو. استقر الخواء، أصغر من ذي قبل، وهو يطفو في سكينة.

بدا أن (بعلزمون) لم يلاحظ شيئًا. «لا يهمني إن ظفرت بك حيًّا أو ميتًا، بل يهمك أنت، ويهمك القوة التي قد تنالها. ستخدمني، أو ستخدمني روحك. ولكني أفضل أن تركع لي حيًّا لا ميتًا. لقد أرسلت قبضة واحدة من (الترولوكيين) إلى قريتك بينما كان بإمكاني أن أُرسل ألفًا. لم يواجهك سوى (صديق ظلام) واحد بينما كان من الممكن أن يأتيك مئة أثناء نومك. وأنت أيها الأحمق لا تعرفهم جميعًا، لا هؤلاء الذين أمامك، ولا هؤلاء الذين خلفك، ولا هؤلاء الذين على جانبيك. أنت ملكي، ولطالما كنت ملكي، كلب مقيد في طوق، وقد جلبتك إلى هنا لكي تركع أمام سيدك، أو تموت وتترك روحك تركع».

«أنا أجحد بك، ليس لديك سلطان عليّ، ولن أركع لك حيًّا أو ميتًا».

قال (بعلزمون): «انظر، انظر». فأدار (راند) رأسه رغمًا عنه.

كانت (إيجوين) واقفة هناك، و(نايانيف)، شاحبتين ومرعوبتين، والزهور في شعريهما. وامرأة أخرى، أكبر سنًّا بقليل من الحكيمة، جميلة بعينين رماديتين، ترتدي ملابس (النهرين)، ويحيط بعنقها تطريز من أزهار زاهية.

قال بأنفاس لاهثة: «أمي؟». فابتسمت ابتسامة يائسة، ابتسامة أمه. «لا! أمي ميتة، والاثنتان الأخريان في أمان بعيد عن هنا. أنا أجحد بك!». تحولت (إيجوين) و(نايانيف) إلى صورة ضبابية، ثم تطاير الضباب وتبدد. كانت (كاري ألثور) لا تزال واقفة هناك، وعيناها الواسعتان مليئتان بالخوف.

قال (بعلزمون): «إنها ملكي أخيرًا لأفعل بها ما يحلو لي».

هز (راند) رأسه وقال: «أنا أجحد بك». كان يُجبر نفسه على النطق بالكلمات. «إنها ميتة وبمأمن منك في (النور)».

ارتجفت شفتا أمه وسالت الدموع على وجنتيها، كل دمعة تحرقه كالحمض. قالت: «إن (سيد القبر) أقوى مما كان من قبل يا بني، إن نفوذه أوسع. إن (أبا الأكاذيب) لديه لسان معسول مع الأرواح الغافلة يا بني. ابني الوحيد العزيز. كنت سأجنبك هذا لو كنت قادرة ولكنه سيدي الآن، إن رغبته هي قانون وجودي. لا يمكنني سوى أن أطيعه، وأتذلل من أجل رضاه. أنت وحدك من يُمكنه تحريري، أرجوك يا بني، أرجوك ساعدني، ساعدني، ساعدني! أرجوك!».

تعالى عويلها بينما (العواتم) بوجوههم الشاحبة الخالية من العينين يحيطون بها، تمزقت ملابسها في أيديهم الخالية من الدماء، والأيدي التي تحمل الكُلابات والكماشات والأشياء التي تلسع وتحرق وتجلد لحمها العاري، لم ينقطع صراخها. تردد صدى صرخات (راند) مع صرخاتها والخواء يغلي في عقله، كان سيفه في يده، ليس السيف الذي يحمل علامة البلشون، بل سيف من الضوء، سيف من (النور). حتى وهو يُشهره اندفعت صاعقة بيضاء نارية من طرفه كأنما النصل ذاته متلهف إلى القتال. لمس أقرب (عاتم) فامتلأت الحجرة بسطوع أبيض يعمي الأبصار، توهج عبر (أنصاف البشر) كما تتوهج الشمعة من خلال ورقة فراح يحرقهم ويعمي عينيه عن المشهد.

من بين هذا التوهج سمع همسة: «شكرًا يا بني، (النور)، (النور) المبارك». تلاشى الوميض فصار وحده في الحجرة مع (بعلزمون)، وعينا (بعلزمون) تتأججان كـ(هاوية الهلاك)، ولكنه أشاح ببصره بعيدًا عن السيف كأنما هو بالفعل (النور) ذاته. «أيها الأحمق! ستدمر نفسك! لا يمكنك أن تستخدمه، ليس بعد! ليس قبل أن أعلمك!».

قال (راند): «لقد انتهى الأمر». ثم هوى بسيفه على حبل (بعلزمون) الأسود.

صرخ (بعلزمون) مع تهاوي السيف، صرخ حتى ارتجفت الجدران الحجرية، وتضاعف العواء اللانهائي بينما نصل (النور) يقطع الحبل. ارتد الطرف المقطوع كأنما كان مشدودًا بقوة. الطرف الممتد إلى العدم بالخارج بدأ يتلاشى وهو يُسرع مبتعدًا بينما الطرف الآخر يضرب (بعلزمون) كالسوط ويدفعه نحو نيران المدفأة. كان هناك ضحكة صامتة في الصرخات عديمة الصوت للوجوه المعذبة. ارتجفت الجدران وتشققت وتمايلت الأرض وتساقط من السقف قطع من الصخور لترتطم بالأرضية.

أشار (راند) بسيفه نحو قلب (بعلزمون) بينما كل شيء يتهاوى من حوله وقال: «لقد انتهى الأمر!».

اندفع الضوء من النصل كرمح يتألق بوابل من الشرارات النارية كقطرات من حديد أبيض مذاب. رفع (بعلزمون) ذراعيه وهو يعوي في محاولة يائسة للدفاع عن نفسه. صرخت ألسنة اللهب في عينيه لتنضم إلى ألسنة اللهب الأخرى مع اشتعال الأحجار، أحجار الجدران المتشققة، أحجار الأرض المتداعية، الأحجار التي تتساقط من السقف. أحس (راند) بالخيط المضيء المتصل به يتضاءل حتى لم يتبقَّ منه إلا التوهج نفسه، ولكنه استنفر عروقه أكثر، دون أن يعرف ما الذي فعله أو كيف، الشيء الوحيد الذي يعرفه هو أن هذا يجب أن ينتهي. يجب *أن ينتهي هذا الأمر!*

ملأ اللهب الحجرة، لهب صلب، كان باستطاعته أن يرى (بعلزمون) يتلوى كورقة شجرة، ويسمعه يعوي، أحس بصرخاته تنخر عظامه. تحول اللهب إلى ضوء أبيض صافٍ أكثر سطوعًا من الشمس، تبدد آخر وميض من الخيط، فراح يسقط عبر ظلمة لا نهائية بينما عواء (بعلزمون) يتلاشى.

ضربه شيء ما بقوة هائلة، وحوَّله إلى هلام، فارتجف الهلام، وصرخ من النار المتأججة بالداخل، والبرد الجائع يحرقه بلا نهاية.

الفصل الثاني والخمسون

ليس هناك بداية ولا نهاية

صار مُدركًا للشمس لأول مرة وهي تتحرك عبر السماء الصافية لتملأ عينيه اللتين لا ترمشان، بدت وكأنها تتحرك بشكل متقطع، فتقف ساكنة لأيام، ثم تندفع في خط من الضوء نحو الأفق البعيد، والنهار يتلاشى معها. بحق (*النور*)، يجب *أن يعني هذا شيئًا*. كان التفكير شيئًا جديدًا. يمكنني *أن أفكر*. ثم جاء الألم وذكرى حمى مستعرة، والكدمات حيث ألقته ارتجافات القشعريرة هنا وهناك كدمية قماشية. ورائحة كريهة، رائحة دهنية حارقة تملأ فتحتي أنفه ورأسه.

دفع نفسه للنهوض على يديه وركبتيه وعضلاته تؤلمه. كان ينظر إلى الرماد الزيتي الذي كان مستلقيًا فيه بعدم استيعاب، رماد متناثر يلطخ أحجار قمة التل. كان هناك قطع من قماش أخضر ممتزجة بالفحم، قصاصات ذات حواف سوداء قد نجت من ألسنة اللهب.

(*أجينور*).

انقبضت معدته وتلوت. حاول أن ينظف ملابسه من لطخات الرماد السوداء وهو يمشي مترنحًا بعيدًا عن بقايا (الملعون). كان يلوح بيديه بضعف دون أن يقدر على التقدم كثيرًا. حاول أن يستخدم كلتا يديه فسقط للأمام. كان المنحدر الحاد يطل من تحت وجهه وجدار صخري

أملس يمتد على مدى بصره، والعمق يجذبه. أحس بالدوار في رأسه وتقيأ من على حافة المنحدر.

ارتجف وهو يزحف للوراء على بطنه، حتى صارت الأحجار الصلبة تحت عينيه، حينها انقلب على ظهره وهو يلهث من أجل الهواء. بذل مجهودًا لكي يستل سيفه من غمده. لم يتبقَّ من الأربطة القماشية الحمراء سوى القليل من الرماد. ارتجفت يداه عندما رفعه أمام وجهه لقد تطلب الأمر كلتا يديه، لقد كان نصلًا يحمل علامة البلشون... *علامة البلشون؟ أجل، (تام)، أبي*... ولكنه لم يكن إلا نصلًا فولاذيًّا. تطلب الأمر منه ثلاث محاولات لكي يعيده إلى غمده. *لقد كان شيئًا آخر، أو كان هناك سيف آخر.*

قال بعد فترة من الوقت: «اسمي (راند ألثور)». ارتد المزيد من الذكريات إلى عقله ككرة فولاذية، فتأوه وهو يهمس لنفسه: «(سيد الظلام)، (سيد الظلام) قد مات». لم يعد هناك حاجة لمزيد من الحذر. «لقد مات (الشيطان)». بدا العالم وكأنه يترنح، راح يرتجف في مرح صامت حتى انهمرت الدموع من عينيه. «لقد مات (الشيطان)!». رفع رأسه ضاحكًا نحو السماء. ذكريات أخرى. «(إيجوين)!». هذا الاسم يعني شيئًا مهمًّا.

نهض واقفًا على قدميه في ألم وهو يرتجف كشجرة صفصاف في مهب الريح، ثم جر قدميه متجاوزًا رماد (أجينور) دون أن ينظر إليه، لم يعد مهمًّا. كان نزوله عبر الجزء الأول من المنحدر أقرب للسقوط وهو يتعثر وينزلق من شجيرة إلى شجيرة. بحلول الوقت الذي وصل فيه إلى جزء من الأرض أكثر استواءً كان ألم كدماته قد تضاعف، ولكنه وجد من القوة ما يكفي بالكاد لأن يقف. *(إيجوين)!* بدأ يجري بشكل متخبط بينما الأوراق وبتلات الأشجار تتساقط من حوله بينما هو يندفع عبر الشجيرات. *يجب أن أجدها، أين هي؟*

بدا أن ذراعيه رخوتان، وكذلك ساقاه، كأنما هي حشائش لينة، فلم تطعه في الحركة قدر ما يريد. راح يهرول ثم تعثر أمام شجرة واصطدم بجذعها بقوة حتى أنه تأوه. تساقطت أوراق الشجر على رأسه بينما وجهه ملتصق باللحاء الخشن وهو متشبث به ليمنعه من السقوط. *(إيجوين)!* دفع نفسه بعيدًا عن الشجرة وأسرع يمضي قُدمًا. على الفور تقريبًا مال مرة أخرى وكاد أن يسقط ولكنه أجبر ساقيه على العمل بشكل أسرع، أن يركض محاولًا تفادي السقوط حتى إنه راح يترنح في مشية سريعة وهو على مسافة خطوة واحدة من السقوط على وجهه طيلة الوقت. جعلت الحركة ساقيه تبدآن في إطاعته بشكل أكبر. ببطء وجد نفسه يركض مستقيمًا، وذراعاه تتحركان للأمام والخلف بشكل يساعده على الاتزان، وساقاه الطويلتان تدفعانه لهبوط المنحدر بشكل متواثب. قفز إلى المكان الذي تشغله شجرة البلوط العظيمة التي تمثل شاهد قبر (الرجل الأخضر). كان هناك القوس الحجري الأبيض الذي يحمل شعار (الآيز سيداي) العتيق، والهوة السوداء التي حاولت فيها النيران والرياح أن تحتجز (أجينور) وفشلتا في هذا.

«(إيجوين)! أين أنتِ يا (إيجوين)؟». رفعت فتاة جميلة وجهها لتنظر بعينين واسعتين من حيث تجثو على ركبتيها أسفل الأغصان المنبسطة، بينما كان هناك زهور في شعرها وأوراق بلوط بنية. كانت نحيفة وصغيرة وخائفة. *أجل، هذه هي من أبحث عنها، بالطبع.* «(إيجوين)، حمدًا (للنور) أنك بخير».

كان هناك امرأتان أخريان معها، واحدة بعينين خائفتين وضفيرة طويلة لا تزال مزينة بقليل من زهور نجم الصباح البيضاء. كانت الأخرى مستلقية ممددة الأطراف، ورأسها مستقر على وسادة من عباءات مطوية، ولم تكن عباءتها الزرقاء تُخفي جيدًا فستانها الممزق. كان هناك بقع متفحمة وتمزقات في القماش باهظ الثمن، وكان وجهها شاحبًا، ولكن عينيها

كانتا مفتوحتين. (*مويرين*)، *أجل*، (*الآيز سيداي*). *والحكيمة*، (*ناينيف*). نظرت إليه النسوة الثلاثة باهتمام بأعين لا ترمش.

«أنتن جميعًا بخير، أليس كذلك؟ (إيجوين)؟ إنه لم يؤذِكِ». كان باستطاعته حينها أن يمشي دون تعثر، وجعلته رؤيتها يشعر وكأنما يرقص رغم الكدمات وكل شيء، ورغم هذا أحس أنه من الجيد أن يجلس معقود الساقين بجانبهن.

«لم أرَه بعد أن دفعتني». كانت عيناها تنظران إليه في شك ثم قالت: «ماذا عنك يا (راند)؟».

«أنا بخير». ضحك ثم لمس وجنتها وتساءل إن كان قد خُيِّل إليه أنها أبعدت وجهها قليلًا. «قليل من الراحة وسأكون في أفضل حال. (ناينيف)؟ (مويرين سيداي)؟». أحس كأنما ينطق بالاسمين لأول مرة في حياته.

كانت عينا الحكيمة عجوزين، هرمتين في وجهها الشاب، ولكنها هزت رأسها وقالت دون أن تُبعد عينيها عنه: «القليل من الكدمات، (مويرين) وحدها... (مويرين) وحدها من أُصيبت بشدة».

قالت (الآيز سيداي) بانزعاج وهي تتدثر بعباءتها: «لقد عانيت من جرح في كرامتي أكثر من أي شيء آخر». بدت وكأنما هي مريضة منذ وقت طويل، أو منهكة بشدة، ولكن رغم الهالات السوداء المحيطة بعينيها إلا أنهما كانتا ثاقبتين ومفعمتين بالقوة. «كان (أجينور) متفاجئًا وغاضبًا لأنني استطعت صده لمثل هذا الوقت الطويل، ولكن لحسن الحظ لم يكن لديه وقت ليضيعه معي. أنا نفسي متفاجئة لأنني تمكنت من صده لمثل هذا الوقت الطويل. في (عصر الأساطير) لم يكن هناك أحد يفوق (أجينور) قوة بقليل إلا (قاتل أهله) و(إشامايل)».

قالت (إيجوين) مقتبسة بصوت خافت مرتعش: «(سيد الظلام) وكل (الملعونين) مسجونون في (شايول غول)، قيدهم (الخالق)...». أخذت نفسًا مرتجفًا.

«لا شك أن (أجينور) و(بلثاميل) كانا محتجزين قرب السطح». بدا في نبرة (مويرين) وكأنما قد شرحت هذا الأمر من قبل، وتشعر بنفاد صبر لشرحه مرة أخرى. «الختم الموجود على سجن (سيد الظلام) قد ضَعُفَ بما يكفي لتحريرهما، فلنكن ممتنين لأنه لم يتحرر المزيد من (الملعونين)، إن كان هناك من تحرر غيرهما لرأيناه».

قال (راند): «هذا لا يهم، لقد مات (أجينور) و(بلثاميل)، وكذلك مات (الشيـ...)».

قاطعته (الآيز سيداي): «(سيد الظلام)». مريضة أم لا فقد كان صوتها حازمًا، وكانت عيناها المظلمتان آمرتين. «من الأفضل أن نواصل تسميته (سيد الظلام)، أو (بعلزمون) على الأقل».

هز كتفيه وقال: «كما تشائين، ولكنه قد مات، (سيد الظلام) قد مات. أنا قتلته، أحرقته بـ...». تدفقت بقية ذاكرته عائدة إليه، تاركة فمه فاغرًا. *(القوة الواحدة)، لقد تحكمت في (القوة الواحدة). لا يمكن لرجل أن*... لعق شفتيه اللتين جفتا فجأة، وجاءت هبة من الرياح جعلت الأوراق تتساقط من حولهم. ولكنها لم تكن باردة أكثر من قلبه. كان ثلاثتهن ينظرن إليه، دون أن ترمش إحداهن بعينيها. مد يده نحو (إيجوين)، ولكن هذه المرة لم يكن هناك أدنى شك في تراجعها بعيدًا عنه. «(إيجوين)؟». أشاحت بوجهها بعيدًا عنه فترك يده تهوي بجانبه.

فجأة أحاطته بذراعيها ودفنت وجهها في صدره. «أنا آسفة يا (راند)، آسفة، أنا لا أُبالي، حقًّا لا أُبالي». كانت كتفاها ترتجفان، فأدرك أنها تبكي. راح يمسد شعرها في حرج وهو ينظر من فوق رأسها إلى المرأتين الأخريين.

قالت (نانيف) ببطء: «(عجلة الزمن) تغزل بمشيئتها، ولكنك ما زلت (راند ألثور) من (إيموندز فيلد)، ولكن فليساعدني (النور)، فليساعدنا (النور) جميعًا، أنت خطير للغاية يا (راند)». جفل بعيدًا عن عيني الحكيمة الحزينتين النادمتين اللتين تقبلان الخسارة بالفعل.

قالت (مويرين): «ماذا حدث؟ أخبرني بكل شيء!».

ومع عينيها الآمرتين المصوبتين عليه أخبرها بكل شيء. أراد أن يبتعد، أن يجعل الأمر مقتضبًا، أن يتجاهل بعض التفاصيل، ولكن عيني (الآيز سيداي) استخرجتا منه كل شيء. سالت الدموع على وجهه عندما جاء إلى ذكر (كاري ألثور)، أمه. أكّد على هذا قائلًا: «كان في حوزته أمي، أمي!». كان هناك تعاطف وألم في وجه (نانيف)، ولكن عيني (الآيز سيداي) أجبرتاه على مواصلة الحديث، حتى وصل إلى سيف (النور)، إلى قطع الحبل الأسود، وألسنة اللهب التي التهمت (بعلزمون). ضمّته (إيجوين) بذراعيها بقوة أكبر، كما لو أنها قد تجذبه مما حدث. أنهى حديثه قائلًا: «ولكنه لم يكن أنا، (النور)... كان يتحكم بي، لم أكن أنا حقًّا. هل يصنع هذا أي فارق؟».

قالت (مويرين): «كان لديّ شكوك حيال الأمر منذ البداية، ولكن الشكوك ليست دليلًا. بعد أن أعطيتك العملة المعدنية وصنعت ذلك الرابط كان يجب أن تكون مستعدًّا لفعل أي شيء أُريده، ولكنك قاومت وتساءلت. أوحى لي هذا بشيء، ولكنه لم يكن كافيًا. لطالما كانت دماء (مانثيرن) عنيدة، وصارت أكثر عنادًا بعد موت (إيمون) وتحطم قلب (إلدرين). ثم كان هناك (بيلا)».

قال لها: «(بيلا)؟». *لا شيء يصنع فارقًا.*

أومأت (الآيز سيداي) برأسها وقالت: «في (واتش هيل) لم تحتاجني (بيلا) لكي أُريحها من تعبها، لقد فعل شخص ما هذا بالفعل، كان بإمكانها في هذه الليلة أن تفوق (ماندارب) عدوًا. كان يجب أن أفكر

فيمن تحمله (بيلا) على ظهرها. مع وجود (الترولوكيين) في أعقابنا، و(الدراكار) فوق رؤوسنا، و(نصف بشري) (النور) وحده يعلم أين هو، لا شك أنك شعرت بالخوف أن (إيجوين) قد تتخلف عنا. كنت تحتاج إلى شيء أكثر من أي شيء قد احتجت إليه في حياتك، وقد لمست الشيء الوحيد الذي يُمكن أن يمنحك إياه؛ (السايدين)».

ارتجف وهو يشعر ببرودة شديدة حتى إن أصابعه قد آلمته. «إن لم أفعل هذا مرة أخرى، إن لم ألمسه مرة أخرى، فلن...». لم يستطع أن يقولها. يُصاب بالجنون، يحول الأرض والناس من حوله إلى الجنون، يموت ويتعفن بينما لا يزال على قيد الحياة.

قالت (مويرين): «ربما، سيكون الأمر أسهل بكثير إن كان هناك من يعلمك، ولكن هذا قد يكون ممكنًا بجهد عظيم من الإرادة».

«يمكنك تعليمي. أنتِ بالتأكيد...». صمت عندما هزَّت (الآيز سيداي) رأسها.

«هل يمكن لقطة أن تعلم كلبًا تسلق الشجر يا (راند)؟ هل يمكن لسمكة أن تعلم طائرًا السباحة؟ أنا أعرف (السايدار)، ولكن لا يمكنني أن أعلمك أي شيء عن (السايدين)، هؤلاء الذين يمكنهم تعليمك قد ماتوا قبل ثلاثة آلاف سنة. ولكنك ربما تكون عنيدًا بما يكفي، ربما إرادتك قوية بما يكفي».

نصبت (إيجوين) قامتها وهي تمسح عينيها الحمراوين بظهر يدها. بدا أنها على وشك أن تقول شيئًا، ولكن عندما فتحت فمها لم يخرج منه شيء. *على الأقل لم تبتعد عني، على الأقل يُمكنها أن تنظر إليَّ دون أن تصرخ.*

قال لها: «ماذا عن البقية؟».

قالت (ناينيف): «أخذهم (لان) إلى الكهف، لقد اختفت (عين العالم) ولكن هناك شيء في منتصف البركة، عمود بلوري ودرجات تؤدي إليه. أراد (مات) و(بيرين) أن يبحثا عنك أولًا، وأراد (لويال) هذا أيضًا، ولكن (مويرين) قالت...». اختلست النظر إلى (الآيز سيداي) في اضطراب، ولكن (مويرين) بادلتها النظر بهدوء. «قالت إننا يجب ألا نزعجك بينما أنت...».

اختنق حلقه حتى كاد ألا يقدر على التنفس. *هل سيشيحون بوجوههم كما فعلت (إيجوين)؟ هل سيصرخون ويهربون كأنما أنا (عاتم)؟* تحدثت (مويرين) وكأنها لم تلاحظ الدماء تغيض من وجهه.

«كان هناك قدر هائل من (القوة الواحدة) في (عين العالم). حتى في (عصر الأساطير) كان هناك قليل ممن باستطاعتهم تسخير هذا القدر دون مساعدة ودون أن يتدمروا، قليل للغاية».

قالت بصوت أجش: «هل أخبرتِهم؟ إن عرف الجميع...».

قالت (مويرين) برفق: «لم أُخبر سوى (لان)، فهو يجب أن يعرف، و(نانيف) و(إيجوين)، بسبب ما هما عليه وما ستصيران عليه. لا داعي لأن يعرف البقية بعد».

«لمَ لا؟». اختناق حلقه جعل صوته مبحوحًا. «أنت سترغبين في ترقيقي، أليس كذلك؟ أليس هذا ما تفعله (الآيز سيداي) بالرجال الذين يتمكنون من التحكم في (القوة الواحدة)؟ تغيرهم لكيلا يقدرون على هذا؟ لكيلا يكون هناك خطر منهم؟ قال (تام) إن الرجال الذين يرققون يموتون لأنهم يكفون عن الرغبة في الحياة. لمَ لا تتحدثين عن اصطحابي إلى (تار ڤالون) لكي أُرقق؟».

قالت (مويرين): «أنت (تاڤيرين)، ربما لم يفرغ (النمط) منك بعد».

اعتدل (راند) في جلسته وقال: «في أحلامي قال (بعلزمون) إن (تار ڤالون) و(عرش أميرلين) سيحاولون استغلالي. لقد ذكر أسماء وأنا أتذكرها الآن؛ (راولن داركسبين)، (جوير أمالاسان)، (يوريان ستونبو)، (ديڤيان)، (لوجاين)». كان ذكر آخرهم هو الأصعب عليه. شحب وجه (ناينيڤ) وشهقت (إيجوين) ولكنه أكمل حديثه في غضب: «كل واحد منهم (تنين كاذب)، لا تحاولي إنكار هذا. ولكني لن أُستغل، أنا لست أداة يُمكنك أن تُلقيها في كومة النفايات عندما تنتهين منها».

قالت (مويرين) بصوت قاسٍ كصوته: «أداة صُنعت لغرض ما، لا يُقلل منها استخدامها لهذا الغرض. ولكن رجلًا يُصدق (أبا الأكاذيب) يُقلل من نفسه. قلتَ إنك لن تُسْتَغَل ولكنك تسمح لـ(سيد الظلام) أن يحدد مسارك ككلب صيد يُرسله سيده وراء أرنب».

كور قبضتيه ولكنه أشاح برأسه بعيدًا. كان الأمر قريبًا للغاية مما قاله (بعلزمون). «أنا لست كلب صيد أحد، هل تسمعينني؟ لا أحد!».

ظهر (لويال) والبقية عند القوس فاعتدل (راند) على قدميه في عُجالة وهو ينظر إلى (مويرين). قالت (الآيز سيداي): «لن يعرفوا حتى يجعلهم (النمط) يعرفون».

كان صديقاه يقتربان، يتقدمهما (لان) الذي كان صارمًا كالعادة، ولكنه بشكل ما يبدو في حالة مزرية؛ كانت إحدى ضمادات (ناينيڤ) تحيط بصدغيه، وكان يمشي بطريقة متخشبة. من ورائه (لويال) يحمل صندوقًا ذهبيًّا ضخمًا مزخرفًا ومطعمًا بالفضة. لا أحد غير (الأوجير) يقدر على حمله دون مساعدة. كان (بيرين) يلف ذراعيه حول حزمة ضخمة من قماش أبيض مطوي، ويحمل (مات) بين يديه ما يبدو كقطع من الفخار.

قال (مات) ضاحكًا: «إذن فأنت على قيد الحياة رغم كل شيء». ثم تجهم وجهه وهو ينظر إلى (مويرين) قائلًا: «لم تسمح لنا بالبحث عنك،

قالت إنه يجب علينا أن نعرف ما تخفيه (عين العالم). كنت سأذهب وراءك على أي حال، ولكن (ناينيف) و(إيجوين) انحازتا إلى جانبها، وكادتا أن تلقيا بي عبر القوس».

قال (بيرين): «أنت هنا الآن ويبدو عليك أنك لست في حالة سيئة». لم تتوهج عيناه، ولكن قزحيتيهما كانتا صفراوين تمامًا. «هذا هو الأهم، أنك هنا وأننا انتهينا مما جئنا من أجله، أيًّا ما كان. قالت (مويرين سيداي) إننا انتهينا وإنه بإمكاننا العودة إلى الديار يا (راند). بحق (النور) كم أود العودة إلى الديار».

قال (لان) بصرامة: «من الجيد رؤيتك على قيد الحياة يا راعي الغنم. أرى أنك متشبث بسيفك، ربما ستتعلم الآن كيف تستخدمه». أحس (راند) فجأة بشيء من العاطفة تجاه (الحامي)، (لان) يعرف بالأمر ولكن لا شيء قد تغير، ظاهريًّا على الأقل. فكَّر أنه ربما لم يتغير شيء في أعماقه أيضًا.

قال (لويال) وهو يضع الصندوق جانبًا: «يجب أن أقول إن السفر مع (تاڤيرين) قد تحول إلى شيء مثير أكثر مما توقعت». ارتعشت أذناه بعنف وقال: «لو صار مثيرًا أكثر من هذا لعدت إلى (ملاذ شانجتاي) على الفور واعترفت للكبير (هامان) بكل شيء، ولما تركت كتبي مرة أخرى». فجأة ابتسم (الأوجير) ابتسامة عريضة ثم قال: «يُسعدني رؤيتك يا (راند ألثور). (الحامي) هو الوحيد من بين هؤلاء الثلاثة الذي يُبالي كثيرًا بالكتب، وهو لا يتحدث. ما الذي حدث لك؟ لقد ركضنا جميعًا واختبأنا في الغابة حتى أرسلت (مويرين سيداي) (لان) للبحث عنا، ولكنها لم تسمح لنا بالبحث عنك. أين كنت طيلة ذلك الوقت يا (راند)؟».

قال ببطء: «لقد ركضت وركضت حتى سقطت من على تل وارتطمت رأسي بصخرة. أعتقد أنني ارتطمت بكل صخرة أثناء سقوطي». يجب أن يفسر هذا كدماته. حاول أن ينظر إلى (الآيز سيداي) و(ناينيف)

و(إيجوين) أيضًا، ولكن وجوههم لم تتغير. «عندما عدت إلى وعيي كنت ضائعًا، حتى استطعت أخيرًا أن أشق طريقي عائدًا إلى هنا بخطوات متعثرة. أعتقد أن (أجينور) قد مات محترقًا، فقد وجدت بعض الرماد وقطعًا من عباءته».

بدت هذه الكذبات جوفاء في أذنيه. لم يستطع أن يفهم لِمَ لم يضحكوا باستنكار ويطلبوا الحقيقة. ولكن صديقيه أومآ برأسيهما وقد قبلا الأمر، وبدا عليهما التعاطف وهما يجتمعان حول (الآيز سيداي) ليرياها ما عثرا عليه.

قالت (مويرين): «ساعدوني على النهوض». ساعدتها (ناينيف) و(إيجوين) على الجلوس، وكان عليهما أن تسنداها حتى وهي جالسة.

قال (مات) متسائلًا: «كيف يمكن أن تكون هذه الأشياء بداخل (عين العالم)، دون أن تتحطم مثل تلك الصخرة».

قالت (الآيز سيداي) باقتضاب: «لم توضع هنا لتُحَطَّم». عقدت حاجبيها متجاهلة أسئلتهم وهي تأخذ من (مات) قطع الفخار اللامعة السوداء والبيضاء.

بدت كقطع من الركام بالنسبة لـ(راند)، ولكنها وضعتها معًا بمهارة على الأرض بجانبها لتصنع دائرة مثالية بحجم كف رجل؛ الشعار العتيق (للآيز سيداي)، شعلة (تار ڤالون) متحدة مع (ناب التنين)، جانب أبيض وجانب أسود. للحظة اكتفت (مويرين) بالنظر إليه بتعبير مبهم، ثم استلت السكين من حزامها وأعطته إلى (لان) وهي تومئ برأسها نحو الدائرة.

فصل (الحامي) أكبر قطعة، ثم رفع السكين عاليًا وهوى به بكل قوته. تطاير الشرر وقفزت القطعة الفخارية مع قوة الضربة، بينما انكسر النصل بصوت تشقق حاد. تفحَّص الجزء المتبقي الذي لا يزال متصلًا بالمقبض، ثم ألقاه جانبًا وهو يقول بسخرية: «أفضل فولاذ من (تير)».

انتزع (مات) القطعة الفخارية، تفحصها ثم أراها للجميع، لم يكن هناك أدنى علامة عليها.

قالت (مويرين): «(كويندلار)، (حجر القلب)، لم يتمكن أحد من صنعه منذ (عصر الأساطير)، وحتى حينها لم يكن يُصنع إلا من أجل الأغراض العظيمة. ما إن يُصنع لا يُمكن تحطيمه، ولا يستطيع أن يحطمه حتى أعظم (الآيز سيداي) مستخدمًا (القوة الواحدة) ذاتها، وبمساعدة أقوى (سانجريال) على الإطلاق. أي قوة توجه ضد (حجر القلب) تجعله أقوى فحسب».

«إذن كيف...؟». أشار (مات) بالقطعة التي يُمسك بها إلى القطع الأخرى على الأرض.

قالت (مويرين): «كان هذا واحدًا من الأختام السبعة لسجن (سيد الظلام)». ألقى (مات) بالقطعة التي في يده كأنما قد لسعته بالحرارة. للحظة بدا أن عيني (بيرين) تتوهجان مرة أخرى، بينما راحت (الآيز سيداي) تجمع القطع بهدوء.

قال (راند): «هذا لم يعد مهمًّا». نظر إليه صديقاه باستغراب وتمنى لو أنه كان قادرًا على إبقاء فمه مغلقًا.

قالت (مويرين): «بالطبع». ولكنها وضعت جميع القطع في جرابها بحذر. «اجلبوا لي الصندوق». فحمله (لويال) وقرَّبه منها.

بدا الصندوق الذهبي والفضي مصمتًا ولكن أصابع (الآيز سيداي) تحسست الأعمال الزخرفية المتشابكة وهي تضغط بأصابعها، وفجأة مع صوت تكة انفتح الجزء العلوي كأنما بفعل نوابض. كان هناك بوق ذهبي منثنٍ مستقر بداخله، ورغم بريقه إلا أنه بدا بسيطًا بالمقارنة مع الصندوق الذي يضمه. العلامات الوحيدة كانت خطًّا من الكتابة الفضية ترصع حافة البوق. أخرجت (مويرين) البوق من الصندوق كأنما تحمل رضيعًا ثم قالت بهدوء: «يجب أن يؤخذ هذا إلى (إليان)».

قال (بيرين) مزمجرًا: «(إليان)! هذا يعني الذهاب إلى (بحر العواصف) تقريبًا، إلى الجنوب من ديارنا بقدر ما نحن شماله الآن».

قال (لويال) لاهثًا: «هل هذا...؟». ثم صمت ليلتقط أنفاسه قبل أن يقول: «هل يُعقل أن يكون...؟».

سألته (مويرين): «هل يمكنك أن تقرأ (اللغة القديمة)؟». وعندما أومأ برأسه أعطته البوق.

أخذه (الأوجير) منها برفق كما كانت تحمله برفق، وراح يتتبع النص المكتوب بدقة بإصبعه الغليظ. راحت عيناه تتسعان وتتسعان، وانتصبت أذناه بشكل مستقيم، ثم راح يهمس: «تيا مي أڤين موريدين إيسايند ڤادين؛ القبر لن يكون عائقًا أمام ندائي».

«(بوق ڤالير)». ولأول مرة بدا (الحامي) مصدومًا حقًّا، وكان هناك لمحة من الرهبة في صوته.

وفي الوقت ذاته قالت (ناينيڤ) بصوت مرتجف: «لنداء أبطال العصور ليعودوا من الموت ويقاتلوا (سيد الظلام)».

قال (مات) مذهولًا: «بحق (النور)!».

أعاد (لويال) البوق إلى صندوقه الذهبي بتبجيل بينما تقول (مويرين): «لقد بدأت أتساءل؛ لقد صُنعت (عين العالم) لتلبية أعظم حاجة سيواجهها العالم، ولكن هل صُنعت من أجل الحاجة التي... استخدمناها نحن فيها، أم لحراسة هذه الأشياء؟ بسرعة، أروني الشيء الأخير».

كان باستطاعة (راند) أن يتفهم إحجام (بيرين) بعد أول شيئين، ولكن (لان) و(الأوجير) أخذا حزمة القماش منه عندما رأياه مترددًا، وبسطاها فيما بينهما. راية بيضاء طويلة ومفرودة ترفرف في الهواء، ولم يستطع (راند) أن يفعل شيئًا سوى التحديق، بدا الشيء برمته قطعة قماشية ليست منسوجة ولا مصبوغة ولا مرسومة، كان هناك هيئة أشبه بأفعوان بحراشيف قرمزية وذهبية، يمتد على طول الراية، ولكن كان له سيقان حرشفية وأقدام بخمس مخالب ذهبية طويلة في كل قدم، ورأس عظيم

بلبدة ذهبية وعينان كالشمس. خفقان الراية جعله يبدو وكأنه يتحرك، وحراشيفه تلمع كأحجار كريمة ومعادن ثمينة، حي ويكاد أن يُخيَّل إليه أنه يسمعه يزأر في تحدٍّ.

قال: «ما هذا؟».

قالت (مويرين) ببطء: «راية (سيد الصباح) عندما قاد قوات (النور) في مواجهة (الظل)، راية (ليوز ثيرين تيلامون)، راية (التنين)». كاد (لويال) أن يسقط الطرف الذي يمسك به أرضًا.

قال (مات) بصوت خافت: «بحق (النور)!».

قالت (مويرين): «سنأخذ هذه الأشياء معنا عند رحيلنا، إنها لم توضع هنا من قبيل المصادفة، ويجب أن أعرف المزيد». تحسست جرابها بأصابعها حيث تستقر قطع الختم المحطم. «لقد فات الأوان على أن نتحرك اليوم، سنستريح ونأكل ولكننا سنغادر في الصباح الباكر. (البلاء العظيم) يُحيط بنا، ليس كما كان على طول (الأراضي الحدودية)، بل أكثر قوة. من دون (الرجل الأخضر) لا يمكن لهذا المكان أن يصمد طويلًا». ثم قالت لـ(ناينيف) و(إيجوين): «ساعداني على الاستلقاء، يجب أن أستريح».

صار (راند) مدركًا لما كان يراه طيلة الوقت دون أن يلاحظه؛ أوراق بنية ميتة تتساقط من شجرة البلوط العظيمة، حفيف أوراق ميتة متكاثفة على الأرض في النسيم، اللون البني مختلط مع البتلات التي تتساقط من آلاف الأزهار. لقد قاوم (الرجل الأخضر) (البلاء العظيم) لوقت طويل، ولكن البلاء بالفعل يقتل ما قد صنعه.

سأل (مويرين): «لقد انتهى الأمر، أليس كذلك؟».

أدارت (الآيز سيداي) رأسها على وسادتها المصنوعة من العباءات وقد بدت عيناها عميقتين كـ(عين العالم). «لقد انتهينا مما جئنا لفعله هنا، ومن هنا يمكنك أن تعيش حياتك كما ينسج (النمط). كل ونَم يا (راند ألثور)، نَمْ واحلم بالديار».

الفصل الثالث والخمسون

عجلة الزمن تدور

كشف الفجر عن الدمار في حديقة (الرجل الأخضر)، كانت الأرض مغطاة بطبقة كثيفة من الأوراق المتساقطة، تكاد في بعض الأماكن أن تصل إلى ارتفاع الركبتين. جميع الزهور قد تساقطت باستثناء عدد قليل يتشبث يائسًا بحافة المساحة المحيطة بشجرة البلوط. قليل من النباتات يُمكنه أن ينمو في التربة تحت شجرة بلوط، ولكن كان هناك دائرة رفيعة من الزهور والحشائش تحيط بجذع الشجرة السميك فوق قبر (الرجل الأخضر). شجرة البلوط نفسها لم تحتفظ إلا بنصف أوراقها، وكان هذا أكثر بكثير من أي شجرة أخرى، كأنما بعض بقايا (الرجل الأخضر) لا تزال تقاوم للدفاع عن المكان. كان النسيم العليل قد اختفى وحل محله حرارة لزجة متزايدة، واختفت الفراشات وسكنت الطيور. كانت المجموعة تستعد للرحيل في صمت.

اعتلى (راند) سرج حصانه وهو يشعر بالخسارة. *ليس من المفترض أن ينتابني هذا الشعور، لقد انتصرنا بحق الدماء والرماد!*

قالت (إيجوين) وهي تعتلي (بيلا): «أتمنى أنه قد عثر على مكانه الآخر». كان هناك محفة قد ارتحلها (لان) مُعلقة ما بين الفرس الشعثاء و(آلديب) لحمل (مويرين)، أما (ناينيف) فستمشي بحصانها ممسكة بلجام الفرس

البيضاء. كانت الحكيمة تُطرق بعينيها كلما رأت (لان) ينظر ناحيتها متحاشية النظر في عينيه، وكان (الحامي) ينظر إليها كلما أشاحت بعينيها، ولكنه لم يتحدث إليها. لم يحتج أحد لأن يسأل (إيجوين) عمن تعنيه.

قال (لويال) وهو يحدق إلى شجرة البلوط: «هذا ليس عادلًا». كان (الأوجير) هو الوحيد الذي لم يمتطِ حصانه بعد. «ليس من العدل أن يسقط (أخو الأشجار) ضحية (للبلاء العظيم)». سلَّم لجام حصانه الضخم لـ(راند). «ليس عادلًا».

فتح (لان) فمه، بينما (الأوجير) يمشي نحو شجرة البلوط العظيمة، فرفعت (مويرين) يدها بضعف وهي مستلقية على المحفة فلم يقل (الحامي) شيئًا.

جثا (لويال) على ركبتيه أمام شجرة البلوط مُغلقًا عينيه وباسطًا ذراعيه. انتصبت خصلات الشعر على أذنيه وهو يرفع وجهه نحو السماء، ثم راح يغني.

لم يستطع (راند) أن يُجزم إن كان هناك كلمات أم أنها كانت أغنية خالصة. في ذلك الصوت المدمدم بدا وكأن الأرض تُغني، رغم ذلك كان واثقًا من أنه سمع الطيور تغرد مرة أخرى، ونسائم الربيع تتنهد بخفوت، وصوت أجنحة الفراشات. فكَّر وهو مستغرق في الأغنية أنها لم تستمر إلا لبضع دقائق، ولكن عندما نفض (لويال) ذراعيه وفتح عينيه كان مندهشًا لرؤية أن الشمس قد ارتفعت كثيرًا فوق الأفق، كانت بالكاد تلمس قمم الأشجار عندما بدأ (الأوجير) يغني. بدت الأوراق التي لا تزال على شجرة البلوط أكثر خضرة، وأكثر رسوخًا. كانت الأزهار التي تطوق الشجرة تقف منتصبة، أزهار نجم الصباح بيضاء ونضرة، وأزهار عُقَد العاشقين بلون قرمزي زاهٍ.

مسح (لويال) العرق من على جبهته العريضة ثم اعتدل واقفًا وأخذ اللجام من (راند). كان حاجباه الطويلان متدليين ويبدو عليه الخجل كأنه يخشى أن يظنوا أنه كان يتباهى. «لم أغنِ بمثل هذه القوة من قبل، لا أعتقد أنه كان بمقدوري فعل هذا لو لم يكن هناك شيء من (أخي الأشجار) لا يزال موجودًا هناك. إن أغنياتي للأشجار لا تمتلك قوته». عندما استقر في سرجه كان هناك شيء من الرضا في الطريقة التي نظر بها لشجرة البلوط والأزهار. «هذه المساحة الصغيرة على الأقل لن تغرق في (البلاء العظيم). لن ينال (البلاء العظيم) من (أخي الأشجار)».

قال (لان): «أنت رجل صالح أيها (الأوجير)».

ابتسم (لويال) وقال: «سأعتبر هذا إطراءً ولكني لا أعرف ما سيقوله الكبير (هامان)».

تحركوا في طابور واحد مع (مات) وراء (الحامي) حيث يمكنه أن يستخدم قوسه للمساعدة عند الحاجة، و(بيرين) في المؤخرة مع فأسه على مقبض سرجه. صعدوا قمة تل وفي غمضة عين صار (البلاء العظيم) في كل مكان من حولهم، متلويًا ومتعفنًا في درجات من الألوان الخبيثة. نظر (راند) وراءه ولكن لم يقدر على رؤية حديقة (الرجل الأخضر) في أي مكان، لم يكن هناك شيء سوى (البلاء العظيم) الممتد وراءهم كما هو ممتد أمامهم، ورغم هذا خُيِّل إليه للحظة أنه رأى قمة شجرة البلوط الشاهقة خضراء ومورقة قبل أن تبرق وتختفي، ثم لم يعد هناك إلا (البلاء العظيم).

كان يتوقع نوعًا ما أنهم سيضطرون للقتال وهم يشقون طريقهم خارجين من (البلاء العظيم)، ولكنه كان صامتًا وساكنًا كالموت. لم يرتجف ولو غصن واحد ليضربهم، لم يصرخ شيء أو يعوِ، لا من قريب ولا من بعيد. بدا (البلاء العظيم) رابضًا، ليس ليستعد للوثب، ولكن كأنما قد تلقى ضربة عظيمة وينتظر أن تهوي عليه الضربة التالية. حتى الشمس بدت أقل حُمرة.

عندما مروا بقلادة البحيرات كانت الشمس قد اقتربت من ذروتها. أبقاهم (لان) بعيدًا عن البحيرات، ولم ينظر إليها حتى، ولكن (راند) خُيِّل إليه أن الأبراج السبعة بدت أكثر طولًا عن المرة السابقة التي رآها فيها. كان واثقًا من أن القمم المتكسرة مرتفعة أكثر عن الأرض، ومن فوقها يكاد أن يرى شيئًا، أبراجًا سليمة تلمع في الشمس، ورايات الكركي الذهبي تخفق في الرياح. رمش بعينيه ثم راح يحدق، ولكن الأبراج رفضت أن تختفي تمامًا. كانت لا تزال هناك عند حافة رؤيته حتى أخفى (البلاء العظيم) البحيرات مرة أخرى.

قبل غروب الشمس اختار (الحامي) موقعًا للتخييم، وساعدت (ناينيف) و(إيجوين) (مويرين) على وضع التعاويذ الحامية. همست (الآيز سيداي) في أذني المرأتين الأخريين قبل أن تبدأ. ترددت (ناينيف) ولكن عندما أغلقت (مويرين) عينيها كانت النسوة الثلاثة قد أغلقن أعينهن معًا.

رأى (راند) (مات) و(بيرين) يحدقان فتعجب من كونهما متفاجئين. فكَّر في كآبة أن كل امرأة هي (آيز سيداي). *وأنا كذلك، فليساعدني (النور)*. عقد لسانه سوداوية الفكرة.

بينما (إيجوين) والحكيمة تساعدان (مويرين) على الاستلقاء في فراشها تساءل (بيرين): «لِمَ يبدوُ الأمر مختلفًا للغاية؟ يبدو وكأنه...». هز كتفيه العريضتين كأنما لا يجد الكلمات المناسبة.

قالت (مويرين) وهي تستلقي في ضعف وتتنهد: «لقد وجهنا ضربة عظيمة لـ(سيد الظلام)، سيحتاج (الظل) وقتًا طويلًا لكي يتعافى».

سألها (مات): «كيف؟ ما الذي فعلناه؟».

قالت (مويرين): «فلتحصلوا على قسط من النوم، نحن لم نخرج من (البلاء العظيم) بعد».

ولكن بحلول الصباح التالي لم يكن هناك أي تغير يُمكن أن يراه (راند). كان (البلاء العظيم) يتلاشى بالطبع وهم يتحركون جنوبًا، الأشجار الملتوية يحل محلها أشجار منتصبة، الحرارة الخانقة تتضاءل، الأوراق المتعفنة تُفسح الطريق لأوراق مريضة فحسب. ثم أدرك أنها لم تعد مريضة، كانت الغابة من حولهم تصير حمراء، مع الأوراق والزهور حديثة العهد، الكثيفة على الأغصان. تفتحت البراعم في الشجيرات، وغطت النباتات المتسلقة الصخور باللون الأخضر، وتخلل الحشائش أزهار وردية جديدة كما كان يحدث أينما يمشي (الرجل الأخضر). كان الأمر وكأنما الربيع الذي أخره الشتاء كثيرًا يُسرع الآن ليلحق بحيث يُفترَض به أن يكون.

لم يكن وحده من يحدق. تمتمت (مويرين): «ضربة عظيمة». ولم تقل أكثر من هذا.

كانت الأزهار البرية المتسلقة تتشابك مع العمود الذي يُشير إلى (الأراضي الحدودية). جاء الرجال من أبراج المراقبة لتحيتهم. كان هناك شيء من الذهول في ضحكاتهم، وكانت أعينهم تلمع بالدهشة، كأنما لا يمكنهم تصديق وجود الحشائش الجديدة تحت أحذيتهم الفولاذية.

«لقد انتصر (النور) على (الظل)!».

«نصر عظيم في (أخدود تاروين)! لقد تلقينا الرسالة! انتصرنا!».

«(النور) يُباركنا مرة أخرى!».

أجاب (لان) صيحاتهم جميعًا: «الملك (إيسار) قوي ببركة (النور)».

أراد الحراس أن يعتنوا بـ(مويرين)، أو على الأقل أن يصطحبهم مجموعة من الحرس، ولكنها رفضت هذا كله. حتى وهي مستلقية على محفة كان حضور (الآيز سيداي) طاغيًا، حتى إن الرجال المدرعين تراجعوا وهم ينحنون ويستجيبون لرغبتها. كانت ضحكاتهم تصحب (راند) والبقية وهم يمضون قدمًا.

وصلوا (فال دارا) في آخر النهار ليجدوا أن المدينة ذات الأسوار الكئيبة تصدح بالاحتفال وقد تعالى دوي الأجراس. تساءل (راند) إن كان هناك جرس في المدينة لا يقرع، من أصغر جرس فضي وحتى أعظم ناقوس برونزي على قمم أبراجهم. كانت البوابات مفتوحة على اتساعها، والناس يركضون ضاحكين ويغنون في الشوارع، والزهور عالقة في عُقد الشعر أعلى رؤوسهم والفجوات في دروعهم. لم يكن عوام البلدة قد عادوا من (فال موران)، ولكن الجنود الذين عادوا للتو من (أخدود تاروين) وبهجتهم كانوا كافين لملء الشوارع.

«النصر في (الأخدود)! انتصرنا!».

«معجزة في (الأخدود)! لقد عاد (عصر الأساطير)!».

«الربيع!». ضحك جندي أشيب الشعر وهو يعلق إكليل من زهور نجم الصباح حول عنق (راند). كانت عقدة شعره عبارة عن كتلة بيضاء من تلك الزهور. «(النور) يباركنا بالربيع مرة أخرى!».

عندما عرف الرجال أنهم يرغبون في الذهاب إلى الحصن أحاط بهم مجموعة من الرجال يغطيهم الفولاذ والزهور ليفسحوا لهم الطريق عبر الاحتفال.

كان (إنجتار) هو أول وجه غير مبتسم يراه (راند). قال (إنجتار) مُخاطبًا (لان) بتجهم مرير: «لقد تأخرتُ للغاية، تأخرتُ بساعة على أن أرى ما حدث، بحق السلام!». جزَّ على أسنانه بصوت مسموع ولكن تعبير وجهه صار نادمًا وهو يقول: «اغفروا لي، الحزن يجعلني أنسى واجباتي، مرحبًا بك أيها (البنَّاء)، مرحبًا بكم جميعًا. يسعدني رؤية أنكم قد عدتم من (البلاء العظيم) سالمين. سأجلب المعالج من أجل (مويرين سيداي) في حجرتها، وسأخبر اللورد (أجيلمار)...».

قالت (مويرين) آمرة: «خذني إلى اللورد (أجيلمار)، خذنا جميعًا إليه». فتح (إنجتار) فمه ليحتج ولكنه انحنى أمام سطوة عينيها.

كان (أجيلمار) في حجرته بينما سيوفه ودروعه متدلية من رَفّيها، وكان ثاني وجه لا يبتسم. كان مرتسمًا على وجهه تقطيبة منزعجة، تضاعفت عندما رأى (مويرين) على محفتها التي تحملها خادمات في ملابسهن الرسمية؛ نسوة في ملابس سوداء ذهبية يبدو عليهن الاضطراب لجلبهن (الآيز سيداي) دون فرصة لأن تستحم وتبدل ملابسها، أو إحضار المعالج من أجلها. كان (لويال) يحمل الصندوق الذهبي، بينما لا تزال قطع الختم في جراب (مويرين)، وكانت راية (ليوز ثيرين قاتل أهله) مطوية في لفافة بطانياتها التي لا تزال مربوطة وراء سرج (آلديب). كان السايس الذي اقتاد الفرس البيضاء بعيدًا قد تلقى تعليمات صارمة بأن يحرص على أن توضع لفافة البطانيات في الحجرة المخصصة (للآيز سيداي) دون أن يلمسها أحد.

تمتم لورد (فال دارا) قائلًا: «بحق السلام! هل أنتِ مصابة يا (مويرين سيداي)؟ (إنجتار)، لمَ لم تحرص على ذهاب (الآيز سيداي) إلى فراشها أو أن تجلب المعالج لها؟».

قالت (مويرين): «على رسلك يا لورد (أجيلمار)، لقد فعل (إنجتار) ما أمرته به، أنا لست ضعيفة كما يظن الجميع». أشارت إلى اثنتين من النسوة لمساعدتها في الجلوس على أحد الكراسي. للحظة شبكت كل منهما يديها وهما تصيحان بأنها ضعيفة للغاية وأنها يجب أن تكون في فراش دافئ، وأنه يجب جلب المعالج، وأن عليها أن تنعم بحمام ساخن. رفعت (مويرين) حاجبيها فأغلقت المرأتان فميهما فجأة وأسرعتا لمساعدتها في الجلوس على الكرسي. ما إن استقرت في مقعدها حتى أشارت لهما بالانصراف وقالت: «أُريد أن أتحدث معك يا لورد (أجيلمار)».

أومأ (أجيلمار) برأسه بينما أشار (إنجتار) للخادمات بالانصراف من الحجرة. نظر لورد (فال دارا) إلى هؤلاء الباقين في ترقب وخصوصًا (لويال) وصندوقه الذهبي كما بدا لـ(راند).

ما إن أُغلق الباب وراء (إنجتار) حتى قالت (مويرين): «سمعنا أنك أحرزت نصرًا عظيمًا في (أخدود تاروين)».

قال (أجيلمار) ببطء دون أن تتلاشى تقطيبته المنزعجة: «نعم يا (آيز سيداي)، نعم ولا. لقد تحطم (أنصاف البشر) و(الترولوكيون) حتى آخر واحد منهم، ولكننا بالكاد قاتلنا، يُسميها الرجال معجزة، ابتلعتهم الأرض ودفنتهم الجبال، لم يتبقَّ سوى عدد قليل من (الدراكار)، وقد كانوا خائفين للغاية حتى أنهم لم يفعلوا شيئًا سوى التحليق شمالًا بأسرع ما يمكنهم».

قالت (مويرين): «معجزة بالفعل، وقد جاء الربيع مرة أخرى».

قال (أجيلمار) وهو يهز رأسه: «معجزة ولكن... يقول الرجال أشياء عديدة بشأن ما حدث في (الأخدود)، يقولون إن (النور) اتخذ هيئة بشرية وقاتل من أجلنا، إن (الخالق) سار إلى (الأخدود) ليضرب (الظل). ولكني رأيت رجلًا يا (مويرين سيداي)، رأيت رجلًا، ورأيت ما فعله، هذا مستحيل، وليس من المفترض أن يحدث».

«(عجلة الزمن) تغزل بمشيئتها يا لورد (فال دارا)».

«كما تشائين يا (مويرين سيداي)».

«وماذا عن (بادان فاين)؟ هل هو في مكان آمن؟ يجب أن أتحدث معه بعد أن أرتاح».

«إنه محتجز كما أمرتِ يا (آيز سيداي)، ينوح لحراسه جزءًا من الوقت، ويحاول أن يأمرهم في الجزء الآخر، ولكن... بحق السلام يا (مويرين سيداي)، ماذا حدث معكم في (البلاء العظيم)؟ هل عثرتم على (الرجل الأخضر)؟ أنا أرى لمسته في الأشياء الجديدة التي تنمو».

قالت بنبرة خاوية من المشاعر: «لقد عثرنا عليه، لقد مات (الرجل الأخضر) يا لورد (أجيلمار) واختفت (عين العالم)، لن يكون هناك المزيد من المغامرات من شباب يسعون وراء المجد».

عقد لورد (فال دارا) حاجبيه وهو يهزر رأسه في حيرة قبل أن يقول: «مات؟ (الرجل الأخضر)؟ لا يُمكن أن... إذن فقد هُزمتم؟ ولكن الزهور والأشياء التي تنمو؟».

«لقد انتصرنا يا لورد (أجيلمار)، انتصرنا والدليل هو تحرر الأرض من الشتاء، ولكني أخشى أننا لم نخض بعد المعركة الأخيرة». تململ (راند) ولكن (الآيز سيداي) رمقته بنظرها كي يبقى ساكنًا. «(البلاء العظيم) لا يزال قائمًا، ولا تزال أفران (ثاكاندار) تعمل تحت (شايول غول)، لا يزال هناك العديد من (أنصاف البشر) وأعداد لا تُحصى من (الترولوكيين). لا تفكر ولو للحظة واحدة أنه لم يعد هناك حاجة لليقظة في (البلاد الحدودية)».

قال بوجوم: «لم أفكر في هذا يا (آيز سيداي)».

أشارت (مويرين) إلى (لويال) لكي يضع الصندوق الذهبي عند قدميها، وعندما فعل هذا فتحته لتكشف عن البوق. قالت: «(بوق ڤالير)». فشهق (أجيلمار) وخُيِّل لـ(راند) أن الرجل على وشك أن يركع على ركبتيه.

«بهذا يا (مويرين سيداي) لن يهم كم تبقى من (أنصاف البشر) أو (الترولوكيين)، مع عودة الأبطال القدامى من القبر سنزحف إلى (الأراضي الخربة) ونمحق (شايول غول)».

صاحت (مويرين): «لا!». فغر (أجيلمار) فمه في دهشة، ولكن (مويرين) أكملت بهدوء: «لم أُرك هذا لكي أغريك، ولكن لكي تعرف أن أيًّا ما كانت المعارك التي ستأتي فإن قوتنا ستضاهي قوة (الظل). إن مكان البوق ليس هنا، يجب أن يُحمل إلى (إليان)، فإن حدثت معارك جديدة فيجب أن تُحشد قوى (النور) هناك، سأطلب منك أن تُرسل معنا خيرة رجالك لكي يصحبونا ويحرصوا على أن نصل (إليان) بسلام. لا يزال هناك (أصدقاء ظلام) إلى جانب (أنصاف البشر) و(الترولوكيين)،

وهؤلاء الذين يلبون نداء البوق سيتبعون أيًّا كان من ينفخ فيه. يجب أن يصل (إليان)».

«فليكن الأمر كما تشائين يا (آيز سيداي)». ولكن عندما أُغلق غطاء الصندوق بدا لورد (فال دارا) وكأنه قد حُرم من آخر لمحة (للنور).

بعد سبعة أيام كانت الأجراس لا تزال تقرع في (فال دارا)، لقد عاد الناس من (فال موران) فأضافوا احتفالهم إلى احتفال الجنود وامتزج الغناء والصيحات مع قرع الأجراس في الشرفة الطويلة حيث يقف (راند). كانت الشرفة تطل على حدائق (أجيلمار) الخاصة، الخضراء والمزهرة، ولكنه لم يكن مهتمًّا بها. رغم أن الشمس كانت تتوسط كبد السماء إلا أن الربيع في (شاينار) كان أكثر برودة مما اعتاد عليه، ومع ذلك فقد لمع العرق على صدره العاري وكتفيه العاريتين وهو يلوح بالسيف الذي يحمل علامة البلشون، كل حركة دقيقة ولكنها تبدو بعيدة من حيث يطفو الخواء. حتى هناك تساءل عن مقدار الفرحة التي ستعم المدينة إن عرفوا بشأن الراية التي لا تزال (مويرين) تخفيها.

«أحسنت يا راعي الغنم». كان (الحامي) متكئًا على سور الشرفة وذراعاه مطويتان على صدره وهو يراقبه بعينين ناقدتين. «أنت تبلي حسنًا ولكن لا تضغط على نفسك كثيرًا، فأنت لن تصير سيافًا لا يُشق له غبار في غضون بضعة أسابيع».

تلاشى الخواء كانفجار فقاعة. «أنا لا أُبالي بشأن كوني سيافًا».

«هذا سيف لا يحمله إلا سياف يا راعي الغنم».

«أُريد فحسب أن يكون أبي فخورًا بي». شد يده على المقبض الجلدي الخشن. *أُريد فحسب أن يكون (تام) أبي*. أعاد السيف إلى غمده بقوة وقال: «على أي حال ليس لدي بضعة أسابيع».

«إذن فأنت لم تغير رأيك؟».

«هل كنت لتغير أنت رأيك؟». لم يتغير التعبير المرتسم على وجه (لان)، بدا على قسمات وجهه الصارمة أنها لا يمكن أن تتغير أبدًا. «أنت لن تحاول إيقافي؟ أو (مويرين سيداي)؟».

«يمكنك أن تفعل ما تشاء يا راعي الغنم، أو كما ينسج (النمط) من أجلك». ثم نصب (الحامي) قامته وقال: «سأتركك الآن».

التفت (راند) ليراقب (لان) وهو يرحل، ثم وجد (إيجوين) واقفة هناك.

«تغير رأيك بشأن ماذا يا (راند)؟».

أمسك بقميصه ومعطفه وقد أحس فجأة بالبرودة ثم قال: «أنا راحل يا (إيجوين)».

«إلى أين؟».

«إلى مكان ما، لا أعرف». لم يرغب في النظر إلى عينيها ولكنه لم يستطع منع نفسه من النظر إليها. كان شعرها المنسدل على كتفيها مزينًا بأزهار برية، وقد أمسكت بعباءتها الزرقاء الداكنة والمطرزة على طول حوافها بخيط رفيع من الأزهار البيضاء على طراز (شاينار)، وقد شكَّلت الأزهارُ خطًّا مُباشرًا إلى وجهها. لم تكن الورود أكثر شحوبًا من وجنتيها، وبدا أن عينيها واسعتين وسوداوين للغاية. «سأذهب بعيدًا».

«أنا واثقة أن (مويرين سيداي) لن تسمح لك بالرحيل بهذه البساطة بعد... بعد ما فعلته، فأنت تستحق مكافأة ما».

«(مويرين) لا تشعر حتى أنني على قيد الحياة، لقد فعلت ما أرادته وهذا هو نهاية الأمر، إنها حتى لا تتحدث إليَّ عندما أذهب إليها، وهذا لا يعني أنني أحاول البقاء بالقرب منها، ولكنها تتجاهلني. لن تُبالي إن ذهبتُ، وأنا لا يهمني إن كانت تُبالي».

«(مويرين) ليست في خير حال يا (راند)». ثم ترددت قليلًا قبل أن تقول: «يجب عليَّ أن أذهب إلى (تار ڤالون) من أجل تدريباتي. (ناينيڤ) ذاهبة أيضًا، و(مات) لا يزال بحاجة لأن يُعالج من هذا الشيء الذي يربطه بالخنجر أيًّا ما كان، و(بيرين) يرغب في أن يرى (تار ڤالون) قبل أن يذهب إلى... حيثما سيذهب. يمكنك أن تأتي معنا».

«وأنتظر لكي تعرف بعض (الآيز سيداي) بالإضافة إلى (مويرين) ما أنا عليه فيسعين لترقيقي؟». كان صوته خشنًا ويكاد أن يكون ساخرًا، ولم يستطع تغيير نبرته هذه. «هل هذا ما تريدينه؟».

«لا».

كان يعرف أنه لن يكون قادرًا على إخبارها بمدى امتنانه لأنها لم تتردد قبل أن تجيبه.

«(راند)، ألست خائفًا...». كانا وحدهما ولكنها تلفتت حولها وخفضت صوتها قبل أن تقول: «(مويرين سيداي) تقول إنه ليس عليك لمس (المصدر الحقيقي)، إن لم تلمس (السايدين) وإن لم تحاول استخدام (القوة الواحدة) فستكون بأمان».

«بالطبع لن ألمسه مرة أخرى، لن ألمسه ما لم أكن مضطرًّا لقطع يدي أولًا». *ماذا لو لم أستطع منع نفسي؟ أنا لم أحاول قط استخدام (القوة الواحدة)، لم أحاول هذا حتى عند (عين العالم). ماذا لو لم أستطع منع نفسي؟*

«هل ستعود إلى الديار يا (راند)؟ لا شك أن أباك يتحرَّق شوقًا لرؤيتك، حتى والد (مات) لا شك أنه يتحرَّق شوقًا لرؤيته الآن. سأعود إلى (إيموندز فيلد) العام المقبل، سأعود لبعض الوقت على الأقل».

فرك كفه على مقبض سيفه وهو يتحسس البلشون البرونزي. *أبي، الديار، بحق (النور) كم أتمنى رؤية...* «لن أعود إلى الديار». *سأذهب إلى مكان ما حيث لا يكون هناك أي شخص يُمكن أن أؤذيه إن لم أستطع منع نفسي، مكان ما أكون فيه وحدي.* فجأة أحس ببرودة كالثلج في الشرفة، فقال: «سأذهب بعيدًا ولكن ليس إلى الديار». *(إيجوين)، (إيجوين)، لمَ كان يجب أن تكوني واحدة من هؤلاء...؟* أحاطها بذراعيه وهو يهمس في شعرها: «لن أعود إلى الديار أبدًا».

في حديقة (أجيلمار) الخاصة تحت غصن كثيف تتخلله أزهار بيضاء تململت (مويرين) في كرسيها المنبسط. كانت شظايا الختم مستقرة في حجرها والجوهرة الصغيرة التي أحيانًا ما ترتديها في شعرها تدور وتلمع في سلسلتها الذهبية المتدلية من أطراف أصابعها. تلاشى الوهج الأزرق من الجوهرة فظهرت ابتسامة شاحبة على شفتيها. ليس للجوهرة قوة في حد ذاتها، ولكن أول مرة تعلمت فيها (القوة الواحدة) وهي طفلة في القصر الملكي في (كايرين) كانت تستخدم الجوهرة لتصغي للناس عندما يظنون أنهم بعيدون عن أي آذان تسترق السمع.

همست (الآيز سيداي): «ستتحقق النبوءات، (التنين) يولد من جديد».

المحتويات



كيان للنشر والتوزيع

أفضل دار نشر مصرية ٢٠٢١

للتواصل معنا :

kayanpub@gmail.com

info@kayanpublishing.com

أو زوروا موقعنا:

www.kayanpublishing.com

وللاتصال الهاتفي:

هاتف أرضي: 0235918808

هاتف محمول: 01001872290/ 01000405450

وللاطلاع علي كُتُبنا، ومتابعة إصداراتنا الجديدة، وأنشطتنا وأنشطة كتّابنا الثقافية، يمكنكم متابعتنا على حسابات التواصل الاجتماعي التالية:



KayanPublishing

@soramnqraa
telegram

عين العالم
THE EYE OF THE WORLD

الجزء الأول من سلسلة عجلة الزمن الأكثر مبيعًا التي تحولت إلى مسلسل على منصة أمازون.

عندما تصل (مويرين) إلى قرية صغيرة في (النهرين) تكتشف ثلاثة فتيان، كل واحد منهم قد يكون المختار الذي طال انتظاره؛ التنين العائد. ولكنها ليست الغريب الوحيد في القرية، وليست وحدها من يبحث. في سباق ضد الزمن وضد (الظل) يجب أن ترشد أبطالنا عبر أراض من الأساطير والخرافات، نحو حلفاء قدامى وجدد، بينما تتعقب آثار أقدام النبوءة.
عجلة الزمن تدور، فتبدأ مغامرة ملحمية.

اقرأ الرواية قبل أن تشاهد المسلسل!

"لقد تربع جوردن على عرش العالم الذي بدأه تولكين".

نيويورك تايمز

"إن سلسلة عجلة الزمن الطموحة الضخمة قد ساعدت على إعادة تشكيل أدب الفانتازيا".

جورج آر. آر. مارتن، مؤلف سلسلة صراع العروش

"واحدة من أفضل روايات الفانتازيا".

يو. إس. إيه. توداي

"أعظم ملحمة فانتازية أمريكية".

شيكاغو صن-تايمز



مؤلف أميركي للخيال الملحمي. اشتهر بسبب سلسلة رواية عجلة الزمن، والتي جاءت في نحو ١٤ كتابًا ورواية تمهيدية. وهو أحد من ساهم في كتابة روايات كونان البربري الأصلي. كتب ريجني أيضا خيالا تاريخيا تحت اسمه مستعار وهو ريغان أونيل.





